

دیوان
صفي الدين احيائي



دارصادر
بيروت

ديوان صفي الدين الحلي

صفي الدين الحلتي

٦٧٧ - ٧٥٢ ؟ ١٢٧٧ هـ - ١٣٣٩ م

هو أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي السَّنْبِسِي ، نسبة إلى سَنَبِس ، بطن من طي . ولد في الحِلَّة من العراق ، وإليها نُسب ومات في بغداد .

أولع بنظم الشعر منذ شبّ عن طوقه ، وأخذ على نفسه ألاّ يمدح كريماً ، وألاّ يهجو لثيماً ، فكأنّه على حدّ قوله : لم ينظم شعراً إلاّ فيما أوجب له ذكراً .

كان صفي الدين شيعياً قحّاً ، وشيعيته شديدة البروز في شعره ؛ وكان فارساً شجاعاً ، ولما فقد الأمر في الحِلَّة ، ووقعت فيها حروب بين أهل هولاءكو لأجل العرش ، خاض صفي الدين غمارها فأظهر بطولة وشجاعة ، ينم عليهما شعره . وكان عربياً صافي العروبة ، وتظهر في شعره نعرته العربية القويّة ، وتحمّسه لقومه ، وبثّه فيهم روح الأنفة والطموح ، وهذه مزية لم تكن لشاعر سواه في ذلك العهد ، لفقدان الأمن ، وتستر الشعراء في تلك الفتن والحروب . على أن تلك الفتن ما لبثت أن حملته على الرحيل إلى آل أرتق ملوك ديار بكر بن وائل ، فمدح الملك المنصور نجم الدين أبا الفتح غازي بتسع وعشرين قصيدة ، كلّ منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم بدأ كلّ بيت منها به ، وبه ختمه ، وسمّاها : « دُرر النحور في مدائح الملك المنصور » ،

وسميت أيضاً بالروضة ، وهي المعروفة بالأرتقيات . وهذه القصائد وإن تكن تدلّ على قدرته اللغوية وخصب شاعريته يشوبها كثير من التكلف والمغالة بله تكرار القوافي وتقلقل بعضها في أماكنها .

ثمّ اتصل بالسلطان المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل أيوب ، فمدحه ، ثمّ بابنه شمس الدين أبي المكارم .

ولما اشتدتّ الفتن ورث حبل الأمن رحل إلى مصر ، فقلّبه سلطانها الملك الناصر فمدحه بعدة قصائد دعاها بالمنصوريّات . وجمع ديوانه في مصر بإشارة من ناصر الدين محمد بن قلاوون رئيس وزراء السلطان الناصر .

كان في شعره كثير التصنع والتكلف لأنواع البديع ، والألغاز ، ولا بدع فتلك ميزة عصره ؛ وقد نظم قصيدة في بحر البسيط عدد أبياتها مئة وخمسة وأربعون بيتاً ، سماها : « الكافية البديعية في المدائح النبوية » جمع فيها أنواع المحسنات اللفظية والمعنوية ، وفتح بها طريق نظم البديعيات لمن جاء بعده ، هذا عدا ما تكلفه من نظم قصائد حروفها مهملة أو معجمة ، أو خليط ما بين معجم ومهمل .

ولعله أوّل شاعر من شعراء عصره تفتّن في أوزان الشعر فنظم موشحات منها ما اتبع فيه ، ومنها ما ابتدعه ، فجاء بشيء جديد في تلك الأيām التي سادها التقليد ، وله قصيدة ظريفة تدلّ على نفوره من الألفاظ الغريبة التي يمجها الذوق . وكان مولعاً بتسميت قصائده الأقدمين ، فعله بقصيدة السموأل بن عادياء اليهودي المشهورة ، التي مطلعها : إذا المرء لم يندس من اللّوم عرضه .

وقد اشتهر بوصفه لمجالس اللهو والأنس ، وبوصف مظاهر الطبيعة؛ وله زهرية جميلة مشهورة مطلعها :

وَرَدَ الرَّبِيعُ ، فَمَرَحَباً بِوُرُودِهِ ، وَبُنُورٍ بِهَجَتِهِ ، وَنُورٍ وَرُودِهِ .

ويستدلّ من الأبواب التي وضعها في ديوانه على أنّه لم يترك فنّاً من فنون
الشعر إلاّ نظم فيه حتّى الاحماض وهو ما أزلناه من الديوان ضنّاً بالأخلاق .
ومهما يكن الأمر فصفي الدين أشعر شعراء عصر الانحطاط ، وقبس متقدّم
فيهم ، وشعره قويّ السبك ، رائق الديباجة لم ينحطّ فيه إلى العامّي والمبتذل
شأن متشاعري ذلك العهد .

كرم البستاني

الحمد لله الذي علّم الإنسان البيان ومنّ عليه . والصلاة على نبيّه محمّد

الذي مدح الشعر ودعا لناظمه وإليه . وعلى آله أهل البيت خزانة علمه والأمناء على ما لديه . وعلى خيرة صحبه القافية أثره والمجاهدين بين يديه .
وبعد ، فإنني كنت قبل أن أشبّ عن الطوق . وأعلّم ما دواحي الشوق .
بتهجاً بالشعر نظماً وحِفظاً ، مُتقناً علومه معنى ولفظاً . وامقاً بسبك القريض .
كارهاً للكسب بالتقريض^١ . إذ كان ديدني^٢ ، ألاّ أمسح يدَ دَني . وأن أفرّ
مِنَ العادة الحسنة . ولو من الغادة الحسنة . وأعدّ الشعر من أدب الفضائل .
وأحقر الوسائل . فكنْتُ أسترهُ سترَ المحارم . وأعدّ البخل به من المكارم . وعزمتُ
ألاّ أجمع لي منه كتاباً . ولا أدون منه باباً . علماً بأنني لا أخلو فيه من إنصاف
لَوَدَعي^٣ . أو عِناد من يلوذُ به لَوَدَعي^٣ . فأهملته حتى تشعب وتفرق ، ومزق
شملة المُدّعون كلَّ مُمزق . وكنْتُ عاهدتُ نفسي ألاّ أمدح كريماً وإن جلّ .
ولا أهجو لثيماً وإن ذلّ . وذلك للتزّه عن التشبه بذوي السؤال . والترفع

١ التقريض : صناعة القريض .

٢ ديدني : دأبي ، عادتي .

٣ اللوذعي : الذكي الثمن الحديد الفؤاد ، الفصيح اللسان . اللوذ ، من لاذ به : التجأ إليه .

المي : الكال ، العاجز .

عن التَّبَعِ لِمَثَالِبِ الرجال . فكنْتُ لا أنْظِمُ شِعْراً إلَّا فيما يوجب لي ذِكْراً .
أو يَجْلُبُ لي شُكْراً

كَوَصَفِ حَرْبٍ وَرَصَفِ شَرْبٍ ، وَلُطْفِ عَتَبٍ لِقَلْبِ قَلْبٍ
وَذِكْرِ إلفٍ وَشُكْرِ عُرْفٍ ، وَبَكْرِ وَصَفٍ وَنَدْبِ نَدْبٍ

ولا أتصدى من المدائح إلَّا لِمَا أعدّه زاداً للمال . في مديح النبي والآل .
ثمَّ إذا عَنَ لي معنًى لا يليقُ إلَّا بالثناء والمدح نظمته في كُتُبِ أنسابي .
وما لا يسوغُ إلَّا في الهجاء والقُدْحِ عزوته إلى اقتراح خلعاء أصحابي . لثلاث
يظنُّ قومٌ أن فراري منهما ، لعجزني عنهما . وها أنا نُصَبُ المسألة في ذلك
طولَ حياتي . ومُطْلَقِ عِرْضِي لمن تحقّقه مني بعد وفاتي

وأعرضتُ عن مدحِ الأنامِ تَرْقَعاً سِوَى مَعْشَرِي إذ كان مجدي منهم
وقلتُ لقولِ ابنِ الحُسَيْنِ مُورِياً : إذا كان مدحٌ ، فالنسيبُ المُقَدَّمُ

ثمَّ جرّت بالعراقِ حروبٌ ومِحنٌ . وطالَتْ خطوبٌ وإحْنٌ . أوجبتُ
بُعْدي عن عَرِينِي ، وهَجَرَ أهلي وقَرِينِي . بعد أن تكمّل لي من الأشعار ،
ما سبقني إلى الأمصار ، وحدّث به الركبان في الأسفار فلما أحسنتُ إليّ
مَسَآآتِ الزَّمانِ . وأرضاني سُخْطُ الحِذْثانِ بِحِطَّةِ رِحالِي بِفِئاءِ الملوكِ لبني
الملوكِ ، كهفِ الغني والصعلوكِ . فخرِ الملوكِ الأواخر والأوائل . ملوكِ ديار
بكر بن وائل . الأُرْتُقُ راتِقي فَتَقَى الدين . جابري كسر الإسلام والمسلمين .

١ مثالب : عيوب .

٢ رصف شرب : هكذا في الأصل ، الشرب جمع شارب . قلب القلب : تغييره عما هو عليه .

٣ العرف : المعروف . ندبه إلى الأمر : دعاه إليه . الندب : السريع إلى الفضائل .

٤ الإحن ، الواحدة إحنة : الحقد ، إضمار المداواة .

لا زالت أَيْامُهُمْ بِاسْمَةِ الثَّغُورِ . مَا سَرَتْ الرِّيحَ الْجَارِيَةَ . وَجَرَتْ الرُّوحَ السَّارِيَةَ .
وَتَطَايَرَ وَرَقُ الْأَشْجَارِ . وَتَشَاجَرَ وَرَقُ الْأَطْيَارِ

فَقَيَّدَتْنِي عِنْدَهُمْ أَنْعُمٌ هُنَّ قِيودُ الْآمِلِ السَّائِحِ
وَوَكَّلَتْ فِكْرِي بِمَدْحِي لَهُمْ مَكَارِمُ الْمَنْصُورِ وَالصَّالِحِ

فَمَذُتْهُمْ بِالْإِحْسَانِ قَدَمِي . وَصَانُوا عَنِ بَنِي الزَّمَانِ وَجْهِي وَدَمِي .
حَمِدْتُ لِقَصْدِهِمْ مَطَايَا الْأَمَالِ . وَقُلْتُ لِقَلْبِي لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالِ .
وَنَظَّمْتُ فِي مَدْحِ السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ . مُسْتَحْدِمِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ . رَبُّ الْمُنَاقِبِ
وَالْمَغَازِي . الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ نَجْمِ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ غَازِي . أَطَابَ اللَّهُ مَسْوَاهُ ، وَقَدَّسَ
ثَرَاهُ ، قِصَائِدَ مُوَصَّلَةٍ . مُجْمَلَةً وَمُفْصَّلَةً . فَالْمُجْمَلَةُ مَا جَعَلْتَهُ كِتَابًا مُفْرَدًا
كَالْذِيَّانِ . إِذْ لَا يَحْتَمِلُ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَانَ . لِكُونِهِ تِسْعًا وَعَشْرِينَ قَصِيدَةً ،
كُلُّ مِنْهَا تِسْعَةٌ وَعَشْرُونَ بَيْتًا عَلَى حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ . يَبْدَأُ فِي كُلِّ
بَيْتٍ مِنْهَا بِهِ وَبِهِ يُخْتَمُ . وَوَسَمْتُهُ بِدُرَرِ النَّحُورِ . فِي مَدَائِحِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ .
وَالْمُفْصَّلَةُ مَا انْتَخِبْتُ أَحْسَنَهَا حَسَبَ الْإِمْكَانِ . وَأَوْدَعْتُهُ أَثْنَاءَ هَذَا الدِّيَّانِ .
ثُمَّ تَكَمَّلْتُ لِي فِي دَوْلَةِ وَلِيِّ نَعْمَتِي السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، شَمْسِ الدِّينِ أَبِي الْمَكَارِمِ
صَالِحِ . خَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ . وَأَيَّدَ كَلِمَتَهُ . مَا سَيَرِدُ بَعْدُ فِي الْمَدَائِحِ وَآلِيَّتِ الْأَ
أَعَزَّزَ مَدَحَهَا بِثَلَاثٍ ، وَرَجَّحْتُ الْأَ أَدْعَى ، إِلَّا فِي تِلْكَ الْأَلْيَةِ ، بِحَانِثِ .
وَلَوْلَا وَجُودُهُمَا وَجُودُهُمَا لَعِشْتُ مِنْ هَذَا النَّتَاجِ عَقِيمًا ، وَدُمْتُ عَلَى رَفْضِ
الْمَدَائِحِ مُقِيمًا . فَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِقَضَاءِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ . وَزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ،
عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَذَفَ بِي خَوْفَ بِلَادِي إِلَى الدِّيَّارِ الْمَصْرِيَّةِ . وَأَهْلَيْتُ بِالْمَثُولِ فِي
الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ الْمَلِكِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ . وَشَمَلَنِي مِنَ الْإِنْعَامِ مَا فَاجَأَنِي ابْتِدَاءً وَلَمْ أَمْلِكْ

١ الورق ، الواحدة ورقاء : الحماة الضارب لونها إلى الخضرة .

له خبراً ألزمني المروءة بمكافأة تلك الحقوق . ورأيت كُفرانها كالعُقوق .
وإن تكفير تلك اليمين . أولى من كُفران أنعم المنعمين . فنظمت في معاليه
ما طابَ لفظه ومعانيه . وظهرتُ آياتُ القويِّ فيه . من تمكّن سبكه وقوافيه .
فلما صادفتُ وسائلي فيه قبولاً . وهبتُ ريحُ سعدٍها قبولاً^١ . أشار رئيس
وزرائه . وزعيم كتاب إنشائه . عن إشارته العالية أن أجمعَ له جزءاً من جِدِّ
شعري وهزله . ورقيق لفظي وجزله^٢ . وأن أبويه أئينَ تبويب . وأرتبه أحسن
ترتيب . ليكون ديواناً للمحاضرة . ومجموعاً للمذاكرة . فأجبتُ بالسمع والطاعة .
واستحضرتُ ما حضرني حسبَ الاستطاعة . فاخترتُ منه ما يُحبُّ ويبتغي .
ورتبته على ما يجب ويبتغي . واقتضى الأدبُ أن أسميَ الكتابَ برسمه . وأشرفَ
بابَ المديح بتقديم لقبه الشريف واسمه . فصيرتُ وليَّ المديح كوسميته^٣ .
وختمتُ به أبناء المديح كختم الأنبياء بسميته . وجعلتُ الكتاب اثني عشر باباً ،
واللهُ الموفق للصواب .

١ القبول الأولى من قبله : أخذه ، صدقه . الثانية : ربح الصبا .

٢ الجزل : ضد الركيك من الألفاظ .

٣ الولي : المطر يسقط بعد المطر . الوسي : أول مطر الربيع .

الباب الاول

في الفخر والحماسة والتحريض على الرياسة

نفس أبيّة

قال في صباه لطف به مولاه

لئن ثلّمتُ حدّي صُروفُ التّوائبِ ، فقد أخلّصتُ سبكي بنارِ التجاربِ !
وفي الأدبِ الباقي ، الذي قد وهبني ، عزاءٌ من الأموالِ عن كلِّ ذاهبِ
فكم غايّةٍ أدركتها غيرَ جاهدٍ ، وكم رتبةٍ قد نلتها غيرَ طالبِ
وما كلٌّ وانٍ في الطُّلابِ بمُخطيءٍ ، ولا كلٌّ ماضٍ في الأمورِ بصائبٍ^١
سمتُ بي إلى العلّياءِ نفسُ أبيّةٍ^٢ ترى أقبحَ الأشياءِ أخذَ المواهبِ
بعزمٍ يُريني ما أمامَ مطالبي ، وحزمٍ يُريني ما وراءَ العواقبِ
وما عابني جاري سوى أنْ حاجتي أكلفُها منْ دونِهِ للأجانبِ
وإنْ نوالي في المِلِماتِ واصلُ^٣ أباعدَ أهلَ الحيّ قبلَ الأقاربِ
وليسَ حَسودٌ ينشُرُ الفضلَ عائباً ، ولكنهُ مُغرَى بَعْدَ المناقبِ

١ ثلّت : كسرت .

٢ وان : ضعيف .

وما الجُودُ إِلَّا حِلْيَةٌ مُسْتَجَادَةٌ ،
لقد هَذَّبَتْنِي بِقِظَّةِ الرَّأْيِ والنَّهْيِ
وَأَكْسَبَتْنِي قَوْمِي وَأَعْيَانُ مَعَشَرِي
سَرَاةً يُقِرُّ الْحَاسِدُونَ بِفَضْلِهِمْ ،
إِذَا جَلَسُوا كَانُوا صُدُورَ مَجَالِسٍ ؛
أَسُودُ تَغَانَّتْ بِالْقَنَا عَنْ عَرِينِهَا ،
يَجُودُونَ لِلرَّاجِي بِكُلِّ نَفِيسَةٍ
إِذَا نَزَلُوا بَطْنَ الْوَهَادِ لَغَامِضٍ
وَأِنْ رَكُزُوا غِيبَ الطَّعَانِ رِمَاحَهُمْ
فَأَصْبَحْتُ أَفْنِي مَا مَلَكَتْ لَأَقْتَنِي
وَأَرْهَنُ قَوْلِي عَنْ فِعَالِي كَأَنَّهُ
وَمَنْ يَكُ مِثْلِي كَامِلَ النَّفْسِ يَغْتَدِي
فَمَا لِلْعِدَى دَبَّتْ أَرَاقِيمُ كَيْدِهِمْ
وَمَا بِالْهَمِّ عَدَوَا ذُنُوبِي كَثِيرَةٌ ،
وَأَنْتِي لِيُدْمِي قَائِمُ السَّيْفِ رَاحَتِي
إِذَا ظَهَرَتْ أَخْفَتَ وَجْوهَ الْمُعَائِبِ
إِذَا هَذَّبَتْ غَيْرِي ضُرُوبُ التَّجَارِبِ
حِفَاطَ الْمُعَالِي وَابْتِذَالَ الرِّغَائِبِ
كِرَامُ السَّجَايَا وَالْعُلَى وَالْمَنَاصِبِ
وَأِنْ رَكِبُوا كَانُوا صُدُورَ مَوَاقِبِ
وَبِالْبَيْضِ عَنْ أَنْبَابِهَا وَالْمُخَالِبِ
لَدَيْهِمْ سِوَى أَعْرَاضِهِمْ وَالْمَنَاقِبِ
مَنْ الْقَصْدِ ، أَذْكَوَا نَارَهُم بِالْمَنَاقِبِ
رَأَيْتَ رُؤُوسَ الْأُسْدِ فَوْقَ الثَّعَالِبِ
بِهِ الشُّكْرُ كَسْبًا وَهُوَ أَسْنَى الْمَكَاسِبِ
عَصَا الْحَارِثِ الدَّعْمِي أَوْ قَوْسَ حَاجِبٍ
قَلِيلًا مُعَادِيهِ كَثِيرَ الْمُصَاحِبِ
لِي ، وَمَا دَبَّتْ إِلَيْهِمْ عَقَارِبِي
وَمَا لِي ذَنْبٌ غَيْرَ نَصْرِ أَقَارِبِي
إِذَا دَمِيتَ مِنْهُمْ بِخُدُودِ الْكَوَاعِبِ

١ تغانت : استغنت .

٢ أراد بالمناكب : مناكب الجبال ، أي نواحيها .

٣ الثعالب : أطراف الرماح .

٤ الحارث الدعمي وحاجب بن زرارة : من سادات العرب ، ولعصا الحارث وقوس حاجب حكاية مفصلة في الكتب القديمة .

وما كلَّ مَنْ هَزَّ الحُسَامَ بضاربٍ ،
وما زِلْتُ فِيهِمْ مثلَ قِدَحِ ابنِ مُقْبِلٍ
فَلَنْ كَلَّمُوا مِنَّا الجُسُومَ ، فإنَّها
وما عَابَنِي أَنْ كَلَّمْتَنِي سيوفُهُمْ
ولمَّا أَبَتْ إِلَّا نِزَالًا كَمَا تُهْمُ
فَعَلَّمْتُ شَمَّ الأرضِ شَمَّ أَنْوْفِهِمْ ،
بطِرفٍ ، علا في قَبْضِهِ الرِّيحُ ، سَابِحٍ ،
تَلَاعَبَ أَثْنَاءَ الحُسَامِ مُزَاحُهُ ،
ومَسْرُودَةٌ مِنْ نَسَجِ داوُدَ نَثْرَةٍ
وأَسْمَرَ مَهْزُوزِ المَعَاظِ ذَابِلٍ ،
إِذَا صَدَقَتْهُ العَيْنُ أَبْدَى تَوَقُّدًا ،
ثَنَى حَدَّهُ قَرَطُ الضَّرَابِ ، فلم يَزَلْ
صَدَعَتْ بِهِ هَامَ الخُطُوبِ فُرْعَنَهَا

ولا كلَّ مَنْ أَجْرَى اليَرَاعَ بِكَاتِبٍ
بِتِسْعِينَ أَمْسَى فَائِزًا غَيْرَ خَائِبٍ
فَلَوْلُ سِيُوفٍ مَا نَبَتَ فِي المَضَارِبِ
إِذَا مَا نَبَتَ عَنِّي سِيُوفُ المَثَالِبِ
دَرَأْتُ بِمُهْرِي فِي صُدُورِ المَقَانِبِ
وَعَوَّدْتُ ثَغَرَ التُّرْبِ لَشَمِّ التَّرَائِبِ
لَهُ أَرْبَعُ تَحْكِي أَنَامِلَ حَاسِبٍ
وَفِي الكَرِّ يُبْدِي كَرَّةً غَيْرَ لَاعِبٍ
كَلَمَعَ غَدِيرٍ ، ماوَهُ غَيْرُ ذَائِبٍ
وَأَيَّضَ مَسْنُونِ الغِرَارِينَ قَاضِبٍ
كَأَنَّ عَلَى مَتْنِيهِ نَارَ الحُبَّاحِبِ
حَدِيدَ فِرْنَدِ المَتْنِ رَثَ المَضَارِبِ
بِأَفْضَلِ مَضْرُوبٍ وَأَفْضَلِ ضَارِبِ

- ١ القدح : سهم الميسر .
- ٢ كلموا : جرحوا .
- ٣ المقانب ، الواحد مقنب : جماعة الخيل .
- ٤ الطرف : المهر . القبض : السوق السريع .
- ٥ المسرودة النثرة : الدرع السلسلة الملبس .
- ٦ الغراران : الحدان . القاضب : القاطع .
- ٧ الحباحب : ذباب ذو ألوان يطير في الليل في ذنبه شعاع كالسراج .
- ٨ الفرند : جوهر السيف .

وصغراء من رَوْقِ الأراوي نحيقة ،
لها وكْدٌ بَعْدَ الفِطامِ رِضاةُ
إذا قَرَّبَ الرامي إلى فيه نَحْرَهُ
فيُقْبِلُ في بَطءٍ كخطوة سارق ،
هناكَ فجأتُ الكَبِشَ منهم بضربةٍ
لدى وقعةٍ لا يُقَرِّعُ السمعُ بينها
فقلُّ للذي ظنَّ الكِتابَةَ غايَتِي ،
بِحَدِّ يَراعي أمْ حُسامي علوتُهُ ،
وكم لَيلةٍ خُضْتُ الدُّجى ، وسماوهُ
سَرِيتُ بها ، والجوُّ بالسُّحبِ مُقْتِمٌ ،
أصاح تَرى برقاً أريك وميضهُ
بحرفٍ حَكَى الحَرفُ المُفخَّمُ صَوْتُها
تَعافُ ورودَ الماءِ إن سَبَقَ القِطَا
قَطَعَتْ بها خوفَ الهوانِ سَباباً ،
يُسامرُني في الفِكرِ كُلُّ بَدِيعَةٍ

إذا جُدِبتْ صَرَّتْ صريرَ الجَنادِبِ ١
يُسِرُّ عَقُوقاً رَفَضَهُ غَيْرُ واجِبِ ٢
سَعَى نَحْوَهُ بِالقَسْرِ سَعَى مُجانبِ
ويُدِيرُ في جَرِي كركضةٍ هارِبِ
فَرَقْتُ بها بَيْنَ الحَشَى والترائبِ ٣
بغيرِ انتدابِ الشُّوسِ أو نَدبِ نادِبِ
ولا فَضْلَ لي بَيْنَ القَنَا والقَواضِبِ
وبالكَتَبِ أَرَدَيْتَاهُ أمْ بالكَتائِبِ
مُعْطَلَّةٌ من حَلِي دُرَّ الكَوَاكِبِ
فلَمَّا تَبَدَّى النَجْمُ قُلْتُ لصاحبي :
يُضِيءُ سَنَاهُ أمْ مَصاييحَ رَاهِبِ
سَلِيلَةٍ نُجَبِ الحِقَّتْ بِنَجائبِ
إليهِ ، وما أَمْتُ بِهِ في المِشارِبِ
إذا قُلْتُ تَمَّتْ أَرَدَقْتُ بِسَباسبِ
مُنزَّهَةٍ الألفاظِ عَن قَدَحِ عائبِ

١ الصغراء : أراد بها القوس . الروق : القرن . الأراوي ، الواحدة أروية : شأن الجبل .

٢ أراد بالولد : السهم .

٣ كبش القوم : سيدهم . الترائب : عظام أهل الصدر .

٤ هذا البيت مستعار من بيتين لامرئ القيس ، كل شطر منه من بيت .

٥ الحرف : الناقة .

٦ السباب : القفار ، الواحد سبب . أردفت : اتبعت .

يُنَزِّلُهَا الشَّادُونَ فِي نَعَمَاتِهِمْ ، وَتَحْدُو بِهَا طَوْرًا حُدَاةُ الرِّكَائِبِ
فَأَدْرَكْتُ مَا أَمَلْتُ مِنْ طَلَبِ الْعُلَا ، وَتَزَهَتْ نَفْسِي عَنْ طِلَابِ الْمَوَاهِبِ
وَنِلْتُ بِهَا سُؤْلِي مِنَ الْعِزِّ لَا الْغِنَى ، وَمَا عُدْتُ مَنَ عَافِ الْهِيَابِ بِخَائِبِ

ملاذي جلال الدين

وقال في صباه في إحدى الوقائع
وتحريض أكبر أخواله الصدر جلال
الدين بن محاسن على أخذ ثأره من
أعدائه :

أَلَسْتَ تَرَى مَا فِي الْعُيُونِ مِنَ السُّقْمِ ، لَقَدْ نَحَلَّ الْمَعْنَى الْمَدْفَقُ مِنْ جِسْمِي
وَأَضْعَفُ مَا بِي بِالْخُصُوفِ مِنَ الضَّنَا ، عَلَى أَنَّهَا مِنْ ظُلْمِهَا غَصَبْتُ قِسْمِي
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ يَوْمَ وَدَاعِنَا ، لَقَدْ غَفَلْتُ عَيْنَ الرَّقِيبِ عَلَى رُغْمِ
ضَمَمْتُ ضَنَا جِسْمِي إِلَى ضَعْفِ خَصْرِهَا ، لِحَنِسِيَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِلَّةُ الضَّمِّ
رَبِيبَةُ خَيْدَرٍ يَجْرَحُ اللَّحْظُ خَدَّهَا ، فَوَجَنْتُهَا تَدْمَى وَالْحَاضِطُهَا تُدْمِي
يُكَلِّمُ لَفْظِي خَدَّهَا إِنْ ذَكَرْتُه ، وَيُؤْلِمُهُ إِنْ مَرَّ مَرَّاهُ فِي وَهْمِي
إِذَا ابْتَسَمَتْ ، وَالْفَاحِمُ الْجَعْدُ مُسْبِلٌ ، تَضِلُّ وَتَهْدِي مِنْ ظُلَامٍ وَمِنْ ظَلَمٍ ١

١ الظلم : بريق الأسنان .

تَغَزَلْتُ فِيهَا بِالْغَزَالِ ، فَأَعْرَضَتْ ،
وَصَدَّتْ ، وَقَدْ شَبَّهْتُ بِالْبَدْرِ وَجْهَهَا
وَكَمْ قَدْ بَذَلْتُ النَّفْسَ أَحْطَبُ وَصَلَّاهَا ،
فَلَمْ تَلِدِ الدُّنْيَا لَنَا غَيْرَ لَيْلَةٍ
فِيَا مَنْ أَقَامَتَنِي خَطِيْبًا لَوْصَفِيهَا ،
خُذِي الدَّرَّ مِنْ لَفْظِي فَإِنْ شِئْتَ نَظْمَهُ
فَفَيْكِ هَجَرْتُ الْأَهْلَ وَالْمَالَ وَالْغِنَى
وَقُلْتُ لَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحَيِّ مُفْرَدًا ،
أَلَمْ تَشْهَدِي أَنِّي أُمَثِّلُ لِلْعِدَى
فَكَمْ طَمِعُوا فِي وَحْدَتِي فَرَمَيْتُهُمْ
وَكَمْ أَجَجُوا نَارَ الْحُرُوبِ وَأَقْبَلُوا
فَلَمْ يَسْمَعُوا إِلَّا صَالِلَ مُهَنْدِي ،
جَعَلْتُهُمْ نَهْبًا لِسَيْفِي وَمِقْوَلِي ،
تَوَدُّ الْعِدَى لَوْ يُحْدِقُ اسْمُ أَبِي بِهَا ،
تُعَدِّدُ أَفْعَالِي ، وَتَلَكَّ مَنَاقِبُ ،
وَلَوْ جَعَلْتُمَا فِعْلِي مَخَافَةً شَامِتٍ
فَكَيْفَ وَلَمْ يُنْسَبْ زَعِيمٌ لِسِنْبِسٍ

وَقَالَتْ: لَعَمْرِي هَذِهِ غَايَةُ الذَّمِّ
نِفَارًا ، وَقَالَتْ صِرْتُ تَطْمَعُ فِي شَتْمِي
وَخَاطَرْتُ فِيهَا بِالنَّفْسِ عَلَى عِلْمٍ
نَعِمْتُ بِهَا ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ عَلَى الْعُقْمِ
أَرَضِعُ فِيهَا اللَّفْظَ فِي النَّثْرِ وَالنَّظْمِ
وَأَعَوَّزَ سَيْلِكَ لِلنَّظَامِ فَهَا جِسْمِي
وَرَبَّةَ دَسْتِ الْمَلِكِ وَالْجَاهِ وَالْحُكْمِ
صَدَقْتُ ، فَهَلَا جَازَ عَفْوُكَ فِي ظُلْمِي
فَتَسْهَرُ خَوْفًا أَنْ تَرَانِي فِي الْحُلُمِ
بَأُضِيقَ مِنْ سَمٍّ وَأَقْتُلَ مِنْ سَمٍّ^١
بِجَيْشٍ يَصُدُّ السَّيْلَ عَنْ مَرْبُضِ الْعُصْمِ^٢
وَصَوْتُ زَيْرِي بَيْنَ قَعْقَعَةِ الثَّجَمِ
فَهُمْ فِي وَبَالٍ مِنْ كَلَامِي وَمِنْ كَلَمِي
وَالَا تَفْجَأَا فِي مَجَالِ الْوَعَى بِاسْمِي
فَتَذَكَّرْنِي بِالْمَدْحِ فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ^٣
لَنْسَمَ عَلَيْهِمْ فِي جِبَاهِهِمْ وَاسْمِي
إِلَى الْمَجْدِ إِلَّا كَانَ خَالِيًا أَوْ عَمِّي

١ دَسْتُ الْمَلِكِ : مَجْلِسُهُ .

٢ السَّمُ الْأَوَّلُ : ثَقَبُ الْإِبْرَةِ ؛ الثَّانِيَةُ : السَّمُ الْمَعْرُوفُ الْقَاتِلُ .

٣ الْعُصْمُ ، الْوَاحِدُ أَعْصَمٌ : الظُّبْيُ فِي ذُرَاعِيهِ ، أَوْ فِي إِحْدَاهُمَا بَيَاضٌ وَسَائِرُهُ أَسْوَدٌ أَوْ أَحْمَرٌ .

وإن أشبهتهم* في الفخارِ خلافتي
 فقلْ للأعادي ما انشئتُ لسبكم ،
 نظرنا خطاياكم ، فأغريتُمُ بنا ،
 أسأتم ، فإن أسخطُ عليكم فبالرَضَى ،
 لجأتُ إلى ركنٍ شديدٍ لحربكم ،
 وظلّنتُ كأنّي أملكُ الدهرَ عِزّةً ،
 بأروعَ مَبْنِيٍّ على الفتحِ كفه ،
 ملاذي جلالُ الدينِ نجلُ محاسنِ ،
 فتى خلّقتُ كفاه للجودِ والسّطا ،
 له قلمٌ فيه المنيّةُ والمنى ،
 يراعُ يروعُ الخطبَ في حالةِ الرَضَى ،
 وعَضْبٌ كأنَّ الموتَ عاهدَ حدّه ،
 فبما من رَعانا طرفه ، وهو راقِدٌ ،
 يدُ الدهرِ ألقتنا إليك ، فإن نُطِيقْ
 أطعْتُكَ جُهدِي ، فاحتَفِظْ بي فإنني
 فإن غبت ، فاجعلْ لي ولياً من الأذى ،

وفِعلي فهذا الرَّاحُ من ذلكَ الكَرَمِ
 ولا طاشَ في ظنّي لغَدْرِكُمُ سَهْمِي
 كَذَا من أعان الظّالِمِينَ على الظُّلْمِ
 وإن أرضَ عنكم من حيائي فبالرَّغْمِ
 أشدُّ به أزري وأعلي به نَجْمِي
 فلا تنزِلُ الأيّامُ إلّا على حُكْمِي
 إذا بُنِيتْ كَفُّ اللّثِمِ على الضَّمِّ
 حليفُ العَفافِ الطَّلُقِ والنّائلِ الجَمِّ
 كما العينُ للإبصارِ والأنفُ للشمِّ^١
 فديمتُهُ تَهْمِي وسَطَوَتُهُ تُصْمِي^٢
 ويُضْرِمُ نارَ الحربِ في حالةِ السّلمِ
 وصالٌ ، فأفنى جِرمُهُ كُلَّ ذي جِرمِ
 وقد قلّتِ النّصارُ بالعِزِّمِ والحِزْمِ
 لها مَلَمَساً أدمى براجمها لثمي
 لنصيركَ لا يَنفَلُ جَدّي ولا عِزْمِي
 وهِيَّاتَ لا يُغْنِي الوَلِيُّ عن الوَسْمِي

١ شد أزره : أمانه ، قواه .

٢ السطا : السطوة ، القهر .

٣ الديمة : السحابة التي يدوم مطرها . تصمي ، من أصماه : رماه فقتله .

٤ البراجم ، الواحدة برجمة : مفاصل الأصابع أو العظام الصغار في اليد والرجل .

سلي الرماح

وقال في صباه يفتخر بقومه وأخذهم
بشار خاله صفى الدين بن محاسن من آل
أبي الفضل حين قتلوه بمسجده غدراً ،
وأخذوا الثأر . قمرأ سنة إحدى وسبعمائة :

سلي الرماح العوالي عن معالينا ،
وسائلي العرب والأتراك ما فعلت
لما سعيننا ، فما رقت عزائمنا
يا يوم وقعة زوراء العراق ، وقد
بضمير ما ربطناها مسومة ،
وفتية إن نقل أصغوا مسامعهم
قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة ،
تدرعوا العقل جلباباً ، فإن حميت
إذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة ،
إن الزراير لما قام قائمها ،
ظنت تأتي البراة الشهب عن جزع ،
واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا
في أرض قبر عبید الله أيدينا
عما نروم ، ولا خابت مساعينا
دنا الأعادي كما كانوا يدينونا
إلا لتغزو بها من بات يغزونا
لقولنا ، أو دعوناهم أجابونا
يوماً ، وإن حكموا كانوا موازينا
نار الوغى خلتهم فيها مجانينا
وإن دعوا قالت الأيام : آمينا
توهمت أنها صارت شواهينا^٢
وما درت أنه قد كان تهوينا

١ استخصموا : طلب خصامهم . الفراعنة : العاة المتبردون .

٢ الزراير ، الواحد زرزور : طائر أكبر من المصفور منه نوع لونه أسود ، وآخر أسود منقط
بياض . الشواهين ، الواحد شاهين : طائر من جنس الصقر طويل الجناحين .

يبادق^١ ظَفِرَتْ أَيْدِي الرِّخَاخِ بِهَا ،
 ذَلُّوا بِأَسْيَافِنَا طُولَ الزَّمَانِ ، فَمُذْ
 لَمْ يُغْنِهِمْ مَا لَنَا عَنْ نَهَبِ أَنْفُسِنَا ،
 أَخْلَوْا الْمَسَاجِدَ مِنْ أَشْيَاخِنَا وَبَغَوْا ،
 ثُمَّ انْتَسَيْنَا ، وَقَدْ ظَلَّتْ صَوَارِمُنَا
 وَلِلدَّمَاءِ عَلَى أَثْوَابِنَا عَلَقُ^٢
 فَيَا لَهَا دَعْوَةً فِي الْأَرْضِ سَائِرَةً
 إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرْفًا
 بَيْضٌ صَنَائِعُنَا ، سَوْدٌ وَقَائِعُنَا ،
 لَا يَظْهَرُ الْعَجْزُ مَنَّا دُونَ نَبِيلِ مُنَى^٣ ،
 مَا أَعَوَزَتْنَا فَرَامِينَ^٤ نَصُولُ بِهَا ،
 إِذَا جَرَيْنَا إِلَى سَبْقِ الْعُلَى طَلْقًا ،
 تُدَافِعُ الْقَدَرُ الْمَحْتَوَمَ هِمَّتُنَا ،
 نَغْشَى الْخُطُوبَ بِأَيْدِينَا ، فَنَدْفَعُهَا ،
 مُلْكُ^٥ ، إِذَا فُوتَ نَبِيلُ الْعَدُوِّ لَنَا
 عَزَائِمُ^٦ كَالنَّجُومِ الشُّهْبِ ثَاقِبَةً

١ البيادق والرِخاخ والفرازين : أسماء لقطع الشطرنج . والفرازين ، الواحد فَرَزَان : الملكة في لعب الشطرنج .

٢ الفرامين ، الواحد فرمان : عهد السلطان للولاية .

٣ المصلي : الذي يتلو المجلي ، السابق .

أَعْطَى ، فَلَا جُودَهُ قَدْ كَانَ عَنْ غَلَطٍ مِنْهُ ، وَلَا أَجْرُهُ قَدْ كَانَ مَمْنُونًا
كَمْ مِنْ عَدُوٍّ لَنَا أَمْسَى بِسَطَوِيهِ ، يُبْذِي الْخُضُوعَ لَنَا خَتْلًا وَتَسْكِينًا
كَالصَّلِّ يُظْهِرُ لِبْنًا عِنْدَ مَلَمَسِهِ ، حَتَّى يُصَادِفَ فِي الْأَعْضَاءِ تَمَكِينًا
يَطْوِي لَنَا الْغَدْرَ فِي نُصْحٍ يُشِيرُ بِهِ ، وَيَمَزُجُ السَّمَّ فِي شَهْدٍ وَيَسْقِينَا
وَقَدْ نَغْضُؤُ وَنُغْضِي عَنْ قَبَائِحِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَجَزًا عَنْهُ تَغَاضِينَا
لَكِنْ تَرَكْنَاهُ ، إِذْ بَتْنَا عَلَى ثِقَةٍ ، إِنَّ الْأَمِيرَ يَكَافِيهِ فَيَكْفِينَا

لَمَّا دَعَنِي لِلتَّزَالِ

وقال في تلك الواقعة
ويصف خاله المذكور :

لِمَنْ الشَّوَاذِبُ كَالنَّعَامِ الْجُفْلِ ، كُسِبَتْ حِلَالًا مِنْ غُبَارِ الْقَسْطِلِ^١
يَبْرُزْنَ فِي حُلَلِ الْعَجَاجِ عَوَاسًا ، يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدْرَعٍ وَمُسْرَبِلِ^٢
شِبْهِ الْعَرَائِسِ تُجْتَلَى ، فِي الْخِذْرِ مِنْ ذَيْلِ الْعَجَاجِ الْمُسْبَلِ
فَعَلَتْ قَوَائِمُهُنَّ عِنْدَ طِرَادِهَا ، فَعَلَ الصَّوَالِجِ فِي كُرَاتِ الْجَنْدَلِ^٣
فَتَنْظِلُ تَرْقُمُ فِي الصَّخُورِ أَهْلَةً ، بِشَبَا حَوَافِرِهَا ، وَإِنْ لَمْ تُنْعَلِ^٤

١ الشواذب : الخيول المضرة . الحلال ، الواحدة حلة : الثوب . القسطل : غبار الحرب .

٢ الحلل : الثياب . العجاج : الغبار . المسربل : اللابس السريال ، أي كل ما يلبس .

٣ الصوالج ، الواحد صولجان : عصا معقوفة الرأس . الجندل : الحجارة .

٤ الشبا ، الواحدة شبة : حد كل شيء .

يَحْمِلِينَ مِنْ آلِ الْعَرِيضِ فَوَارِسًا
تَنْشَلُ حَوْلَ مُدْرَعٍ بِجَنَانِهِ ،
مَا زَالَ صَدْرَ الدَّسْتِ ، صَدْرَ الرِّتْبَةِ
لَوْ أَنْصَفْتَهُ بَنُو مُحَاسِنَ ، إِذْ مَشَوْا ،
بَيْنَا تَرَاهُ خَطِيئَتَهُمْ فِي مَحْفِلِ
شَاطِرْتُهُ حَرْبَ الْعُدَاةِ لَعَلِمِهِ
لَمَّا دَعَنْتِي لِلنَّزَالِ أَقَارِبِي ،
وَأَبَيْتُ مِنْ أَنْتِي أَعِيشُ بَعْزَهُمْ
وَأَفَيْتُ فِي يَوْمٍ أَغْرَّ مُحَجَّلٍ ،
ثَارَ الْعَجَاجُ فَكُنْتُ أَوَّلَ صَائِلٍ ،
فَغَدَا يَقُولُ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ :
سَلْ سَاكِنِي الزُّورَاءِ وَالْأَمَسَمَ الَّتِي
مَنْ كَانَ تَمَّمَ نَقْصَهَا بِحُسَامِهِ ،
أَوْ مَنْ تَدْرَعُ بِالْعَجَاجَةِ عِنْدَمَا
تُخْبِرُكَ فُرْسَانُ الْعَرِيكََةِ أَنْتِي
مَا كَانَ يَنْفَعُ مَنْ تَقْدَمَ سَبْقُهُ ،
لَكِنْ تَقَاسَمْنَا عَوَامِلَ نَحْوِهَا ،

كَالْأُسْدِ فِي أَجَمِ الرَّمَاحِ الذُّبُلِ
فَكَأَنَّهُ مِنْ بَأْسِهِ فِي مَعْقِلِ
عَلْيَاءِ ، صَدْرَ الْجَيْشِ ، صَدْرَ الْمَحْفِلِ
كَانَتْ رُؤُوسُهُمْ مَكَانَ الْأَرْجُلِ
رَحْبٍ ، تَرَاهُ زَعِيمَتَهُمْ فِي جَحْفَلِ
أَنْتِي كِنَانَتُهُ الَّتِي لَمْ تَنْشَلِ
لَبَّاهُمْ عَنِّي لِسَانُ الْمُتَّصِلِ
وَأَكُونُ عَنْهُمْ فِي الْحُرُوبِ بِمَعَزَلِ
أَغَشَى الْهَيَاجَ عَلَى أَغْرَ مُحَجَّلٍ
وَعَلَا الضَّرَامُ فَكُنْتُ أَوَّلَ مُصْطَلِ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ قَالَ إِنْ لَمْ يَفْعَلِ
حَضَرَتْ ، وَظَلَّلَتْهَا رِوَاقُ الْقَسْطَلِ
إِذْ كُلُّ شَاكٍ فِي السَّلَاحِ كَأَعْزَلِ
نَادَى مُنَادِي الْقَوْمِ : يَا خَيْلُ احْمِلِي
كَنْتُ الْمُصْطَلِي بَعْدَ سَبْقِ الْأَوَّلِ
لَوْ لَمْ تُتَمِّمْهَا مَضَارِبُ مُنْصَلِي
فَالْأَسْمُ كَانَ لَهُ ، وَكَانَ الْفَعْلُ لِي

١ نثل الكنانة : استخرج نبالها فنثرها .

٢ الأغر المحجل الأول : اليوم الأبيض المشرق بالسرور . والثانية : الفرس ذو الفرة والتجليل ، أي ما في قوائمه بياض .

وبَدِيعَةٍ نَظَرْتُ إِلَيْهَا الْعِدَى
 وَاسْتَشْفَلْتُ نَظْفِي بِهَا ، فَكَأَنَّمَا
 حَتَّى انْشَنَّتْ لَمْ تَدْرِ مَاذَا تَنْتَقِي ،
 حَمَلُوا عَلَيَّ الْحِقْدَ حَتَّى أَصْبَحْتُ
 إِنْ يَطْلُبُوا قَتْلِي ، فَلَسْتُ أَلُوْمُهُمْ ،
 مَا لِي أُسْتَرُّهَا ، وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ ؟
 قَدْ شَاهَدُوا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ تَرْفَعِي
 لَمَّا أَثَارُوا الْحَرْبَ قَالَتْ هِمَّتِي :
 فَالآنَ حِينَ فَلَيْتُ نَاصِيَةَ الْفَلَا ،
 أَضْحَى يُحَاوِلُونِي الْعَدُوُّ ، وَهِمَّتِي
 وَيَرُومُ إِدْرَاكِي ، وَتِلْكَ عَجِيْبَةٌ ،
 قُلْ لِلْيَالِي : وَيْلَكَ مَا شَتَّ أَصْنَعِي
 حَسْبُ الْعَدُوِّ بِأَنْتِي أَدْرَكْتُهُ ،
 سَأُظَلُّ كُلَّ صَبِيحَةٍ فِي مَهْمَةٍ ،
 وَأَسِيرُ فَرْدًا فِي الْبِلَادِ ، وَإِنِّي
 أَجْفُو الدِّيَارَ ، فَإِنْ رَكِبْتُ وَضَمْتَنِي

نَظَرْتُ الْفَقِيرَ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُقْبِلِ^١
 لَقِيتُ بِثَالِثِ سُورَةِ الْمُزْمَلِ^٢
 عِنْدَ الْوَقَائِعِ ، صَارِمِي أَمْ مِقْوَلِي
 تَغْلِي صُدُورُهُمْ كَغَلِّي الْمِرْجَلِ
 دَمُ شَيْخِهِمْ فِي صَارِمِي لَمْ يَنْصُلْ
 الْفَخْرُ فِي فَصْدِ الْعَدُوِّ بِمِنْجَلِ
 عَنْ حَرَبِهِمْ ، وَتَمَاسُكِي وَتَجَمُّلِي
 جَهْلَ الزَّمَانِ عَلَيْكَ إِنْ لَمْ تَجْهَلْ
 حَتَّى تَعَلَّمْتَ النُّجُومُ تَنْقَلِي
 تَعْلُو عَلَى هَامِ السَّمَاءِ الْأَعَزَلِ
 هَلْ يُمَكِّنُ الزَّرْزُورَ صَيْدُ الْأَجْدَلِ
 بَعْدِي ، وَلِلْأَيَّامِ مَا شَتَّ أَفْعَلِي
 لَمَّا وَلَيْتُ ، وَفُتُّهُ لَمَّا وَلِي
 وَأَبَيْتُ كُلَّ عَشِيَّةٍ فِي مَتَرِلِ^٣
 مِنْ حَشْدِ جَيْشِ عِزَائِمِي فِي جَحْفَلِ
 سَرَجُ الْمُطَهَّمِ قُلْتُ : هَذَا مَتَرِلِي^٤

١ أراد قصيدة بديعة .

٢ سورة المزمل هي إحدى السور المكية ، ومعنى الشطر غامض .

٣ المهمة : القفر .

٤ المطهم : التام الحسن .

لا تَسْمَعَنَّ بَأْنَ أُسِرْتُ مُسْلَمًا ،
 ما الاعتذارُ ، وصارمي في عاتقي ،
 ما كانَ عُدري إن صَبَرْتُ على الأذى ،
 فإذا رُميتَ بِمَحادِثٍ في بِلْدَةٍ
 فليذاك لا أخشى وُرودَ مَنِيَّتِي ،
 فإذا علا جَدِّي فَقَلْبِي جُنَّتِي ،
 ما تِهتُ بالدُّنْيَا ، إذا هِيَ أَقْبَلَتْ
 وكذاك ما وَصَلْتُ فَقُلْتُ لها اقْطِعي
 صَبْرًا على كَيْدِ العُدَاةِ لَعَلَّنَا
 يا عَصْبَةَ فَرِحُوا بِمَصْرَعِ لَيْثِنَا ،
 قومٌ يُعِزُّونَ النَّزِيلَ ، وطالَمَا
 يَفْنَى الزَّمَانُ ، وفيه رَوْنَقُ ذِكْرِهِمْ ؛
 وإذا سَمِعْتَ بَأْنَ قُتِلْتُ فَعَوَّلْ
 إن لم يَكُنْ من دُونِ أُسْرِي مَقْتَلِي
 وَرَضِيْتُ بَعْدَ تَدَلِّي بِتَدَلِّي
 جَرَّدُ حُسَامِكَ صَائِلًا ، أو فَارَحَلْ
 وأرى وُرودَ الحَتَفِ عَذَابَ المَنَهْلِ
 وإذا دَنَا أَجَلِي فَدِرْعِي مَقْتَلِي
 نحوي ، ولا آسَى ، إذا لم تُقْبِلْ
 يومًا ، ولا قَطَعْتُ فَقُلْتُ لها صِلِي
 نَسْقِي أَخِيرَهُمْ بِكَأْسِ الأوَّلِ
 ماذا أَمِيتُهم من وُثُوبِ الأشْبُلِ
 بَخِلَ الحَيَا ، وأكْفُهُمْ لم تَبَخَلْ
 يَبْلَى القَمِيصُ ، وفيهِ عَرَفُ المَنْدَلِ ؟

١ جنتي : ترمي ، سري .

٢ العرف : الرائحة الطيبة . المندل : العود الطيب الرائحة .

ويحك لا تراعي

وقال أيضاً يفتخر بإقدامه في تلك
الواقعة مسطاً لأبيات الحماسة المنسوبة
إلى قطري بن الفجاءة المازني :

ولما مَدَّتِ الأعداءُ باعا ، وراعَ النفسَ كَرُّهُمُ سِراعاً
برَزْتُ ، وقد حَسَرْتُ لها القِناعا ، أقولُ لها ، وقد طَارَتْ شِعا^٢عاً
مِنَ الأبطالِ وَيَحْكُ لا تُراعي

كما ابْتَعْتُ العلاءَ بغيرِ سَومٍ ، وأحَلَّتْ النِّكالَ بكلِّ قَومٍ
رِدي كَأَسَ الفَناءِ بغيرِ لَومٍ ، فإنَّكَ لو سَأَلْتَ بقاءَ يَومٍ
على الأجلِ الذي لكِ لم تُطاعي

فكَمْ أرغَمْتُ أنْفَ الضَّدِّ قَسراً ، وأفْنَيْتُ العِدَى قَتلاً وأَسْراً
وأنتِ مُحِيطَةٌ بالدَّهرِ خُبْراً ، فصَبِراً في مَجالِ المَوتِ صَبِراً
فَمَا نَيلُ الخلودِ بِمُسْتَطاعٍ

إذا ما عِشْتَ في ذُلٍّ وعَجْزٍ ، فهِلْ لِلنَّفْسِ غَيري من مُعِزٍّ
وليسَ الخَوفُ من أَجلٍ بِحَزٍّ ، ولا ثَوبُ البَقاءِ بِثَوبِ عِزٍّ
فَيُطَوَّى عن أخِي الخَنعِ اليراعِ^٣

١ قوله مسطاً : هكذا في الأصل ، والصواب أن يقال : خمساً ، والتخمين : إضافة ثلاثة أشرط
إلى شطري البيت . أما التسميط فهو أن يضم الشاعر إلى شطر من قصيدة شطراً من عنده صدرأ
لعجز وعجزاً لصدر ، ويقال له أيضاً التشطير .

٢ طارت شعاعاً : تبددت من الخوف .

٣ الخنع : الذل . اليراع : الجبان .

ولا أعتاضُ عَنْ رُشْدٍ بَغْيٍ ، وَثَوْبُ الْعِزِّ فِي نَشْرِ وَطْيٍ
 لَقَدْ حُتِمَ الثَّنَاءُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ
 وداعيه لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
 فجاهِدْ في الْعُلَى يَا قَلْبُ تُكْرَمُ ، وَلَا تَطْلُبْ صَفَاءَ الْعَيْشِ تُحْرَمُ
 فَمَنْ يَظْفَرُ بِطَيْبِ الذِّكْرِ يَغْنَمُ ، وَمَنْ لَا يَغْتَبِطُ يَبْرَمُ وَيَسَامُ
 وتُسَلِّمُهُ الْمُنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ
 أَرْغَبُ بَعْدَ قَوْمِي فِي نَجَاةٍ ، وَأَجْزَعُ فِي الْوَقَائِعِ مِنْ مَمَاتٍ
 وَأَرْضِي بِالْحَيَاةِ بِلَا حُمَاةٍ ، وَمَا لِلْعُمْرِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
 إِذَا مَا كَانَ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

أنيسي صارمي

وقال أيضاً في إحدى الوقائع
 وذكر فيها خاله فأرسلها من السفر :

سلُّوا، بَعْدَ تَسْأَلِ الْوَرَى عَنْكُمْ ، عَنِّي ، فَقَدْ شَاهَدُوا مَا لَمْ يَرَوْا مِنْكُمْ مُنِّي
 رَأَوْنِي أُرَاعِي مِنْكُمْ الْعَهْدَ لِي بِكُمْ ، وَأَحْسَنَ ظَنًّا مِنْكُمْ بِي بِكُمْ ظَنِّي
 وَقَدْ كُنْتُ جَمَّ الْخَوْفِ مِنْ جَوْرِ بَعْدِكُمْ فَقَدْ نِلْتُ لَمَّا نَالَتَنِي جَوْرُكُمْ أُمْنِي

١ يبرم : يضجر ، يمل .

خَطَبْتُ بِغَالِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَدَّكُمْ ،
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعِزَّ قَدْ عَزَّ عِنْدَكُمْ ،
 ثَنَيْتُ عِنَانِي مَعَ ثَنَائِي عَلَيْكُمْ ،
 وَلَيْسَ أَنْيْسِي فِي الدُّجَى غَيْرُ صَارِمٍ
 كَانَ دَيْبَ النَّمْلِ فِي جَوْنٍ مَتْنِهِ ،
 وَطَرَفٍ كَانَ الْمَوْجَ لَاعَبَ صَدْرَهُ
 أَمِيلُ بِهِ بِالسَّهْلِ مُرْتَفِقًا بِهِ ،
 وَمَا زَالَ عِلْمِي يَقْتَفِينِي إِلَى الْعُلَى ،
 وَزُرْتُ مُلُوكًا كُنْتُ أَسْمَعُ وَصَفَهُمْ ،
 فَلَمَّا تَلَقَّيْنَا ، وَقَدْ بَرَّحَ الْحَقُّ ،
 خَطَبْتُ بُودِّي عِنْدَهُمْ لَاهِيَاتِهِمْ ،
 إِذَا مَا رَأَوْنِي هَكَذَا قِيلَ : هَاكَذَا !
 إِذَا مَا أَقَمْتُ الْوَزْنَ فِي نَظْمٍ وَصَفَهُمْ ،
 تُعَيِّرُنِي الْأَعْدَاءُ بِالْبَيِّنِ عَنْهُمْ ،
 وَتَزْعُمُ أَنَّ الشَّعْرَ أَخْنَى فَضَائِلِي ،
 وَقَدْ شَاهَدْتُ ثَرِيًّا وَنَظْمِي فِي الْوَاغَى ،
 فَقَدْ عَزَّ حَتَّى بَاتَ فِي الْقَلْبِ وَالذَّهْنِ
 وَلَا صَبَرَ لِي بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمَنِّ
 فَأَصْبَحْتُ وَالثَّانِي الْعِنَانِ هُوَ الْمُثْنِي
 رَقِيقِ شِفَارِ الْحَدِّ مُعْتَدِلِ الْمَتْنِ
 وَلَمْ يَرَ قَوْمٌ نَجَلَ مَازَنَ فِي الْمَزْنِ
 فَيُسْرِعُ طَوْرًا فِي الْمِرَاحِ وَيَسْتَأْنِي
 فَيَحْزَنُهُ إِلَّا التَّوَقَّلَ فِي الْحَزْنِ
 فَيَسْبِقُ حَتَّى جَاهَدَ الْأَكْلَ بِالْأُذْنِ
 فَيُنْهَضُنِي شَوْقِي وَيُقْعِدُنِي أَمْنِي
 رَأْتُ مُقْلَسِي أَضْعَافَ مَا سَمِعْتُ أَذْنِي
 فَأَصْبَحْتُ بِالْعِزِّ الْمُتَمَنِّعِ فِي حِصْنِ
 وَلَوْ شَهِدُونِي رَاغِبًا رَغَبُوا عَنِّي
 تَجُودُ يَدَاهُمْ بِالنُّضَارِ بِلا وَزْنِ
 وَمَا كَانَ حَكْمُ الدَّهْرِ بِالْبَيِّنِ عَنِ إِذْنِي
 وَتُنْكِرُ أَفْعَالِي ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي
 لِهَامِ الْعِدَى وَالتَّحْرِ بِالضَّرْبِ وَالطَّعْنِ

١ الجون هنا : الأبيض . متن السيف : صفحته . المازن : بيض النمل . المزن ، الواحدة مزنة : السحابة .

٢ التوقل : الصعود . الحزن : ما غلظ من الأرض ، وكلما يكون إلا مرتفعاً .

٣ قوله : أخنى فضائلي ، هكذا في الأصل .

وإن كان لفظي يخرق الحجب وقعه
ورب جسيم منهم ، فإذا أتى
ومستقبح حتى خبرت خياله ،
فإن حسدوا فضلي وعابوا محاسني ،
وتلك لعمرى كالتجوم زواهر ،
محاسن لي من إرث آل محاسن ،
أطل وأمسي راقداً الجار ساهراً ،
كان كرى عيني سيف ابن حمزة ،
فتى لم تنزل أعلامه وبنائه ،
ولو خط صرّف الدهر طرساً لقصده
فتى جلّ يوماً أن يعدّ بظالم
ولا عدّ يوماً في الأنام بغاصب
ولا قيل يوماً إنه غير عالم
أعاد الأعادي في الحروب تجارباً ،
فإن قلت الأيام في الحرب حدة ،
وإن أكسبتني بالخطوب تجارباً ،

وَيَدْخُلُ أُذُنَ السَّامِعِينَ بَلَا إِذْنُ
بَنُطْقٍ حَمَدَتِ الصَّمْتَ مِنْ مَنْطِقِ اللَّكْنِ ١
فَأَيَقَنَ قَلْبِي أَنَّهُ يُوسُفُ الْحُسْنِ
وَذَلِكَ لِلتَّقْصِيرِ عَنْهَا وَلِلضَّغْنِ
تُقَرَّرُ بِهَا الْحُسَادُ رَغْماً عَلَى غَبْنِ
وَهَلْ ثَمَرٌ إِلَّا عَلَى قَدَرِ الْغُصْنِ
سَوَامِي فِي خَوْفٍ وَجَارِي فِي أَمْنٍ ٢
إِذَا اسْتُلَّ يَوْماً لَا يَعُودُ إِلَى الْجَفْنِ ٣
إِذَا نَابَ جَدْبٌ ، نَائِبَاتٍ عَنِ الْمُزْنِ
لَحَطَّ عَلَى الْعُنُوتِ مِنْ عَبْدِهِ الْقَيْنُ
لَغَيْرِ الْعِدَى وَالْمَالِ وَالْحَيْلِ وَالْبَدَنِ
سَوَى بَأْسِ عَمْرٍو وَالسَّمَاحَةِ مِنْ مَعْنِ
بَغْيِ عِيُوبِ الْجَارِ وَاللَّوْمِ وَالْجُبْنِ
جَبَالاً غَدَتْ مِنْ عَاصِفِ الْمَوْتِ كَالْعِهْنِ
فَمَا زَالَتِ الْأَيَّامُ فِي أَهْلِهَا تَجْنِي
فَقَدْ وَهَبْتُ أَضْعَافَ مَا أَخَذْتُ مِنِّي

١ اللكن ، الواحد الكن : العيب ، الثقيل اللسان .

٢ السوامي : الماشية والإبل الراحية . وقوله في خوف : أي أنها تخاف من أن تذبح لقرى الضيفان .

٣ ابن حمزة : خال الشاعر .

٤ أعاده : عوده . المهن : الصوف .

نقول ولا تفعل

وقال وقد كتب إلى صديق له وعده
في تلك الواقعة وأخلف :

وَعَدْتَ جَمِيلًا ، وَأَخْلَفْتَهُ ، وَذَلِكَ بِالْحُرِّ لَا يَجْمَلُ
وَقُلْتَ بِأَنْتَ لِي نَاصِرٌ ، إِذَا قَابَلَ الْجَحْفَلَ الْجَحْفَلُ
وَكَمْ قَدْ نَصَرْتُكَ فِي مَعْرَكٍ ، تَحْطَمُ فِيهِ الْقَنَا الذُّبُلُ
وَلَسْتُ أَمْنٌ بِفِعْلِي عَلَيْكَ ، فَأَعْجِبُ بِالْقَوْلِ أَوْ أُعْجِلُ
بِذَا يَتَفَاوَتُ قَدَرُ الرَّجَا لِي ، فَتَعَامُ أَيُّهُمْ الْأَكْمَلُ
كَمَا قَالَهُ الصَّقَرُ فِي عِزَّةٍ بِهِ حِينَ فَاخِرَهُ الْبُلْبُلُ
وَقَالَ : أَرَأَيْكَ جَلِيسَ الْمُلُوكِ ، وَمَنْ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ تُحْمَلُ
وَأَنْتَ كَمَا عَلِمُوا أُخْرَسٌ ، وَعَنْ بَعْضٍ مَا قُلْتَهُ تَنْكُلُ^١
وَأُحْبَسُ مَعَ أَنْتِي نَاطِقٌ ، وَقَدْرِي عِنْدَهُمْ مُهْمَلُ
فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنَّهُمْ بِذَلِكَ دَرَوْا أَنْتِي الْأَفْضَلُ
لَأَنْتِي فَعَلْتَ وَمَا قُلْتَ قَطُّ ، وَأَنْتَ تَقُولُ ، وَلَا تَفْعَلُ

١ تنكل : تنكص ، تنجبن .

إن أمنوا كفي فما أمنوا فمي

وقال أيضاً وكتب إلى أقاربه من
ماردين وعرض يمدح سلطانها الملك
المنصور طاب ثراه :

قليلٌ إلى غير اكتسابِ العلى تهضي ،
فكيفَ ، ولي عزمٌ ، إذا ما امتطيته
وما لي لا أغشى الجبالَ بمثلها
على أن لي عزمًا ، إذا رمتُ مطلبًا
أبتَ همتي لي أنْ أذلَّ لناكثٍ
وأصبحَ في قيدِ الهوانِ مكبلاً ،
ولكنني أرضى المتونَ ، ولم أكنْ
أقي النفسَ بالأموالِ حيثُ إذا وقَّتْ ،
ولا أحتشي إن مسَّني وقعُ حادثٍ ،
فواعجبا يسعني إلى مننِ العدى
ويقصِدُنِي مَنْ لو تَمَثَّلَ شخصُهُ
نصبتُ لهمْ صدرَ الجوادِ مُحاربًا ،
ومُسْتَبَعْدٌ في غيرِ ذيلِ التقى ركضي
تَيَقَّنْتُ أنْ الأرضَ أجمعَ في قبضي
من العزمِ ، والأنضاءِ في وعْرِها أنضي¹
رأيتُ السَّما أدنَى إليّ مِن الأرضِ
عريَ العهدِ أو أرضي من الورْدِ بالبرضِ²
لدى عُصبةٍ تُدمي الأناملَ بالعَضِ
أغضُ³ على وَقَعِ المَذَلَّةِ أو أغضي
كنوزُ اللّهُمَى نَفْسِي وَقَيْتُ بها عِرْضِي³
فتلأ ، يَدٌ جَسَّ الزَّمانُ بها نَبْضِي
ليُدْرِكَ كُلِّي من يُقْصَرُ عن بعضي
بعينِ قَدْزَى ما عاقَ جَفَنِي عن الغُمضِ
لأَرْفَعَ ذِكْرِي عِنْدَما طلبوا خفْضِي

١ الأنضاء ، الواحد نضو : المهزول من الحيوان . أنضى البعير : هزله .

٢ البرض : الماء القليل .

٣ اللّهُمَى : المطايا .

إِذَا مَا تَقَلَّدْتُ الْحُسَامَ لَغَارَةً ؛
 سَأَلَبَسُ جِلْبَابَ الظَّلَامِ مُنْكَبًا
 فَإِنْ أَحْيَى أَدْرَكْتُ الْمُرَامَ ، وَإِنْ أَمْتُ
 صَبَرْنَا عَلَيْهِمْ وَاقْتَضَبْنَا بَثَارِنَا ،
 غَزَاهُمْ لِسَانِي بَعْدَ غَزْوِ يَدِي لَهُمْ ،
 فَإِنْ أَمِنُوا كَفَيْتِي فَمَا أَمِنُوا فَمَي ،
 وَإِنْ قَصَرُوا عَنْ طَوْلِ طَوْلِهِمْ يَدِي ،
 تَقُولُ رِجَالِي حِينَ أَصْبَحْتُ نَاجِيًا
 حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةِ إِذْ نَجَا
 وَأَصْبَحْتُ فِي مُلْكٍ مُفَاضٍ وَنِعْمَةٍ
 لَدَى مَلِكٍ فَاقَ الْمُلُوكَ بِفَضْلِهِ ،
 هُوَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ غَازِي بْنُ أُرْتُقٍ
 مَلِكٌ يَرَى كَسْبَ النُّضَارِ نَوَافِلًا
 حَبَانِي بِمَا لَمْ يُؤْفِ جُهْدِي بِشُكْرِهِ ،
 فَبَعْدًا لِأَمْنٍ صَدَّقْتَنِي عَنْ جَنَابِهِ ،
 وَلَمْ تُرْضِهِ يَوْمَ الْوَغَى فَلِمَنْ تُرْضِي
 مَرَابِضَ أَرْضٍ طَالَ فِي غَابِهَا رَبُّضِي
 فَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَنَصِيرُ أَيْضًا لِلْجَمِيعِ وَنَسْتَقْضِي
 فَلَا عَجَبٌ أَنْ يَسْتَمِرُّوا عَلَى بُغْضِي
 وَإِنْ ثَلَمُوا حُدِي فَمَا ثَلَمُوا عِرْضِي
 فَمَا أَمِنُوا فِي عَرَضِ عِرْضِهِمْ رَكْضِي
 سَلِيمًا وَصَحْبِي فِي إِسَارٍ وَفِي قَبْضِ
 خَرَّاشٍ ، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
 مَنِيْعٍ وَطَرَفُ الدَّهْرِ عَنِّي فِي غَضٍّ
 وَطَالَهُمْ طَوْلُ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ
 أَخُو النَّائِلِ الْفَيَاضِ وَالْكَرَمِ الْمُحْضِ
 بَعَيْنِ تَرَى بِذُلِّ الْهَيْبَاتِ مِنَ الْفَرَضِ
 وَأُنْجِدُنِي وَالِدَّاهِرُ يَجْهَدُ فِي رَفْضِي
 وَيَا حَبَّذَا خَوْفٌ إِلَى قَصْدِهِ يُفْضِي

صبراً على وعد الزمان

وقال أيضاً وقد كتب بها إلى أحد
بني عمه من ماردين في السنة المذكورة :

صَبْرًا عَلَى وَعْدِ الزَّمَانِ وَإِنْ لَوَى ،
لَا يُجْزِعَنَّكَ أَنَّهُ رَفَعَ الْعِدَى ،
حَكَمُوا ، فَجَارُوا فِي الْقَضَاءِ وَمَا دَرُوا
ظَنُّوا الْوَلَايَةَ أَنْ تَدُومَ عَلَيْهِمْ ،
قَتَلُوا رِجَالِي بَعْدَ أَنْ فَتَكُوا بِهِمْ
كُلُّ الَّذِينَ غَشَوْا الْوَقِيعَةَ قَتَلُوا
لَيْسَ الْفِرَارُ عَلَيَّ عَارًا بَعْدَ مَا
إِنْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ نَأَى عَنْ أَرْضِهِمْ
أَبْعَدْتُ عَنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ رِكَائِي
لَا أُخْتَشِي مِنْ ذِلَّةٍ أَوْ قِلَّةٍ ،
جُبْتُ الْبِلَادَ وَلَسْتُ مُتَّخِذًا بِهَا
حَتَّى أَنْخَضْتُ بِمَارِدِينَ مَطِيبَتِي ،
فِي ظِلِّ مَلِكٍ مُذْ حَلَلْتُ بِرَبِّعِهِ
نَظَرَ الْخُطُوبَ ، وَقَدْ قَسَوْنَ ، فَلَانَ لِي ،

فَعَسَاهُ يُصْبِحُ تَائِبًا مِمَّا جَنَيْتُ
فَلَسَوْفَ يَهْدِمُهُ قَلِيلٌ مَا بَنَيْتُ
أَنَّ الْمَرَاتِبَ تَسْتَحِيلُ إِلَى فَنَاءِ
هَيَّاهُ لَوْ دَامَتْ لَهُمْ دَامَتْ لَنَا
فِي وَقْعَةِ الزَّوْرَاءِ فَتَكًا بَيْنَا
مَا فَازَ مِنْهُمْ سَالِمًا إِلَّا أَنَا
شَهِدُوا بِبَاسِي يَوْمَ مُشْتَبَكِ الْقَنَا
قَدْ كُنْتُ يَوْمَ الْحَرْبِ أَوَّلَ مَنْ دَنَا
عِلْمًا بِأَنَّ الْحَزْمَ نِعَمَ الْمُقْتَنَى
عِزِّي لِسَانِي وَالْقَنَاعَةُ لِي غِنَى
سَكَنًا ، وَلَمْ أَرْضَ الثَّرِيًّا مَسْكِنًا
فَهُنَاكَ قَالَ لِي الزَّمَانُ : لَكَ الْهَنَا
أَمْسَى لِسَانُ الدَّهْرِ عَنِّي أَلَكْنَا
وَرَأَى الزَّمَانُ ، وَقَدْ أَسَاءَ ، فَأَحْسَنَا

١ لوى بوعده : مظل به .

البلاد بلادي

وقال أيضاً حين توجه إلى الشام
عفا الله عنه :

شَفَّهَا السَّيْرُ واقتحامُ البَوادي ، ونزولي في كلِّ يومٍ بَوادي
ومتقبلي ظِلَّ المَطِيَّةِ ، والثرُ بُفِراشي ، وساعداها وسادي
وضجيجي ماضي المضاربِ عَضْبُ أصلحتهُ القيونُ من عهدِ عادٍ
أبيضُ أخضرُ الحديدِ ممّا شقَّ قِدمًا مَرائِرَ الآساد
وقميصي درعٌ كانَ عَراها حُبُّكَ النملِ أو عيونُ الجِرادِ
ونديمي لفظي ، وفكري أنيسي ، وسُروري مائي ، وصبري زادي
ودليلي من التوسمِ في البِـيـدِ ليبادي الأعلامِ والأطوادِ
وإذا ما هدَى الظلامُ ، فكَمَّ لي من نُجومِ السماءِ في السُّبُلِ هادي
ذاكَ أنِّي لا تَقْبَلُ الضِّيمَ نَفْسِي ، ولو أنِّي افترشتُ شوكَ القَتَادِ
هذه عادتي ، وقد كُنتُ طِفْلاً ، وشديدٌ عليَّ غَبرُ اعتيادي
فإذا سرتُ أحسبُ الأرضَ ملكي ، وجميعَ الأفطارِ طوعَ قيادي
وإذا ما أقمتُ ، فالتاسُ أهلي ، أينما كنتُ ، والبلادُ بلادي

١ شَفَّها : أهرَّها .

٢ القيون : الحدادون ، الواحد قين . عاد : من قبائل العرب البائدة .

٣ حبك النمل : طرائقه .

٤ التوسم ، من توسم الشيء : تفرسه ، تعرفه . الأعلام والأطواد : الجبال ، الواحد علم ، وطود .

لا يَقُوتُ الْقُبُولُ مَنْ رُزِقَ الْعَمَّةَ
 وإذا صَيَّرَ الْقَسَاعَةَ دِرْعاً
 لَسْتُ مَمَّنْ يَدِلُّ مَعَ عَدَمِ الْحَمَّةِ
 ما بَنَيْتُ الْعَلِيَاءَ إِلَّا بِجَدِّي ،
 وبلَقْظي . إذا نَطَقْتُ ، وَفَضْلي ،
 غَيْرَ أَنِّي ، وَإِنْ أَتَيْتُ مِنَ النَّظْمِ
 لَسْتُ كَالْبَحْرِيِّ أَفْخَرُ بِالشَّعْمِ
 وإذا ما بَنَيْتُ بَيْتاً تَبَخَّرْتُ
 إِنَّمَا مَفْخَرِي بِنَفْسِي ، وَقَوْمِي ،
 مَعَشَرٌ أَصْبَحَتْ فُضَائِلُهُمْ فِي الْأَرْضِ
 أَلْبَسُوا الْأَمْلِينَ أَثْوَابَ عِزِّي ،
 كم عَتِيدٌ أَبْدَى لَنَا زُخْرُفَ الْقَوِّ
 وَرَمَاناً مِنْ غَدْرِهِ بِسِيْهَامٍ ،
 فَسَرَيْنَا إِلَيْهِ فِي أَجْمِ السُّمِّ
 وَأَتَيْنَا مِنْ الْخِيُولِ بِسَيْلٍ
 وَبَرَزْنَا مِنَ الْكُمَةِ بِأَطْوَا
 لَ وَحُسْنَ الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ
 كَانَ أَدْعَى إِلَى بُلُوغِ الْمُرَادِ
 دَ بَفِعْلِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
 وَرَكُوبِي أخطَارَهَا وَاجْتِهَادِي
 وَجِدَالِي عَنْ مَنَصِّي وَجِلَادِي
 مَ بَلَقْظٍ يُذِيبُ قَلْبَ الْحَمَادِ
 رِ وَأَنِّي عِطْفِي فِي الْأَبْرَادِ
 تُ كَأَنِّي بَنَيْتُ ذَاتَ الْعِمَادِ
 وَقَنَاتِي ، وَصَارْمِي ، وَجَوَادِي
 ضَ تَتَلَّى بِالسُّنِّ الْحُسَادِ
 وَأَذَلُّوا أَعْنَاقَ أَهْلِ الْعِنَادِ
 لَ وَأَخْفَى فِي الْقَلْبِ قَدَحَ الزَّنَادِ
 تَشَبَّتْ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ
 رِ بَغَابٍ يَسِيرُ بِالْآسَادِ
 سَالَ فَوْقَ الْهِيْضَابِ قَبْلَ الْوَهَادِ
 دِ حُلُومٍ تَسْرِي عَلَى أَطْوَادِ

- ١ يشير في هذا البيت إلى ما كان يأتيه البحري من الاهتزاز حينما كان يلقي شعره . الأبراد :
 الأثواب اليمانية ، الواحد برد .
 ٢ إرم ذات العماد : مدينة أسطورية .
 ٣ قدح الزناد : كناية عن نار الحقد ، والبنفس .

كُلَّمَا حَاوَلُوا الْهَوَادَةَ مِنَّا شَاهَدُوا الْخَيْلَ مُشْرِفَاتِ الْهَوَادِي^١
وَأَخَذْنَا حَقُوقَنَا بِسُيُوفٍ غَنِيَتَ بِالْدِّمَا عَنِ الْأَعْمَادِ
فَكَانَ السَّيُوفَ عَاصِيفُ رِيحٍ وَهُمْ فِي هُبُوبِهَا قَوْمٌ عَادٍ^٢
حَاوَلْتُ رُؤُوسَهُمْ صُعُوداً فَتَنَلْتُ^٣ هُ وَلَكِنْ مِنْ رُؤُوسِ الصَّعَادِ
فَلَتَيْنِ فَلَتِ الْحَوَادِثُ حَدَيَّ بَعْدَمَا أُخْلَصَ الزَّمَانُ انْتِقَادِي
فَلَقَدْ نِلْتُ مِنْ مُسْنَى النَّفْسِ مَا رُمْتُ تْ وَأَدْرَكْتُ مِنْهُ فَوْقَ مُرَادِي
وَنَحَقَّقْتُ أَنَّمَا الْعَيْشُ أَطْوَا رُ وَكُلُّ مَصِيرُهُ لِنِفَادِي

إذا المرء

وقال عفا الله عنه عند نزوله
بدمشق خمساً لقصيدة السموأل بالحماسة:

قَبِيحٌ بَمَنْ ضَاقَتْ عَنِ الْأَرْضِ أَرْضُهُ وَطَوَّلُ الْفَلَا رَحْبٌ لَدَيْهِ وَعَرَضُهُ
وَلَمْ يُبَلِّ سَرْبَالِ الدُّجَى فِيهِ رَكْضُهُ ، إِذَا الْمَرءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّتْمِ عِرْضُهُ
فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

١ الهوادة : الرفق . الهوادي : الأعناق .

٢ يشير إلى الريح العقيم التي أهلكت قوم عاد .

٣ الصعاد ، الواحدة صعدة : القناة المستوية .

إذا المرءُ لم يحجبْ عن العينِ نومَها ويغلي من النفسِ النفيسةِ سَومَها
أضيقَ ، ولم تأمنْ معاليه لَومَها ، وإن هو لم يحمِلْ على النفسِ ضيمَها
فليسَ إلى حُسنِ الشَّاءِ سَبيلُ

وعُصبةِ غَدْرِ أرغَمَها جدودُنا ، فَبَاتَتْ ، ومنها ضِدُّنا وحسودُنا
إذا عَجَزَتْ عن فِعْلِ كَيْدٍ يَكِيدُنا تُعَيِّرُنا أنا قَلِيلُ عَدِيدُنا
فقلتُ لها : إنَّ الكِرَامَ قَلِيلُ

رَفَعْنَا على هامِ السَّمَاءِ مَحَلَّنَا ، فلا مَلِكُ إلا تَفِيأَ ظِلَّنَا
فَقَدْ خَافَ جَيْشُ الْأَكْثَرِينَ أَقْلُنَا ، وما قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
شَبَابُ تَسَامَى للعلَى وَكُهُولُ

يُوازِي الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَقَارُنَا ، وتُبْنَى على هامِ المَجَرَّةِ دَارُنَا
وَيَأْمَنُ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ جِوَارُنَا ، وما ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلُ وَجَارُنَا
عَزِيزُ ، وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

ولَمَّا حَلَلْنَا الشَّامَ تَمَّتْ أُمُورُهُ لَنَا ، وَحَبَانَا مَلِكُهُ وَأَمِيرُهُ^١
وبالنَّيْرَبِ الْأَعْلَى الَّذِي عَزَّ طُورُهُ ، لَنَا جَبَلٌ يَحْتَكُهُ مَنْ نُجِيرُهُ^٢
مَنْبِعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ ، وَهُوَ كَلِيلُ

يُرِيكَ الثَّرِيًّا مِنْ خِلَالِ شِعَابِهِ ، وَتُحْدِقُ شُهْبُ الْأُفُقِ حَوْلَ هَضَابِهِ^٣

١ حباناً : أعطانا بلا جزاء .

٢ النيرب : موضع في الشام . الطور : الجبل .

٣ الشعاب : الطرق في الجبال .

وَيَعَزُّ خَطْوُ السَّحْبِ دُونَ ارْتِكَابِهِ ، رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ
إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ ، لَا يُنَالُ ، طَوِيلٌ

وَقَصِرَ عَلَى الشَّقَرَاءِ قَدْ فَاضَ نَهْرُهُ ، وَفَاقَ عَلَى فَخْرِ الْكَوَاكِبِ فَخْرُهُ
وَقَدْ شَاعَ مَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ شُكْرُهُ ، هُوَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ^١
يَعَزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ

إِذَا مَا غَضِبْنَا فِي رِضَى الْمَجْدِ غَضِبَةً لِنُدْرِكَ ثَاراً أَوْ لِنَبْلُغَ رُبَّةً
نَزِيدُ ، غَدَاةَ الْكُرِّ فِي الْمَوْتِ ، رَغْبَةً ، وَإِنَّا لَقَبَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَكُولُ

أَبَادَتْ مُلَاقَاةُ الْحُرُوبِ رِجَالَنَا ، وَعَاشَ الْأَعَادِي حِينَ مَلَّوْا قِتَالَنَا
لَنَا ، إِذَا رَامَ الْعُدَاةُ نِزَالَنَا يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا
وَتَكَرَّهَهُ آجَالُهُمْ ، فَتَطُولُ

فَمِنَّا مُعِيدُ اللَّيْلِ فِي قَبْضِ كَفِّهِ ، وَمُؤَرِّدُهُ فِي أُسْرِهِ كَأْسَ حَتْفِهِ
وَمِنَّا مُبِيدُ الْأَلْفِ فِي يَوْمِ زَحْفِهِ ، وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفِهِ^٢
وَلَا ضَلَّ يَوْماً حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

إِذَا خَافَ ضَيْمًا جَارُنَا وَجَلَّيْسُنَا ، فَمِنْ دُونِهِ أَمْوَالُنَا وَرَوْوُسُنَا
وَإِنْ أَجْجَبَتْ نَارَ الْوَقَائِعِ شَوْوُسُنَا ، تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَاتِ نَفُوسُنَا
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَاتِ تَسِيلُ

١ الأبلق الفرد : حصن السؤال .

٢ مات حَتَفَ أَنْفِهِ : أي مات في فراشه ، لا في ساحة القتال . والحَتَفُ : الموت .

جَنَيْتُمْ نَفَعَنَا الْأَعْدَاءُ طَوْرًا وَضَرَرْنَا ، فَمَا كَانَ أَحْلَانَا لَهُمْ وَأَمَرْنَا
وَمُنْذُ خَطَبْتُمَا قِدَمًا صَفَانَا وَبِرَرْنَا ، صَفَوْنَا ، وَلَمْ تَكْذُرْ ، وَأَخْلَصَ سِرَرْنَا^١
أُنَاسٌ أَطَابَتْ حَمَلَنَا وَفَحُولُ

لَقَدْ وَقَتِ الْعَلِيَاءُ فِي الْمَجْدِ قِسْطَنَا ، وَمَا خَالَفَتْ فِي مَنَشِلِ الْأَصْلِ شَرْطَنَا
فَمُنْذُ حَاوَلْتِ فِي سَاحَةِ الْعِزِّ هَبْطَنَا ، عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطْنَا
لَوْقَتِ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ نَزُولُ

تُقَرُّ لَنَا الْأَعْدَاءُ عِنْدَ انْتِسَابِنَا ، وَتُخْشَى خُطُوبُ الدَّهْرِ فَصَلَ خَطَابِنَا
لَقَدْ بَالَعَتْ أَيْدِي الْعُلَى فِي انْتِخَابِنَا ، فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا
كَهَامٌ ، وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِجِيلِ^٢

نُعِثُ بَنِي الدُّنْيَا وَنَحْمِلُ هَوْلَهُمْ ، كَمَا يَوْمُنَا فِي الْعِزِّ يَعْدِلُ حَوْلَهُمْ^٣
نَطُولُ أُنَاسًا تَحْسُدُ السُّحُبُ طَوْلَهُمْ وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ
وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

لَأَشْيَاخِنَا سَعْيٌ بِهِ الْمُلْكُ آيَدُوا ، وَمِنْ سَعِينَا بَيْتُ الْعَلَاءِ مُشِيدُ
فَلَا زَالَ مَنَا فِي الدَّسُوتِ مُؤَيَّدُ ، إِذَا سَيِّدُ مَنَا خَلَا قَامَ سَيِّدُ
قَوُولُ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ

١ السر : الأصل ، وأخلص كل شيء .

٢ نصابنا : أصلنا . الكهام : الكليلة ، البطيخ .

٣ يعدل : يوازن . حولهم : سنتهم .

سَبَقْنَا إِلَى شَأَوِ الْعُلَى كُلِّ سَابِقٍ ، وَعَمَّ عَطَانَا كُلَّ رَاجٍ وَوَامِقٍ^١
فَكَمْ قَدْ خَبَّتْ فِي الْمَحَلِّ نَارُ مُنَافِقٍ ، وَمَا أُحْمِدَتْ نَارُ لَنَا دُونَ طَارِقٍ^٢
وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ

عَلَوْنَا مَكَانَ النَّجْمِ دُونَ عَلُونَا ، وَسَامَ الْعُدَاةَ الْحَسَفَ فَرَطُ سُمُونَا^٣
فَمَاذَا يَسْرُ الضَّدَّ فِي يَوْمِ سَوْنَا ، وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا^٤
لَهَا غُرُرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ^٥

لَنَا يَوْمَ حَرْبِ الْخَارِجِيِّ وَتَغْلِبِ وَقَائِعُ فَلَتَ اللَّطْبِيِّ كُلِّ مَضْرِبِ
فَأَحْسَابُنَا مِنْ بَعْدِ فِيهِرٍ وَيَعْرُبِ ، وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ

أَبَدْنَا الْأَعَادِي حِينَ سَاءَ فَعَالُهَا ، فَعَادَ عَلَيْهَا كِيدُهَا وَنَكَالُهَا
وَبَيْضُ جَلَا لَيْلِ الْعَجَاجِ صِقَالُهَا مُعَوَّدَةٌ أَلَا تَسْلُ نِصَالُهَا
فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ

هَمْ هَوُونُوا فِي قَدَرٍ مَنْ لَمْ يَهْنِهِمْ ، وَخَانُوا، غَدَاةَ السَّلَمِ، مَنْ لَمْ يَخْنِهِمْ^٦
فَإِنْ شِئْتَ خُبِرَ الْحَالِ مَنَا وَمِنْهُمْ سَلَى إِنْ جَهَلَتِ النَّاسَ عَنَا وَعَنْهُمْ^٧
فَلَيْسَ سَوَاءَ عَالِمٌ وَجَهْلُ

١ الوامق : المحب .

٢ خبت : انطفأت .

٣ سامه الحسف : حط من شأنه ، أذله .

٤ سونا : مسهل سوتنا .

٥ الفرر ، الواحدة غرة : البياض في جبين الفرس . الحجول ، الواحد حجل : البياض في راس الفرس . والمراد أنها أيام مشهورة بالفتك فيها بالأعداء .

لثَيْنَ ثَلَمَ الْأَعْدَاءُ عِرْضِي بِسَوْمِهِمْ فكم حَلَمُوا بي في الكَرَى عند قومهم
وإن أَصْبَحُوا قُطْباً لِأَبْنَاءِ قَوْمِهِمْ ، فإنَّ بَنِي الرِّبَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ
تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

تلاحظني الملوك بعين عز

قال عند عوده من مصر مشمولا
بالأنعام وكتب بها إلى أخيه جواباً عن
نبيه إياه في التغرب :

تَوَسَّدَ فِي الْفَلَا أَيْدِي الْمَطَايَا ، وَقَدَّ مِنَ الصَّعِيدِ لَهُ حَشَايَا^١
وعانقَ في الدُّجَى أعْطَافَ عَضْبٍ يَدِبُ بِجَدِّهِ مَاءُ الْمَنَايَا
وَصَيَّرَ جَأَشَهُ فِي الْبَيْدِ جَيْشاً ، وَمِنْ حَزَمِ الْأُمُورِ لَهُ رَبَّايَا^٢
فمَدَّ بِسَمَتِ ثَنَايَا الْأَمْنِ نَادَى : أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا^٣
أَبِي لَا يُقِيمُ بِأَرْضٍ ذُلٍّ ، وَلَا يَدْنُو إِلَى طَرُقِ الدَّنَايَا
إِذَا ضَاقَتْ بِهِ أَرْضٌ جَفَاها ، وَلَوْ مَلَأَ النَّضَارُ بِهَا الرِّكَايَا^٤

١ الصعيد : الطريق ، التراب ، ما ارتفع من الأرض .

٢ الربايا : طلائع الجيش ، الواحدة ريثة .

٣ ابن جلا : ابن النهار كناية عن الشهرة . الثنايا ، الواحدة ثنية : طريق العقبة .

٤ الركايا : الآبار ، الواحدة ركية .

غَدَا لِأَوَامِرِ السَّلْطَانِ طَوْعًا ، وَلَكِنْ لَا يُعَدُّ مِنَ الرِّعَايَا
تَرَكْتُ الْحُكْمَ يُسَعِفُ طَالِبِهِ ، وَيُورِدُ أَهْلَهُ خُطَطَ الْخَطَايَا
وَعِفْتُ حِسَابَهُمْ وَالْأَصْلُ عِنْدِي ، وَفِي كَفِّي دُسْتُورُ الْبَقَايَا
وَسِرْتُ مُرَقَّهَا فِي حُكْمِ نَفْسٍ ، تَعُدُّ خَمُولَهَا إِحْدَى الْبَلَايَا
وَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ خَوْضُ الْفِيَاثِي ، إِذَا اعْتَادَ الْفَقِي خَوْضَ الْمَنَايَا
فَلِي مِنْ سَرَجٍ مُهْرِي تَخْتُ مُلْكٍ ، مَنِيْعٍ لَمْ تَنْلُهُ يَدُ الرِّزَايَا
وَلِإِيوَانٍ حَكِّي إِيوَانَ كِسْرَى ، تُدَارُ عَلَيْهِ مِنْ نَبْعٍ حَنَايَا
يُقِيمُ مَعَ الرِّجَالِ ، إِذَا أَقَمْنَا ، وَإِنْ سِرْنَا تَسِيرُ بِهِ الْمَطَايَا
يَسِيرُ بِي الْبِسَاطُ بِهِ كَأَنِّي ، وَرِثْتُ مِنْ ابْنِ دَاوُدَ مَزَايَا^١
يُخَالُ لَسِيرِهِ فِي الْبَيْدِ خِلْوًا ، وَكَمْ فِيهِ خَبَايَا فِي الزَّوَايَا
تُبَارِيهِ مَعَ الْوِلْدَانِ قُنُودُ ، مُضْمَرَةٌ الْإِيَاطِلِ وَالْحَوَايَا^٢
وَتَخْفُقُ دُونَ مَحْمِلِهِ بُنُودُ ، كَأَنِّي بَعْضُ أَمْلَاكِ الْبَرَايَا
فَأَيُّ نَعِيمٍ مُلْكٍ زَالَ عَنِّي ، وَأَبْكَارُ الْمَمَالِكِ لِي خَطَايَا
إِذَا وَاقَبْتُ يَوْمًا رِيْعَ مُلْكٍ ، لِي الْمِرْبَاعُ فِيهِ وَالصَّفَايَا^٣
تُلَاحِظُنِي الْمُلُوكُ بَعَيْنٍ عِزٍّ ، وَتُكْرِمُنِي وَتُحْسِنُ بِي الْوَصَايَا

- ١ النبع : شجر ، الحنايا ، الواحدة حنية : القوس ، ومن البناء ما كان منحنيًا كالقوس .
٢ البساط : أراد به بساط الريح . ابن داود : سليمان الحكيم . المزاي : الصفات .
٣ القود ، الواحد أقود : الدليل المتقاد من الخيل . الأياطل : الخواصر . الحوايا ، الواحدة حوية :
ما تقبض واستدار من الأمعاء .
٤ المرباع : ربع القيمة الذي كان يأخذه الزعيم في الجاهلية . الصفايا ، الواحدة صفية : ما اختاره
الرئيس لنفسه .

أَجَاوِرُهُمْ كَأَنِّي بَيْنَ أَهْلِي ،
وَمَا لِي مَا أُمْتُ بِهِ إِلَيْهِمْ ،
وَوُدَّ شَبَهَتْهُ لَمْ يَنْصَحْ ،
وَأَنِّي لَسْتُ أَبْدَاهُمْ بِمَدْحِ ،
وَلَكِنِّي أَصْبَرُهُ جَزَاءَ
فَكَمْ أَهْدَيْتُ مِنْ مَعْنَى دَقِيقِ
فَقُلْ لِمُسْقَاهُ فِي الْبُعْدِ رَأْيِي ،
عَدَرْتُكَ لَمْ تَذُقْ لِلْعَزِّ طَعْمًا ،
وَلَا أَوْلَاكَ ضَوْءُ الْحُسْنِ نُورًا ،
فَمَا حُرٌّ يَسْغُ الضِّيمَ حُرًّا ،
لِلذِّكَ مُذْ عَلَا فِي النَّاسِ ذِكْرِي
وَلَسْتُ مُسْقَاهًا قَوْمِي بِقَوْلِي ،
وَكُلُّ مِنْ سَرَاتِهِمْ سَرَايَا
سَوَى الْآدَابِ مَعَ صِدْقِ الطَّوَايَا
إِذَا شُورَكَتُ فِي فَصْلِ الْقَضَايَا
أَرُومُ بِهِ الْمَوَاهِبَ وَالْعَطَايَا
لَمَّا أَوْلَاهُ مِنْ كَرَمِ السَّجَايَا
بِهِ وَصَلَ الدَّقِيقُ إِلَى الْهَدَايَا
وَكُنْتُ بِهِ أَصَحَّ النَّاسِ رَايَا
وَلَا أَبْدَى الزَّمَانُ لَكَ الْخَفَايَا
كَمَا عَكَسَتْ أَشْعَتُهَا الْمَزَايَا
وَلَوْ أَصَمَّتْ عَزَائِمُهُ الرَّمَايَا
رَمَيْتُ بِلَادَ قَوْمِي بِالنِّسَايَا
وَلَكِنَ الرِّجَالَ لَهَا مَزَايَا

لا يظنن معشري

لَا يَظُنُّنَ مَعَشَرِي أَنَّ بُعْدِي
بَلْ أَبَيْتُ الْمَقَامَ بَعْدَ شُيُوخِي ،
أَيْنَمَا سِرْتُ كَانَ لِي فِيهِ رَبْعٌ ،
عَنْهُمْ الْيَوْمَ مُوجِبٌ لِلتَّرَاخِي
مَا مَقَامُ الْفِرْزَانِ بَعْدَ الرِّخَاخِ
وَأَخٌ مِنْ بَنِي الزَّمَانِ أَوْاخِي

وإذا أَجَبُوا الكِفاحَ رَأَوْنِي تَابِعاً فِي مَجَالِهَا أَشْيَاخِي
 رَبِّ فِعْلٍ يَسْمُو عَلَى شَامِخِ الشُّ مَ ، وَقَوْلٍ يَسْمُو عَلَى الشَّمَاخِ^١
 حَاوَلْتَنِي مِنَ الْعُدَاةِ لِيُوثَّ لَا أَرَاهَا بَعُوضَةً فِي صِمَاخِي^٢
 قَدْ رَأَوْا كَيْفَ كَانَ لِلْحَبِّ لَقْطِي ، وَفَرَارِي مِنْ قَبْلِ فَقَسِ الْفِخَاخِ
 إِنَّ أَبَادُوا بِالْغَدْرِ مِنَّا بُزَاةً وَيَلْتَهُمْ مِنْ كَمَالِ رِيَشِ الْفِرَاخِ
 سَوْفَ تَذْكُو عَدَاوَةً زَرَعُوهَا ، إِنَّهَا أَلْقَيْتُ بِغَيْرِ السَّبَاخِ^٣

ملك طويل الدوام

وقال يفتخر مسطاً الأبيات الثلاثة
 المنسوبة إلى الأمير وجيه الدين منقذ ،
 وقيل إنها للأمير أبي الفضل الميكالي ،
 ذكره الثعالبي :

مُذْ تَسَامَتْ بِنَا النَّفُوسُ السَّوَامِي ، أَصْغَرْتَ قَدَرَ مَالِنَا وَالسَّوَامِ
 فَلَنَا الْأَصْلُ وَالْفُرُوعُ النَّوَامِي ، إِنَّ أَسْيَافَنَا الْقِصَارَ الدَّوَامِي
 صَيَّرْتَ مُلْكَنَا طَوِيلَ الدَّوَامِ

-
- ١ الشماخ : شاعر مشهور .
 ٢ الصماخ : خرق الأذن .
 ٣ السباخ : أرض ذات نر وملح .

كَمْ فِئَاءٍ بَعْدَ لَنَا مَعْمُورٍ ، وَمَلِكٍ يَجُودِنَا مَغْمُورٍ
وَأَمِيرٍ بِأَمْرِنَا مَأْمُورٍ ، نَحْنُ قَوْمٌ لَنَا سَدَادُ أُمُورٍ
وَاصْطِدَامُ الْأَعْدَاءِ مِنْ وَسْطِ لَامٍ^١

كَمْ فَلَكْنَا شَبَا خُطُوبٍ جِسَامٍ يِرَاعٍ ، أَوْ ذَابِلٍ ، أَوْ حُسَامٍ
فَلَنَا الْمَجْدُ لَيْسَ فِيهِ مُسَامٍ ، وَاقْتِسَامُ الْأَمْوَالِ مِنْ وَقْتِ سَامٍ
وَاقْتِحَامُ الْأَهْوَالِ مِنْ وَقْتِ حَامٍ

سوابقنا

وقال وفيه من البديع تشبيه ثمانية
بثمانية وأجاد بذلك :

سَوَابِقُنَا، وَالنَّقْعُ، وَالسُّمْرُ وَالظُّبَى، وَأَحْسَابُنَا، وَالْحِلْمُ، وَالْبَأْسُ، وَالْبِرُّ^٢
هَبُوبُ الصَّبَا وَاللَّيْلُ وَالْبَرْقُ وَالْقَضَا، وَشَمْسُ الضَّحَى وَالطُّودُ وَالنَّارُ وَالْبَحْرُ

١ اللام ، الواحدة لأمة : الدرع .

٢ النقع : الغبار . الحلم : الأناة والصبر . البر : العطفية .

برقع الحيا

وقال وفيه من البديع استخدامات
وهو أشرف صنائعه :

لَتَيْنُ لَمْ أَبْرِقِعْ بِالْحَيَا وَجَهَ عِفْتِي ، فلا أَشْبَهَتْهُ رَاحَتِي فِي التَّكْرَمِ^١
وَلَا كُنْتُ مِمَّنْ يَكْسِرُ الْجَفْنَ فِي الْوَعْيِ إِذَا أَنَا لَمْ أَغْضُضْهُ عَنْ رَأْيِ مَحْرَمِ^٢

لا يسمع العود

وقال وفيهما من الصناعة
مثل الأولين :

لَا يَسْمَعُ الْعُودَ مَنَّا غَيْرُ خَاضِبِهِ مِنْ لَبَّةِ الشُّوسِ يَوْمَ الرَّوْعِ بِالْعَلَقِ^٣
وَلَا يَزُفُ كُمَيْتًا غَيْرُ مُصْدِرِهِ يَوْمَ الطَّرَادِ بَلِيلِ الطَّفِّ بِالْعَرَقِ^٤

-
- ١ أراد بالحيا الحشمة ، وبالضمير العائد إليه في أشبهته المطر .
 - ٢ أراد بالجفن : غمد السيف ، وبالضمير العائد إليه في أغضضه جفن العين .
 - ٣ اللبة : موضع القلادة من الصدر . الشوس ، الواحد أشوس : الشديد الجريء في القتال . الروع : الخوف . العلق : الدم ، والضمير في خاضبه يعود إلى عود الرمح .
 - ٤ يزف : يهدي . الكميت : الحمرة . والضمير في مصدره يعود إلى الكميت بمعنى الفرس الذي في لونه سواد وحمرة .

ما عابني نظم القريض

لَقَدْ نَزَّهْتَ قَدْرِي عَنِ الشَّعْرِ أُمَّةٌ ، وَلَامَ عَلَيْهِ مَعْشَرِي وَبَنُو أَبِي
وَمَا عَلِمُوا أَنِّي حَمَيْتُ ذِمَارَهُ عَنْ الْعَارِ لَمْ أَذْهَبْ بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ
وَمَا عَابَنِي نَظْمُ الْقَرِيضِ ، وَمَذْهَبِي رَفِيعٌ ، وَقَلْبِي فِي الْوَعَى غَيْرُ قُلُوبِ
أَقُولُ ، وَفِي كَفِّي بَرَاعٌ ، وَنَارَةٌ أَقُولُ ، وَسَيْفِي فِي مَقَارِقِ أَغْلَبِ

وما كنت أَرْضَى

وَمَا كُنْتُ أَرْضَى بِالْقَرِيضِ فَضِيلَةً ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا تَرْتَضِيهِ الْأَفَاضِلُ
وَلَسْتُ أَذْبَعُ الشَّعْرَ فَخْرًا ، وَإِنَّمَا مُحَاذَرَةٌ أَنْ تَدَّعِيَهُ الْأَرَادِلُ

قد أسير على الضلال

وَلَقَدْ أُسِيرُ عَلَى الضَّلَالِ ، وَلَمْ أَقُلْ : أَيْنَ الطَّرِيقُ ، وَإِنْ كَرِهْتُ ضَلَالِي
وَأَعَافُ تَسْأَلَ الدَّلِيلَ تَرْفَعًا عَنْ أَنْ يَقْوَهَ فَمَيِّ بَلَقَظِ سُؤَالَ

١ الدمار : كل ما يلزمك حمايته .

أنفت من السؤال

وقال أيضاً وقد كلفه إنسان
أن يسترفد أحد الأعيان :

قَطَعْتُ مِنْ الْهَيَاتِ رَجَاءَ نَفْسِي ، وَقُلَّ إِلَى الْعَنَاءِ دَلَجِي وَسِيرِي
فَقُلُّ لِكُلِّ قَوْمٍ نَسْأَلُ قَوْمٍ لِيُدْرِكَ مِنْهُمْ نَفْعاً بِضِيرِي
أَتَبَدَّلُ دُونَ وَجْهِكَ مَاءَ وَجْهِهِ ، وَتَمَحُّ بِاسْمِ شَرِّكَ ذَكَرَ خَبِيرِي
أَنْفَتُ مِنَ السَّوَالِ لِنَفْعِ نَفْسِي ، فَكَيْفَ أُطِيقُ أَفْعَلَهُ لَغَيْرِي

للعذر الواضح

لَا غَرَوَ إِنْ قَصَّ جَنَاحِي الرَّدَى ، فَعُذْرُهُ فِي فِعْلِهِ وَاضِحٌ
يَضْرِبُ عَنْ ذِي النِّقْصِ صَفْحاً وَلَا يُقْصُ إِلَّا الدَّرْهَمُ الرَّاجِحُ

١ الدلج : سير الليل كله .

بلغني الأحباب

وقال وكتب بها إلى عشيرته بالحلة :

بلغني الأحباب يا ربيع الصبَا عني السَلامَا
 وإذا خاطبكِ الـ جاهلُ بي قولي : سلاما
 أنا مَنْ لَمْ يَذْمُمْ الـ ناسُ له يوماً ذِماما
 يحفظُ العهدَ ولا يسَـ معُ في الحِلِّ المَلاما
 مِن أناسٍ صَيَّرُوا العِرْ ضَ على الذمِّ حراما
 أبتموا الأطفالَ في الحرِّ بٍ ، وهُم كَهفُ اليتاما
 وإذا مَرَّوا بَلغورٍ في الورى مَرَّوا كراما
 فلكم ذُقتُ عذاباً للهوى كانَ غراما
 إن نارَ الشوقِ سا عتَ مُستقرّاً ومقاما

يلد لنفسي

يَلدُ لنفسي بَدَلُ ما قد مَلَكَتهُ ، وبَسَطُ يَدَي فيما تَجَمَّعَ في قَبْضي
 ولم أَبْقِ بَعْضَ المَالِ إِلَّا لَأَتْنِي أُسرٌ بما فيهِ الوَقائِدُ عن عِرْضي^١

١ الوقائد ، الواحدة وقيدة : المحزون القلب . والوقائد أيضاً الحجارة المفروشة ، ولا نعلم ماذا أراد الشاعر بهذه اللفظة .

لا أبتذل المديح

قال وقد سمع قائلاً يقول لا
رأي لحاقن :

ولا رأيَ لي إلاّ إذا كنتُ حاقناً لماءِ المُحَيّا عن سُؤالِ بني الدّهْرِ
ولم تثنِ أبكارُ المدائحِ عِطفَها لتُجلى عليهم في غلائلَ في شِعري
ولم أبتذلْ عِرسَ المديحِ لخاطِبٍ ، ولو أرغبوني بالجزيلِ من المَهْرِ

للبدور سرار

أصغرتُ مالنا النفوسُ الكِبارُ ، فاقتضتْ طولنا السيوفُ القِصارُ^١
وبنّتْ مجدنا رِماحُ طِوالٍ ، قصُرتْ عندَ هزّها الأعمارُ
كم جلتونا بمَعركِ كَرَبِ حَرَبٍ ، وكوُوسُ المُدامِ فيها تُدارُ
أعرِبتْ عن صِفاتِنَا عُجْمُ أَقْلا مِ فِصاحِ جِراحِهمْ جُبَارُ^٢
فلَئِنْ كانَ غابَ عن أَفقِ المَجدِ دِ سِناناً ، فلبُدورِ سِرارِ^٣

١ اقتضت : استوجبت .

٢ جبار : أي ذاهبة هدرأ .

٣ السرار : آخر ليلة من الشهر ، وأراد هنا الخفاء .

اطاعن فرسان الكلام

ليَهْنِكَ أَنْتِي فِي الْقِرَاعِ وَفِي الْقِرَى ، وَفِي الْبَحْثِ حِظِّي الصَّدْرُ وَالصَّدْرُ وَالصَّدْرُ
وَيَوْمَ النَّدى وَالرَّوْعِ إِنَّ أَبْحِرَ اللَّقَا تَعَجَّبَ مِنِّي الْبَحْرُ وَالْبَحْرُ وَالْبَحْرُ
إِذَا عَنَّ بَحْثٌ أَوْ تَطَاوَلَ حَدِيثٌ يُقْصَرُ عَنْهُ الْحَبْرُ وَالْبَطْلُ الذَّمُّ^١
أَطَاعِنُ فُرْسَانَ الْكَلَامِ ، وَتَارَةً أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ^٢

أيارب

أَيَارَبَ قَدْ عَوَّدْتَنِي مِنْكَ نِعْمَةً ، أَجُودُ بِهَا لِلْوَافِدِينَ بِلَا مَنْ
فَأَقْسِمُ مَا دَامَتْ عَطَايَاكَ جَمَّةً وَنُعْمَاكَ ، لَا خِيْبَتْ ذَا الظَّنِّ بِالْمَنْ
إِذَا بَخِلْتَ كَفَيْتَنِي بِنِعْمَةٍ مُنْعِمٍ ، فَقَدْ سَاءَ فِي تَكَرَّارِ أَنْعُمِهِ ظَنَّتِي

١ الخبر : الرجل العالم . الذمر : الشجاع .
٢ عجز البيت للمتنبي ، ضمنه الشاعر أبياته .

نَدَي وَضِدَي

حَسَدَ الْفَاضِلُ الْمُمَازِقُ فَضْلِي ، فَهُوَ لِلْحَالَتَيْنِ يُخْفِي وَيُبْدِي
وَرَمَى بَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ ، إِنِّي نِلْتُ مَا نَالَ فَهُوَ نِدَي وَضِدَي

لَسِيرِي فِي الْفَلَا

وقال في سفره وقد ستم الإقامة
والراحة واللهو واشتاق أقاربه والحركة
للقائهم، ولزم في كل بيت منها التجنيس
في شطريه وهو من أصعب اللزوم :

لَسِيرِي فِي الْفَلَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ ، وَكَرَّرِي فِي الْوَعَى وَالنَّقْعُ دَاجِنٌ^١
وَحَمَلِي مُرْهَفَ الْحَدَّيْنِ ضَامٍ ، لِحَامِلِهِ وجودَ النَّصْرِ ضَامِنٌ^٢
وَهَزَي ذَابِلًا لِلْخَيْلِ مَارٍ ، يُلِينُ بِيْزَهُ صَدْرًا وَمَارِنٌ^٣
وَخَطَوِي تَحْتَ رَايَةٍ لَيْثٍ غَابٍ ، بِسَطَوْتِهِ لَصْرَفٍ الدَّهْرِ غَابِنٌ^٤

١ الداجي : المظلم . الداجن : المسود .

٢ قوله : ضام ، لعله من الضيم .

٣ مار ، من مرى القرم : استخرج ما عنده من الجري بسوط أو غيره .

بيزه : بقلبه . المارن : الأنث .

٤ غابن : غالب .

وركضي أدهمَ الجلبابِ صافٍ ،
شديدُ البأسِ ذو أمرٍ مُطاعٍ ،
أحبُّ إليَّ من تغريدِ شادٍ ،
وحشيَّ بالكؤوسِ إلى بواطٍ ،
ولثمٍ مُضعَفِ الأعفانِ ساجٍ ،
وفكري في حياةٍ ، أو وفاةٍ ،
فأمسي ، والشوامتُ بي هوازٍ ،
وليسَ المتجدُّ إلا في مواطٍ ،
بعزمٍ في الشدائدِ غيرِ واهٍ ،
وصُحبةٍ ماجدٍ كالنجمِ هادٍ ،
وكلُّ غَضَنَفٍ للبأسِ كامٍ ،
كريمٍ لا يُطيعُ مقالَ لاحٍ ،
تقيٍّ من ثيابِ العارِ عارٍ ،
وعشرةٍ كاتبٍ للعِلمِ قارٍ ،
خفيفَ الجري يومَ السَلَمِ صافن¹ ،
مُضاربُ كلِّ قَرَمٍ ، أو مُطاعين² ،
وكأسٍ مُدامةٍ من كَفِّ شادين³ ،
ظواهرُهُنَّ غابٌ والبواطين⁴ ،
بمُطلقِ حُسْنِهِ للقلبِ ساجين⁵ ،
لأُرْضي كلَّ فائنةٍ وفاتين⁶ ،
كما شَمِيتَ بيسرٍ في هوازن⁷ ،
على هامِ السَّمَاءِ لِهَما مَواطين⁸ ،
وبأسٍ في الوقائعِ غيرِ واهين⁹ ،
يُسِرُّ البَطشَ حِلْماً ، وهو هادين¹⁰ ،
شبيهِ السيفِ فيه الموتُ كامين¹¹ ،
غداً في فِعْلِهِ والقولِ لاحين¹² ،
بهمتهِ لأنفِ الدهرِ عارين¹³ ،
لحُسنِ الخُلُقِ بالآدابِ قارين¹⁴

١ صافن ، من صفن الفرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة .

٢ الشادن : ولد الفزال .

٣ البواطى ، الواحدة باطية : إناء من الزجاج يملأ من الشراب .

٤ هواز ، سهل هوازى : سواخر . بكر وهوازن : قبيلتان .

٥ مواط ، سهل مواطى : مكان الوطه .

٦ الكامي ، الكمي : المتستر بالدرع .

٧ اللاحن : المخطيء .

أخي كَرَمٍ لِدَاءِ الْحِلِّ آسٍ ، وماءُ الودِّ منه غَيْرُ آسٍ
 وإنْ أَنْقَذْتَ نَفْسَكَ فِي مَعَادٍ ، وصَيَّرْتَ الْعَفَافَ بِهَا مَعَادِنَ
 فَمَا لَكَ فِي السَّعَادَةِ مِنْ مُوَازٍ ؛ ولا لَكَ فِي السِّيَادَةِ مِنْ مُوَازٍ

اعلل النفس بالآمال

وقال وكتب بها إلى صديق تأخر عن إنجاده في واقعة
 له وقد كان أنجده في عدة وقائع وتأخر عنه عند سفره
 لمجرد أن أصداده خدعوه ووعدوه بولاية ، وهي من
 أحسن أنواع التضمين التي اخترعها وأصعبها وذلك أنه
 عمد إلى عشرين بيتاً من قصيدة الطغرائي على الترتيب
 فخرج صدورها بأعجاز عشرين من قصيدة المتنبي التي
 عاتب بها سيف الدولة وناسب بينهما مناسبة عجيبة توافق
 غرضه ولم يقرم فيها من نظمته سوى صدري المطلع والختام :

قلْ لِلْمَلِكِ الَّذِي قَدْ نَامَ عَنْ سَهْرِي وَمَنْ يَجْسِمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^١
 تَنَامُ عَنِّي ، وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ ، وَاحْرَقْلَبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيمٌ^٢
 فَالْحُبُّ حَيْثُ الْعِدَى وَالْأُسْدُ رَابِضَةٌ ، فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ
 فَهَلْ تُعِينُ عَلَى غَيِّ هَمَمْتُ بِهِ فِي طَيْهِ أَسْفُ فِي طَيْهِ نِعَمُ

١ آسن : متغير .

٢ الملى ، مسهل مليء : الغني المقتدر ، ولعلها تحريف للمليح .

حُبُّ السَّلَامَةِ يَنْفِي عِزْمَ صَاحِبِهِ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ ، فَاتَّخِذْ نَفَقًا ،
رَضَى الذَّلِيلُ بِخَفْضِ الْعِيشِ بِخَفْضِهِ
إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَنِي ، وَهِيَ صَادِقَةٌ :
أَهْبْتُ بِالْحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعًا ،
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَأَ فَضْلِي وَنَقَصَهُمْ
أَعْلَلْتُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَطْلُبُهَا ،
غَالِيًّ بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيَمَتِهَا ،
مَا كُنْتُ أَوْثَرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنٌ
أَعْدَى عَدُوَّكَ أَدْنَى مِنْ وَثِقَتْ بِهِ ،
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مُعْجِزَةٌ ،
إِنْ كَانَ يَنْجَعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمْ ،
يَا وَارِدًا سُورَ عَيْشٍ صَفْوُهُ كَدَرٌ ،
فِيمَا اعْتَاضُكَ لُجَّ الْبَحْرِ تَرَكِبُهُ
وَيَا خَبِيرًا عَلَى الْأَسْرَارِ مُطْلِعًا ،
قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرِ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ ،
فَافْطِنْ لِنَتَضَمِّنَ لِقَظَ فَيْكِ أَحْسِبُهُ ،

إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
لَيَسْخَرُ لِمَنْ وَدَّعْتَهُمْ نَدَمُ
وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، وَالسَّيُوفُ دَمٌ
إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمَمُ
وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرُهُ حَرَمُ
لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ
حَتَّى ضَرَبْتُ ، وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
شُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّحِمُ
فَلَا تَظُنُّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فَيَمْنُ شَحْمُهُ وَرَمُ
فَمَا بِالْجُرْحِ ، إِذَا أَرْضَاكُمْ ، أَلَمْ
وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ
وَاللَّهُ يَكْرَهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ
تَصَافَحْتُ فِيهِ بَيْضُ الْهِنْدِ وَاللَّسَمُ
قَدْ ضَمَّنَ الدُّرَّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمُ

١ خفض العيش : سته .

٢ أمم : قريب .

٣ السور : البقية .

لا تترك الثأر

قال في صباه يحرض خاله الصدر
جلال الدين على أخذ ثأر خاله صفى
الدين المقدم ذكرهما ويهنيه بالولاية :

ما دامَ وَعَدُ الأمانِي غيرَ مُتَجَرِّزٍ فطُولُ مَكْثِكَ مَنَسُوبٌ إِلَى العَجَزِ
هَذِي المَغَانِمُ فامدُّ كَفَّ مُنْتَهَبٍ ، وفرصةُ الدَّهْرِ ، فاسْبُقْ سَبْقَ مُنْتَهَزِ
واغزِ العِدَى قَبْلَ تَغْزَوِنا جِوشَهُمْ ؛ إِنَّ الشَّجَاعَ ، إِذَا مَلَ الغَزَاةُ ، غُزِي
والتَّوَّ العَدُوَّ بِجَاشٍ غيرِ مُحْتَرَسٍ ، مِنْ المَنَايا ، وجِيشٍ غيرِ مُحْتَرِزِ
لا تَتَرَكِ الثَّأْرَ مِنْ قَوْمٍ مُرَادُهُمْ إخفاءُ ذِكْرِ لَنَا فِي النَّاسِ مُتَبَرِّزِ
ما عُدْرُنَا وَبَنُو الأَعْمَامِ لَيْسَ بِهَا نَقْصٌ ، ولا فِي صِفَاحِ الهِندِ مِنْ عَوَزِ
بَلْ كُلُّ مُنْصَلِتٍ مِنَّا وَمُنْصَلِحٍ فِي كَفِّ مُرْتَجِلٍ مِنَّا وَمُرْتَجِزِ^١
وَكُلُّ ذِي صَمَمٍ فِي كَفِّ ذِي هِمَمٍ ، وَكُلُّ ذِي مَيْسٍ فِي كَفِّ ذِي مَيْزٍ^٢
فاقْمَعْ بِنَا الضَّدَّةَ ما دَامَتْ أَوامِرُنَا مُطَاعَةً ، وَمَعَالِينَا عَلَى نَشْرِ
إِنَّ الوِلَايَةَ ثَوْبٌ قَدْ خُصِصَتْ بِهِ ، جَاءَتْ كِفَافاً ، فَلَمْ تَفْضَلْ ولم تَعْزِ
وافتَتِكَ إِذْ رَأَتْ العَلِيَاءَ قَدْ نُسِبَتْ إِلَيْكَ والشَّرَفَ الأَعْلَى إِلَيْكَ عُزِي

١ أراد بالمتبرز : المعروف ، المشهور .

٢ منصلت : أي سيف مجرد . وقوله : منصلح ، هكذا في الأصل ، ولعله أراد به الصالح للقتال .

المرتجل ، من ارتجل الشعر : قاله دون أن يهتبه . المرتجز : الذي ينظم الرجز .

٣ أراد بذِي الصمم وذِي الميس : الرمح . الميز ، الواحدة مِيزَة : أي المميز ، المفضل على سواه .

لُذْنَا بِظِلِّكَ عَلِمًا أَنْ فِيكَ لَنَا نَيْلَ الْأَمَانِي ، وَمَنْ يَلْقَ الْمُسْنَى يَفْزُرِ
مَا رَكَّبَ اللَّهُ فِي أَحْدَاقِنَا بَصَرًا ، إِلَّا لِنَفْرُقَ بَيْنَ الدُّرِّ وَالْحَرَرِ

يا من له راية العلياء

وقال أيضاً يحرضه على ذلك :

يَا مَنْ لَهُ رَايَةُ الْعَلِيَاءِ قَدْ رُفِعَتْ !
وَقَدْ أَدَارُوا لَنَا بِالسَّوْمِ دَائِرَةً
أَرَأَيْمُ لَيْسَ عَنْ غَيْرِ مَقْدِرَةٍ ،
إِنَّ الصَّدُورَ الَّتِي بِالْغِلِّ مُشْحَنَةٌ
وَكَيْفَ تَهْوَاكَ أَطْفَالٌ عَلَى ظَمِيمٍ
تَبَسَّمتَ لَكَ ، وَالْأَخْلَاقُ عَابِسَةٌ ،
تَفَرَّقَتْ فِرْقًا مِنْ خَوْفِ بِأَسِيكُمُ ،
وَحَازَرَتْ سَطَوَاتٍ مِنْكَ عَاجِلَةٌ
وَطَالَعَتْ بِأُمُورٍ لَيْسَ تَعْرِفُهَا
فَكَيْفَ لَوْ عَايَنْتَ أَمْرًا تُحَازِرُهُ ،
إِنْ كَانَ فَعَلٌ لَهَا مِنْ بَعْضِ مَا سَمِعْتَ
إِنَّ الْعُدَاةَ بَنَّا لَمَّا نَأَيْتَ سَعَتِ
مِنَ النَّكَالِ ، وَإِنْ لَمْ تَرْفُهَا اتَّسَعَتْ^١
لِذَاكَ إِنْ أَمَكَّتْهَا فُرْصَةٌ لَسَعَتْ
لَوْ قُطِعَتْ بِلَهَبِ النَّارِ مَا رَجَعَتْ^٢
رُمْتَ الْفِطَامَ لَهَا مِنْ بَعْدِ مَا رَضَعَتْ
إِنَّ الْقُلُوبَ عَلَى الْبَغْضَاءِ قَدْ طُبِعَتْ
حَتَّى إِذَا أَمَنْتَ مِنْ كَيْدِكَ اجْتَمَعَتْ
عِنْدَ الْقُدُومِ ، فَمَذَّ أَمَهْلَتْهَا طَمِعَتْ
وَلَا أَحَاطَتْ بِهَا خُبْرًا وَلَا اطَّلَعَتْ
إِنْ كَانَ فَعَلٌ لَهَا مِنْ بَعْضِ مَا سَمِعْتَ

١ ترفها : تصلحها .

٢ الغل : الحقد .

الاصول لا تخطيء

وقال يحرضه ويذكر تقاعد
بعض أنسابه عنه :

فَلْتُوا لَدَيْكَ ، فَأَخْطَأُوا ،	لَمَّا دَعَوْتَ فَأَبْطَأُوا
وَتَبَرَّعُوا حَتَّى تَصُولَ ،	فَحِينَ صُلْتَ تَبَرَّأُوا
خَافُوا النَّكَالَ ، فَوَطَّدُوا ،	وَالْفِرَارِ تَهَيَّأُوا
دَعْنَهُمْ ، فَمَا كُلُّ الْأَشْدَّةِ	لِلشَّدَائِدِ تُخْبَأُ
فَلَسَوْفَ تَسْمَعُ مَا يَحُلُّ	بِمَنْ لِمَجْدِكَ يَشْنَأُ
فَالِقَ الْعُدَاةِ بَطْلَعَةً	عَنْهَا النَّوَظِرُ تَخْشَأُ
فَلَدَيْكَ مَنَا فِتْيَةٌ ،	عَنْ ثَارِهَا لَا تَفْتَأُ
جَلَّأُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ،	وَلِثَلِ ظِلِّكَ يُلْجَأُ
وَتَوَقَّعُوا مِنْكَ الرِّضَى	وَلِمَا سِوَاهُ تَوَقَّأُوا
وَتَنَبَّهُوا ، فَكَأَنَّهُمْ	بِالزَّجْرِ فِكَ تَنَبَّأُوا
يَا دَوْحَةً ! كُلُّ الْوَرَى	بِظِلِّهَا يَتَفَيَّأُ
مَا أَنْتَ إِلَّا جُمْلَةٌ	مِنْهَا الْكِرَامُ تَجَزَّأُوا
إِنْ صُلْتَ غَادَرْنَا الْعُدَاةَ	بِكُلِّ فَجٍّ تُفْجَأُ
وَتَجَرَّعُوا غُصَصَ الْمَنُونِ	بِمَا عَلَيْهِ تَجَرَّأُوا
فَادْرَأْ بِنَا نَحَرَ الْعَدُوِّ ،	فِي الْأَقَارِبِ يُسْدرَأُ

إِنَّ الْأُصُولَ ، وَإِنْ تَبَا عَدَّ عَهْدُهَا لَا تَخْطَأُ
وَإِغْنَمُ جَمِيلَ الذِّكْرِ فَهُوَ مِنْ الْغَنَائِمِ أَهْنًا
فَالْمَرْءُ يُرْزَقُ مَا يَشَاءُ مِنْ الزَّمَانِ ، وَيُرْزَأُ

في كل شعرة رجل

وقال يحرض حاكماً وعده المساعدة
في واقعه :

مَوْلَايَ ! إِنِّي عَلَيْكَ مُتَّكِِلٌ ، وَأَنْتَ عَمَّا أُرُومُ مُشْتَغِلٌ
وَكَيْفَ يُخْطِئُ رَأْيِي وَلِي مَلِكٌ يُضْرَبُ فِي حُسْنِ رَأْيِهِ الْمَثَلُ
فَقُسْمٌ بِنَصْرِي ، فَقَدْ تَقَاعَدَ بِي دَهْرِي ، وَضَاقَتْ بَعْدَكَ الْحِيلُ
وَلَا تَكِلْ حَاجَتِي إِلَى رَجُلٍ ، وَمَنْكَ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ رَجُلٌ

أبد سنا وجهك

وقال يحرض السلطان الملك المنصور
نجم الدين غازي بن ارتق صاحب
ماردين على حضوره حصار قلعة اربل
حين أرسل الجيوش ولم يحضرها سنة
اثنين وسبعائة :

أبد سنا وجهك من حجابيه ،
واللبث لا يرهب من زئيره ،
والنجم لا يهدي السبيل سارياً ،
والشاهد لولا أن يذاق طعمه ،
إذا بدا ثورك لا يصدّه
ولا يضر البدر ، وهو مشرق ،
قم غير مأور ، ولكن مثلما
فالعُمي لا تعلم إرزام الحيا ،
كم مدرك في يومه بعزمه ،
من كانت السمُر اللدان رسله
لا تبق أحزاب العداة ، واعتمد
فالسيف لا يقطع في قرايه
إذا اغتدى محتجياً بغايه
إلا إذا أسفر من حجابيه
لما غدا مُميزاً عن صابه^١
تزاحم الموكب في ارتكابه
أن رقيق الغيم من نقابه
هز الحسام ساعة اجتذابه
حتى يكون الرعد في سحابه^٢
ما لم يكن بالأمس في حسابه
كان بلوغ النصر من جوابه^٣
ما اعتمد النبي في أحزابه

١ الصاب : المر .

٢ الارزام : اشتداد صوت الرعد .

٣ السمُر : الرماح . اللدان : اللينة .

ولا تَقْلُ إنَّ الصَّغِيرَ عَاجِزٌ ،
 فإِذَا رَأَى قَلْعَتَهُمْ بِقَلْعَةٍ
 فَإِنَّهَا إِذَا رَأَتْكَ مُقْبِلًا ،
 إِنَّ لَمْ تُحَاكِ الدَّهْرَ فِي دَوَامِهِ ،
 وَاجِلُ لَهْمٍ عَزَمًا ، إِذَا جَلَوْتَهُ
 عَزَمُ مُلْكٍ يَخْضَعُ الدَّهْرُ لَهُ ،
 تُحَاذِرُ الْأَحْدَاثُ مِنْ حَدِيثِهِ ،
 قَدْ صَرَفَ الْحِجَابَ عَنْ حَضْرَتِهِ ،
 إِذَا رَأَى الْأَمْرَ بَعَيْنَ فِكْرِهِ
 وَإِنْ أَجَالَ رَأْيَهُ فِي مُشْكِلٍ ،
 تَنْقَادُ مَعَ آرَائِهِ أَيَّامُهُ ،
 لَا يَزْجُرُ الْبَارِحَ فِي اعْتِرَاضِهِ ،
 وَلَا يَرَى حُكْمَ النُّجُومِ مَانِعًا
 يَقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِ سِرِّ رَأْيِهِ ،
 قَدْ أَشْرَقَتْ بَنُورُهُ أَيَّامُهُ ،
 يَكَادُ أَنْ تُثْلِيهِ عَنْ طَالِبِهِ
 مَا سَارَ لِلنَّاسِ ثَنَاءً سَائِرٌ
 إِذَا اسْتَجَارَ مَالُهُ بِكَفِّهِ
 وَإِنْ كَسَا الدَّهْرُ الْأَنَامَ مَفْخَرًا
 هَلْ يَسْجُرُ اللَّيْثُ سِوَى ذُبَابِهِ ؟
 تَقْلَعُ أَسَ الطُّودِ مِنْ ثُرَابِهِ
 مَا دَتْ وَخَرَّ السُّورُ لِاضْطِرَابِهِ
 فَإِنَّهَا تَحْكِيهِ فِي انْقِلَابِهِ
 فِي اللَّيْلِ ، أَغْنَى اللَّيْلَ عَنْ شِهَابِهِ
 وَتَسْجُدُ الْمُلُوكُ فِي أَعْتَابِهِ
 وَتَجَزَعُ الْخُطُوبُ مِنْ خِطَابِهِ
 وَصَيَّرَ الْهَيْبَةَ مِنْ حِجَابِهِ
 رَأَى خَطَاءَ الرَّأْيِ مِنْ صَوَابِهِ
 أَعَانَهُ الْحَقُّ عَلَى طِلَابِهِ
 مِثْلَ انْقِيَادِ اللَّفْظِ مَعَ إِعْرَابِهِ
 وَلَا غُرَابَ الْبَيِّنِ فِي تَنْعَابِهِ
 يَرُدُّ الْحَزْمَ عَلَى أَعْقَابِهِ
 مَا سَطَرَ الْقَضَاءُ فِي كِتَابِهِ
 كَأَنَّمَا تَبَسُّمٌ عَنْ أَحْسَابِهِ
 مُطَالِبُ الْحَمْدِ ، وَعَنْ شَرَابِهِ
 إِلَّا وَحَطَّ رَحْلُهُ بِبَابِهِ
 أَدَانَهُ الْجُودَ عَلَى ذَهَابِهِ
 ظَنَنْتَهُ يَخْلَعُ مِنْ ثِيَابِهِ

يا مَلِكًا يَرَى العَدُوَّ قُرْبَهُ كالأَجَلِ المَحْتومِ في اقْتِرَابِهِ
 لا تَبْذُلِ الحِلْمَ لغيرِ شاكِرٍ ، فَإِنَّهُ يُفْضِي إلى إعْجَابِهِ
 فَالغَيْثُ يُسْتَسْقَى مَعَ اعتِبَابِهِ ، وَإِنَّمَا يُسَامُ في انْسِكَابِهِ
 فَاغْزُ العِدَى بِعِزَّةٍ مِنْ شَأْنِهَا إِيَّانُ حَزَمِ الرَّأْيِ مِنْ أَبْوَابِهِ
 تُسَلِّمُ أرواحَ العِدَى إلى الرَّدَى ، وَتُرْجِعُ الأَمْرَ إلى أَرْبابِهِ
 حَتَّى يَقُولَ كُلُّ رَبٍّ رُبَّةً : قَدْ رَجَعَ الحَقُّ إلى نِصَابِهِ
 قَدْ رَفَعَ اللهُ العَذَابَ عَنْهُمْ ، فَشَمَرُوا السَّاعِدَ في طِلَابِهِ
 رَتُّوا إلى المُلْكِ بِعَيْنِ غَادِرٍ أَطْمَعُهُ حِلْمُكَ في اقْتِضَابِهِ
 إِنْ لَمْ تُقْطَعْ بِالظُّبَى أَوْصَالَهُمْ لَمْ تَقْطَعْ الأَمَالَ مِنْ أَسْبَابِهِ
 لا تَقْبَلِ العُدْرَ ، فَإِنَّ رَبَّهُ قَدْ أَضْمَرَ التَّصْحِيفَ في كِتَابِهِ
 فَتَوْبَةُ المُقْلِعِ لِمَثَرِ ذَنْبِهِ ، وَتَوْبَةُ الغَادِرِ مَعَ عِقَابِهِ
 لَوْ أَنَّهُمْ خَافُوا كِفَاءَ ذَنْبِهِمْ ، لَمْ يُقَدِّمُوا يَوْمًا عَلَى ارْتِكَابِهِ
 فَاصْرِمْ حِبَالَ عِزِّهِمْ بِصَارِمٍ قَدْ بَالَعَ القُيُونُ في انْتِخَابِهِ^١
 كَأَنَّمَا النَّمْلُ عَلَى صَفْحَتِهِ ، وَأَكْرَعُ الذَّبَابِ في ذُبَابِهِ^٢
 يَعْتَذِرُ المَوْتُ إلى شَفَرَتِهِ ، وَتَقْصُرُ الآجَالُ عَنْ عِتَابِهِ
 شَيْخٌ إِذَا اقْتَضَى النَّفْسَ قُوَّضَتْ ، وَلَا تَزَالُ الصَّيْدُ مِنَ خُطَابِهِ^٣

١ الاعتبار ، من عب البحر : كثر موجه وارتفع .

٢ القيون ، الواحد قين : الحداد .

٣ ذباب السيف : حده الذي يقطع به ، يصف في هذا البيت جوهر السيف ووشيه .

٤ قوله : اقتضى النفوس ، هكذا في الأصل ، ولعلها اقتضى النفوس ، أي طلبها . الصيد ، الواحد أصيد : الرجل الذي يرفع رأسه كبراً . وقوله من خطابه : أي من طلباته .

يُذِيقُهُمْ فِي شَبِيهِ أَضْعَافَ مَا أَذَاقَهُ الْقُيُونُ فِي شَبَابِهِ
 يَا مَلِكًا يَعْتَذِرُ الدَّهْرُ لَهُ ، وَتَخْدُمُ الْأَيَّامُ فِي رِكَابِهِ
 لَمْ يَكُ تَحْرِيفِي لَكُمْ إِسَاءَةً ، وَلَمْ أَحُلْ فِي الْقَوْلِ عَنْ آدَابِهِ
 وَلَا يَغِيبُ السَّيْفُ ، وَهُوَ صَارِمٌ ، هَذَا يَدُ الْجَاذِبِ فِي انْتِدَابِهِ
 ذِكْرُكَ مَشْهُورٌ ، وَنَظْمِي سَائِرٌ ، كِلَاهُمَا أَمَعَنَ فِي اغْتِرَابِهِ
 ذِكْرٌ جَمِيلٌ غَيْرَ أَنَّ نَظْمَهُ يَزِيدُهُ حُسْنًا مَعَ اصْطِحَابِهِ
 كَالدُّرِّ لَا يُظْهِرُ حُسْنَ عِقْدِهِ إِلَّا جَوَازُ السَّلَكِ فِي أَثْقَابِهِ

لله قومي

وقال يحرّض قوماً وعدوه المساعدة
 في إحدى الوقائع فلما نزل بهم نكروا
 واعتذروا بالزهد والورع فأخذ حقه
 مسطاً لفاتحة الحماسة ٢ :

يَا لِلْحِمَاسَةِ ضَاقَتْ بَيْنَكُمْ حِيَلِي ، وَضَاعَ حَقِّي بَيْنَ الْعُدْرِ وَالْعَدَلِ
 فَقُلْتُ مَعَ قِلَّةِ الْأَنْصَارِ وَالْحَوْلِ : لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ لِيَلِي
 بَنُو اللَّقْبِطَةِ مِنْ ذُهِلِ بْنِ شَيْبَانَ

١ الهذ : القطع بسرعة ، ولعلها محرفة عن الهز بالزاي . انتدابه ، من انتدبه إلى أمر : دعاه إليه ،
 ولعله محرف عن : يد الجاذب في اجتدابه .

٢ القصيدة الخمسة هي لقريظ بن أنيف أحد بني العنبر ، قالها عندما اعتدى بنو شيبان على ماله
 ولم ينجده قومه .

لو أَتَنِي بِرُءَاةِ الْعُرْبِ مُقْتَرِنُ ، لَهْمُ نَزِيلُ ، وَلِي فِي حَيْثِهِمْ سَكَنُ
وَمَسْتَنِي فِي حِمَى أَبْنَائِهِمْ حَزَنُ ، إِذْنُ لِقَامَ بَنَصْرِي مَعَشَرُ خُشْنُ
عِنْدَ الْحَقِيقَةِ إِنَّ ذُو لَوْثَةٍ لَأَنَا

لِللَّهِ قَوْمِي الْأَوَّلَى صَانُوا مَنَازِلَهُمْ ، عَنِ الْخُطُوبِ ، كَمَا أَفْنَوْا مَنَازِلَهُمْ
لَا تَجَسَّرُ الْأُسْدُ أَنْ تَغْشَى مَنَاهِلَهُمْ ، قَوْمُ ، إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيَهُ لَهُمْ
طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

قَوْمُ ، نَجِيعُ دَمِ الْأَبْطَالِ مَشْرَبُهُمْ ، وَرَنَةُ الْبَيْضِ فِي الْهَامَاتِ تُطْرِبُهُمْ
إِذَا دَعَاهُمْ لِحَرْبٍ مَنْ يَجْرِبُهُمْ ، لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ
فِي النَّسَائِبِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا

فَالْيَوْمَ قَوْمِي الَّذِي أَرْجُو بِهِمْ مَدَدِي لِأَسْتَطِيلَ إِلَى مَا لَمْ تَنْلَهُ يَدِي
تَخُونُنِي مَعَ وَفُورِ الْخَيْلِ وَالْعُدَدِ ، لَكِنْ قَوْمِي ، وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ
لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ ، وَإِنْ هَانَا

يُولُونِ جَانِي الْأَمْسَى عَفْوَاً وَمَعْدِرَةً كَعَاجِزٍ لَمْ يُطِيقْ فِي الْحُكْمِ مَقْدَرَةً
فَلِنْ رَأَوْا حَالَةَ فِي النَّاسِ مُنْكَرَةً ، يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفَرَةً
وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السَّوِّ إِحْسَانَا

كُلُّ يَدِلٍّ عَلَى الْبَارِي بِعِفَّتِهِ ، وَيَسْتَكِفُّ أَذَى الْجَانِي بِرَأْفَتِهِ

١ . خُشْنُ : صَعَابُ لَا يَلِينُونَ . - الْوُثَّةُ : الْحِمَاةُ وَالضَّعْفُ .

٢ . أَبْدَى نَاجِذِيَهُ : أَيِ اشْتَدَّ . زَرَافَاتُ : جَمَاعَاتُ .

٣ . يَصِفُ قَوْمَهُ بِأَنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ يَهَابُونَ الْحَرْبَ لِعَدَمِ حِمَايَتِهِمْ .

وَبِحَسَبِ الْأَرْضِ تَشْكُو ثِقْلَ مَشِيَّتِهِ ، كَأَن رَّبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَسْبِيَّتِهِ

سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ إِنْسَانًا

لَوْ قَابَلُوا كُلَّ أَقْوَامٍ بِمَا كَسَبُوا ، مَا رَاعَ سِرْبَهُمْ عُنْجَمٌ وَلَا عَرَبٌ

بَلْ ارْتَضَوْا بِصَفَاءِ الْعَيْشِ وَاحْتَجَبُوا ، فَلَبِثَ لِي بِهِمْ قَوْمًا ، إِذَا رَكِبُوا

شَتَا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا

أَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ

وقال أيضاً يحرض السلطان الملك
الصالح شمس الدين أبا المكارم ابن
السلطان الملك المنصور خلد الله ملكه
على خلاص ماله من لصوص نقبوا
داره وأخذوا ما بها واحتنوا بنائب
له فحماهم واستخدمهم لديه :

خَطَبُ لِسَانُ الْحَالِ فِيهِ أَبْكَمُ ، وَهُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ فِيهِ مُظْلِمُ

وَقَضِيَّةٌ صَمَتَ الْقَضَاةُ تَرْفَعَا ، عَنْ فَصْلِهَا ، وَالْحَصَمُ فِيهَا يَحْكُمُ

أَمْسَى الْخَبِيرُ بِهَا يُسَائِلُ : مَنْ لَهَا ، فَأَجَبْتُهُ ، وَحُشَاشِي تَتَضَرَّمُ :

إِنْ كُنْتَ مَا تَدْرِي ، فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ ، أَوْ كُنْتَ تَدْرِي ، فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ

أَشْكُو فَيَعْرِضُ عَنْ مَقَالِي ضَاحِكًا ، وَالْحُرُّ يُوجِعُهُ الْكَلَامُ وَيُؤَلِّمُ

ما ذاك من فَرَطِ العَيَاءِ ، وإنما
فلنَّ عَلا رَأْسِي المَشِيبُ ، فلم يكنْ
فَاللهُ يَحْرُسُ مَارْدِينَ ، فإنَّها
أَرْضُهَا يَسْطُو عَلَى اللَّيْثِ الطَّلَا ،
حَالَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ عَنْ عَادَاتِهَا ،
يَجْنِي بِهَا الْجَلَانِي ، فَإِنْ ظَفِرُوا بِهِ
شَرَطُ الْوَلَاةِ بِهَا بَأْنُ يَمْضِي الَّذِي
لَا كَالشَّامِ ، فَإِنَّ شَرَطَ وَلَاتِهَا :
وَمُعْتَفٍ فِي الظَّنِّ قُلْتُ لَهُ : اتَّيِدْ ،
مَنْ أَيْنَ يَدْرِي اللَّصُّ أَنْ دِرَاهِمِي
صَبَرُوا ، وَمَالِي فِي الْبُيُوتِ مُقَسَّمٌ ،
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي فِي عَصْرِهِ
لَا تُطْمَعِنَ ذَوِي الْفَسَادِ بِتَرْكِهِمْ ،
إِنْ كَانَ مَنْ يَجْنِي مِرَاراً لَمْ يَخَفْ
أَيَجُوزُ أَنْ تَخْفَى عَلَيْكَ قَضِيَّتِي ،
فَإِذَا شَكُوتُ ، يَقَالُ لَمْ يَذْهَبْ لَهُ
أَيَجُوزُ أَنْ يُمْسِيَ السَّقِيمُ مُبَرَّأً
وَأَجِيلٌ عَيْنِي فِي الْجُبُوسِ فَلَا أَرَى

لِهَوَى الْقُلُوبِ سَرِيرَةً لَا تُعْلَمُ
كِبَرًا ، وَلَكِنَّ الْحَوَادِثَ تُهْرِمُ
بَلَدٌ يَلْدُ بِهَا الْغَرِيبُ وَيَنْعَمُ
وَيَعُوثُ فِي غَابِ الْهَزْبِ الْأَرْقَمُ
فَالْحَيْلُ تَنْهَقُ ، وَالْحَمِيرُ تُحْمَحِمُ
يَوْمًا ، يُحْلَفُ بِالطَّلَاقِ وَيُرْحَمُ
يَمْضِي ، وَيَسْلَمُ عِنْدَهُمْ مَا يَسْلَمُ
اللَّصُّ يَجْنِي ، وَالْمُقَدَّمُ يَغْرَمُ
فَأَقْصِرْ ، فَبَعْضُ الْغَيْبِ غَيْبٌ يُعْلَمُ
لَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي الْخَزَانَةِ دِرْهَمٌ ؟
حَتَّى إِذَا اكْتَمَلَ الْجَمِيعُ تَسَلَّمُوا
كُلُّ الْمُلُوكِ لِعَدْلِهِ تَتَعَلَّمُ
فَالنَّذْلُ تَطْعَى نَفْسُهُ إِذْ تُكْرَمُ
قَطْعًا ، فَلَا أُدْرِي عَلَى مَا يَنْدَمُ
وَالنَّاسُ فِي مُضَرٍّ بِهَا تَتَكَلَّمُ
مَالٌ ، وَلَكِنْ ظَالِمٌ يَتَظَلَّمُ
مِنْهَا ، وَصِيَّانُ الْمَكَاتِبِ تُتْهَمُ
إِلَّا ابْنَ جَارِي ، أَوْ غُلَامًا يَخْدُمُ

١ الطلا: ولد الغزال . يعوث : يفسد . الهزبر : الأسد . الأرقم : أبحث الحيات .

أُبْزَارُ فِي بَابِ الْبُورَةِ رَاهِبٌ
وَتَزْفُ دَارِي بِالشَّمُوعِ جَمَاعَةٌ
قَوْمٌ لَهُمْ ظَهْرٌ شَدِيدٌ مَانِعٌ ،
لَا يَحْفِلُونَ ، وَقَدْ أَحَاطَ عَدِيدُهُمْ
إِنْ يَظْفَرُوا فَتَكُوا ، وَإِنْ يَظْفَرُ بِهِمْ ،
فَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ فِيهِمْ ، لِأَنَّهُمْ
إِنْ كُنْتَ تَخْشَى أَنْ تُعَدَّ بِظَالِمٍ
فَالْحِلْمُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ ذِلَّةٌ ،
بِالْبَطْشِ تَمَّ الْمَلِكُ لَابْنِ مَرَاكِيلِ ،
وَعَنَتَ الْمُعْتَصِمُ الرَّقَابُ بِبَاسِهِ ،
مَا رَتَبَ اللَّهُ الْحُدُودَ ، وَقَصَدَهُ ،
لَوْ شَاءَ قَالَ : دَعُوا الْقِصَاصَ ، وَلَمْ يَقُلْ
إِنْ كَانَ تَعْطِيلُ الْحُدُودِ لِرَحْمَةٍ ،
فَاجْزِ الْمُسِيءَ ، كَمَا جَزَاهُ بِفِعْلِهِ ،
عَقَرَتْ ثَمُودُ لَهُ قَدِيمًا نَاقَةً ،
فَأَذَاقَهُمْ سَوَاطِ الْعَذَابِ ، وَلِأَنَّهُمْ

لَيْلًا ، فَيَدْرِي فِي الصَّبَاحِ وَيَعْلَمُ
غُلْبٌ ، فَيُسْتَرُّ عَنْ عُلَاكَ وَيُكْتَمُ
كُلُّهُ بِهِ يَدْرِي عَلَى مَا يُقَدِّمُ
بِالدَّارِ ، أَيْقَاطُ بِهَا أَوْ نَوْمُ
كُلُّهُ عَلَيْهِ يُنَابُ أَوْ يُسْتَخْدَمُ
وَيَقُومُوا بِأَنْتِكَ رَاحِمٌ لَا تَنْقِمُ
لَهُمْ ، فَإِنَّكَ لِلرَّعِيَّةِ أَظْلَمُ
وَالْبَغْيُ جُرْحٌ ، وَالسِّيَاسَةُ مَرَهْمُ
وَتَأَخَّرَ ابْنُ زُبَيْدَةَ الْمُتَقَدِّمُ^١
وَدَهَى الْعِبَادَ بِلِينِهِ الْمُسْتَعَصِمُ^٢
فِي النَّاسِ ، أَنْ يَرَى الْمُسِيءَ وَيَرْحَمُ
بَلْ فِي الْقِصَاصِ لَكُمْ حَيَاةٌ تَنْعَمُ
فَاللَّهُ أَرَأْفُ بِالْعِبَادِ وَأَرْحَمُ
وَاحْكُمُ بِمَا قَدْ كَانَ رَبُّكَ يَحْكُمُ
وَهُوَ الْغَنِيُّ ، عَنْ الْوَرَى ، وَالْمُنْعِمُ
بِالرَّجْزِ يَخْسِفُ أَرْضَهُمْ وَيُدَمِّمُ^٣

١ ابن مراحيل : المأمون ، ومراحيل أمه وهي أمة . ابن زبيدة : الأمين وزبيدة ابنة خليفة ، وزوجة خليفة ، وأم خليفة .

٢ المعتصم : الخليفة السابع العباسي ، واشتهر بقوته . المستعصم : آخر الخلفاء العباسيين قتله هولاكو التتري .

٣ الرجز : الرعد المتتابع الصوت .

وَكذلكَ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ ،
لَمَّا أَتَوْهُ بِعُصْبَةٍ سَرَقُوا لَهُ
لَمْ يَعْفُ بَلْ قَطَعَ الْأَكْفَ وَأَرْجُلًا
وَرَمَاهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِحَجْرَةٍ ،
وَرَجَا أَنَّهُ أَنْ يَرِقَ عَلَيْهِمْ ،
وَكَذَا فِي الْخَطَابِ قَادَ بِلَطْمَةٍ
فَشَكَا ، وَقَالَ لَهُ : أَتَلَطِّمُ سُوقَةَ
هَذِي حُدُودَ اللَّهِ مَنْ يَخْلُلُ بِهَا ،
وَانْظُرْ لِقَوْلِ ابْنِ الْحُسَيْنِ وَقَدْ رَأَى
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى ،
هَذَا فَعَالُ اللَّهِ ، ثُمَّ نَبِيَّهِ ،
فَافْتَكُ بِهِمْ فَتَكَ الْمُلُوكَ ، وَلَا تَكُنْ
وَاعْذِرْ مُحِبًّا لَمْ يُسْأَلْ بِقَرِيضِهِ ،
وَاللَّهُ مَا أَسْفَى عَلَى مَالٍ مَضَى ،
فَالْمَالُ مُكْتَسَبٌ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى ،
هَذِي الْعِبَارَةُ لِلْمُحَقِّقِ عِبْرَةٌ ،

وَهُوَ الَّذِي فِي حُكْمِهِ لَا يَظْلِمُ
إِبِلًا مِنْ الصَّدَقَاتِ ، وَهُوَ مُصَمَّمٌ
مِنْ بَعْدِ مَا سَمَلَ النَّوَاطِرَ مِنْهُمْ^١
نَارُ الْهَوَاجِرِ فَوْقَهَا تَنْضَرُ
فَأَبَى ، وَقَالَ : كَذَا يُجَازَى الْمُجْرِمُ
مَلِكًا لَغَسَّانٍ ، أَبَوْهُ الْأَيَّهَمُ^٢
مَلِكًا ؟ فَقَالَ : أَجَلٌ وَأَنْفُكَ مُرْغَمٌ
فَجَزَاؤُهُ ، يَوْمَ الْمَعَادِ ، جَهَنَّمُ
حَالًا يَشْقَى عَلَى الْأَبَى وَيَعْظُمُ
حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ^٣
وَالصَّحْبُ وَالشَّعْرَاءُ ، فِيمَا نَظَّمُوا
فَيَصِحَّ مَا قَالَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ
أَدَبًا ، وَلَكِنْ الضَّرُورَةُ تَحْكُمُ
إِلَّا عَلَى اسْتِزَامٍ بُعْدِي عَنْكُمْ
وَالذِّكْرُ يُنْجِدُ فِي الْبِلَادِ وَيُتْهِمُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَأَحْكَمُ

١ سمل النواظر : فقاما .

٢ أراد جبلة بن الأيهم .

٣ هذا البيت للمتنبى .

المجد لمن يخاطر

وقال يحرضه أعز الله أنصاره على
التحرز من المفول ومنافستهم عند
اختلافهم واضطراب أحوالهم وبهينه
بعيد النحر :

لا يَمْتَنِي المَجْدَ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الحَطَرَ ،
وَمَنْ أَرَادَ العُلَى عَقَوْا بِلَا تَعَبٍ ،
لَا بُدَّ لِلشَّهْدِ مِنْ نَحْلِ يُمْنَعُهُ ،
لَا يُبْلَغُ السَّوْلُ إِلَّا بَعْدَ مُؤَلَّةٍ ،
وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمَلٍ ،
وَأَغْزَرُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَظَرَتْ
فَقَدْ يُقَالُ عِثَارُ الرَّجُلِ إِنْ عَثَرَتْ ،
مَنْ دَبَّرَ العِيشَ بِالْآرَاءِ دَامَ لَهُ
يَهْوَنُ بِالرَّأْيِ مَا يَجْرِي القَضَاءُ بِهِ ،
مَنْ فَاتَهُ العِزُّ بِالْأَقْلَامِ أَدْرَكَهُ
بِكُلِّ أَيْضٍ قَدْ أَجْرَى الفِرْنَدُ بِهِ
خَاضَ العَجَاجَةَ عُرْيَانًا فَمَا انْقَشَعَتْ
لَا يَحْسُنُ الحِلْمُ إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِ ،
وَلَا يَنَالُ العُلَى إِلَّا فَتَى شَرُفَتْ

وَلَا يَنَالُ العُلَى مِنْ قَدَمِ الحَذَرِ ،
قَضَى ، وَلَمْ يَقْضِ مِنْ إِدْرَاكِهَا وَطَرًا
لَا يَجْتَنِي النَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْمِلِ الضَّرَرَا
وَلَا تَنِيْمُ المُنَى إِلَّا لِمَنْ صَبَرَا
لَا يَقْرَبُ الوَرْدَ حَتَّى يَعْرِفَ الصَّدْرَا
عَيْنَاهُ أَمْرًا غَدَاً بِالغَيْرِ مُعْتَبِرَا
وَلَا يُقَالُ عِثَارُ الرَّأْيِ إِنْ عَثَرَا
صَفَوَا ، وَجَاءَ إِلَيْهِ الحَطَبُ مُعْتَذِرَا
مَنْ أَخْطَأَ الرَّأْيَ لَا يَسْتَذِنُ القَدْرَا
بِالبَيْضِ يَقْدَحُ مِنْ أَعْطَافِهَا الشَّرَرَا
مَاءَ الرَّدَى ، فَلَوْ اسْتَقْطَرَتْهُ قَطَرَا
حَتَّى أَتَى بَدَمَ الأَبْطَالِ مُؤْتَزِرَا
وَلَا يَلِيْقُ الوَفَا إِلَّا لِمَنْ شَكَرَا
خِلَالَهُ ، فَاطَاعَ الدَّهْرَ مَا أَمَرَا

كالصالح الملك المروء سَطَوْتُهُ ،
 لما رأى الشرَّ قد أبدى نَوَاجِذَهُ ،
 رأى القيسيَّ إناثاً في حَقِيقَتِهَا ،
 فجَرَدَ العَزمَ من قَتْلِ الصِّفاحِ لها
 يكادُ يُقرأ منْ عُنوانِ هِمَّتِهِ
 كالبحرِ والدَّهرِ في يومِي نَدَى ووردَى ،
 ما جادَ للناسِ إلّا قبلَ ما سألوا ،
 لاموهُ في بَذْلِهِ الأُمُوالَ ، قلتُ لهم :
 إذا غَدَا الغصنُ غَضّاً في مَنابِتِهِ ،
 مِن آلِ ارتقى المشهورِ ذِكْرُهُمْ ،
 الحامِلِينَ مِنِ الخَطِيئِ أطولَهُ ،
 لم يَرحلوا عن حِمَى أرضٍ إذا نَزَلُوا
 تَبَقَى صَنائِعُهُم في الأرضِ بَعْدَهُمْ ،
 لله دَرٌّ سَمَا الشَّهَاءِ مِن فَلَكَ ،
 يا أيتها الملكُ الباني لدَولَتِهِ
 كانتْ عِداكَ لها دَسْتُ ، فقد صَدَعْتُ
 فَاوْقِعْ إذا غَدَروا سَوطَ العَذابِ بِهِمْ
 وارعبْ قُلُوبَ العِدى تُنصِرْ بِخَدْلِهِمْ ،
 ولا تُكَدِّرْ بِهِمْ نَفْساً مُطَهَّرَةً ،

فلو تَوَعَّدَ قلبَ الدَّهرِ لَانفَطَرَا
 والغَدَرُ عن نَابِهِ لِلحَرْبِ قد كَثُرَا
 فعافَهَا ، واستَشَارَ الصَّارِمَ الذِّكْرَا
 مَلِكُ عن البِيضِ يَسْتَغْنِي بما شُهِرَا
 ما في صَحَائِفِ ظَهْرِ الغَيْبِ قد سَطِرَا
 والليثِ والغِيثِ في يومِي وَغَى وقِرَى
 ولا عَقَا قَطَّ إلّا بَعْدَ ما قَدَرَا
 هل تَقْدِرُ السُّحْبُ إلّا تُرْسِلَ المَطَرَا
 مَن شاءَ فليَجْنِ مِن أَفْئانِهِ الثَّمَرَا
 إذ كانَ كالمِسكِ إنْ أخْفَيْتَهُ ظَهَرَا
 والنَّاقِلِينَ مِنِ الأسيافِ ما قَصُرَا
 إلّا وأَبْقُوا بِهَا مِن جودِهِم أثَرَا
 والغَيْثُ إنْ سارَ أَبْقَى بَعْدَهُ الزَّهَرَا
 فكلِّما غابَ نَجْمٌ أَطْلَعَتْ قَمَرَا
 ذكراً طَوَى ذَكَرَ أَهْلِ الأرضِ وانتَشَرَا
 حَصاةُ جَدِّكَ ذاكَ الدَّسْتُ فانكَسَرَا
 يَظَلُّ يَخْشَاكَ صَرفُ الدَّهرِ إنْ غَدَرَا
 إنَّ النَبِيَّ بِفَضْلِ الرَّعْبِ قد نُصِرَا
 فالبَحْرُ مِن يَوْمِهِ لا يَعْرِفُ الكَدَرَا

ظَنُّوا ثَأْنِيكَ عَنْ عَجْزٍ ، وما عَلِمُوا
أَحْسَنَتْكُمْ ، فَبَغَوْا جَهْلًا وما اعْتَرَفُوا
واسَعَدْتُ بَعِيدَكَ ذَا الْأَضْحَى وَضَحَّ بِهِ
وَانْحَرْتُ عِدَاكَ فَبِالْإِنْعَامِ مَا انْصَلَحُوا ،
أَنَّ الثَّأْنِيَّ فِيهِمْ يَعْقُبُ الظَّفَرَ
لَكُمْ ، وَمَنْ كَفَرَ النُّعْمَى فَقَدْ كَفَرَ
وَصِلْ وَصَلَ لِرَبِّ الْعَرْشِ مُؤْتَمِرًا
إِنْ كَانَ غَيْرُكَ لِلْإِنْعَامِ قَدْ نَحَرًا

أحجر فؤادك أم حديد

قال يحرّض الأمير نور الدين بن
ركن الدين إسحق على ملتقى المغول
وحرّهم عند غارتهم على ماردين
وخروجه إليهم :

أَمِنْ حَجَرٍ فُؤَادُكَ أَمْ حَدِيدٌ ،
وَأَطْوَادُ حُلُومُكَ أَمْ جِبَالٌ ،
لَأَنْتَ كُلَّمَا حَاوَلْتَ أَمْرًا ،
طَلَعْتَ عَلَى الْعُدَاةِ وَأَنْتَ شَمْسٌ ،
أَغْرَتَ عَلَى حِمَاهُمْ غَيْرَ عَادٍ ،
بِحَيْشٍ تَرْجُفُ الرَّايَاتُ فِيهِ ،
فَفِيهِ عَلَى الْوَعَى بَأْسٌ شَدِيدٌ
تَمِيدُ الرَّاسِيَاتُ وَلَا تَمِيدُ
يُصَوِّبُ فَعْلَكَ الرَّأْيُ السَّدِيدُ
فَذَابَ بِحَرِّ مَوْعِيهَا الْجَلِيدُ
وَلَاقُوا مِنْكَ مَا لَاقَتْ ثُمُودُ
وَتَخَفِقُ دُونَ مَقْدَمِهِ الْبُنُودُ

١ الإنعام بكسر الهمزة : مصدر أنعم عليه ، صنع إليه نعمة ، صنعة . الأنعام الثانية بفتح الهمزة : الإبل والغنم والبقر .

وتَهْتَزُّ الذَّوَابِلُ فِيهِ عُجْبًا ، كَمَا اهْتَزَّتْ مِنَ الْمَرْحِ الْقُدُودُ
عَجِلَتْ إِلَى قِرَاعِهِمْ بَعَزُومٍ بِهِ يَدْنُو لَكَ الْأَمَلُ الْبَعِيدُ
وَكَمْ وَإِنْ يَعْدُ الْعَجَزَ حِلْمًا ، فَيَنْدَمُ ، وَالنَّدَامَةُ لَا تُفِيدُ
وَمَنْ يَرْمَا يُرِيدُ وَكَفَّ جُبْنًا ، رَأَى مِنْ بَعْدِهِ مَا لَا يُرِيدُ

الباب الثاني

في المدح والثناء والشكر والثناء

أيا صادق الوعد

قال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم
وهو بالمدينة المنورة :

كَفَى الْبَدْرَ حُسْنًا أَنْ يُقَالَ نَظِيرُهَا ، فَيُزْهَى ، وَلَكِنَّا بِذَاكَ نَضِيرُهَا^١
وَجَسَبُ غُصُونِ الْبَانِ أَنْ قَوَامَهَا يُقَاسُ بِهِ مَيَادُهَا وَنَضِيرُهَا
أَسِيرَةُ حِجَلٍ مُطْلَقَاتٍ لِحَاطِطِهَا ، قَضَى حُسْنُهَا أَنْ لَا يُفَكَّ أَسِيرُهَا^٢
تَهِيمُ بِهَا الْعُشَّاقُ خَلْفَ حِجَابِهَا ، فَكَيْفَ إِذَا مَا آتَى مِنْهَا سَفُورُهَا
وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ غُرِرَتْ بِنَظَرَةٍ إِلَيْهَا ، فَمِنْ شَأْنِ الْبُدُورِ غُرُورُهَا
وَكَمْ نَظَرَةٌ قَادَتْ إِلَى الْقَلْبِ حَسْرَةً ، يُقَطِّعُ أَنْفَاسَ الْحَيَاةِ زَفِيرُهَا
فَوَاعَجَبًا كَمْ تَسْلُبُ الْأُسْدُ فِي الْوَعَى ، وَتَسْلُبُنَا مِنْ أَعْيُنِ الْخُورِ حُورُهَا

١ يزهى : يتيه ، يتكبر .

٢ الحجل : الخلل .

فُتُورُ الظُّبَىٰ عِنْدَ الْقِرَاعِ يُشِينَا ، وما يُرْهِفُ الْأَجْفَانِ إِلَّا فُتُورُهَا^١
وَجُدُودُهُ حَسَنٌ ، فِي الْخُدُودِ لَهْيُهَا
إِذَا آتَسَتْهَا مُقْلَتِي خَرَّ صَاعِقًا
وَسَرَبَ ظِبَاءٍ مُّشْرِقَاتٍ شُمُوسُهُ
تُمَانِيعُ عَمَّا فِي الْكِنَاسِ أُسُودُهَا ، وَتَحْرُسُ مَا تَحْوِي الْقُصُورُ صُقُورُهَا
تَغَارُ مِنَ الطَّيْفِ الْمَلِيمِ حُمَاتُهَا ، وَيَغْضَبُ مِنْ مَرِّ النَّسِيمِ غَيُورُهَا
إِذَا مَا رَأَى فِي النَّوْمِ طَيْفًا يَزُورُهَا ، تَوَهَّمَهُ فِي الْيَوْمِ ضَيْفًا يَزُورُهَا
نَظَرْنَا ، فَأَعَدْتَنَا السَّقَامَ عُيُونُهَا ، وَلُذْنَا ، فَأَوْلَتْنَا النَّحُولَ خُصُورُهَا
وَزُرْنَا فَأَسَدُ الْحَيِّ تُدْكِي لِحَاطَتَهَا ، وَيُسْمَعُ فِي غَابِ الرِّمَاحِ زَثِيرُهَا
فَيَا سَاعِدَ اللَّهِ الْمَحَبِّ لِأَنَّهُ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا
وَلَمَّا أَلَمَّتْ لِلزِّيَارَةِ خِلْسَةً ، وَسَجَفُ الدِّيَاجِي مُسْبَلَاتٌ سُتُورُهَا^٢
سَعَتْ بَنَا الْوَاشُونَ حَتَّى حُجُولُهَا ، وَنَمَتْ بَنَا الْأَعْدَاءِ حَتَّى عَبِيرُهَا^٣
وَهَمَّتْ بَنَا لَوْلَا غَدَائِرُ شَعْرِهَا ، خُطَى الصَّبْحِ لَكِنَّ قَيْدَتَهُ ظُفُورُهَا^٤
لِيَالِي يُعِدْنِي زَمَانِي عَلَى الْعِدَى ، وَإِنْ مَلِئْتُ حَقْدًا عَلَيَّ صُدُورُهَا^٥

- ١ الظبي ، الواحدة ظبة : حد السيف . القراع : الحرب . أرهفه : رقق حده . الحور ، الواحدة حوراء : التي اشتد بياض عينيها وسواد سوادها .
٢ آتستها : أحست بها . جناني : قلبي . دك : هدم من أساسه . طورها : جبلها .
٣ السجف : الستر . الدياجي : الظلمات .
٤ هذا البيت غامض المعنى ، وصدره غتل الوزن .
٥ قوله : ظفورها ، هكذا في الأصل ، ولعله من الظفر ، الغلبة .
٦ يعيدني : ينصرتني .

وَيُسَعِدُنِي شَرْحُ الشَّيْبَةِ وَالْغِنَى ، إِذَا شَانَهَا إِقْتَارُهَا وَقَتِيرُهَا^١
وَمُنْذُ قَلَبَ الدَّهْرُ الْمِجَنَّ أَصَابَنِي صَبُورًا عَلَى حَالٍ قَلِيلٍ صَبُورُهَا^٢
فَلَوْ تَحْمِيلُ الْأَيَّامُ مَا أَنَا حَامِلٌ ، لَمَّا كَادَ يَمْحُو صِبْغَةَ اللَّيْلِ نُورُهَا
سَأَصْبِرُ إِمَّا أَنْ تَدُورَ صُرُوفُهَا عَلَيَّ ، وَإِمَّا تَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا
فَلَنْ تَكُنَّ الْخَفْسَاءُ ، إِنِّي صَخْرُهَا ، وَإِنْ تَكُنَّ الزَّبَاءُ ، إِنِّي قَصِيرُهَا^٣
وَقَدْ أَرْتَدِي ثَوْبَ الظَّلَامِ بِجَسْرَةٍ ، عَلَيْهَا مِنَ الشُّوسِ الْحُمَاةِ جَسُورُهَا^٤
كَأَنِّي بِأَحْشَاءِ السَّبَاسِبِ خَاطِرٌ ، فَمَا وَجِدْتُ إِلَّا وَشَخْصِي ضَمِيرُهَا
وَصَادِيَةِ الْأَحْشَاءِ غَضِي بِأَلِيهَا يَعْزُّهُ عَلَى الشَّعْرِ الْعَبُورِ عُبُورُهَا^٥
يَتَوَحُّ بِهَا الْخَرِيتُ نَدْبًا لِنَفْسِهِ ، إِذَا وَطِئَتْهَا الشَّمْسُ سَالَ لُعَابُهَا^٦
وَلَنْ قَامَتِ الْحَرْبُ تُوَسَّدُ شَعْرَهَا وَإِنْ سَلَكَتْهَا الرِّيحُ طَالَ هَدِيرُهَا
تَجَنَّبُ عَنْهَا لِلْحِذَارِ جَنُوبُهَا ، أَصِيلًا ، أَذَابَ الطَّرْفَ مِنْهَا هَجِيرُهَا^٧
وَتُدْبِرُ عَنْهَا فِي الْمُهُوبِ دَبُورُهَا^٨

-
- ١ شرح الشباب : أوله وريعانه . شانه : عابه . الاقتار : قلة المال ، ضيق الرزق ، التضييق على العيال . القتير : الشيب أو أول ما يظهر منه .
 - ٢ قلب له ظهر المجن : تحول من صداقته إلى عداوته .
 - ٣ يشير إلى الخفساء الشاعرة التي كانت تفتخر بأخيها صخر ، وإلى الزبباء ملكة تدمر ، وقصير الذي خدعها ، والقصة مشهورة .
 - ٤ الجسرة : الناقة الشديدة . الشوس : الأبطال .
 - ٥ الصادية : العطشى . غضي : لا ندري ماذا أراد بها ولعلها محرفة . الآل : السراب . الشعرى العبور : نجمة .
 - ٦ الخريت : الدليل الخاذق .
 - ٧ الهجير : شدة الحر .
 - ٨ الدبور : الريح الغربية .

خَبَرْتُ مَرَامِي أَرْضِهَا فَقَسَلْتُهَا ،
بِخُطْوَةٍ مِرْقَالٍ أُمُونٍ عِثَارُهَا ،
أَلَدْتُ مِنَ الْأَنْغَامِ رَجْعُ بَغَامِهَا ،
نُسَاهِمُ شَطَرَ الْعَيْشِ عَيْسًا سَوَاهِمًا
حُرُوفًا كُنُونَاتِ الصَّحَائِفِ أَصْبَحْتُ
إِذَا نُظِمَتْ نَظْمَ الْقَلَائِدِ فِي الْبُرَى
طَوَاهَا طَوَاهَا ، فَاعْتَدْتُ وَبَطُونُهَا
يُعَبِّرُ عَنْ فَرَطِ الْحَنِينِ أَتَيْنُهَا ،
تَسِيرُ بِهَا نَحْوَ الْحِجَازِ وَقَصْدُهَا
فَلَمَّا تَرَامَتْ عَنْ زُرُودٍ وَرَمَلِهَا ،
وَصَدَّتْ يَمِينًا عَنْ شُمَيْطٍ وَجَاوَزَتْ
وَعَاجَ بِهَا عَنْ رَمَلٍ عَاجٍ دَلِيلُهَا ،
غَدَّتْ تَتَقَاضَا نَا الْمَسِيرِ لِأَنْهَا
تَرُضُ الْحَصَى شَوْقًا لِمَنْ سَبَّحَ الْحَصَى

١ المرقال : الناقة السريعة .

٢ العيس : النياق . السواهم : الضواهم . السرى : السير في الليل .

٣ الحروف : النياق الضامرة .

٤ البرى ، الواحدة برة : الحلقة توضع في أنف الناقة .

٥ طواها : أهرها . طواها الثانية : جوعها . وقوله : ظفورها ، لعله مأخوذ من أظفار الثوب ، وهو ما تكسر منه فصارت فيه غضون ، فيكون المعنى غضون جلدها هزأها .

٦ القور : الجبال الصغيرة ، الواحدة قارة .

٧ شमित : موضع . قطن : جبل .

إلى خَيْرِ مَبْعُوثٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ ،
وَمَنْ أَحْمَدَتْ مَعَ وَضْعِهِ نَارُ فَارِسٍ ،
وَمَنْ نَطَقَتْ تَوْرَاهُ مُوسَى بِفَضْلِهِ ،
وَمَنْ بَشَّرَ اللَّهُ الْأَنَامَ بِأَنَّهُ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ بِأَسْرِهَا ،
أَيَا آيَةِ اللَّهِ الَّتِي مَذُ تَبَلَّجَتْ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا خَيْرَ شَافِعٍ ،
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا مَنْ تَشَرَّفَتْ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا مَنْ تَعَبَّدَتْ
تَشَرَّفَتْ الْأَقْدَامُ لَمَّا تَتَابَعَتْ
وَفَاخَرَتْ الْأَفْوَاهُ نَوْرَ عِيُونِنَا
فَضَائِلُ رَامَتِهَا الرُّؤُوسُ ، فَقَصَّصَتْ ،
وَلَوْ وَفَّتِ الْوَفَادُ قَدْرَكَ حَقَّهُ
لَأَتَكَ سِرُّ اللَّهِ الْأَيْدِ الَّتِي
مَدِينَةُ عِلْمٍ وَابْنُ عَمِّكَ بَابُهَا ،
شَمُوسُ لَكُمْ فِي الْغَرْبِ رُدَّتْ شَمُوسُهَا ؛
جِبَالٌ ، إِذَا مَا الْهَضْبُ دُكَّتْ جِبَالُهَا ؛
إِلَى خَيْرِ مَعْبُودٍ دَعَاها بِشِيرُهَا
وَزُلْزِلَ مِنْهَا عَرْشُهَا وَسَرِيرُهَا
وَجَاءَ بِهِ إِنْجِيلُهَا وَزَبُورُهَا
مُبَشِّرُهَا عَنْ إِذْنِهِ ، وَنَذِيرُهَا
وَأَوَّلُهَا فِي الْفَضْلِ ، وَهُوَ آخِرُهَا
عَلَى خَلْقِهِ أَخْفَى الضَّلَالِ ظُهُورُهَا
إِلَى أُمَّةٍ لَوْلَاهُ دَامَ غُرُورُهَا
إِذَا النَّارُ ضَمَّتْ الْكَافِرِينَ حَصِيرُهَا
بِهِ الْإِنْسُ طُرّاً وَاسْتَقَمَّ سُرُورُهَا
لَهُ الْجَنُّ ، وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ أُمُورُهَا
إِلَيْكَ خَطَايَا ، وَاسْتَمَرَ مَرِيرُهَا
بِتُرْبِكَ ، لَمَّا قَبَلَتْهُ ثُغُورُهَا
أَلَمْ تَرَ لِلتَّقْصِيرِ جُزْتَ شُعُورُهَا
لَكَانَ عَلَى الْأَحْدَاقِ مِنْهَا مَسِيرُهَا
تَجَلَّتْ ، فَجَلَّتْ ظُلْمَةُ الشُّكِّ نَوْرُهَا
فَمِنْ غَيْرِ ذَلِكَ الْبَابِ لَمْ يَبُوءْ سُورُهَا
بِدُورٍ لَكُمْ فِي الشَّرْقِ شَقَّتْ بِدُورُهَا
بِحَارٌ ، إِذَا مَا الْأَرْضُ غَارَتْ بِحُورُهَا

١ قوله : الايد ، هكذا في الأصل ، والشر مختل الوزن . ولعله أراد بها النعم .

فَالْكَ خَيْرُ الْآلِ وَالْعِزَّةُ الَّتِي
 إِذَا جُولِسْتَ لِلْبَدَلِ ذُلَّ نِظَارُهَا ؛
 وَصَحْبُكَ خَيْرُ الصَّحْبِ وَالْغُرُرُ الَّتِي
 كُفَاةٌ ، حُمَاةٌ فِي الْقِرَاعِ وَفِي الْقِرَى ،
 أَيَا صَادِقَ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَدَّتْني
 بَعَثْتُ الْأَمَانِي عَاطِلَاتٍ لَتَبْتَغِي
 وَأَرْسَلْتُ آمَالًا خِمَاصًا بَطُونُهَا
 إِلَيْكَ ، رَسُولَ اللَّهِ ، أَشْكُو جَرَائِمًا
 كَبَائِرُ لَوْ تَبَلَى الْجِبَالُ بِحَمَلِهَا ،
 وَغَالِبُ ظَنِّي بَلْ يَتَّقِينِي أَنَّهَا
 لِأَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ تَخْفَرُ بِالْعَصَا ،
 فَكَيْفَ بَمَنْ فِي كَفِّهِ أَوْرَقَ الْعَصَا
 وَبَيْنَ يَدَي نَجْوَايَ قَدَمْتُ مَدْحَةً ،
 يُرَوِّي غَلِيلَ السَّامِعِينَ قُطَارُهَا ،
 هِيَ الرَّاحُ لَكِنْ بِالْمَسَامِعِ رَشْفُهَا ،
 وَأَحْسَنُ شَيْءٍ أَتَنِي قَدْ جَلَوْتُهَا
 تَرُومُ بِهَا نَفْسِي الْجَزَاءَ ، فَكُنْ لَهَا

مَحَبَّتُهَا نُعْمَى قَلِيلٌ شَكُورُهَا
 وَإِنْ سُوْجِلْتَ فِي الْفَضْلِ عَزَّ نَظِيرُهَا
 بِهَا أَمِنْتُ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ تُغَوِّرُهَا
 إِذَا شَطَّ قَارِيهَا وَطَاشَ وَقُورُهَا
 بِيُشْرَى ، فَلَا أَخْشَى ، وَأَنْتَ بِشِيرُهَا
 نَدَاكَ ، فَجَاءَتْ حَالِيَاتٍ نُحُورُهَا
 إِلَيْكَ ، فَعَادَتْ مُثْقَلَاتٍ ظُهُورُهَا
 يُوَازِي الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ صَغِيرُهَا
 لَدُكَّتْ ، وَنَادَى بِالشُّبُورِ ثَبِيرُهَا^١
 سَتُمَحْيَ ، وَإِنْ جَلَّتْ ، وَأَنْتَ سَفِيرُهَا
 وَتَحْمِي ، إِذَا مَا أَمَّتْهَا مُسْتَجِيرُهَا
 تُضَامُ بِي الْأَمَالُ ، وَهُوَ خَفِيرُهَا
 قَضَى خَاطِرِي أَلَا نُجِيبَ خَطِيرُهَا^٢
 وَيَجْلُو عِيُونَ النَّاطِرِينَ قَطُورُهَا
 عَلَى أَنَّهُ تَفْنَى وَيَبْقَى سُرُورُهَا
 عَلَيْكَ ، وَأَمْلَاكَ السَّمَاءِ حُضُورُهَا
 مُجِيزًا بِأَنْ تُمَسِّي وَأَنْتَ مُجِيرُهَا

١ ثبير : اسم جبل .

٢ قوله : أَلَا نُجِيبَ خَطِيرُهَا ، هكذا في الأصل ، وفي البيت إقواء وغموض .

فلا بن زهيرٍ قد أُجِزَتْ بِسُرْدَةٍ
أَجِرْنِي، أَجِرْنِي، واجزني أجرَ مدحتي ،
فَقَابِلٌ ثَنَاهَا بِالْقَبُولِ ، فَإِنَّهَا
وإن زانها تطويلها واطرادها ،
إذا ما القوافي لم تُحِطْ بِصِفَاتِكُمْ ،
بمدحك تمت حجتِي ، وهي حجتِي
أَقْصُ بِشِعْرِي لَأَثَرَ فَضْلِكَ وَاصِفًا
وَأَسْهَرُ فِي نَظْمِ الْقَوَافِي ، وَلَمْ أَقُلْ :
عَلَيْكَ ، فَأَثَرِي مِنْ ذُوهِهِ فَقِيرُهَا^١
بِبَرْدٍ ، إِذَا مَا النَّارُ شَبَّ سَعِيرُهَا
عَرَّائِسُ فِكْرِ ، وَالْقَبُولُ مُهَوْرُهَا
فقد شانها تقصيرها وقصورها
فَسَيَّانٍ مِنْهَا جَمُّهَا وَيَسِيرُهَا
عَلَى عَصْبَةٍ يَطْعَى عَلَيَّ فُجُورُهَا
عَلَّاكَ إِذَا مَا النَّاسُ قُصَّتْ شَعُورُهَا
خَلِيلِي هَلْ مِنْ رَقْدَةٍ أُسْتَعِيرُهَا

أخذ الاله لك العهود

قال يمدحه صلى الله عليه وسلم في
ليلة مولده الشريف ويذكر بعض
مناقبه :

خَمِدَتْ لِفَضْلِ وَلَدِكَ النَّبْرَانُ ،
وَتَزَلْزَلَ النَّادِي ، وَأَوْجَسَ خِيفَةً
فَتَأَوَّلَ الرُّوْيَا (سَطِيحٌ) وَبَشَّرَتْ
وَانشَقَّ مِنْ فَرَحٍ بَكَ (الْإِيوَانُ)
مِنْ هَوْلٍ رَوَّاهُ (أَنْوَشِرَوَانُ)
بظهورك الرهبان والكهَّانُ

١ ابن زهير : هو كعب بن زهير ، خلق عليه النبي برده حينما مدحه بقصيدة مشهورة .

وعليك (إرميا) و(شعيا) أثنيا ،
 بفضائل شهدت بهن السحب والـ
 فوضعت لله المهيمين ساجداً ،
 متكتملاً لم تنقطع لك سرّة
 فرأت قصور الشام (آمنة) ، وقد
 وأنت (حليمة) وهي تنظر في ابنها
 وغدا ابن ذي يزن ببعثك مؤمناً
 شرح الإله الصدر منك لأربع ،
 وحبيت في خمس بظل غمامة
 ومررت في سبع بدير فأنحنى
 وكذلك في خمس وعشرين انثنى
 حتى كملت الأربعين ، وأشرق
 فرمت رجوم النيرات رجمها ،
 والأرض فاحت بالسلام عليك ، والـ
 وأنت مفاتيح الكنوز بأسرها ،
 ونظرت خلفك كالإمام بخاتم
 وغدت لك الأرض البسيطة مسجداً ،
 ونصرت بالرعب الشديد على العدى ،

وهما و(حزقيل) لفضلك دانوا
 توراة والإنجيل والفرقان
 واستبشرت بظهورك الأكوان
 شرفاً ، ولم يطلق عليك ختان
 وضعتك لا تخفى لها أركان
 سراً تحار لوصفه الأذهان
 سراً ليشهد جدك الديان
 فرأى الملائك حولك الإخوان
 لك في الهواجر جرمها صيوان
 منه الجدار ، وأسلم المطران
 نسطور منك ، وقلبه ملآن
 شمس النبوة ، وانجلي التبيان
 وتساقطت من خوفك الأوثان
 أشجار ، والأحجار ، والكثبان
 فنهاك عنها الزهد والعرفان
 أضحت لديه الشك ، وهو عيان
 فالكل منها للصلاة مكان
 ولك الملائك في الوعى أعوان

١ الرجيم : أي الشيطان الرجيم .

وَسَعَى إِلَيْكَ فِي سَلَامٍ مُسَلِّمًا
وَعَدْتَ تَكَلِّمَكَ الْأَبَاعِرُ وَالطُّبَا ،
وَالْجِزْعُ حَنْ إِلَى عِلَاكَ مُسَلِّمًا ،
وَهَوَى إِلَيْكَ الْعِدْقُ ثُمَّ رَدَدْتَهُ
وَالدَّوْحَتَانِ ، وَقَدْ دَعَوْتَ ، فَأَقْبَلَا
وَشَكَا إِلَيْكَ الْجَيْشُ مِنْ ظَمَلٍ بِهِ ،
وَرَدَدْتَ عَيْنَ قَتَادَةٍ مِنْ بَعْدِ مَا
وَحَكَّى ذِرَاعُ الشَّاةِ مُودَعَ سُمِّهِ ،
وَعَرَجَتْ فِي ظَهْرِ الْبَرَاقِ مُجَاوِزًا
وَالْبَدْرُ شَقَّ وَأَشْرَقَتْ شَمْسُ الضُّحَى
وَفَضِيلَةُ شَهِيدِ الْأَنَامِ بِحَقِّهَا ،
فِي الْأَرْضِ ظِلُّ اللَّهِ كُنْتَ ، وَلَمْ يَلُحْ
نُسَخَتْ بِمَظْهَرِكَ الْمَظَاهِرُ ، بَعْدَ مَا
وَعَلَى نُبُوتِكَ الْمُعَظَّمِ قَدْرُهَا ،
وَبِكَ اسْتَغَاثَ الْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ ،
أَخَذَ إِلَهُ لَكَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ ،
وَبِكَ اسْتَغَاثَ اللَّهُ آدَمَ عِنْدَ مَا
وَبِكَ التَّجَا نُوحٌ وَقَدْ مَاجَتْ بِهِ

طَوْعًا ، وَجَاءَ مُسَلِّمًا سَلَامًا
وَالضُّبُّ وَالشُّعْبَانُ وَالسُّرْحَانُ
وَيَسْطُرُ كَفَّكَ سَبَّحَ الصَّوَانُ
فِي نَخْلَةٍ تَزْهِي بِهِ وَتُزَانُ
حَتَّى تَلَاقَتْ مِنْهُمَا الْأَغْصَانُ
فَتَفَجَّرَتْ بِالْمَاءِ مِنْكَ بَنَانُ
ذَهَبَتْ ، فَلَمْ يَنْظُرْ بِهَا إِنْسَانُ
حَتَّى كَانَ الْمَضْوَى مِنْهُ لِسَانُ
سَبَّحَ الطُّبَايَا كَمَا يَشَا الرَّحْمَانُ
بَعْدَ الْغُرُوبِ ، وَمَا بِهَا نَقْصَانُ
لَا يَسْتَطِيعُ جُحُودَهَا إِنْسَانُ
فِي الشَّمْسِ ظِلُّكَ إِنَّ حَوَاكَ مَكَانُ
نُسِخَتْ بِمِلَّةٍ دِينِكَ الْأَدْيَانُ
قَامَ الدَّلِيلُ ، وَأَوْضَحَ الْبُرْهَانُ
عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، رَبَّهُمْ لِيُعَانُوا
مِنْ قَبْلِ مَا سَمَحْتَ بِكَ الْأَزْمَانُ
نُسِبَ الْخِلَافُ إِلَيْهِ وَالْعِصْيَانُ
دُسِّرُ السَّفِينَةِ ، إِذْ طَغَى الطُّوفَانُ ١

١ دسر السفينة : ألواحها .

وبك اغتدى أيوبُ يسألُ رَبَّهُ
 وبك الخليلُ دَعَا الإلهَ ، فلم يخفُ
 وبك اغتدى في السَّجْنِ يوسفُ سائِلاً
 وبك الكليمُ غداةَ خاطَبَ رَبَّهُ
 وبك المسيحُ دَعَا ، فأحيا رَبَّهُ
 وبك استَبَانَ الحقُّ بعدَ خَفَائِهِ ،
 ولو أنني وقَّيتُ وصفَكَ حقَّه ،
 فعليك من رَبِّ السَّلامِ سلامُهُ ،
 وعلى صِراطِ الحقِّ آلُكَ كلُّما
 وعلى ابنِ عمِّكَ وارِثِ العِلْمِ الذي
 وأخيك في يَوْمِ الغَدِيرِ ، وقد بدا
 وعلى صحابَتِكَ الذينَ تَتَّبَعُوا
 وشَرَوْا بِسَعْيِهِمُ الجَنَانَ ، وقد درَّوا
 يا خاتَمَ الرِّسْلِ الكِرَامِ وفاتِحِ
 أشكُو إليك ذنوبَ نفسٍ هَفَوُها
 فاشفَعْ لعبْدٍ شانهُ عِصْيَانُهُ ،
 فلكَ الشِّفَاعَةُ في مُحِبِّيكُمْ ، إذا
 فلقد تَعَرَّضَ للإِجَازَةِ طامِعاً

كَشَفَ البَلَاءِ فزالَتِ الأَحْزَانُ
 (نَمْرودَ) إذْ شُبَّتْ لَهُ النِّيرانُ
 رَبَّ العِبَادِ ، وَقَلْبُهُ حَيْرَانُ
 سَأَلَ القَبُولَ ، فَعَمَّهُ الإِحْسَانُ
 مَيِّتاً ، وَقَدْ بَلَّيْتَ بِهِ الأَكْفَانُ
 حَتَّى أَطَاعَكَ إِنْسُهَا والجَانُ
 فَنَيَّ الكَلَامُ وَضَاقَتِ الأَوْزَانُ
 وَالْفَضْلُ وَالْبَرَكَاتُ وَالرِّضْوَانُ
 هَبَّ النِّسِيمُ ، وَمَالَتِ الأَغْصَانُ
 ذَلَّتْ لِسَطْوَةِ بَاسِهِ الشَّجَعَانُ
 نُورُ الهُدَى وَتَأَخَّتِ الأَقْرَانُ
 طَرُقَ الهُدَى ، فَهَدَاهُمُ الرَّحْمَانُ
 أَنْ النِّفُوسَ لَبَّيْعِهَا أَثْمَانُ
 نَعَمَ الجِسامِ ، وَمَنْ لَهُ الإِحْسَانُ
 طَبَعَ عَلَيْهِ رُكْبَ الإنسانِ
 إِنَّ العَبِيدَ يَشِينُهَا العِصْيَانُ
 نُصِبَ الصِّرَاطُ ، وَعُلِقَ المِيزَانُ
 فِي أَنْ يَكُونَ جِزَاءَهُ الغُفْرَانُ

فضل به زينة الدنيا

وقال فيه أيضاً صل الله عليه وسلم :

فَيَرُوزُجُ الصَّبَحِ أَمْ يَاقُوْتَةُ الشَّفَقِ ،
 أَمْ صَارِمُ الشَّرْقِ لِمَا لَاحَ مُخْتَضِباً ،
 وَمَالَتِ الْقُضْبُ ، لِإِذْ مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا ،
 وَالغَيْمُ قَدْ نُشِرَتْ فِي الْجَوِّ بُرْدَتُهُ
 وَالسَّحْبُ تَبْكِي ، وَتَغْرُ الْبَرَّ مُبْتَسِمٌ ،
 فَالطَّيْرُ فِي طَرْبٍ ، وَالسَّحْبُ فِي حَرْبٍ ،
 وَعَارِضُ الْأَرْضِ بِالْأَنْوَارِ مُكْتَمِلٌ ،
 وَكَلَّلَ الطَّلُّ أَوْرَاقَ الْغُصُونِ ضُحَى
 وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَجْعَ مَنْطِقِهِ ،
 وَالظَّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدُّوْحِ خُطُوْتَهُ ،
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرّاً مَبَاسِمُهُ ،
 مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ ، أَوْ أَخْضَرٍ نَضِيرٍ ،

بَدَتْ فَهَيَّجَتِ الْوَرَقَاءَ فِي الْوَرَقِ ١
 كَمَا بَدَأَ السَّيْفُ مُحَمَّرًا مِنَ الْعَلَقِ
 سَكَرَى كَمَا نُبَّهَ الْوَسَّانُ مِنْ أَرْقِ
 سِرّاً تُمَدُّ حَوَاشِيهِ عَلَى الْأَفْقِ
 وَالطَّيْرُ تَسْجَعُ مِنْ تِيهِ وَمَنْ شَبَقِ ٢
 وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ ، وَالْغُصْنُ فِي قَلَقِ ٣
 قَدْ ظَلَّ يَشْكُرُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْغَدِيقِ ٤
 كَمَا تَكَلَّلَ خَدُّ الْخُودِ بِالْعَرَقِ
 مَا بَيْنَ مُخْتَلِفٍ مِنْهُ وَمُتَّفِقِ
 وَلِلْمِيَاهِ دَبِيبٌ غَيْرُ مُسْتَرْقِ ٥
 وَالنَّرْجِسُ الْغَضُّ فِيهَا شَاخِصُ الْحَدِيقِ
 أَوْ أَصْفَرٍ فَاقِعٍ ، أَوْ أَيْضٍ يَفْقِ

١ الفيروزج : حجر كريم .

٢ الشبق : اشتداد الشهوة الفاسدة .

٣ الحرب : اللعاب بالويل ، وشدة الفيض .

٤ عارض الأرض : صفحة خدها . الأنوار : الأزهار . الصوب : المطر . العارض : السحاب .
 الفندق : المطر .

٥ الدوح : الشجر الكبير .

وفاحٍ مِنْ أَرْجِ الْأَزْهَارِ مُتَشِيرًا
 كَأَن ذَكَرَ رَسُولِ اللَّهِ مَرَّ بِهَا ،
 مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الَّذِي اعْتَصَمَتْ
 وَمَنْ لَهُ أَخَذَ اللَّهُ الْعَهْدَ عَلَى
 وَمَنْ رَقِيَ فِي الطَّبَاقِ السَّعِيدِ مَنَزِلَةً ،
 وَمَنْ دَنَا فَتَدَلَّى نَحْوَ خَالِقِهِ ،
 وَمَنْ يُقْصَرُ مَدْحُ الْمَادِحِينَ لَهُ
 وَيُعَوِّزُ الْفِكْرُ فِيهِ إِنْ أُريدَ لَهُ
 عَلَاً مَدَحَ اللَّهِ الْعَلِيِّ بِهَا
 يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ بَعَثًا ، وَهِيَ أَوَّلُهَا
 جَمَعَتْ كُلَّ نَفْسٍ مِنْ فَضَائِلِهِمْ ،
 وَجَاءَ فِي مُحْكَمِ التَّوْرَةِ ذِكْرُكَ وَالْإِ
 وَخَصَّكَ اللَّهُ بِالْفَضْلِ الَّذِي شَهِدَتْ
 فَالْخَلْقُ تَقْسِيمُ بِاسْمِ اللَّهِ مُخْلِصَةً ،
 عَمَّتْ أَبَادِيكَ كُلَّ الْكَائِنَاتِ ، وَقَدْ
 جُودٌ تَكَفَّلَتْ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ بِهِ ،
 لَوْ أَنَّ جُودَكَ لِلطُّوفَانِ حِينَ طَمَتْ

نَشْرُ تَعَطَّرَ مِنْهُ كُلُّ مُتَشَقِّ
 فَأَكْسَبَتْ أَرْجَاً مِنْ نَشْرِهِ الْعَبْقِ
 بِهِ الْوَرَى ، فَهَدَاهُمْ أَوْضَحَ الطَّرْقِ
 كُلَّ النَّبِيِّينَ مِنْ بَادٍ وَمُلْتَحَقِ
 مَا كَانَ قَطُّ إِلَيْهَا قَبْلَ ذَلِكَ رَقِيَ
 كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى إِلَى الْعُنُقِ
 عَجْزًا وَيَخْرَسُ رَبُّ الْمَنْطِقِ الذَّلَقِ
 وَصَفٌ ، وَيَقْضَلُ مَرَّاهُ عَنِ الْحَدَقِ
 فَقَالَ إِنَّكَ فِي كُلِّ عَلَى خَلْقٍ
 فَضْلًا ، وَفَاتَرُهَا بِالسَّبْقِ وَالسَّبْقِ
 مِنْ كُلِّ مُجْتَمِعٍ مِنْهَا وَمُفْتَرِقِ
 إِنْجِيلِ وَالصَّحُفِ الْأُولَى عَلَى نَسَقِ
 بِهِ ، لَعَمْرُكَ ، فِي الْفُرْقَانِ مِنْ طَرُقِ
 وَبِاسْمِكَ أَقْسَمَ رَبُّ الْعَرْشِ لِلصَّدَقِ
 خُصَّ الْأَنَامُ بِجُودِ مِنْكَ مُنْدَقِ
 فَنَابَ فِيهِمْ مَنَابَ الْعَارِضِ الْغَدَقِ
 أَمَاجُهُ مَا نَجَا (نوح) مِنَ الْغَرَقِ

١ هذا البيت مختل الوزن غامض المعنى .

٢ عجز هذا البيت مختل الوزن .

لو أن آدمَ في خلدٍ خُصِصَتْ بهِ ،
لو أن عزمَكَ في نارِ الحليلِ ، وقد
لو أن بأسَكَ في موسى الكليمِ ، وقد
لو أن تَبَعَ في محلِّ البلادِ دعا
لو آمنتَ بك كلُّ الناسِ مُخلِصةً ،
لو أن عبداً أطاعَ اللهَ ثم أتى
لو خالفتَكَ كُماةُ الحينِ عاصيةً
لو تُودِعُ البيضُ عزمًا تَسْتَضِيءُ بهِ
لو تَجْعَلُ النِّقْعُ يومَ الحربِ متصلاً
مَهَّدْتَ أَقْطَارَ أرضِ اللهِ ، مُنْفَتِحاً
فالحَرْبُ في لُذْذِ ، والشَّرْكُ في عَوْذِ ،
فَظِلُّ بهِ زِينَةُ الدُّنْيَا ، فَكَانَ لها
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا طَلَعَتْ
وَأَلَيْكَ الْغُرَرِ اللَّاتِي بِهَا عُرِفَتْ
وصحبِكَ الثَّجِبِ الصَّيْدِ الَّذِينَ جَرَوْا
قومٌ متى أَضْمَرَتْ نَفْسٌ أَمْرِي طَرَفًا
ماذا تقولُ ، إِذَا رُمْنَا الْمَدِيحَ ، وَقَدْ

لَكَانَ مِنْ شَرِّ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ وَوَقِي
مُسْتَهْ ، لَمْ يَنْجُ مِنْهَا غَيْرَ مُحْتَرِقِ
نُوجِي ، لَمَّا خَرَّ يَوْمَ الطُّورِ مُنْصَعِقِ
لِلَّهِ بِاسْمِكَ ، وَاسْتَسْقَى الْحَيَا لِسْقِي
لَمْ يُخْشَ فِي الْبَعْثِ مِنْ بَخْسٍ وَلَا رَهَقِ
يُبْغِضُكُمْ ، كَانَ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرَ تَقِي
أَرْكَبَتْهُمْ طَبَقًا فِي الْأَرْضِ عَنْ طَبَقِ
لَمْ يُغْنِ مِنْهَا صِلَابُ الْبَيْضِ وَالْدَّرَقِ
بِاللَّيْلِ ، مَا كَشَفَتْهُ غُرَّةُ الْفَلَقِ
بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ مِنْهَا ، كُلُّ مُنْغَلِقِ
وَالدِّينُ فِي نَشْرِ ، وَالْكُفْرُ فِي نَفَقِ
كَالتَّاجِ لِلرَّأْسِ ، أَوْ كَالطُّوقِ لِلْعُنُقِ
شَمْسُ النَّهَارِ وَلَا حَتُّ أَنْجَمُ الْغَسَقِ
سُبُلُ الرَّشَادِ فَكَانَتْ مُهْتَدَى الْغُرُقِ
إِلَى الْمَنَاقِبِ مِنْ تَالٍ وَمُسْتَبِقِ
مِنْ بُغْضِهِمْ كَانَ مِنْ بَعْدِ النِّعَمِ شَقِي
شَرَفْتَنَا بِمَدِيحِ مِنْكَ مُتَّفِقِ

١ اللذ : لعله جمع لذة . العوذ : الملجأ . النشز : المكان المرتفع . النفق : سرب في الأرض له مخرج إلى مكان معهود .

إن قلتَ في الشعرِ حكمٌ ، والبيانُ بهِ
 فكنتَ بالمدحِ والإنعامِ مُبتدئاً ،
 فلا أُخلُّ بعذرٍ عن مديحكُمُ ،
 فسوفَ أصفيكَ محضَ المدحِ مجتهداً ،
 سحرٌ ، فرغبتَ فيهِ كلَّ ذي فرقٍ
 فلو أردنا جزاءَ البعضِ لم نُنطقِ
 ما دامَ فيكيري لم يرتج ولم يُعقِ
 فالخلقُ تَفنى ، وهذا إن فَنيتُ بقي

بكم يهتدي

وقال فيه صل الله عليه وسلم وهو
 بالمدينة الشريفة وهي لزوم ما لا يلزم :

بكم يهتدي ، يا نبيَّ الهدى ،
 بهِ يتكسبُ الأجرَ في بعثه ،
 وقد أمَّ نَحْوَكَ مُستشفِعاً
 سَلَّ اللهَ يَجْعَلُ له مخرجاً ،
 وليُّ إلى حُبِّكُمُ يَتَسَبَّبُ
 وَيَخْلُصُ من هولِ ما يكتسبُ
 إلى اللهِ ، ممَّا إليه نُسِبُ
 ويرزُقُه من حيثُ لا يَحْتَسِبُ

عِرة المختار

وقال في آله عليهم السلام :

يا عِرةَ المختارِ يا مَنْ بهِمُ يَقْوزُ عَبْدٌ يَتَوَلَّاهُمْ
أَعْرِفُ فِي الْحَشْرِ حُبِّي لَكُمْ، إِذْ يُعْرِفُ النَّاسُ بِسِيَمَاهُمْ

أتى الله بقلب سليم

وقال فيهم عليهم السلام :

يا عِرةَ المختارِ يا مَنْ بهِمُ أَرْجُو نَجَاتِي مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
حَدِيثُ حُبِّي لَكُمْ سَائِرٌ، وَسِرُّ وَدَّيْ فِي هَوَاكُم مُقِيمٌ
قَدْ فُزْتُ كُلَّ الْفَوْزِ إِذْ لَمْ يَزَلْ صِرَاطُ دِينِي بِكُمْ مُسْتَقِيمٌ
فَمَنْ أَتَى اللَّهَ بِعِرْفَانِكُمْ (فَقَدْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

سر النبي

وقال يمدح أخاه وابن عمه علياً
عليه السلام وقد سمع قول ابن عباس :
جئت في علي أمداد لم تجع في بشر
قط ، ثم ذكر تفصيلها :

جُمِعَتْ في صِفَاتِكَ الأَضْدَادُ ،	فلهَذَا عَزَتْ لَكَ الأَنْدَادُ
زَاهِدٌ ، حَاكِمٌ ، حَلِيمٌ ، شُجَاعٌ ،	نَاسِكٌ ، فَاتِكٌ ، فَقِيرٌ ، جَوَادٌ
شَيْمٌ مَا جُمِعْنَ فِي بَشَرٍ قَطَ ،	وَلَا حَازَ مِثْلَهُنَّ الْعِبَادُ
خُلِقَ يُخْجِلُ النَّسِيمَ مِنَ الْعَطْفِ ،	وَبَأْسٌ يَذُوبُ مِنْهُ الْجَبَادُ
فلهَذَا تَعَمَّقَتْ فِيكَ أَقْوَامٌ	بِأَقْوَاهُمْ ، فزَانُوا وَزَادُوا
وَغَلَّتْ فِي صِفَاتِ فَضْلِكَ (يَاسِينَ)	و (صَادٌ) وَآلُ سِينَ وَصَادُ
ظَهَرَتْ مِنْكَ لِلْوَرَى مُعْجَزَاتٌ ،	فَأَقَرَّتْ بِفَضْلِكَ الْحُسَادُ
إِنْ يَكْذِبُ بِهَا عِدَاكَ فَقَدْ كَذَبَ	بَ مِنْ قَبْلُ قَوْمُ لُوطٍ وَعَادُ
أَنْتَ سِرُّ النَّبِيِّ ، وَالصَّنَوُ ، وَابْنُ الْ	حَمِّ ، وَالصَّهْرُ ، وَالْأَخُ الْمُسْتَجَادُ
لَوْ رَأَى غَيْرَكَ النَّبِيُّ لِأَخَاهُ ،	وَالْأَخْطَا الْإِتِّقَادُ
بِكُمْ بِأَهْلٍ النَّبِيُّ وَلَمْ يُلْ	فَ لَكُمْ خَامِساً سِوَاهُ يُزَادُ
كَنتَ نَفْساً لَهُ ، وَعَرْسُكَ وَابْنَاكَ	لَدَيْهِ النِّسَاءُ وَالْأَوْلَادُ
جَلَّ مَعْنَاكَ أَنْ يُحِيطَ بِهِ الشَّعْرُ ،	وَتُحْصَى صِفَاتِهِ النُّقَادُ

١ باهل : لامن ، ولله أراد أنه لامن أمداده .

لَئِنَّمَا اللَّهُ عَنْكُمْ أَذْهَبَ الرَّجْسَ ، فَرُدَّتْ بِغَيْظِهَا الْاِحْتِدَادُ^١
ذَلِكَ مَدْحُ الْإِلَهِ فِيكُمْ ، فَإِنْ فَهَتْ بِمَدْحٍ ، فَذَلِكَ قَوْلٌ مُعَادُ

امير المؤمنين

وقال فيه عليه السلام :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَاكَ إِمَّا ذَكَرْتُكَ عِنْدَ ذِي حَسْبٍ صَغَا لِي
وَلِنْ كَرَّرْتُ ذِكْرَكَ عِنْدَ نَخْلٍ تَكَدَّرَ سِرُّهُ ، وَبَغَى قِتَالِي
فَصِرْتُ إِذَا شَكَّكَتُ بِأَصْلِ مَرَّةٍ ذَكَرْتُكَ بِالْحَمِيلِ مِنَ الْمَقَالِ
قَلَيْسَ يُطَبِّقُ سَمْعَ ثَنَّاكَ إِلَّا كَرِيمُ الْأَصْلِ مَحْمُودُ الْخِلَالِ
فَهِيَ أَنَا قَدْ خَبَّرْتُ بِكَ الْبَرَايَا ، فَأَنْتَ مَحْكٌ أَوْلَادِ الْحِلَالِ

١ قوله : الاحتداد ، هكذا في الأصل ، ولعلها محرفة عن الأحقاد ، والحد الغيظ الثابت في القلب ،
أو عن الأحداد ، الواحد حد ، وهو من الإنسان بأسه وما يمر به من الغضب .

شاهد عقل المرء

وقال فيه عليه السلام :

فوالله ما اختارَ الإلهُ مُحَمَّدًا حَبِيبًا ، وبينَ العالمينَ لهُ مثلُ
كذلكَ ما اختارَ النبيُّ لِنَفْسِهِ عَلِيًّا وصِيًّا ، وهوَ لابنته بِعَلُ
وصيرَهُ دونَ الأنعامِ أخًا لَهُ ، وصنوا ، وفيهم مَنْ له دونه الفضلُ
وشاهدُ عقلِ المرءِ حُسْنُ اختيارِهِ ، فما حالُ من يَخْتارُهُ اللهُ والرُّسلُ

توال علياً

وقال فيه عليه السلام :

تَوالَ عَلِيًّا وأبناءَهُ ، تَفَزُّ في المَعادِ وأهوالِهِ
إمامٌ لَهُ عِقدُ يومِ الغَدِيرِ ، بَنَصَ النبيِّ وأقوالِهِ
لَهُ في التَّشَهُدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ مَقَامٌ يُخَبِّرُ عَن حالِهِ
فَهَلْ بَعْدَ ذِكْرِ إلهِ السَّماءِ ، وَذِكْرِ النبيِّ سِوَى آلِهِ

ولائي لآل المصطفى

وقال يبرئ نفسه من الغرض
المستلزم لبغض غيرهم :

ولائي لآلِ المُصْطَفَى عِقدُ مَدَهَبِي ، وَقَلْبِي مِنْ حَبِّ الصَّحَابَةِ مُفْعَمُ
وما أَنَا مِمَّنْ يَسْتَجِيزُ بِحُبِّهِمْ مَسَبَّةَ أَقْوَامٍ عَلَيْهِمْ تَقَدَّمُوا
ولَكِنِّي أُعْطِيَ الْفَرِيقَيْنِ حَقَّهُمْ ، وَرَبِّي بِحَالِ الْأَفْضَلِيَّةِ أَعْلَمُ
فَمَنْ شَاءَ تَعْوِيحِي ، فَإِنِّي مُعَوَّجٌ ، وَمَنْ شَاءَ تَقْوِيحِي ، فَإِنِّي مُقَوِّمٌ

الى الفاروق

وقال يملح صحابته رضي الله عنهم :

قِيلَ لِي تَعَشَّقُ الصَّحَابَةَ طُرّاً ، أَمْ تَفَرَّدْتَ مِنْهُمْ بِفَرِيقٍ
فَوَصَفْتُ الْجَمِيعَ وَصفاً إِذَا ضُوءٌ عَ أَزْرَى بِكُلِّ مِسْكٍ سَحِيقٍ^١
قِيلَ هَذِي الصِّفَاتُ ، وَالْكُلُّ كَالدَّرْ ياقِ يَشْفِي مِنْ كُلِّ داءٍ وَثِيقٍ^٢
فإلى مَنْ تَمِيلُ؟ قُلْتُ إِلَى الْأَرْ بَعٍ لَا سِيَّما إِلَى (الْفَارُوقِ)

١ ضوع : نشر .

٢ الدرياق : ضرب من الأدوية .

شر عبيد الاله

وقال أيضاً وقد سأله النقيب تاج
الدين الآوي نقيب نقباء الأشراف
بالمراق إجابة عبد الله بن المعز عن
قصيده البائية التي يتناقص فيها بأهل
البيت عليهم السلام ويهزأ بهم بقول
غير موجه وأولها :

ألا من لعين وتسكاها ، تشكى القذى وبكاها

ومنها :

نحن ورثنا ثياب النبي ، ي فكم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بني بنته ، ولكن بنو العم أولى بها

ومنها :

قتلنا أمة في دارها ، ونحن أحق بأسلاها
إذا ما دنوتم تلقيم ، زبوناً أقرت بجلابها

فنظم ارجحالا يحيه بيتاً فيتأ :

ألا قلْ لشرِّ عبيدِ الإله ، وطاغي قریشٍ وكذّابِها
وباغي العبادِ وباغي العنادِ ، وهاجي الكرامِ ومُغتَابِها
أأنتَ تُفَاخِرُ آلَ النَّبِيِّ ، وتَجحَدُها فَضْلَ أَحسابِها
بِكُمْ باهلِ الْمُصْطَفَى أمْ بِهِمْ ، فردَّ العُدَاةَ بأوصابِها
أَعَنَكُم نَفَى الرَّجَسِ أمْ عَنْهُمْ ، لطْهَرِ النَّفُوسِ وألبابِها

١ الحرب الزبون : الحرب الشديدة

أما الرُّجسُ والخمرُ من دابِكُم ، وفِرطُ العِبَادَةِ مِن دَابِهَا ،
وَقَلْتُ وَرِثْنَا ثِيَابَ النَّبِيِّ ، فَكُمُ تَجْذِبُونَ بِأَهْدَابِهَا ،
وَعِنْدَكَ لَا يُورِثُ الْأَنْبِيَاءُ ، فَكَذَّبْتَ نَفْسَكَ فِي الْحَالَتَيْنِ ،
أَجَدُّكَ يَرْضَى بِمَا قُلْتَهُ ، وَلَمْ تَعْلَمْ الشَّهَدَ مِنْ صَابِهَا ،
وَكَانَ بِصِفَتَيْنِ مِنْ حَزْبِهِمْ ، وَمَا كَانَ يَوْمًا بِمِرْثَابِهَا ،
وَقَدْ شَمَّرَ الْمَوْتُ عَنْ سَاقِهِ ، لِحَرْبِ الطَّغَاةِ وَأَحْزَابِهَا ،
فَأَقْبَلَ يَدْعُو إِلَى حَيْدَرٍ ، وَكَثُرَتْ الْحَرْبُ عَنْ نَابِهَا ،
وَأَثَرَ أَنْ تَرْتَضِيَهُ الْأَنْفَامُ ، بِلِرْغَابِهَا وَبِلِرْهَابِهَا ،
لِيُعْطِيَ الْخِلَافَةَ أَهْلًا لَهَا ، مِنْ الْحَكَمَيْنِ لِأَسْبَابِهَا ،
وَصَلَّى مَعَ النَّاسِ طَوْلَ الْحَيَاةِ ، فَلَمْ يَرْتَضَوْهُ لِإِيحَابِهَا ،
فَهَلَا تَقَمَّصَهَا جَدُّكُمْ ، وَحِيدَرُ فِي صَدْرِ مِحْرَابِهَا ،
لِذَا جُعِلَ الْأَمْرُ شُورَى لَهُمْ ، إِذَا كَانَ ، إِذْ ذَاكَ ، أَحْزَى بِهَا ،
أَخَامِسَهُمْ كَانَ أُمٌ سَادِسًا ، فَهَلْ كَانَ مِنْ بَعْضِ أَرْبَابِهَا ،
وَقَوْلُكَ أَنْتُمْ بَنُو بَشِيرٍ ، وَقَدْ جُلِبَتْ بَيْنَ خُطَابِهَا ،
بَنُو الْبَنَاتِ أَيْضًا بَنُو عَمَةٍ ، (وَلَكِنْ بَنُو الْعَمِّ أَوْلَى بِهَا)
فَدَعَا فِي الْخِلَافَةِ فَصَلَ الْخِلَافِ ، وَذَلِكَ أَدْنَى لِأَنْسَابِهَا ،
وَمَا أَنْتَ وَالْفَحْصَ عَنْ شَانِهَا ، فَلَيْسَتْ ذَلُولًا لِرُكَّابِهَا ،
أَمَّا الرُّجْسُ وَالْخَمْرُ مِنْ دَابِكُمْ ، وَمَا قَمَّصُوكَ بِأَثْوَابِهَا

١ حيدر : اسم الإمام علي .

وما ساوَرَتْكَ سوى ساعةٍ ، فما كنتَ أهلاً لأسبابِها
وكيفَ يَخْصُوكَ يوماً بِها ولمْ تتأدَّبْ بِآدابِها
وقلتَ بأنَّكُمْ القاتِلونَ أسودَ أُميَّةٍ في غابِها
كذبتَ وأسرفتَ فيما ادَّعيتَ ، ولم تنهَ نَفْسِكَ عن عابِها
فكمْ حاولتَها سَراةً لَكُمْ ، فردَّتْ على نَكصِ أعتابِها
ولولا سيوفُ (أبي مُسلمٍ) لتعزَّتْ على جُهدِ طُلابِها
وذلكَ عَبدٌ لهمْ لا لَكُمْ ، رعى فيكمْ قُربَ أنسابِها
وكتُثمُ أسارى يَبتِغِي الحُبوسَ ، وقد شَفَّكُمْ لَثمُ أَعقابِها
فأخَرَجَكُمْ وحبَّاءَكُمْ بِها وقَمَصَكُمْ فَضْلُ جِلابِها
فجازَيتُموهُ بِشَرِّ الجِزاءِ ، لَطَفَوى النَفوسَ وإعجابِها
فدَعِ ذَكَرَ قومَ رَضُوا بالكُفَّافِ ، وجاؤوا الخِلافةَ مِن بابِها
همُ الزَاهِدونَ ، همُ العابِدونَ ، همُ السَّاجِدونَ بِمِحْرابِها
همُ الصَّائِمونَ ، همُ القائِمونَ ، همُ العالمونَ بِآدابِها
همُ قُطْبُ مِلَّةِ دِينِ الإِلَهِ ، ودَوَّرُ الرَّحَى حَوْلَ أَقطابِها
عليكَ بِلَهْوَكَ بالغانياتِ ، وخَلُّ المَعالي لأصحابِها
ووصَفِ العِذارِ وذاتِ الحِمارِ ، ونَعَتِ العُقارِ بِألقابِها
وشِعْرُكَ في مَدحِ تَرَكَ الصَّلَاةِ ، وسَعِيَ السَّقَاةِ بِأكوابِها
فذلكَ شَأْنُكَ لا شَأْنُهُمْ ، وجَرِيُّ الحِيَادِ بِأحسابِها

١ قوله : يَخْصُوكَ ، هكذا في الأصل ، والوجه : يَخْصُونَكَ .

تعب المكارم راحة

يمدح السلطان الملك الناصر ناصر
الدين محمد بن قلاوون بمصر عند قدومه
إليها من الحجاز وقد اقترح عليه أرباب
الدولة معارضة قصيدة المتنبي :

أَسْبَلَنَ مِنْ فَوْقِ النَّهْودِ ذَوَائِبًا ، فَجَعَلَنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا ،
وَجَلَّوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشِيعَةً ، غَادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا ،
بَيْضٌ دَعَاهُنَّ الْغَيُّْ كَوَاعِبًا ، وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدَ قَالَ كَوَاكِبًا ،
وَرَبَائِبٌ ، فَإِذَا رَأَيْتَ نِفَارَهَا مِنْ بَسْطِ أَنْسِكَ خِلْتَهُنَّ رَبَّارِبًا ،
سَفَهَا رَأَيْنَ الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا أَسْبَلَنَ مِنْ ظُلْمِ الشَّعُورِ غِيَاهِبًا ،
وَسَقَرْنَ لِي فَرَأَيْنَ شَخْصًا حَاضِرًا ، شُدِّدَتْ بِصَبْرَتِهِ ، وَقَلْبًا غَائِبًا ،
أَشْرَقْنَ فِي حُلُلٍ كَأَنَّ وَمِضْهًا شَفَقَ تَدَرَّعَهُ الشَّمْسُ جَلَابِبًا ،
وَعَرَبْنَ فِي كِلَلٍ ، فَقُلْتُ لَصَاحِبِي : بِأَبِي الشَّمْسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبًا ،
وَمُعْرِيدِ اللَّحْظَاتِ يَتْنِي عِطْفَهُ ، فَيُخَالُ مِنْ مَرَحِ الشَّيْبَةِ شَارِبًا ،
حُلُوِ التَّعَتُّبِ وَالِدَلَالِ يَرْوَعُهُ عَتْبِي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبًا

-
- ١ الربائب ، الواحدة ربيبة : بنت الزوجة ، امرأة الرجل إذا كان له ولد من غيرها . الربارب ،
الواحد ربرب : القطيع من بقر الوحش .
٢ السفه : الجهل . المانوية : دين فارسي قديم ، يعتقد بإلهين إله الظلمة وإله النور . الغياهب :
الظلمات ، الواحد غيهب .
٣ شددت : دهشت .

عَاتِبَتْهُ ، فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ ،
 فَأَذَابَنِي الْخَدُّ الْكَلِيمُ وَطَرَفُهُ
 ذُو مَنْظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ لِحُسْنِهِ
 لَا يَدْعُ إِنْ وَهَبَ النَّوَاطِرَ حُطُوءَةً
 فَمَوَاهِبُ السُّلْطَانِ قَدْ كَسَتْ الْوَرَى
 النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ
 مَلِكٌ يَرَى تَعَبَ الْمَسَاكِمِ رَاحَةً ،
 بِمَسَاكِمِ تَنْدُرُ السَّبَاسِبُ أَجْحَرًا ،
 لَمْ تَخْلُ أَرْضٌ مِنْ ثَنَاهُ ، وَإِنْ خَلَّتْ
 تُرْجَى مَوَاهِبُهُ وَيُرْهَبُ بِطَشُهُ ،
 فَلِذَا سَطَا مَلَأَ الْقُلُوبَ مَهَابَةً ،
 كَالْغَيْثِ يَبْعَثُ مِنْ عَطَاهُ وَابِلًا
 كَاللَّيْلِ يَحْمِي غَابَهُ بِزَيْبِهِ ،
 كَالسَّيْفِ يُبْذِي لِلنَّوَاطِرِ مَنْظَرًا
 كَالسَّيْلِ يُحَمَّدُ مِنْهُ عَذَابًا وَاصِلًا ،
 كَالْبَحْرِ يُهْدِي لِلنَّفُوسِ نَفَائِسًا
 وَازْوَرَ الْحَاظُ وَقَطَّبَ حَاجِبًا
 ذُو النَّوْنِ ، إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةَ مُغَاضِبًا
 نَهَبًا ، وَإِنْ مَنَعَ الْعُيُونَ مَوَاهِبًا
 مِنْ نُورِهِ ، وَدَعَاهُ قَلْبِي نَاهِبًا
 نِعَمًا ، وَتَدْعُوهُ الْقَسَاوِرُ سَالِبًا
 صَيْدُ الْمُلُوكِ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا
 وَيَعْدُ رَاحَاتِ الْقِرَاعِ مَتَاعِبًا
 وَعِزَائِمِ تَنْدُرُ الْبَحَارِ سَبَاسِبًا
 مِنْ ذِكْرِهِ مُلْتَبِتٌ قَنًا وَقَوَاضِبًا
 مِثْلَ الزَّمَانِ مُسَالًا وَمُحَارِبًا
 وَإِذَا سَخَا مَلَأَ الْعُيُونَ مَوَاهِبًا
 سَبْطًا ، وَيُرْسِلُ مِنْ سَطَاهُ حَاصِبًا
 طَوْرًا ، وَيُنْشِبُ فِي الْقَتْنِصِ مَخَالِبًا
 طَلْقًا ، وَيُمْضِي فِي الْهِيَاجِ مَضَارِبًا
 وَيَعْدُهُ قَوْمٌ عَذَابًا وَاصِبًا
 مِنْهُ ، وَيُبْذِي لِلْعُيُونِ عَجَائِبًا

١ القساوِر : الأبطال .

٢ السبط : السهل ، المسترسل . سطا : سطوته . الحاصب : الريح تحمل الحصى .

٣ الواصب : الممرض .

فإذا نَظَرْتَ نَدَى يَدِيهِ وَرَأَيْتَهُ
 أَبْقَى قَلَاوُنُ الْفَخَّارِ لَوْلَسَدِهِ
 قَوْمٌ ، إِذَا سَنَحُوا الصَّوْفَانِ صَبَرُوا
 عَشِقُوا الْحُرُوبَ تَيَمَّنًا بِلِقَى الْعِدَى ،
 وَكَأَنَّمَا ظَنُّوا السَّيْفَ سَوَالِفًا ،
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَزِيزُ ، وَمَنْ لَهُ
 أَصْلَحَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بَهْمَةٌ
 وَوَهَبَتْهُمْ زَمَنَ الْأَمَانِ ، فَمَنْ رَأَى
 فَرَاوًا خِطَابًا كَانَ خِطْبًا فَادِحًا
 وَحَرَسَتْ مُلْكَكَ مِنْ رَجِيمٍ مَارِدٍ
 حَتَّى إِذَا خَطِيفَ الْمَكَافِحُ خَطْفَةً ،
 لَا يَنْفَعُ التَّجْرِبُ خِصْمَكَ بَعْدَمَا
 صَرِمَتْ شَمْلَ الْمَارِقِينَ بِصَارِمٍ ،
 صَافِي الْفِرْنِدِ حَكَمَى صَبَاحًا جَامِدًا ،
 وَكُتَيْبَةً تَذَرُ الصَّهِيلَ رَوَاعِدًا ،
 حَتَّى إِذَا رِيحُ الْجِلَادِ حَدَّتْ لَهَا
 بِذَوَائِبِ مُلْدٍ يُخْلَنُ أَرَاقِمًا ،

لَمْ تُلَفِ إِلَّا صَائِبًا أَوْ صَائِبًا
 إِرثًا ، وَفَازُوا بِالْإِثْنَاءِ مَكَاسِبًا
 لِلْمَجْدِ أَخْطَارَ الْأُمُورِ مَرَاقِبًا
 فَكَأَنَّهُمْ حَسَبُوا الْعُدَاةَ حَبَائِبًا
 وَاللَّدْنَ قَدَاً ، وَلِلْقِسِيِّ حَوَاجِبًا
 شَرَفٌ يَجْرُ عَلَى النُّجُومِ ذَوَائِبًا
 تَذَرُ الْأَجَانِبَ بِالْوَدَادِ أَقَارِبًا
 مَلِكًا يَكُونُ لَهُ الزَّمَانُ مَوَاهِبًا
 لَهُمْ ، وَكُتُبًا كُنَّ قَبْلُ كِتَابِبًا
 بَعَزَائِمٍ إِنْ صُلَّتْ كُنَّ قَوَاضِبًا
 أَتْبَعَتْهُ مِنْهَا شِهَابًا ثَاقِبًا
 أَفْنَيْتَ مَنْ أَفْنَى الزَّمَانَ تَجَارِبًا
 تُبْدِيهِ مَسْلُوبًا فَيَرْجِعُ سَالِبًا
 أَبْدَى النُّجُوعَ بِهِ شُعَاعًا ذَائِبًا
 وَالْبَيْضَ بَرْقًا ، وَالْعَجَاجَ سَحَابِبًا
 مَطَرَتْ فَكَانَ الْوَيْلُ نَبْلًا صَائِبًا
 وَشَوَائِلِ جُرْدٍ يُخْلَنُ عَقَارِبًا ٢

١ الصائب الأولي : المطر . الثانية : السديد ، المصيب .

٢ الشوائل : الخيول التي ترفع أذناها .

نَطَأَ الصَّدُورَ مِنْ الصَّدُورِ كَأَنَّمَا
فَأَقَمْتَ تَقْسِيمُ للوُحُوشِ وَظَائِفًا
وَجَعَلْتَ هَامَاتِ الكُؤَامَةِ مَنَابِرًا ،
يَا رَاكِبَ الْخَطَرِ الْجَلِيلِ وَقَوْلُهُ
صَيَّرْتَ أَسْحَارَ السَّمَاحِ بَوَاكِرًا ،
وَبَذَلْتَ لِلْمُدَّاحِ صَفْوَ خَلَائِقِ ،
فَرَأَوْكَ فِي جَنْبِ النُّضَارِ مُفَرَّطًا .
إِنَّ يَحْرُسَ النَّاسُ النُّضَارَ بِحَاجِبِ
لَمْ يَمَلَأُوا فِيكَ الْبُيُوتَ غَرَائِبًا ،
أُولَيْتَنِي ، قَبْلَ الْمَدِيحِ ، عَيْنَانِي ،
وَرَفَعْتَ قَدْرِي فِي الْأَنَامِ ، وَقَدْ رَأَوْا
فِي مَجْلِسِ سَاوَى الْخَلَائِقِ فِي النَّدَى .
وَافَيْتُهُ فِي الْفُلْكِ أَسْعَى جَالِسًا ،
فَأَقَمْتُ أَنْفِذُ فِي الزَّمَانِ أَوَامِرًا
وَسَقَتَنِي الدُّنْيَا غَدَاةَ أَتَيْتُهُ
فَطَفِيقْتُ أَمَلًا مِنْ ثَنَاكَ وَنَشْرِهِ
أُنِّي فَتَشْنِي صِفَاتِكَ مُظْهِرًا
لَوْ أَنَّ أَغْصَانًا جَمِيعًا أَلْسُنُ

تَعْتَاضُ مِنْ وَطْءِ التَّرَابِ تَرَائِبًا
فِيهَا ، وَتَضَعُ لِلنُّسُورِ مَادِبًا
وَأَقَمْتَ حَدَّ السَّيْفِ فِيهَا خَاطِبًا
فَفَخْرًا بِمَجْدِكَ ، لَا عَدَمْتَ الرَّاكِبَا
وَجَعَلْتَ أَيَّامَ الْكِفَاحِ غِيَاهِبًا
لَوْ أَنَّهَا لِلْبَحْرِ طَابَ مَشَارِبًا
وَعَلَى صِلَاتِكَ وَالصَّلَاةِ مُوَاطِبًا
كَانَ السَّمَاحُ لَعَيْنِ مَالِكٍ حَاجِبًا
إِلَّا وَقَدْ مَلَأُوا الْبُيُوتَ رَغَائِبًا
وَمَلَأَتْ عَيْنِي هَيْسَةً وَمَوَاهِبًا
مِثْلِي لِمِثْلِكَ خَاطِبًا وَمُخَاطِبًا
وَتَرْتَبَّتْ فِيهِ الْمُلُوكُ مَرَاتِبًا
فَفَخْرًا عَلَى مَنْ جَاءَ يَمْشِي رَاكِبًا
مَنْيَ ، وَأَنْشَبُ فِي الْخُطُوبِ مَخَالِبًا
رِيًّا ، وَمَا مَطَّرَتْ عَيْنِي مَصَائِبًا
حَقِيبًا ، وَأَمَلًا مِنْ نَدَاكَ حَقَائِبًا
عَيْبًا ، وَكَمْ أَعَيْتُ صِفَاتِكَ خَاطِبًا
تُشْنِي عَلَيْكَ لَمَّا قَضَيْنَ الْوَاجِبَا

ملك تعبدت الملوك لأمره

وقال يمدحه خلد الله ملكه
عندما كسر الخليج :

خَلَعَ الرَّبِيعُ عَلَى غُصُونِ الْبَنَانِ
وَنَمَتْ فُرُوعُ الدَّوْحِ حَتَّى صَافَحَتْ
وَتَنَوَّجَتْ هَامُ الْغُصُونِ وَضَرَجَتْ
وَتَنَوَّعَتْ بُسْطُ الرِّيَاضِ ، فَزَهَرُهَا
مِنْ أَيْضٍ يَفْقَى وَأَصْفَرَ فَاقِيعٍ ،
وَالظِّلُّ يَسْرِقُ فِي الْحَمَائِلِ خَطْوَهُ ،
وَكَانَ الْأَغْصَانُ سُوقُ رَوَاقِصٍ
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ فُرُوعِهَا ،
وَالطَّلَعُ فِي خَلَلِ الْكِيَامِ كَأَنَّهُ
وَالْأَرْضُ تَعَجَّبُ كَيْفَ تَضْحَكُ وَالْحَيَا
حَتَّى إِذَا افْتَرَّتْ مَبَاسِمُ زَهْرِهَا ،
ظَلَّتْ حَدَائِقُهُ تُعَانِبُ جَوْنَهُ ،
طَفَحَ السَّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ
فَاصْرِفْ هُمُومَكَ بِالرَّبِيعِ وَفَصْلِهِ ،
لَئِنِّي ، وَقَدْ صَفَتِ الْمِيَاهُ وَزُخْرِفَتْ

حُلَلًا ، فَوَاضِلُهَا عَلَى الْكُثْبَانِ
كَفَلَ الْكَيْبِ ذَوَائِبُ الْأَغْصَانِ
خَدَّ الرِّيَاضِ شَقَاقُ النُّعْمَانِ
مَتَبَّانِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ
أَوْ أَرْقِ صَافٍ ، وَأَحْمَرِ قَانِي
وَالْغُصْنُ يَخْطِرُ خِطْرَةَ النَّشْوَانِ
قَدْ قِيدَتْ بِسَلْسِلِ الرِّيحَانِ
نَحْوَ الْحَدَائِقِ نِظْرَةَ الْغَيْرَانِ
حُلُلٌ تَفْتَقُ عَنْ نُحُورِ غَوَانِ
يَبْكِي بَدَمْعٍ دَائِمِ الْهَمَلَانِ
وَبَكِي السَّحَابِ بِمَدْمَعِ هَتَّانِ
فَأَجَابَ مُعْتَذِرًا بَغِيرِ لِسَانِ
مِنْ عِظَمِ مَا قَدْ سَرَّيْتُ أَبْكَانِي
لَئِنْ الرَّبِيعَ هُوَ الشَّبَابُ الثَّانِي
جَنَّاتُ مِصْرَ وَأَشْرَقَ الْهَرَمَانِ

واخضرَ وادبها وحدقَ زهرُهُ ، والنَّيْلُ فيه كَبْكَوثرٍ بِجِنَانِ
 وبه الجَواري المُنشآتُ كأنَّها أعلامُ بيدٍ ، أو فُرُوعُ قِنانٍ^١
 نَهَضَتْ بأجنحةِ القُلُوعِ كأنَّها عندَ المسيرِ تَهْمُ بالطيرانِ
 والماءُ يُسرِعُ في التدفقِ كلما عَجَلَتْ عليه يدُ النسيمِ الوافي
 طَوَراً كَأَسْمنَةِ القِلاصِ ، وتارةً حتى إذا كُسِرَ الخَلِيجُ ، وقُسِّمَتْ
 ساوَى البلادِ كما تُساوي في الندى الناصرُ المَلِكُ الذي في عَصْرِهِ
 ملكٌ ، إذا اكتحلَ الملوكُ بنُورِهِ وإذا جَرَى بينَ الوَرى ذِكرُ اسمِهِ ،
 من مَعَشَرٍ خَزَنُوا الثَّناءَ وقَطَعُوا قومٌ يَروْنَ المَنَ عندَ عَظائِهِمْ
 الموقدُ وتحتَ المَراجِلِ للقَري إنْ أخْرَسَتْ فَلِئْدُ العَقِيرِ كَلابِهِمْ
 أَسَدٌ رَوَتْ يَومَ الهِياجِ أَكْفَهُمْ دَعَوْا الضِّيَوفَ بِالسَّنِ النيرانِ
 قَصَفُوا القَنَا في صَدْرِ كُلِّ مُدْرَعٍ ، بَدَمَ الأَسودِ ثَعَالِبَ الحِرْصانِ^٢
 والبَيضَ في الأَبْدانِ والأَبْدانِ^٣

١ الجواري : السفن . القنان : أعالي الجبال .

٢ الأسنة ، الواحد سنام : الحدبة في ظهر البعير . القلاص : النياق .

٣ الحِرْصان ، الواحد خرص : الرماح القصيرة .

٤ الأبدان : الدروع . والأبدان : الجسم .

قد عَزَّ دِينَ مُحَمَّدٍ بِسْمِيَّةِ ، وَسَمَا بِنُصْرَتِهِ عَلَى الْأَدْيَانِ
 مَلِكٌ تَعَبَّدَتْ الْمُلُوكُ لِأَمْرِهِ ، وَكَذَاكَ دَوْلَةٌ كُلُّ رَبٍّ قِرَانِ
 وَافَى ، وَقَدْ عَادَ السَّمَاحُ وَأَهْلُهُ رِمَمًا ، فَكَانَ لَهُ الْمَسِيحَ الثَّانِي
 فَالطَّيْرُ تَلَجَّأَ بِالْحُصُونِ لِأَنْهَا بِنْدَاهُ لَمْ تَأْمَنَ مِنَ الطُّوفَانِ
 لَا عَيْبَ فِي نَعْمَاهُ إِلَّا أَنْهَا يَسْلُو الْغَرِيبُ بِهَا عَنِ الْأَوْطَانِ
 شَاهِدَتْهُ ، فَشَهِدَتْ لِقَمَانِ الْحِجَى وَنَظَرْتُ كَيْسَرَ الْعَدْلِ فِي الْإِيوَانِ
 وَرَأَيْتُ مِنْهُ سَمَاحَةً وَفَصَاحَةً أَعْدَى بِفَيْضِهِمَا بَدِي وَلِسَانِي
 يَا ذَا الَّذِي شَغَلَ الزَّمَانَ بِنَفْسِهِ ، فَأَصَمَّ سَمْعَ طَوَارِقِ الْحِدْثَانِ
 لَوْ يُكْتَسَبُ اسْمُكَ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا أَغْنَى عَنِ التَّضْرَابِ وَالتَّطْعَانِ
 وَكَيْبَةٍ ضَرَبَ الْعَجَاجُ رِوَاقَهَا مِنْ فَوْقِ أَعْمِدَةِ الْقَنَا الْمُرَّانِ
 نَسَجَ الْغُبَارُ عَلَى الْجِيَادِ مَدَارِعًا مَوْصُولَةً بِمَدَارِعِ الْفُرْسَانِ
 وَدَمٌ بِأَذْيَالِ الدَّرُوعِ كَأَنَّهُ ، حَوْلَ الْغَدِيرِ ، شَقَائِقُ النِّعْمَانِ
 حَتَّى إِذَا اسْتَعَرَّ الْوَعَى وَتَتَبَّعَتْ بِيضُ الصَّفَاحِ مَكَامِينَ الْأَضْغَانِ
 فَعَلَّتْ دُرُوعُكَ عِنْدَهَا بِسُيُوفِهِمْ ، فَعَلَّ السَّرَابِ بِمُهْجَةِ الظَّمَانِ
 وَبَرَزَتْ تَلْفِظُكَ الصَّفُوفُ إِلَيْهِمْ لَفْظَ الزَّنَادِ سَوَاطِعَ النَّيْرَانِ
 بِأَقْبَ يَعْصِي الْكَفَّ ثُمَّ يُطِيعُهُ ، فَتَرَاهُ بَيْنَ تَسْرَعٍ وَتَوَانٍ
 قَدْ أَكْسَبَتْهُ رِيَاضَةٌ سَوَاسُهُ ، فَتَكَادُ تَرْكُضُهُ بِغَيْرِ عِنَانِ

١ مَكَامِينَ الْأَضْغَانِ : الْقُلُوبُ حَيْثُ تَكْمُنُ الْأَحْقَادُ .

٢ الْأَقْبَ : الْفَرَسُ الضَّامِرُ الْبَطْنِ .

كالصقير في الطيران ، والطاوس في الـ
 يرنو إلى حُبكِ السماءِ توهماً
 لو قيلَ عَجْ نَحْوَ السَّمَاءِ مُبَادِراً
 أو قيلَ جُزْ فَوْقَ الصَّرَاطِ مُسَارِعاً
 وفلكتَ حَدَّ جُمُوعِهِمْ بِصَوَارِمِ ،
 ضلّتَ فظنّتَ في مُقَارَعَةِ العِدَى
 صيرتَ هَامَاتِ الكُفَاةِ صَوَامِعاً ،
 يا ذا الذي خَطَبَ المَدِيحَ سَمَاحُهُ ،
 أَقْصَيْتَنِي بِالْجُودِ ثُمَّ دَعَوْتَنِي ،
 ضَاعَقْتَ بِرْكَ لِي ، وَلَوْ لَمْ تُؤَلِّنِي
 فَنَأَيْتُ عَنْكَ ، وَلَسْتُ أَوَّلَ حَازِمِ
 عَلِمِي بِصَرْفِ الدَّهْرِ أَخْلَى مَعْهَدِي
 وَلرَبَّمَا طَلَبَ الحَرِيصُ زِيَادَةً ،
 فَلَكِنَّ رَحَلْتُ ، فَقَدْ تَرَكْتُ بَدَائِعاً
 وَخَرِيدَةً هِيَ فِي الْجَمَالِ فَرِيدَةً ،
 مُعْتَادَةً تَهَبُ الحَلِيلَ صَدَاقِهَا ،
 لَا عَيْبَ فِيهَا ، وَهُوَ شَاهِدٌ حُسْنِهَا ،
 خَطَرَانِ ، وَالْحَطَافِ فِي الرُّوْغَانِ
 أَنَّ المَجْرَةَ حَلَبَةُ المِيدَانِ
 وَطِثْتُ يَدَاهُ دَوَابِرَ الدَّبْرَانِ
 لَمَشَى عَلَيْهِ مِشْيَةَ السَّرَطَانِ
 كَكَرَاكَ ، نَافِرَةً عَنِ الْأَجْفَانِ
 أَنَّ الغُمُودَ مَعَاقِدُ التَّيْجَانِ
 وَكَوَاسِرَ العِيقَانِ كَالرَّهْبَانِ
 فَنَدَاهُ قَبْلَ نِدَائِي قَدْ لَبَّانِي
 فَنَدَاكَ أَبْعَدَنِي ، وَإِنْ أَدْنَانِي
 إِلَّا القُبُولَ عَطِيَّةً لِكَفَانِي
 خَافَ التَّنْزُولَ بِمَهْبِطِ الطُّوفَانِ
 مَنِي ، وَصَرْفَ فِي الْبِلَادِ عِنَانِي
 فَعَدَّتْ مُؤَدِّيَّةً إِلَى النِّقْصَانِ
 غَضَبَتْ فُصُولَ الحُكْمِ مِنْ لُقْمَانِ
 فَهِيَ الْغَرِيْبَةُ وَهِيَ فِي الْأَوْطَانِ
 فَخَرَأَ عَلَى الْأَكْفَاءِ وَالْأَقْرَانِ
 إِلَّا تَبَرَّجَهَا بِكُلِّ مَكَانِ

١ الدبران : منزل للقمر وهو مشتمل على خمسة كواكب في برج الثور .

قَلَّتْ ، وَإِنْ حَلَّتْ صَنَائِعَ لَفْظِهَا لَكُمْ ، وَإِنْ نَطَقَتْ بِسِحْرِ بَيَانٍ
فَجَمِيلٌ صُنْعِكُمْ أَجَلُ صَنَائِعَا ، وَبَدِيعُ فَضْلِكُمْ أَدَقُّ مَعَانٍ

يزحزح شهاباً

وقال بديها وقد لعب بالكرة في
ميدان مصر وضمنها تشبيه خمسة بخمسة
طلياً ونشراً كما ترى :

مَلِكٌ يَرُوضُ فَوْقَ طَرَفِ قَارِعٍ كُرَّةٌ يَجُوكَانِ حَكَاهُ ضَبَابًا
فَكَانَ بَدْرًا ، فِي سَمَاهُ ، رَاكِبًا ، يَزْحَرِحُ بِالْهَيْلَالِ شِهَابًا

عبد العزيز

وقال بديها فيه :

أَيُّهَا الْعَزِيزُ قَدْ صَحَّ رِقِّي لَكَ مِنْ مَوْقِعِ اسْمِي الْمَرْمُوزِ
أَنَا مِنْ يَوْمِ مَوْلَدِي لَكَ عَبْدٌ ، وَلِهَذَا دُعِيتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ

١ جوكان : لعله ضرب من الصوالجة تقرر به الكرات .

أحسن كل الناس

وقال فيه وقد أسمعه كاتب سره
القاضي علاء الدين بن الأثير بيتين
في صناعة التجنيس اللفظي أنهما لا يكاد
يتبأ مثلهما وهما :

أحسن كل الناس وجهاً وفعاً ، إن لم يكن أحق بالحسن فمن
حكى الفزال مقلة ولفتة ، من ذا رآه مقبلاً ولا افتن

ملك فاق الملوك

فنظم في ذلك قصيدة ومدح بها
السلطان وهي :

كَمْ قد أَقْضَيْنا مِنْ دَموعٍ وَدَمًا على رُسومٍ لِلدِّيارِ وَدِمْنا
وَكَمْ قَضَيْنا لِلْبُكاءِ مَنسِكًا ، لما تَذَكَّرْنا بِهِنَّ مَنْ سَكَنَ
مَعاهِدًا تُحَدِّثُ لِلصَّبْرِ فَنًا ، إِنَّ نَاحَتِ الْوُرُقِ بِها على فَنَنَ
تَذَكَّارُها أَحَدَثَ في الحَلَقِ شَجًا ، وفي الحَشَا قَرَحًا وفي القلبِ شَجَنَ
لِلهِ أَيْامٌ لَنا على مَنى ، فَكَمْ ها عِندي أَيْادٍ وَمِنَنَ
كَمْ كانَ فِيها مِن فَتاةٍ وَفَتى ، كُلُّ لِقابِ المُسْتَهامِ قَدْ فَتَنَ

شربتُ فيها لَذَّةَ العَيْشِ حَسًّا ، وما رأيتُ بعدها مرأى حَسَنًا^١
 فَمَا ارْتَكَبْنَا بِالْوِصَالِ مَأْثَمًا ، بَلْ بَعَثَهُمْ رُوحِي بِغَيْرِ مَا ثَمَنُ^٢
 وَعَاذِلِ أَضْمَرَ مَكْرًا وَدَهًا ، فَتَمَقَّ الغَيْشُ بِنُصْحٍ وَدَهَنُ^٣
 لَاحِ غَدًا يَعْرِفُ لِلْقَلْبِ لَحًا ، إِنْ أَعْرَبَ الْقَوْلَ بَعْدِي أَوْ لَحَنُ^٤
 يَزِيدُنِي بِالزَّجْرِ وَجَدًا وَأَسَى ، إِنْ كَانَ مَاءُ الْوَدِّ مِنْهُ قَدْ أُسِنُ^٥
 سَمِعْتُ مِنْهُ اللَّوْمَ ، إِذْ طَالَ مَدَى ، فَلَمْ أَجِبْهُ بَلْ بَدَوْتُ إِذْ مَدَنُ^٦
 بِجَسْرَةٍ تَشْتَدُّ فِي السَّرِّ قِرَى ، إِذْ لَمْ تُذْكَلِّ بِزِمَامٍ وَقَرَنُ^٧
 لَا تَنْتَشِكُنِي نَصَبًا وَلَا وَجَى ، إِذَا دَجَا اللَّيْلُ عَلَى الرِّكْبِ وَجَنُ^٨
 كَمْ سَبَقَتْ إِلَى الْمِيَاهِ مِنْ قَطَا ، فَأَوْرَدَتْ بِاللَّيْلِ ، وَهُوَ فِي قَطَنُ^٩
 حَثْتُ فَأَعْطَتْ فِي السَّرِّ خَيْرَ عَطَا ، إِنْ حَنَّ يَوْمًا غَيْرُهَا إِلَى عَطَنُ^{١٠}
 وَأَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ ابْنٍ وَعِيَا ، لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ ضَيْفًا وَعَيْنُ^{١١}
 مَلِكُ غَدًا لِسَائِرِ النَّاسِ أَبَا ، إِنْ سَارَ فِي كَسْبِ الثَّنَاءِ ، أَوْ أَبْنُ^{١٢}
 النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي فَاضَ جَدَا ، فَخِلَتُهُ ذَا يَزَنُ أَوْ ذَا جَدَنُ^{١٣}
 مَلِكُ عَلَا جَدَا وَقَدْرًا وَسَنًا ، فَجَاءَ فِي طُرُقِ الْعُلَى عَلَى سَنَنُ^{١٤}

١ الحسا : طعام من الدقيق والماء ، وما نخسوه ، نشربه .

٢ لحا ، منهل لحاء مصدر لاحت : نازعه .

٣ أراد بمدن : سكن المدن .

٤ القرن : الحبل .

٥ قوله قطن : لعله اسم مكان .

٦ العين : الجماعة .

٧ الابن : ضد الثناء .

٨ ذو وزن وذو جدن : من التبابعة ملوك اليمن .

لا جَوْرَ في بِلَادِهِ ، ولا عِدَاءَ ،
 كم بَدَرَ أعطَى الوُفُودَ وَلُهِىَ ،
 جَنَيْتُ من إِنْعامِهِ خَيْرَ جَنَى ،
 فَمَا شَكَيْتُ في حِمَاهُ لَغَبًا ،
 دَعَوْتُهُ بِالْمَدْحِ عن صِدْقٍ وَلَا ،
 أَنْظِمُ في كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءَ ،
 يا مَلِكًا فَاقَ المُلُوكَ وَرَعًا ،
 أَكْسَبْتَنِي بِالْقُرْبِ مَجْدًا وَعُلَا ،
 إِنَّ أَوْلِكَ المَدْحَ الجَمِيلَ فَحَرًّا ،
 لَا زِلْتَ في مُلْكِكَ خِلَواً من عَنَّا ،
 وَنِلْتَ فِيهِ ما تَرُومُ من مِني ،
 إنْ عُدَّ في العَدَلِ زَيْدٌ وَعَدَنُ
 وَكَانَ يُرْضِيهِمْ كَفَافًا وَلُهِنُ
 وَكُنْتُ من قَبْلُ كَمَيْتٍ في جَنَنُ
 وَلَوْ أَطَاقَ الدَّهْرُ غَبْنِي لَغَبَنُ
 فَلَمْ يُجِبْ يَوْمًا بَلَمَ ، وَلَا ، وَلَنْ
 كَأَنَّهُ لَصَارِمُ الدَّهْرِ مِيسَنُ
 إنْ شَانَ أَهْلَ المُلْكِ طِيشُ وَرَعْنُ
 فَصُغْتُ فَيْكَ المَدْحَ سِرًّا وَعَلَنُ
 وَإِنْ كَبَا فِكْرُ سِوَايَ أَوْ حَرَنُ
 وَلَيْسَ لِلْهَمِّ لَدَيْكَ مِن عَنَنُ
 وَعِشْتَ في عِزٍّ وبَأْسٍ وَمِئَنُ

١ اللهم : أفضل العطايا ، الواحدة لهُية . اللهم ، الواحدة لهُنة : ما يهديه المسافر عند قدومه من سفره .

يا أيها الملك المنصور

قال يمدح السلطان الملك المنصور
نجم الدين أبا الفتح غازي بن ارتق
طاب مثواه سنة إحدى وسبعمئة
ويصف فيها ديواناً نظم فيه على حروف
المعجم وهو تسع وعشرون قصيدة
تسمى المحبكات :

إِنْ لَمْ أَزُرْ رَبَّكُمْ سَعِيًّا عَلَى الْحَدَقِ ،
تَبَّتْ بَيْدِي إِنْ ثَنَنْتِي عَنْ زِيَارَتِكُمْ
يَا جِيرَةَ الْحَيِّ هَلَا عَادَ وَصْلُكُمْ
لَا تُنْكِرُوا فَرَقِي مِنْ بَعْدِ بَعْدِكُمْ ،
لَلَّهِ لَيْلَتُنَا بِالْقَصْرِ كَمْ قَصُرَتْ ،
وَبَاتَ بَدْرُ الدُّجَى فِيهَا يُسَامِرُنِي ،
فَكَمْ خَرَقْنَا حِجَابًا لِلْعِتَابِ بِهَا ،
وَالصَّبْحُ قَدْ أَخْلَقَتْ ثُوبَ الدُّجَى يَدُهُ ،
أَبْلَى الظَّلَامَ وَمَاذَا لَوْ يَجُودُ بِهِ
مَا أَحْسَنَ الصَّبْحَ لَوْلَا قُبْحُ سُرْعَتِهِ ،
هَبَّ النَّسِيمُ عِراقِيًّا ، فَشَوْقَنِي ،
فَمَا تَنَفَّسْتُ ، وَالْأَرْوَاحُ سَارِيَّةٌ ،
ذَرَّ أَيْتَا الصَّبِّ تَذَكَارَ الدِّيَارِ ، إِذَا

فَإِنْ وَدَّيَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمَلِكِ
بَيْضُ الصَّفَاحِ ، وَلَوْ سُدَّتْ بِهَا طُرُقِي
لُذْنِفَ مِنْ خُمَارِ الْوَجْدِ لَمْ يُفِقِ
إِنَّ الْفِرَاقَ لُمُسْتَقٌ مِنَ الْفَرَقِ
فَظَلْتُ مُصْطَبِحًا فِي زِيٍّ مُغْتَبِقِ
مُنَادِمًا فَيَزِينُ الْخَلْقَ بِالْخَلْقِ
وَلِلْعَفَافِ حِجَابٌ غَيْرُ مُنْخَرِقِ
وَلَيْتَهُ جَادَ لِلْعُشَاقِ بِالْخَلْقِ
عَلَى جُفُونٍ لَطِيبِ الْغُمُضِ لَمْ تَذُقِ
وَأَعَذَبَ اللَّيْلَ لَوْلَا كَثْرَةُ الْأَرْقِ
وَطَالَمَا هَبَّ نَجْدِيًّا فَلَمْ يَشُقِ
إِلَّا اشْتَكَّتْ نَسَمَاتُ الرِّيحِ مِنْ حُرْقِي
مُتَعَتَ فِيهَا بَعِيشٌ غَيْرُ مُتَسِقِ

فَكَمْ ضَمَمْتَ وَشاحاً فِي الظَّلَامِ بِهَا
فَحَلَّ تَذَكَارَ زَوْرَاءِ الْعِرَاقِ ، إِذَا
فَهَذِهِ شُهْبُ الشَّهْبَاءِ سَاطِعَةٌ ،
فَتِلْكَ أَفْلَاكُ سَعْدٍ لَا يَلْكُودُ بِهَا
سَمَاءُ مَجْدٍ بَدَأَ فِيهَا ، فَرَيْنَتْهَا
مَمْلُوكٌ غَدَا الْجُودُ جُزْءاً مِنْ أَنَامِلِهِ ،
أَعَادَ لَيْلَ الْوَرَى صُبْحاً ، وَكَمْ رَكُضَتْ
مُشْتَتَّتُ الْعَزَمِ وَالْأَمْوَالِ مَا تَرَكْتُ
إِذَا رَأَى مَالَهُ قَالَتْ خَزَائِنُهُ :
لَوْلَا أَبُو الْفَتْحِ نَجْمُ الدِّينِ مَا فُتِحَتْ
مَمْلُوكٌ بِهِ اكْتَسَبَتِ الْآيَامُ ثَوْبَ بَهَاءٍ
تَهْوَى الْحُرُوبُ مَوَاضِيَهُ ، فَإِنْ ذُكِرَتْ
حَتَّى إِذَا جُرِّدَتْ فِي الرَّوْعِ أَغْمَدَهَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ طَائِرُهُ ،
أَحْيَيْتَ بِالْجُودِ آثَارَ الْكِرَامِ ، وَقَدْ
لَوْ أَشْبَهَتْكَ بَحَارُ الْأَرْضِ فِي كَرَمٍ ،
لَوْ أَشْبَهَ الْغَيْثُ جُوداً مِنْكَ مِنْهُمْ مِرْآ

مَا زَادَ قَلْبُكَ إِلَّا كَثْرَةَ الْقَلْقِ
جَاءَتْ نَسِيمُ الصَّبَا بِالنَّدَى الْعَبِقِ
وَهَذِهِ نَسْمَةُ الْفِرْدَوْسِ ، فَاثْنِيقِ
مِنْ مَارِدٍ لِحَفِي السَّمْعِ مُسْتَرِقِ
نَجْمٌ تَخَرُّ لَدَيْهِ أَنْجُمُ الْأُفُقِ
فَلَوْ تَكَلَّفَ تَرَكَ الْجُودِ لَمْ يُطِيقِ
جِيَادُهُ ، فَأَرَتْنَا الصَّبَحَ كَالْفَسَقِ
يَدَاهُ لِلْمَالِ شَمَلًا غَيْرَ مُفْتَرِقِ
أَفْدِيكَ مِنْ وَلَدٍ بِالشَّكْلِ مُلْتَحِقِ
أَبْوَابُ رِزْقٍ عَلَيْهَا اللَّوْمُ كَالْغَلَقِ
مِثْلَ اكْتِسَاءِ غُصُونِ الْبَانِ بِالْوَرَقِ
حَنْتَ ، قَلَمَ تَرَ مِنْهَا غَيْرَ مَسْدَلِقِ
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ مَسْرُودَةِ الْحَلَقِ
وَمَنْ أَيْادِيهِ كَالْأَطْوَاقِ فِي عُنُقِي^١
كَانَ النَّدَى بَعْدَهُمْ فِي آخِرِ الرَّمَقِ
لَأَصْبَحَ الدُّرُّ مَطْرُوحاً عَلَى الطَّرْقِ
لَمْ يَنْجُ فِي الْأَرْضِ مَخْلُوقٌ مِنَ الْغَرَقِ

١ السابقة : الدرع . المسرودة : المنظومة .

٢ أَيْادِيهِ : نَعْمَةٌ ، الْوَاحِدَةُ يَدٌ .

كم قد أبدت من الأعداء من فئة
 رويت يوم لقاهم كل ذي ظمإ
 ويوم وقعة عبّاد الصليب ، وقد
 مزقت بالموصل الحدباء شملهم
 بكل أبيض دامي الحدّ تحسبه
 آلى على غمده ألا يرأجعه
 فاستبشرت فئة الإسلام ، إذ لمعت
 وأصبح العدل مرفوعاً على نشز ،
 كم قد قطعت إليك البید ممتطياً
 بدّلتني في الدجى مهري ويونسني
 والليل أطول من عدل العدول على
 أهدي قلائد أشعار فرائدها
 يضمها ورق لولا محاسنه
 نظمتها فيك ديواناً أزف به
 ولو قصدت به تجديد وصفكم
 تسع وعشرون إن عدت قصائدها ،
 لم أقتنع بالقوافي في أواخرها ،
 ما أدركت فصحاء العرب غابتها
 جرت لتركض في ميدان حومتها

تحت العجاج ، وكم فرقت من فرق
 في الحرب حتى حلال الخيل بالعرق
 أركبتهم طبقاً في البید عن طبق
 في مأزق بوميض البيض ممتزق
 صبحاً ، عليه دم الأبطال كالشفق
 إلا إذا عاد محمراً من العلق
 لهم بوارق ذلك العارض الغدق
 لما وليت ، وبات الجور في نفق
 عرماً إذا ضاق رحب الأرض لم يضق
 حدّ الحسام ، إذا ما بات معتني
 سمعي ، وأظلم من مرآه في حدقي
 درّ نهضت به من أنجر عمت
 ما لقبوا الفضة البيضاء بالورق
 مدائحاً في سوى عليك لم ترق
 لكان ذلك منسوباً إلى الحمق
 ومثلها عدد الأبيات في النسق
 حتى لزم أوليها ، فلم تعق
 قبلي ، ولا أخذوا في مثلها سبقي
 قوم ، فأوقفتهم في أول الطلق

فَلْيَحْسُنِ الْعُذْرُ فِي إِيرَادِهِنَّ ، إِذَا
 فَلَوْ رَأَتْ بِأَسْكَ الْآسَادُ لَا ضَظَرَبَتْ
 يَا آلَ أَرْتُقَ ! لَوْلَا فَيْضُ جُودِكُمْ
 لَقَدْ رَفَعْتُمْ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ لَكُمْ
 لَا زَالَ يَهْمِي عَلَى الْوُقَادِ نَائِلُكُمْ ،
 رَأَيْتَ جَرَّيَ لِسَانِي غَيْرَ مُنْطَلِقِ
 بِهِ فَرَائِصُهَا مِنْ شِدَّةِ الْفَرَقِ
 لَدَامَ خَرَقُ الْمَعَالِي غَيْرَ مُرْتَتِقِ
 ذِكْرًا ، إِذَا قَبَضَ اللَّهُ الْأَنَامَ بَقِي
 بَوَابِلٍ مِنْ سَحَابِ الْجُودِ مُنْدَفِقِ

نجم تستدل به الأنام

وقال يمدحه ويصف رماية البندق
 وعدد أطياره حسب مرسومه الشريف
 سنة إحدى وسبعمئة :

دَارَتْ عَلَى الدَّوْحِ سُلَافُ الْقَطْرِ فَرَّتْ حَتَّ أَعْطَافُهُ بِالْأَسْكَرِ
 وَنَبَّهَ الْوُرُقَ نَسِيمُ الْفَجْرِ ، فغَرَدَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ الْخُضْرِ
 تُغْنِي عَنْ الْعُودِ وَصَوْتِ الزَّمْرِ
 تَبَسَّمتْ مَبَاسِمُ الْأَزْهَارِ ، وَأَشْرَقَ النُّوَارُ بِالْأَنْوَارِ
 وَظَلَّ عِقْدُ الْطَلِّ فِي نِثَارِ ، وَبَاكَرَتْهَا دَيْمُ الْأَمْطَارِ
 فَكَلَلَتْ تَبْجَانَهَا بِالْأَدْرَارِ

١ الأنوار : الأزهار ، الواحد نور .

قد أَقْبَلْتُ طَلَائِعَ الْغُيُومِ إِذْ أذِنَ الشِّتَاءُ بِالْقُدُومِ
فَمَنْذُ حَدَاها سَائِقُ النَّسِيمِ ، عَقَّتْ رَبِّي الْعَقَبِقِ وَالْغَمِيمِ
وَبَاكَرَتْ أَرْضَ دِيَارِ بَكْرِ

أما تَرَى الْغَيْمَ الْجَدِيدَ قَدْ أَتَى مُبَشِّرًا بِالْقُرْبِ مِنْ فَصْلِ الشِّتَا
فَاعْقُرْ هُمُومِي بِالْعُقَارِ ، يافتي ، فَتَرَكُ أَيْتَامَ الْهَنَا إِلَى مَتَى ؟
فإنَّهَا مَحْسُوبَةٌ مِنْ عُمْرِي

فانهَضْ لِنَهَبِ فُرْصَةِ الزَّمَانِ ، فَلَسْتَ مِنْ فَجْوَهِ فِي أَمَانِ
وَاشْرَبْ عَلَى النَّيَّاتِ وَالْمَثَانِي ، إِنَّ الْخَرِيفَ لَرَبِيعٌ ثَانِ
فَاتِمِّمْ حُلَاهُ بِكُؤُوسِ الْحَمْرِ

فَصِلْ لَنَا فِي طَيِّهِ سُعُودٌ ، بَعُودِهِ أَفْرَاحُنَا تَعُودُ
يَقْدُمُ فِيهِ الطَّائِرُ الْبَعِيدُ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلرَّمَاةِ عَيْدُ
كَأَنَّهُ بِالصَّرْعِ عِيدُ النَّحْرِ

هَذَا الْكِرَاكِي نَحُونًا قَدْ قَدِمْتَ فَاقْدَةَ لِإِلْفِهَا قَدْ عَدِمْتَ
لَوْ عَلِمْتَ بِمَا تُلَاقِي نَدِمْتَ ، فَاَنْظُرْ إِلَى أَخْيَاطِهَا قَدْ نُظِمْتَ
شَبَّ حُرُوفٍ نُظِمْتَ فِي سَطْرِ

تَذَكَّرْتَ مَرَّتَعَهَا ، فَشَاقَهَا ، فَأَقْبَلْتَ حَامِلَةً أَشْوَاقَهَا

١ قوله : فجواه ، هكذا في الأصل .
٢ الكراكي : نوع من الطيور . أخياطها : جماعاتها .

تُجِيلُ فِي مَطَارِهَا أَحْدَاقَهَا ، تَمُدُّ مِنْ حَنِينِهَا أَعْنَاقَهَا
لَمْ تَدْرِ أَنَّ مَدَّهَا لِلْجَزْرِ

يَا سَعْدُ كُنْ فِي حُبِّهَا مُسَاعِدِي ، فَإِنَّهُ مُذْ عِشْتُ مِنْ عَوَائِدِي
وَلَا تَكْذِبْ مَنْ بَاتَ فِيهَا حَاسِدِي ، فَلَوْ تَرَى طَيْرَ عِذَارٍ خَالِدِي
أَقَمْتَ فِي حُبِّ الْعِذَارِ عُنْدِي

طَيْرٌ بِقَدْرِ أَنْجُمِ السَّمَاءِ ، مُخْتَلِفُ الْأَشْكَالِ وَالْأَسْمَاءِ
إِذَا جَلَا الصَّبْحُ دُجَى الظُّلُمَاءِ ، يَلُوحُ مِنْ فَوْقِ طَفِيحِ الْمَاءِ
شِبْهَ نَقُوشٍ خُيِّلَتْ فِي سِتْرِ

فِي لُجَّةِ الْأَطْيَارِ كَالْعَسَاكِرِ ، فَهَنْ بَيْنَ وَارِدٍ وَصَادِرٍ
جَلِيلُهَا نَاءٍ عَنِ الْأَصَاغِرِ ، مَعْدُودَةٌ مِنْذُ عُهُودِ النَّاصِرِ
مَعْدُودَةٌ فِي أَرْبَعٍ وَعَشْرِ

شُبَّاطُ وَمِرْزَمٌ وَكُرْكِي ، وَصِنْفٌ تَمَّ مَعَ لَوَزٍ تُرْكِي
وَلَعْلَعٌ يُشْبِهُ لَوْنَ الْمِسْكِ ، وَالْكِي وَالْعَنَازُ ، يَا ذَا الشَّكِّ
ثُمَّ الْعُقَابُ مُلْحَقٌ بِالنَّسْرِ

وَيَتَّبِعُ الْأَرْنُوقَ صِنْفٌ مُبْدِعٌ ، أُنَيْسَةٌ لِأُنَيْسَةٍ إِذَا تَصَرَّعُ
وَالضُّوُّ وَالْحَبْرُجُ فَهِيَ أَجْمَعُ ، خَمْسٌ وَخَمْسٌ كَلَّتْ وَأَرْبَعُ
كَأَنَّهَا أَبْنَامُ عُمَرِ الْبَدْرِ

١ كل ما ذكره أنواع من الطيور .

فابْكُرْ إِلَى دِجْلَةٍ . وَالْأَقْطَاعِ ، فَإِنَّهَا مِنْ أَحْمَدِ الْمَسَاعِي
وَأَعْجَبَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَنْوَاعِ مِنْ سَائِرِ الْجَلِيلِ وَالْمَرَامِي
وَضَجَّةِ الشَّقِيقِ وَصَوْتِ الْخُضْرِ

مَا بَيْنَ تَمَّ نَاهِضٍ وَوَاضِعٍ وَبَيْنَ نَسْرِ طَائِرٍ وَوَاقِعٍ
وَبَيْنَ كَمَيٍّ خَارِجٍ وَرَاجِعٍ ، وَنَهْضَةِ الطَّيْرِ مِنَ الْمَرَائِعِ
كَأَنَّهَا أَقْطَاعُ غَيْمٍ تَسْرِي

أَمَا تَرَى الرَّمَاةَ قَدْ تَرَسَّمُوا ، وَلَارْتَقَابِ الطَّيْرِ قَدْ تَقَسَّمُوا
بِالْخِفَةِ قَدْ تَدَرَّعُوا وَعُصِّمُوا لَمَّا عَلَى سَفْكِ دِمَاهَا صَمِّمُوا
جَاوُوا إِلَيْهَا فِي ثِيَابِ حُمْرٍ

قَدْ فَزَعُوا عَنْ كُلِّ عَرْبٍ وَعَجَمٍ وَأَصْبَحُوا بَيْنَ الطَّرَافِ وَالْأَجَمِ
مِنْ كُلِّ نَجْمٍ بِالسَّعُودِ قَدْ نَجَمَ وَكُلِّ بَدْرٍ بِالشَّهَابِ قَدْ رَجَمَ
عَنْ كُلِّ مَحْنِيٍّ شَدِيدِ الظَّهْرِ

مَحْنِيَّةٌ فِي رَفْعِهَا قَدْ أَدْمِجَتْ ، أَدْرَكَهَا التَّقْصِيفُ لَمَّا عَوَجَتْ
قَدْ كُبِسَتْ بَيُوتُهَا وَسُرَّجَتْ كَأَنَّهَا أَهْلَةٌ قَدْ أُخْرِجَتْ
بِنَادِقًا مِثْلَ النُّجُومِ الزُّهْرِي

قَدْ جَوَّدَتْ أَرْبَابُهَا مَتَاعَهَا ، وَأَتَعَبَتْ فِي حَزْمِهَا صُنَاعَهَا

١ . فزع عنه : أراد ابتعد عنه . الطراف : البيت من آدم . نجم : طلع .
٢ . كبست : هجم عليها . سرجت : أضيت بالسرج .

وهذبت رُماتها طباعتها ، إذا لمست خابراً أقطاعها
حسبتها مطبوعة من صخر

إذا سمعت صرخة الجوارح تنصبو إلى أصواتها جوارحي
وإن رأيت أجم البطائح ، ولم أكن ما بينها بطائح
يضيق عن حمل الموم صدري

من لي بأني لا أزال سائحاً ، بين المرامي غادياً ورائحاً
لو كان لي دهرى بذلك سامحاً ، فالقرب عندي أن أبيت نازحاً
أقطع في البداء كل قفر

ندرت للنفس ، إذا تمّ الهنا ، وزمت العيس لإدراك المنى
أن أقرن العز لديها بالغنى حتى رأيت أن الرحيل قد دنا
فطالبتني بوفاء ندري

تقول لي لما جفاني غمضي ، وأنكرت طول مقامي أرضي
وعاقي صرف الردى عن نهضي : ما للبال أولعت بحفضي
كانها بعض حروف الجر

فانهض ركاب العزم في البداء ، وازور بالعيس عن الزوراء
ولا تقيم بالموصل الحداء ، إن شهاب القلعة الشهباء
يحرق شيطان صروف الدهر

نجم به الأنام تستدل ، من عز في حماه لا يدل

في القَرَشَمْسُ والمَصِيفِ ظِلُّ ، وَبَلَّ عَلَى العُفَاةِ مُسْتَهِيلُ
أَغْنَى الْأَنَامَ عَنْ هَتُونِ القَطْرِ

لَوْ قَابَلَ الْأَعْمَى غَدَاً بَصِيرَا ، وَلَوْ رَأَى مَيِّتَا غَدَاً مَنشُورَا
وَلَوْ يَشَا الظَّلَامَ كَانَ نُورَا ، وَلَوْ أَنَاهُ اللَّيْلُ مُسْتَجِيرَا
أَمْنَهُ مِنْ سَطَوَاتِ الفَجْرِ

لِذُ بُرُوعِ المَلِكِ المَنصُورِ ، مُحْيِي الْأَنَامِ قَبْلَ نَفْخِ الصُّورِ
بَانِي الْعُلَا ، قَبْلَ بِنَا القُصُورِ ، قَاتِلَ كُلِّ أَسَدٍ هَـصُورِ
مَلَكَهُ اللهُ زِمَامَ النُّصْرِ

مَلِكٌ كَانَ المَالُ مِنْ عُدَاتِهِ ، يَرَى حَيَاةَ الذِّكْرِ فِي مَمَاتِهِ
قَدْ ظَهَرَ الْعِزُّ عَلَى أَوْقَاتِهِ ، وَأَشْرَقَ النُّورُ عَلَى لَيَالِيهِ
كَأَنَّهَا بَعْضُ لَيَالِي القَدْرِ

أَصْبَحَ فِي الْأَرْضِ لَنَا خَلِيفَهُ ، نَعِزُّ فِي أَرْبُعِهِ المَأْلُوفَهُ
قَدْ سَمَحَتْ أَكْفُهُ الشَّرِيفَهُ ، وَأَهْمَيْتْ عَزَمَتُهُ المُنِيفَهُ
بَكَسْرِ جَبَّارٍ وَجَبَرِ كَسْرِ

يَخْضَعُ هَامُ الدَّهْرِ فَوْقَ بَابِهِ ، وَتَسْجُدُ المُلُوكُ فِي أَعْتَابِهِ
وَتَتَّخِذُ الأَقْدَارُ فِي رِكَابِهِ ، تَرُومُ فَضْلَ الْعِزِّ مِنْ جَنَابِهِ
وَتَسْتَمِدُّ اليُسْرَ بَعْدَ العُسْرِ

مُحَكِّمٌ نَاءٍ عَنِ الأَغْرَاضِ ، وَجَوْهَرٌ خَالٍ مِنَ الأَعْرَاضِ

يَهَابُ كَالسَّاحِطِ وَهُوَ رَاضٍ ، قَدْ مَهَّدَتْ آرَاؤُهُ الْأَرَاضِي
وَأَهْلَكَتْ كَفَّاهُ جَيْشَ الْفَقْرِ

لَمَّا رَأَى أَيْامَهُ جُنُودًا ، وَالنَّاسَ فِي أَعْتَابِهِ سُجُودًا
أَرَادَ فِي دَوْلَتِهِ مَزِيدًا ، فَأَعْتَقَتْ أَكْفُهُ الْعَبِيدَ
وَاسْتَعْبَدَتْ بِالْجُودِ كُلَّ حُرٍّ

يَا مَلِكًا تَحْسُدُهُ الْأَمْلَاقُ ، وَتَقْتَدِي بِعَزَمِهِ الْأَفْلَاقُ
يَهَابُهُ الْأَعْرَابُ وَالْأَنْزَاكُ ، لَهُ بِمَا تُضْمِرُهُ إِدْرَاكُ
كَأَنَّهُ مُوَكَّلٌ بِالسَّرِّ

قُرْبِي إِلَيْكُمْ لَا الْعَطَاءُ سُؤْلِي ، وَوُدُّكُمْ لَا غَيْرُهُ مَأْمُولِي
إِذَا جَلَيْتُ كَاعِبَ الْفُصُولِ لَا أَبْتَغِي مَهْرًا سِوَى الْقَبُولِ
إِنَّ الْقَبُولَ لَا لِأَجْلِ مَهْرٍ

لَا بَرِحْتُ أَفْرَاحُكُمْ مُجَدِّدَةً ، وَأَنْفُسُ الضَّدَّةِ بِكُمْ مُهَدَّدَةً
وَأَرْبَعُ الْمَجْدِ بِكُمْ مُشَيَّدَةً ، وَالْأَرْضُ مِنْ آرَائِكُمْ مُسَهَّدَةً
وَالدَّهْرُ بِالْأَمْنِ ضَحُوكُ الشَّغْرِ

ملك ملك الورى

وقال يمدحه ويذكر حصاره لقلة
ربيل وتسليم أهلها إليه في سنة الثلاثين
وسبعمائة :

لا تَخْشَ يا رَيْعَ الْحَبِيبِ هُمُودًا ، فَلَقَدْ أَخَذْتَ عَلَى الْعِيَادِ عُهُودًا^١ ،
وَلَيْفُنَيْنِ ثَرَاكَ عَنْ صَوْبِ الْحَيَا صَوْبُ الْمَدَامِ إِنْ طَلَبْتَ مَزِيدًا
كَمْ غَادَرْتَ بَيْنَاكَ ، يَوْمَ وَدَاعِنَا ، سَحَبُ الْمَدَامِ مَنَهَلًا مَوْرُودًا
وَلَكَمْ سَكَبْتُ عَلَيْكَ وَافِرَ أَدْمُعِي ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الطَّوِيلِ مُرِيدًا
وَلَقَدْ عَهِدْتُ بِكَ الظَّبَاءَ سَوَانِحًا ، بِظِلَالِ شِعْبِكَ ، وَالْحِسَانَ الْغِيدَا
حُورًا ، إِذَا غُوِزِلْنَ كُنَّ جَاذِرًا ، وَإِذَا أَرْدَنَ الْفَتْكَ كُنَّ أَسُودَا
أَخْجَلْنَ زَهَرَ الْأَقْحَوَانِ مَبَاسِمًا زَهْرًا وَضَاهَيْنِ الشَّقِيقَ خُدُودَا
وَحَسَدْنَ كَثْبَانَ النِّقَا وَغُصُونَهُ ، فَتَقَلْبُنَ أَرْدَا فَا وَمِيسَنَ قُدُودَا
مِنْ كُلِّ وَاضِحَةٍ ، إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ عَايَنْتَ دُرًّا فِي الثَّغُورِ نَضِيدَا
حَدَرْتَ عَيْونَ الْعَاشِقِينَ فَصَبَّرْتَ بُرْجَ الْهَيْلَالِ تَمَائِمًا وَعُقُودَا
كَمْ قَدْ سَهَرْتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُ زُورَةً مِنْهَا ، فَلَمْ أَرَ لِلصَّبَاحِ عَمُودَا
وَرَعَيْتُ أَنْجُمَهُ فَأَكْسَبْتُ السَّهَا سَقَمِي ، وَأَكْسَبَ جَفَنِي التَّسْهِيدَا^٢
وَحَمَلْتُ أَعْبَاءَ الْغَرَامِ وَثِقْلَهُ ، فَرَدًّا ، وَحَارَبْتُ الزَّمَانَ وَحِيدَا

١ . العهد : المطر .

٢ . السها : نجم . التسهيد : السهر .

فَجَعَلْتُ نَجْمَ الدِّينِ سَهْمِي عِنْدَمَا
نَجْمٌ تَدِينُ لَهُ النُّجُومُ خَوَاضِعًا ؛
غَيْثٌ يُرِيكَ مِنَ السِّيُوفِ بَوَارِقًا ،
يَقْظَانُ الْقَتَى فِي حَبَائِلِ عَزْمِهِ
رَأْيٌ يَرَى مَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ،
وَعَدَ الصَّوَارِمَ أَنْ يَقْدَ بِهَا الطَّلَا ،
مَا شَدَّدَ النَّوْنَ الثَّقِيلَ لِأَنَّهُ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي مَلَكَ الْوَرَى ،
وَأَفَيْتَ ، إِذْ مَاتَ السَّمَاخُ وَأَهْلُهُ ،
وَقَدِمْتَ نَحْوَ دِيَارِ بَكْرِ مُظْهِرًا
عَطَلْتَ ، فَلَوْلَا أَنْ ذَلِكَ جَوْهَرٌ
كَمْ غَارَةٌ شَعَوَاءَ حِينَ شَهِدَتْهَا ،
فِي نَارِهَا كُنْتَ الْخَلِيلَ ، وَإِنَّمَا
أَخْفَيْتَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ جُثْثِ الْعِدَى
زَوَّجْتَ أَبْكَارَ الْعِدَى بِنُفُوسِهِمْ ،
كَفَّرُوا ، فَأَمَنْتَ الرُّؤُوسَ لِأَنِّهَا
وَبَغَوْا ، فَوَكَّلْتَ الْحِمَامَ بِحَرْبِهِمْ ،

عَايَنْتُ شَيْطَانَ الْخُطُوبِ مَرِيدًا^١
مَلِكٌ تَخْرُ لَهُ الْمُلُوكُ سُجُودًا
وَمِنْ الْجِيَادِ زَلَّازِلًا^٢ وَرُعُودًا
شُرُكًا يَصِيدُ بِهَا الْكُفَّاءَ الصَّيْدَا
وَعُلَا^٣ تُرِيدُ إِلَى السَّمَاءِ صُعُودًا
وَعَدَا أَرَاهُ لِلْعُدَاةِ وَعَيْدَا
إِنْ قَالَ يَسْبِقُ فِعْلُهُ التَّأْيِيدَا^٤
فَغَدَتْ لِدَوْلَتِهِ الْعِبَادُ عَيْدَا
فَأَعَدَّتْهُ خَلْقًا لَدَيْكَ جَدِيدَا
عَدَلًا يُمَهِّدُ أَرْضَهَا تَمْهِيدَا
لِلَّهِ ، مَا حَلَّتْ لَهَا بِكَ جِيدَا
أَعْطَيْتَ فِيهَا النَّصْرَ وَالتَّأْكِيدَا
عِنْدَ التِّمَاسِ حَدِيدِهَا دَاوُدَا^٥
حَتَّى جَعَلْتَ لَكَ الْوُحُوشَ وَفُودَا
وَجَعَلْتَ أَطْرَافَ الرَّمَاكِ شُهُودَا
خَرَّتْ لِسَيْفِكَ رُكْعًا وَسُجُودَا
ثُمَّ ارْتَضَيْتَ لَهُ السِّيُوفَ جُنُودَا

١ المرید : الخیث ، الشریر .

٢ النون الثقیل : أراد فون التکید الی یؤكد بها المتکلم ما یریده .

٣ أراد بخلیلها : إبراهیم الخلیل ، وبدادودها : النبی داود .

ضَاقَتْ عَلَى الْقَتْلِ الْفَلَاةُ بِأَسْرِهَا ،
وَجَرَتْ عَلَى الْخَيْلِ الدَّمَاءُ مُذَالَةً ،
يَا وَيْحَ قَوْمٍ أَغْضَبُوكَ بِجَهْلِهِمْ ،
وَتَحَصَّنُوا فِي قَلْعَةٍ لَمْ يَعْلَمُوا
حَتَّى رَمَيْتَ حُصُونَهَا بِكَتَائِبٍ
بِقَسَائِرٍ قَلَّتْ عَدِيداً فِي اللَّقَا ،
مِنْ فِتْنَةٍ كَسَرُوا غُمُودَ سَيُوفِهِمْ ،
رَفَضُوا الدَّرُوعَ عَنِ الْجُسُومِ ، وَأَسْبَغُوا
مَرَّوَا بِهَا خُزَّرَ الْعُيُونِ ، فَأَوْجَسَتْ
لَوْ لَمْ يُورَدْ خَدَّاهَا مِنْهُمْ حَيَا ،
قَذَفَتْ بَيْنَ فِيهَا إِلَيْكَ ، كَأَنَّمَا
قَالُوا ، وَقَدْ وَجَدُوا لِبَاسِكَ رَهْبَةً
سَأَلُوا الْبَقَاءَ ، فَكَانَ مَانِعُكَ الْحَيَا
لَوْ شِئْتَ مَا أَبْقَيْتَ صِفَاحُكَ يَافِعاً
نَبَذُوا السَّلَاحَ مَخَافَةً لَمَّا رَأَوْا
ظَنُّوا السَّحَابَ ، إِذَا نَشَأَ ، عَجَاجَةً ،
سَكِرُوا وَمَا سَكِرُوا بِكَأْسٍ مُدَامَةٍ ،

فَجَعَلَتْ أَكْبَادَ التَّسْوِيرِ لِحُودَا
فَكَأَنَّمَا كُسِيتَ بَيْنَ جُلُودَا^١
وَرَأَوْا قَرِيبَ الْفَتْحِ مِنْكَ بَعِيدَا
أَنْ سَوْفَ تَشْهَدُ يَوْمَهَا الْمَوْعُودَا
شُهِبَ ، وَقُدَّتْ لَهَا الْجِيَادُ الْقُودَا^٢
وَمِنْ الشَّجَاعَةِ أَنْ تَقِيلَ عَدِيدَا
وَاسْتَبَدَّلُوا قُلُلَ الرُّؤُوسِ غُمُودَا
فَوْقَ الْجُسُومِ مِنَ الْقُلُوبِ حَدِيدَا
جَزَعاً ، وَكَادَتْ بِالْكُمَاةِ تَمِيدَا^٣
جَعَلُوا الدَّمَاءَ لَحْدَهَا تَوْرِيدَا
عَلِمَتْهَا مِنْ رَاحَتِكَ الْجُودَا
وَمَخَافَةً تَذَرُ الْفَصِيحَ بَلِيدَا
مِنْ أَنْ يُرَى لَكَ سَائِلٌ مَرْدُودَا
مِنْهُمْ ، وَلَا تَرَكْتَ فَنَّاكَ وَلِيدَا
رَايَاتِ جَيْشِكَ قَدْ مَلَأْنَ الْبِيدَا
وَالْبَرْقَ بَيْضاً ، وَالرَّعُودَ بُنُودَا
لَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ كَانَ شَدِيدَا

١ المذالة : الدرع الطويلة .

٢ الكتيبة الشهباء : العظيمة الكثيرة السلاح . القود ، الواحد أقود : وهو من الخيل الذليل المنقاد .

٣ قوله تميدا : أراد أن تميدا .

ورأوك مُعْتَصِمَ الْعَزَائِمِ فَاخْتَشَوْا
أُولَئِكَ لَمَّا أَطَاعُوا أَنْعَمَ
فَانْظُرْ تَجِدْ مَعَ كُلِّ نَفْسٍ مِنْهُمْ
أَكْسَبَتْ أَفْقَ الْمُلْكِ ، يَا نَجْمَ الْهُدَى ،
وَطَرَدَتْ جَوْرَ الْحَادِثَاتِ عَنِ الْوَرَى ،
مَا دَامَ جُودُكَ يَا ابْنَ أَرْثُوقٍ وَاصِلِي ،
مَا فَكَّ مَدْحِي فِيكَ قَيْدَ تَعْبُدِي ،
لَا زِلْتَ مَحْسُوداً عَلَى نَيْلِ الْعُلَى ،
بِكَ يَوْمَ عَمُورِيَّةَ الْمَشْهُودَا
لَا تَسْتَطِيعُ لِبَعْضِهَا تَحْدِيدَا
مَنْ فِيضَ بَرَكَ سَائِقاً وَشَهِيدَا
نُوراً جَلَا ظَلَمَ الْخُطُوبِ السُّودَا
وَلَسَكُمْ أَجَرَتْ مِنَ الزَّمَانِ طَرِيدَا
مَنْ شَاءَ يَمْنَحُنِي جَفّاً وَصُدُودَا
إِلَّا وَضَعْتَ مِنَ النَّوَالِ قَبُودَا
فَدَوَامُ عِزِّكَ أَنْ تُرَى مَحْسُودَا

ترجي فوائده ويخشي بأسه

وقال يمدحه بيفداد عند قدومه إليها :

كَيْفَ الضَّلَالُ وَصُبْحُ وَجْهِكَ مُشْرِقٌ ،
يَا مَنْ إِذَا سَفَرَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ ،
أَوْضَحَتْ عُدْرِي فِي هَوَاكَ بَوَاضِعِ
فَإِذَا الْعَدُولُ رَأَى جَمَالَكَ قَالَ لِي :
أَغْنَيْتَنِي بِالْفِكْرِ فِيكَ عَنِ الْكِبَرَى ،
وَشَدَاكَ فِي الْأَكْوَانِ مِسْكٌ يَبْعَثُ
ظَلَمْتُ بِهِ حَدَقُ الْخَلَائِقِ تُحَدِّقُ
مَاءُ الْحَيَا بِأَدِيمِهِ يَتَرَقَّرُ
عَجَباً لِقَلْبِكَ كَيْفَ لَا يَتَمَزَّقُ
يَا أَسْرِي ، فَأَنَا الْغَنِيُّ الْمُلِقُ

١ الملحق : الفقير .

يا أسيراً قلبَ المحبِّ ، فدَمَعُهُ
 لولاكَ ما نافقتُ أهلَ مودَّتِي ،
 وصَحِبتُ قومًا لَسْتُ من نظرائِهِمْ ،
 قولاً لِمَن حَمَلَ السَّلاحَ ، وخصَرُهُ
 لا تُوهِ جِسمَكَ بالسَّلاحِ وثِقَلِهِ ،
 ظيٌّ من الأتراكِ فوقَ خُدودِهِ
 تَلقاهُ ، وهوَ مُزَرَّدٌ ومُدَرَّعٌ ،
 لم تَتَرَكِ الأتراكُ بَعْدَ جَمالِها
 إنْ نُوزِلوا كانوا أَسودَ عَريكةٍ ،
 قومٌ ، إذا رَكِبوا الجِياذَ ظَنَسْتَهُمْ
 قد خُلِقَتْ بَدَمُ القُلُوبِ خُدودُهُمْ ،
 جَدَبوا القِسيَّ إلى قِسيِّ حَواجِبِ ،
 نَشَرُوا الشَّعورَ ، فَكُلُّ قَدٍّ مِنْهُمْ
 لي مِنْهُمْ رَشاشٌ ، إذا غازَلْتُهُ
 إنْ شاءَ يَلقاني بِخُلُقٍ واسِعٍ ،
 لم أنسَ لَيلَةَ زارَتِي ورَقِيهَ

والنَّومُ مِنْهُ مُطَلَقٌ ومُطَلَّقٌ
 وظَلَلْتُ فيكَ نَفِيسَ عُمري أَفَقٌ
 فَكَأَنِّي في الطَّرَسِ سَطَرٌ مُلْحَقٌ
 مِنْ قَدِّ ذابِلِهِ أَدَقُّ وأرَشَقُ
 إِنِّي عَلَيكَ مِنَ الغِلالَةِ أَشْفَقُ
 نارٌ يَخُرُّ لها الكَلِيمُ وَيُصَعِقُ^١
 وتَراهُ ، وهوَ مُقَرَّطٌ ومُقَرَّطٌ^٢
 حَسناً لِلخُلُقِ سِواها يُخَلِّقُ
 أو غُوزِلوا كانوا بَدوراً تُشْرِقُ
 أَسَدًا بِالْحاظِ الجَاذِرِ تَرْمُقُ
 ودَروَعُهُمْ بَدَمُ الكُماةِ تُخَلِّقُ^٣
 مِنْ تَحْتِها نَبْلُ اللِّواحِظِ تَرَشُّقُ
 لَدُنْ ، عَلَيهِ مِنَ الذَّوائِبِ سَنَجَقُ^٤
 كادَتْ لِواظِطِهِ بِسِحْرِ تَنطِيقُ
 عَندَ السَّلامِ ، نَهاهُ طَرَفُ ضَبَقُ
 يُبْدي الرِّضا ، وهوَ المَغِيطُ المُحَنَّقُ

١ الكليم : موسى .

٢ مقرط : لابس القرط ، نوع من الثياب .

٣ خلقت : طيبت بالخلق ، ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران .

٤ السنجق : الراية .

وافئى ، وقد أبدى الحياءُ بوجهه
 أسمى يُعاطيني المدام ، وبيننا
 حتى إذا عبث الكرى يحفونه
 عانقته ، وضمته ، فكأنه
 حتى بدا فلق الصباح ، فراعته ؛
 فهناك أوما للوداع مُقبلاً
 يا مَنْ يُقبل للوداع أناملي !
 ولقد رضيت عن الصباح ، وإن غدا
 وغفرت ذنب الدهر حين بدت به
 المالك المنصور ، والملك الذي
 نجم له فلك السعادة مطلع ؛
 من معشر حازوا الفخار بسعيهم ،
 قوم هم الدهر العبوس ، إذا سطوا ،
 وإذا استغاث المستغيث تسرعوا ؛
 ملك تحف به الملوك ، كأنه
 ونبي عصر بالسماحة مُرسل ،
 قد ظللته سحابة من خيرهِ ،
 والقبّة العليا ، والطير الذي

ماء ، له في القلب نارٌ تحرقُ
 عتب الذئ من المدام وأروقُ
 كان الوسادة ساعدي والمرفقُ
 من ساعدي مطوق ومُمنطقُ
 إن الصباح هو العدو الأزرقُ
 كفتي ، وهي بذيله تتعلقُ
 إنني إلى تقيل نغرك أشوقُ
 للعاشقين غراب بين ينقُ
 من طلعة السلطان شمس تشرقُ
 من خوفهِ طرف النوايب مطرقُ
 بدر له أفق المعالي مشرقُ
 وبني لهم فلك المعالي أرتقُ
 وإذا سخوا ، فهم السحاب المغدقُ
 وإذا استجار المستجير ترفقوا
 بدر به زهر الكواكب تحديقُ
 كل الأنام بما أناه تُصدقُ
 تسري ، وآيته السماح المطلقُ
 من حوله رايات نصر تحفقُ

والجَيْشُ مُمْتَدُّ الْجَوَانِبِ حَوْلَهُ ،
 فْلَوْحِشِهَا أَجْنَادُهُ وَجِيَادُهُ ،
 مَلِكٌ يَجِلُّ عَنِ الْعِيَانِ ، فَتَغْتَدِي
 فَإِذَا تَطَلَّعَ قُلْتُ لَيْثٌ نَاطِرٌ ؛
 كَالشَّمْسِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَخْتَفِي ،
 وَالْغَيْثِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْتَهِي ،
 وَالسِّيفِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْتَنِي ،
 وَالْدَّهْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْتَدِي ،
 تُرْجَى فَوَائِدُهُ ، وَيُخْشَى بَأْسُهُ ،
 لَبِيقُ الْأَنَامِلِ بِالْبِرَاعِ ، وَإِنِّهَا
 كَفٌ لَّا حَفِظَ الْبِرَاعُ مُضِيعَةً ،
 لَا يَحْتَوِي الْأَمْوَالَ ، إِلَّا مِثْلَمَا
 جَرَتْ الْمُلُوكُ لَسَبَقِ غَايَاتِ الْعُلَى ،
 حَتَّى إِذَا نَكَصَ الْمُكَافِحُ جَاءَهَا
 يَا مَنْ بِهِ شَرُفَتْ مَعَاقِدُ تَاجِهِ ،
 أُنِيسَتْ بِمَقْدَمِكَ الْعِرَاقُ وَأَهْلُهَا ،
 يُفْلَى بِهِ فَوْدُ الْفَلَا وَالْمَفْرِقُ^١
 وَلَطِيرِهَا بَازِيهِ^٢ وَالزُّرْقُ^٣
 بِقُلُوبِنَا ، لَا بِالنَّوَاطِرِ ، نَرْمُقُ^٤
 وَإِذَا تَفَكَّرَ قُلْتُ صِلْ^٥ مُطَرِّقُ
 وَالبَدْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُمَحِّقُ^٥
 وَاللَّيْثِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَفْرِقُ^٥
 وَالسَّيْلِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَغْرِقُ^٥
 وَالبَحْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَزْهَقُ^٥
 كَالنَّارِ تَمْنَحُكَ الضِّيَاءَ وَتُحْرِقُ^٥
 بِالْبَيْضِ فِي يَوْمِ الْكَرِيهَةِ الْبَقُ^٥
 وَلِمَا تَجَمَّعَهُ الصَّفَاحُ تُفَرِّقُ^٥
 يَحْوِي بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ الزَّيْبِقُ^٥
 فَمُشَمَّرٌ فِي جَرِيهِ وَمُحَلِّقُ^٥
 مُتَهَادِيًا فِي خَطْوِهِ يَتَرَفَّقُ^٥
 وَبِهَا يُشَرَّفُ مِنْ سِوَاهُ الْمَفْرِقُ^٥
 وَاسْتَوْحِشْتُ لَكَ حَرْزَمٌ وَالْجَوْسَقُ^٥

١ الفود : جانب الرأس مما يلي الأذنين إلى الأمام .

٢ الزرق : طائر صياد بين الباز والباشق .

٣ يفرق : يخاف .

٤ يزهق : يفضح .

٥ حرزوم والجوسق : لعلهما مكانان .

وَعَدَتْ عَيُونُ الصُّورِ صُورًا ، وَالْحِمَى
أَرْضٌ تَجِلُّ بِرَبْعِهَا فَلِبَاسُنَا
فَالنَّاسُ تَسْتَسْقِي الْغَمَامَ وَمَنْ بِهَا
يَا مَنْ يُقَاسُ مَارْدِينَ بِجِلْقٍ
لَمْ تُذَكِّرِ الشَّهَاءُ فِي سَبْقِ الْعُلَى ،
كَمْ مَارْدِينَ لِمَارْدِينَ تَوَاتَبُوا ،
لَمْ يَعْقِلُوا ، إِلَّا وَآجَامُ الْقَنَا
وَتَجَمَّعُوا حَتَّى مَدَدَتْ لَهُمْ يَدًا ،
ذَهَلَ الْهِيَاجُ عُقُولَهُمْ ، فَتَوَهَّمُوا
مَا أَنْتَ يَوْمَ السَّلَمِ إِلَّا وَاحِدٌ
أَغْلَقْتَ بَابَ الْعُذْرِ مَعَ تَصْحِيفِهِ ،
مَوْلَايَ سَمْعًا مِنْ وَلِيِّكَ مَدْحَةٌ
أَنَا عَبْدُ أَنْعُمِكَ الْقَدِيمُ وَدَادُهُ ،
عَبْدٌ مُقِيمٌ بِالْعِرَاقِ وَمَدْحُهُ
فَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى عِلَاكَ بَدَائِعًا
مِنْ كُلِّ هَيْفَاءِ الْكَلَامِ رَشِيقَةً
حَسَدَتْ أَهْيَلُ دِيَارِ بَكْرِ مَنْطِقِي

أَمْسَى إِلَى إِقْبَالِكُمْ يَتَشَوَّقُ^١
مَنْ سُنْدُسٍ وَفِرَاشُنَا الْإِسْتَبْرَقُ^٢
يَدْعُو إِلَـهَ بَآنَهُ لَا يَفْرَقُ
بَعْدَ الْقِيَاسِ وَأَيْنَ مِنْهُ جِلْقُ
إِلَّا كَبَتْ شَقَرَاوَهَا وَالْأَبْلَقُ
وَمَنْ الْمَحَالِ طِلَابُ مَا لَا يُلْحَقُ^٣
سُورُهَا ، وَدَمُ الْفَوَارِسِ خَنْدَقُ
ذَكَرُوا بِهَا أَيْدِي سَبَا ، فَتَفَرَّقُوا
فِي كُلِّ خَافِقَةٍ لِيَاءُ يَخْفُقُ
فَرْدٌ ، وَفِي يَوْمِ الْكَرِيهَةِ فَيَلْقُ
وَالْجُودُ عِنْدَكَ بَابُهُ لَا يُغْلَقُ
عَنْ صِدْقٍ وَدُعَى فِي عِلَاكُم تَنْطِقُ
وَسَوَايَ فِي أَقْوَالِهِ يَتَمَلَّقُ
فِيكُمْ يُغْرَبُ تَارَةً وَيُشْرِقُ
يَعْيَا بِأَيْسَرِهَا النَّصِيحُ الْمُفْلِقُ
فِي طَيْهَا مَعْنَى أَدَقُّ وَأَرْشَقُ
فِيهَا ، كَمَا حَسَدَ الْهَزَارَ اللَّقْلَقُ^٤

١ الصور : لعله موضع . صوراً : ماثلات .

٢ السندس : ضرب من نسيج الديباج والحريز . الاستبرق : الديباج الغليظ ، وثياب من حرير وذهب .

٣ كَمْ مَارْدِينَ : كَمْ عَاصِينَ . مَارْدِينَ الثَّانِيَةِ : اسم مدينة .

٤ الهزار : طائر جميل الصوت . اللقلق : طائر طويل العنق والرجلين يأكل الحيات .

أَعَيْتُ أَكْبَرَهُمْ أَصَاغُرُ لَفْظِهَا ،
جَاوَوْكَ بِاللَفْظِ الْمُعَادِ لِأَنِّي
لَهُمْ بِذَلِكَ جِبِلَّةٌ جِبَلِيَّةٌ ،
مَا كُنْتُ أَرْضَى بِالْقَرِيضِ فَضِيلَةً ،
قَالُوا : خُلِفْتَ مُوَفَّقًا لِمَدِيحِهِ ،
لَأَنِّي لَيَقْنَعُنِي الْقَبُولُ إِجَازَةً ،
لَا زَالَ أَمْرُكَ بِالسَّعَادَةِ نَافِذًا
وَلَرَبَّمَا أَعْيَا الرُّخَاخَ الْبَيْدَقُ
غَرَبْتُ فِي طَلَبِ الْغَرِيبِ وَشَرَقُوا
وَلَنَا عِرَاقٌ وَالْقَصَاحَةُ مُعْرِقُ
لَكِنْ رَأَيْتُ الْفَضْلَ عِنْدَكَ يَتَفَقُّ
فَأَجَبْتُهُمْ : إِنَّ السَّعِيدَ مُوَفَّقُ
إِنَّ التَّصَدِّقَ بِالْوَدَادِ تَصَدَّقُ
فِي الْأَرْضِ تَمْنَعُ مَنْ تَشَاءُ وَتَرْزُقُ

أعلام الهدى

وقال وقد اقترح عليه أن ينظم
موشعاً عروض موشح سمعته للمغاربة
عل هذا الوزن :

شُقَّ جَيْبُ اللَّيْلِ عَنْ نَحْرِ الصَّبَاحِ
وَبَدَا لِلطَّلِّ فِي جَيْدِ الْأَقَاخِ
وَدَعَانَا لِلدَّيْدِ الْإِصْطِبَاحِ
فَاخْضِبِ الْمِيْزَلَ مِنْ نَحْرِ الدَّنَانِ
أَيْهَا السَّاقُونَ
لَوْلَوْ مَكْنُونُ
طَائِرٌ مَيِّمُونُ
بَدَمِ الزَّرْجُونِ

١ الزرجون : الحمر .

تَتَلَقَّى دَمَهَا حُورُ الْجِنَانِ فِي صِيحَافٍ جُونُ
فَاسْقِينِيهَا قَهْوَةً تَكْسُو الْكُوُوسُ بَسَنًا الْأَنْوَارُ
وَتُمِيتُ الْعَقْلَ، إِذْ تُحْيِي النَفُوسُ رَاحَةً الْأَسْرَارُ
بَنْتُ كَرَمٍ عُنُقَتْ عِنْدَ الْمَجُوسُ فِي بِيوتِ النَّارِ
غَرَسَتْ كَرَمَتَهَا بَيْنَ الْقِيَانِ يَدُ أَفْلَاطُونُ
وَبِمَاءِ الصَّرْحِ قَدْ كَانَ يُطَانُ دَنَّتْهَا الْمَخْزُونُ
أَخْبَرْتَنَا عَنْ بَنِي الْعَصْرِ الْقَدِيمِ خَبَرًا مَأْثُورُ
وَرَوَتْ يَوْمَ مُنَاجَاةِ الْكَلِيمِ كَيْفَ دُكَّ الطُّورُ
وَلَمَّاذَا اتَّخَذَتْ أَهْلُ الرَّقِيمِ كَهْفَهَا الْمَذْكُورُ
وَنَدَا يُونُسُ عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ بِالتَّقَامِ النَّوْنُ^١
وَبَنَى نُوحٌ غَدَاةَ الطَّوْفَانِ فُلُكَهُ الْمَشْحُونُ
مُذْ جَلَا شَمْسُ الضُّحَى بَدْرُ التَّمَامِ فِي اللَّيَالِي السَّوْدُ
وَعَدَا يَصْبِغُ أَذْيَالَ الظَّلَامِ بِدَمِ الْعُنُقُودِ
قُلْتُ يَا بُشْرَاكُمْ هَذَا غُلَامٌ وَفَتَاةٌ رُودُ^٢
مَرْجَا الْكَأْسِ وَرَاحًا يَسْقِيَانِ فِي حِمَى جِيْرُونِ^٣
فَبَدَّلْنَا فِي الْقَتَانِي وَالْقِيَانِ مَا حَوَى قَارُونُ
نَالَ فِعْلُ الْحَمْرِ مِنْ ذَاتِ الْحِمَارِ عِنْدَ شُرْبِ الرَّاحِ

١ ندا : اعتزل ، وتنحى . النون : الحوت .

٢ الرود : الشابة الحسنة .

٣ جيرون : محلة في دمشق .

فَقَدَّتْ تَسْتَرُ مِنْ فَرَطِ الْخُمَارِ وَجْهَهَا الْوَضَاحُ
خَلَّتْهَا ، إِذْ لَمْ تَدْعَ بِالْإِخْتِمَارِ غَيْرَ صَلَّتِ لَاحٌ^١
قَمَرًا تَمَّ لَسَبَعٍ وَثَمَانٍ ، فِي اللَّيَالِي الْجُونِ^٢
قَدَرَتْهُ الشَّمْسُ فِي حَالِ الْقِرَانِ فَهُوَ كَالْعُرْجُونِ^٣
أَفْعَمَ الزَّامِرُ بِالنَّفْخِ الْمُدَارِ نَايَهُ الْمَخْصُورُ
فَغَدَا ، وَهُوَ لَأَمْوَاتِ الْخُمَارِ مِثْلَ نَفْخِ الصُّورِ
أَوْ كَمَا عَاشَ الْوَرَى بَعْدَ الْبَوَارِ بِنَدَى الْمَنْصُورِ
مَلِكٌ هَذَبَ أَخْلَاقَ الزَّمَانِ عَدْلُهُ الْمَسْنُونِ^٤
وَأَعَادَ النَّاسَ فِي ظِلِّ الْأَمَانِ عَضْبُهُ الْمَسْنُونِ^٥
مَلِكٌ أَنْجَدَ طُلَّابَ النَّدَى غَايَةَ الْإِنْجَادِ
مُتْلِفٌ ، إِنْ جَالَ ، آجَالَ الْعِدَى وَاللَّهَى إِنْ جَادَ
مِنْ بَنِي أَرْتُقَ أَعْلَامِ الْهَدَى سَادَةَ أَنْجَادِ
مَهْدَ الْأَرْضِينَ بِالْعَدْلِ ، فَكَانَ أَمْنُهَا مَضْمُونِ
ذِيئُهَا وَالشَّاةُ تُرْعَى فِي مَكَانٍ ، غَدْرُهُ مَأْمُونِ
بِاذِلِ الْأَمْوَالِ مِنْ قَبْلِ السَّوَالِ بِأَكُفِّ الْجُودِ

١ الاختمار : وضع الخمار ، البرقع . الصلت : الخد الأسيل .

٢ الجون : السود .

٣ المرجون : أصل العذق الذي يعوج ويبقى على النخل يابساً بعد أن تقطع عنه الشاريخ .

٤ المسنون : الحسن .

٥ عضبه : سيفه .

ما رَجَاهُ آمَلُ إِلَّا ونَسَالَ
 فإذا ما أُمَّهُ رَاجِي النِّوَالِ
 يَهَبُ الْوِلْدَانَ وَالْحُوزَ الْحِسانَ
 وَسِوَاهُ إِنْ دَعَاهُ ذُو لِسَانٍ
 يا مَلِكاً لَبَنِي الدَّهْرِ مَلِكُ ،
 مَلِكُ أَنْتَ عَظِيمٌ أُمُّ مَلِكٍ
 بِالَّذِي تَخْتَارُهُ دَارَ الْفَلَكَ ،
 مُدَّ رَأْيَ بِأَسْكَ سُلْطَانُ الْأَوَانِ ،
 حَاوَلَ النَّصْرَ كَمُوسَى ، فَاسْتَعَانَ ،
 بِكَ يَا هَارُونَ

اغرقت بالانعام عبدك

وقال يمدحه أيضاً عند قدومه إلى
 الموصل في سنة اثنتين وسبعمئة :

حُوشِيَتْ مِنْ زَفَرَاتِ قَلْبِي الْوَالِيهِ ، وَكُفِيَتْ مَا يَلْقَاهُ مِنْ بَلْبَالِهِ ١
 وَأُعِيدُ سِرِّكَ إِنْ يَكَابِدَ بَعْضُ مَا لَا قِيْتُ مِنْ قِيلِ الْعَدُولِ وَقَالِهِ

١ الماعون : المعروف .

٢ البلبال : شدة الهم .

يَا مَنْ يُعِيرُ الْغُصْنَ لَيْنَ قَوَامِهِ ،
 مَا حَلَّتِ الْوَاشُونَ مَا عَقَدَ الْهَوَى ،
 صِلْ عَاشِقًا لَوْلَاكَ مَا ذَكَرَ الْحِمَى ،
 وَاجْعَلْ كِنَاسَكَ فِي الْقُلُوبِ ، فَإِنَّهَا
 لَلَّهِ بِالزُّورِ لَيْلَتُنَا ، وَقَدْ
 وَرَشَفَتْ بَرْدَ الرَّاحِ مِنْ مَعْسُولِهِ ،
 رَشًا كَبَدِرِ التَّمِّ فِي إِشْرَاقِهِ ،
 مَا اهْتَزَّ وَافِرُ رِدْفِهِ فِي خَطْوِهِ ،
 مَا بَالُهُ أَضْحَى يَشِينُ وَعِيدَهُ
 وَيُذْبِقُنِي طَعْمَ الْمَلَالِ تَدَكُّلًا ،
 مَا ضَرَّ طَيِّفَ خَيَالِهِ لَوْ أَنَّهُ
 مَا كَانَ مِنْ فِعْلِ الْجَمِيلِ يَضُرُّهُ ،
 قَسَمًا بِضَادِ ضِيَاءِ صُبْحِ جَبِينِهِ ،
 لِأَكْبَادَنْ لَهَبَ نَارِ صُدُودِهِ ،
 وَلِأَحْمِلَنْ الْيَمَّ فَرَطَ عَذَابِهِ ،
 حَتَّى تَقُولَ جَمِيعُ أَرْبَابِ الْهَوَى :
 أَفْدِي الْغَزَالَ الْمُسْتَبِيحَ بِلَحْظِهِ

وَيُغِيرُ بَدْرَ التَّمِّ عِنْدَ كَمَالِهِ
 تَقْفَى اللَّيَالِي وَالْغَرَامُ بِحَالِهِ
 وَلَمَّا غَدَا مَتَغَزَلًا بِغَزَالِهِ
 تُغْنِيكَ عَنْ شَيْخِ الْعَذِيبِ وَضَالِهِ
 جَرَدَتْ غُصْنُ الْبَانِ مِنْ سِرْبَالِهِ
 وَضَمَمْتُ قَدْ الدَّنِ مِنْ عَسَالِهِ
 وَكَمَالِ طَلْعِهِ وَبُعْدِ مَنَالِهِ
 إِلَّا تَشَكَّى الْخَصْرُ مِنْ أَثْقَالِهِ
 بِنَجَازِهِ وَوَعُودُهُ بِمِطَالِهِ
 فَأَذُوبُ بَيْنَ دَلَالِهِ وَمَلَالِهِ
 يَسْخُو عَلَيَّ ، وَلَوْ بِطَيِّفِ خَيَالِهِ
 لَوْ كَانَ يَجْعَلُهُ زَكَاةَ جَمَالِهِ
 وَوَحَقَّ سَيْنِ سَوَادِ عَنَبِ خَالِهِ
 وَلَأَرْكَبَنَّ عُبَابَ بَحْرِ مَلَالِهِ
 وَأَدُومُ مُصْطَبِرًا عَلَى أَهْوَالِهِ
 هَذَا الَّذِي لَا يَسْتَهِي عَنْ حَالِهِ
 قَتَلَ الْأُسُودَ ، وَمَا دَنَتْ لِقَتَالِهِ

١ الشَّيْخُ وَالْفَصَالُ : نَوْعَانِ مِنَ الشَّجَرِ .

٢ الْمَسَالُ : الرَّمْحُ الْبَلِينُ .

رَشَاءٌ تَفَرَّدَ فِي الْمَحَاسِنِ فَاغْتَدَى
 مَا حُرِّكَتْ سَكَنَاتُ فَاتِرِ طَرْفِهِ ،
 حَكَمَتْ فَجَارَتْ فِي الْقُلُوبِ لِحَاطَهُ
 الْمَالِكُ الْمَنْصُورُ ، وَالْمَلِكُ الَّذِي
 مَلِكٌ يَسِيرُ النَّصْرُ عَنْ تِلْقَائِهِ ،
 مَلِكٌ تَقُولُ الْأَرْضُ إِذْ يَمْشِي بِهَا :
 فَلِذَا دَعَا الدَّهْرَ الْعَبُوسَ أَجَابَهُ
 سُلْطَانُ عَصْرِ عَزْمُهُ رَاضٍ الْوَرَى ،
 أَضْحَى حِمَى الْحُدَبَاءِ عِنْدَ إِيَابِهِ ،
 ضَرَبَ الْخِيَامَ عَلَى الْحِمَى ، فَأَكْفَهُ
 أَعْطَى وَأَجْزَلَ فِي الْعَطَاءِ تَبَرَّعًا ،
 ذَلَّتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمَّا عَايَنْتْ ،
 وَافْتِنَتْهُ ، وَكَأَنِّي مِنْ رَقِهِ ،
 يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِأَنِّي
 فِي ظِلِّ مَلِكٍ ، مُذْ حَلَلْتُ بَرْبِعِهِ ،
 مَا ضَلَّ فِكْرِي فِي جَسِيلِ صِفَاتِهِ ،
 أَوْ أَصْدَأُ الْأَيَّامُ سَيْفَ قَرِيحَتِي ،
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي غَدَتِ الْعُلَى

تَفْصِيلُ رَسْمِ الْحُسْنِ فِي إِجْمَالِهِ
 إِلَّا وَأَصَمَّتِ الْقَلْبَ وَقَعَ نِبَالِهِ
 كَأَكْفَ نَجْمِ الدِّينِ فِي أُمُوَالِهِ
 تَخَشَّى النُّجُومُ الشُّهُبُ شُهْبَ نِصَالِهِ
 وَوَرَائِهِ ، وَيَمِينِهِ ، وَشِمَالِهِ
 حَسْبِي مِنَ التَّشْرِيفِ مَسُّ نِعَالِهِ
 مَتَعَثَّرًا بِالرَّعْبِ فِي أَذْيَالِهِ
 فَكَفَاهُ مَاضِيهِ عَنْ اسْتِقْبَالِهِ
 يَسْتَنْجِدُ الْإِقْبَالَ مِنْ إِقْبَالِهِ
 كَمِيَاهِهِ ، وَحُلُومُهُ كَجِبَالِهِ
 حَتَّى سَمِيتُ نِزَالَهُ بَنُوَالِهِ
 دُونَ الْأَنَامِ ، تَعَلَّقِي بِجِبَالِهِ
 فَأَعَزَّنِي ، فَكَأَنِّي مِنْ آلِهِ
 أَدْرَكْتُ طَيْبَ الْعَيْشِ بَعْدَ زَوَالِهِ
 جَاءَ الزَّمَانُ يَرُومُ حُلَّ عِقَالِهِ
 إِلَّا اهْتَدَى شِعْرِي بِحُسْنِ خِيَالِهِ
 إِلَّا جَعَلْتُ مَدِيحَهُ كَصِفَالِهِ
 مَقْرُونَةً بِجِلَادِهِ وَجِدَالِهِ

١ الحدياء : أراد بها الموصل .

أغرقت بالإنعام عبدك ، فاعتدى ، من بحرك التيار ، دُرُّ مقاليد
طوقته بذاك طوق كرامة ، وجعلت فيض الجود من أغلاله
أصفى لحضرك ولاك عقد ضميره ، فسوى مدحك لا يمرُّ بباليه

ملك اضحك السيوف

وقال فيه أيضاً وقد رسم طاب
ثراه أن ينظم موشعاً على هذا النمط
الخالى :

خذ من الدهر لي نصيب ، واغتني غفلة القدر
ليس طول المدى نصيب صفو عيش بلا كدر
فاجل لي كاعباً عروس ، لم ترعها يد الميزاج
نشرها عطر الكؤوس ، وكسا نورها الزجاج
في الضحى تشبه الشمس ، وهي تحت الدجى سراج
فارشيف الراح ، يا حبيب ، إن في ذاك معتبر
لترى الشمس ، إذ يغيب نورها في فم القمر
في رياض بها الشقيق ، قد جلا بهجة التمام
وزها زهرها الأنيق ، إذ بككت أعين الغمام

وانشئ غصنها الوريق ، فشدت فوقه الحمام
قام شحروورها خطيب ، راقباً منبر الشجر
كلما ناح عندليب ، نقط الدوح بالزهر
قم ، فإنني أرى الزمان ، محسناً بعدما أسا
قد أضاً ليله ، وكان ، صبحه يشبه المساء
ناه من عجيبه ، فلان ، صعبه بعدما قسا
قد بدا عزه المهيب ، وبمنصوره انتصر
ورأى فتحه القريب ، من أبي الفتح يستظر
ملك أضحك السيوف ، فبكت أعين العدى
جدعت بيضه الأتوف ، وروث كفه الصدى
صارم يُمطر الختوف ، ويد تُمطر الندى
لو دعا عزمه النجيب ، لِقضا الله والقدر
جاءه طائعا مجيب ، سامعا ما به أمر
قد حمى ربه الحصون ، فهو للناس ملتجأ
وإذا خابت الظنون ، عنده يصدق الرجا
المتى فيه والتنون ، فهو يخشى ويرتجى
جدا ربه الحصيب ، فيه يستبشر البشر
فاق في جوده الحصيب ، وسمت أرضه مضر

قد عَلا مَجْدُهُ ، فَكَادُ هَامَةَ المَجْدِ يَرْتَقِي
 وَلَهُ أَضْحَتِ العِبَادُ بَيْنَ رَاجٍ وَمُتَقِي
 بَاسِطُ العَدْلِ فِي البِلَادُ ، آلُ غَازِي بِنِ ارْتُقِ
 مَلِكُ صَدْرُهُ رَحِيبُ ، مِنْهُ يُسْتَمَطَرُ المَطَرُ
 قَلْبُهُ بِالنُّهَى قَلِيبُ ، وَهُوَ يَوْمَ الوَغَى حَجَرًا
 لَوْ رَأَيْنَا يَا ابْنَ الكِرَامِ مِثْلَ عَلِيَّكَ فِي الدُّوَلِ
 لَنَنْظِمْنَا مِنْ الكَلَامِ ضِعْفَ مَا نَنْظِمُ الأَوَّلِ
 دُرُّ لَفْظٍ مِنَ النِّظَامِ مُخْجِلٌ سَبْعُهَا الطُّوَلِ
 فَاعْتَبِرْ ، أَيُّهَا اللَّيِّبُ ، هَذِهِ السَّبْعَةُ القِصْرِ
 فِيكُمْ لَفْظُهَا يَطِيبُ ، لَا بِمَعْنَى بِهَا ظَهَرَ

بِحَرِّ مُتَفَرِّدٍ بِالدَّرِّ

وَقَالَ يَمْدَحُهُ وَيَصِفُ دَارًا عَمَرَهَا
 بِالْفَرْدُوسِ وَيَذْكُرُ جَمَاعَةَ جَارُوهُ
 فِي الشَّمْرِ فَقَصَرُوا عَنْهُ سَنَةَ ٧٠١ :

فِي مِثْلِ حَضَرَتِكُمْ لَا يَزَارُ الأَسَدُ ، فَكَيْفَ يَسْجَعُ فِيهَا الطَّائِرُ الغَرْدُ
 لِذَاكَ أَحْجِمُ عَنْ مَدْحِي ، فَيَبْعَثُنِي صِدْقُ الوَلَاءِ ، وَإِنِّي فَيْكَ مُعْتَقِدُ

١ القلب : البئر .

وكَيْفَ أَفْصَحُ أَشْعَارِي لَدَى مَلِكٍ ،
يَقْظَانُ يَقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِ فِكْرَتِهِ ،
بَحْرٌ ، وَلَكِنَّهُ بِالذَّرِّ مُنْفَرِدٌ ،
مِنْ مَعَشَرٍ إِنْ دُعُوا جَادُوا لَأَمْلِهِمْ
تَضَاعِفُ الرِّفْدَ لِلْوَفَادِ رَاحَتُهُ ،
عَادُوا فِي كُلِّ عُضْوٍ بِالثَّنَاءِ فَمٌ ،
وَلَوْ رَأَوْا مَا أَرَى مِنْ فَرْطِ لَذَّتِهِ
يَا أَبْتَاهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ طَائِرُهُ ،
وَمَنْ يُسَابِقُ بِالْإِنْعَامِ ، مُبْتَدِئًا ،
أَنْتَ الْفَرِيدُ الَّذِي حَازَتْ خَلَاتِقُهُ
وَوَاحِدُ الْعَصْرِ ، حَتَّى لَوْ حَلَفْتُ بِهِ
لَكَ الْيَرَاعُ الَّذِي إِنْ هَزَّ عَامِلُهُ ،
الْمُسْتَطِيلُ ، وَفِي حَدِّ الطَّبْئِ قِصْرٌ ،
إِذَا اغْتَدَى نَافِئًا بِالسَّحْرِ فِي عُقْدٍ ،
يَقْظَانُ مِنْهُ عَيُونُ النَّاسِ رَاقِدَةٌ ،
رَيْبُ سُمْرِ الْمُتَعَالِي ، وَهُوَ يَحْطِمُهَا ،
بِالْأَمْسِ كَانَ بَوْطَاءِ الْأُسْدِ مُرْتَعِدًا ،
ضَمَّ الْأَسْوَدَ فَمَا زَالَ الزَّمَانُ لَهُ
إِذَا انْتَنَى سَاجِدًا قَامَ الْمُلُوكُ لَهُ

يَغْدُو لَهُ التَّبَرُّ زَيْفًا حِينَ يَنْتَقِدُ
فِي يَوْمِهِ ، مَا طَوَاهُ فِي الضَّمِيرِ غَدُ
وَالْبَحْرُ يُجْمَعُ فِيهِ الدَّرُّ وَالرَّبْدُ
قَبْلَ السَّوَالِ ، وَأَعْطُوا فَوْقَ مَا وَجَدُوا
فَكَلَّمَا وَقَدُوا مِنْ جُودِهِ رُقِدُوا
وَقَدْ أَتَوْهُ ، وَكُلُُّ السَّوَالِ يَدُ
بِالْجُودِ مَا شَكَرُوا يَوْمًا وَلَا حَمْدُوا
وَمَنْ بَارَائِهِ الْأَمْلَاكُ تَعْتَضِدُ
نُطْقَ الْعُقَاةِ ، وَيُعْطِي قَبْلَ مَا يَعِدُ
مَا لَا يُحِيطُ بِهِ الْإِحْصَاءُ وَالْعَدَدُ
يَوْمًا ، لَمَا شَكَ خَلْقٌ أَنَّهُ الْأَحَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْهُ صِلَابُ الْبَيْضِ وَالزَّرْدُ
وَالْمُسْتَقِيمُ ، وَفِي قَدِّ الْقَنَا أَوْدُ
حَلَّتْ ، بِنَجْوَاهُ ، مِنْ آمَالِنَا الْعُقْدُ
وَلَوْ تَوَعَّدَ أَهْلَ الْكَهْفِ مَا رَقَدُوا
وَرَبَّمَا جَرَّ حَتَفَ الْوَالِدِ الْوَلَدُ
وَالْيَوْمَ مِنْهُ فَرِيضُ الْأُسْدِ تَرْتَعِدُ
يَتَنَوَّى الْمُكَافَاةَ حَتَّى ضَمَّهُ الْأُسْدُ
طَوْعًا ، وَإِنْ قَامَ فِي أَمْرِ لَمْ سَجَدُوا

يا باغي المجد من قبل الديار ، ومن
 بنيت بعد بناء المجد ، مبتدئاً ،
 أسست بالدين والتقوى قواعدها ،
 داراً توهمتها الدنيا لزينتها ،
 بها صنائع أبدتها صنائعكم ،
 تدقق الماء في سلسالها ، فحكي
 تجمع الأسد فيها والظباء ، كما
 مولاي ! دعوة عبد غير مفتتين
 قد صنت شعري وجل الناس تخطبته ،
 والشعر كالتمر يخفى حين تنظره
 فكيف يذهب ما نفع الأنام به ،
 إن شبهوني بمن دوني ، فلا عجب ،
 بك انتصرت على الأيام مستصفاً ،
 وكيف تعجز كفتي أن أنال بها

له المعالي التي لم يرقها أحد
 داراً لها العز أس ، والعلى عمد
 فكان عقباك منها عيشة رغد
 وما سمعت بدنيا ضمتها بكد
 يقنى المدى ، وبها آثاركم جدد
 سماح كفك فينا حين يطرد
 من فرط عدلك يرعى الذئب والنقدا
 بشعره وله الحساد قد شهدوا
 وذاك لولاك لم يعبا به أحد
 عين الغني ، ويغلو حين يتقصد
 منه جفاء ، ويرسو عندك الزبد
 فالدر يشبهه في المنظر البرد
 وصار لي فوق أيدي الحادثات يد
 هام السماك ، وأنت الباع والعصدا

المكارم عوائد الكرام

وقال يمدحه وأرسلها لديه من بغداد :

ما بَيْنَ طَيْفِكَ وَالْخُفُونِ مَوَاعِدُ ، فَبَيْفِي ، إِذَا خُبِرْتَ أَنْتِي رَاقِدُ
 إِنِّي لِأَطْمَعُ فِي الرُّقَادِ لِأَنَّهُ شَرَكُ يُصَادُ بِهِ الْغَزَالُ الشَّارِدُ
 فَأُظِلُّ أَفْنَعُ بِالْخِيَالِ ، وَإِنَّهُ طَمَعٌ يُؤَلِّدُهُ الْخِيَالُ الْفَاسِدُ
 هَيْهَاتَ لَا يَشْفِي الْمَحَبَّ مِنَ الْأَسَى قُرْبُ الْخِيَالِ ، وَرَيْهُ مُتَبَاعِدُ
 وَلَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْمَحَبَّةِ مَعَشَرُ عَدِمُوا مِنَ اللَّذَاتِ مَا أَنَا وَاجِدُ
 عَابُوا ابْتِهَاجِي بِالْغَرَامِ ، وَإِنِّي مَا عِشْتُ مِنْ سُكْرِ الْمَحَبَّةِ مَائِدُ
 قَالُوا: تَعَشَّقُ كُلَّ رَبِّ مَلَاةٍ ، فَأَجَبْتُهُمْ : إِنَّ الْمُحْرَّكَ وَاحِدُ
 فَالْحُسْنُ حَيْثُ وَجَدْتُهُ فِي حَبِيرٍ ، هُوَ لِي بِأَرْسَانِ الصَّبَابَةِ قَائِدُ
 مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْحَاظَ الظُّبَا ، هِيَ لِلْأُسُودِ حَبَائِلُ وَمَصَائِدُ
 إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْبَرِيَّةَ نَاطِقًا بَوَسَائِطٍ هِيَ لِلْكَمَالِ شَوَاهِدُ
 فَتَدَبَّرَ الْأَفْلَاكَ سَبْعَةُ أَنْجُمٍ ، وَيُدَبِّرُ الْأَرْضِينَ نَجْمٌ وَاحِدُ
 نَجْمٌ لَهُ فِي الْمُلْكِ أَنْجُمٌ عَزَمَةٌ هُنَّ الرُّجُومُ ، إِذَا تَطَرَّقَ مَارِدُ
 الْمَالِكُ الْمَنْصُورُ مَمْلُوكٌ جُودُهُ دَانِي الْمَنَالِ ، وَمَجْدُهُ مُتَبَاعِدُ
 مَمْلُوكٌ لَدَيْهِ مَوَاهِبٌ وَمَكَارِمُ ، هِيَ لِلْعُدَاةِ مَوَاهِنُ وَمَكَايِدُ^١

١ المواهن ، الواحد ماهن : الخادم ، وهي لا توافق معنى البيت ، ولعلها محرفة .

كالغَيْثِ فِيهِ لِلطُّغَاةِ زَلَازِلٌ ،
 يُخْشَى وَتُرْجَى بَطْشُهُ وَهَيَاتُهُ ،
 أَرَاوَهُ لِلكَائِنَاتِ طَلَائِعُ ،
 لَا يُؤَيِّسُنَّكَ بِأَسْهُ مِنْ جُودِهِ ،
 يَهَبُ الْمَطْيَ ، وَرَكِبُهُنَّ وَصَائِفُ ،
 لَكَ يَا ابْنَ أَرْتُقْ بِالْمَسْكَارِمِ نَيْسَبَةُ ،
 أَوْرَيْتَ مَجْدَ سَرَاةٍ أَرْتُقْ إِذْ خَلَّتْ ،
 قَوْمٌ تَعَوَّدَتْ الْهَيْبَاتِ أَكْفَهُمْ ،
 عَاشُوا ، وَفَضْلُهُمْ رُبْعُ الْوَرَى ،
 فَأَكْفَهُمْ ، يَوْمَ السَّمَاخِ ، جَدَاوِلُ ،
 وَكَفَلْتَ مَنْ كَلِيفَ الزَّمَانِ بِحِفْظِهِ ،
 فَيَدَاكَ فِي عُنُقِ الزَّمَانِ غَلَاثِلُ ،
 وَعُنَيْتَ بِي وَرَفَعْتَ قَدْرِي فِي الْوَرَى ،
 وَعَلِمْتَ أَنِّي فِي مَحَبَّتِكَ الَّذِي ،
 فَأَعَذِرُ مُحِبًّا إِنْ تَبَاعَدَ شَخْصُهُ ،
 فَلِذَا تَنَائِي عَنْكَ هَمٌّ سَائِقُ ،
 وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَيْكَ لَقَطِي كُلَّهُ ،
 فَلِذَا نَظَّمْتُ ، فَلِإِنِّي لَكَ مَادِحُ ،
 وَلَمَنْ يُؤْمَلُهُ الزُّلَالُ الْبَارِدُ ،
 كَالْبَحْرِ فِيهِ مَهَالِكُ وَفَوَائِدُ ،
 وَهَمُومُهُ بِالْغَانِيَاتِ شَوَاهِدُ ،
 دُونَ السَّحَابِ بَوَارِقُ وَرَوَاعِدُ ،
 وَالصَّافِنَاتِ ، وَحِمْلُهُنَّ وَلَائِدُ ،
 فَلِذَاكَ جُودُكَ كَاسِمُ جَدِّكَ زَائِدُ ،
 وَبَنِيَّتُهُ ، فَهَوَ الطَّرِيفُ التَّالِدُ ،
 إِنَّ الْمَسْكَارِمَ لِلْكَرَامِ عَوَائِدُ ،
 فَلَهُمْ ثَنًا يَحْيَا وَذِكْرُ خَالِدُ ،
 وَقُلُوبُهُمْ ، يَوْمَ الْكِفَاحِ ، جَلَامِيدُ ،
 حَتَّى كَأَنَّكَ لِلْبَرِّيَّةِ وَالِدُ ،
 وَنَدَاكَ فِي جَيْدِ الْأَنَامِ قَلَائِدُ ،
 فَعَوَّاذِي فِي الْقُرْبِ مِنْكَ حَوَاسِدُ ،
 فَتَدَاكَ لِي صِلَةٌ وَبِرُّكَ عَائِدُ ،
 جَاءَتْكَ مِنْهُ قَصَائِدُ وَمَقَاصِدُ ،
 جَذَبَ الْعِنَانَ إِلَيْكَ شَوْقُ قَائِدُ ،
 مِمَّا أَحْيَلُ بِهِ ، وَمَا أَنَا عَاقِدُ ،
 وَإِذَا نَشَرْتُ ، فَلِإِنِّي لَكَ حَامِدُ

١ الجلامد ، الواحد جلمود : الصخور .

ملقى الكريم

وقال أيضاً وقد أولاه يوم
قلوبه إليه إحساناً :

لَاقَيْتَنَا مَلَقَى الْكَرِيمِ لَضَيْفِهِ ، وَضَمَمْتَنَا ضَمَّ الْكَمِيِّ لَسَيْفِهِ
وَجَعَلْتَ رَبْعَكَ لِلْمُؤْمَلِ كَعَبَةٍ ، هِيَ رِحْلَةُ لَشِتَائِهِ وَلَضَيْفِهِ
يَا مَنْ إِذَا اشْتَبَهَ الصَّوَابُ أَعَارَهُ رَأْيًا يُخَلِّصُ نَقْدَهُ مِنْ زَيْفِهِ
وَإِذَا غَزَا أَرْضَ الْعَدُوِّ ، فَوَحَّشَهَا مِنْ وَقْدِهِ ، وَنُسُورُهَا مِنْ ضَيْفِهِ
هَطَلْتَ عَلَى الْعَافِينَ مِنْكَ سَحَابٌ ، يُغْنِي الْوَلِيَّ وَلِيَّهَا عَنْ صَيْفِهِ
وَسَمَّاحٌ غَيْرُكَ خَطَرَةٌ لَوْ سَاوَسَ ، فَكَأَنَّهَا فِي النَّوْمِ زَوْرَةٌ طَيْفِهِ
كَمْ مُجْرِمٍ قَضَتْ الذُّنُوبُ بِحُتْفِهِ ، فَعَدَا يَعْصُ بَنَانَهُ مِنْ حَيْفِهِ
أَمْتَهُ مِنْ خَوْفِهِ ، فَكَأَنَّهُ قَدْ حَلَّ فِي الْإِحْرَامِ مَسْجِدَ خَيْفِهِ

نجمان

وقال فيه ارتجالاً وهو في السفينة
ببحيرة نصيبين ليلاً :

إِنَّ الْبُحَيْرَةَ زَانَ بَهَجَتَهَا مَلِكٌ بِهَا أَفْدِيهِ مِنْ مَلِكِ
رَكِبَ السَّفِينَ بِهَا فَلَاحَ لَنَا نَجْمَانِ فِي فُلُكٍ وَفِي فُلُكِ

ليس عجيباً

وقال فيه وقد نزل بالحمى :

وليسَ عجيباً إن طَفَتْ أَعْيُنُ الْحِمَى ، وقد أَكْسَبَتْهَا الْجُودَ أَنْعْلُكَ الْعَشْرُ
إذا عَلَّمْتَ كَفَّالَكَ جَلَمَدَهُ النَّدَى ، فَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِيضْ مَاوِهَا عُذْرُ

بحر في سفينة

وقال ارتجالاً وهو بالسفينة بدجلة :

لِلَّهِ مَلَأَ حُكَّ اللَّيْبِ ، أَبْدَى لَنَا مِنْ فِعَالِهِ حَسَنًا
قد حَمَلَ الْبَحْرَ فِي سَفِينَتِهِ ، وَعَادَةُ الْبَحْرِ يَحْمِلُ السُّفُنَا

فتى

وقال في وصفه وقد سئل عنه :

فَتَى لَمْ تَجِدْ فِيهِ الْعِدَى مَا يَعْيبُهُ ، وَلَكِنَّهُمْ عَابُوا الَّذِي عَنْهُ قَصَرُوا
إِذَا ذَمَّهُ الْأَعْدَاءُ قَالُوا : مُفَرِّطٌ ؛ وَإِنْ بِالْغَوَا بِالذَّمِّ قَالُوا : مُبَدَّرُ
وإنْ شَاءَ قَوْمٌ أَنْ يَعْيِسُوا مَسْكَانَهُ مِنْ الْمَجْدِ قَالُوا : شَامِخٌ مُتَعَدِّرُ

حمى الاسود

وقال وهي أول أبيات كتبها إلى
أهله من ماردین حال الوصول إليها
في سنة إحدى وسبعمئة :

ألا بَلِّغْ هُدَيْتَ سَمَاءَ قَوْمِي ، بِحِلَّةِ بَابِلٍ ، عِنْدَ الْوُرُودِ
ألا لَا تَشْغَلُوا قَلْبًا لِبُعْدِي ، فَلَانِي كُلَّ يَوْمٍ فِي مَزِيدِ
لَأَنْتِي قَدْ حَلَلْتُ حِمِي مُلُوكِ ، رُبُوعُ عَيْدِهِمْ كَتَهْفُ الطَّرِيدِ
فَمَنْ يَكُ نَازِلًا بِحِمِي كَلْبٍ ، فَلَانِي قَدْ نَزَلْتُ حِمِي الْأَسُودِ

ومخلق بدم الكماة

قال يملح السلطان الملك المنصور
الصلاح شمس الدين أبا المكارم طاب
ثراه وبلغ مناه وهو ابن المولى السلطان
الملك المنصور المقدم ذكره خلد الله
ذكره حين ولي الملك بعد وفاة أخيه
الملك العادل ويذكر وفاته له بمهده
وذلك في سنة اثني عشرة وسبعمئة :

دَبَّتْ عَقَارِبُ صُدْغِهِ فِي خَدِّهِ ، وَسَمَى عَلَى الْأُرْدَافِ أَرْقَمُ جَعْدِهِ
وَبَدَأَ مُحْيَاهُ ، فَفَوْقَ لَحْظِهِ نَبْلًا يَتَوَدُّ بِشَوْكِهِ عَنْ وَرْدِهِ

١. قوله : ساء قومي ، هكذا في الأصل ، ولعلها : سراء .

صَنَمٌ أَضَلَّ الْعَاشِقِينَ ، فلم يروا ،
ما بين إقبال الحياة ووصله
ظي من الأتراك ليس بترك
غَضُّ الحياءِ ، قَحْلُ الْوَدَادِ ، كأنما
جَمَلَ السِّلَاحِ عَلَى قَوَامٍ مُتَرَفٍ ،
فَرَى حَمَائِلَ سَيْفِهِ فِي نَحْرِهِ ،
مِنْ آلِ خَاقَانَ الَّذِينَ صَغِيرُهُمْ
جَعَلُوا رُكُوبَ الْخَيْلِ حَذًى بُلُوغَهُمْ ،
فَإِذَا صَغِيرُهُمْ أَتَى مَتَخَضِبًا
سَيَّانٍ مِنْهُمْ فِي الْوَقَائِعِ حَاسِرٌ
مِنْ كُلِّ مَسْنُونِ الْحُسَامِ كَلَحْظُهُ ،
وَمُخَلَّقٍ بِدَمِ الْكُمَاةِ كَأَنَّمَا
وَمُقَابِلٍ لَيْلِ الْعِجَاجِ بَوَجْهِهِ ،
وَمُوَاجِهٍ صَدْرَ الْحُسَامِ وَوَجْهَهُ
يَلْقَى الرِّمَاحَ بِنَهْدِهِ وَبِصَدْرِهِ ،
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا

مُنْذُ لَاحَ ، بُدْءٌ مِنْ عِبَادَةِ بُدْءِ^١
فَرَّقُ ، وَلَا بَيْنَ الْحِمَامِ وَصَدِّهِ
حُسْنًا لِمَخْلُوقٍ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ
نَهَلَتْ بِشَاشَةٍ وَجْهَهُ مِنْ وَدِّهِ^٢
كَادَ الْحَرِيرُ يُوَدُّهُ مِنْ لِمَادِهِ^٣
أَبْهَى وَأَزْهَى مِنْ جَوَاهِرِ عِقْدِهِ
فِي سَرَجِهِ ، وَكَأَنَّهُ فِي مَهْدِهِ
هُوَ لِلْفَتَى مِنْهُمْ بُلُوغُ أَشْدِّهِ
بِدَمِ الْفَوَارِسِ قِيلَ : بِالْبَيْغِ رُشْدِهِ
فِي سَرَجِهِ ، أَوْ دَارِعٌ فِي سَرْدِهِ^٤
أَوْ كُلُّ مُعْتَدِلِ الْقَنَاقَةِ كَقَدِّهِ
صُبُغٌ فَوَاضِلُ دِرْعِهِ مِنْ خَدِّهِ
فَكَأَنَّمَا غَشَى الظَّلَامَ بِضِدِّهِ
يُبْدِي صِقَالًا مِثْلَ مَاءِ فِرْنْدِهِ
وَالْمُرْهَقَاتِ بِصَدْرِهِ وَبِنَهْدِهِ^٥
غَشَى الْهَيَاجَ مُشْمَرًا عَنْ زَنْدِهِ

١ لم يروا بدأ : لم يروا مهرباً . عبادة بده : عبادة صنمه .

٢ القحل : اليايس .

٣ يوُدُّه : يدهاه . الاد : الامر القطيع .

٤ سرده : أي درعه المسروقة .

٥ النهد : الفرس الحسن الجميل الجسيم .

قِرْنٌ يَخَافُ قَرِينُهُ مِنْ قُرْبِهِ ،
 يَبْدُو ، فَيَزْجُرُهُ الْعَدُوُّ بِنَحْسِهِ
 يُرْدِي الْكُفَاةَ بِنَبْلِهِ وَحُسَامِهِ :
 حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْكَمِيَّ مُبَارِزاً
 مَا زِلْتُ أَجْهَدُ فِي رِيَاضَةِ خُلُقِهِ ،
 حَتَّى تَيَسَّرَ بَعْدَ عُسْرِ صَعْبِهِ ،
 وَأَتَى يُسْتَرُّ سَالِفِيهِ بِفَرْعِهِ ،
 وَغَدَا يَزُفُّ مِنَ الْمُدَامَةِ مِثْلَ مَا
 لَا عَبْتُهُ بِالنَّزْدِ ، ثُمَّ ، وَبَيْنَنَا
 حَتَّى رَأَيْتُ نُقُوشَ سَعْدِي قَدْ بَدَتْ ،
 فَأَجَلْتُ شَيْطَرَنَجِي هُنَاكَ بَعْتُهُ
 وَلَقَدْ أَرُوحُ إِلَى السَّرُورِ وَأَغْتَدِي ،
 وَأَعَاجِلُ الْعِزَّ الْمُقِيمَ ، وَلَمْ أَبِيعْ
 حَتَّى إِذَا مَا الْعِزُّ قَلَصَ ظِلَّهُ ،
 أَخْمَدْتُ بِالْإِدْلَاجِ أَنْفَاسَ الْفَلَاحِ ،
 بِأَغْرَ أَدْهَمَ ذِي حُجُولٍ أَرْبَعِ ،
 خَلَعَ الصَّبَاحُ عَلَيْهِ سَائِلَ غُرَّةِ

أضعافَ خَوْفٍ مُحِبَةٍ مِنْ بَعْدِهِ
 خَوْفًا ، وَيَزْجُرُهُ الْمَحَبُّ بِسَعْدِهِ
 ذَا فِي كِنَانَتِهِ ، وَذَا فِي غِمْدِهِ
 شَغَلَتْهُ بِهَجَّةٍ حُسْنِهِ عَنْ رَدِّهِ
 وَأَحُولُ فِي هَذَا الْعِتَابِ وَجِدِهِ
 وَافْتَرَّ مَسِيمٌ لَقْظِهِ عَنْ وَعْدِهِ
 حَذَرًا ، فَيَحْجُبُ سَبْطَهَا فِي جَعْدِهِ
 فِي فِيهِ مِنْ خَمَرِ الرُّضَابِ وَشَهْدِهِ
 رَهْنٌ قَدْ ارْتَضَتْ النُّفُوسُ بِعَقْدِهِ
 وَيَدَيَّ قَدْ حَلَّتْ تَشَشُّدَرُ بِنْدِهِ ١
 بِأَقْلٍ مَا أَبْدَتْهُ كَعْبَةُ نَرْدِهِ
 وَأَقِيلُ فِي ظِلِّ النِّعِيمِ وَبَرْدِهِ
 نَقَدَ الْمَسِيرَةِ وَالْهَتَاءِ بِفَقْدِهِ
 وَخَلَا عَرَيْنُ مَعَاشِرِي مِنْ أَسَدِهِ
 وَكَحَلْتُ طَرْفِي فِي الظَّلَامِ بِسُودِهِ ٢
 مُيِضُهَا يَزْهَوُ عَلَى مُسَوْدَةٍ
 مِنْهُ ، وَقَمَصَهُ الظَّلَامُ بِجِلْدِهِ

١ قوله : تششدر ، هكذا في الأصل ، ولم نجد ما . بنده : علمه .

٢ الادلاج : سير الليل كله أو في آخره .

فَكَانَهُ لَمَّا تَسَرَّبَلَ بِالْدَجَى ،
 قَلِقَ الْمِرَاحَ ، فَإِنْ تَلَاظَمَ خَطْوُهُ
 أَرْمَى الْحَصَى مِنْ حَافِرِيهِ بِمِثْلِهِ ،
 وَأَظْلُ* فِي جَوْبِ الْبِلَادِ كَأَنِّي
 الصَّالِحُ الْمَلِكُ الَّذِي صَلُحَتْ بِهِ
 مَلِكٌ حَوَى رُتَبَ الْفَخَارِ بِسَعْيِهِ ،
 مُتَسَهِّلٌ* فِي دَسْتِ رُتَبَةِ مُلْكِهِ ،
 فَإِذَا بَدَا مَلَأَ الْعُيُونَ مَهَابَةً* ؛
 كَالْغَيْثِ يُؤَلِي النَّاسَ جَوْدًا بَعْدَمَا
 فَالْدَهْرُ يُقْسِمُ أَنَّهُ مِنْ رِقَةٍ ،
 وَالْوَحْشُ تُعْلِنُ أَنَّهَا مِنْ رَهْطِهِ ،
 نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرِ السَّمَاحِ ، وَسُكْرُهُ
 يَا ابْنَ الَّذِي كَفَلَ الْأَنَامَ كَأَنَّمَا
 الْمَالِكُ الْمَنْصُورُ ، وَالْمَلِكُ الَّذِي
 أَصْلٌ بِهِ طَابَتْ مَائِرُ مَجْدِكُمْ* ،
 بِذَلِكَ الْجَزِيلِ عَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الثَّنَا ،
 وَهُوَ الَّذِي شَغَلَ الْعَدُوَّ بِنَفْسِهِ
 وَطَى الضَّحَى فَايْبُضَ فَاضِلٌ بُرْدِهِ
 ظَنَّ الْمُطَارِدُ أَنَّهُ فِي مَهْدِهِ
 وَأَرُوغُ ضَوْءِ الصَّبْحِ مِنْهُ بَضْدُهُ
 سَيْفُ ابْنِ أُرْتُقٍ لَا يَقَرُّ بِغِمْدِهِ
 رُتَبُ الْعَلَاءِ وَلَا حَ طَالِعُ سَعْدِهِ
 وَالْمُلْكُ إِرْثًا عَنْ أَبِيهِ وَجَسَدُهُ
 مُتَصَعَّبٌ مِنْ فَوْقِ صَهْوَةِ جُرْدِهِ
 وَإِذَا سَخَا مَلَأَ الْأَكْفَ بَرْفِدِهِ
 بَهَرَ الْعُقُولَ بِبَرَقِهِ وَبَرَعْدِهِ^١
 وَالْمَوْتُ يَحْلِفُ أَنَّهُ مِنْ جُنْدِهِ
 وَالطَّيْرُ تَدْعُو أَنَّهَا مِنْ وَقْدِهِ
 مَا إِنْ يُغَيِّبُ رَأْيَهُ عَنْ رُشْدِهِ
 أَوْصَاهُ آدَمُ فِي كِلَابَةِ وَلَدِهِ^٢
 حَازَ الْفَخَارَ بِجَدِّهِ وَبِحِدِّهِ
 وَالْغُصْنُ يُظْهِرُ طَيْبَهُ مِنْ وَرْدِهِ
 وَأَتَيْتَ تَنْفِيقُ فِي الْوَرَى مِنْ نَقْدِهِ
 عَنِّي ، كَمَا شَغَلَ الصَّدِيقَ بِحَمْدِهِ

١ الجود بالفتح : المطر الغزير ، وبالضم : الكرم .

٢ كلابية ، سهل كلابة : حراسة .

وأجارتني إذ حاولت دمي العدى ،
من كل مذاق تبسم ثغره ،
ولذلك لم يرني بمنظر شاعر
بل بامرئ أسدى إليه سماحة
ودرى بأن نظام شعري جوهري ،
ولقد عهدت إلى عرائس فكري
لكنتك القرع الذي هو أصله ،
ونجيته في سره ، ووصيته
والتيك كان الملك يطمح بعده ،
فركته طوعاً ، وكنت ممكناً
وشددت أزر أخيك يا هارونه ،
حتى أحاط بنو الممالك كلها ،
سمحت بك الأيام ، وهي بواخل ،
وعد الزمان بأن نرى فيك المني ،
لله كم قلدتني من مينة ،
وعلمت ما في خاطري لك من ولا ،
إن كان بعدي عن علاك خطيبة ،
بعد الوفي كقربه ، إذ ودّه

ورأت شفاء صدورها في ورده
وتوقدت في الصدر جذوة حقدّه
تبغي قصائده جوائز قصده
نعماً ، فكان المدح غاية جهده
وسواه نحر لا يلقى بعده
أن لا تزف لمنعم من بعده
شرفاً ، ومجدك بضعة من مجده
في أمره ، وصفيه من بعده
يبغي جواباً لو سمحت برده
من فلك معصم كفته عن زنده
لما توقع منك شدة عضده
علماً بأنك قد وقبت بعهدّه
ولربما جاد البخل بعهدّه
والآن قد أوفى الزمان بوعدّه
والقطر أعظم أن يحاط بعده
حتى كأنك حاضر في ودّه
قد يتغير المولى خطبة عبده
باق كما قرب الملوك كبعدّه

١ الملاق : من كان وده غير خالص .

مدحي لمجدك عن وداد خالص ،
 إذ لا أروم به الجزاء لأنه
 لا كالذي جعل القريض بضاعه ،
 فاستجل دُرّاً أنت لُجّة بحرهِ ،
 يزدهادُ حسناً كلما كررته ،
 وسواي بضمير صابته في شهده ١
 بحر أنزه غلّتي عن ورده
 متوقفاً كسب الغنى من كده
 والبس ثناء أنت ناسج برده
 كالنبر يظهر حسنه في نقده

ملك يرجي ويحذر

وقال يمدحه عند نزوله بالصور
 ويصف مجلسه ويهنيه بعيد الفطر
 ويمتدح لديه عن الانقطاع وذلك في
 السنة المذكورة :

من نفخة الصور أم من نفخة الصور
 أم من شذا نسمة الفردوس حين سرت
 أم روض رشمّل أعدى عطر نفحته
 والريح قد أطلقت فضل العنان به ،
 أحببت يا ريح مينا غير مقبور ٢
 على بلبل من الأزهار ممتور
 طي النسيم بنشر فيه مشور ٣
 والغصن ما بين تقديم وتأخير

١ الصاب : شجر مر .

٢ الصور الأولى : بوق يوم الحشر . الثانية : موضع .

٣ رشمّل : موضع .

كأنتها ، وهي في الأكواب ساكنة ،
أمسّت تُحاولُ منا نأراً والديها
فحين لم يبقَ عقلٌ غيرَ مُعتَقِلٍ
أجلتُ في الصَّحْبِ الحَاضِي فكم نظرتُ
من كلِّ عيني عليها مثلُ ناليتها
أقولُ ، والراحُ قد أبدتُ فواقعها ،
أسأتُ يا مازِجَ الكاساتِ حليتها ،
وقائلٍ إذ رأى الجَنَّتاتِ عاليةً ،
والجوسقَ الفردَ في لُجِّ البُحيرةِ ،
لمن تَرى المُلكَ بعدَ اللهِ ؟ قلتُ لهُ
لصاحبِ التاجِ والقصرِ المشيدِ ومن
فقال : تعني به كِسرى ؟ فقلتُ له :
الصالحُ الملكُ المشكورُ نائِلُهُ ،
ملكٌ ، إذا وفَّرَ الناسُ الثناءَ لهُ
محبوبةٌ عندَ كلِّ الناسِ طلعتُهُ ،
يُرجى ويُحذَرُ في يومَي نَدَى ورَدَى ،
شمسٌ تُحيلُ ضياءَ الشمسِ طلعتُهُ ،

١ اليعفور : الغزال .

٢ قوله : ناليتها ، هكذا في الأصل .

لَا تَفْخَرُ الشَّمْسُ إِلَّا أَنَّهَا لَقَبَتْ
 إِنَّ هَمَّ بِالْجُودِ لَمْ تَنْظُرْ عَزَائِمُهُ
 يَلْقَاكَ قَبْلَ الْعَطَا بِالْبِشْرِ مُبْتَدِئًا
 رَأَتْ بَنُو أُرْتُقَى نَهْجَ الرَّشَادِ بِهِ ،
 بِرَأْيِهِ انْصَلَحَتْ آرَاءُ مُلْكِهِمْ ،
 كَمْ عُصْبَةٍ مُدْبِدَا سُوءِ الْخِلَافِ بِهَا
 سَعَوْا إِلَى الْحَرْبِ ، وَالْهَامَاتُ سَاجِدَةٌ ،
 مَشَوْا كَثِي الْقَطَا ، حَتَّى إِذَا حَمَلُوا
 يَا بَاذِلَ الْخَيْلِ فِي يَوْمِ الْغُلُوبِ بِهَا ،
 إِنْ كَانَ زَهْوَةٌ كَسَرَى بِالْأَلُوفِ فَكَمْ
 أَوْ كَانَ بِالْجَوْسِقِ النَّعْمَانُ تَاهَ ، فَكَمْ
 فِي كُلِّ مُسْتَصْعَبِ الْأَرْجَاءِ مُمْتَنِعِ
 لَوْ مَرَّ (عَادُ بْنُ شَدَادٍ) بِجَنَّتِهِ
 لَا غُرَوَ إِنْ جُدْتَ لِلْوَفَادِ قَاصِدَةً
 إِنْ تَسَعَ نَحْوُكَ مِنْ أَقْصَى الشَّامِ ، فَقَدْ
 فَاسَعَدَ بَعِيدَ بِهِ عَادَ السَّرُورُ لَنَا ،
 صُمْتُ بِصَوْمِكَ أَسْمَاعُ الْعُدَاةِ ، وَكَمْ

لَهُ ، وَشِبْهُ لَهُ فِي الْعِزِّ وَالنُّورِ
 فِي فِعْلِهِ بَيْنَ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرِ
 بَسْطًا ، وَبَعْدَ الْعَطَا بِالْمَعَاذِيرِ
 وَلَيْسَ كُلُّ زِنَادٍ فِي الدَّجَى يُورِي
 كَأَنَّهُمْ ظَفِيرُوا مِنْهُ بِالْكَسِيرِ
 بَادَتْ بِصَارِمِ عَزَمٍ مِنْهُ مَشْهُورِ
 وَالْبَيْضُ مَا بَيْنَ تَهْلِيلٍ وَتَكْثِيرِ
 ثِقَلِ الْقِيُودِ مَشَوْا مَشَى الْعَصَافِيرِ
 وَمَا أَتَيْنَ بِسَعْيٍ غَيْرِ مَشْكُورِ
 وَهَبَتْ مِنْ عَدَدٍ بِالْأَلْفِ مَجْذُورِ
 مِنْ جَوْسِقٍ لَكَ بِالشَّعْبَيْنِ مَعْمُورِ
 تُبْنَى الْقَنَاطِيرُ فِيهِ بِالْقَنَاطِيرِ
 أَقَامَ يَقْرَعُ فِيهَا سِنَّ مَغْرُورِ
 إِلَيْكَ تَطْوِي الْفَلَا طَيَّ الطَّوَامِيرِ
 سَعَتْ إِلَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ مِنْ صُورِ
 وَعَادَ شَانِيكَ فِي غَمٍّ وَنَكْدِيرِ
 قَلْبٍ لَهُمْ مِنْكَ بِالْإِفْطَارِ مَقْطُورِ

١ الأكسير : الكيمياء .

٢ المجنور : العدد المضروب بنفسه .

٣ الطوامير : الصحف ، الواحد طامور .

1

ولو أنها نادَتْ عظامي أجابها
لَئِنْ بَخِلْتُ إِنَّ الْخَيَالَ مَسَامِحُ ،
حَيْبٌ لِإِهْدَامِ التَّحِيَّةِ مانعٌ ،
وَبِكْرِ فَلَاةٍ لَمْ تَخَفْ وَطَاءَ طَامِثُ ،
كَشَفْتُ خِيَمَارَ الصُّونِ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا
وَأَنْكَحْتُهَا بِقَطَّانٍ مِنْ نَسْلِ لَاحِقِ ،
مِنَ الشُّهْبِ فِي إِدْرَاكِهِ الشُّهْبَ طَامِعُ ،
أُخْوَضُ بِهِ بِحَرَ الدَّجَى وَهُوَ رَاكِدٌ ،
وَقَائِلَةٌ مَا لِي أَرَاهُ كَدَمَعِهِ
أَطَالِبُ مَغْنَى؟ قُلْتُ: كَلَّا، وَلَا غِنَى ،
وَلَكِنْ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى الْعُلَى
فَقَالَتْ : أَلَا إِنَّ الْمَعَالِيَ عَزِيزَةٌ ،
فَهَلْ لَكَ وَفَرٌّ؟ قُلْتُ: إِي، وَهُوَ نَاقِصٌ ،
فَقَالَتْ: وَجَدْتُ؟ قُلْتُ: إِي، وَهُوَ أَعْزَلُ ،
فَقَالَتْ: وَمَسْجِدٌ؟ قُلْتُ: إِي، وَهُوَ مُتَعَبٌ
فَقَالَتْ: وَمُلْكٌ؟ قُلْتُ: إِي، وَهُوَ فَاسِدٌ ،
مَلِكٌ شَرَى كَثَرَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ،

فَمَي لَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ
وَأِنْ غَضِبْتُ فَالطَّيْفُ مِنْهَا مُصَالِحُ
وَطَيْفٌ لِلذَّاتِ التَّوَاصُلِ مانعُ
وَلَا افْتَضَّهَا مِنْ قَبْلِ مُهْرِي نَاكِحُ
ضُحَى ، وَلِثَامُ الصُّبْحِ فِي الشَّرْقِ طَائِعُ
فَأَمَسْتُ بِهِ، مَعَ عُقْمِهَا، وَهِيَ لَاقِحُ
فَنَظَرُهُ نَحْوَ الْكَوَاكِبِ طَامِعُ
وَأُورِدُهُ حَوْضَ الضُّحَى وَهُوَ طَائِعُ
يُظَلُّ وَيُمْسِي ، وَهُوَ فِي الْأَرْضِ سَائِحُ
وَلَسْتُ عَلَى كَسْبِ اللِّذَازِ أَكَاغُ
حَوَائِجَ ، لَكِنْ دُونَهنَّ جَوَائِعُ
فَكَيْفَ ، وَقَدْ قَلْتُ لَدَيْكَ الْمَنَافِعُ
فَقَالَتْ: وَقَدْرٌ؟ قُلْتُ: إِي، وَهُوَ رَاجِحُ
فَقَالَتْ: وَضِدٌّ؟ قُلْتُ: إِي، وَهُوَ رَامِحُ
فَقَالَتْ: وَسَعْدٌ؟ قُلْتُ: إِي، وَهُوَ ذَابِحُ
فَقَالَتْ: وَمَمْلُوكٌ؟ قُلْتُ: إِي، وَهُوَ صَالِحُ
عَلَى أَنَّهُ فِي صَفْقَةِ الْمَسْجِدِ رَابِحُ

١ لاحق : فرس عتيق .

٢ اللذاذ : جمع للذيد .

تَنْظُنُّ بِأَيْدِيهِ الْأَنَامُ أَنَامِيلًا ،
جَوَادٌ ، إِذَا مَا الْجُودُ غَاضَتْ بِحَارُهُ ،
إِذَا خَامَرَتْهُ الرَّاحُ أَبْقَتْ رَوِيَّةٌ
يَعْمُ الْأَقَاصِي جُودُهُ ، وَهُوَ عَابِسٌ ،
كَمَا تَهَبُّ الْأَنْوَاءُ ، وَهِيَ عَوَابِسٌ ،
مِنَ الْقَوْمِ إِنْ عُدَّ الْفَخَارُ ، فَلَانْتَهُمُ
أَكْفَهُهُمْ لِلْمَكْرُمَاتِ مَفَاتِيحُ ،
إِذَا احْتَجَبُوا نَمَتْ عَلَيْهِمْ خِيَالُهُمْ ،
أَيَا مَلِكًا أَرْضَى الْمَعَالِي بِسَعْيِهِ ،
نَهَضَتْ بِأَمْرِ يُعْجِزُ الشَّمَّ ثِقْلُهُ ،
وَأَلْقَتْ شَمْلَ الْمُلِكِ بَعْدَ شَتَاتِهِ ،
مَدَدَتْ إِلَى الْعَلِيَاءِ كَفَّكَ ، وَالْعُلَى
فَجَاءَتْكَ طَوْعًا فِي الزَّمَامِ ، وَلَمْ تَكُنْ
وَجَمْرَةَ حَرْبٍ أَجَّجَ الشُّوسُ وَقَدَّهَا
رِجَالٌ جَحَاجِجٌ ، وَجُرْدٌ سَوَابِجٌ ،
وَقَفَّتْ لَهَا الْمُرْهَقَاتُ ضَوَاحِكُ ،
وَهْنٌ لَأَرْزَاقِ الْعِبَادِ مَفَاتِيحُ
حَلِيمٌ ، إِذَا خَفَّ الْحُلُومُ الرَّوَاجِحُ
مِنَ الرَّأْيِ لَا تَخْفَى عَلَيْهَا الْمَصَالِحُ
وَتَخْشَى الْأَدَانِي بِشَرَّهُ ، وَهُوَ مَازِحُ
وَتَضْحَكُ فِي وَجْهِ الْقَتِيلِ الصَّفَائِحُ
هُمْ الرُّوحُ فَخْرًا ، وَالْأَنَامُ جَوَارِحُ
وَذِكْرُهُمْ لَاسِمُ الْكِرَامِ فَوَاتِحُ
كَذَا الْمِسْكُ يَخْفَى جِرْمُهُ ، وَهُوَ فَائِحُ
وَرَاضَ جِتَادَ الْمُلِكِ وَهِيَ جَوَامِحُ
فَقُمْتَ بِهِ جَزَعًا ، وَرَأَيْكَ قَادِحُ
وَقَدْ صَاحَ فِيهِ بِالتَّفَرُّقِ صَائِحُ
تَمُدُّ أَكْفًا مَا لَهْنُ مُصَافِحُ
بِمُهْجَتِهَا إِلَّا عَلَيْكَ تُكَافِحُ
وَبَيْضُ الظُّبَى وَالْعَادِيَاتُ الضَّوَابِحُ
وَسُمْرُ جَوَارِحُ ، وَبَيْضُ صَفَائِحُ
وُجُوهُ الرَّدَى مَا بَيْنَهُنَّ كَوَالِحُ

١ الخزع : القطع ، ولعلها محرفة .

٢ العاديّات الضوابح : الخيول التي تخرج في عدوها صوتاً ليس بصهيل ولا حممة .

٣ هذا البيت مختل الوزن .

أَعَزُّ أَظْهَرُ ، مِنْ رَايَاتِ عَزَمَتِهِ ؛
أَخْفَى الْمُلُوكَ تَجَلَّبِهِ لِأَنَّهُمْ
تَكْوِي يَدَاهُ صِفَاحُ الْهِنْدِ عَنْ غَضَبٍ ،
مَا إِنْ تَزَالُ مُقَالِبًا خَزَائِنُهُ ،
لَوْلَا فَنَّا الْمَالَ لَمْ تُحَمَّدْ مَكَارِمُهُ ،
أَتْنَى عَلَيْهِ بَنُو الْأَمَالِ حِينَ غَدَا
قَالُوا : وَرَدْنَا نَدَاهُ ؛ قُلْتُ : عَادَتُهُ ؛
لَوْ أَنَّ نَيْلَ نَجُومِ الْأَفْقِ حَاجَتْكُمْ ،
يَا قَائِدَ الْخَيْلِ تَنْزَوُ فِي أَعْيُنِهَا ،
حَمْرُ الْأَدِيمِ صَقِيلَاتٍ مَلَابِسُهَا ،
تَغْدُو غَضَابِي ، إِذَا اسْوَدَّ الْعَجَاجُ لَهَا ،
يَحْمِلُنَ أَسْدًا إِلَى الْهَيْجَاءِ بِاسْمَةٍ
لَا يَسْتَشِيرُونَ فِي الْهَيْجَاءِ سِوَى قُضْبٍ
خَفَقُوا إِلَى الْحَرْبِ أَقْدَامًا وَلَوْ وُزِنَتْ
غَضَضَ الزَّمَانُ عَيُونَ السَّوِّءِ عَنْ مَلِكٍ
مِنْ فِتْيَةٍ بِحُمَيَّا الشُّكْرِ قَدْ سَكِرَتْ
تَلَقَّى الْعَفَاةَ مِنَ الْمَعْرُوفِ دَارِعَةً ،
يُمْلِي عَلَيْنَا الْمَعَانِي حَسَنُ أَنْعَمِهِ ،

آيَاتِ جُودٍ لآيَاتِ الْكِرَامِ مِثَّتْ
شُهِبٌ إِذَا بَزَغَتْ شَمْسُ الضُّحَى نَزَحَتْ
حَتَّى إِذَا ظَفِيرَتْ عَنْ قُدْرَةٍ صَفَحَتْ
لَأَنْهَا بِوَلِيدِ الْمَالِ مَا فَرِحَتْ
وَالرَّاحُ لَوْلَا فَنَاءُ الْعَقْلِ مَا مُدِحَتْ
يُعْطِي الْقَرَائِحَ مِنْهُمْ فَوْقَ مَا اقْتَرَحَتْ
قَالُوا : وَجَادَتْ يَدَاهُ ؛ قُلْتُ : مَا بَرِحَتْ
أَوْ بَدَرَهَا ، وَافْتَتَحَ بِاسْمِهِ نَجَحَتْ
تَكْوِي الشُّكَاثِمَ غَيْظًا كُلَّمَا مَرَحَتْ
كَأَنَّهَا فِي دَمِ الْأَبْطَالِ قَدْ سَبَحَتْ
حَتَّى إِذَا شَاهَدَتْ ضَحْكَ الطُّبَى فَرَحَتْ
تُغَوِّرُهَا وَوُجُوهُ الْمَوْتِ قَدْ كَلَحَتْ
إِذَا اسْتُشِيرَ بِهَا فِي مَعْرَكٍ نَصَحَتْ
حُلُومُهُمْ بِرَوَاسِي أَرْضِهِمْ رَجَحَتْ
كُلُّ الْعَيُونِ إِلَى مَعْرُوفِهِ طَمَحَتْ
لَفَرَطٍ مَا اغْتَبَقَتْ بِالْمَدْحِ وَاصْطَبَحَتْ
أَعْرَاضُهَا بِنِصَالِ الدِّمِّ مَا جُرَحَتْ
كَأَنَّمَا عَلِمْتُنَا مَا بِهِ مُدِحَتْ

١ المقاتل ، الواحدة مقلات : التي لا يعيش لها ولد .

يا مَنْ به خُتِمَتْ آيُ السَّمَاكِ لَنَا ،
 لَوْلَاكَ مَا زَالَ لَيْلُ الْخَطْبِ مُعْتَكِرًا
 تَسْتَبْشِرُ الشَّمْسُ لَمَّا لَقِيَتْكَ بِهَا ،
 لَوْ أَنَّهَا جَمَعَتْ أَوْصَافَكَ اتَّفَقَتْ
 وَلَيْلٍ نَقَعَ حَكَتْ شُهْبُ الرِّمَاحِ بِهِ
 قَدَحَتْ فِيهِ مِنَ الْآرَاءِ نَارًا وَغَى ،
 تَدَرَعَتْ لِلْوَغَى ، حَتَّى حَسَرَتْ لَهَا
 أَرْخَى الْحِزَارُ عَلَى الْأَرْمَاحِ أَبْدِيَهُمْ ،
 يَا بَاذِلَ الْخَيْلِ عَقَوًّا بَعْدَ عِزَّتِهَا ،
 عِنْدِي أَبَادِيكَ لَا تَخْفَى صَنَائِعُهَا ،
 وَدَعْتُكُمْ ، وَثَنَانِي لَا يُودِعُكُمْ ،
 أَشَدُّ بِمَدْحِكُمْ حُبًّا ، وَبِي مِحَنٌ
 مَا إِنْ أَفَوْهُ بِشَرْحٍ فِي الْمَقَالِ لَهَا ،
 لَا أَذْمُ الدَّهْرَ فِي أَمْرِ رُمِيتُ بِهِ ،
 وَكَيْفَ أَنْسُبُ فَرْطَ الْبُخْلِ فِي زَمَنِ
 لَسَيْنَ نَأَتْ عَنْكُمْ يَوْمًا جَوَانِحُنَا ،
 وَكُلَّ يَوْمٍ مَقَالِي عِنْدَ ذِكْرِكُمْ :

كَمَا بَيَّاتِهِ مِنْ قَبْلِهِ فَتَحَتْ
 عَلَى الْوَرَى وَضَحَى الْإِنْصَافِ مَا وَضَحَتْ
 وَمَا دَرَتْ أَنَّهَا فِي ذَلِكَ افْتَضَحَتْ
 عَلَى عِبَادَتِهَا الْأَدْيَانُ وَاصْطَلَحَتْ
 نَجُومَ أَفْقٍ إِلَى جَنَحِ الدَّجَى جَنَحَتْ
 فَأَحْرَقَتْ فِتْنَةً فِي الْمُلْكِ قَدْ قَدَحَتْ
 مُبَارَزًا ، قَهَقَرَتْ مِنْ بَعْدِ مَا جَمَحَتْ
 فَكُلَّمَا حَاوَلُوا طَعْنًا بِهَا سَبَحَتْ
 وَمَا جَنَتْ فِي الْوَغَى ذَنْبًا وَلَا اجْتَرَحَتْ
 هَلْ تَسْتَرُ الشَّمْسُ كَفًّا بَعْدَمَا وَضَحَتْ
 وَسِرْتُ لَا بَعُدْتُ دَارِي وَلَا نَزَحْتُ
 لَوْ أَنَّ أَيْسَرَهَا بِالْوُرْقِ مَا صَدَحَتْ
 لَكِنَّهَا بَلِيسَانَ الْحَالِ قَدْ شَرَحَتْ
 وَلَا أَقُولُ : حَصَاةُ الْحِظِّ مَا رَشَحَتْ^١
 أَكْفُهُ بَيْقًا أَمْثَالِكُمْ سَمَحَتْ
 فَإِنَّ أَرْوَاحَنَا فِي رَبْعِكُمْ جَنَحَتْ
 يَا سَاكِنِي السَّفْحِ كَمْ عَيْنٍ بِكُمْ سَفَحَتْ

١ قوله : حَصَاةُ الْحِظِّ ، لعله يشير إلى حَصَاةِ الْقِسْمِ الَّتِي كَانَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقْسِمُونَ بِهَا الْمَاءَ
 بَيْنَهُمْ حِينَئِذٍ يَقْلُ وَهُمْ مَسَافِرُونَ .

يُخْفِي مَكَارِمَهُ ، والجودُ يُظْهِرُهَا ،
يَكَادُ يَعْقُمُ فِكْرِي ، إِذَا أَفَارَقَهُ ،
فَمَا أُرْتَا اللَّيَالِي دُونَهُ مِحنًا ،
ثَبَّتُ الْجَنَانَ ، مَرِيرُ الرَّأْيِ صَائِبُهُ ،
لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى نَفْسٍ مُؤَيَّدَةٍ ،
وَلَا يُقْلَدُ إِلَّا مَا تُقْلَسِدُهُ
وَلَا يُذِيلُ عَلَيْهِ غَيْرَ سَابِغَةٍ ،
مَسْرُودَةٍ مِثْلَ جِلْدِ الصَّلِّ لَوْ نُصِبَتْ
غَصَّتْ عَيُونُ الرَّدَى وَالسَّوَاءِ عَنْ مَلِكٍ
مَا ضَرَّ مَنْ ظَلَّ فِي أَفْنَاءِ مَتَزِلِهِ ،
يَوَدُّ بَاغِي النَّدى لَوْ نَالَ بُلُغَتَهُ ،
لَمَّا رَأَى الْمَالَ لَا تَلْوِي عَلَيْهِ يَدَيَّ ،
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَحْسُودُ آمِلُهُ ،
لَوْ أَدْعَتْ جُودَكَ الْأَفْوَاهُ لَا تُتْهِمَتْ ،
حُزْتُ الْعُلَى ، فِدَاكَ النَّاسُ سَيِّدَهُمْ ،
فِي وَصْفِنَا لَكَ بِالْإِنْعَامِ سَوْءٌ ثَنًا ،
يَا بَاذِلًا مِنْ كَنُوزِ الْمَالِ مَا ذَخَرُوا ،
وَمُلْبِسِي النَّعَمِ اللَّاتِي يُبَاعِدُنِي

وَكَيْفَ يَخْفَى أَرْبَعُ الْمِسْكِ إِذَا نَفَحَا
عَنِ الْمَدِيحِ ، وَإِنْ وَافَيْتُهُ لَقِيحَا
إِلَّا سَخَا ، فَأَرْتَنَا كَفَّهُ مِنْحَا
إِذَا تَقَاعَسَ صَرْفُ الدَّهْرِ أَوْ جَمَحَا
مِنْ أَخْطَا الرَّأْيِ لَا يَسْتَذِنِبُ النَّصِيحَا
مِنْ حَدِّ عَضْبٍ إِذَا شَاوَرْتَهُ نَصِيحَا
كَأَنَّمَا الْبَرْقُ مِنْ ضَحَضَاحِيهَا لُمِيحَا
قَامَتْ ، وَلَوْ صُبَّ فِيهَا الْمَاءُ مَا نَضَحَا
طَرَفُ الزَّمَانِ إِلَى عَيْلَائِهِ طَمَحَا
إِنْ أَغْلَقَ الدَّهْرُ بَابَ الرِّزْقِ أَوْ فَتَحَا
حَتَّى إِذَا حَلَّ فِي أَفْنَائِهِ اقْتَرَحَا
أُولَانِي الْوُدَّ ، إِذْ أَوْلَيْتُهُ الْمَدْحَا
وَالْمُجْتَدَى جُودُ عَافِيهِ لَمَّا مُنَحَا
وَلَوْ تَعَاطَاهُ لُجُجُ الْبَحْرِ لَافْتَضَحَا
وَالْكَأْسُ لَوْلَا الْحَمِيَّةُ سُمِّيَتْ قَدْحَا
وَالغَيْثُ يُنْقِصُهُ إِنْ قِيلَ قَدْ سَمَحَا
وَقَابِضًا مِنْ صَيُودِ الشُّكْرِ مَا سَمَحَا
عَنْهَا الْحَيَاءُ ، فَلَا أَنْفَكَ مُتَزَحَا

١ الضحاح : الماء اليسير ، أو القريب القمر .

لثَنِ خَصَصْتُكَ فِي عِيدٍ بِتَهْنِئَةٍ ، فَمَا أَجَدْتُ ، وَلَا عُذْرِي بِهِ وَضَحًا
العِيدُ نَذْكُرُهُ فِي الْعَامِ وَاحِدَةً ، وَجُودُكَ كَفَّكَ عِيدٌ قَطُّ مَا بَرَحًا
لَكِنْ أَهْنِي بِكَ الدِّينَ الْحَنِيفَ ، فَقَدْ أَتَيْتَ لِلدِّينِ مَخْلُوقًا كَمَا اقْتَرَحَا
فَاسْلَمْ ، فَمَا ضَرَّتِي ، مَا دَامَ جُودُكَ لِي ، سِوَاكَ إِنْ مَنَعَ الْإِحْسَانَ أَوْ مَنَحَا

يرنحه سمع المديح

وقال يمدحه عند وروده من الشام
ويتنزل بفلام أخذه منه الأمراء بحلب
بالخدمة :

لَعَلَّ لِيَالِي الرُّبُوعَيْنِ تَعُودُ ، فَتُشْرِقَ مِنْ بَعْدِ الْأُفُولِ سَعُودُ
وَيُخَصِّبَ رُبْعُ الْأَنْسِ مِنْ بَعْدِ مَحَلِّهِ ، وَيُورِقَ مِنْ دَوْحِ التَّوَاصِلِ عُودُ
سَقَى حَلْبًا صُوبَ الْعِيَادِ ، وَإِنْ وَهَتْ مَوَائِقُ مِنْ سُكَّانِهَا وَعُهُودُ
وَحَيًّا عَلَى أَعْلَى الْعَقِيقَةِ مَتَرَلًا ، عِيُونُ ظِبَاءٍ لِلْأَسْوَدِ تَصِيدُ
إِذَا مَا انْتَضَتْ فِيهِ اللَّحَاطُ سَيُوفُهَا ، فَإِنَّ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ غُمُودُ
رَدَدْنَا بِهِ بَيْضَ الصَّفَاحِ كَلِيلَةً ، فَصَالَتْ عَلَيْنَا أَعْيُنُ وَقْدُودُ
فَلِلَّهِ عَيْشٌ بِالْحَبِيبِ قَضَيْتُهُ ، فُوقَ قُوقٍ قُوقٍ ، وَالزَّمَانُ حَمِيدُ^١

١ قويق : نهر بحلب .

بظبي من الأتراك في روض خده
تملكتنه رقا ، فكان لحسنه ،
فكنت ابن همام ، وقد ظفرت يدي
إلى أن قضى التفريق فينا قضاءه ،
فغيب بدرأ يقضح البدر نوره ،
وقد كنت أحتى فيه من كيد حاسد ،
فيا من يراه القلب ، وهو محجب ،
إذا كنت عن عيني بعيداً ، فكل ما
وما ناب عنك الغير عندي ، وقلما
إذا كنت في أهلي ورهطي ولم تكن
وإن كنت في قفر الفلاة مقرباً
ولو كنت تشرى بالنفيس بذكرته ،
ولكن من أودى هواك بلبه
جلوت له وجهاً وقدأ مرتحاً ،
فشاهد بدرأ فوق غصن يظله
أقول ، وقد حقّ الفراق ، وأحدث
وقد حجب الظبي الرقيب ، وأقبلت
وتنظرني شزراً ، من السمر والظبي ،

غدير مياه الحسن فيه ركود
هو المالك المولى ، ونحن عبيد
به ، ودمشق في القياس زبيد
وذلك ما قد كنت منه أحميد
وغصناً يمت الغصن حين يمد
ولم أدر أن الدهر فيه حسود
وتوجدته الأفكار ، وهو فقيد
أسر به ، إلا الحمام ، بعيد
يتوب عن الماء القراح صعيد
لدي ، فلاني بينهم لوحد
إلي ، فعيشي في الفلاة رغيد
ولو أن حبات القلوب نقود
مريد لما أصبحت منك أريد
وفرعاً وفرعاً وافر ومديد
دجى ، لاح فيه للصباح عمود
من الترك حولي عدة وعديد
تمانعني دون الكناس أسود
نواظر إلا أنهن حديد

١ الوافر والمديد : من أوزان الشعر وري هما عن وفرة فرعه أي شعره وعن امتداد قده .

لَكَ اللهُ مِنْ جَانِ عَلِيٍّ بَرُغْمِهِ ،
وَمَنْ بَاتَ مَغْصُوبًا عَلَى تَرْكِ صُحْبَتِي
مَعْطَلَةٌ بَيْنَ السَّلَواتِ لَفَقْدِهِ ،
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا حَسْرَةٌ وَتَذَكُّرٌ ،
جَزَى اللهُ عَنِّي الطَّيِّفَ خَيْرًا ، فَإِنَّهُ
سَرَى مِنْ أَعَالِي الشَّامِ يَقْصِدُ مِثْلَهُ ،
فَقَضَيْتُ عَيْشًا ، لَوْ قَضَيْتُهُ يَقْطَعُهُ ،
وَبَرَقَ حَكْمِي ثَغَرَ الْحَبِيبِ ابْتِسَامُهُ ،
يُعَلِّمُ عَيْنِي الْبُكَاءَ ، وَهُوَ الْفُها ،
كَمَا عَلِمْتُ صُوبَ الْحَيَا ، وَهُوَ عَالِمٌ ،
مَلِكٌ ، إِذَا رَامَ الْفَخَارَ سَمَتْ بِهِ
إِذَا جَادَ فَالْبَيْدُ السَّبَاسِبُ أَبْجَرُ ؛
سَمَاحٌ لَهُ تَحْتَ الطَّبَاقِ تَحَذَّرُ ،
لِئَالِيهِ بَيْضٌ عِنْدَ بَدَلِ هَيَاتِهِ ،
يُرْتَحَهُ سَمْعُ الْمَدِيحِ تَكَرَّمًا ،
وَقَفْتُ ، وَأَهْلُ الْعَصْرِ تَنْشُرُ فَضْلَهُ ،
فَقَالُوا : لَهُ حُكْمٌ ؛ فَقُلْتُ : وَحِكْمَةٌ ؛
فَقَالُوا : لَهُ قَدَرٌ ؛ فَقُلْتُ : وَقُدْرَةٌ ؛

١ الشداد ، أراد السج الشداد : السموات .

فقالوا : له عَقْوٌ ، فقلتُ : وعِفَّةٌ ؛
فقالوا : له أهلٌ ، فقلتُ : أهْلَةٌ ؛
من القوم في مَتَنِ الجِيَادِ ولَادُهُمْ ،
غِيُوثٌ لهم يومَ الجِيَادِ من الظَّبْيِ
أيا مَلِكًا لو يَسْتَطِيعُ سَمِيَهُ
دُعِيَتِ لِمَلِكٍ لا يَتَوَدُّكَ حِفْظُهُ ،
فَقَوِمَتِ زَيْغُ الحَقِّ ، وهو مُسْتَعٌ ،
وسَهَدَتِ في رَعِي العِبَادِ نَوَاطِرًا ،
وأَحْيَيْتِ آثَارَ الشَّهِيدِ بِنَائِلِ
فَيَا لَكَ سَيْفًا في يَدَيَّ آلٍ أَرْتَقِي ،
ويا حَامِلَ الأَثْقَالِ ، وهي شَدَائِدٌ ،
لَكَ اللهُ قَدْ جُزَّتِ الكَوَاكِبُ صَاعِدًا ،
يُهَنِّتُكَ بِالْعِيدِ السَّعِيدِ مَعَاشِرٌ ،
ولو أَنَّ عِيدَ النَّحْرِ نَحْرٌ مُجَسَّمٌ
ولولا هَوَاكُم مَا سَرَّتْ لِي مَدْحَةٌ ،
ولَمَّا جَلَّتْ المَدْحُ ، وارتَحَتِ للنَّدَى ،
قَصَدْنَا المَعَانِي ، والمَعَالِي ، فَلَمْ أَزَلْ
يَقُولُونَ لِي : قَدْ قَتَلَ نَهْضُكَ لِلسَّرَى ،
فقلتُ : مَلَّتِ السَّيْرَ مَذْظَفِرَتِ يَدِي

فقالوا : له رأيٌ ، فقلتُ : سَدِيدٌ
فقالوا : له بَيْتٌ ، فقلتُ : قَصِيدٌ
كَأَنَّ مُتَوْنَ الصَّافِنَاتِ مُهُودٌ
بُرُوقٌ ، ومن وَطَمِ الجِهَادِ رُعُودٌ
تَحَمَّلَهُ مَا خَالَقَتْهُ ثَمُودٌ
وإن كَانَ ثِقَلًا لِلجِبَالِ يَتَوَدُّ
وَقُتَّتْ بَعْبَاءُ المُلُكِ ، وهو شَدِيدٌ
بِهَا النَّاسُ في ظِلِّ الأَمَانِ رُقُودٌ
مَعَ النَّاسِ مِنْهُ سَائِقٌ وَشَهِيدٌ
يُدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَيَلْدُودٌ
ويا مُتَلِفَ الأَمْوَالِ ، وهي جُنُودٌ
إِلَى الغَايَةِ القُصُوى ، فَأَيْنَ تُرِيدُ
وَلِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْ هَنَائِكَ عِيدٌ
غَدَا فَيَكُ مَدْحِي ، وهو فِيهِ عُقُودٌ
ولا شَاعَ لِي بَيْنَ الأَنَامِ قَصِيدٌ
وَرُحْنَا ، وَكُلُّ فِي الطَّلَابِ مُجِيدٌ
أَجِيدٌ بِأَشْعَارِي ، وَأَنْتَ تَجُودُ
وما عَلِمُوا أَنَّ النِّوَالَ قِيُودُ
بِأَضْعَافٍ مَا أَخْتَارُهُ وَأَرِيدُ

لَدَى مَلِكٍ كَالرَّمَحِ أَمَّا سِنَانُهُ ، فَمَاضٍ ، وَأَمَّا ظِلُّهُ فَمَدِيدُ
تَنَبَّهَ لِي ، وَالْعِزُّ عَنِّي رَاقِدٌ ، وَقَامَ بَنَصْرِي ، وَالْأَنَامُ قُعُودُ
فَيَا قَبِيلَةَ الْجُودِ الَّتِي لَبَسِي الرَّجَا رُكُوعٌ إِلَى أَرْكَانِهَا وَسُجُودُ
لَيْسَ لَكَ مَلِكٌ لَا يَزَالُ مُخَيِّمًا لَدَيْكَ ، وَذِكْرُ فِي الْأَنَامِ شَرِيدُ
لَيْسَ بَيْتٌ مَحْسُودٌ الْحِصَالِ ، فَلا أَذَى ، كَذَا مَنْ غَدَا فِي النَّاسِ ، وَهُوَ فَرِيدُ
إِذَا عَمَّ نَوْرُ الْبَدْرِ فِي أَفْقٍ سَعْدِهِ ، فَمَا ضَرَّهُ أَنْ السَّمَاءَ حَسُودُ

حامل الاثقال

وقال يمدحه وأرسلها إليه من الشام
سنة عشرين وسبعمائة :

نَمَّ بِسِرِّ الرُّوضِ خَفَقُ الرِّيحِ ، وَاقْتَدَحَ الشَّرْقُ زِنَادَ الصَّبَاحِ ،
وَأَخْجَلَ الْوَرْدُ شُعَاعَ الضُّحَى ، فَابْتَسَمَتْ مِنْهُ ثُغُورُ الْأَقَاخِ ،
وَقَامَ فِي الدَّوْحِ لِنَعْيِ الدَّجَى ، حَمَائِمٌ تُطْرِبُنَا بِالصَّبَاحِ ،
مُذْ وَلَدَ الصَّبَحِ ، وَمَاتَ الدَّجَى ، صَاحَتْ ، فَلَمْ نَدْرِ غِنًا أَمْ نُوَاخِ ،
وَيَوْمَ دَجَنٍ حُجِبَتْ شَمْسُهُ ، وَأَشْرَقَتْ فِي لَيْلِهِ شَمْسُ رَاحِ ،
فَمَا ظَنَّنَا الصَّبَحَ إِلَّا دُجَى ، وَلَا حَسِبْنَا اللَّيْلَ إِلَّا صَبَاحِ ،
وَقَابَلَتْ نَوْرَ الضُّحَى أَوْجُهُ ، لِلْغَيْدِ تَبَغَّى فِي الصَّبَاحِ اصْطِبَاحِ

فَظَلْتُ ذَا النُّورَيْنِ فِي مَجْلِسِي
وَشَادِنِ إِنْ جَالَ مَاءُ الْحَيَا
يُسْكِرُنَا مِنْ خَمَرِ الْحَاضِرِ ،
مِنْ لَحْظِهِ يَسْقِي ، وَمِنْ لَفْظِهِ
نَوَاطِرُ تُعْزِي إِلَيْهَا الطَّبِي ،
يَا عَاذِلِي فِي حُسْنِ أَوْصَافِهِ ،
فِي حُبِّ ذِي الْقُرْطَبَيْنِ ، يَا لَائِمِي ،
دَعْنِي أَقْضِي الْعِشَّ فِي غِبْطَةٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَهْتِفَ دَاعِي النُّوَى ،
فَكُلَّ يَوْمٍ لِي بِرُغْمِ الْعُلَى
وَاضِيعَةِ الْعُمَرِ وَفَوْتِ الْمُنَى ،
وَرُبَّ لَيْلٍ خُضْتُ تَيَّارَهُ
مُحْجَلٍ الْأَرْبَعِ ذِي غُرَّةٍ
كَأَنَّهُ قَدْ شَقَّ بِحَرَ الدَّجَى ،
لَمْ تَعْلَمْ الْأَبْصَارُ فِي جَرِيهِ
يَقْرَأُ مِنْ وَحْيِ ضَمِيرِي لَهُ
مُنْذُ فَسَدَ الْعِشُّ رَأَى قَصْدَهُ

مِنْ وَجْهِ صُبْحٍ وَوُجُوهِ صَبَاحٍ
فِي مُقْلَتَيْهِ زَادَهُنَّ اتِّقَاحُ^١
وَيَمَزُجُ الْجِدَّ لَنَا بِالْمُزَاجِ
وَرِيقِهِ خَمْرًا حَلَالًا مُبَاحٍ
وَقَامَةً تُعْزِي إِلَيْهَا الرَّمَاحُ
وَمُسْمِعِي وَصَفَ الْفَتَاةِ الرَّدَّاحُ^٢
لِي شَاغِلٌ عَنْ حُبِّ ذَاتِ الْوِشَاحِ
مُتَّبِعًا مَغْدَى الْهَوَى وَالْمَرَاحِ
فَلَمْ أَجِدْ عَنْ بَيْنِنَا مِنْ بَرَّاحٍ
فِي كُلِّ أَرْضٍ غُرْبَةً^٣ وَانْتِزَاحٍ
بَيْنَ رِضَى الْكُومِ وَسُخْطِ الْمِلَاحِ^٣
بَادِهِمْ يَسْبِقُ جَرَى الرِّيحِ
مَيْمُونَةَ الطَّلَعَةِ ذَاتِ اتِّضَاحٍ
وَبَعْدَهُ خَاضَ غَدِيرَ الصَّبَاحِ
قَادِمَةً خَفَّتْ بِهِ أُمُّ جَنَاحٍ
تَقَاعُسًا رُمْتُ بِهِ أُمُّ جِمَاحٍ
لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ عَيْنَ الصَّلَاحِ

١ الشادن : ولد الغزال . الاتقاح : الوقاحة .

٢ الرداح : الثقيلة المعجز .

٣ الكوم : النياق .

المَلِكُ النَّدْبُ الَّذِي شُكِرُهُ صَارَ اعْتِبَاراً لِلْوَرَىٰ وَاصْطِلَاحُ
 مُمْنَعُ الْمَجْدِ رَفِيعُ الْعُلَىٰ ، لَمْ يَكُ إِلَّا مَالُهُ مُسْتَبَاحُ
 يَكَادُ مِنْ دِقَّةِ أَفْكَارِهِ يُزْرِي بِمَا يُجْرِي الْقَضَاءُ الْمُتَاحُ
 لَهُ يَدٌ ، إِنْ جَادَ ، كَانَتْ حَيَاً ، وَهِيمةٌ ، إِنْ جَالَ ، كَانَتْ سِلَاحُ
 وَرَجَبُ صَدْرِ كُلَّمَا هِيَمَتْ فِيهِ نَسِيمُ الْمَدْحِ زَادَ ارْتِيَاُ
 يَا حَامِلَ الْأَثْقَالِ مِنْ بَعْدِ مَا حَطَّ مَرَاراً غَيْرُهُ وَاسْتِرَاحُ
 لَوْلَاكَ ، يَا وَابِلُ ، زَرَعُ النَّدَى أَضْحَىٰ هَشِيماً ، وَذَرَتْهُ الرِّيحُ
 يَا ابْنَ الَّذِي حَجَّ إِلَيْهِ الْوَرَى لَكُونِهِ كَعَبَةِ دِينَ السَّمَاحُ
 إِنْ قَصُرَتْ مِنْي إِلَيْكَ الْخُطَى ، مَا قَصُرَتْ مِنْي يَدُ الْاِمْتِدَاحُ
 فَقَدْ جَعَلْتُ الْأَرْضَ مِنْ مَدْحِكُمْ خَضْرَاءَ ، وَشِعْرِي جَائِلُ كَالْوِشَاحُ
 خَفَضْتُ بِالنَّصَبِ اسْتِعَارَاتِهِ ، كَمَا أُعِيرَ الذُّلُّ خَقْفُضَ الْجَنَاحُ
 إِذَا تَلَاهُ الْوَفْدُ قَالَ الْوَرَى : هَذَا هُوَ السَّحَرُ الْحَلَالُ الْمُبَاحُ
 ذِكْرُكَ كَالْمِسْكِ ، وَلَكِنَّهُ إِنْ ضَوَّعَتْهُ نَسْمَةُ الْمَدْحِ فَاحُ

١ هيمت : رفرت . وقد أعاد ضمير المؤنث إلى النسيم وهو مذكر على اعتبار معناه وهو الريح اللينة .

عذر المسيء وجود المحسن

وقال يمدحه عند وصوله من الحجاز
الشریف وأرسلها إليه من مصر سنة
ثلاث وعشرين وسبعمائة :

إِنِّي لَيُطْرِبُنِي الْعَدُولُ ، فَأَنْشِي ،
وَيَلَدْتُ لِي تَذْكَارُكُمْ ، فَأَعِيرُهُ
وَأَقُولُ لِلْأَحْيِ الْمُلْحَ بِذِكْرِكُمْ :
أُسْكِرْتَنِي بِسُلَافِ ذِكْرِ أَحَبَّتِي ،
يَا سَاكِنِي جَبْرُونَ جَبْرْتُمْ فِي الْهَوَى ،
وَسَمِعْتُمْ قَوْلَ الْوُشَاةِ ، وَإِنَّهُ
أَبَسُومُ إِشْرَاكِي بِدِينِ هَوَاكُمُ
يَا عَاذِلِي إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ مَا الْهَوَى ،
وَأَعْجَبُ لَأَعْيُنُهُنَّ كَيْفَ أَسْرَنَنِي
بِیضِ الطُّلَى سَمَرُ الْقُدُودِ نَوَاصِعُ
مِنْ كُلِّ فَاضِحَةِ الْحَبِيبِ كَأَنَّهَا
يَسْمُو لَهَا كُحْلٌ بَغْيَرٌ تَكْحَلُ ،
وَمُضَعَّفُ الْأَجْفَانِ فَوْقَ لِحْظِهِ

فِيُظَنُّ أَنِّي عَنْ هَوَاكُمُ أَنْشِي^١
أُذْنَا لَغَيْرِ حَدِيثِكُمْ لَمْ تَأْذَنْ
زِدْنِي ، لَعَمْرُ أَيْيَكُ ، قَدْ أَطْرَبْتَنِي
يَا مُتَرَعَّعَ الْكَاسَاتِ ، فَاْمَلَأْ وَاسْقِنِي
وَالْجَوْرُ شَرُّ خَلَائِقِ الْمَتَمَكِّنِ^٢
ظَنُّ رُمِيْتُ بِهِ بَغْيَرٌ تَبَيَّقُنْ
مَنْ لَيْسَ فِي شَرَعِ الْغَرَامِ بِمَوْمِنٍ
فَانْظُرْ ظِلَاءَ التُّرْكِ كَيْفَ تَرَكْنِي
مِنْ مَعَشَرِي وَأَخَذْتَنِي مِنْ مَأْمَنِ
وَجَنَاتِ حَمَرُ الْحَلِيِّ سَوْدُ الْأَعْيُنِ
شَمْسُ النَّهَارِ بَدَتْ بَلِيلٌ أَدَكَّنِ
وَيَزِينُهَا حُسْنٌ بَغْيَرٌ تَحَسَّنِ
نَبْلًا عَلَى بُعْدِ الْمَدَى لَمْ يُخْطِنِي

١ أنشيت : انطفت ، ارتدت .

٢ جبرون : موضع بدمشق .

إن قلتُ: مِلْتَ عَلَى الْمُتَسِيمِ، قال لي:
 أو قلتُ: أَتَلَفْتَ الْفَوَادَ، أَجَابَنِي:
 أو قلتُ: يَا دُنْيَايَ، قال: فَإِنْ أَكُنْ
 لَمْ أَنْسَ إِذْ نَادَمْتُهُ فِي لَيْلَةٍ
 وَالرَّاحُ تُبْذَلُ فِي الْكُؤُوسِ كَانَتْهَا
 حَتَّى إِذَا مَا السُّكْرُ ثَقَلَ عِطْفَهُ
 عَاجَلْتُهُ حَذَرًا عَلَيْهِ مِنَ الرَّدَى،
 وَضَمَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ مَوْضِعِ رِيَّةٍ،
 نَحْنُ الَّذِينَ أَتَى الْكِتَابُ مُخْبِرًا
 وَكَذَلِكَ لَا أَنْفَكَ أَلْقَى مِقْوَدِي
 فَإِذَا أَقَمْتُ جَعَلْتُ أَبْنَاءَ الْعُلَى
 وَإِذَا رَحَلْتُ، فَجِئْتَنِي أَجَمُّ الْقَنَا،
 وَلَكُمْ أَلِفْتُ الْإِغْتِرَابَ، فَلَمْ يَزَلْ
 الصَّالِحُ الْمَلِكُ الَّذِي إِنْعَامُهُ
 مَلِكٌ يُرِيكَ، إِذَا خَطَبْتَ سَمَاحَةَ،
 مُتَأَلِّقٌ، مُتَدَفِّقٌ، مُتَرَفِّقٌ،
 بِفَضَائِلٍ، وَفَوَاضِلٍ، وَشَمَائِلٍ
 فَإِذَا تَبَدَّى كَانَ قَيْدَ عَيُونِنَا؛

أَرَأَيْتَ غُصْنًا لَا يَمِيلُ وَيَتَشَنِّي
 دَعْنِي، فَمَا أَخْرَبْتُ إِلَّا مَسْكَنِي
 دُنْيَاكَ لِمَ أَنْكَرْتَ فَرَطَ تَلَوْنِي
 عَدَلَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهَا لَمْ يَمْنُنْ
 لَفْظُ تَلَجَلَجَجٍ مِنْ لِسَانِ الْكُنْ
 كَسَلًا، وَسَكَنَ مِنْهُ مَا لَمْ يَسْكُنْ
 عَجَلَ الْخُفُونِ إِلَى حِفَاطِ الْأَعْيُنِ
 وَأَطَعْتُ فِيهِ تَعَقُّفِي وَتَدَبُّعِي
 بَعْقَافٍ أَنْفُسِنَا وَفِسْقِ الْأَلْسُنِ
 طَوَعَ الْهَوَى، وَأَعَفُّ عِنْدَ تَمَكُّتِي
 سَكَنِي، وَأَبْنِيَّةَ الْمَعَالِي مَسْكَنِي
 وَعَلَى مُتُونِ الصَّافِنَاتِ تَحَصُّعِي
 جُودُ ابْنِ أَرْتُقَ فِي التَّغْرِبِ مَوْطِنِي
 كَثُرَ الْفَقِيرُ، وَطَوَّقُ جِيدِ الْمُغْنِي
 عُلُرَ الْمُسِيءِ وَجُودُ كَفِّ الْمُحْسَنِ
 لِلْمَجْتَلِي، وَالْمُجْتَدِي، وَالْمُجْتَنِي
 قَيْدُ الْخَوَاطِرِ وَالثَّنَا وَالْأَعْيُنِ
 وَإِذَا تَلَفَّظَ كَانَ قَيْدَ الْأَلْسُنِ

١ جنتي : سرتي . أجم : غابات . الصافنات : الخيول .

يُرجى ويُخشى جوده ونكاله ،
كالبحر يُرغبُ في جواهر لُجةٍ
يا طالباً منا حدودَ صفاته ،
يا أيها الملكُ الذي في حربِهِ
لو أن رأيتكَ للُدُّجُنة لم تحلْ
فإذا هزّزتَ الرمحَ نكسَ رأسه ،
وإذا سألتَ السيفَ قالَ فيرنده :
هذي يمينُكَ والوغي ومضاري
يا من رماني عن قسيّ سماحه
أغرقتني بالجودِ مع سأمي له
يعتادني بالشامِ بركَ واصلاً ،
ويتزورني في غيبي ، ويحوطني
أتعبتني بالشكرِ أعجزَ طاقتي ،
أخفيتَ بركَ لي ، فأعلنَ منطقي ،
شهدتَ علومُكَ أنّي لك وامق ،
وعرفتَ رأيكَ بي ، فلو كشفَ الغطا
عودتني صفوُ الودادِ ، فعُدْ به ،
واعذرْ محبّاً حبه لعلاكمُ
يدعولولتكَ الشريفةَ مُخلصاً ،

في يومٍ مكرمةٍ وخطبٍ مُزمنٍ
عندَ الورودِ ، وهولهُ لم يؤمنِ
أتعبتنا بطلابٍ ما لم يُمكنِ
بالعزمِ عن حدِّ الصّوارمِ يَغتنِي
صيفاً ، وللحِرباءِ لم تتلونِ
وأجابَ : ها إنّي كما عودتني
لا عِلْمَ لي إلّا الذي علستني
ودمُ الفوارسِ والظما بي فاسقني
بسيهامِ أنعمِهِ التي لم تُخطني
ردّاً عليّ ، فكيفَ لو قلتُ : اعطني
طوراً ، وطوراً في بلادِ الأرمنِ
في أوبتي ، ويعودُني في موطني
وظننتُ أنّكَ بالأنوالِ أرحتني
لا يشكرُ النعماءَ من لم يعلنِ
واللهُ يعلمُ والأنامُ بأنّي
عن حالةٍ ما ازدادَ فيكَ تيقني
واصبرْ لعادتكَ التي عودتني
طبعٌ ، وصفوُ وداده من معدنِ
والناسُ بينَ مؤمِّلٍ ومؤمنٍ

١ قوله : بأنّي ، أراد بأنّي وامق ، وفي البيت اكتفاء .

رب العفاف المحض

وقال يمدحه ويهنيه بعيد الفطر
سنة ست وعشرين وسبعمائة :

خُذْ فُرْصَةَ اللَّذَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا ، وإذا دَعَتْكَ إِلَى الْمُدَامِ ، فَوَاتِهَا
وإذا ذَكَرْتَ التَّائِبِينَ عَنِ الطَّلَا لا تَنْسَ حَسْرَتَهُمْ عَلَى أَوْقَاتِهَا
يَرْنُونَ بِالْأَلْحَاطِ شَزْرًا كُلَّمَا صَبَغَتْ أَشْعَثُهَا أَكُفَّ سُقَاتِهَا
كَأْسٌ كَسَاها النُّورُ لَمَّا أَنْ بَدَا مِصْبَاحُ جِرْمِ الرَّاحِ فِي مِشْكَاتِهَا
صِفْهَا إِذَا جُلِيتْ بِأَحْسَنِ وَصْفِهَا كَيْ نُنْشِرَكَ الْأَسْمَاعَ فِي لَذَاتِهَا
لَوْلَا التِّذَاذُ السَّامِعِينَ بِذِكْرِهَا لَنَغْنَيْتَ عَنْ أَسْمَائِهَا بِسِمَاتِهَا
وإذا سَمِعْتَ بَأَنَّهُ ، قَدِمًا ، مُظْهِرًا عَنْهَا النُّفَارَ ، فَتِلْكَ مِنْ آيَاتِهَا
ذَنْبٌ ، إِذَا عُدَّ الذَّنُوبُ رَأْيَتَهُ مِنْ حُسْنِهِ كَالْحَالِ فِي وَجَنَاتِهَا
رَاحٌ حَكَتْ ثَغَرَ الْحَبِيبِ وَخَدَّهُ بِحَبَابِهَا ، وَصَفَائِهَا ، وَصِفَاتِهَا
فَكَأَنَّمَا فِي الْكَاسِ قَابِلٌ صَفْوُهَا ثَغَرَ الْحَبِيبِ ، وَلاَحَ فِي مِرَاتِهَا
وَلِئِنْ نَهَى عَنْهَا الْمَشِيبُ ، فَطَالَما نَشَأَتْ لِي الْأَفْرَاحُ مِنْ نَشَوَاتِهَا
وَالْقُضْبُ دَانِيَةً عَنِّي ظِلَالُهَا ، وَالزَّهْرُ تَاجَاتٌ عَلَى هَامَاتِهَا
وَالْمَاءُ يُخْفِي فِي التَّدْفِقِ صَوْتَهُ ، وَالْوُرْقُ تَسْجَعُ بِاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا
وَلَقَدْ تَرَكْتُ وَصَالَهَا عَنْ قُدْرَةٍ ، وَزَجَرْتُ دَاعِيَ النَّفْسِ عَنْ شُبُّهَاتِهَا
لَمْ أَشْكُ جَوَرَ الْحَادِثَاتِ ، وَلَمْ أَقْلُ : حَالَتْ بِي الْأَيَّامُ عَنْ حَالَاتِهَا

ما لي أعدُّ لها مساوئَ جَمَّةٍ ،
 رَبُّ العَفَافِ المحضِ والنَّفْسِ التي
 مَلَكَيةٌ فَلَكَيةٌ يَسْمُو بها
 تَحْتَالُ في العُذْرِ الحَمِيلِ لوَقَدِها
 سَبَقَتْ مَوَاهِبُهُ السَّوَالِ ، فَمَا لَهُ
 مَلِكٌ تُقَرُّ لَهُ المُلُوكُ بِأَنَّهُ
 لَوْ لَمْ يَنْطُ بِالْبِشْرِ هَيَّةَ وَجْهِهِ
 يُعْطَى الأَلُوفَ لوَافِدِهِ بِرَاحَةٍ
 فَكَأَنَّمَا قَتَلَ الحَوَادِثَ دُونَهَا
 مِنْ فِتْيَةٍ رَاضٍ الوَقَارُ نَفُوسَهَا ،
 لَوْ أَمَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ طَالِبٌ
 فِي كَفِّهِ القَلَمُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ
 وَسَطًا عَلَى الأَرْمَاحِ ، وَهُوَ رَبِّيبُهَا
 قَلَمٌ فَرَى كَبِيدَ الأَسْوَدِ ، وَمَارَعَى
 مَا شَاهَدَ الأَمْلَاقُ مَجَّةَ رَيْقِهِ ،
 يَا أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِي سَطَوَاتُهُ
 إِنْ كُنْتَ مِنْ بَعْضِ الأَنَامِ فَإِنَّمَا
 شَهِدْتَ لِرَاحَتِكَ السَّحَابُ أَنَّهَا
 فَالْنَّاسُ تُدَعِّوْهَا مَقَاتِحَ رِزْقِهَا ،
 والصَّالِحُ السَّلْطَانُ مِنْ حَسَنَاتِهَا
 غَلَبَتْ مَرُوءَتُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
 كَرَّمَ تَرْتَحَ كُنْهَهُ فِي ذَاتِهَا
 كَرَمًا ، وَلَكِنْ بَعْدَ بَذْلِ هِبَاتِهَا
 عِدَّةٌ مُؤَجَّلَةٌ إِلَى مِيقَاتِهَا
 إِنْسَانٌ أَعْيُنُهَا وَعَيْنُ حَيَاتِهَا
 ذَهَلَتْ بَنُو الأَمَالِ عَنْ حَاجَاتِهَا
 تَثْنِي يَدَ الأَيَّامِ عَنْ سَطَوَاتِهَا
 وَغَدَا يُؤَدِّي للعُقَاةِ دِيَاتِهَا
 فَبَدَا سَكُونُ الحِلْمِ فِي حَرَكَاتِهَا
 نَقَلَتْ إِلَى مِيزَانِهِ حَسَنَاتِهَا
 بَيْضُ الصَّفَاحِ وَقُلَّ حَدُّ شَبَاتِهَا
 وَأَلْفُهَا فِي الغَابِ عِنْدَ نَبَاتِهَا
 حَقٌّ الجِوَارِ لَهَا فِي أَجْمَاتِهَا
 إِلَّا وَجَفَّ الرِّيقُ فِي لَهَوَاتِهَا
 حَلَمَتْ بِهَا الأَعْدَاءُ فِي يَقَطَّاتِهَا
 غُرُرُ البَحْيَادِ تُعَدُّ بَعْضُ شِيَاتِهَا
 رَيُّ البَسِيطَةِ ، وَهِيَ مِنْ ضَرَاتِهَا
 وَتَعُدُّهَا الأَمْوَالُ مِنْ آفَاتِهَا

شَتَّتْ شَمْلَ الْمَالِ بَعْدَ وَفُورِهِ ، وَجَمَعَتْ شَمْلَ النَّاسِ بَعْدَ شَتَاتِيهَا
 فَظَهَرَتْ بِالْعَدْلِ الَّذِي أَمْسَى بِهِ فِي الْبَيْدِ يَخْشَى ذَيْبُهَا مِنْ شَاتِيهَا
 تُبْدِي ابْتِسَاماً لِلْعُدَاةِ ، وَرَاءَهُ رَأْيٌ يُنْكَسُ فِي الْوَغَى رَايَاتِيهَا
 كَالسَّمْرِ تُبْدِي لِلنَّوَاطِرِ مَنْظَراً مُتَأَلِّقاً ، وَالْمَوْتُ فِي شَفَرَاتِيهَا
 وَكَيْسِيَّةٌ تَخْتَالُ فِي أَجْصَمِ الْقَنَا كَالْأُسْدِ تَسْرِي ، وَهِيَ فِي غَابَاتِيهَا
 سَيَّانٍ مَا تَحْوِي السَّرُوجُ وَمَا حَوَتْ أَيْدِي الْفَوَارِسِ مِنْ سَرِيحَاتِيهَا
 أُرْسَلَتْ فِيهَا لِلرَّمَاكِ أَرَاقِيمًا لَسَبَتْ قُلُوبَ حُمَاتِيهَا بِحُمَاتِيهَا
 جَشِمَتْهَا جُرْداً ، إِذَا رُمَتْ الْعُلَى أُرْسَلَتْهَا ، فَجَرَتْ إِلَى غَايَاتِيهَا
 مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا الْأَسِنَّةُ طُلُعَ ، فَكَأَنَّهَا غُرَّرُ عَلَى جَبَّهَاتِيهَا
 سَدَتْ حَوَافِرُهَا الْقَضَاءَ بَعِثِيرَ ، غَنِيَتْ بِهِ الْعِقْبَانُ عَنْ وَكُنَاتِيهَا
 صَافَحَتْ هَامَاتِ الْعِدَى بِصَفَائِحِ دَبَّتْ نِمَالُ الْمَوْتِ فِي صَفَحَاتِيهَا
 حَتَّى أَعَدَّتْ بِهَا الْجِيَادَ وَشُهْبَهَا حَمَرٌ لَوْخَزِ السَّمْرِ فِي لَبَّاتِيهَا
 وَجَعَلَتْ أَشْلَاءَ الْكُمَاةِ كَأَنَّمَا ذَخَرَتْ لِقُوتِ الْوَحْشِ فِي فَلَوَاتِيهَا
 ضَمَنْتْ بِهَا قُوتَ الْوَحْشِ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَ الْعَرِيكَ ، وَهِيَ مِنْ أَقْوَاتِيهَا
 يَا حَامِلَ الْأَنْقَالِ ، وَهِيَ شَدَائِدُ ، وَالْخَائِضَ الْأَهْوَالِ مِنْ غَمَرَاتِيهَا
 وَمَفْرَجِ الْكَرْبِ الَّتِي لَوْ صَافَحَتْ شُمَّ الْجِبَالِ لَزَلَزَلْتُ هَضْبَاتِيهَا
 قَدْ كَادَ يُغْرِقُ بَحْرُ نَائِلِكَ الْوَرَى ، فَجَعَلَتْ سَرَ الْجُودِ سَفْنِ نَجَاتِيهَا

- ١ قوله : سريحياتها ، لعله نسبة إلى السريح وهو العري من الخيل .
 ٢ الأرقام : الحيات . لسبت : لسمت . الحماة الأولى ، جمع حام : الذي يحمي . الثانية جمع حمة :
 الإبرة التي تضرب بها المقرب ونحوها .

فاسعدُ بعيدِ أنتم عيدُ له ،
 فطرُ فطرتِ يئمنه كبدِ العدى ،
 ووصلت فيه العاكفين على التقى ،
 فاستجليها من حورِ حلةِ بابل ،
 ظمآنَةٌ للقالك ، وهي رويّة ،
 لا تبتغي مهراً سوى لاجرائها
 تستنجزُ الوعدَ الشريفَ لريتها
 هذي كنوزُ الشكرِ وافرةٌ لكم ،
 ومواسمِ بكم هنا ميقاتها
 فشغلت أنفسها بها عن ذاتها
 فشركتها في صومها وصلاتها
 فلذلك تبدي السحرَ من نفثاتها
 ببدايعِ تروي غليلَ روائها
 من قربِ حضرَتكم على عادتها
 لتروعَ قلبَ عُداتها بعيداتها
 فاجعلْ نَجَازَ الوعدِ بعضَ زكاتها

ملك العصر

وقال يمدحه عقيب مال تلف له
 بمادين ويعرض بذلك سنة ثلاثين
 وسيمائة :

أيا ملكَ العصرِ الذي شاعَ فضلُهُ ،
 ومنَ علمتني المدحَ أوصافُ معجده ،
 لقد غمرتني من أياديكَ أنعمُ ،
 ويا ابنَ ملوكِ العربِ والعجمِ والتركِ
 فما زدتها عندَ النظامِ سوى السلكِ
 ملكتَ بها رقي وإن أكثرَ ملكي

١ العداة بكسر العين ، الواحدة عدة : الوعد .

أَعَدُّ ، إِذَا فَارَقْتُ مَعْنَاكَ ، تَاجِرًا ، فَإِنْ أَبَتْ ظَنُّونِي شَرِيكَكَ فِي الْمُلْكِ
لِذَلِكَ لَمْ تَتَّخِ الْخُطُوبُ مَوَدَّتِي ، وَلَكِنِّي مِثْلُ النَّضَارِ عَلَى السَّبْكِ
فَإِنْ يَكُ صَرَفُ الدَّهْرِ قَدْ حَكَ جَانِبِي لِيخْبِرُنِي ، وَالتَّبَرُّ يُخْبِرُ بِالْحَكِّ
فَقَدْ زِدْتُ مَعَ وَقَعِ الْحَوَادِثِ رَغْبَةً ، كَمَا زَادَ فَرَطُ السَّحْقِ فِي أَرْجِ الْمَسْكِ
فَإِنْ أَخْطَأْتَنِي مِنْ نَدَاكَ سَحَابَةٌ ، فَمَا غَيَّرَتْ حُبِّي ، وَلَا أَوْجَبَتْ تَرْكِي
لَأَنْتِي مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ عَلَى الْوَفَا ، وَقَدْ يَحْدُثُ التَّغْيِيرُ عِنْدَ ذَوِي الشَّكِّ

يَا مَلِيكَاً قَدْ طَابَ أَصْلَاً وَفِرْعَاً

وقال فيه وقد أخرج على المغول
ملا جزيلاً وبرأ غزيراً :

يَا مَلِيكَاً قَدْ طَابَ أَصْلَاً وَفِرْعَاً ، وَزَكْتُ مِنْ أَصُولِهِ الْأَعْرَاقُ
وَالَّذِي جَمَعَ الْفَضَائِلَ وَالْحَمْدَ وَالْمَالَ فِي يَدَيْهِ افْتِرَاقُ
كَمْ تَحَمَلْتَ فِي طِلَابِكَ لِلْعَلَاءِ ثِقْلًا يَسِيرُهُ لَا يُطَاقُ
لَا تَخَفْ إِنْ أَضَاعْتَ الْمَالَ كَفًّا ، فَفِيهِنَّ لِلْعَلَاءِ اتِّفَاقُ
لَا يَضُرُّ الْقَضِيبَ ، وَهُوَ نَضِيرٌ ، أَنْ تَزُولَ الثَّمَارُ وَالْأَوْرَاقُ

رعى الله ملكاً

وقال فيه وقد ثقل عليه بمدة حاجات
فقضاهما له :

رَعَى اللهُ مُلْكاً مَا رَمَتْنِي بِرَبْعِهِ
فَتَى رَبَّنِي بِالْمَكْرُمَاتِ وَبِرَقِي ،
وَكَمْ حَاجَةٌ حَاوَلْتُهَا مِنْ جَنَابِهِ ،
فَلَمْ يَلْقَ الْإِلْحَاحِي بِحُبِّ ، وَإِنَّمَا
مَرَامِي النَّوَى ، إِلَّا بَلَّغْتُ مَرَامِيَا
وَأَصْلَحَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ زَمَانِيَا
وَأَلْحَقْتُ فِي قَوْلِي لَهُ وَخِطَابِيَا
أَجَادَ التَّغَاضِي ، إِذْ أَسَأْتُ التَّقَاضِيَا

سيف المدح

وقال فيه وكتبها إليه من مصر :

أَجْرَدُ كَيْ أَجْرَدَ سَيْفَ مَدَحِي ،
وَأَنْظِمُ مَدَحَ غَيْرِكَ وَالْقَوَافِي
فَأُظْهِرُ حَيْرَةً فِي بَسْطِ عُنْدِي ،
فَإِنْ أَفْعَلْ تَأَلَّمَتِ الْمَعَالِي ؛
فَيَتَّبِعُونَ عَنْ سِوَاكَ بِهِ لِسَانِي
تَعَصُّ عَلَيَّ أَطْرَافَ الْبَنَانِ
وَأُخْفِي مَا يُجِينُ لَكُمْ جَنَانِي
وَلِنْ أَنْكُلُ تَنْظَلَّتِ الْمَعَانِي

١ ربي : رباني .

جامع الشمل

وقال فيه :

شَمَلَتْ جَمَعَ صِحابي ، بفيضِ جُودٍ وفضلِ
فأنتَ شاملُ جَمعي ؛ وأنتَ جامعُ شَملي

سأثني على نعمائك

وقال فيه أيضاً وقد أسدى إليه إنعاماً :

سأثني على نُعمائك بالكَلِمِ التي بها تُضَرَّبُ الأمثالُ في اللَّفْظِ والفضلِ
بها تَطْرُدُ السَّارُونَ عَنْ جَفَنِهَا الكَرَى ، وتَجْلِبُ طِيبَ النُّومِ في المهدِ للطفْلِ

الذكر الخالد

وقال فيه :

سأثني على نُعمائك ما دُمْتُ باقياً ، وإنْ مِتُّ يُثْنِي مَنْطِقُ الطُّرسِ من بعدي
فقد أودعتُ صَدْرَ الطُّروسِ بدائعي ، لمجدِكَ ما يَقْضِي لَذِكرِكَ بالخلدِ

طليق مقيد

وقال فيه :

أطلقت نطقي بالحمادِ عندما قيدتني بسوابقِ الإنعامِ
فليشكرنك نيابةً عن منطقي صدرُ الطروسِ وألسنُ الأقلامِ

السر النجوم

وقال فيه :

سأشكرُ نعماك التي لو جحدتها أقرّ بها حالي ، ونمّ بها سيري
وفي حُسْنِ حالِ الرّوضِ اعدلُ شاهدٍ يُقرُّ بما أسدتُ إليه يدُ القطرِ

كلم لا تبلى

وقال فيه أيضاً :

سأثني على نعماك بالكليمِ التي محاسنها تبلى الزّمانَ ، ولا تبلى
وأشكرُ شكراً ليسَ لي فيه مِنّةٌ ، ولا مِنّةٌ للرّوضِ إن شكرَ الوَبلا

شهب جلت للظلام

وقال بدياً بمجلسه وقد أحضرت
الشموع عشاء وأنزم نفسه في كل ليلة
تضيء الشموع مثل ذلك :

أهلاً بها كالفُضْبِ في كُثبانِها ،	جعلتْ شواظَ النَّارِ من تيجانِها
شُهبٌ، إذا جلتِ الظَّلامَ جِوشُها	جلبتْ جِوشَ الصَّبحِ قبلَ أوانِها
مأسورةٌ تحيا بقطْعِ رؤوسِها ،	وتزِيدُ نطقاً عندَ قَطِّ لسانِها
باحةٌ أسيرةٌ وجهِها بسرائِرِ	ضاقتْ صُدُورُ النَّاسِ عن كِتمانِها
زهرٌ حكّتْ حَدَّ الحَبِيبِ ، وإنما	تَحكي فؤادَ الصَّبِّ في خَفَقانِها
لهبتْ وقد رأتِ الظَّلامَ ، ولم تكنْ ،	تاللهِ ، لاهيةٌ لضعفِ جنانِها
بل أُرْعِدَتْ منها الفرائصُ عندما	نظرتْ نواظِرُها إلى سُلطانِها
الصَّالحِ المَلِكِ الَّذي نَعماؤه	قد أغنتِ الغُرباءَ عن أوطانِها
ذي طَلعةٍ جَلَّتِ العيونُ بِحُسْنِها ،	وجلَّتْ همومُ النَّاسِ من إحسانِها

شهب في سماء المجلس

وقال بمجلسه في ليلة أخرى :

أهلاً بشهبٍ في سماءِ المجلسِ ، هتكتُ أشعتها حجابَ الحِندسِ^١
 زهرٌ إذا أرخى الظلامُ ستورهُ فعلتُ بها كصَحيفةِ المتلمسِ
 هيفُ القُدودِ تُريكَ بهجةَ منظرٍ أبهى لديكَ من الجوّاري الكُنسِ^٢
 كالقُضبِ إلاّ أنها لا تَنسني منها القُدودُ ، وزهرُها لم يلمسِ
 أذكتَ لحاظَ عيونِها ، فكأنّها زهرٌ تفتّحَ في حديقَةِ نرجسِ
 نابتُ عن الشمسِ المنيرةِ عندما حُبستُ وساطعُ نورِها لم يُحبسِ
 وإذا تحدّرتِ النجومُ رأيتها ترعى النجومَ بمقلّةٍ لم تنعسِ
 وضحتُ أسرتها وقد عبسَ الدجى ، وتنفّستُ والصّبحُ لم يتنفّسِ
 إن خاطبتها الرّيحُ ردّةً لسانِها همساً كلجلجةِ اللسانِ الأخرسِ
 وإذا توعّدها النّسيمُ ترى لها خفّفاً كقلبِ الخائفِ المتوسّوسِ
 في طرفِها عمقٌ ، إذا حقّقتهُ ، لم يبدُ منها الإسمُ إن لم يُعكّسِ
 عجباً لها تُبدي لقطَ لسانِها بشراً وتَحيا عند قطعِ الأروسِ
 رَضِيتُ بِبَدلِ النّفسِ حينَ تَبوّأتُ من حضرةِ السّلطانِ أشرفَ مجلسِ
 الصّالحِ المَلِكِ الذي إنعامُهُ قِيدُ الغنيّ ، وطوقُ جيدِ المُفليسِ

١ الهندس : الليل الشديد الظلمة .

٢ الجوّاري الكُنس : النجوم .

شمسٌ حَكَى الشَّمْسَ المَنِيرَةَ بِاسْمِهِ وَضِيَاءِ مَجْلِسِهِ وَبُعْدِ المَلَمَسِ
 هُوَ صَاحِبُ البَلَدِ الَّذِي لِسَمَاحِهِ بِالرَّفَقِ يَبْلُغُ لَا بِشَقِّ الأَنْفُسِ
 لَا زَالَ فِي أَوْجِ السَّعَادَةِ لِابِسَا مِنْ حُلَّةِ النِّعْمَاءِ أَشْرَفَ مَلْبَسِ

شمط الذوائب

قال وأنشدها في ليلة أخرى :

أَهْلًا بِهَا شُمَطَ الذَّوَابِ وَالذُّرَى ، تَعْشُو إِلَى نِيرَانِهَا نَارُ القِرَى
 شُهْبًا ، إِذَا مَدَّ الظَّلَامُ رِوَاقَهُ ، جَعَلَتْ ظَلَامَ اللَّيْلِ صُبْحًا نَيْرًا
 تُذَكِّي لَدَى مَلِكٍ يُرْجَى جُودُهُ ، وَتَخَافُ مِنْ سَطَوَاتِهِ أَسَدُ الشَّرَى
 الصَّالِحِ المَلِكِ الَّذِي بِسَمَاحِهِ أَمْسَى الثَّرَا وَطَأَ لَنْ وَطَىءَ الثَّرَى
 لَا زَالَ شَمْلُ المُلِكِ مُنْتَظَمًا بِهِ ، وَالْعَزُّ مُمْتَدَّ الرِّوَاقِ كَمَا تَرَى

١ الشمط ، الواحدة شمطاء : التي خالط البياض سواد شعرها . تعشو : تنظر .

٢ الثرا : الغنى . الثرى : التراب .

شهب تبشر بالسعود

وقال في ليلة أخرى :

نارُ الشموعِ توقدتْ في الليلِ أمْ نورُ الشموسِ
شهبُ تبشّرُ بالسَّعودِ ، وليسَ تنقضي بالنَّحوسِ
شبهُ الذَّوابِلِ قومتْ للطعنِ في صدرِ الحميسِ^١
شوسُ التَّواظيرِ ، وهيَ في غيرِ الدُّجْنَةِ غيرُ شوسِ^٢
إنْ طالَ فضلُ لسانِها ، فجزاؤها قطعُ الرؤوسِ
وإذا تَجَلَّتْ للنَّوا في ظيرِ رَجَحَتْ رأيَ المَجوسِ
في حَضْرَةِ المَلِكِ الَّذِي جَعَلَ الصَّنَاعَ كالغُرُوسِ
الصَّالِحِ السَّلاطَانِ وَهَـا بِ النَّفَائِسِ لِلنَّفُوسِ
فَضَلَ المُلُوكَ بأصلِهِ ، فَضَلَ الرَّئِيسَ عَلَى الرَّؤُوسِ
وَعَدَا ثَنَاهُ غُرَّةً ، فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ العَبُوسِ

١ الحميس : الجيش المؤلف من خمس فرق المقدمة والمؤخرة والجناح الأيمن والجناح الأيسر والقلب .
٢ الشوس ، الواحد أشوس : الناظر بمؤخر عينه تكبراً .

نور شمس الدين

وقال في ليلة أخرى وقد هب الهواء
فأطفأ جميع الشموع بمجلس السلطان
الملك الصالح :

ومُذ أطفأ الشَّمْعَ التَّسِيمُ بِمَجْلِسٍ بِهِ نَوْرُ شَمْسِ الدِّينِ كَالشَّمْسِ مُطَاعُ
عَدَرُنَا ، وَقُلْنَا مَا أَتَى بِبِدْعَةٍ لِأَنَّ اشْتِعَالَ الشَّمْعِ فِي الشَّمْسِ ضَائِعُ

أهلاً بشهب

وقال في ليلة أخرى :

أَهْلًا بِشَهْبٍ عِنْدَ إِشْرَاقِهَا يُجْلِي الدُّجَى مِنْ نَوْرِهَا الْوَاضِحِ
تُنْضِبُ بَحْرَ اللَّيْلِ ، إِذْ تَغْتَدِي نَاهِلَةً مِنْ لُجَّةِ الطَّافِحِ
كَأَنَّمَا أَيْمَانُهَا عَزْمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ
مَلَكٌ يَظِلُّ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ مُقْتَبِسًا مِنْ رَأْيِهِ الْقَادِحِ^١
وَمَنْ غَدَا سَائِحٌ لِإِنْعَامِهِ يَمَلَأُ قَلْبَ الْآمِلِ السَّائِحِ
لَا بَرِحَتْ رُبَّةٌ سُلْطَانِهِ تَسْمُو عَلَى الْأَعْزَلِ وَالرَّامِحِ

١ القادح ، من قلع الزند : أخرج منه النار ، استأواه للرأي .

نجوم روض ام نجوم سماء

وقال في ليلة أخرى :

أنجوم رَوْضِ ام نجوم سَمَاءِ ،	كشَفَتْ أشعَّتُها دُجى الظلَماءِ
أشرقَنَ في حُلُلِ الظلامِ فحدَقَتْ	حَسداً لهنَّ كواكبُ الجوزاءِ
من كلِّ هيفاءِ المعاطيفِ قُوَّتْ	قَدَّأ كقدَّ الصَّعدةِ السَّمراءِ
جسمٌ كصَخِرٍ في صلابَةِ جِرمِهِ ،	وجفُونُها في الدَّمعِ كالخَنسَاءِ
تجري مدامعُها، ويضحكُ وجهُها،	فتَظَلُّ بَيْنَ تَبَسُّمٍ وبُكاءِ
تَبكي لغُرْبَتِها وتبسمُ إذ غَدَتْ	في حَضْرَةِ السُّلطانِ كلِّ مَساءِ
الصَّالحِ المَلِكِ الَّذي أَكنافُهُ	كَهَفُ الوُفودِ وكَعْبَةُ الفُقراءِ
مَلِكٌ بِسِيرةِ عَدْلِهِ وَسَماحِهِ	خَفِيَّتْ مائِراً دَوْلَةَ الخُلَفاءِ
لا زالَ في أَفقِ السَّعادةِ راقِياً	فوقَ المَجرةِ في سَناءٍ وَسَناءِ

ملك يستخدم الدهر

وقال يمدحه ويمتدح من الانقطاع عنه :

لَبَّالِي الْحِمَى مَا كُنْتُ إِلَّا لَالِيَا ،
فَرْتَقَ مِنْكَ الدَّهْرُ مَا كَانَ رَيْقًا ،
وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى مِنْ تَجَافِي أَحْبَبِي ،
وَمَنْ لِي بِصَدِّ مِنْهُمْ وَتَجَنَّبِي ،
لَقَدْ أُرْسَلْتُ نَحْوِي الْغَوَادِي مِنَ الْحَمَى
وَمَا أَذْكَرْتَنِي سَالِفَاتُ عُهُودِهِمْ ،
وَأَغْيَدَ رَخَصِ الْجِسْمِ كَالْمَاءِ رِقَّةً ،
كَثِيرِ التَّجَنُّبِي لَسْتُ أَفَاهُ شَاكِرًا
يَقُولُ ، إِذَا اسْتَشْفَيْتُ مِنْهُ بِنَظَرَةٍ :
وَيَعْجَبُ مِنِّي إِنْ تَمَنَّيْتُ عَتَبَهُ ،
فَوَا عَجَبًا يُدْعَى حَبِيبِي ، وَإِنْ غَدَا
كَمَا قِيلَ لِلْحَرَمِ الْمَخُوفِ مَفَازَةً ،
وَلَمَّا اعْتَنَقْنَا لِلْوَدَاعِ ، وَقَدْ وَهَتْ

وَجِيدُ سُرُورِي بَانْتِظَامِكِ حَالِيَا ،
وَكَدَّرَ مِنْكَ الْبُعْدُ مَا كَانَ صَافِيَا^١
فَلَمَّا فَقَدْنَاهُمْ ، وَدَدْتُ التَّجَافِيَا
إِذَا كَانَ مِنَّا مَتَزِلُ الْقَوْمِ دَانِيَا
رَوَائِحَ أَرْخَصْنَ الْكِبَا وَالْغَوَالِيَا^٢
تُذَكِّرُ بِالْأَشْيَاءِ مَنْ كَانَ نَاسِيَا
أَكَابِدُ قَلْبًا مِنْهُ كَالصَّخْرِ قَاسِيَا
عَلَى مَضَضٍ ، إِلَّا وَأَلْفِيهِ شَاكِيَا
كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا
وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
يُجَاوِرُ فِي سُوءِ الصَّنِيعِ الْأَعَادِيَا
وَلُقِّبَ أَصْنَافُ الْعَبِيدِ مَوَالِيَا^٣
عُقُودُ لَالِيَا نَحْرِهِ وَمَاقِيَا

١ رنق : كدر .

٢ الكبأ : عود البخور .

٣ الحرم : أنف الجبل .

فَحَلَّتْ عَقُودُ الدَّمْعِ مَا كَانَ عَاطِلًا ،
وَكَمْ سِرْتُ لِنَثَرِ الظَّاعِنِينَ مُصِيرًا
أَسِيرُ وَمَنْ فَوْقِي وَتَحْتِي وَوُجْهَتِي ،
فَمَا لِي إِذَا يَمَمْتُ فِي الْأَرْضِ وَجْهَةً
تَضِيقُ عَلَيَّ الْأَرْضُ حَتَّى كَأَنَّنِي
مَلِكٌ ، إِذَا شَبِهْتُ بِالْغَيْثِ جُودَهُ ،
يُعِيدُ شَبَابَ الشَّيْبِ مَرَّاهُ فِي النَّدَى ،
يُرِينَا النَّدَى فِي الْبَاسِ وَالْبَاسُ فِي النَّدَى ،
كَبِيضِ الظُّبْيِ تُرْدِي الْقَتِيلَ ضَوَاحِكًا ،
وَمَا لِي لَا أَسْعَى بِمَا لِي وَمُهْجَتِي ،
إِلَى مَلِكٍ يَسْتَخْدِمُ الدَّهْرَ بِأَسُهُ ،
إِلَى مَلِكٍ يُخْفِي الْمُلُوكَ إِذَا بَدَا ،
إِلَى مَلِكٍ يُؤَلِّي الْإِرَادَةَ وَالرَّدَى ،
بَوَاجِهِ غَدَا لِلشَّمْسِ وَالْبَدْرِ ثَالِثًا ،
وَعَزَمٍ يُزِيلُ الْخَطْبَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ ،
وَشِدَّةٍ بِأَسٍ تَتَرَكُّ الْمَاءَ جَامِدًا ،
وَكَفِّ تَشْيِيمِ السَّيْفِ غَضْبَانَ ضَاحِكًا ،
هُوَ الصَّالِحُ السَّلْطَانُ وَالْمَلِكُ الَّذِي
جَوَادٌ أَبَادَ الْمَالِ إِلَّا صَيَانَةً ،

وَعَطَّلَ عَقْدُ الضَّمِّ مَا كَانَ حَالِيَا
هَوَايَ دَلِيلًا وَالتَّذَكُّرَ حَادِيَا
وَحَلَفِي وَيُمْنَايَ الْهَوَى وَشِمَالِيَا
وَصَرَفْتُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ لِحَاطِيَا
أُحَاوِلُ فِيهَا لَابِنَ أُرْتُقَ ثَانِيَا
هَجُوتُ نَدَاهُ ، وَامْتَدَحْتُ الْغَوَادِيَا
وَفِي الْحَرْبِ مَرَّاهُ يُشِيبُ النَّوَاصِيَا
فَيُنْعِمُ غَضْبَانًا ، وَيَنْقِمُ رَاضِيَا
وَسُحْبِ الْحَيَا تَرُوي الْغَلِيلَ بِوَاكِيَا
إِلَى مَنْ بِهِ اسْتَدْرَكَتُ رُوحِي وَمَالِيَا
وَيُرْجِعُ طَرْفَ الْخَطْبِ بِالْعَدْلِ خَاسِيَا
كَأَخْفَتِ الشَّمْسُ النُّجُومَ الدَّرَارِيَا
وَتَحْوِي الْمَنَائِيَا كَفَّهُ وَالْأَمَانِيَا
وَقَلْبِ غَدَا لِلْجَوْهَرِ الْفَرْدِ ثَانِيَا
رَأَيْنَا بِهِ السَّبْعَ الطَّبَاقَ ثَمَانِيَا
وَرِقَّةِ خُلُقٍ تَجْعَلُ الصَّخْرَ جَارِيَا
وَتَشْنِيهِ بَعْدَ الْكُرِّ جَدْلَانِ بَاكِيَا
يَعُمُّ الْأَقَاصِي جُودُهُ وَالْأَدَانِيَا
مَخَافَةً أَنْ يُمْسِي مِنَ الْبَدَلِ خَالِيَا

لَهُ قَلَمٌ ، إِنْ خَرَّ فِي الطَّرْسِ سَاجِدًا
 إِذَا مَا مَثَى يَوْمًا عَلَى الرَّأْسِ مُوْحِيًا
 إِذَا أَعْلَمَتْهُ كَفُّهُ خِلَتِ أَنَّهُ
 لَقَدْ حَسَدَ الْأَقْوَامُ لَمَظِي وَفَضْلَهُ ،
 غَدَاةَ تَجَارِينَا إِلَى السَّبْقِ ، فَاعْتَدَى
 وَقَالُوا: أَجَدَّتِ النَّظْمَ فِيهِ ، أَجَبْتُهُمْ:
 فَيَا مُحْسِنًا إِلَّا إِلَى الْمَالِ وَحَدَهُ ،
 فَذَلِكَ قَوْمٌ لَوْ مَدَحْتُ صَنِيعَتَهُمْ ،
 رَعَيْتُ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ بِهِمَّةٍ ،
 لَقَدْ عَجِزُوا عَنْ أَنْ يَرَوْا لَكَ فِي النَّدَى
 وَيَوْمٍ أَعْدَتِ الصَّبْحَ كَاللَّيْلِ عِنْدَمَا
 وَأَجَرَيْتَهَا قُبَّ الْبُطُونِ تَخَالُهَا ،
 يُمَزَّقُ تَكَرَّارُ الصَّدَامِ جُلُودَهَا ،
 سَقَيْتَ بِهَا الْأَعْدَاءَ كَأَسَا مِنَ الرَّدَى ،
 جَعَلْتَ الرَّدَى رَاحًا وَخَيْلَكَ رَاحَةً ،
 وَكَمْ قَدْ كَسَيْتَ الْعِزَّ مِنْ جَاءِ آمِلًا
 بَسَطْتَ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَرْضًا مَدِيدَةً ،
 يَخْرُ لَهُ ذُو التَّاجِ فِي الْأَرْضِ حَاشِيَا
 إِلَى مَلِكٍ وَاقَى عَلَى الرَّأْسِ مَاشِيَا
 يَسُنُّ سِنَانًا أَوْ يَسْلُ مَوَاضِيَا
 وَقَدْ غَبَطُوا إِحْسَانَهُ وَلِسَانِيَا
 يَشِيدُ الْمَعَالِي ، أَوْ أُجِيدُ الْمَعَالِيَا
 يَرَى الزَّهْرُ أَنْتَى أَصْبَحَ الْغَيْثُ هَامِيَا
 وَفِي ذَاكَ إِحْسَانٌ لِمَنْ كَانَ رَاجِيَا
 لَظَنَّ الْوَرَى أَنْتَى أَعْدُ الْمَسَاوِيَا
 رَأَيْتُ بِهَا مُسْتَقْبَلَ الْأَمْرِ مَاضِيَا
 مَدَى الدَّهْرِ أَوْ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ ثَانِيَا
 حَجَبَتْ ذُكَا لَمَّا أَجَلَّتِ الْمَذَاكِيَا^١
 إِذَا مَا سَعَتْ تَحْتَ الْعَجَاجِ ، سَعَالِيَا^٢
 فَتُكْسَى دَمًا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ عَارِيَا
 غَدَاةَ غَدَا كُلٌّ مِنَ الْكَرِّ ظَامِيَا
 وَبِيضَ الظُّبَى كَأَسَا وَعِزْمَكَ سَاقِيَا
 إِذَا مَا مَثَى فِي رَبْعٍ قُدْسِكَ حَافِيَا^٣
 وَأَنْبَتَ فِيهَا لِلْحُلُومِ رَوَاسِيَا

١ ذكاء : الشمس . المذاكي : الخيول .

٢ السعالي ، الواحدة سعلاة : أنثى الفول .

٣ كسيت : هكذا في الأصل ، ولعلها لغة في كسوت .

ولمّا نتي ، وإن فارقتُ مَغْنَاكَ مُخْطِئاً ،
فكَيْفَ بَعَادِي عَنِ مَغَانِ الْفِتْنَةِ ،
وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ مُجَاوِراً
أَصِيفُ وَأُشْتَوِ بَيْنَهُمْ ، فَكَأَنَّنِي
بَذَلْتَ لَنَا ، يَا ذَا الْمَكَارِمِ ، أَنْعُمًا ،
وَلَوْلَاكَ لَمْ تُعَنَّ الْمُلُوكُ بِمَنْطِقِي ،
وَلَوْلَاكَ لَمْ يُعْرِفْ مُسْمَايَ بَيْنَهُمْ ،
وَلَا سَيَّمَا لَمَّا رَأَوْنِي رَاغِبًا
أَحِيدُ عَنِ السُّحْبِ الَّتِي تُرْسِلُ الْحَيَا ،
فَسَوْفَ أَجِيدُ النَّظْمَ فَيْكَ وَأُنْشِي
وَأَشْكُرُكُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَإِنْ أُمْتُ

لَأَعْلَمُ أَنَّنِي كُنْتُ فِي ذَاكَ خَاطِبًا
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي بَيْنَهَا وَشَبَابِيَا
مُلُوكَ الْبَرََايَا وَالْبَحُورَ الطَّوَامِيَا
نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَا
تَسِيرُ الْمُوَالِي ، إِذْ تَسُوءُ الْمُعَادِيَا
وَلَا خَطَبُوا مَدْحِي لَهُمْ وَخِطَابِيَا
وَلَا أَصْبَحَ اسْمِي فِي الْمَمَالِكِ سَامِيَا
عَنِ الرُّفْدِ لَا أُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
وَلِنْ كُنْتُ حَرَّانَ الْجَوَانِحِ صَادِيَا
إِلَى النَّثْرِ ، إِنَّ أَفْنَى النَّظَامِ الْقَوَافِيَا
وَلَمْ أُؤْفِهِ ، أَوْصَيْتُ بِالشُّكْرِ آلِيَا

لا تكن خائفاً سوى الله

وقال يمدحه ويهنيه بعيد الفطر في
سنة تسع وثلاثين وسبعمائة :

زَوْجَ الْمَاءِ بَابِنَةِ الْعُنُقُودِ ،
فَانْجَلَّتْ فِي قَلَائِدِ وَعُقُودِ
قُتِلْتُ بِالْمِزَاجِ ظُلْمًا ، فَقَالَتْ :
كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدِ

طافَ يَسْعَى بها أغْنُ حَكَى ما
قَرَبَ الكَأْسَ نَحْوَ عَارِضِهِ الغَضِّ ،
فَعَدَا التَّائِبُونَ مِنَّا نَدَامَى ،
فَصَلَيْنَا لَطَى ، وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ
أَنَا صَبَّ قَصَّتْ لَهُ شِرْعَةُ العِشْقِ
فَإِذَا مَا نَجَوْتُ مِنْ مَعْرَكِ الأَلْحَاطِ
كَلَّمَا أَخْلَقَ التَّجَلَّدُ وَجَدِي
مِثْلَ أَهْلِ الجَحِيمِ إِنْ تُذْهِبِ النَّارُ
قَسَمًا بِالْمَطِيِّ مِثْلَ الهَوَادِي ،
فَهِيَ طَوْرًا قَلَائِدُ القُلُوبِ الشُّمِّ ،
نَكَبَتْ مَرْتَعَ الشَّامِ وَأَمَتْ
فَإِذَا مَا تَجَاوَزَتْ حَرَّ حَرَّانَ ،
وَتَغَانَتْ بِنَهْرِ حَرْزَمَ والغَرِّ
لَقَدْ اسْتَعَصَمَتْ بِحِصْنِ حَصِينِ ،
وَأَنَاخْتُ بِظِلِّ أَبْلَجِ رَحْبِ الصَّدْرِ ،
سَاهِرِ النَّارِ ، رَاقِدِ الجَارِ ، رَحْبِ الدَّارِ
فِي يَدَيْهِ بِشْغَرِهِ وَالْخُدُودِ
فَأَبْدَى العَتِيقَ فَضْلُ الجَدِيدِ
وَالنَّدَامَى فِي ظِلِّ عَيْشِ رَغِيدِ
لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدِ
بِأَلَا يَمُوتَ غَيْرَ شَهِيدِ
لَمْ أَنْجُ مِنْ كَمِينِ القُدُودِ
جَادَ دَاعِي الهَوَى بِوَجْدِ جَدِيدِ
جُلُودًا تَبَدَّلُوا بِجُلُودِ
نَظَّمَتَهَا الحُدَاةُ نَظْمَ العُقُودِ^١
وَطَوْرًا وَشَاحُ خَصْرِ البِيدِ
نَحْوَ مَرَعَى أَحْوَى وَظِلِّ مَدِيدِ
أَنَاخْتُ بِبَرْدِ عَيْنِ البَرُودِ
سَيِّنَ عَنِ نَهْرِ ثَوْرَةٍ وَيَزِيدِ
حِينَ لَازَتْ مِنْهَا بُرْكَنِ شَدِيدِ
نَزَرَ الأَقْرَانِ ، جَمَّ الحَسُودِ
حَيَّ الأَكْنَافِ ، مَيَّتَ الحُقُودِ^٢

١ أزلفت : قربت .

٢ هوادي الخيل : متقدماتها .

٣ ساهر الناس : كناية عن الضيافة . راقد الجار : كناية عن اطمئنان الجار لأنه محمي بجواره .

رحب الدار : كناية عن الكرم . الاكفاف : النواحي ، وحياتها بمن ينتابها من طالبي المعروف .

بطويل النجاد ، ضيق باع العُد
خير أبناء أرتق الملك الصالح
ملك أنفد الذوابل بالنقل ،
حامل من شدائد الملك ما حمل
من أناس ، إذا تمنعت العلياء
عرفوا الزحف قبل معرفة القمط ،
أيتها الماجد الذي حمل الأنقال
لا تكن خائفاً سوى الله شيئاً ،
فإذا زادت الحوادث حدّاً ،
كم جموع فلتتها بحسام
فغدوا والرووس فوق صعاد ،
يا إمام السخا ، وصنو المعالي ،
نقدت تلك العلياء ، إذ أعوز الكفاء
فإذا آل أرتق حاولوا الفخر
كنت ملكي العصا واسطة العقد ،
فلو أن الزمان ينطق يوماً ،
وإذا الدهر خط حولك طرساً ،
يا ملكاً ، إذا عزيت انفخر

نذر ، سمح ، قصير عمر الوعود
شمس الدين الفريد الوحيد
وأفنى الصفاح بالتقليد
قدماً سميته من ثمود
كانوا منها كحبل الوريد
وحتلوا السروج قبل المهود
في طاعة الحميد المجيد
لأنها من شواهد التوحيد
كان نقص الكمال في المحدود
شرق الصفحتين ظامي الحدود
وجسام الجسوم تحت الصعيد
ونبي الندى ، ورب الجود
لديها ، فكت أغلى النقود
بماضي الحدود أو بالحدود
وقطب الرجا وبيت القصيد
قال : هذا إنسان عين الوجود
كان عنوانه أقل العبيد
كان من برة وجودي وجودي

١ يريد النبي صالحاً وما كان من شأنه مع قوم ثمود .

أَنْتَ عَلَّمْتَنِي التَّجَرِّيَ عَلَى الدَّهْرِ وَفَتَكِي بِكُلِّ خَطْبٍ شَدِيدٍ
فَإِذَا مَا أَمَرْتُ دَهْرِي بِأَمْرٍ خِلْتُ أَنْ الْأَيَّامَ بَعْضُ جُنُودِي
وَبِكَ اسْتَعَذَّبَ الْمُلُوكُ كَلَامِي ، وَرَعَوْا حَقَّ حُرْمَتِي وَعُهُودِي
فَمِنْ الْجَهْلِ أَنْ أُرُومَ أَجَازِيكَ بِمَعْنَى رِسَالَةٍ ، أَوْ قَصِيدٍ
أَوْ أَصَوغَ الْأَشْعَارَ يَوْمَ هَتَاءٍ ، يَشْمَلُ الْمَلِكَ ، أَوْ أَهْنَتِي بَعِيدٍ
غَيْرَ أَنْ الْإِلَهَ يَجْزِيكَ ، إِذْ لَمْ يَكُ غَيْرَ الثَّنَاءِ مِنْ مَجْهُودِي
فَاسْتَمَعَهَا بِكَرَاهِمَا ضِيَاءُ الْحَسَنِ مِنِّي عَنْ ظُلْمَةِ التَّعْقِيدِ
هَجَنْتُ شَعْرَ كُلِّ مَنْ عَقَدَ الْقَافَ جَمِيعاً ، لَا جُرُولَ لِأَبِيدٍ
وَابْقَ طَوْلَ الزَّمَانِ تُفْنِي وَتُغْنِي ، وَتُهْنَتِي بِكُلِّ عِيدٍ جَدِيدٍ

أعد على اللُصْد كيدَه

وقال يمدحه ويعرضه على قوم
عاثوا في أطراف بلاده ويهنيه بعيد
النحر :

صِفَاحُ عُيُونٍ لِحَظْهَا لَيْسَ يَصْفَحُ ، وَنَبْلُ جُفُونٍ لِلْجَوَارِحِ تَجْرَحُ
وَمَاءُ حَبَاءٍ لَيْسَ يَنْفَعُ غَلَّةً ، وَنَارُ خُدُودٍ لِلْجَوَانِحِ تَلْفَحُ

١ جرول : الخطيئة . لبيد العامري من شعراء الجاهلية .

وَمَنْظَرُ حُسْنٍ فِي سَنَا الْبَدْرِ رَسْمُهُ
وَجَوْهَرُ ثَغْرِ يُحْزِنُ الْقَلْبَ لِمَحُهُ ،
وَصَلَّتْ وَصَلَتْ السَّهْدَ بِالْحَقْنِ عِنْدَمَا
مَحَاسِنُ قَادَتْ نَحْوَهَا شَارِدَ الْهَوَى ،
إِذَا ضَمَّ أَقْسَامَ الْجَمَالِ تَحْيِيزُ ،
فَلَيْلَهُ صَبٌّ لَا يُبْسَلُ غَلِيلُهُ ،
وَنَفْسٌ أَبَتْ إِلَّا نِزَاعاً إِلَى الصَّبَا ،
وَأَشْمَطُ مِنْ وَرْقِ الْحَمَامِ كَأَنَّمَا
يُرْجَعُ تَكَرَّارَ الْهَدِيلِ مُغَرِّدًا ،
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ شَدَوْتُ فَقَدْ عَدَا
وَيُذَكِّرُنِي الْإِلْفَ الَّذِي هُوَ فَاقِنْدُ ،
وَمَا ضَرَّتَنِي بَعْدُ الدِّيَارُ ، وَأَهْلُهَا
وَرِجْلَايَ فِي أَفْنَاءِ دِجْلَةٍ قَدْ سَعَتْ ،
مَتَازِلُ لَمْ أَذْكَرُ بِهَا السَّقْفَ وَاللَّوَى ،
وَلَمْ أَقِرْ بِالْمِقْرَةِ طَرَفِي بِمِثْلِهَا ،
فَإِنْ أَكُ قَدْ فَارَقْتُ إِلْفًا وَمَعَشَرًا
فَصَبْرًا لَمَّا قَدْ أَفْسَدَتْهُ يَدُ النَّوَى ،

إِلَى الْقَلْبِ أَحْلَى وَهُوَ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْجَوَاهِرَ تُفْرِحُ
عَدَا وَهُوَ مِنْ عُدْرِي عَنِ الصَّبْرِ أَوْضَحُ
وَوَظَلَّ إِلَيْهَا نَازِرُ الْقَلْبِ يَطْمَحُ
فَإِنَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ بِالْحَرِّ يَقْبَحُ
وَأِنْسَانُ عَيْنٍ بِالْمَدَامِ يَسْبَحُ
تَقَاعَسَهَا وَخَطُ الْمَشِيبِ ، فَتَجْمَعُ
سَنَا الصَّبْحِ يُصْبِي قَلْبَهُ حِينَ يُصْبَحُ
فَيَصْدَعُ قَلْبِي نَوْحُهُ حِينَ يَصْدَحُ
يُلَوِّحُ بِالْأَحْزَانِ لِي فَأُصْرَحُ
وَيُعْجِمُ شَكْوَاهُ إِلَيَّ فَأُفْصِحُ
بَارِضِي ، وَفَقْدُ الطَّرْفِ مَا كَانَ يَلْمَحُ
وَطَرَفِي فِي أَفْنَاءِ حَرْزَمَ يَسْرَحُ
وَلَمْ يُصِيبْنِي عَنْهَا الدَّخُولُ فَتَوْضِحُ
فَتَسْرَحُ فِيهَا الْعَيْنُ ، وَالصَّدْرُ يُشْرَحُ
كِرَامًا ، إِلَى عَلَيْهِمُ الْعِزُّ يَجْنَحُ
عَسَى أَنَّهُ بِالصَّالِحِ الْمَلِكِ يَصْلُحُ

١ الصلت : الجين الواضح المستوي .

٢ تقاعسها : لم يتقد إليها .

٣ بارضي : أي من أرضي .

مَلِكٌ ، إِذَا مَا رُمْتُ مَدْحًا لِمَجْدِهِ ،
 لَهُ فِي الْوَعَى وَالْجُودِ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ ،
 وَأَضِيقُ مِنْ سُمْ الْحَيَاطِ اعْتِذَارُهُ ،
 تَحُلُّ بِكَفِّهِ اللَّهُمَّ عُمْرَ سَاعَةٍ ،
 لَقَدْ ظَلَّ يُصَمِّينِي الزَّمَانُ لِبَعْدِهِ ،
 فَقُلْتُ لَصَرَفِ الدَّهْرِ هَا أَنَا رَاحِلٌ ،
 إِلَى مَلِكٍ يُخْفِي الْمُلُوكَ ، فَيَجْتَلِي ،
 إِلَى مَلِكٍ لَا مَوْرِدُ الْجُودِ عِنْدَهُ ،
 إِلَى مَلِكٍ يَلْقَى الثَّنَاءَ بِمِثْلِهِ ،
 إِلَى مَلِكٍ لَا زَالَ لِلْمَدْحِ خَاطِبًا ،
 إِلَى مَلِكٍ أَفْنَى الْقَرِيضِ مَدْبُحُهُ ،
 تَقُولُ لِي الْعَلِيَاءُ ، إِذْ زُرْتُ رَبْعَهُ ،
 إِذَا كُنْتُ تَرْضَى أَنْ تُعَدَّ بِتَاجِرٍ ،
 فَأَنْتَجَتْ مِنْ فِكْرِي لَهُ كُلَّ كَاعِبٍ ،
 وَخَلَدْتُ شِعْرِي فِي الطَّرُوسِ لِأَتْنِي ،
 فَيَا مَلِكًا قَدْ أَطْمَعَ النَّاسَ حِلْمُهُ ،
 أَعِيدُ ، غَيْرَ مَأْمُورٍ ، عَلَى الضَّدِّ كَيْدُهُ ،
 فَقَدْ أَيْقَنَ الْأَعْدَاءُ أَنَّكَ رَاحِمٌ ،
 إِذَا مَا فَعَلْتَ الْخَيْرَ ضَوْعَفَ شَرَّهُمْ ،

تُعَلِّمُنِي أَوْصَافَهُ كَيْفَ أَمْدَحُ
 مِنَ اللَّيْلِ أَسْطَى ، أَوْ مِنَ الْغَيْثِ أَسْمَحُ
 وَصَدْرٌ مِنَ الْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ أَفْسَحُ
 لِنَتَرَحُّهَا وَفَادُهُ ، ثُمَّ تَنَرَّحُ
 وَيُحْزِنُ قَلْبِي مِنْهُ مَا كَانَ يُفْرَحُ
 إِلَى مَلِكٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يُصْلِحُ
 وَتُغْلِقُ أَبْوَابُ السَّمَاحِ ، فَيَفْتَحُ
 أَجَاجٌ ، وَلَا مَرَعَى السَّمَاحِ مُصَوِّحُ
 وَيُنْعِمُ مِنْ بَعْدِ الثَّنَاءِ وَيَسْمَحُ
 وَزَادَ إِلَى أَنْ كَادَ لِلْمَدْحِ بِمَدْحُ
 فَقَدْ زَجَلَ الْمَدَّاحُ فِيهِ وَوَشَّحُوا
 رُؤَيْدَكَ ! كَمْ فِي الْأَرْضِ تَسْمَى وَتُكْدَحُ
 هَلُمَّ ، فَفِيهِ تَاجِرُ الْمَدْحِ يَرْبَحُ
 يُزَيِّنُ عِطْفَيْهَا الْبَدِيعُ الْمُنْقَعُ
 أَرَى الشَّعْرَ يَعْلُو قَدْرَهُ حِينَ يَقْرَحُ
 لِكَثْرَةِ مَا تَهْفُو ، فَيَعْفُو وَيَصْفَحُ
 وَاذْكُ لَهُ النَّارَ الَّتِي بَاتَ يَقْدَحُ
 فَبَاهُوا بِأَفْعَالِ الْخَنَاءِ ، وَتُجَّحُوا
 وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَعُ

ولو تابَعُوا قَوْلَ الإِلهِ وأمره ، لَقَالُوا بَأْسَ الصِّلَحِ لِلخَلْقِ أَصْلَحُ
 تَهَنَّ بِعَيْدِ النَّحْرِ، وانحَرَّ مِنَ الْعِدَى ، فَجُودُكَ عَيْدٌ لِلوَرَى لَيْسَ يَبْرَحُ
 وَضَحَّ بِهِمْ ، لَا زَاتَ تَنْحَرُّ مِثْلَهُمْ ، وَمِنْ دُونِ مَغْنَاكَ الْعَقَايِرُ تُذْبَحُ

ليلة العز

وقال يمدحه ويهنيه بعيد الفطر في
 سنة إحدى وأربعين وسبعمائة موثقاً
 زهرياً بوزن الدوبيت :

لَمَّا شَدَّتِ الْوُرُقُ عَلَى الْأَغْصَانِ بَيْنَ الْوَرَقِ
 مَاسَتْ طَرَبًا بِهَا غُصُونُ الْبَانِ كَالْمُغْتَبِقِ
 الطَّيْرُ شَدَا وَمَنْظَرُ الزَّهْرِ بَدَا
 وَالْقَطْرُ غَسَا يُولِيهِ جُودًا وَنَدَى
 وَالْحَسَنُ حَدَا وَمَدَّ فِي الْجَوِّ رَدَا
 وَالتَّرْجِيْسُ جَفَنُ طَرْفِهِ الْوَسْنَانُ لَمْ يَنْطَبِقِ
 بَلَّ بَاتَ إِلَى شَقَائِقِ النِّعْمَانِ سَاهِي الْحَدَقِ
 يَا لَيْلَةَ بَيْتِنَا ، وَبِهَا الْعِزُّ مُقِيمٌ

١ الجود : المطر الغزير .

٢ الجون : الأسود والأبيض ، ولعله أراد السحاب .

ما بَيْنَ حِيَاضٍ وَرِيَاضٍ وَنَسِيمٍ
ما أَمَهَلَنَا الصَّبِيحُ لِنَحْطِي بِنَعِيمٍ

لَكِنْ تَجَلَّتْ عَلَى الظَّلَامِ الْوَائِي
حَتَّى خَضَبَتْ مِنَ النُّجُوعِ الْقَائِي
لَمَّا شَهَرَ الرَّيِّعُ بِالْخِصْبِ شَطَا
وَالزَّهْرُ ذَكَا وَكَسَبَ الرِّيحُ خِصَالِ
شَمْسُ الْأَفْقِ سَيْفَ الشَّقَقِ
فِي الْأَرْضِ نِصَالِ
فِي مَعْرَكِ الْمَحِلِّ وَصَالِ
وَأَكْسَبَ الرِّيحُ خِصَالِ

وَالْغَيْثُ هَمَى بِوَبْلِهِ الْهَتَانِ
مِنْ مُحْتَبِسٍ فِي سَرَحَةِ الْغُدْرَانِ
أَهْدَتْ لِي أَنْفَاسُ مَا أودَعَهَا طِيبُ أَرِيحِ
لَمْ أَدْرِ، وَقَدْ جَاءَتْ بِنَشْرِ
بَيْنَ الطَّرْقِ أَوْ مُنْطَلِقِ
نَسِيمِ السَّحْرِ
الزَّهْرِ عَطِيرِ

بِالزَّهْرِ غَدَتْ مَسْكِيَّةَ الْأُرْدَانِ
أَمْ أَكْسَبَهَا نَشْرُ ثَنَا السَّلْطَانِ
مَلِكٍ كَفَلَتْ أَكْنَافُهُ كَمْ أَبْعَدَ بِالنَّوَالِ
يَنَئِي خَجَلًا كَأَنَّهُ مِنْهُ مُرِيبِ
لَا مُتَشَبِّهِ
طِيبَ الْعَبَقِ
كُلَّ غَرِيبِ
مَنْ كَانَ قَرِيبِ

عَنْ حَضْرَتِهِ الْحَيَاءِ قَدْ أَفْصَانِي
بَلْ أَبْعَدَ عَنْ مَوَاقِعِ الطُّوفَانِ
لَا عَنْ مَلِكِي خَوْفَ الْغُرْقِ

لَوْلا عَزَمَاتُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ مَا
شَاهَدْتُ حِمِّي الشَّهَاءِ قَدْ صَارَ حِمِّي
إِنْ صَالِحَ مَا يَعْصِي ، وَإِنْ صَالِحَ حِمِّي

إِنْ شَاهِدَ بِأَسَهُ ذُوو التَّيْجَانِ تَحْتَ الْحَلَقِ
مِنْ هَيْبَتِهِ خَرُّوا إِلَى الْأَذْقَانِ مِثْلَ الْعُنُقِ
قَدْ أَوْجَدْتَنِي نَدَاهُ بَعْدَ الْعَدَمِ
إِذْ صَانَ عَنِ الْأَنَامِ وَجْهِي وَدَمِي
لَمْ أَصْفُقْ كَفَيْ عِنْدَهُ مِنْ نَدَمِ

لَوْ شِئْتُ لَهَامَةَ السُّهَى أَوْطَانِي عِنْدَ الْفَرَقِ
لَوْلَاهُ لَمَا سَلَوْتُ عَنْ أَوْطَانِي بَعْدَ الْقَلْقِ
يَا ابْنَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ يَا خَيْرَ خَلْفِ
يَا مَنْ هُوَ أُنْمُوذَجُ مَنْ كَانَ سَلَفِ
كَمْ أَتَلَفَ كَثَرَ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ تَلَفِ

إِذْ فَرَّقَ مَا حَوَى مَدَى الْأَزْمَانِ بَيْنَ الْفَرَقِ
فَالْمَالُ فَنِي ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَانٍ وَالذِّكْرُ بَقِي
إِسْعَدَ بَدَوَامِ الْمُلْكِ لَا زِلْتَ سَعِيدِ
إِذْ أَنْتَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ أَهْنَيْكَ بَعِيدِ
هُنَيْتَ ، وَلَا بَرِحْتَ تُبْذِي وَتُعِيدِ

١ أوطاني : جلني أظا .

تُبْدِي لِلذَّوِي الرَّجَاءِ وَالْإِخْوَانِ حُسْنَ الْخُلُقِ
إِذْ فِيكَ كَمَالُ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ لَمْ يَفْتَرِقْ

العفو بعد المقدرة

وقال يمدحه وأرسلها إليه من بغداد :

ما هَبَّتِ الرِّيحُ إِلَّا هَزَّتِي الطَّرَبُ ،
لِذَاكَ إِنْ هَيَمَنْتَ فِي الدَّوْحِ أَنْشِدُهُ :
يَا جَبِيْرَةَ الشَّعْبِ ، لَوْلَا فَرَطُ بَعْدِكُمْ
فَهَلْ يَجُودُ بِكُمْ عَدْلُ الزَّمَانِ لَنَا ،
يَا سَادَةَ مَا أَلْفَنَّا بَعْدَهُمْ سَكَنًا ،
بُودَكُمْ صَارَ مَوْصُولًا بِكُمْ نَسِي ؛
جَمِيلُكُمْ كَانَ فِي رِقِّي لَكُمْ سَبَبًا ،
فَكَيْفَ أَنْسَاكُمْ بَعْدَ الْمَشِيبِ ، وَقَدْ
أَمْ كَيْفَ أَصْبِرُ مُغْتَرًّا بِأَمْنِيَّةِ ،
قَدْ زُرْتُكُمْ وَعَيُونُ الْخَطْبِ تَلْحَظُنِي
وَكَمْ قَصَدْتُ بِلَادًا كَيْ أَمْرَ بِكُمْ ،
وَكَمْ قَطَعْتُ إِلَيْكُمْ ظَهْرَ مُقْفِرَةٍ ،

إِذْ كَانَ لِلْقَلْبِ فِي مَرِّ الصَّبَا أَرْبُ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا دَوْحَ الْحِمَى نَسَبُ
لَمَّا غَدَا الْقَلْبُ بِالْأَحْزَانِ يَتَشَعَّبُ
يَوْمًا ، وَتُرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحُجُبُ
وَلَا اتَّخَذْنَا بَدِيلًا حِينَ نَغْتَرِبُ
إِنَّ الْمَوَدَّةَ فِي أَهْلِ النُّهَى نَسَبُ
لَا يُوْجَدُ الْحُكْمُ حَتَّى يُوْجَدَ السَّبَبُ
صَاحِبُكُمْ ، وَجَلَايِبُ الصَّبَا قُشْبُ
وَالدَّارُ تَبْعُدُ ، وَالْآجَالُ تَقْتَرِبُ
شَرًّا ، وَتَعْرُ فِي آثَارِي النَّوْبُ
وَأَنْتُمْ الْقَصْدُ لَا مِصْرُ وَلَا حَلَبُ
لَا تَسْحَبُ الذَّلِيلَ فِي أَرْجَائِهَا السُّحْبُ

وَمَهْمَهُ كَسَمَاءِ الدَّجَنِ مُعْتَكِرٍ ،
 حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نَفْسٍ مُؤَيَّدَةٍ ،
 بِمَجْلِسٍ لَوْ رَأَاهُ اللَّيْثُ قَالَ بِهِ :
 مَنَازِلٌ لَوْ قَصَدْنَاهَا بِأَرْوُسِنَا ،
 أَرْضٌ نَدَى الصَّالِحِ السَّلْطَانِ وَابِلُهَا ،
 مَلِكٌ بِهِ افْتَخَرَتْ أَيَّامُهُ شَرْفًا ،
 وَقَالَتِ الشَّمْسُ : حَسْبِيَ أَنْ فَخَرْتُ بِهِ ،
 لَا يَعْرِفُ الْعَقْوُ إِلَّا بَعْدَ مَقْدَرَةٍ ،
 سَمَاحُهُ عُنُونَتْ بِالْبِشْرِ غَايَتُهَا ،
 وَهِيمةٌ حَارَ فِكْرُ الْوَاصِفِينَ لَهَا ،
 قَالُوا : هُوَ الْبَدْرُ ؛ قُلْتُ : الْبَدْرُ مُمْتَحِقٌ .
 قَالُوا : هُوَ الْغَيْثُ ؛ قُلْتُ : الْغَيْثُ مُسْتَظَرٌّ .
 قَالُوا : هُوَ السَّيْلُ ؛ قُلْتُ : السَّيْلُ مُنْقَطِعٌ .
 قَالُوا : هُوَ الظِّلُّ ؛ قُلْتُ : الظِّلُّ مُنْتَقِلٌ .
 قَالُوا : هُوَ الطُّودُ ؛ قُلْتُ : الطُّودُ ذُو خَرَسٍ .
 قَالُوا : هُوَ السَّيْفُ ؛ قُلْتُ : السَّيْفُ نُنْدُ بِهِ ،
 قَالُوا : فَمَا مِنْهُمْ يُحْكِيهِ ؛ قُلْتُ لَهُمْ :
 يَا ابْنَ الذِّينِ غَدَتِ أَيَّامُهُمْ عِبْرًا

نَوَاطِرُ الْأُسْدِ فِي ظُلُمَائِهِ شُهْبٌ
 مِنْهَا النُّهَى وَاللَّهُى وَالْمَجْدُ يُكْتَسَبُ
 يَا نَفْسُ فِي مِثْلِ هَذَا يَلْزَمُ الْأَدَبُ
 لَكَانَ ذَلِكَ عَلَيْنَا بَعْضَ مَا يَجِبُ
 وَرَأْيُهُ لِرَجَا أَحْوَالِهَا قُطْبُ
 وَاسْتَبَشَّرَتْ بِمَعَالِي مَجْدِهِ الرُّتَبُ
 وَجْهِي لَهُ شُبَّةٌ ، وَاسْمِي لَهُ لُقَبُ
 وَلَا يَرَى الْعُدْرَ إِلَّا بَعْدَ مَا يَهَبُ
 كَمَا تُعْنَوْنَ فِي غَايَاتِهَا الْكُتُبُ
 حَتَّى تَشَابَهَ مِنْهَا الصَّدَقُ وَالْكَذِبُ
 قَالُوا : هُوَ الشَّمْسُ ؛ قُلْتُ : الشَّمْسُ تَحْتَجِبُ
 قَالُوا : هُوَ اللَّيْثُ ؛ قُلْتُ : اللَّيْثُ يُغْتَصَبُ
 قَالُوا : هُوَ الْبَحْرُ ؛ قُلْتُ : الْبَحْرُ مُضْطَرِبُ
 قَالُوا : هُوَ الدَّهْرُ ؛ قُلْتُ : الدَّهْرُ مُتْقَلِبُ
 قَالُوا : هُوَ الْمَوْتُ ؛ قُلْتُ : الْمَوْتُ يُجْتَنَّبُ
 وَذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ بِالْجُودِ يُتَدَبُّ
 كُلُّ حَكَاةٍ ، وَلَكِنْ فَاتَهُ الشَّنْبُ
 بَيْنَ الْأَنَامِ ، بِهَا الْأَمْثَالُ قَدْ ضَرَبُوا

١ الشنب : بياض الأسنان وحسنها .

كَالْأَسَدِ إِنْ غَضِبُوا، وَالْمَوْتِ إِنْ طَلَبُوا،
 إِنْ حُكِّمُوا عَدَلُوا، أَوْ أُمِّلُوا بَدَلُوا،
 سَرَيْتَ مَسْرَاهُمْ فِي كُلِّ مَنَقِبَةٍ،
 وَفَقَّتَهُمْ بِخِلَالٍ قَدْ خُصِّصَتْ بِهَا،
 حَمَلْتَ أَثْقَالَ مُلْكٍ لَا يُقَامُ بِهَا،
 وَحُطَّتْ بِالْعَدْلِ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ،
 لِكُلِّ شَيْءٍ، إِذَا عَمَلْتَهُ، سَبَبُ،
 مَوْلَايَ! دَعْوَةَ عَبْدٍ دَارُهُ نَزَحَتْ،
 قَدْ شَابَ شِعْرِي وَشَعْرِي فِي مَدِّحِكُمْ،
 فَالنَّاسُ تَحْسُدُكُمْ فِيهِ، وَتَحْسُدُهُ
 فَلَا أَرْتَنَا اللَّيَالِي مِنْكُمْ بَدَلًا؛
 وَالسَّيْفِ إِنْ نُدِبُوا، وَالسَّيْلِ إِنْ وَهَبُوا
 أَوْ حُورِبُوا قَتَلُوا، أَوْ غُلبُوا غَلَبُوا
 لَمْ يَسْرِهَا بَعْدَهُمْ عَجْمٌ وَلَا عَرَبٌ
 لَوْلَا الْخُصُوصُ تُسَاوَى الْعُودُ وَالْحَطَبُ
 لَوْ حُمِلَتْهَا اللَّيَالِي مَسَّهَا التَّعَبُ
 كَأَنَّمَا النَّاسُ أَبْنَاءُ، وَأَنْتَ أَبُ
 وَأَنْتَ لِلرِّزْقِ فِي كُلِّ الْوَرَى سَبَبُ
 عَلَيْكُمْ قُرْبُهُ بَلْ قَلْبُهُ يَجِيبُ
 وَدَوَّنْتَ بِمَعَانِي نَظْمِي الْكُتُبُ
 فِيكُمْ، وَلَيْسَ لَهُ فِي غَيْرِكُمْ طَلَبُ
 وَلَا خَلَّتْ مِنْكُمْ الْأَشْعَارُ وَالْحُطَبُ

شكرتك

قال يشكر إتمام المولى السلطان
 الملك المنصور طاب مثواه عن تحف
 حملها إليه :

شَكَرْتِكَ عَنِّي شَارِدَاتُ قَصَائِدٍ بِصَّنَائِعٍ فَاهَتْ بِشُكْرِ صَنَائِعِ
 تَنْفِي الْحُدَاةُ بِهَا عَنِ الْجَفْنِ الْكَرَى، وَتَخِيطُ مِنْ طَرَبٍ جُفُونَ السَّامِعِ

هنتت بالعيد

وقال يهنيه بعيد الفطر سنة إحدى وسبعمائة :

هَنْتَتَ بِالْعِيدِ بِلْ هُنِّي بِكَ الْعِيدُ ، فَأَنْتَ لِلْجُودِ ، بِلْ لَارْثُ لَكَ الْجُودُ
يَا مَنْ عَلَى النَّاسِ مَقْصُورٌ تَقْضِيهِ ، وَظِلُّ رَحْمَتِهِ فِي الْأَرْضِ مَمْدُودُ
أَضَحَّتْ بِدَوْلَتِكَ الْأَيَّامُ مُشْرِقَةً ، كَأَنَّهَا لَخُذُودِ الذَّهْرِ تَوْرِيدُ
أَعْطَيْتَ فِي الْمُلْكِ مَا لَانَ الْحَدِيدُ لَهُ ، فَأَنْتَ سُلَيْمَانُ وَدَاوُدُ
لَكَ الْيَدَانِ اللَّتَانِ امْتَحَ بِرَّهْمَا ، بَنُو الزَّمَانِ ، وَرِيْعَتُ مِنْهُمَا الصَّيْدُ
قَضَى وَجُودُهُمَا فِينَا وَجُودُهُمَا ، تَكْذِيبَ مَنْ قَالَ : إِنْ الْجُودَ مَقْفُودُ
مَاذَا أَقُولُ ، وَمَدْحِي فِيكَ ذَوْ قِصَرٍ ، وَأَنْتَ بِالْفِعْلِ مَمْدُوحٌ وَمَحْمُودُ
إِذَا نَظَّمْتُ بِدَيْعِ الشَّعْرِ قَابِلَنِي ، مِنْ السَّمَاحِ بِدَيْعٍ مِنْكَ مَنَقُودُ
فَلَا مَعَانِيهِ فِي الْحُسْنَى مُغْلَغَلَةٌ ، وَلَا بِالْفَاطِيهِ فِي الْبِرِّ تَعْقِيدُ
فَعِشْتَ يُولِيكَ طِيبَ الْعَيْشِ أَرْبَعَةٌ : عِزٌّ ، وَنَصْرٌ ، وَإِقْبَالٌ ، وَتَأْيِيدُ
وَلَا خَلَّتْ كُلَّ عَامٍ مِنْكَ أَرْبَعَةٌ : نِسْكٌ ، وَصَوْمٌ ، وَإِفْطَارٌ ، وَتَعْيِيدُ

برق المشيب

وقال يشكر إنعام ولديه الملك ناصر
الدين محمد وعباد الدين علي بفرس
جواد قدماها له وضمها تضمين البحر
لأبيات من مقصورة أبي بكر بن
دريد بيتاً بيتاً وهو من مخترعاته وهي :

بَرَقُ الْمَشِيبِ قَدْ أَضَا ، بَعَارِضٍ مِثْلِ الْأَضَا
يُشَبِّهُهُ اشْتِعَالُهُ ، بِالنَّارِ فِي جَذَلِ الْغَضَا
وَوَاصَلَتْ قَلْبِي الْمَهْمُومُ ، فَجَعَفَا جَفَنِي الْكَرَى
وَاتَّخَذَ التَّسْهِدُ عَيْنِي مَالِفًا لِمَا جَفَا
وَكُنْتُ ذَا بَأْسٍ ، فَمُذُ عَانَدَنِي صَرَفُ الْقَضَا
رَضِيتُ قَسْرًا ، وَعَلَى الْقَسْرِ رَضَى مَنْ كَانَ ذَا ٣
لِي أَسْوَةٌ بَابِنِ الزُّبَيْرِ ، إِذْ أَبَى حَمَلَ الْأَذَى
وَابْنِ الْأَشَجِّ الْقِيلِ سَا قَ نَفْسَهُ إِلَى الرَّدَى
وَهَكَذَا جَدُّ أَبُو ١ خَيْرٍ لِإِدْرَاكِ الْمُنَى
وَقَدْ سَمَا قَبْلِي يَزِيدُ طَالِبًا شَاوَ الْعُلَى
وَقَدْ رَمَى عَمْرُو بَسْهَمٍ كَيْدَهُ قَلْبَ الْعُلَى

١ الأضا : الفدران ، الواحدة أضاة .

٢ الجذل من الشجرة : أصلها الباقي بعد ذهاب فروعها . الغضا : شجر .

٣ من كان ذا : أي من كان ذا بأس ، وفي البيت اكتفاء .

وسيفٌ استعلتْ بهِ
أقسمتُ لا أنفكُ أسمو
أليّةٌ باليعملاتِ ،
لأجعلنَ معقلي ،
برضعُ في البيدِ الحصى ،
يكابرُ السمعُ اللحا
إذا اجتهدتُ نظراً
جادَ بهِ ابنُ الملكِ الـ
هما اللذانِ عَمَرا
فقلتُ ، لما أنقلا
نَفسي الفداءُ لأميري
كأنّما جودُهُما
إذا وُنتَ رُعودُهُ
فطبّقَ الأرضينَ حتى
كأنّما البيداءُ ، غِبَّ
يلومُني في البُعدِ عن
واللومُ للحرِّ مُقيمٌ
هيمتهُ حتى رمى
طالباً حُسنَ الثنا
ترتمي بها النجاةُ
مُطهماً صلبَ المطا
وإنْ رمى إلى الرُبى
ظا لثَرهُ ، إذا جرى
في لثَرهِ ، قلتُ : سنا
منصورٍ منصورِ اللوا
لي جانباً من الرّجا
ظهري بأعباءِ الندى :
ومنْ تحتَ السّما
مُجلجلٌ من الحبا
عنتُ له ريحُ الصّبا
بلغَ السّيلُ الزّبى
صوتهِ ، بحرٌ طمّا
حماها خيلٌ حتى
رادعُ ، والبُعدُ لا

١ الالية : اليمين . العملات : النياق . النجا : السرعة .

٢ المطا : الظهر .

٣ يرضع : يكسر .

فسوف يعتادهما مني امرؤ مَحْضُ الولا
 يعجوبُ جَوَزاءَ الفلا مُحْتَقِرًا هولَ الدجى
 قد نلتُ في رَبْعِيهما من النعيمِ ما كفى
 فإنْ أعيشْ صاحِبْتُ دَهْ رِي عالماً بما انطوى
 وإنْ أمتْ ، فكلُّ شَيْءٍ بَلَغَ الحَدَّ انتَهَى

مالك الرق

وقال يشكر إنعام السلطان الملك
 الصالح شمس الدين صالح وكتبها إليه
 من الشام :

جزى الله عنا مالك الرق كاسمه ،
 ولولا معاليه الشريفة لم تكن
 أحدتْهم عن بره دون سيره ،
 وأنشد من مدحي له كل جزلة
 قصائد في الفاظيهن مقاصد
 إذا رام أهل العصر نظماً لمثلها ،
 ظننت حبال السحر ما قد أتوا به ،
 فلولا اسمه ما كنت في الخلق أعرف
 علي ملوك الأرض تحنو وتعطف
 وألحيف في تعديد ما لي يتحيف
 تحلتي بها أسماؤهم ونشئت
 من الصخر أقوى بل من الماء ألطف
 وجاؤوا بلفظ دونها وتكلفوا
 وتلك عصا موسى لها تنلقف

أصم يسمع

وقال يمينه بشهر رجب الأعم :

غَدَا رَجَبٌ يَوْمُنْ حِينَ أَدْعُو لِمَجْدِكَ أَنْ يَزِيدَ بِهِ ارْتِقَاءُ
أَصْمٌ ظَلَّ مُسْتَمِعًا دُعَائِي ، فَهَا أَنَا أَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءُ

هنيئاً بشهر الصوم

وقال يمينه بشهر رمضان :

هَنِيئًا بِشَهْرِ الصَّوْمِ لِلْمَلِكِ الَّذِي لَهُ نِعَمٌ مَعْرُوفُهَا لَيْسَ يَنْكَرُ
فَمَنْ عَنْ أَحَادِيثِ الْمَحَارِمِ صَائِمٌ ، وَكَفَّ بِإِسْدَاءِ الْمَكَارِمِ مُفْطِرُ
يَسَافِرُ مِنْهُ الذِّكْرُ ، وَهُوَ مُتَمِّمٌ ، وَكُلُّ مُقِيمٍ فِي الثَّنَاءِ مُقَصِّرُ
وَأَعْجَبُ مَنْ صَوَّمَ الْأَنَامَ بِرَبِّعِهِ ، وَقَدْ غَمَرَتْهُمْ مِنْ أَيَادِيهِ أَمْحَرُ

العيد الجديد

وقال يهنيه بعيد الفطر :

فِطْرٌ بِهِ كَادَ قَلْبُ الدَّهْرِ يَنْفَطِرُ ،
 يَا مَالِكًا أَضَحَّتِ الدُّنْيَا تَتَبَهُ بِهِ ،
 أَضْحَى وَجُودُكَ فِي الدُّنْيَا وَجُودُكَ لِي
 فَالْعِيدُ مِتَّظَرٌّ فِي الْعَامِ وَاحِدَةً ،
 لَوْ يَنْطِقُ الْعِيدُ بِالْإِنْصَافِ قَالَ لَنَا :
 مَلِكُكُمْ سَمَّا ذَكَرَهُ بَيْنَ الْمُلُوكِ ، وَمَا
 سَهْلُ الْخَلَائِقِ مَا فِي خَلْقِهِ شَرَسٌ
 لَا يَعْرِفُ الْعَذْرَاءُ عَنْ إِسْعَافِ ذِي أَمَلٍ ،
 مَنْ آلٍ أُرْتُقَ الصَّيْدِ الْآلِي رَتَقُوا
 هُمُ الْمُلُوكُ الْآلِي يُكْسَى الزَّمَانُ بِهِمْ
 الْمُنْعِمُونَ ، وَلَكِنْ قَبْلَمَا سُئِلُوا ،
 يَا ابْنَ الْمُلُوكِ الْآلِي دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ ،
 لَا فَضْلَ لِي فِي نِظَامِي دُرٌّ وَصَفِيكُمْ ،
 لَمْ تَزَهُ صَنَعَتُهُ إِلَّا بِصُنْعِكُمْ ،
 إِذْ بَشَّرْتُ بِعَالِي مَجْدِكَ الْفِطْرُ^١
 وَالصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالْأَعْيَادُ تَفْتَخِرُ
 عِيدًا جَدِيدًا بِهِ يَسْتَبْشِرُ الْبَشَرُ
 وَجُودُكُمْ كَفَكَ عِيدٌ لَيْسَ يُتَتَّظَرُ
 لِيَهْنِكُمْ بِالْمَلِكِ الصَّالِحِ الظَّفَرُ
 بَنِي لَهُ الذِّكْرَ إِلَّا الصَّارِمُ الذِّكْرُ
 لِلْوَارِدِينَ ، وَلَا فِي خَدِّهِ صَعَرُ^٢
 يَوْمًا ، وَلَكِنَّهُ يُعْطَى وَيَعْتَسَدِرُ
 فَتَقَّ الْعُلَى ، بَعْدَمَا حَالَتْ بِهَا الْغَيْرُ
 عِزًّا وَتَخَفَى مُلُوكُ الْأَرْضِ إِنْ ظَهَرُوا
 وَالصَّافِحُونَ ، وَلَكِنْ بَعْدَمَا قَدَرُوا
 لَمَّا اسْتَقَامُوا مَعَ الْبَارِي كَمَا أَمَرُوا
 بِقِيَمَةِ الدُّرِّ لَا بِالسَّلَكِ يُعْتَبَرُ
 تَزَهُو الْحَمَائِلُ أَنْتَى يَهْطِلُ الْمَطَرُ

١ الفطر ، الواحدة فطرة : الدين . السنة .

٢ الصعر في الخد : إمالة عن النظر إلى الناس تهاونا وكبرا .

أعلى من أن يهنا

وقال أيضاً يهنيه بعيد الفطر :

يا مَلِيكاً بِذِكْرِهِ يَفْخَرُ الْمَدُّ حُ وَيَسْمُو الْإِيرَادُ وَالْوَرَادُ
أَنْتَ أَعْلَى مِنْ أَنْ تُهَنَّى بِعِيدٍ بَلْ تُهَنَّى بِمَسْجِدِكَ الْأَعْيَادُ
فَابْقَ فِي نِعْمَةٍ بِهَا سُرَّ رَاجِيكَ ، وَرُدَّتْ بِغَيْظِهَا الْحُسَادُ
صُمْ فِي صَوْمِكَ الْعُدَّةُ ، وَفِي فِطْرِكَ مِنْهُمْ تُفْطِرُ الْأَكْبَادُ

غرة وجه الأنام

وقال أيضاً يهنيه بعيد النحر :

تَهَنِّ بِعِيدِكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ ، وَعِشْ لَتَهَانِيهِ فِي كُلِّ عَامٍ
فَإِنْ يَلُكَ غُرَّةَ وَجْهِ الزَّمَانِ ، فَإِنَّكَ غُرَّةُ وَجْهِ الْأَنَامِ

الهلل المبشر

وقال يهنيه بالقدوم من سفر في مستهل
أحد الشهور :

قدمت ، وقد لاح الهلالُ مبشراً بعودِكَ ، إنَّ السَّعدَ فيه قرينه
ويُخبرُ أنَّ النصرَ فيه مُقدَّرٌ ، ألم ترهُ قد لاحَ في الغربِ نُونه¹

بناء العلاء صعب

وقال يهنيه بدار عمرها في قلعة ماردين :

هكذا إن بنى المنازلَ بانٍ ، وثناها مَشيدةَ الأركانِ
يبتني المجدَ أولاً ، فإذا ما شادهُ شَيْدَ المنازلِ ثانٍ
وبناءُ العلاءِ صعبٌ على مَنْ لم يكنْ عزمُهُ شديدَ المباني
فإذا حاولَ المُقَصِّرُ نيلَ العِزِّ نادى : وعِزِّي لئن تراني
كلُّ من أسسَ البناءَ على تقوى إلَهِ السَّماءِ والرضوانِ
فليشِدْ قبلَهُ البناءَ كما قد شَيْدَتْهُ مَنابِئُ السُّلطانِ

١ شبه تقوس الهلال بتقوس النون . والنون : السيف .

زَيْنُ أَبْنَاءِ ارْتُقَ الْمَلِكُ الصَّا لَحُ شَمْسُ الدِّينِ الرَّفِيعِ الشَّانِ
 مَلِكٌ يَمْلَأُ النَّوَاطِرَ بِالْحُسْنِ ، وَيَمْلَأُ الْأَكْفَ بِالْإِحْسَانِ
 لَوْ يَشَاءُ أَسْتَسَ الْمَنَازِلَ مِنْ فَوْ قِ أَعَالِي مَنَازِلِ الزُّبُرِقَانِ^١
 وَالسَّوَارِي فَوْقَ السَّوَارِي مِنَ الشُّهُ بِ ، وَأَبْوَابُهَا عَلَى كَيَّوَانِ^٢
 شَادَفِي فِي ذُرُوءِ الْعَلَاءِ دِيَاراً ، وَجَسَنِي الْجَنَّتَيْنِ مِنْهُنَّ دَانِي
 فَأَرَاهُ الْإِلَاهُ فِي ظِلِّهَا الْعِزَّ ، وَطَيْبَ الْهَنَاءِ ، وَنَيْلَ الْأَمَانِي

فؤادي لديكم

قال وكتب بها إلى أخيه الملك ناصر
 الدين عمر ويهنيه بعيد الفطر :

إِنْ ثَنَيْتُ عَنْكُمْ الْخُطُوبُ عَيْنَانِي ، ففؤادي لَدَيْكُمُْ وَجَنَانِي
 وَاشْتِيَاقِي لِرَبْعِكُمْ لَا يَوْجِدُنِي بَغْوَانٍ بِهِ ، وَلَا بَأْغَانِي
 مَا هَوَيْنَا مَغْنَى الدِّيَارِ ، وَلَكِنْ بِالْمَعَانِي نَهِيمُ لَا بِالْمَغَانِي
 مَنْ مَعِينُ الصَّبِّ الْكَثِيبِ عَلَى الشَّو قِ إِذَا بَاتَ لِلْهُمُومِ يُعَانِي
 وَمَنْ الْمُبْلِغُ الْأَحْبَةِ أَنْتِي طَيْبُ عَيْشِي مِنْ بَعْدِهِمْ مَا هَتَانِي

١ الزبرقان : القمر .

٢ السواري الأولى ، الواحدة سارية : السمود . والسواري من الشهب : النجوم . كيوان : الكوكب زحل .

يا نَسِيمَ الشَّمَالِ إِن جُرْتَ بِالشَّهْبَا
 وَاْبْلَغِ الْمَلِكَ نَاصِرَ الدِّينِ شَوْقِي
 عُمَرَ الْمَالِكُ الَّذِي عَمَرَ الْمَجْدَ ،
 وَالْمَلِكُ الَّذِي يَرَى الْمَنَ إِشْرَا
 وَالْجَوَادُ السَّمْعُ الَّذِي مَرَجَ الـ
 مَلِكُ يَعْتِقُ الْعَبِيدَ مِنَ الرِّقِّ ،
 بِسَجَايَا رَضِيعِنَ دَرَّ الْمَعَالِي ،
 فَلِبَاغٍ عَصَاهُ حُمْرُ الْمَنَابَا ،
 يَا أَخَا الْجُودِ لَيْسَ مِثْلُكَ مَوْجُو
 أَنْتَ بَيْنَ الْأَنَامِ لَفْظَةً لِجَمَا
 ذَلِكَ الرَّبَّةُ الَّتِي قَصَّرَتْ دُو
 وَالْحَسَامُ الَّذِي إِذَا صَلَّتِ الْبَيْضُ
 قَامَ فِي حَوْمَةِ الْهِيَاجِ خَطِيبًا ،
 وَالْيَرَاعُ الَّذِي يَزِيدُ بِقَطْعِ الرَّآ
 لَمْ تَمَسَّ التَّرَابَ نَعْلَاكَ ، إِلَّا
 شَيْمٌ لَمْ تَكُنْ لَغَيْرِكَ إِلَّا
 جَمَعَ اللَّهُ فَيْكَمَا الْحُسْنَ وَالْإِحْسَا

١ قَبْلُ عَنِّي ثَرَى السَّلْطَانِ
 ثَمَّ قَبْلُ ثَرَاهُ بِالْأَجْفَانِ
 وَقَدْ كَانَ دَائِرَ الْبُنْيَانِ
 كَأُ بَوَصَفِ الْمُهَيِّمِينَ الْمَنَانِ
 بِحَرِينَ مِنْ رَاحَتِهِ يَلْتَقِيَانِ
 وَيَشْرِي الْأَحْرَارَ بِالْإِحْسَانِ
 وَمَزَايَا رَضِيعِنَ دَرَّ الْمَعَالِي
 وَلِبَاغِي عَطَاهُ بَيْضُ الْأَمَانِي
 دَأْ ، وَإِنْ كَانَ بَادِيًا لِلْعِيَانِ
 عِ ، عَلَيْهَا اتَّفَاقُ قَاصٍ وَدَانِ
 نَ عَلَاهَا النَّسْرَانِ وَالْفَرَقْدَانِ ٢
 وَصَلَتْ فِي الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ
 قَائِلًا : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ
 سِ نَطْقًا مِنْ بَعْدِ شَقِّ اللِّسَانِ
 حَسَدَتَهُ مَعَاقِدُ التَّيْجَانِ
 لِمَعَالِي شَقِيقِكَ السَّلْطَانِ
 نَ ، إِذْ كُنْتُمَا رَضِيعِي لِبَانِ

١ مرج : خلط .

٢ قوله : ذلك الرتبة ، هكذا في الأصل . النسران والفرقدان : نجوم .

وَتَجَارَيْتُمَا إِلَى حَلْبَةِ الْمَجْدِ ، فَوَاقَيْتُمَا كَمُهِرَيَّ رِهَانِ
 ثُمَّ عَاضَدْتَهُ ، فَكَنْتَ لَدَيْهِ مِثْلَ هَارُونَ فِي فَتَى عِمْرَانَ
 فَتَهَنَّ الْعَيْدَ السَّعِيدَ ، وَإِنْ كَا نَ لِكُلِّ الْأَعْيَادِ مِنْكَ التَّهَانِ
 وَاقْضِ عُمْرَ الزَّمَانِ صَوْمًا وَفِطْرًا ، خَالِدًا فِي مَسْرَةٍ وَأَمَانِ
 لَيْسَ لِي فِي صِفَاتِ مَجْدِكَ فَخْرٌ ، هِيَ أَبَدَتْ لَنَا بَدِيعَ الْمَعَانِ
 كُلَّمَا أَبْدَعْتَ سَجَايَاكَ مَعْنَى نَظَّمْتُ فِكْرَتِي وَخَطَّ بَنَانِي
 لَا تَسْمُنِي بِالشَّعْرِ شُكْرَ أَيَادِيكَ ، فَمَا لِي بِشُكْرِهِنَّ يَدَانِ
 لَوْ نَظَّمْتُ النُّجُومَ شِعْرًا لَمَّا كَا فَبِتُّ عَنْ بَعْضِ فَخْلِكَ الْإِحْسَانِ

الملك الجامع الفضائل

وقال يشكر إتمام السلطان الملك المؤيد
 عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل
 ابن أيوب صاحب حماة عند وروده
 إليها وقد كان اقترح عليه هذا البحر
 والقافية :

لَا رَاجَعَ الطَّرْفُ بِاللِّقَا وَسَنَةِ ، إِنْ ذَاقَ غُمُضًا مِنْ بَعْدِ كَمِّ وَسِنَةِ^١
 طَالَ عَلَى الصَّبِّ عُمْرُ جَفَوَتِكُمْ ، فَكُلُّ^٢ يَوْمٍ مِنْ الْفِرَاقِ سَنَةِ

١ روت : نعامه الشديد . السنة : النوم .

صَبَّ أَجَابَ الْغَرَامَ ، حِينَ دَعَا
 لَمْ يَقْضِ مِنْ وَصْلِكُمْ لُبَانَتَهُ ،
 مَا عَرَفَ الشَّرْكَ فِي هَوَاهُ ، وَلَا
 وَلَوْ غَدَا ، وَهُوَ عَابِدٌ وَثَنًا ،
 إِنْ كَرَّرَ الْعَاذِلُونَ ذِكْرَكُمْ ،
 مَا لَامَهُ لَائِمٌّ لِيُحْزِنَهُ ،
 لَوْلَاكُمْ لَمْ تَبَيِّتْ جَوَانِحَهُ
 كَمْ ضَمَنَ الدَّمْعَ رَيَّ غُلَّتِهِ ،
 لَا تُودِعُوا سِرَّكُمْ نَوَاطِرَهُ ،
 نَوَاطِيرٌ بِالْدَمْعِ وَافِيَةٌ ،
 وَرُبَّ لَقَظٍ فَصَلَتْ مُجْمَلَتُهُ ،
 سَاءَتْ ظَنُونُ الْحَسَادِ فِي بِهِ ،
 لَمْ يَبْسُطُوا الْعُنْدَ لِي ، وَلَا عِلْمُوا
 وَلَوْ بِمَدْحِ الْمُؤَيَّدِ اعْتَبَرُوا
 الْمَلِكُ الْجَامِعُ الْفَضَائِلِ وَالْبَا
 يَمْتَنُ الْقَابِلِي عَطَاهُ ، وَلَا
 مَلِكٌ لَوْ أَنَّ الْبِحَارَ تُشْبِهُهُ ،
 وَلَوْ أَتَى الْأَصْمَعِيُّ يُنْشِدُهُ

طَوْعًا ، وَأَلْقَى إِلَى الْهَوَى رَسَنَهُ
 وَإِنْ قَضَى فِي هَوَاكُمْ زَمَنَهُ
 خَالَفَ دِينَ الْهَوَى وَلَا سُنَنَهُ
 لَمَّا غَدَا غَيْرُ شَخْصِكُمْ وَثَنَهُ
 صَفَا ، وَأَصْفَى إِلَيْهِمْ أَذُنَهُ
 إِلَّا وَسَلَى بِذِكْرِكُمْ حَزَنَتَهُ
 حَرَى ، وَلَا أَنْحَلَ الضَّنَى بَدَنَهُ
 فَمَا وَفَى بَعْدَكُمْ بِمَا ضَمِنَهُ
 فَهِيَ عَلَى السَّرِّ غَيْرُ مُؤْتَمِنَتِهِ
 وَهِيَ لِإِظْهَارِ سِرِّكُمْ خَوْنَتُهُ
 وَاللَّيْلُ قَدْ فَصَلَ الضَّحَى كَفَنَتُهُ
 لَمَّا غَدَا الْجَفْنُ جَافِيًا وَسَنَتُهُ
 أَنْ يَدِيَ بِالصَّنِيعِ مُرْتَهَنَتُهُ
 لَبَدَلْتُ سَيِّئَاتُهُمْ حَسَنَتُهُ
 ذِلُّ فِي الصَّالِحَاتِ مَا خَزَنَتُهُ
 يُقْلَدُ الْوَفْدَ فِي النَّدَى مِثْنَتُهُ
 لِأَصْبَحَ الْبَحْرُ بِأَذِلَّاءِ سَفْنَتُهُ
 شِعْرًا لِأَصْبَحَ مِنْ خَوْفٍ بِهِ لَحْنَتُهُ^١

١ عجز البيت غنل الوزن .

ولو رَعَى الْكَنُ عِبَارَتَهُ ،
 مُهَذَّبُ اللَّفْظِ فِي الْفَصَاحَةِ لَا
 مِنْ آلِ أَيُّوبَ الَّذِينَ لَهُمْ
 ذَوِي يَبُوتٍ فِي الْمَجْدِ سَالِمَةٌ ،
 هُمْ اشْتَرَوْا الْمُلْكَ غَالِبًا خَطَرًا ،
 طَوْرًا سِلَاحَ الْمَلِكِ الْعَقِيمِ تَرَى
 يَا مَالِكًا دَانَتْ الْمُلُوكُ لَهُ ،
 وَمَنْ سَنَا بِشْرِهِ ، وَنَائِلُهُ
 وَالصَّادِقَ الْوَعْدِ فِي الْكِتَابِ وَمَنْ
 أَوْسَعَتْ لِلْعَبْدِ مِنْ هِبَاتِكَ مَا
 أَتَعَبْتَ بِالشُّكْرِ جُهْدَ مُهْجَتِهِ ،
 أَنْسَهُ فَضْلُكُمْ ، فَمَا طَلَبْتُ
 أَسْلَاهُ عَنْ أَهْلِهِ صَنِيعُكُمْ
 يُعْلِنُ بِالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ ، وَقَدْ
 مَا سَاءَهُ غَيْرُ قَوْتِ مُدَّتِهِ ،
 فَلَا أَرْتَنَا الْآيَاتُ فَيْكَ رَدَّى ،
 وَعَمَرَ اللَّهُ حَاسِدِيكَ لَكِنِّي
 أزالَ من سِحْرِ لَفْظِهِ لَكِنَّهُ
 كَسَائِلِ الْمَازِنِ مَنْ خَتَنَهُ
 حِمَاسَةً بِالسَّمَاحِ مُقْتَرِنَهُ
 كُلُّ أَفَاعِيلِهِنَّ مُتَزِنَهُ
 وَصَيَّرُوا أَنْفُسَ الْعِدَى ثَمَنَهُ
 تِلْكَ الْمَسَاعِي ، وَتَارَةً جُنَنَهُ
 وَاتَّبَعَتْ فِي اعْتِمَادِهَا سُنَنَهُ
 رَفَعَهُ سَعَى الْحُجَابِ وَالْحَزَنَةَ
 فَدَاهُ ذُو الْعَرْشِ بَعْدَمَا امْتَحَنَهُ
 أَضَاقَ عَنْ حَمْلِ بَعْضِهِ عَطَنَهُ
 كَأَنَّهُا بِالنَّعِيمِ مُمْتَحَنَهُ
 مَسْكَنَهُ نَقَسُهُ ، وَلَا سَكَنَهُ
 بِهِ ، وَأَنَسَاهُ ظِلُّكُمْ وَطَنَهُ
 أَشْبَهَ فِي الْوُدِّ سِرَّهُ عِلَنَهُ
 وَمَا قَضَى نَحْتَ ظِلِّكُمْ زَمَنَهُ
 وَلَا أَمَاطَتْ عَنْ حَاسِدٍ حَزَنَهُ
 تَعِيشَ فِي الذَّلِّ عَيْشَةً خَشِنَهُ

١ قوله : العقيم ، لعله من قولهم حرب عقيم ، أي شديدة .

إلى معاليه ينتهي الكرم

وقال فيه موشعاً مردفاً
وكان لهجاً بالموشحات :

زارَ ، وصيغُ الظلامِ قد نصلاً ،	بدرٌ جلا الشمسَ في الظلامِ ألا
جاءَ ، وسجفُ الظلامِ	قد فتقاً فاعجب
والصبحُ لم يبقِ ،	في الدجى رمقاً
وقد جلا نورُ وجهه	الفسقاً
وأدهمُ الليلُ منه قد جفلاً ،	وقد أتى رائدُ الصبحِ على
أفديه بدرأ في	قالبِ البشرِ أشهب
قد جاءَ في حسنه	على قدر
يرتفعُ في روض	خده نظري
خدً بلطفِ النعيمِ قد صقلاً ،	كأنه من دمي إذا خجلاً
يا مَنْ غدا ظلُّ	حسنيه حرماً يخضب
لما حوى ما به	الجمالُ حمى
فرعاً وصدغاً إن	حكماً ظلماً
فارقمِ الجعدَ تحرسِ الكفلاً ،	وحارسُ الحدِّ منه قد جُعلاً
هلاً تعلّمتَ بذلَ	ودك لي عقرب
من الملكِ المؤيدِ ابنِ علي	

سلطان عصر مسمى	على الأول
لولا أباد بها الورى شملا	لأصبح الناس كالسما بلا
ملك ، معانيه	للورى حرم كوكب
إلى معاليه	يتتهي الكرم
قد أغرق الناس	سيله العرم
سحاب جود على الورى هطلا ،	لا برقه مبطل النوال ولا
حياة أصبحت	للأنام حيمى خلب
حيث ملكا على	الملوك سما
بحرا غدا بالعلوم	ملتطما
ملك ليرزق الأنام قد كفلا ،	فصار في الناس جوده مثلا
يا من عطاء قبل	السؤال بدا
ومن حبان قبل	الندى بندى
هيات ينسى	صنيعكم أبدا
عبد على فرط حبكم جيلا ،	عليكم إن قام أو رحلا

في حمى الملك

وقال موشعاً وكان قد اقترح عليه
هذا الوزن وتوشحه لزوم ما لا يلزم :

بروحي جودز في القلبِ كائس ، تراه نافرأ في زي آيس

وأحوى أحورِ الأحداقِ ألى

تَكَادُ خُدودُهُ بالوهمِ تَدَمَّى

كَأَنَّ الحُسْنَ لما منه تَمَّا

وَأَثَرَ أَنَّ ذاكَ الروضِ يُحْمَى

غدا للوردِ في خديهِ غارس ، وظلّ له بسيفِ التحظيرِ حارس

جلا في كفه كاسَ الحمينا

فَقَابِلَ نُورُهَا بَدَرَ المُحِينَا

وطاف بكأسه فينا وحيّا

فَغَادَرَ مَيِّتَ العُشَاقِ حَيّا

بوجه إن تبدى في الحناديس ، غدا للنيراتِ الخمسِ ساديس

جلا كاسي ، فقلتُ إلبك عني

فَقَدْ ضَبَعْتُ عُمري بالتَمَنّي

فَقَالَ معَ الخِلاعةِ : إي ، ولاني

فَقُلْتُ : فَطُفْ إِذَا وامزجَ وغنّ

بشعري فهو حضراتُ المَجَالِسِ ، وفاكهةُ المُفَاكِهِ والمُجَالِسِ^١

أما قالَ الذي ومَنْ وَجَدَ النَّدَى
فَهَا أَنَا فِي حِمَى مَنِيحِ العِزِّ ذِي
عِمَادِ الدِّينِ مُغْنِي كُلِّ بَائِسٍ ، وَمَنْ تَغْدُو الْأَسْوَدُ لَهُ فَرَائِسُ

أَيَا مَلِكًا حَمَانِي مِنْ زَمَانِي
وَأَعْطَانِي أَمَانِي وَالْأَمَانِي
خَفَضَتْ بَرَقَ شَأْنِي كُلِّ شَأْنِي^٢
وَشَيَّدَتْ الْعَالِي وَالْمَعَالِي
وَلَوْلَا أَنْتَ يَا مُرْدِي الْقَوَارِسِ ، لِأَضْحَى الْعِلْمُ بَيْنَ النَّاسِ دَارِسُ

تَجَرَّأَ مَنْ لِحُودِكَ رَامَ حَدًّا
وَمَنْ بِالْغَيْثِ قَاسَكَ قَدْ تَعَدَّتْ
وَكَيْفَ تَقَاسُ بِالْأَنْوَاءِ حَدًّا
وَكَفُّكَ لِلْوَرَى أَدْنَى وَأَدْنَى
لَأَنَّ الْغَيْثَ يُسْأَلُ ، وَهُوَ حَابِسُ ، وَلَيْسَ بِجُودٍ إِلَّا وَهُوَ عَابِسُ

جَعَلْتَ الْبَيْضَ دَامِيَّةَ الْمَآئِي
وَسُمِرَ الْخَطَّ تَرَقَّى فِي التَّرَاقِي

١ حضرات ، الواحدة حضرة : مكان الحضور ، ولعلها محرفة .

٢ الشاني : الميفض .

مَسَاعٍ	لِلْعَلَى	أَصَحَّتْ	مَرَايَ
وَتِلْكَ	الصَّالِحَاتُ	مِي	الْبَوَايَ
فَتُرْجِلُ	فَارِسَ	الْحَرْبِ	الْمَارِسَ ،
حَمْدُ	إِلَيْكَ	تَرْحَالِي	وَحَالِي
وَزَادَ	لَدَيْكَ	إِقْبَالِي	وَبَالِي
وَقَدْ	ضَاعَتْ	أَمَالِي	وَمَالِي
فَلَسْتُ	أَطِيلُ	عَنْ	آلِي
أَفَضْتُ	عَلَى	لِلنُّعْمَى	مَلَايِسَ ،
أَزْعُمُ	أَنْتِي	بِالْمَدْحِ	جَازِي
وَهَلْ	تُجْزَى	الْحَقِيقَةُ	بِالْمُجَازِ
وَلَكِنْ	فِي	ارْتِجَالِي	وَارْتِجَازِي
إِذَا	قَصَّرْتُ	فَاللَّهُ	الْمُجَازِي
فَلَوْ	نَظَّمْتُ	مِنْ	مَدْحِي
	نَقَائِيسَ ،	فَإِنِّي	مِنْ
		قَضَاءِ	الْحَقِّ
		أَنْيَسَ	

البر قيد للعفاة

وقال وقد أسمه وزناً طويلاً على
هذا الوزن والقافية وذكر أن جماعة
من الشعراء نظموه فيه وأخطأوا فنظم
بين يديه ارتجالاً :

إن قصرَ لفظي فإنَّ طَوَّلَكَ قد طال ،
أو خففَ نهضي جميلُ صنيعِكَ عندي ،
يا مَنْ جعلَ البرَّ للعفاةِ قُبُوداً ،
أظهرتَ علينا من السَّماحِ سِماً ،
شيدتَ بيوتَ العلى ، وكنَّ طُلُولاً ،
ما أنصفَ من قاسَ راحتيكَ بسُحبٍ ،
السُّحبُ ، إذا ما سَخَتْ تجودُ وتبكي
يا مَنْ جعلَ العالمَ الفصيحَ بليداً ،
لا تعجبْ إن أخطأوا لَدَيْكَ بوزنٍ
لو لم يكنِ الشَّعرُ للمُحاوِلِ صعباً ،
ما من فعلِ البرِّ والحميلِ كمن قال
قد حملَ ظَهري لقرطِ مَنْكَ أثقال
قد زدتَ من المَنِّ عَنقَ عبدِكَ أغلال
إنَّ قَصَرَ نطقي بوصفِها نطقَ الحال
بالجُودِ فأمتُ بيوتُ مالِكٍ أطلال
من أينَ لكفَّيك في السَّحابِ أشكال
بالماءِ ، وتسخو وأنتَ تَضْحَكُ بالمال
بالبحْثِ كما صَيَّرَ الفلاسيفَ جُهاًل
في النِّظمِ ، فللشَّعْرِ كالمعارِكِ أبطال
ما أصبَحَ من دونهِ البيوتُ بأقفال

جزاك الله خيراً

وقال يشكر إنعامه وقد حمل إليه
تحفاً وكسوات البيت وآلاته ومهمات
جميعها :

وكان لك المهيمن خيراً راع	جزاك الله عن حسنك خيراً ،
كما طوت بالإنعام باعي	فقد قصرت بالإحسان لفظي ،
جميع الناس ما سبب امتناعي	فأخترت الحياء ، وليس يدري ،
وخطوي نحو ربك في انقطاع	فشكري حسن صنيعك في اتصال ،
تردد بين كفي واليراع	وقافية شبيه الشمس حسناً ،
كما فضل البقاع على البقاع	لها فضل على غرر القوافي ،
ضمنت لربها نجع المساعي	غدت ثني على عليك لما
سعيد الجدد ذا أمر مطاع	فدمت ، ولا بترحت مدى الليالي

طلائع الإقبال

وقال يحيى ولده السلطان الملك
الأفضل ناصر الدين محمد أعز الله
نصره بوصول الملك إليه بعد وفاة
أبيه قدس الله روحه ووفاء السلطان
الأعظم الملك الناصر له بذلك ومخاطبته
إياه بالولد في تقليده في سنة ثلاث
وثلاثين وسيمائة :

عائدهُ في الحبِّ أعوانهُ ،	وخائنهُ في الردِّ إخوانهُ
مُنْسِمٌ ، ليسَ لهُ ناصِرٌ ،	أولُ مَنْ عاداهُ سلوانهُ
يَكْتُمُ ما كابدَهُ قلبُهُ ،	ويُعْجِزُ الأعيُنَ كِتمانُهُ
ما شانهُ إلا مقالُ العِدَى ،	وقد هَمَّتْ عِناهُ ، ما شانهُ
كُلَّفَ إخفاءَ الهوى قلبُهُ ،	فَعَزَّ مِنْ ذلكَ إمكانُهُ
أمانُهُ يُشْفِقُ مِنْ حَمَلِها	لفَرَطِ ذاكَ الثَقْلِ إنسانُهُ
مَنْ لِحُبِّ قلبِهِ هائمٌ	يَحِنُّ ، والأحبابُ جيرانُهُ
ما شامَ بَرَقَ الشَّامُ إلا هَمَّتْ	بِوَابِلِ الأدمعِ أجفانُهُ
سَقَى حِمَى وادي حماةَ الحيا ،	وصَيَّبُ الودقِ وهتانُهُ
وحبذا العاصي ، ويا حبذا	دَهْشَتُهُ الفَرَّاءَ وميدانُهُ
وادي إذا مرَّ نَسِيمٌ بِهِ	تَعَطَّرَتْ بالمِسكِ أُرْدانُهُ
تَسْتَأْسِرُ الأبطالَ آرامُهُ ،	وتَقْنِصُ الآسادَ غِزالانُهُ

١ الأرام : الظباء ، الواحد رثم .

كم فيه من ظبي هضيم الحشا ، إذا انثنى يحسده بانه
 تشابهت عند مرور الصبا قدود أهليه وأغصانه
 كم ليلة قضيت في مرجه ، وقد طمت بالماء غدرانه
 والأفق حال بنجوم الدجى ، قد كللت بالدّرّ نيجانه
 كأنما الجوزاء فيه ، وقد بيت بني أيوب ، إذ شيدت
 بيت أثيل ، بجره وافر ، قد سلمت في المتجد أوزانه
 لا غرو إن أمسى مشيداً ، أسس بالمعروف بنيانه
 شيدته الناصر من بعد ما قد كاد أن يتزع شيطانه
 ملك كان الدهر عبداً له ، وسائر الأيام أعوانه
 وفقى لهم في قوله ، والوفا قد بليت في التحد أكفانه
 لا زال يحيي بدهاء الورى ، ويغرق العالم طوفانه
 يا أيها الملك الذي سره طاعة ذي الأمر وإعلانه
 نهن بالملك الذي لم تكن تلقى إلى غيرك أرساله
 طلائع الإقبال جاءت ، ومقتبل العمر ورعانه
 هذا كتاب ناطق بالعلی ، وهذه الرتبة عنوانه
 فافخر ، فما فخرك بدعاً ، وقام لأهل العصر برهانه
 يَفخر ذو الملك ، إذا ما بدا له من السلطان إحسانه

١ نزع الشيطان بين الناس : أغرى بعضهم ببعض .

فَكَيْفَ مَنْ وَالِدُهُ قَدْ قَضَى ، فَأَصْبَحَ الْوَالِدَ سُلْطَانَهُ
 زَكَاتُكُمْ قُرْبَانُ إِيْمَانِكُمْ بِهِ ، وَزَكَاةُ الْغَيْرِ إِيْمَانُهُ
 مَنْ يَكُ إِسْمَاعِيلُ أَصْلًا لَهُ لَا بَدَعَ أَنْ يُقْبَلَ قُرْبَانُهُ
 أَبٌ بِهِ تَرْفَعُ عَنْ مَجْدِكُمْ قَوَاعِدُ الْبَيْتِ وَأَرْكَانُهُ
 أَبْلَجُ لَا يَخْسَرُ مَنْ أُمُّهُ يَوْمًا ، وَلَا يَخْسَرُ مِيزَانُهُ
 تَكَادُ أَنْ تَعْشُو إِلَى ضَيْفِهِ لَفَرَطٍ مَا تَهْوَاهُ نِيرَانُهُ
 إِنْ ذُكِرَ الْعِلْمُ ، فَتُعْمَانُهُ ، أَوْ ذُكِرَ الْحُكْمُ فَلُقْمَانُهُ
 أَحْزَنَّا فَقْدَانَهُ ، فَانْجَلَّتْ بِالْمَلِكِ الْأَفْضَلِ أَحْزَانُهُ
 سَلَامُ ذِي الْعَرْشِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ

سطوة تذيب الجلمد

وقال وقد أرسل إليه تحفاً على يد
 مملوك له إلى بغداد :

أَقْطَرَاتِ أَدْمُعِي لَا تَجْمَدِي ، وَيَا شَوَاطِ أَضْلُعِي لَا تَخْمُدِي
 وَيَا عَيُونِي السَّاهِرَاتِ بَعْدَهُمْ ، إِنْ لَمْ يَعُدْكَ طَيْفُهُمْ لَا تَرْقُدِي
 وَيَا سَيُوفَ لَحْظٍ مَنْ أَحْبَبْتَهُ جُهِدْكَ عَنْ سَفْكَ دَمِي لَا تُغْمَدِي

١ النعمان : هو أبو حنيفة الفقيه المشهور . لقمانه : أراد لقمان الحكيم .

ويا غواذي عَبرَتي تَخَدَّري ،
فقد أَذَلْتُ أَدَمعي ، ولم أَقُلْ
أنا الذي مَلَكَتُ سُلطانَ الهوى
ما إن أزالُ هائِماً بَغادَةَ
فهو الذي قد نامَ عَنِّي لاهِياً ،
مُولِّدُ التُّركِ ، وكم من كَمدٍ
معتدلُ القَدِّ عَلَيهِ كُمةٌ ،
قالَ المَجوسُ إنَّ نورَ نارِهِم
يُريكَ من عارِضِهِ وفَرَقِهِ
فذاكَ خَطُّ أَسودَ في أبيضٍ ؛
للهِ أَيْاماً مَضَتْ في قُربِهِ ،
ونحنُ في رادي حِماةٍ في حِمى
فجَبَدَا العاصي وطيبُ شِعبِهِ ،
والفُلُكُ فوقَ لُجَّةٍ كَأَنها
وناجمُ الأزهارِ من مُنظَّمِ
من زَهَرٍ مَفْتَحٍ ، أو غُصْنِ
والورقُ من فوقِ الغُصونِ قد حَكَتْ

ويا بَوادي زَفَرَتِي نَصَعَتِي
إن يُحَمَّ عَن عَيني البَكا تَجَلَّدِي
رَقِي ، وأعطيتُ الغَرامَ مِقوَدِي
تَسبي العُقولَ ، أو غَزالٍ أُغيدُ^١
لَمَّا رَماني بالمُقيمِ المُقَعِدِ
مولَّدٍ من ذَلكَ المولَّدِ
فهُوَ بِها كالألفِ المُشَدَّدِ^٢
لو لم تُشايِهْ خَدَّةٌ لم تُعَبِدِ
ضِدَّينِ قد زادَا غَليلَ جَسَدِي
وذاكَ خَطُّ أبيضُ في أَسودِ
والدَّهرُ مِنْهُ بالوِصالِ مُسَعِدِي
بِهِ حَلَلْنَا فوقَ فَرَقِ الفَرَقَدِ
ومائِهِ المُسَلَّسِ المُجَعَّدِ
عَقاربُ تَدبُّ فوقَ مِبرَدِ
على شَواطِئِهِ ، ومن مُنضَّدِ
مرَّتَحٍ ، أو طائِرٍ مَغرَّدِ
بشَدوها المُطَرِبِ صَوْتَ مَعَبَدِ^٣

١ الأُغيدُ : الطويلُ العنقُ .

٢ الكُمةُ : القُلنسوةُ المَدورَةُ .

٣ مَعَبَدٌ : مَغَنٌ مشهورٌ .

كأنما تنشرُ فضلَ الملكِ الـ
أروعُ محسودِ العلاءِ أجدُّ ،
المؤمنُ الموحدُ ابنُ المؤمنِ الـ
السيدُ ابنُ السيدِ ابنُ السيدِ
من آلِ أيوبَ الذينَ أصبحوا
من كلِّ خفاقِ اللواءِ لابسِ
مُهذَّبِ مُحَبَّبِ مُجَرَّبِ ،
فقولهُ وطولهُ وحولهُ
ما إن يشينُ منهُ بمنةِ ،
سماحةُ تخفيضِ قدرِ حاتمِ
فامتَ عيونُ الناسِ أمناً عندما
صوتُ الصهيلِ والصليلِ عندهُ
يلهيه صدرُ النهدي في يومِ الوغى
ويتغنى بالملدِ من سمرِ القنا
خلاتيقُ تعدي التسيمِ رقةً ،
وبأسُ ملكِ مجدهُ من عامرِ ،
وربَّ يومٍ أصبحَ الجوّ به
كأنَ عينَ الشمسِ في قنّامه

١ النهدي : الفرس الحسن الجميل الجسم .

شَكَا بِهِ الرَّمْحُ إِلَيْهِ وَحِشَةً ،
حَتَّى إِذَا مَا كَبَّرْتَ كُمَاتِهِ ،
أَفْرَدْتَ الرَّمَاحُ كُلَّ تَوَام ،
يَا ابْنَ الَّذِي سَنَّ السَّمَاحَ لِلْوَرَى
الصَّادِقُ الْوَعْدِ كَمَا جَاءَ بِهِ
مَنْ أَصْبَحَتْ أَوْصَافُهُ مِنْ بَعْدِهِ
مَا مَاتَ مِنْ وَارَى التَّرَابِ شَخْصَهُ
حَتَّى إِذَا خَافَ الْأَنَامُ بَعْدَهُ
فَوَضَّ أَمْرَ الْمَلِكِ مِنْ مُحَمَّدٍ
الْأَفْضَلِ الْمَلِكِ الَّذِي أَحْيَا الْوَرَى
الْعَادِلِ الْحَكِيمِ الَّذِي أَكْفَهُ
لَوْ زَيْنَ عَصْرِ آلِ عِبَادٍ بِهِ ،
يَا مَنْ حَبَانِي مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ
طَوَّقْتَنِي بِالْجُودِ ، إِذْ رَأَيْتَنِي
أَبْعَدْتُמוْنِي بِالنَّوَالِ ، فَاغْتَدَى
لَوْلَا حَيَاتِي مِنْ نَوَالِي بِرَّكُمْ ،
فَاعْذِرْ مُحِبًّا طَالَ عَنكُمُ بَعْدُهُ ،
فَكُمُ حَقُوقٍ لَكُمْ سَوَابِقِي ،
تُنْشِطُ رَبَّ الْعَجْزِ ، إِلَّا أَنَّهَا

فَأَسْكَنَ الثَّعْلَبَ قَلْبَ الْأَسَدِ
وَالْهَامُ بَيْنَ رُكْعٍ وَسُجْدٍ
وَتَنَّتِ الصَّفَاحُ كُلَّ مُفْرَدٍ
فَأَصْبَحَتْ بِهِ الْكِرَامُ تَقْتَدِي
نَصُّ الْكِتَابِ وَالصَّحِيحِ الْمُسْتَدِ
فِي الْأَرْضِ تُثْلِي بِلِسَانِ الْحُسْدِ
وَذِكْرُهُ يَبْقَى بَقَاءَ الْأَبَدِ
تَعْلُقَ الْمَلِكُ بَغِيرَ مُرْشِدِ
النَّاصِرِ الْمَلِكِ إِلَى مُحَمَّدٍ
فَأُشْبِهَ الْوَالِدَ فَضْلُ الْوَلَدِ
لَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ النَّضَارِ تَعْتَدِي
لَمْ يَصِلِ الْمَلِكُ إِلَى الْمُعْتَصِدِ
بِإِشْرِهِ وَالْبِرِّ وَالتَّوَدُّدِ
بِالْمَدْحِ مِثْلَ الطَّائِرِ الْمُغْرَدِ
شَوْقِي مُقِيمِي ، وَالْحَيَاءُ مُقْعِدِي
مَا قُلَّ نَحْوَ رَبِّعِكُمْ تَرَدَّدِي
وَوَدُّهُ وَمَدْحُهُ لَمْ يَبْعُدِ
وَمَنْتَ سَالِفَةٍ لَمْ تُجْعَدِ
تُعْجِزُ بِالشُّكْرِ لِسَانِي وَيَدِي

١ الثعلب : أراد به سنان الرمح .

إلى آل أيوب يعزى الفخار

وقال فيه يشكر إنعامه لتحف حملها
إليه وأرسل القصيدة وقدم معها مملوكاً
تركياً وقماشاً من ماردين :

سوى حسن وجهك لم يحل لي ، وغيرك في القلب لم يحل
فكيف سلوي ولي طينة على غير حبك لم تجبل
أتزعّم أني أطيع الوشاة ، وأصغي إلى عدل العدل
لقد فصل الدهر صبغ الشباب ، وصبغ المحبة لم يتصل
عجبت لقدك مع لينه ، يرينا اعتدالاً ، ولم يعدل
يلكن ، وفي فتكه قسوة ، وذلك شأن القنا الذبل
وعيناك قد فوقت أسهما ، فمن دلهن على مقتلي
وخدك موقدة ناره ، وقلبي بجذوتها يصطلي
أيا ما طلاً لو عود الوصال ، ووعد تجافيه لم يمتل
بخلت ، وقد حزت ملك الجمال ، ومن ملك الملك لم يبخل
فهلاً تعلمت فضل السماح من راحة الملك الأفضل
ملك ، إذا هطلت كفه ، تصاغرت قدر الحيا المسيل
يشيد العلى باليراع القصير ، ويفخر بالطرف الأطول
تلاقيه في الحرب صعب المراس ، وفي السلم ذا الخلق الأسهل

أُخْفِئْتُ إِلَى الْحَرْبِ مِنْ ذَابِلٍ ، وَأَثْقَلْتُ فِي الْحِلْمِ مَنْ يَذْبُلُ
يُضِيءُ لَنَا فِي ظَلَامِ الْخُطُوبِ وَيُشْرِقُ فِي حِنْدِسِ الْقَسْطَلِ
فَسَيْلُ عَطَايَاهُ لِلْمُجْتَدِي ، وَنُورُ مُحْيَاهُ لِلْمُجْتَلِي
يُرْمَلُ بِالْدَمِ شِلْوُ الْكَمِيِّ ، وَيَحْنُو عَلَى الْبَائِسِ الْمُرْمِلِ
مَنَاقِبُ مَعْرُوفِهَا تَالِدٌ ، مُحَمَّدُ أَوْرَثَهَا مِنْ عَلِي
إِلَى آلِ آيُوبَ يُعْزَى الْفَخَارُ ، فِي كُلِّ مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلِ
مُلُوكٌ لَهُمْ شَرَفٌ آخَرٌ ، يُخْبِرُ عَنْ شَرَفٍ أَوَّلِ
يَسْمُ بِهِمْ جُودُهُمْ مِثْلَمَا ، نَمُّ الرِّيَّاحِ عَلَى الْمُنْدَلِ
أَيَا نَاصِرَ الدِّينِ ، يَا ابْنَ الَّذِي ، بِهِ أَصْبَحَ الْمُلْكُ فِي مَعْقِلِ
حَبَاكَ الْمُؤَيَّدُ تَأْيِيدُهُ ، كَذَا هِمَّةُ اللَّيْثِ فِي الْأَشْبُلِ
وَلَوْلَا وَجُودُكَ كَانَ السَّمَاحُ ، تَحْتَ الصَّفَائِحِ وَالْجُنْدَلِ
فَعَلْتَ مِنَ الْجُودِ مَا لَمْ تَقُلْ ، وَغَيْرُكَ قَالَ وَلَمْ يَفْعَلِ
فَقَلْبِي بِإِحْسَانِكُمْ فَارَغٌ ، وَكَتَفِي بِإِنْعَامِكُمْ مُمْتَلِي
سَمَحْتَ ابْتِدَاءً ، وَلَمْ أُمْتَدِحْ ، وَأَنْعَمْتَ عَفْوًا ، وَلَمْ أَسْأَلِ
وَوَالَيْتَ بَرَكَ حَتَّى رَحَلْتُ ، وَلَوْلَاهُ لَمْ أُرْحَلِ
وَلَوْ شِئْتُ نَهَضْتُ إِلَى قَصْدِكُمْ ، نَحَقْتُ عَنْ ظَهْرِي الْمُثْقَلِ
فَأَهْمَلْتُ وَاجِبَ سَعْيِي إِلَيْكَ ، وَمَا كُنْتُ عِنْدَكَ بِالْمُهْمَلِ
وَكَفَرْتُ عَنْ زَلَّةِ الْإِنْقِطَاعِ ، بِأَحْسَنِ مَنْ كَانَ فِي مَتَرِي

١ الذابِل : الرمح . يذبل : جيل .

فَأَرْسَلْتُهُ رَاجِيًا أَنَّهُ يُمَحِّصُ عَنْ زَلَّةِ الْمُرْسِلِ
فَإِنْ لَاحَظْتَهُ عَيُونُ الرَّضَى لَكَ الْفَضْلُ فِي ذَاكَ وَالْفَخْرُ لِي
وَلِنْ لَمْ يَكُنْ غَايَةً فِي الْجَمَالِ ، وَبَدَرُ مَعَانِيهِ لَمْ يَكْمَلِ
فَإِنْ لَهُ غَايَةٌ فِي الذِّكَاةِ وَلُطْفَ الْبَدِيهَةِ وَالْمِقُولِ
وَبِكْرِ خَدَمَتُهَا عَاجِلًا ، وَسَيْفُ الْقَرِيحَةِ لَمْ يُصْقَلِ
أَرُومُ إِقَامَةٍ عَذْرَى بِهَا ، وَأُنْثَى عَلَى فَضْلِكَ الْأَكْمَلِ
وَمِثْلُكَ مَنْ قَبِيلَ الْإِعْتِدَارِ ، وَصَدَقَ قَوْلَ الْمَحَبِّ الْوَالِي
فَوَا ضَعْفَ حَظِّي وَفُوتَ الْمُنَى ، إِذَا كَانَ عَذْرَى لَمْ يُقْبَلِ

حامل الأثقال والأهوال

وقال يشكر لإنعامه ويذكر رماية
البنق في مروج فامية من نواحي حماة
ويهنئ بعيد الفطر في سنة أربعين
وسبعمائة :

قَمِ بِي فَقَدْ سَاعَدْنَا صَرْفُ الْقَدَرِ ، وَجَاءَ طَيْبُ عَيْشِنَا عَلَى قَدَرِ
فَكَمْ عَلَا قَدْرُ أَمْرِي ، وَمَا قَدَرُ ، فَارْضَعْ بِنَا دَرًّا الْمَتْنَا إِنْ تَلَقَّ دَرًّا
فَالشَّهْمُ مَنْ حَازَ السَّرُورَ إِنْ قَدَرُ

١ عصر عن زلته : أنقصها .

وقد صفا الزمان والأمان ، وأسعد المكان والإمكان
وأنجد الإخوان والأعوان ، وقد وفيت بعهدها الأزمان
والدهر تاب من خطاه واعتذر

يا سعاد ، فانرك ذكر بان لعل
وإن تكن تسمع قولي وتعي ، فاجل صدا قلبي ، وأطرب مسمي
برشقة الأوتار لا جس الوتر

ودع طوالا عرفت بوسمها ، وأربعا لم يبق غير رسمها
واجعل سرور النفس أسنى قسمها ، وادخل بنا في بحث إن واسمها
وخلتني من ذكر كان والخبر

أما ترى الأطياف في تشرين ، مقبلة بادية الحنين
فريقها ناب عن الأنين ، إذا رنت نحو المياه الجون
بأمرها الشوق وينهاها الحذر

هذي الكراكي حاثمات في الضحى منظومة أو دوائر كالرحى
إذا رأت في القيص ماء طفحا تفرق في حال الورود مرحا
وما درت أن المتايا في الصدر

يا حسنها قادمة في وقتها ، تغري الرماة بجميل نعتها
إذا استوت طائرة في سمتها ، ترشقها بندق من تحتها
لو أنه من فوقها قيل مطر

١ لله أراد بريقها : قوتها .

فلَو تَرَانَا بَيْنَ إِخْوَانِ الصَّفَا ، حَوْلَ قَدِيمٍ مِنْ قَدَاهُ قَدْ صَفَا
مُسْتَهْرٍ بِالصَّدَقِ مَخْبُورِ الْوَفَا ، لَمْ يُغْضِ فِي الْحَقِّ لِحِيلٌ إِنْ هَفَا
وَلَمْ يَقُلْ يَوْمًا هَبُّوا لِي مَا شَجَرُ

مِنْ كُلِّ رَامٍ شَبَقِ الْيَدَيْنِ ، بِمُدْمَجٍ مِثْلِ الْهِلَالِ زَيْنِ
جَعَدِ الْبَلَاغِ نَافِرِ الْكَعْبَيْنِ ، لَوْ كَفَّ حَتَّى مُلْتَقَى الْقُرْصَيْنِ
مَا انْتَقَضَ الشَّاخُ ، وَلَا الْعُودُ انْكَسَرَ^١

فَابْرُزْ بِنَا نَحْوَ مَرَامِي فَامِيهِ ، بَيْنَ مُرُوجٍ وَمِيَاهٍ طَامِيهِ
تِلْكَ الْمَرَامِي لَمْ تَنْزَلْ مَرَامِيهِ ، فَاسْمُ بِنَا نَحْوَ رَبُّهَا السَّامِيهِ
وَحَلَّتْ لِي مِنْ بَلَدَةٍ فِيهَا زَوَرُ

وَانْظُرْ إِلَى الْأَطْيَارِ فِي مَطَارِهَا ، وَاعْتَبِرِ الْجَفَّةَ كَاعْتِبَارِهَا^٢
إِذَا لَا تَطِيرُ مَعَ سَوَى أَنْظَارِهَا ، فَلَا تَضَعُ نَفْسَكَ عَنْ مِقْدَارِهَا
مَعَ غَيْرِ ذِي الْجِنْسِ وَكُنْ عَلَى حَذَرُ

أَوْ مِلْ إِلَى الْعُمُقِ بِعَزَمِ ثَاقِبٍ ، فَإِنَّهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَنَاقِبِ
فَاعْجَبْ لِمَا فِيهِ مِنَ الْغَرَائِبِ ، مِنْ الْمَرَامِيِّ وَجَلِيلِ وَاجِبِ
أَصْنَافُهُ مَعْدُودَةٌ لَا تُحْتَضَرُ

وَقَائِلِ صِفِهَا بِرَمَزٍ وَاضِحٍ ، فَإِنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ الْمَصَالِحِ

١ الشيق : المشتدة شهرته . السم . قوله البلاغ والقرصين والشاخ : هكذا في الأصل ولم ندرك ما أراد بها .

٢ الجفة : العدد الكثير .

والباقياتِ بَعْدَكَ الصَّوَالِحِ ، قلتُ: تمتّع، واعصِ كلَّ كاشحٍ
فهذهِ عِدَّتُهَا إِذَا تُعْتَبِرُ

وإن تُرِدَ لِإِضَاحِهَا لِلسَّائِلِ ، بغيرِ رَمِيٍّ لِلضَّمِيرِ شَاغِلٍ
وحصرَ أَسْمَاها بَعْدَ كَامِلٍ ، فهي كَشَطْرٍ عُدَّةِ الْمَنَازِلِ
أو ما عدا المحذورَ من عِدَّةِ السُّورِ

كَرَمِي وَعَنَازُ وَأَرْنُوقٌ وَتَمَّ ، وَالْوَزُّ وَاللَّغْلُغُ وَالْكَيُّ الْهَرَمُ
وَمَرْزَمٌ وَشَبَطْرٌ ، إِذَا سَلِمَ ، وَحَبَرَجٌ ، وَبِالْأَيْسَةِ انْتِظَمَ
صَوْغٌ ، وَنَسْرٌ ، وَعُقَابٌ قَدْ كَسَرَ^١

فَسَنَةُ مَحْمَلُهَا الْأَرْجُلُ ، ثُمَّ ثَمَانٍ بِالْجَنَاحِ تُحْمَلُ
وَلَا اعْتِدَادٌ بِسِوَى مَا يَحْصُلُ ، وَصِحَّةُ الْأَعْضَاءِ شَرْطٌ يَشْمَلُ
كَيْلَا يُرَى فِي الطَّيْرَانِ ذُو قَصَرٍ^٢

شَرْعٌ صَحِيحٌ لِلْإِمَامِ النَّاصِرِ ، قِيسٌ عَلَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الطَّاهِرِ
حَرَرَةٌ كُلُّ فَقِيهٍِ مَاهِرٍ ، فَجَاءَ كَالْبَيْتِ الشَّرِيفِ الْعَامِرِ
أَسَاسُهُ الصَّدَقُ ، وَرُكْنَاهُ النَّظَرُ

يَحْرِمُ فِيهِ الرَّمْيُ بِالسَّهَامِ ، وَالشَّرْبُ فِي الْبَرَزَةِ لِلْمُدَامِ
وَبَيْعُ شَيْءٍ مِنْ صُرُوعِ الرَّامِي ، وَالسَّبْقُ لِلصَّحْبِ إِلَى الْمَقَامِ
وَالشَّرْطُ وَالتَّرْخِيصُ ، فَهَوَّ وَهَدَرَ^٣

١ كل ما مر في هذا البيت أسماء أنواع من الطير .

٢ القصر : الكل .

٣ الصروع ، الواحد صرع : قوة الطاق من الحبل . الهدر : الساقط الباطل .

وقاتل فيه لعلّ تسلم ، ومثلها في غير شيء يلزم
أو ذا على الوجه الصحيح يفهم ، ثلاثة من الهتار تعصم^١
سفن النجاة لا مرىء خاف الضرر

فانظر إلى زهر الرياض المقبل ، إذ جاده دمع السحاب المسبل
يتضوع من شده عرف المتدل ، كأنه ذكر المليك الأفضل
إذا طواه الوفد في الأرض انتشر

وارث علم المليك المؤيد ، إراثاً صحيحاً سيّداً عن سيّد
أطلق جري نطقي المقيد ، فإن أفه فيه بنظم جيد
كنت كمهد تمره إلى هجر

نجل بني أيوب أعلام الهدى ، والأنجم الزهر ، إذا الليل هدا
والسابقين بالندى قبل النداء ، كل فتى ساس البلاد ، فاعتدى
في الحكم (لقمان) وفي العدل (عمر)

المغمود بيض الطّبي في الهام ، والمشيوع وحش الفلا والهام^٢
ومرسلو غيث السّماح الهامي ، ففضلهم بالإرث والإهام
لا كامرئ ضن وبالأصل افتخر

يا ابن الذي قد كان في العلم علم ، واستخدم السيف ، جديراً ، والقلم

١ الهتار : المسابة بالقيح من القول والباطل .

٢ الهام : نوع من البوم ، الواحدة هامة .

لغير بيت المال يوماً ما ظلم ، متناًباً مثل النجوم في الظلم
أضحت حُجولاً للزمان ، وغرر

أكرم مثواي ، وأعلى ذكري ، حتى نسيت عطني ووكري
وإن أجلت في علاه فكري ، ما لي جزاء غير طيب الشكر
وقد جزى خير الجزاء من شكر

يا حامل الأثقال والأهوال ، ومُتلف الأعداء والأموال
وصادق الوعود والأقوال ، أبديت في شدائد الأحوال
صبراً فكان الصبر عقباه الظفر

أنلت باغي الجود فوق ما بغى ، وعجلت كفاك حتف من بغى
فقد سموت في الندى وفي الوغى ، حتى إذا مارد ملك نزعاً
أخذته أخذ عزير مقتدر

إنني وإن شئت لكم بين الملا طيب ثناء للفضاء قد ملا
لم أبغ بالمدح سوى الود ولا إن ميت يوماً بسوى صدق الولا
وحسن نظم فيك إن غبت حضر

فاسعد بعيد فطرك السعيد ، مُمتعاً بعيشك الرغيد
في الصوم والإفطار والتعديد ، للناس في العام انتظار عيد
وأنت عيد دائم لا يُتَطَر

سلیل الملوك الکماة

وقال یهنيه بعيد النحر من سنة
أربعین وسبعائة موشعاً :

زَمانُ الرِّبيعِ شَبابُ الزَّمانِ
وَحُسْنُ الوُجودِ وَجُودُ الحِسانِ
وَأَمْنُ البَلِغِ بُلُوغُ الأمانِ
فَبَادِرُ لَفْظِ خِتَامِ الدَّانِ
وَزَوْجُ بَما الحیا السَّلسِ عَروساً منَ الحَمرِ

أَدْرِها مُعْتَقَةً خَنَدَرِيساً
تُمِيتُ العُقُولَ وتُحيي النُّفُوساً
إِذا ما سَبَتَ سَنّاها الكُؤُوساً
تُشاهدُ كُلاًّ مِن الصَّحْبِ مُوسى
يُشيرُ إلى طُورِها المُعتَلِ، ويُصعقُ بالسُّكرِ

وأغيدُ طافَ بكأسٍ وحيّاً
فأُطلِعَ في اللَّيلِ شَمسَ الضُّحيا
فَعادَ لَنا مَيّتُ اللّهُو حيا
بشَمسِ الحُميا ، وبَدْرِ المُحيا
لِما نَجَتَني ، وما نَجَتَني مِنَ الشَّمسِ والبَدْرِ

١ الخندريس : الحمر القديمة .

فباكِرٍ صَبَّوحَكَ قَبْلَ الفِطَامِ
وَحْيَ النَّدَامَى بكَّاسِ المُدَامِ
فَقَدْ أَقْبَلَ الصَّبَحُ مُرْخِي اللِّثَامِ
وَقَلَّ الصَّبَاحُ جُبُوشَ الظَّلَامِ
وَأَلْقَى الشَّعَاعُ عَلَى الْجَدُولِ مِلَاءَ مِنَ التَّبْرِ

وَقَدْ أَضْحَكَ الرَّوْضَ ضَ دَمْعُ السَّحَابِ
غَدَاةَ غَدَا جَوْنُهُ فِي انْتِحَابِ
فَضَرَجَ بِالزَّهْرِ خَدَّ الرَّوَابِي
وَلَوْ لَمْ يَبْتَ قَطْرُهُ فِي انْسِكَابِ
لَكَانَتْ يَدَا الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ تَنُوبُ عَنِ الْقَطْرِ

مَلِكٌ هُوَ اللَّيْثُ يَحْمِي حِمَاهُ
إِذَا مَا أَتَاهُ نَزِيلُ حِمَاهُ
سَكِيلُ الْمُلُوكِ الْكُفَاهُ
مُلُوكٌ بِهِمْ ظِلٌّ وَادِي حِمَاهُ
يَطُولُ فَخَارًا عَلَى الْأَعْزَلِ ، وَيَسْمُو عَلَى النَّسْرِ

أَيَا مَلِكًا جُودُ كَفَّيْهِ كَوْنُهُ
لِرَبِّكَ صَلَّ بِذَا الْعِيدِ وَانْحَرِ
وَكُنْ مُوقِنًا أَنَّ شَانِيكَ أَبْتَرُ
قُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ
فشَانِيكَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ ، وَضِدُّكَ لِلنَّحْرِ

سعد دائم

وقال أيضاً وكتبها إليه من ماردین :

لا زالَ سعدُكَ دائِماً ونُحورُ ضدِّكَ دامِيةَ
وعدوُ مُلكِكَ هائِماً ، وسَحابُ جودِكَ هامِيةَ
وحسودُ فضلكَ سائِماً ، وسعودُ جدِّكَ سامِيةَ
والنصرُ حولَكَ حائِماً ، وصدورُ ضدِّكَ حامِيةَ
مولاي ! إنَّ أَكْ واهِياً ، ونجومُ سَعدي هاوِيةَ
ما زِلْتُ بَعْدَكَ شائِماً تلكَ البروقُ السَّامِيةَ
أعدو لمجدِكَ رائِماً ، ويدُ النَّدَى لي رامِيةَ

باني العلى

وقال يهْيء ابن عمه علاء الدين بن
تقي الدين بدار عمرها وكتب عليها :

بنيتَ العلى قبلَ هذا البناءِ ، لذلكَ أضحى محلَّ الهناءِ
رَحيبَ الفناءِ ، رفيعَ البناءِ ، مشيدَ الثناءِ ، عزيزَ السَّناءِ
فأصبحَ ، وهو مَقبلُ الضيوفِ ، عَرينَ الأسودِ ، كِناسَ الظُّباءِ
فلا زِلْتُ تلبَسُ فيه الغنى ، وتَسْمَعُ فيه لَذِيذَ الغِناءِ

يا صاحب الجد السعيد

وقال ما كان هنا به الملك السعيد
محمد بن السلطان الملك المنصور في
بغداد وقد كان سمع بغيره إلى الصعيد
وصده عن ذلك :

مثلُ التيمّم للصعيدِ	مثلُ التيمّم للصعيدِ
يُختارُ مع عَدَمِ المِياهِ ،	وباطِلُ عندَ الوجودِ
ما لي وقصدي للصعيدِ ،	وسعدُ جدّي في صعودِ
والعيشُ طلقُ بالعراقِ ،	وماؤه عذبُ الورودِ
والسفنُ في تيارِ دجلةِ	نُظمتْ نظمَ العقودِ
فلذا رأيتَ به شُعا	عَ البدرِ يضربُ كالعمودِ
فاعجبَ من الصّرحِ البسيِ	طِ يشقُّ بالنورِ المديدِ
ولذا رأيتَ نُجومَها	كقلائدِ الدرّ النّضيدِ
خِلتَ السماءَ تمَنّطتْ	بمناقبِ الملكِ السّعيدِ
أسمى الملوكِ مُحمّدُ الـ	مَسْجولُ من كرمِ وجودِ
ملكُ طويلُ يدِ السّماحِ	قَصيرُ أعمارِ الوعودِ
يا صاحبَ الجَدِّ السّعيدِ ،	وصاحبَ السّعدِ الجَدِيدِ

١ تيمم الأمر : توخاه وتعمده . وتيمم الصلاة : مسح يديه ووجهه بالتراب . الصعيد : موضع .
والصعيد : التراب .

أَسْعِدْ بَنِيكَ لِلْعُلَى ، وَتَهَنَّ بِالْعِيدِ السَّعِيدِ
وَانْحَرِ عِدَاكَ بِهِ وَصَلًا ، وَصِلْ بِرِفْدِكَ الْوُفُودَ
وَاسْلَمْ عَلَى كَيْدِ الْعِدَى ، جَدْلَانِ فِي عَيْشِ رَغِيدِ

هنيت بالولد

وقال يهني أحد الأعيان بمولود :

هُنَيْتَ بِالْوَلَدِ السَّعِيدِ ، فَقَدْ أَتَى وَفَّقَ الْمُرَادِ وَأَنْتَ وَفَّقُ مُرَادِهِ
فَاللَّهُ يُبْقِيهِ وَيُبْقِيكُمْ لَهُ ، حَتَّى تَرَى الْأَوْلَادَ مِنْ أَوْلَادِهِ

بشارة

وقال يهني أحد الأعيان بولاية :

يُبَشِّرُنِي قَوْمٌ بِرُبُوبَتِكَ الَّتِي تَمَنَيْتُ فِيهَا السُّؤْلَ حَتَّى لَقِيتُهُ
فَبَشَّرْتُ نَفْسِي بِالسُّرُورِ وَلَمْ أَزَلْ أَهْنَيْ بِكَ الْقَلْبَ الَّذِي أَنْتَ قُوَّتُهُ
وَقُلْتُ لَهُمْ أَعْلَى إِلَهِهُ مُحَلَّهٌ ، وَهَذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُ كُفَيْتُهُ

لا عذر للسحب

وقال يشكر إحسان صاحب المعظم
شمس الدين بن عيشون المتوفى بسنجار
وقد تلقاه بإقامة وهدايا أخجلته فرحل
عنه عجلاً وكتب إليه :

ما عِشْتُ لا زاركُم إلا تَنائي ، وإن
فألزِمُ النفسَ نَشري نَشَرَ ذَكْرِكُمُ ،
لأنَّ إفراطَ هذا البرِّ يُبْعِدُنِي
مع أنَّ عُدْرَكُمُ في ذاكَ مُتَضَيِّحٌ ،
فلَمَ عَتَبْتُمُ على بُعْدِ المَزارِ أَقْلُ ،
لو اختَصَرْتُم من الإحسانِ زُرْتُكُمُ ،
أَمسى يُفَاخِرُ سَمَعي فيكُمُ بِصَري
لأنِّي حَضَرْتُ ، وأطوي عنكُمُ خَبري
عنكُمُ ، وقد كُنتُ منه دَائِمَ الحَدَرِ
لا عُدْرَ للسُحبِ إن لم تَهْمِ بِالْمَطَرِ
نظامَ مَنْ قالَ قَبلي قولَ مُعْتَذِرٍ :
والعَذْبُ يُهَجِّرُ للإفراطِ في الحَضَرِ

سباق إلى المكرمات

وقال يشكر أحد الأعيان على مثل ذلك :

لا زِلْتُ سَبَّاقاً إلى المَكْرُماتِ ، عاشَ بكَ المعروفُ والمَكْرُماتِ
أنتَ امرؤٌ مَعروفُهُ ثابتٌ ، وليسَ للأموالِ منه ثَباتِ
ما جَمَعْتَ شَمَلَ العُلَى كَفَّهُ ، إلا تَداعى مالُهُ بالشَّتاتِ

للندی الشامل

وقال في مثله :

ما زال ظلُّ نَدَاكَ شامِلٌ ، يا مَنْ يُمَوِّلُ كُلَّ آمِلٍ
يا مَنْ غَدَا كَهْفَ الأَيَا مَيِّ واليَتَامَى والأَرَامِلِ
حُزَّتْ العُلَى والجودَ يا رَبَّ الفضائلِ والفَوَاضِلِ
وَكَمَلَتْ كُلُّ فَضِيلَةٍ ، يا مالِكاً في الفضلِ كامِلِ

شكر الرياض

وقال في مثله :

أوليتني نِعْماً تَتَابَعَ مِنْهَا ، هِيَ فِيكَ أَصْفَادِي وَقِيدُ ثَنَائِي
فلا شُكْرُكَ مَا اسْتَطَعْتُ تَلَفُظاً ، شُكْرَ الرِّيَاضِ لِصَيِّبِ الأَنْوَاءِ

كثر الله مثلك

وقال يشكر لإنعام صاحب
المعلم فخر الدين إبراهيم بن
عبد الله المصري صاحب الديوان
يجلب عن إقامات حملها إليه :

كثّر اللهُ مثلَ مَجْدِكَ في الأر
وتعمّ الأنامَ منكَ هياتُ ،
فلقد عمّنا نَدَاكَ بنُعمي ،
وأيايَ لو ادّعتها الغَوادي ،
شاهدَ النَّاسُ من سَمَاحك معني ،
يا جَوَاداً يَلْقَى وفودَ نَدَاهِ
جُمعتَ في بَدِيعِ أوصافِكَ الأض
تبدّلُ المَالَ ثمّ تبخلُ بالعِزِّ
فلكَ اللهُ من كَرِيمٍ ، بَخِيلٍ ،
ضِ ، لتفشو صنائعُ الإحسانِ
توجبُ الصّقحَ عن ذنوبِ الزّمانِ
قصّرتُ دونها يَدَيَّ وَلِسَانِي
كذّبتها شواهدُ الامتحانِ
غيرَ أنّي شاهدتُ منكَ معاني
يجدّي مُنعمٍ ، وأعداري جاني
دادُ ، يا جامعَ الصّفاتِ الحِسانِ
ضِ ، وتسطو إلاّ على ذي لِسَانِ
مانعٍ ، مانعٍ ، شجاعٍ ، جَبَانِ

شرف الله

وقال يشكر أحد الأعيان
عن زيارته إياه :

شَرَّفَ اللهُ قَدْرَ مَنْ شَرَّفَ الْيَوْمَ حَضْرَتِي
وَرَعَى اللهُ مَنْ رَعَى حَقَّ عَهْدِي وَصُحْبَتِي
زَارَ مَنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ حِينَ أَخَرْتُ زَوْرَتِي
فَتَمَنَيْتُ لَوْ أَفَا مَ ، وَقَامَتْ قِيَامَتِي

مولي الجميل

أَنْتَ أَوْلَيْتَنِي الْجَمِيلَ ، وَلَوْلَا ضَعْفُ حَظِّي لَكُنْتُ بِالسَّعْيِ أُولَى
لَمْ تَنْزَلْ تَسْبِقُ الْأَنْامَ بِحُسْنَا لَكَ ، وَتُوَلِّي الْعِبَادَ لُطْفًا وَطَوَلَا
قَدْ تَصَدَّقْتَ بِالزِّيَارَةِ لِلْعَبْدِ بَدِ ، فَصَدَّقْتَ فَيْكَ ظَنًّا وَقَوْلَا
فَإِذَا زُرْتَ زُرْتَ عَبْدًا وَرِقًّا ، وَإِذَا ذُودْتَ ذُودْتَ ذُخْرًا وَمَوَلَى

أعدت لي الروح

وقال يشكر رئيساً عاده في مرضه

أيا مَنْ حكى فضلَ عيسى المسيحِ ، غداةَ حكّتْ عازراً مُهَجَّتِي
أعدتْ لي الروحَ ، إذ زُرْتَنِي ، وقد يَتَسَّ النَّاسُ من رَجَعَتِي

الصاحب المصافي

وقال يشكر صاحباً دعاه إلى داره :

وصاحبٍ لي مُصافي ، من غيرِ أبناءِ جِنْسِي
غَرَسْتُ في الصَدْرِ منه ، وُدّاً ، فأثْمَرَ غَرَسِي
ولجْتُ يوماً فِناه ، لكَيْ أُجَدِّدَ أنْسِي
فلَمْ أَلِجْ غيرَ داري ، ولم أُرْ غيرَ نَفْسِي

الصدق الوفي

وقال يشكر صاحباً له :

لي صاحبٌ إنْ خائنِي دَهْرِي وَفَى ، وإِذا تَكَدَّرَتِ المَنَاهِلُ لي صَفَا
تَبْدُو مَحَبَّتُهُ وَيَظْهَرُ وَدُّهُ نَحْوِي إِذا ما الودُّ بالملقِ اخْتَفَى
أَجْفُو ، فَيَمْنَحُنِي المَوَدَّةَ طَالِباً قُرْبِي ، وَأَمْنَحُهُ الودادَ إِذا جَفَا
كلُّ يَقُولُ : لصاحبي عِنْدِي يدٌ ، إِذْ كانَ لي دُونَ الأَنامِ قَدْ اصْطَفَى

فلك الحيا

وقال يشكر ويشواق :

وُقِيتَ حادِثَةُ اللَّيالي ، وَحُرِّستَ مِنْ عَيْنِ الكَمالِ
يا مالِكاً بِصَنِيعِهِ حازَ المَعانِي والمَعالي
قَسَماً بِأَنعُمِكَ الجِسا مِ على المُؤمِّلِ والمُوالي
إِنِّي لَمُشْتاقٌ إلى تلكَ الشَّمائلِ والجَمالِ
ولقد ذَكَرتُ القُربَ مِنْكَ وطِيبَ أَيامِي الخِوالي
فَطَفِقتُ أَصْفَقُ راحَتِي ، وَعِنْدَ صَفَقَتِها مَقالي :
كَيْفَ السَّبيلُ إلى سَعَا دَ ، ودونَها فَلكُ الحَيَا لي

الباب الثالث

في الطرديات وأنواع الصفات

أما ترى

قال يصف رماية البتلق وأحوالها
ويذكر طير قدمته الذي صرعه أولا :

أَمَا تَرَى الْأَنْوَاءَ وَالسَّحَابِيَا ، قَدْ أَصْبَحَتْ دُمُوعُهَا سَوَاقِيَا
فَاكْتَسَتْ الْأَرْضُ بِهَا جَلَابِيَا ، فَأَظْهَرَتْ أَزْهَارَهَا عَجَابِيَا
غَرَائِبًا أَضْحَتْ لَنَا رَغَائِبَا

هَذِي الرِّوَابِي بِالْكَلا قَدْ تَوَجَّتْ ، وَنَسَمَةُ الْحَرِيفِ قَدْ تَأَرَّجَتْ
وَقَدْ صَفَتْ مِيَاهُهُ وَرَجَّجَتْ ، وَالْأَرْضُ بِالْأَزْهَارِ قَدْ تَدَبَّجَتْ
وَأَصْبَحَ الْطَّلُّ عَلَيْهَا سَاكِبَا

فَقُمْ ، فَقَدْ تَمَّ لَنَا طَيْبُ الْهَنَّا ، وَالْدَّهْرُ قَدْ مَنَّ عَلَيْنَا بِالْمُنَى
وَالْعَيْشُ قَدْ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ لَنَا ، وَمُسْعِدِي شَرْخِ الشَّبَابِ وَالْغِنَى
هُمَا اللَّذَانِ غَمَرَا لِي جَانِبَا

١ الشرخ : أول الشباب وريعانه .

يا سَعْدُ باكر، فاللَّيْبُ مَنْ بَكَرَ ، وابرزُ بنا ليسَ العِيَانُ كالخَبَرُ
فاغتنِمِ الصفوةَ بنا قَبْلَ الكَدَرِ ، فالدهرُ من زَلَاتِهِ قد اعتَدَرُ
وجاءنا مِن الدُّنُوبِ تَائِبًا

لا تَسْكُبِ الدَّمْعَ على عيشٍ مَضَى ، ولا تَقُلْ كانَ زمانٌ وانقَضَى
واغتنِمِ الغفلةَ من صَرَفِ القَضَا ، فالموتُ كالسيفِ متى ما يُتَضَى
تُضحي له أعمارُنَا ضَرَائِبًا

فدَعْ حديثَ الزَّمَنِ القَدِيمِ ، والذِّكْرَ للأَطْلالِ والرُّسُومِ
فإنْ تَكُنْ عَوْنِي على الهمومِ حَدَّثْ عن القَدِيمِ والنَّدِيمِ
واذكرْ لَدَيَّ راميًا أو ساريًا

ما دامتِ الأَيَّامُ في نِصَاحِي ، والعِزُّ مُلقٍ رَحْلَهُ بِسَاحِي
لأَبْدُلُنْ ما حَوْتُهُ رَاحَتِي ، أَتَلَفْ ما في رَاحَتِي في رَاحَتِي
واقصِدُ اللذاتِ والمَلَاعِبَا

فَقُصِّمْنَا مَبْتَكِرًا ، يا صاحبي ، نَقْضِي بِأَيَّامِ الصَّبِيِّ مَآرِبِي
ولا تَكُنْ تَفَكُّرُ في العَوَاقِبِ ، وَخَلْ خَلَاتِي ، ودَعْ أَقَارِبِي
واقصِدْ بنا الأحلافَ والقَرَائِبَا

واعْتَبِرِ الجَنَّةَ في الطَّرِيقِ ، وانتَخِبِ الرِّفِيقَ للمَضِيقِ
ولا تصاحبْ غَيْرَ ذِي التَّحْقِيقِ ، فَالْتَمِمْ لا يَطِيرُ بَيْنَ الشُّبُوقِ
والكَيِّ لا يَرْضَى الوَرِيدَ صَاحِبَا

١ الم ، والشيق ، والكَي ، والوريد : من أنواع الطيور .

أما تَرَى الطَّيْرَ الجَلِيلَ قد أتى مُسْتَبْشِراً يَمْرَحُ في فَصْلِ الشِّتَا
فَقُمْ بِنَا إِنَّ الصَّبَى عَوْنُ الْفَتَى ، ولا تَقُلْ كَيْفَ ، وأنتى ، ومتى
إِنَّ الأَمَانِي لم تَزَلْ كَوَاذِبًا

بِمُدْمَجَاتٍ زَانِهَا إِدْمَاجُهَا ، مُعَوَّجَاتٍ ، حُسْنُهَا اِعْوَاجُهَا
أَهْلَةً أَكْفُهَا أَبْرَاجُهَا ، حَوَامِلٍ ، إِذَا دَنَا نِتَاجُهَا
تَقْدِفُ مِنْ أَكْبَادِهَا كَوَاكِبًا

ما خَيَّبَتْ يَوْمًا لَنَا مَسَاعِيَا ، لَكَادَ حُسْنًا أَنْ تُجِيبَ الدَّاعِيَا
تُغْنِي بِهَا الجَلِيلَ والمَرَاعِيَا ، إِنَّ كَمَدَنْتَ ظَنَنْتَهَا أَفَاعِيَا
أَوْ أَوْتَرْتَ حَسْبَتَهَا عَقَارِبًا

ومُدْمَجٍ كَالنَّوْنِ فِي تَعْرِيقِهِ ، أَشْهَى إِلَى الْعَاشِقِ مِنْ مَعْشُوقِهِ
كَالصَّارِمِ الْمَصْقُولِ فِي بَرِيقِهِ ، لو أَنَّهُ يُسْكِنُ مِنْ خُفُوقِهِ
أَضْحَى عَلَى عَيْنِ الزَّمَانِ حَاجِبًا

مُسْتَأْنَفٍ قد تَمَّ فِي أَقْسَامِهِ ، لَكِنْ نَقَصَ الطَّيْرُ فِي تَمَامِهِ
قد نَبَتْ الْعُودُ عَلَى لِحَامِهِ ، مَنْ خَطِيفَ الْخَطْفَةِ فِي مَقَامِهِ
أَتَبَعَهُ مِنْهُ شِهَابًا ثَاقِبًا

مُرْدَدٍ يُرْضِيكَ فِي تَرْدِيدِهِ ، شُهْرَتُهُ تُغْنِيكَ عَنْ تَحْدِيدِهِ

١ قوله : كمدنت ، هكذا في الأصل ولم نجد ما .

لا فرقَ بينَ شاخِهِ وعُودِهِ ، يُحَقِّقُ البُنْدُقَ في صُعودِهِ
ويَتَضَمَّنُ المَصْرُوعَ والصَّوَائِبَا

أصلَحَهُ صالِحٌ عندَ جَسَدِهِ ، وزانَهُ واختارَهُ لِنَفْسِهِ
مَنْظَرُهُ يُغْنِي الفَتَى عن لَمْسِهِ ، فهوَ لَهُ بعدَ حُلُولِ رَمْسِهِ
يُهدي الثَنَا ويُظهرُ المَنَاقِبَا

وبنْدُقٍ مَعْتَدِلِ المِقدَارِ ، كَأَنَّمَا قَسَمَ بِالْعِيَارِ
قد حَمَلَ الحِقْدَ على الأَطْيَارِ ، فهوَ إِذَا انْقَضَ من الأوتَارِ
يرَى فَنَاءَ الطَيْرِ فَرَضاً واجِبَا

يريكَ في وقتِ الصَّبَاحِ لَهَبَا ، كَأَنَّهُ بَرَقَ أَضَاءَ وَخَبَا
يَقْطَعُ مَتَنَ الرِّيحِ من غيرِ شَبَا ، يَقْظَانِ لَا يَصْبُو إلى خَفَقِ الصَّبَا
ولا يَلِينُ لِلجَنُوبِ جَانِبَا

وخبِشَةً لَطَفَتْ في مِقدَارِهَا تَغْنِي بِهَا الأَطْيَارُ عن أوكَارِهَا
لا يَبْرَحُ الرِّيشُ على نُوَارِهَا ، والدَّمُ مَسْفُوكَاً على أَقْطَارِهَا
إِذْ كَانَ في اللَّوْنِ لها مُنَاسِبَا

كَأَنَّمَا من كَثَرَةِ الصُّرُوعِ ، قد خُضِبَتْ بِخَالِصِ النَجِيعِ

١ الشاخ : لعله من آلات الطرب .
٢ الشبا ، الواحدة شبة : من السيف قدر ما يقطع به .

لم تَعْلُ في البروزِ والرجوعِ من صارِعٍ يُحْمَلُ ، أو مَصْرُوعٍ
تَحْمِلُ آتٍ أو تُقِلُّ ذَاهِبًا^١

وحلّةٍ جَفْتِيَّةٍ كالْعَنَدَمِ ، لطيفةٍ التَّجْلِيسِ والتَّهْنِئَةِ
مُؤَخَّرُهَا في الحُسْنِ مثلُ الْمُقَدَّمِ ، يظنُّهَا الطَّيْرُ لَهُ نَطَعَ الدَّمِ
ولم يكنْ فيما يَظُنُّ كاذِبًا^٢

فلَو شَهِدَتْ طَيْرَنَا فِيمَنْ رَمَى ، وَجَيْشُهُ من جَمَعِنَا قَدْ هُزِمَا
وبندَقِ الصَّحْبِ إِلَيْهِ قَدْ سَمَا ، عَجِبْتَ من رَاقٍ إِلَى جَوْ السَّمَا
أرسلتِ الأَرْضُ عَلَيْهِ حَاصِبًا

من كلِّ شَهْمٍ كَالْهَزْبَرِ الْبَاسِلِ ، وَكُلِّ قَيْلٍ قَائِلٍ وَفَاعِلٍ
ذُخِرَ الزَّمِيلُ عِدَّةَ الْمُقَاوِلِ ، وَبَيْنَهُمْ حِمْلٌ بَلَا تَحَامُلٍ
من بَعْدِ مَا اصْطَفَوْا لَهُ مَرَاتِبًا^٣

حولَ قَدِيمِ كَالْحُسَامِ الْمَاضِي خَالٍ من الْأَغْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ
يَطْبُؤُ دَاءَ الْكَلِمِ الْمِرَاضِ ، يَرْضَى بِأَنِ الْجَمْعَ عَنْهَا رَاضٍ
لَا يَرْقُبُ الْأَسْبَاقَ وَالْمَوَاهِبَا^٤

١ قوله : آت ، هكذا في الأصل والصواب : آتياً .

٢ الجفئية : ضرب من الحلل الحمر .

٣ القيل : الرئيس . الزميل : الرديف . المقاتل ، الواحد مقول : الظريف اللسان .

٤ الاسباق ، الواحد سبق : ما يتراهن عليه المتسابقون .

في مَوْقِفٍ بِهِ الصُّرُوعُ تُثْثَلُ ، تُلْقَى المَرَاعِي ، والجَلِيلُ تَحْمِلُ
مَعْدُودَةُ أَصْنَافُهُ لَا تُجْهَلُ ، إِذْ هِيَ فِي سَبْعٍ وَسَبْعٍ تَكْمُلُ
بِعَرَفِهَا مَنْ كَانَ فِيهَا رَاغِبًا

وصاحبِ أَعْدَهُ لِي مَالِكَا ، كَلَّفَتْنِي فِي النِّظْمِ عَدَّ ذَلِكَ
وَقَالَ: لَتَخْصُ ذَاكَ فِي نِظَامِكَا ، قُلْتُ : عَلُو صُنْعِكَ احْتِشَامُكَ
إِنْ كُنْتَ لِي حَلَّ الرَّمُوزِ دَائِبًا

لَمْ أُنْسَ فِي ثَوْبٍ شَلِيلٍ بَرَزَتِي ، بَيْنَ ثِقَافٍ مِنْ رُمَاةِ الْحِلَّةِ
وَقَدْ أَتَانِي مُحَرِّقًا عَنْ جَفَّتِي ، مَزْدَوِجٌ مِنَ الْعَنَانِينَ الَّتِي
بَيْنَ الرَّمَاةِ أَصْبَحَتْ غَرَائِبًا^١

ثَبَّتَ لِلزَّوْجِ ، وَقَدْ أَتَانِي مُصْعَصَعًا يَسْرَحُ فِي أَمَانٍ
عَاجَلَتُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرَانِي صَرَعْتُ حَدَاهُ ، وَصَبْتُ الثَّانِي
دَلَّتِي الْبَرَائِيمَ وَوَلَّتِي هَارِبًا^٢

فَخَرَّ كَالنَّجْمِ ، إِذَا النَّجْمُ هَوَى ، مَا ضَلَّ عَنْ صَاحِبِهِ وَمَا غَوَى
وَأَفَاهُ ، وَهُوَ نَاطِقٌ عَنْ الْهَوَى ، قَدْ هُدَّ مِنْهُ الْخَلِيلُ مِنْ بَعْدِ الْقَوَى
وَأَصْبَحَ الثَّانِي عَلَيْهِ نَادِبًا

١ قوله : تلقى المرامي والجليل تحمل ، هكذا في الأصل .
٢ الشليل : الدرع الصغيرة تحت الكبيرة ، أو الفلاة تلبس تحت الدرع . الحفة : كل غاو على شكل أنبوب القصب . وقوله : عنانين ، هكذا في الأصل .
٣ المصمصع : المتفرق . قوله : البرائيم ، هكذا في الأصل ، ولعلها فارسية .

فَيَا لَهَا مِنْ فُرْصَةٍ لَوْ تَمَّتْ ، كُنْتُ وَهَبْتُ لِلْقَدِيمِ مُهْجَتِي
وَلَمْ يَكُنْ ذُو قَدَمَةٍ كَقَدَمَتِي ، بَلْ فَاتَنِي الثَّانِي ، وَكَانَتْ هِمَّتِي
تَرَى خَلَاءَ الْجَوِّ مِنْهُ وَاجِبًا

قم نلتقط اللذة

وقال أيضاً ووصف صنعة القمي :

انهض فهذا النجم في الغرب سقط ، والشيب في فود الظلام قد وخط
والصبح قد مدّ إلى نحر الدجى ، يداً بها دُرُّ النجوم تلتقط
وأهلب الإصباح أذيال الدجى ، بشمعة من الشعاع لم تُقْطِ
وضجت الأوراق في أوراقها ، لما رأت سيف الصبح مُخْرَطُ
وقام من فوق الجدار هاتِفٌ ، متوجُّ الهامة ذو فرعٍ قَطَطُ^١
يُخَبِّرُ الرَّاقِدَ أَنَّ نَوْمَهُ ، عند انتباه جدّه من الغلَطُ
والبدْرُ قد صارَ هلالاً ناحِلاً ، في آخر الشهر ، وبالصبح اختلط
كأنه قوسٌ لُجَيْنٍ مُوتِرٍ ، واللَّيْلُ زِنْجِيٌّ عليه قد ضَبَطُ
وفي يديه للثريا نَدَبُ ، يزيدُ فرداً واحداً عن النمطُ^٢

١ لم تقط : لم يقطع رأسها .

٢ قَطَطُ : قصير .

٣ الندب : القوس السريعة السهم . النمط : الطريقة والمذهب والنوع .

فأيُّ عُنْدٍ للرَّماةِ ، والدَّجَى
أما تَرَى العَيمَ الجَدِيدَ مُقْبِلًا ،
كَأَنَّ أَيْدِي الزَّنجِ في تَلْفِيقِهِ
يَلْمَعُ ضَوْءُ البرقِ في حافَاتِهِ ،
وأظْهَرَ الحَرِيفُ من أَزْهارِهِ
ولانَ عِطْفُ الرِّيحِ في هُبُوبِهَا ،
والشَّمْسُ في المِيزانِ مَوْزُونٌ بِهَا
وأرْسَلَتْ جِبَالَ (دَرْبَنْدَ) لَنَا
من الكَرَاكِي الخُزْرِيَّاتِ الَّتِي
كَأَنَّهَا ، إِذْ تَابَعَتْ صَفُوفَهَا ،
إِذَا قَفَاها سَمِعُ ذِي صَبَابَةٍ ،
فَقُمُ بِنَا نَرْفُلُ في ثَوْبِ الصَّبِيِّ ،
والتَّقِيطِ اللَّذَّةَ حَيْثُ أَمَكَنْتَ ،
إِنَّ الشَّبَابَ زَائِرٌ مُودِّعٌ ،
أما تَرَى الكَرَكِيَّ في الجَوْ ، وَقَدْ

قَدْ عُنْدَ في سِيلِكِ الرَّماةِ وَانْخَرَطَ
قَدْ مَدَّ في الأُفُقِ رِداهُ ، فانبَسَطَ
قَدْ لَبَدَتْ قُطْنًا عَلَى ثَوْبِ شَمَطَ
كَأَنَّ في الجَوْ صِفاحًا تُخْطَرُ
أَضْعافَ ما أَخْفَى الرِّبْعُ إِذْ شَحَطَ
وَالطَّلُّ من بَعْدِ المَهِجِرِ قَدْ سَقَطَ
قَسَطُ النِّهَارِ بَعْدَ ما كَانَ قَسَطَ
رُسُلًا صَبَا القَلْبُ إِلَيْهَا وَانْبَسَطَ
تَقَدَّمَ ، وَالبَعْضُ بَعْضٍ مُرْتَبَطُ
رُكائِبُ عَنْهَا الرِّحَالُ لَمْ تُحَطَّ
مِثْلِي ، تَقاضاهُ الغَرَامُ وَنَشَطُ
إِنَّ الرِّضَى بِرُكْحِهِ عَيْنُ السَّخَطِ
فإِنَّمَا اللَّذاتُ في الدَّهْرِ لُقَطُ
لا يُسْتَطَاعُ رَدُّهُ ، إِذَا فَرَطُ
نَعَمَ في أَفُقِ السَّمَاءِ وَلَغَطُ

١ شمت : خالط سواد شعره بياض .

٢ شحط : بعد .

٣ القسط : الميزان ، المقدار . قسط : مال عن الحق وجار ، وقسط أيضاً : كان عادلاً .

٤ الخزر يات : منسوبة إلى بلاد الخزر .

• قفاها : تبعها . تقاضاه الدين وغيره : طلبه منه ، وقبضه منه .

أَنسَاهُ حُبُّ دِجْلَةٍ وَطَيْبُهَا مَوَاطِنًا ، قَدْ زُقَّ فِيهَا وَلَقَطُ
فَجَاءَ يُهْدِي نَفْسَهُ ، وَمَا دَرَى أَنَّ الرَّدَى قَرِينُهُ حَيْثُ سَقَطُ
فَابْرِزْ قِسِيًّا مِنْ كَمَدِ أَتَانِهَا ، إِنَّ الْجِيَادَ لِلْحُرُوبِ تُرْتَبَطُ^١
مِنْ كُلِّ سَبَطٍ مِنْ هَدَايَا وَاسِطٍ جَعَدَ الْبَلَاحُ مِنْهُ فِي الْكَعْبِ نُقْطُ
أَصْلَحَهُ صَالِحٌ بِاجْتِهَادِهِ ، فَكُلُّ ذِي لَبٍّ لَهُ فِيهِ غَيْبُ
وَمَا أَضَاعَ الْحَزَمَ عِنْدَ عَزَمِهَا ، بَلْ جَاوَزَ الْقَيْظَ وَالْفَصْلَ ضَبَطُ
حَتَّى إِذَا حَرُّ حَزِيرَانَ خَبَا ، وَتَمَّ تَمَوُّزُ وَآبُ وَشَحَطُ
وَجَاءَ أَيْلُولُ^٢ بِحَمْرِ فَاتِرٍ ، فِي نُضْجٍ تَعْدِيلِ الثَّمَارِ مَا فَرَطُ
أَبْرَزَ مَا أَحْرَزَ مِنْ آلَاتِهِ ، وَحَلَّ مِنْ ذَاكَ الْمَتَاعِ مَا رَبَطُ
وَمَدَّ لِلصَّنْعَةِ كَفًّا أَوْحَدًا ، مُنَزَّهَاً عَنِ الْفَسَادِ وَالْغَلَطُ
وَوَظَلَ بِسَتْقَرِي بَلَاحٍ عُودِهَا ، فَتَبَّرَ الْأَطْرَافَ وَاخْتَارَ الْوَسْطُ^٣
وَجَوَّدَ التَّدْفِيقَ فِي لَحَامِهَا ، فَاسْقَطَ الْكِرْشَاتِ مِنْهَا وَالسَّقَطُ^٤
وَلَمْ يَزَلْ يُبْلِغُهَا مَرَاتِبًا ، تَلَزَمُ فِي صَنْعَتِهِ وَتُشْرَطُ
فَعِنْدَمَا أَفْضَتْ إِلَى تَطْهِيرِهَا صَحَّحَ دَارَاتِ الْبُيُوتِ وَالنَّقْطُ
حَتَّى إِذَا قَمَّصَهَا بِدُهْنِهَا ، جَاءَتْ مِنَ الصَّحَّةِ فِي أَحْلِ نَمَطُ
كَأَنَّهَا التَّوْنَاتُ فِي تَعْرِيقِهَا ، يَعْرُجُ مِنْهَا بُنْدُقُ^٥ مِثْلُ النَّقْطُ

- ١ كَمَدَ أَتَانَهَا : هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَمْ نَجِدْهَا وَلَعَلَهَا فَارْسِيَّةٌ .
٢ نِيرُ الْمَغْنَى : رَفَعَ صَوْتَهُ فِي الْفَنَاءِ ، وَلَعَلَّهُ أَخْلَعَهَا بِمَعْنَى الرِّفْعِ عَلَى الْإِطْلَاقِ .
٣ لَحَامُهَا : لَحْمُهَا .
٤ تَعْرِيقُهَا : امْتِدَادُ عُرُوقِهَا .

مثلَ السَّيُورِ فِي يَدِ الرَّامِي ، فلو
 لو يَقْدِفُ اليَمَّ بها مالِكُها
 كأنما بندُقُها تَنَازَلا ،
 من كلِّ مَحَنِي البُيُوتِ مُدْمَجٍ ،
 كأنه لَامٌ عليه أَلِفٌ ،
 فاجلِ قَدَي عَيُونِنَا بِيَرَزَةٍ
 فما رَأَتْ من بَعْدِ هُورِ بَابِلِ
 ونَحْنُ في مُرُوجِهِ في نَشْوَةٍ
 من كلِّ مَقْبُولِ المَقَالِ صَادِقٍ ،
 يقدُمنا فيها قَدِيمٌ حَازِقٌ ،
 يَحْكُمُ فِينَا حُكْمَ دَاوُدَ ، فلا
 لا يَشْتَكِي الأَسْبَاقَ من جَفَّتِهِ ،
 إذا رَأَى الشَّرَّ تَعَلَّى ، وإذا
 ما نَغَمَ المِزْهَرُ والدُّفُّ ، إذا
 أَطِيبَ من تَدَفُّفِ التَّمِّ ، إذا
 والطَّيْرُ شَتَّى في نَوَاحِيهِ ، فذا

شاءَ طَوَّاهَا وَحَوَّاهَا فِي سَقَطُ
 ما انْتَقَضَ العُودُ ، ولا الزَّوْرُ انْكَشَطُ
 أو من يَدِ الرَّامِي إلى الطَّيْرِ خِطَطُ
 ما أَخْطَأَ البَارِي بِهِ ولا فَرَطُ
 وقالَ قومٌ : إنَّها اللَّامُ فَقَطُ
 تَنفِي عن القلبِ الهُمومَ والقَنَطُ^١
 ومائِهِ التَّيَّارِ عِشاً مُغْتَبِطُ
 عند التَّحَرِّي في الوُقُوفِ لِلخِطَطُ
 قد قَبَضَ القُوسَ والنَّفْسَ بِسَطُ
 لا كَسَلٌ يَشِينُهُ ولا قَنَطُ
 يَنْظُرُ مِنَّا خَارِجاً عَمَّا شَرَطُ
 ولم يَكُنْ مِثْلَ القِرْلَى في النَّمَطُ^٢
 لَاحَ لَهُ الحَيَرُ تَدَلَّى وانْخَبَطُ
 فَصَلَ أَدَوَارَ الضُّرُوبِ وَضَبَطُ
 دَقَّ على القَبْضِ الجَنَاحَ وَخَبَطُ^٣
 قد اكْتَسَى الرِّيشَ وهذا قد شَمَطُ

١ البرزة : المنفوقة على صاحباتها ، الجميلة .

٢ القرل : طائر مائي شديد الحذر .

٣ التم : طائر مائي شبيه بالإوز .

وذاكَ يَرَعَى في شَوَاطِيهِ ، وذا
 فَمَنْ جَلِيلٍ واجِبِ تَعْدَادُهُ ،
 يَعرُجُ مِنّا نَحْوَها بِنادِقُ ،
 فَمَنْ كَسِيرٍ في العُبابِ عائِمٍ ،
 على الرّوابي قد نَحَصَى وَلَقَطُ^١
 ومن مَراعٍ عَدُّها لا يَشْتَرَطُ^٢
 لم يَنْجُ مِنْها مَنْ تَعَلَّى واختَبَطُ^٣
 ومن ذَبِيحٍ بالدِّماءِ يَغْتَبِطُ^٤

أهلاً بها قوادماً

وقال يصف الكراكي عند قلوبها
 من البطايح ورحيلها إلى الجبال مع
 خروج فصل الشتاء :

أهلاً بها قوادماً رَواحِلاً ، تطوي الفَلا وتَقْطَعُ المَراحِلاً
 تَذَكَّرَتْ آكامَ دَرَبِندانِها ، وعافَتْ الآجامَ والمَراحِلاً
 أَذْكَرَها عَرَفُ الرِّبيعِ إلَفاها ، فأقبَلَتْ لَشَوِقِها حَوامِلاً^١
 نَفَرَقُ في الجَوا بَصَوْتِ مُطَرِبٍ ، يَشوقُ من كانَ إلَياها مائِلاً
 هَدِيَّةُ الصَّنَفِ ودَرَبِندِيَّةُ^٢ ، أو خُزَريَّاتٌ بَدَتْ أَصائِلاً
 لما رَأَتْ حَرَ المَصيفِ مُقبِلاً ، وطيبَ بَرَدِ القَرِّ ظِلًّا زائِلاً
 أَهْمَلَتْ التَّخِيِطَ في مَطارِها ، وعَسْكَرَتْ لَسيرِها قَوافِلاً^٣

١ نَحَصَى : تَوَقَّى .

٢ عَرَفَ الرِّبيعَ : رائحة زهره .

من بَعْدِ ما مَرَّتْ بِها أحيائُها ،
 تَنْهَضُ من صَرَحِ الجَليلِ تَحْتِها ،
 قَدْ أَنْفَتْ أَيْامُ كَانُونِ لها
 فِصَاغَتِ الطَّلِّ لها قَلائِدًا ،
 لَمَّا دَعَانِي صاحِبِي لِبَرْزَةٍ
 أَجَبْتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقَصْدِها :
 ثُمَّ بَرَزْنَا نَقْتَنِي آسارَهُ ،
 بَيْنَ قَدِيمٍ وَزَمِيلٍ صَادِقٍ ،
 وَالصَّبْحُ قَدْ أَعْمَنَّا بِنُورِهِ ،
 تَخَالَ ضَوْءُ الصَّبْحِ فَوْدًا شائِبًا ،
 وَقَدْ أَقَمْنَا فِي المَقاماتِ لها
 وَأَعَيْنُ الأُسْدِ ، إِذا جَنَّ الدَّجَى
 نَرَشِقُها مِنْ تَحْتِها يَبْنَدِقِ ،
 فَمَا رَقَى تَحْتَ الطَّيُورِ صاعِدًا ،
 لِلَّهِ أَيْامٌ بِهُورٍ بِأَبِلِ
 فَكَمْ قَضِينا فِيهِ شَمَلًا جامِعًا ،
 فَهَلْ تُرَى تَرْجِعُ أَيْامٌ بِهِ ،
 هَيَّاتَ مَهْمَا يَسْتَعْرِزُ مُسْتَرْجِعًا ،
 كَمَا نَظَّمْتَ فِي البُرى البَوازِلَ
 بِأَرْجُلٍ لِبَرْدِهِ قَوابِلًا
 مِنْ أَنْ تُرَى مِنْ الحِلْيِ عَواطِلًا
 وَالثَّلَجَ فِي أَرْجُلِها مَخْلَاحِلًا
 وَنَبَّهَ الزَّمِيلَ وَالْمَقاولًا
 نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عَرِينٍ بِاسِلًا
 وَنَقَصِدُ الأَملاقَ وَالْمَناهِلًا
 لَا زَالَ شُكْرِي لهما مُواصِلًا
 لَمَّا اثْنَى جَنحُ الظَّلَامِ راحِلًا
 وَنَحَسَبُ اللَّيْلَ خِضابًا ناصِلًا
 مَعالًا تَحَسُّبُها مَجاهِلًا
 أَذَكَّتْ لَنَا أَحْدافُها مَشاعِلًا
 يَعْزُجُ كَالشَّهْبِ إِلَيْها وَاصِلًا
 إِلَّا اغْتَدَى بِها البَلَاءُ نازِلًا
 أَضْحَى بِها الدَّهْرُ عَلَيْنا باخِلًا
 وَكَمْ صَحِينا فِيهِ جَمْعًا شامِلًا
 فِي جَدَلٍ قَدْ كانَ فِيهِ حاصِلًا
 أَراجِعُ لِي الدَّهْرُ حَوْلًا كامِلًا

١ أحيائها : جماعاتها ، الواحد خيط . البرى ، الواحدة برة : حلقة توضع في أنف الناقة .
البواز : النياق .

٢ قوله : الاملاق ، لعلها جمع ملق : الود ، والطف الشديد .

يحدّل الأبعد قبل الاقرب

وقال يصف البازي والصيد به :

قد ارتدى ذيل الظلام الأشيب ، والصبح مثل الماء تحت الطحلب^١
 بأجرد ملء الحزام سلهب ، مختبر ، كالبطل المجرب^٢
 مشقل الكف يبازي أشهب ، متصب القامة سامي المكتب^٣
 غليظ خط الجوجو المنكب ، ذي عنق خصب ورأس أجذب^٤
 قصير عظم الساق ، ثبت الركب ، قليل ريش الصفحتين ، أرعب^٥
 تام الجناحين ، قصير الذنب ، عيونه مثل الجمان المذهب^٦
 قد بدلت من سبج بكهرب ، محدد المنسر شين المخلب^٧
 ينهش في السبق ، وإن لم يشغب ، حتف الحباري وعقال الأرنب^٨
 لا يرقب النجدة من مدرب ، إذا الصقور أنجدت بالأكلب^٩
 مهذب الخلق ، قليل الغضب ، يرتاح للعود ، وإن لم يطلب

١ الطحلب : خضرة تعلو الماء المزمّن .

٢ السلهب : الطويل .

٣ المكتب : الحافر الذي غلظت يده من العمل ، ولا ندري ماذا أراد بها هنا .

٤ الجوجو : الصدر . المنكب : المتنحي .

٥ قوله : الأرعب ، هكذا في الأصل ، ولعلها الأزعب أي الغليظ .

٦ السبج : الحرز الأسود . الكهرب : صنغ شجرة إذا حك صار يجذب التين . المنسر للطير

الجارج كالمنقار لغير الجارج . وقوله : شين المخلب ، لعله أراد أن مخلبه أي ظفره مقوس كالشين .

٧ الحباري : طائر .

كفاضلٍ حاولَ حفظَ المنصبِ ، زَرَتْ به الطيرُ بمَوْجٍ مُعْشِبِ
فَحَالَ بَيْنَ رَعِيهَا وَالمَشْرَبِ ، وظلَّ كَالسَّاعِيِ الحَرِيِّ المَذْذَبِ
يُجَدِّلُ الأَبْعَدَ قَبْلَ الأَقْرَبِ ، لو أَنَّهُ مرَّ بَعَقًا مُغْرِبِ
لم تُحْمَ من مَشْرِقِهَا بِالمَغْرِبِ ، مُكْذَّبًا فِيهَا مَقَالَ العَرَبِ

نَأكِل ونَقْرِي

وقال يصف الصقر والصيد به :

يا طيِّبَ يومٍ بِالمُروِجِ الخُضِرِ ، سَرَقَتْهُ مُخْتَلِسًا من عُمَرِي
والطَّلَّ قد كَلَّلَ هَامَ الزَّهْرِ ، فَعَطَّرَ الأَرْجَاءَ طيِّبُ النَشْرِ
بَاكَرْتُهَا بَعْدَ انبِلَاجِ الفَجْرِ ، عِنْدَ انبِساطِ الشَّفَقِ المَحْمَرِّ
والطَّيْرُ في لُجِّ المِيَاهِ تَسْرِي ، كَأَنَّهَا سَفَائِنٌ في بَحْرِ
حَتَّى إِذَا لاذَتْ بِشَاطِي النَّهْرِ ، دَعَوْتُ عِبْدِي ، فَأَتَى بِصَقْرِي
من الغَطَارِيفِ الثَّقَالِ الحُمْرِ ، مُسْتَبْعِدُ الوَحْشَةِ جَمُّ الصَّبْرِ
مَعْتَدِلُ الشَّلْوِ شَدِيدُ الأَزْرِ ، مُنْفَسِحُ الزَّوْرِ رَحِيبُ الصَّدْرِ
مُتَسَعُّ العَيْنِ عَرِيضُ الظَّهْرِ ، بِأَعْيُنٍ مُسَوَّدَةٍ كَالْحَبْرِ
وَهَامَةٌ عَظِيمَةٌ كَالْفِهْرِ ، كَأَنَّ فَوْقَ صَدْرِهِ وَالتَّحْرِ

١ الهامة : الرأس . الفهر : الحجر .

هَامَةٌ هَيِّقٌ فِي صِمَاخَتِي نَسِيرٌ ، طَوِيلٌ أُرْيَاشُ الْجَنَاحِ الْعَشِيرِ
قَصِيرٌ رِيشٌ الذَّنَبِ الْمُحْمَرِّ ، قَصِيرٌ عَظَمِ السَّاقِ تَامِ الظَّفَرِ
فَظَلَّ يَتَلَوَّهَا ، عَظِيمَ الْمَكْرِ ، يُغْرِي بِهَا هِمَّتَهُ وَنَصْرِي
كَأَنَّهُ يَطْلُبُهَا بَوْتَرٍ ، فَجَاءَنَا مِنْهَا بِكُلِّ عَفْرِ
فَبِتُّ وَالصَّحْبَ بِهَا فِي بَشْرِ كَأَنَّنا فِي يَوْمِ عِيدِ النَّحْرِ
نَأْكُلُ مِنْ لَحْمِهَا وَنَقْرِي

عدتان للصيد

وقال يصف الفهد والصيد به :

وَيَوْمَ دَجَنٍ مُعْلَمِ الْبُرْدَيْنِ ، سَمَاوُهُ بِالْغَيْمِ فِي لَوْنَيْنِ
كَأَنَّهَا ، وَقَدْ بَدَتْ لِلْعَيْنِ ، فَيُرْوِجُ يَلْمَعُ فِي لَوْنَيْنِ^١
قَضَيْتُ فِيهِ بِالسَّرُورِ دَيْنِي ، وَسِرْتُ أَفْلِي مَفْرَقِ الشَّعْبَيْنِ
بَأَدْهَمٍ مُحَجَّلِ الرَّجْلَيْنِ ، سَبَطِ الْأَدِيمِ مُفْلَقِ الْيَدَيْنِ
خَصَبِ الْعَطَاةِ مَاحِلِ الرُّسْغَيْنِ^٢ ، وَسَرَبِ وَحْشٍ مُذْ بَدَا لِعَيْنِي^٣

١ الهيق : الظليم . الصماخ : خرق الأذن الباطن الماضي إلى الرأس .

٢ الفيروزج : حجر كريم .

٣ العطاة ، مسهل العطاة : الرسغ : الموضع المستند بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل .

عارضتهُ في مُنتَهَى السّفْحَيْنِ ، بأَرْقَطٍ مُخَطَّطٍ الأُذْنَيْنِ
 نَاقِي الحَبَيْنِ أَهَرَتِ الشَّدَقَيْنِ ، أَفْطَسَ سَبَطِ الشَّعْرِ صَافِي العَيْنِ^١
 يَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ بِجَمْرَتَيْنِ ، ذِي كَحَلٍ سَالَ مِنَ العَيْنَيْنِ
 فَخَطَّ لَامَيْنِ عَلَى الحَدَّيْنِ ، مُحَدَّدِ النَّابَيْنِ وَالظَّفَرَيْنِ
 كَأَنَّمَا يَكْشِرُ عَنْ نَصْلَيْنِ ، لَيْسَ لَهَا عَهْدٌ بِضَرْبِ قَيْنِ^٢
 رَقِيقِ لَحْمِ الزَّنْدِ وَالسَّاقَيْنِ ، ذِي ذَنْبٍ أَمْلَسَ غَيْرَ شَيْنِ
 فَخَاتَلِ السَّرْبَ بِخَطَوَتَيْنِ ، وَأَرْدَفَ الحَطَوَ بَوَثْبَتَيْنِ
 فَكَانَ فِيهَا كَغُرَابِ البَيْنِ ، فَرَقَهَا قَبْلَ بُلُوغِ الحَيْنِ
 وَنَالَ مِنْهَا عَفَرَ المَتْنَيْنِ ، أَجِيدَ مَصْقُولِ الإِهَابِ زَيْنِ
 جَدَلُهُ فِي مُلْتَقَى الصَّفَيْنِ ، وَلَمْ يَحُلْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي
 نِلْتُ بِمُهْرِي وَبِهِ كَفَلَيْنِ ، إِنَّمَا لِلصَّيْدِ عُدَّتَيْنِ^٣
 لَا يَحْسُنُ اللَّهُ بِغَيْرِ ذَيْنِ

١ أهرة : واسع .

٢ القين : الحداد .

٣ الكفل : الحظ والنصيب ، والمثل .

ليلة طويلة

وقال أيضاً :

وليلةٍ في طولٍ يومٍ العَرَضِ ، سَماوُها من دَكنِهِ كالأَرْضِ^١ ،
 مَحَضَتْ فيها العيشَ أيَّ مَحَضٍ ، وفُزْتُ فيها بالنعيمِ المَحَضِ ،
 وغَضَّ جفنُ الدهرِ أيَّ غَضٍّ ، فَبِتُّ من صروفِهِ أَسْتَقْضي ،
 أَرَفَعُ قَدَرَ عِشَّتِي بِالْحَفْضِ ، لا أَكْحُلُ الجَفْنَ بها بَغْمَضِ ،
 مع كلِّ ساقٍ كالْقَضِيبِ الغَضِّ ، يَدِيرُ راحاً بالسَّروِرِ تَقْضي ،
 ساطعةً كالبرقِ عِندَ الوَمَضِ ، حَتَّى إِذا آنَ أَداءُ الفَرَضِ ،
 وشُقَّ جَبَبُ الفَلَقِ المِيبِضِ ، عَرَضْتُ خَيْلي ، فأجَدْتُ عَرَضِي ،
 واختَرْتُ منها سابِقاً لِي يُرْضِي ، يَفُوتُ لِمَحِ الطَّرَفِ حينَ يَمْضِي ،
 كأنما الأرضُ به في قَبْضِي ، لا فَرَقَ بَينَ طُولِهِ والعَرَضِ ،
 جَعَلَتْهُ وَقايَةً لِعِرضِي ، ثَمَّ غَدَوْتُ لِمَرامي أَقْضي ،
 من كلِّ سِرْبٍ شاردٍ مَنَغْضٍ ، بأَرْقَطِ الظَّهِيرِ صَقِيلٍ بَضٍّ^٢ ،
 كَسَبَجٍ في ذَهَبٍ مُرْفَضٍ ، أَهَرْتُ رَحَبَ الصَّدْرِ نائِي الغَمَضِ ،
 مُسْتَقْصِلَ الشَّلْوِ خَفِيفَ النِّهَضِ ، عَرِضَ بَسَطِ الكَفِّ عِندَ القَبْضِ ،
 عَدَدَ النَّابِ لغيرِ عَضٍّ ، مُتَّصِبَ الأُذُنَيْنِ عِندَ الرِّكْضِ ،

١ يوم العرض : يوم القيامة . الدكن : ميلان اللون إلى السواد .

٢ منغض ، من انغض الطرف : انغمض ، والمغنى غامض . البض : الطري .

مَخَاتِلَ السَّرْبِ بِغَيْرِ وَفْضٍ ، مُنْخَفِضًا لِلخَتَلِ أَيَّ خَفْضٍ
 مَصَافِحًا بِالْبَطْنِ ظَهَرَ الْأَرْضِ ، يَجْسُهَا بِالْكَفِّ جَسَّ النَّبْضِ
 حَتَّى إِذَا أَمَكَنَّ قَرَبُ الْبَعْضِ ، عَاجَلَهَا كَالْكَوْكَبِ الْمُنْقَضِ
 فَعَانَقَ الْأَكْبَرَ عِنْدَ النَّهْضِ ، عِناقَ ذِي حَبٍّ لِرَبِّ بُغْضِ
 فَهَاضَ مِنْهُ الْعَظْمَ عِنْدَ الْهَضِّ ، وَرَضَ مِنْهُ الصَّدْرَ أَيَّ رَضٍ
 فَقَمْتُ أَسْعَى خَيْفَةً أَنْ يَقْضِي ، أَغْضُ عَنْ زَلَاتِهِ وَأَغْضِي

أهرت أفطس

وقال أيضاً :

وَأَهْرَتَ الشَّدَقَيْنِ مَحْبُوكِ الْمَطَا ، مَحْدَدِ الْأَنْيَابِ مَرْهُوبِ السَّطَا
 أَفْطَسَ تَبْرِئِي الْإِهَابِ أَرْقَطَا ، كَلَوْنِ تَبْرِئِ بَمِيدَادِ نَقْطَا
 أَلْبَسَهُ الْخَالِقُ حُسْنًا مُفْرِطَا ، وَخَطَّ فِي الْخَدَيْنِ مِنْهُ خُطْطَا
 مُسْتَتَقِلَ الْجِسْمِ خَفِيفِ إِنْ خَطَا ، مَجْرَبِ الْإِقْدَامِ مَأْمُونِ الْخُطَا
 يَسْبِقُ فِي إِرْسَالِهِ كُدْرَ الْقَطَا ، أَضْحَى عَلَى قَنِيصِهِ مُسَلَّطَا
 حَتَّى إِذَا مِنَ الْعِقَالِ نَشَطَا ، وَفَى لَنَا فِعْلًا بِمَا قَدْ شَرَطَا

١ الهض : الكسر .

٢ المطا : الظهر .

قلتُ ، وقد بتُّ به مُغتَبِطاً ، والشَّلُو من قَنِيصِهِ مُعْتَبِطاً^١
بذاك أم بالخيلِ تَعْدُو المَرَطَى^٢

بفوت ملح الطرف

وقال يصف الكلب والصيد به :

وأهرتُ ، من الكِلَابِ ، أخطلِ ، أَصْفَرَ مَصْقُولِ الإِهَابِ أَشْعَلِ^٣
أعصمَ مثلَ الفَرَسِ المُحَجَّلِ ، يُخَالُ مَرَحَوْضاً وإن لم يُغَسَّلِ^٤
مُخْتَصِرِ الشَّلُو ، ثَقِيلِ المَحْمَلِ ، مَنفَسِحِ الهَامَةِ ، نَاقِي المُقَلِّ
إذ أنه كَالسَّوسَنِ المَهْدَلِ ، كَانَ فوقَ عُنُقِهِ المَعْتَدَلِ
هَامَةً فَهَدِ فِي صِمَاخِي فُرْعُلِ ، مَنسَرَحِ الزَّوْرِ فَسِيحِ الكَلْكَلِ^٥
مَنْهَضِيْمِ الحَصْرِ ، عَرِيضِ الكَفْلِ ، ذِي أَبْطَلِ خَالِ ، وَمَتْنِ مُمْتَلِ^٦
خَصِيْبِ أَعْلَى العَضْبِ مَحَلِ الأَسْفَلِ ، قَصِيرِ عَظْمِ السَّاعِدِ المِفْتَئَلِ

١ المعتبط : المذبوح لغير علة .

٢ المرطى ، بسكون الراء : السريعة ، وفتحها مراعاة للقافية .

٣ الأخطل : طويل الأذنين مسترخيهما . الأشعل : من كان في ذنبه أو ناصيته بياض ، أو كانت عينه إلى الحمرة خلقة .

٤ الأعصم : ما كان في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . المرحوض : المنسول .

٥ الفرعل : ولد الضبع .

٦ الأبطل : الخاصرة .

مقتَصِرِ الأَبْدِي طَوِيلِ الأَرَجْلِ ، مُزْدَحِمِ الأَظْفَارِ ثَبَتِ العَضَلِ
 ذِي ذَنْبٍ سَبَطٍ ، قَصِيرِ أَفْتَلٍ ، أَسْلَسَ مِنْ دَفْتِهِ كَالْمِغْزَلِ
 كَثِيرِ تَكَرَّارِ نَزَاعِ الأَحْبَلِ ، يَبِيتُ غَضْبَانَ ، إِذَا لَمْ يُرْسَلِ
 قَبْدِ الأَوَادِي ، وَعِقَالِ الإِبِلِ ، رُعْتُ بِهِ سِرْبَ الظَّبَاءِ الجُفْلِ
 فَاعْتَصَمْتُ مِنْهُ بِأَعْلَى الجَبَلِ ، فَظَلَّ يَنْحُو قَصْدَهَا وَيَعْتَلِي
 وَخَرَّ يَنْصَبُ عَلَيْهَا مِنْ عُلٍ ، شَبِيهَ سَهْمٍ مَرَقْتُ مِنْ عَيْطَلِ
 يَقُوتُ لِمَحِ الطَّرَفِ فِي التَّأْمَلِ ، حَتَّى إِذَا انْقَضَ انْقِضَاضُ الأَجْدَلِ
 فَمَا ارْتَضَى مِنْهَا بَدُونِ الأَوَّلِ ، غَادَرَهُ مُجْدَلًا فِي الجُنْدَلِ
 ذَا جِثَّةٍ وَافِرَةٍ كَالْمِسْحَلِ ، وَظَلَّ صَحْبِي فِي نَعِيمٍ مُقْبِلِ
 لَهُمْ غَرِيضٌ لَحْمِهِ ، وَالشُّكْرُ لِي

لا شلت يمين الرامي

وقال يصف يوماً مضى
 له في صيد النعام :

وَرُبَّ يَوْمٍ أَدَكْنِ القَتَامِ ، مُمْتَزَجِ الضِّيَاءِ بِالظَّلَامِ
 سِرْنَا بِهِ لِقَنْصِ الآرَامِ ، وَالصَّبْحُ قَدْ طَوَّحَ بِاللَّثَامِ

١ الأَوَادِي : هكذا في الأصل ، ولعله أراد الأوابد : الوحوش .

٢ العيطل : كل ما طال عنقه ، والشمرخ من طلع فحال النخل .

٣ المسحل : الشجاع ، الشيطان .

كراقيدٍ هَبَّ من المنامِ ،
 معتادةٍ بالكُرِّ والإقدامِ ،
 حتى إذا آنَ ظهورُ الجسامِ ،
 عَنَّا لنا سِرْبٌ من النعامِ ،
 فاغرةً الأفواهَ للهيامِ ،
 وحشٌّ على مشئى من الأقدامِ ،
 تطيرُ بالأرجُلِ في الموامي ،
 أراقمُ قد قُمنَ للخصامِ ،
 أُلجِمتِ القيسيُّ بالسَّهامِ ،
 فعنَّ رَألٌ عارضٌ أُمامي ،
 نِيطَتْ جَنَاحاهُ بعنقِ سامِ ،
 هاءُ شقيقٍ وُصِلَتْ بلامِ ،
 بسابقٍ يَنْقُضُ كالقَطامي ،
 يكادُ يلوي حلقَ اللجامِ ،
 وصفحةً رِيّاً ، ورسغٍ ظامِ ،
 أثبتُ في كلكليه سِيهامي ،
 بضُمُرٍ طاميةٍ الحوامي^١ ،
 تُحجِمُ في الحربِ عن الإحجامِ^٢ ،
 والبرُّ بالآلِ كبحرِ طامِ^٣ ،
 مشرقةً الأعناقِ كالأعلامِ ،
 كأبشَقٍ فَرَّتْ من الزمامِ^٤ ،
 بالطَّيرِ تُدعى وهي كالأنعامِ ،
 كأنما أعناقُها السَّوامي ،
 فحينَ همَّ السَّربُ بالهزامِ ،
 فأرسلَ النَّبْلُ كَوَبِلَ هامِ ،
 كأنما دُرْعَ بالظلامِ^٥ ،
 كأنها من حُسْنِ الالتئامِ ،
 عارضتهُ تحتَ العَجاجِ السَّامي ،
 خيلو العِنانِ مفعَمَ الحِزامِ^٥ ،
 ذي كَفَلٍ رابٍ وشدقٍ دامِ ،
 فحينَ وافى عارضاً قُدامي ،
 فمَرَقَتْ في اللَّحمِ والعِظامِ .

١ قوله : طامية الحوامي ، هكذا في الأصل .

٢ الجام : الكأس ، هكذا في الأصل .

٣ الهيام : أشد العطش .

٤ الرأل : ولد النعام .

٥ القطامي : الصقر الحديد البصر .

فخَرَّ مَصْرُوعاً عَلَى الرُّغَامِ ، قَدْ سَاقَهُ الْخَوْفُ إِلَى الْحِمَامِ
فَأَعْجَبَ الصَّحْبَ بِهِ اهْتِمَامِي ، حَتَّى اغْتَدَى كُلُّ مَنْ الْأَقْوَامِ
يَقُولُ : لَا شَلَّتْ يَمِينُ الرَّامِي

إِذَا رَمَيْتُ سِهَامِي

وَقَالَ يَصِفُ فَرَساً أَدَهْمَ مَجْجَلًا :

وَأَدَهْمٌ يَقْقُ التَّحْجِيلِ ذِي مَرَحٍ ، يَمِيسُ مِنْ عُجْبِهِ كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ
مُطَهَّمٌ مُشْرِفِ الْأُذُنَيْنِ تَحْسَبُهُ مَوْكَلًا بِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ عَنْ زُحَلِ
رَكِبْتُ مِنْهُ مَطَا لَيْلٍ تَسِيرُ بِهِ كَوَاكِبُ تُلْحَقُ الْمُحْمُولَ بِالْحَمَلِ
إِذَا رَمَيْتُ سِهَامِي فَوْقَ صَهْوَتِهِ ، مَرَّتْ بِهَادِيهِ وَانْحَطَّتْ عَلَى الْكَفَلِ

أَدَهْمُ كَالظَّلَامِ

وَقَالَ فِي فَرَسٍ لَهُ أَدَهْمٌ مَجْجَلٌ :

وَلَقَدْ أَرُوحُ إِلَى الْقَنَیصِرِ وَأَغْتَدِي فِي مَتْنِ أَدَهْمٍ كَالظَّلَامِ مُحَجَّلِ
رَامَ الصَّبَاحُ مِنَ الدَّجَى اسْتِنَاقَهُ ، حَسَدًا ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِغَيْرِ الْأَرْجُلِ
فَكَأَنَّهُ صَبَغُ الشَّيْبَةِ هَابَهُ وَخَطُ الْمَشِيبِ ، فَجَاءَهُ مِنْ أَسْفَلِ

١ الحمل : يَرَجُ فِي السَّمَاءِ .

أغر تبري

وقال في فرس له أشقر محجل :

وأغرَّ تَبْرِيَّ الإهابِ مُرَدَّدٍ ، سَبَطِ الأديمِ مُحَجَّلٍ بِيَاضِ
أخشَى عليه بِأنْ يُصَابَ بِأسْهُمِي ، ممَّا يُسَابِقُنِي إلى الأغراضِ

الطرف المتخير

وقال في فرس له سابق :

وطِرفٍ تَخَيَّرْتُهُ طُرْفَةً ، وأحْبَبْتُهُ من جَمْعِ التُّراثِ
حَوَى بِيَدَائِعِ أوصافِهِ مَضَاءَ الذَّكُورِ وَصَبَرَ الإناثِ
إذا انْقَضَ كالصَّقْرِ في مَعْرَكٍ ، تَرَى الخَيْلَ في لَأْثَرِهِ كالبُغَاثِ
طَوِيلِ الثَّلَاثِ ، قَصِيرِ الثَّلَاثِ ، عَرِيضِ الثَّلَاثِ ، فَسِيحِ الثَّلَاثِ

١ الثلاث الأولى : العنق والاذن والذيل . والثانية : الظهر والرسغ والعنقب . والثالثة : الصدر والجهة والكفل . والرابعة : المنخر والعين والسر وال .

وعادية إلى الغارات

وقال في حجرة دهماء محجلة :

وعادية إلى الغارات ضبحاً ، تُريكَ لَقَدَحٍ حافرِها التِهَاباً
كأنَّ الصَّبَحَ أَلْبَسَهَا حُجُولاً ، وَجِنَحَ اللَّيْلِ قَمَصَهَا إِهَاباً
جَوَادٌ فِي الْجِبَالِ تُخَالُوعُلاً ، وَفِي الْفَلَوَاتِ تَحْسِبُهَا عُقَاباً
إِذَا مَا سَابَقَتْهَا الرِّيحُ فَرَّتْ ، وَأَبْقَتْ فِي يَدِ الرِّيحِ التُّرَاباً

مروج للقلوب

قال في واد خصيب واقترح عليه
هذا الوزن عروض أبيات للقاضي
المأدي :

ووادٍ تَسْكُرُ الأرواحُ فيه ، وَتَخْفِقُ فيه أرواحُ النَّسيمِ
به الأَطْيَارُ قد قالتْ ، وَقالتْ كَلاماً شافياً داءَ الكَلِيمِ
تَسْلَسَلُ في خَمَائِلِهِ مِياهٌ ، يُقَدُّ أَدِيمُهَا قَدَّ الأَدِيمِ
مَروِجٌ للقلوبِ بها امتزاجٌ ، كأنَّ عِيونَهَا أَيْدِي الكَرِيمِ

١ الفصح : من ضبجت الخيل في عدوها إذا أَسَمَتِ صوتاً ليس بصهيل ولا ححمة .

لها أَرْجُ اللَّطِيمَةِ حِينَ يَنْشَأُ ، وَرَقَّةٌ مَنظَرِ الْخَدِّ اللَّطِيمِ
 بَنُورٍ عَنِ الْأَنْوَارِ يُغْنِي ، وَزَهْرُ النِّجْمِ عَنِ زُهْرِ النُّجُومِ^١
 نَزَلْنَا فِيهِ ، وَالْأَكْبَادُ حَرَى ، فَتَجَانَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ
 فَرُوحَ ظِلُّهُ رُوحَ الْأَمَانِي ، وَأُخْمَدَ بَرْدُهُ نَفْسَ السَّمُومِ
 وَنَفْسٌ إِذْ تَنْفَسُ مِنْ كُرُوبِي ، وَفَرَجَ ، حِينَ أَرْجَ ، مِنْ هُمُومِي
 وَأَفْرَشْنَا مِنَ الْأَزْهَارِ بُسْطًا ، مُسَرَّدَقَةً^٢ ، بِأَسْتَارِ الْغُيُومِ^٣
 جَمَعْنَا لِلْمَسَامِعِ فِي ذَرَاهُ ، هَدِيلَ حَمَائِمٍ وَهَدِيرَ كُومِ^٣
 وَقَضَيْنَا بِهِ بِاللَّهِوِ يَوْمًا ، بِهِ سَمَحَتْ حَشَا الدَّهْرِ الْعَقِيمِ

عود به عاد السرور

وقال في وصف عود الطرب :

وَعُودٌ بِهِ عَادَ السَّرُورُ ، لِأَنَّهُ حَوَى اللَّهَوَ قِدَمًا وَهُوَ رَيَّانٌ نَاعِمٌ
 يُغْرِبُ فِي تَغْرِيدِهِ ، فَكَأَنَّهُ يُعِيدُ لَنَا مَا لَقْنَتْهُ الْحَمَائِمُ

١ النجم : ما نجم أي طلع من النبات .

٢ مسردة ، من سرددق البيت : نصب عليه السراقد ، الخيمة .

٣ الكوم : النياق .

شدو ورقة ولطف

عُودٌ حَوَتْ فِي الْأَرْضِ أَعْوَادُهُ ، كُلَّ الْمَعَانِي ، وَهُوَ رَطْبٌ قَوِيمٌ
فَحَازَ شَدُوَ الْوَرَقِ فِي سَجْعِهِ ، وَرَقَةَ الْمَاءِ وَلُطْفَ النَّسِيمِ

قلوب المعاني

وقال في صفة رسالة
وصلته من أحد الفضلاء :

مَعَانٍ حَكَّتْ فِي قُلُوبِ الْأَنَامِ ، مَنَالِ الْأَمَانِي وَنَيْلِ الْأَمَانِ
بِنَسْرِ يَنْظُمُ شَمْلَ الْعُلُومِ ، وَنَظْمٍ يَقْلَدُ جِيدَ الزَّمَانِ
وَتَنْمِيقِ خَطٍّ كَمَا نَمَقَتْ خُطُوطُ الْغَوَالِي خُدُودَ الْغَوَانِي
وَأَبْيَاتِ شَعْرِ ، إِذَا أُورِدَتْ حَكَّتْ فِي الْجَمَالِ عَقُودَ الْجُمَانِ
فَكَمْ بَكَرٍ مَعْنَى حَوَى طَيْرُهَا ، وَإِنْ كَانَ فِي جِسْمٍ لَقْظٌ عَوَانِ
إِذَا مَا شَقَقَتْ صُدُورَ الْبُيُوتِ ، وَجَدَتْ بَيْنَ قُلُوبِ الْمَعَانِي

١ العوان : ما كان في منتصف السن من كل شيء .

حسد وغيرة

وقال في وصف مغنية بالعود :

أشجَّتْكَ بالتَّغْرِيبِ في تَغْرِيدِها ،	فَطَنَّتْ مَعْبَدَ كانَ بَعْضَ عَيْدِها
وَشَدَّتْ فَأَيَّظَّتِ الرَّقُودَ بِشَدْوِها ،	وَأَعَارَتْ الأَيْقَاطَ طَيْبَ رُقُودِها
خَوْدٌ شَدَّتْ بِلِسَانِها وَبِنَانِها ،	حَتَّى تَشَابَهَ ضَرْبُها وَنَشِيدِها
فَكَانَ نَغْمَ عُوْدِها في صَوْتِها ،	وَكأنَ رَقَّةَ صَوْتِها في عُوْدِها
فَطَنَّتْ لَأَبْعَادِ الشَّدُودِ ، فَنَاسَبَتْ	بِالْعَدَلِ بَيْنَ قَرِيبِها وَبَعِيدِها
كَمَلَّتْ صَنَائِعُ وَضَعِها فَكَأَنَّمَا	وَرِثَتْ أَصُولَ العِلْمِ عَن دَاوُدِها
تَسْبِي العُقُولِ فَصَاحَةٌ وَصَبَاحَةٌ ،	فَتَحَارُّ بَيْنَ طَرِيفِها وَتَلِيدِها
مِن لَهْجَةٍ مَكْسُوبَةٍ ، أَوْ بَهْجَةٍ	مَنْسُوبَةٍ ، تَحُلُو لَعَيْنَ حَسُودِها
إِنِّي لِأَحْسُدُ عُوْدَها إِنْ عَانَقَتْ	عِطْفِيهِ ، أَوْ ضَمَّتْهُ بَيْنَ نُهُودِها
وَأَغَارُ مِنْ لَثْمِ الكُؤُوسِ لِثَغْرِها ،	وَأَذُوبُ مِنْ لَمَسِ الحُلِيِّ لِجِيدِها

١ قوله : الشدود ، لعله يريد مفاتيح الأوتار .

ولائي لأهو

وقال في صفة النايات والشيزات
والشموع والفانوس بمجلس الملك
المنصور وقد اقترح عليه أن يميز بيني
محبي الدين بن زبلاق الملقب فيهما بالشباب
بتضمين نصف بيت من الحماسة وهما :

وناطقة عجماء باد شحوبها ، يكتفها عشر وعهن تخبر
يلد إلى الأسراع رجع حديثها ، إذا سد منها منخر جاش منخر

وقال رحمه الله أن يكون الإجازة
بتضمين مناسب لذلك فنظم وجمع
الاعجاز مضمنة من الحماسة :

ولائي لأهو بالمُدام ، ولانها	لموردُ حَزَمٍ إن فعلتُ ومصدَرُ
ويُطربُني في مجلسِ الأَنسِ بَيْننا	أنايبُ في أجوافِها الرِّيحُ تصفِرُ
ودُهمٍ بأيدي الغانياتِ تَقَعَقَعَتْ	مفاصلُها من هَوَلٍ ما تَتَنظَرُ
وصفَرِ جفونٍ ما بَكَتْ بمِدامِ ،	ولكنها رُوحٌ تَدُوبُ وتَقْطُرُ
وأشْمَطَ مَحَنِي الضُّلوعِ على لَطَى	بهِ الضَّرُّ إلّا أَنهُ يَتَسَتَّرُ
إذا انجابَ جِنحُ اللَّيْلِ ظَلَّتْ ضُلوعُهُ	مَجْرَدَةً تَضْحَى لَدَيْكَ وتُعْصِرُ

دجى كالصبح

وقال في صفة مجلس أنس حضره :

ومجلسٍ لذّةٍ أَمسى دُجَاهُ ، يُضيءُ كأنّه صُبْحٌ مُنِيرُ
تَجَمَّعَ فيه مَشْمُومٌ وراح ، وأوتارٌ وولدانٌ وحُورُ
تَلَذَّذَتْ الحواسُ اللَّمسُ فيه بخَمْسٍ يَسْتَمُّ بها السَّرورُ
فكانَ الضَّمُّ قسَمَ اللَّمسِ فيه ، وقسمُ الذَّوقِ كاساتٍ تَدورُ
وللسمعِ الأغاني ، والغواني لأعيننا ، وللشمِّ البَخُورُ

اوصاف كوصفي

وقال في صفة الشمع :

في الشمعِ أوصافٌ كوصفي أوجبتُ حُبِّي لهُ والبعدَ عن أضدادِه
جَرَيانُ أدمعِهِ وصُفْرَةُ لونِهِ ، وسُهادُ مُقلَّتِهِ وذَوْبُ فؤادِه

خرَد شائبة

وقال أيضاً وفيه خمسة عشر تشبيهاً :

جَلَّتِ الظُّلَمَاءُ بِاللَّهَبِ ، إِذْ بَدَتْ فِي اللَّيْلِ كَالشَّهْبِ
فَانْجَلَّتْ فِي تَاجِهَا ، فَجَلَّتْ ظَلَمَ الْأَحْزَانِ وَالْكَرْبِ
خُرْدٌ شَابَتْ ذَوَائِبُهَا ، وَفُرُوعُ اللَّيْلِ لَمْ تَشِبْ
سَفَرَتْ كَالشَّمْسِ ضَاحِكَةً مِنْ تَوَارِي الشَّمْسِ فِي الْحُجُبِ
مَا رَأَيْنَا قَبْلَ مَنْظَرِهَا ، ضَاحِكًا فِي زِيٍّ مُتَّحِبِ
كَيْفَ لَا تَحْلُو ضَرَائِبُهَا ، وَبِهَا ضَرَبٌ مِنَ الضَّرْبِ
خَلَّتْهَا ، وَاللَّيْلُ مَعْتَكِرٌ ، وَنَجْمُ الْأَفَقِ لَمْ تَغِبْ
قُضْبًا مِنْ فِضَّةٍ غُرِسَتْ فَوْقَ كُثْبَانٍ مِنَ الذَّهَبِ
أَوْ يَوَاقِينًا مُنْضَدَّةً ، بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَى قُضْبِ
أَوْ أُسَارِيعًا عَلَى عَمَدٍ ، أَشْرَقَتْ فِي زِيٍّ مُرْتَقِبِ
أَوْ رِمَاحًا فِي الْعِدَى طُعِنَتْ ، فَغَدَتْ مُحَمَّرَةً الْعَدَبِ
أَوْ سِهَامًا نَصَلُهَا ذَهَبٌ ، لِسَوَى الظُّلَمَاءِ لَمْ تُصِبْ
أَوْ أَعَالِي حُمْرِ أَلْوِيَةٍ نُشِرَتْ فِي جَحْفَلٍ لِحِبِ
أَوْ شَعَفِ الرُّومِ قَدْ رُفِعَتْ فَوْقَ أَطْرَافِ الْقَنَا الْأَشْبِ^٣

١ الضرب : العمل .

٢ الأساريع : دود أبيض الأبدان أحمر الرؤوس .

٣ الشعاف : أراد القلوب . الأشب : الملتف .

أو قياناً من ذوائبها	شَفَقَ ^١ للشمس لم يغيب
أو شواظاً للقرى رُفِعَتْ	تَترأى في ذرى كُثْبِ
أو لظى نارِ الحُبابِ قد	لَمَعَتْ للعَيْنِ عن لَبِّ
أو عيونَ الأُسْدِ مُوصِدةً	في ذرى غابٍ من القَصَبِ
أو حدودَ الغيدِ ساطعةً	أُشْرَقَتْ في فاقعِ النُقْبِ ^٢
أو شقيقَ الرّوضِ منتظِماً	فوقَ مَجْدُولٍ من القَصَبِ
أو ذرى تيلوفرٍ رُفِعَتْ	فوقَ قُضبانٍ من الغَرَبِ ^٣

مرحباً مرحباً

وقال يصف شموماً أحضرها الفلمان
بمجلس أنس وطرحوا تحتها المداوير :

مَرَحَباً مَرَحَباً بأبطالٍ لَهوٍ ،	شُهْبُهُمْ سُمْرُهُمْ إذا اللَّيْلُ جَنَّا
مزقوا جحفلَ الظلامِ وخاضوا	نَقْعَهُ بالضياءِ فانجبابَ عَنَّا
برِمَاحٍ لها أَسَنَةٌ نارٍ ،	قد أبادَتْ عَسَاكِرَ اللَّيْلِ طَعَنَّا

١ اللبب : ما استرق من الرمل .
٢ الفاقع : الخالص الصافي من الألوان .
٣ الغرب : نوع من الشجر .

تَتَشَنَّى ، سِنَانُهَا غَيْرُ وَاَنِ ، وَقَنَاها بِالْعِزِّ لَا تَتَشَنَّى
إِنْ أَرَادُوا لَهَا عَلَى الْوَشْيِ رَكْزاً وَضَعُوا تَحْتَ كُلِّ لَدْنٍ مِجَنّاً

عذر الصبح

وقال في شفق الصبح وهي
لزوم ما لا يلزم :

أَنْكَرَ الصَّبْحُ دَمَ اللَّيْلِ ، وَفِي الْعُنْدِ تَوَصَّلَ
وَتَرَدَّتْ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ ثَوْباً لَمْ يُفْصَلْ
فَبَكَى الطَّيْرُ بَنُوحِ أَجْمَلَ الْقَوْلِ وَفَصَلَ
قَالَ : عُنْدُ الصَّبْحِ فِي إِذْ كَارِهِ لَا يَتَحَصَّلُ
دَمُهُ فِي بُرْدَتَيْهِ ، وَهُوَ مِنْهُ يَتَنَصَّلُ

الابريق الفأفاء

وقال في صفة إبريق المدام :

وإبريق له نُطْقٌ عَجِيبٌ ، إِذَا مَا أُرْسِلَتْ مِنْهُ السَّلَافُ
كَفَأَفَاءٍ تَلَجَلَجَجَ فِي حَدِيثٍ يَرْدَدُ لَفْظُهُ وَالْفَاءُ قَافُ

١ الفأفاء : الذي يكثر الفاء ويتردد فيها في كلامه .

بجر من الحسن

وقال في صفة رواقص بمجلس :

بجر من الحسن لا ينجو الغريقُ به إذا تَلاطَمَ أعطافُ بأعطافِ
ما حرَّكته نسيمُ الرقصِ من مَرَحٍ إلا وماجتُ به أمواجُ أردافِ

الطباع الأربع

وقال في صفة حمام دخله مع
أحد الملوك :

لم أنسَ ، ما عِشْتُ ، حمَّاماً دخلْتُ به ما بينَ كلِّ رَخيِمٍ الدَّلَّ فتانِ
في جَنَّةٍ من طِباعٍ أربعٍ جُمِعَتْ : أرضٍ وماءٍ وأهواءٍ ونيرانِ
فَنِلْتُ من حرِّها برداً على كَبِيدِي ، وفُزْتُ من مالِكٍ منها برُضوانِ
فاعجَبْ لها جَنَّةٌ فيها جَنَيمٌ لَطَى تُذَكِّي ولم تخلُ عن حُورٍ وولدانِ

١ قوله : حرَّكته النسيم ، أنت النسيم وهو يريد به الريح .

أخو الحروب

وقال في صفة ترس وكتبها عليه :

لئن لم يتمض لي حدٌ فكم قد فلكتُ الحدَّ في الحربِ العوانِ
ولاني لا أزالُ أخا حروبٍ ، إذا لم أجنِ كنتُ ميّجنَ جانِ

دأبه للفتح

وقال في صفة باب وكتب عليه :

وبابٍ ، إذا أمَّه قاصِدٌ ، رآه من الغيثِ أدنى وأندى
له الفتحُ دأبٌ ، ومن شأنه يُردّ وقاصِدهُ لن يُردّا

جنة وكوثرها

وقال في صفة مدينة بغداد :

ما بعدَ بغدادَ للنفوسِ هوى ، رَقَّ هواها وراقَ منظرُها
كانَّها جنةٌ مزخرفةٌ ونهرُ عيسى النَميرُ كوثرُها

نهر من الذهب

وقال أيضاً في صفة ما بين جسرهما
وقد رمى البدر شعاعاً ممتداً به :

انظرْ إلى بركةِ الجِسْرَيْنِ حينَ بَدَا للبَدْرِ فيها عَمُودٌ ساطِعُ اللَّهَبِ
كالصَّرْحِ حَفَّ به سِكرانٌ من سَبَجٍ وسالَ في وَسْطِهِ نَهْرٌ من الذَّهَبِ

كأن دجلة

وقال في صفة جسر وقد قطعته الريح :

وكانَ دِجْلَةٌ ، والريّا حُ تُغَيِّرُ كالحَيْلِ التَّوَاظِي
والجِسْرُ واهي السِّلْكِ من فَرَطٍ اضْطرابٍ واهْتِزَازِ
ثوبٌ تُجَنِّدِرُهُ الريّا حُ ، وقد أَضْرَتْ بالطَّرَازِ

١ تجندره : أراد تجدد نقشه .

جنة فيها شياطين

وقال يصف مدينة حلة بابل :

من لم ترَ الحلةَ الفِجاءَ مُقلَّتُهُ فإنه في انقضاءِ العمرِ مَغْبُونُ
أرضٌ بها سائرُ الأهوالِ قد جُمِعَتْ كما تَجَمَّعَ فيها الضَّبُّ والنَّونُ
فالغُدُرُ طافحةٌ ، والريحُ نافحةٌ ، والورقُ صادحةٌ ، والطلُّ مَوْضُونُ^١
ما شأنها غيرُ بغيِ الجاهلينَ بها كأنها جَنَّةٌ فيها شياطينُ

حبذا ماردین

وقال يصف ماردین :

حبّذا أرضُ ماردینَ وبرّ الـ ظلّ فيها وماؤها وهواها
بلدةٌ تُنبتُ الكِرامَ فلا ذُقْ تُفَنّاهم ولا عَدِمْتُ فِناها
فهي أرضٌ إن لم تكن هي ذات الـ نفسٍ مِنِّي ، فإنّها مُشْتَهَاها
جمعتُ سائرَ المُنَى ، فلهذا ما أتاها ذو الحِلْمِ إلّا وتاها
كم رأينا لها وفيها ومنها صُوراً تَسْفِكُ الدِّماءَ دُماها
لو تمكّنتُ أن أقضي بها العُمـ رَ جَمِيعاً لما سكّنتُ سِواها

١ الموضون : المتضد .

وادي الغرس

وقال يصف وادياً يعرف بالغرس :

للهِ وادي الغرسِ حينَ حلَّتْهُ ، زَمَنًا كَأَنَّ العيشَ فيه مَنَامُ
واديَ حريريِّ الرِّياضِ فكَمَ بهِ من حارِثٍ يَغْدُو بهِ وهُمَامُ
ممتدُّ أوديَّةِ الظَّلَالِ فقعرُهُ باكي العيونِ وثغرُهُ بَسَامُ
فالشمسُ فيه مدى النهارِ فطيمةٌ ، والظلُّ كَهَلٌ ، والنَّسيمُ غُلامُ

قاهرة المعز

وقال يصف القاهرة :

للهِ قاهرةُ المعزِ ، فإنَّها بلدٌ تَخَصَّصَ بالمسرةِ والهنا
أوما تَرَى في كلِّ قُطْرٍ مُنيَّةٌ من جانبِها ، وهي مجتمِعُ المُنَى

النيل الوافي

وقال يصف نيل مصر حين
وفي ماؤه :

وفي النيل، إذ وقى البسيطة حقها، وزاد على ما جاءه من صنائع
فما إن توفى الناس من شكر منعم يُشار إلى إنعامه بالأصابع

إظهار معروف وإضمار دين

وقال يصف ماردین :

لئن وهى عقد السحاب الثمين فلا عدا ربك يا ماردین
مدينة لم تر في جوها جوراً ، ولا في أهلها ماردین
كم شاهدت عيني من أهلها إظهار معروف وإضمار دين
أفاضل في غيتهم ما ردوا ، ونسوة في مثله ما ردين

قرة للعيون

وقال يصف الحلة أيضاً :

ما حِلَّةُ ابنِ دَيْسٍ ، إلاَّ كحِصْنٍ حَصِينِ
للقَلْبِ فيها قَرَارٌ ، وقُرَّةٌ للعيُونِ
إنْ أَصْبَحَ الماءُ غَوْرًا جاءَتْ بِماءٍ مَعِينِ
وحَوَّلَهَا سُورُ طِينٍ ، كأنَّهُ طُورُ سِينِ

داء الوجد

ظَنَنْتُ قَوْمِي أَنَّ الأُسَاةَ سَتَبْرِي داءَ وَجْدِي ، وَذاكَ شيءٌ بَعِيدُ
فَأَتَوْا بِالطَّيِّبِ ، وَهُوَ لَعَمْرِي فِي ذَوِي فَتْنَةٍ مُجِيدُ مُجِيدُ
مَذْرَأَى عِلَّتِي ، وَقَدْ لَاحَ لِلْمَوِّ تِ عَلَيْهَا أَدِلَّةٌ وَشُهُودُ
جَسَّ نَبْضِي وَقَالَ : مَا أَنْتَ شَاكٍ ؟ قُلْتُ : نَارًا لَمْ يُطْفِئِهَا التَّبْرِيدُ
فَعَدَا يُخْلِصُ الدَّوَاءَ ، فَأَلْفَى نَارَ وَجْدِي مَعَ الدَّوَاءِ تَزِيدُ
قَالَ : مَا كَانَ أَصْلُ دَائِكَ هَذَا ؟ قُلْتُ : طَرَفِي ، وَذاكَ حَالٌ شَدِيدُ

١ يخلص : يختار .

قال : إِنَّ الهَوَاءَ أَحَدَثَ بَلَوَا لك ، فقلتُ : المَقْصُورُ لَا المَمْدُودُ
فانثني حائراً ، وقال لقومي : ما دواءُ العُشاقِ إِلَّا بَعِيدُ

لله خط كتاب

وقال في صفة كتاب مجلد أهدي
إليه وكتبها عليه :

لله خط كتاب خلته دُرُراً ، أو رَوْضَةً رَصَعَتْهَا السُّحُبُ بِالْبَرَدِ
أبدت بظاهره أيدي مُجَلِّدِهِ نَقَشًا عَلَى جِلْدَةٍ أَوْهَتْ بِهِ جِلْدِي

فخر الشعر

وقال يصف الشعر وفضله :

كَفَى الشَّعْرَ فَخْرًا أَنَّهُ كُلُّ مُشْكِلٍ من الذِّكْرِ فِي تَفْسِيرِهِ جِيءَ بِالشَّعْرِ
وإن أَشْكَلَتْ فِي الشَّرْعِ غَامِضٌ نَكْتَةٌ إِلَى النِّظْمِ يُلْجَا حِينَ يُعَوِّزُ بِالنَّثَرِ

الباب الرابع

في الإخوانيات وصدور المراسلات

اخلاي بالفيحاء

قال وكتب بها إلى الشيخ العالم
مذهب الدين محمود بن يحيى النحوي
الحلي من ماردین یصف فیها حال مقامه
بها وإقبال سلطانها علیه من بحر الطویل :

أَخْلَايَ بِالْفَيْحَاءِ إِنْ طَالَ بَعْدُكُمْ ،
وَلِنْ يَخْلُ مِنْ تَكَرَّارِ ذِكْرِي حَدِيثُكُمْ ،
فَوَاللَّهِ لَا يَشْفِي نَزِيفَ هَوَاكُمُ
أَرَى كُلَّ ذِي دَاءٍ يُدَاوَى بِضِدَّتِهِ ،
أَطَالِبُ نَفْسِي بِالتَّصَبُّرِ عَنْكُمْ ،
فَإِنْ كَانَ عَصْرُ الْآنَسِ مِنْكُمْ قَدْ انْقَضَى ،
بَكَيْتُ لِفَقْدِ الْأَرْبَعِ الْخَضِرِ مِنْكُمْ ،
فَكَيْفَ بَقِيَ إِنْسَانٌ عَيْنِي ، وَقَدْ مَضَى
فَأَنْتُمْ إِلَى قَلْبِي كَسَحَرِي مِنْ نَحْرِي
فَلَمْ يَخْلُ يَوْمًا مِنْ مَدِيحِكُمْ شِعْرِي
سَوَى خَمْرِ أَنْسٍ كَانَ مِنْكُمْ بِهَا سَكْرِي
وَلَيْسَ يُدَاوَى ذُو الْخُمَارِ بِلَا خَمْرِ
وَأَوَّلُ مَا أَفْقِدْتُ ، بَعْدَكُمْ ، صَبْرِي
فَوَالْعَصْرِ إِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ فِي خُسْرِي
عَلَى الرَّمْلَةِ الْفَيْحَاءِ بِالْأَرْبَعِ الْخَضِرِ
عَلَى ذَلِكَ الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ

١ السحر : الرقة .

سَقَى رَوْضَةَ السَّعْدِيِّ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ
وَحَيَاتِ الْحَيَا مَغْنَى قَضَيْتُ بِرَبِّهِ
وَرُبَّ نَسِيمٍ مَرَّ لِي مِنْ دِيَارِكُمْ ،
وَأَذَكَّرَنِي عَهْدًا ، وَمَا كُنْتُ نَاسِيًا ،
فَيَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي عَقَدْتُ حُبَّهُ
تُجَاذِبُنِي الْأَشْوَاقُ نَحْوَ دِيَارِكُمْ ،
مَخَافَةَ مَذَاقِ اللِّسَانِ يُسْرَ لِي
وَيَسْرُ لِي حَبَّ الْوَفَاءِ تَمَلُّقًا
وَمَا أَنَا مَنْ يُلْقَى إِلَى الْخَتَفِ نَفْسُهُ ،
إِذَا كَانَ ذِكْرُ الْمَرْءِ شَيْخَ حَيَاتِهِ ،
وَلَكِنْ لِي فِي مَارْدِينَ مَعَاشِرًا ،
مُلُوكٌ ، إِذَا أَلْقَى الزَّمَانُ حَبَالَهُ ،
وَمَا أَحْدَثَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ إِسَاءَةً ،
إِذَا جَسَّهُمْ مَسْتَصْرِخًا حَقَّقْنُوا دَمِي ،
عِزَائِمُ مَنْ لَمْ يَخْشَ بِالْبَطْشِ مَنْ رَدَى ،
وَرَوَّاءُ بِمَاءِ الْجُودِ غَرَسَ أَيْهِمُ ،
وَقَتَلَدَنِي السُّلْطَانُ مِنْهُ بِأَنْعُمٍ ،
هُوَ الصَّالِحُ الْمَلِكُ الَّذِي صَلَّحْتُ بِهِ
بَيَّيْتُ بِهَا كَفِّي عَلَى الْفَتْحِ بَعْدَمَا

سَحَابٌ ضَحُوكُ الْبَرْقِ مُتَحَبُّ الْقَطْرِ
فُرُوضِ الصَّبَا مَا بَيْنَ رَمْلَةٍ وَالْجَسْرِ
فَقَاحَ لَنَا مِنْ طَيِّهِ طَيِّبُ النَّشْرِ
وَلَكِنَّهُ نَجْدِيدُ ذِكْرٍ عَلَى ذِكْرٍ
تَنْزَلَ مِنِّي مَنَزِلَ الرُّوحِ مِنْ صَدْرِي
وَأَحْذَرُ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَدْرِي
ضُرُوبَ الرَّدَى بَيْنَ الْبَشَاشَةِ وَالْبِشْرِ
وَيَنْصُبُ لِي مِنْ تَحْتِهِ شَرَكَ الْغَدْرِ
وَيَجْهَدُ فِي اسْتِخْلَاصِهَا مِنْهُ بِالْقَسْرِ
فَإِنَّ طَرِيفَ الْمَالِ كَالْوَاوِ فِي عَمْرٍو
شَدَدَتْ بِهِمْ ، لَمَّا حَلَلْتُ بِهَا ، أَزْرِي
جَعَلْتُهُمْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ذُخْرِي
وَوَافَيْتُهُمْ إِلَّا أَنْتَقَمْتُ مِنَ الدَّهْرِ
وَلِنْ جَسَّهُمْ مُسْتَجْدِيًا وَفَرَّوْا وَفَرِي
وَلِإِنَّمَا مَنْ لَمْ يَخْشَ بِالْجُودِ مِنْ فَقْرٍ
فَأَيْنَعَ فِي أَغْصَانِهِ ثَمَرُ الشُّكْرِ
أَخَفَّ بِهَا نَهْضِي وَإِنْ أَثْقَلْتُ ظَهْرِي
أُمُورُ الْوَرَى وَاسْتَبْدَلَ الْعُسْرُ بِالْيُسْرِ
بَنَتْ نُوبُ الْأَيَّامِ قَلْبِي عَلَى الْكَسْرِ

وَبُدِّلْتُ مِنْ دُهِمِ اللَّيَالِي وَغَيْرِهَا ،
 حَطَّطْتُ رِحَالِي فِي رَيْسِ رُبُوعِهِ ،
 مَنَازِلُ مَا لَاقَيْتُ فِيهَا نَدَامَةً ،
 فَلَمْ يَكْ كَالْفِرْدَوْسِ غَيْرُ سَمِيَّةِ ،
 وَوَادٍ حَكَمَى الْخَنَسَاءِ لَا فِي شَجُونِهَا ،
 كَانَ بِهِ الْجُودَانِ بِالسُّحْبِ شَامِتٌ ،
 تَعَانَقَتِ الْأَغْصَانُ فِيهِ فَأَسْبَلْتُ
 إِذَا مَا حِبَالُ الشَّمْسِ مِنْهَا تَخَلَّصَتْ
 تُدَارُ بِهِ ، مِنْ دَيْرِ شَهْلَانَ ، قَهْوَةً
 إِذَا مَا حَسَوْنَاهَا ، وَسَارَ سُرُورُهَا
 نَعِيدٌ لَهَا نَقْلَ الْفَكَاهَةِ وَالْحِجَى ،
 وَنَحْنُ نُوَفِّي الْعِشْرَ بِاللَّهْوِ حَقَّهُ ،
 وَقَدْ عَمِنَا فَصْلُ الرَّبِيعِ بِفَضْلِهِ ،
 فَيَا أَبَتَا الْمَوْلَى الَّذِي وَصَفُ فَضْلِهِ
 أَبْثُكَ بِالْأَشْعَارِ فَرَطَ تَشْوَقِي ،
 وَأَعْجَبْتُ شَيْءٍ أَنْتَنِي مَعَ نَيْقَظِي ،
 أَسُوقُ إِلَى الْبَحْرِ الْخَضَمَ جَوَاهِرِي ،
 فَمَنْ ، فَدَتِكَ النَّفْسُ ، بِالْعُدْرِ مُنْعِمًا

لَدَيْهِ ، بِأَيَّامٍ مُحَجَّلَةٍ غُرٍّ
 وَلَوْلَاهُ لَمْ أَتْنِ الْأَعْنَةَ عَنْ مِصْرِي
 سِوَى أَنْتَنِي قَضَيْتُ فِي غَيْرِهَا عُمْرِي
 مِنَ الْخُلْدِ لَا خُلْدُ الْخَلِيفَةِ وَالْقَصْرِ
 وَلَكِنْ لَهُ عَيْنَانِ تَجْرِي عَلَى صَخْرٍ
 فَمَا انْتَجَبَتْ إِلَّا أَنْتَنِي بِاسْمِ الشَّغْرِ
 عَلَى الرُّوضِ أَسْتَارًا مِنَ الْوَرَقِ الْخُضْرِ
 إِلَى رَوْضِهِ أَلْقَتْ شِرَاكًا مِنَ التَّبْرِ
 جَلَّتْهَا لَنَا أَيْدِي الْقُسُوسِ مِنَ الْخَلْدِ
 إِلَى مُتْنَهَى الْأَفْكَارِ مِنْ مَوْضِعِ السَّرِّ
 وَنَجَلُو عَلَيْهَا بِهَجَّةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
 وَنَسْرِقُ سَاعَاتِ السَّرُورِ مِنَ الْعَمْرِ
 فَبَادَرْنَا بِالْوَرْدِ فِي أَوَّلِ الْقَطْرِ
 يَجِلُّ عَنْ التَّعْدَادِ وَالْحَدِّ وَالْحَصْرِ
 وَلَا أَنْعَاطِي حَصَرَ وَصْفِكَ بِالشَّعْرِ
 إِلَى مُخْلَصِ الْأَلْفَاظِ مِنْ شَرِكِ الْهَجْرِ
 وَأَهْدِي إِلَى أَبْنَاءِ بَابِلَ مِنْ سِحْرِي
 عَلَيَّ ، وَشَاوَرِ حَسَنَ رَأْيِكَ فِي الْأَمْرِ

المزار عزيز

وقال وقد راسله الشيخ المذكور
بقصيدة أولها :
عبد العزيز عليّ أنت عزيز
ولمجدك التعظيم والتعزير

مَنْ لِي بِقُرْبِكَ ، وَالْمَزَارُ عَزِيزُ ، طُوبَى لِمَنْ يَحْظَى بِهِ وَيَقْوَزُ ،
فَلَوْ اسْتَطَعْتُ رَفَعْتُ حَالِي نَحْوَكُمْ ، لَكِنَّ رَفَعَ الْحَالِ لَيْسَ يَجْوزُ
يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي آرَاؤُهُ حِرْزُ لَنَا ، فِي النَّائِبَاتِ ، حَرِيزُ
عَرِضَ الْعَرُوضُ فَلَمْ تَرْعَكَ دَوَائِرُ مِنْهُ وَلَمْ تُشْكِلْ عَلَيْكَ رُمُوزُ
وَكَذَا اقْتَفَيْتَ مِنَ الْقَوَافِي لِأَثَرِهَا ، فَأَطَاعَكَ الْمَقْصُورُ وَالْمَهْمُوزُ
وَضَرَبْتَ نَحْوَ النَّحْوِ هِمَّةً أَوْحَدٍ ، أَضْحَى لَهُ فِي حَالِهِ تَمَيِّزُ
لَوْ كُنْتَ جِئْتَ بِهِ قَدِيمًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِتَبْرِيزٍ لَهَا تَبْرِيزُ
وَلَقَدْ هَزَزْتُ إِلَيْكَ دَوْحَ قَرِيحَتِي ، مَدَحًا ، فَأَيْنَعَ دَوْحُهَا الْمَهْزُوزُ
وَسَبَكْتُ مَدْحَكَ فِي بَوَاطِقِ فِكْرَتِي ، إِذْ فِي الْبَوَاطِقِ يُسَبِّكُ الْإِبْرِيزُ^١
صَغْتُ الْقَرِيضَ ، وَلَمْ أَقْلُهُ تَكَلُّفًا ، لَكِنَّهُ طَبَعَ لَدَيَّ عَزِيزُ
أَجْلُو عَلَيْكَ مِنَ الْقَرِيضِ عَرَائِسًا ، مِنْ خَيْرِ أَبْكَارِي لَهْنٌ بِرُوزُ
أَبْكَارُ أَفْكَارٍ تَزْفُ كَوَاعِبًا ، لَا كَالْعُقَارِ تَزْفُ وَهِيَ عَجُوزُ

١ تبريز الأولى : مدينة في إيران . تبريز الثانية من برز على أقرانه : تفوق . يشير هنا إلى أبي
زكريا التبريزي أحد العلماء المشهورين في فقه اللغة .
٢ البواطق ، الواثق ، الواحدة بوتقة : الوعاء الذي يذيب الصائغ فيه المعدن . الإبريز : الذهب الخالص .

يا ديار الأحباب

وقال وكتب بها إلى ابن عم
له بالخلة من حساة :

أثرى البارق ، الذي لاح ليلا ،
وثرى السحب مذ نشأ ثقالا ،
ما أضا البارق العراقي ، إلا
وتذكرت جيرة بمغانية
عمنا بالوداد في حالة القر
وحملنا بضاعة الشكر مزجا
كيف أنسى تلك الديار ومعنى
أتمنى العراق في أرض حرا
يا ديار الأحباب ما كان أهني ،
كم جلونا بأفك البدر صبحا ،
وأمتنا الأعداء لما جعلنا
أنندي في حياك كعبا ، ومعنى ،
أورد العيس نهر عيسى وطورا
مر بالحي من مراع ليلى
سحبت في ربوع بابل ذبلا
أرسلت مقلتي من الدمع سيلا
هـ ونبدأ من آل سنيس قبلا
ب ، وأهدى لنا على البعد نبلا
ة ، فأوفى لنا من الود كبلا
عامرا قد ريت فيه طقبلا
ن ، وهل تدرك الثريا سهيلا
بمغانيك ، عشنا ، وأحبل
واجعلينا بجوك الشمس ليلا
سور تلك الديار رجلا وخيلا
وإذا شئت سنيسا وعقبلا
أورد الخيل دجلة ودجبل

١ المزجاة : الشيء القليل أو الرديء .

٢ جلونا : كشفنا . اجعلنا الشيء : نظرنا إليه .

٣ كعب وسنيس وعقبيل : قبائل . المعنى : المنزل .

إن وردت الهيجاء يا سائق العي
 ورأيت البدور في مشهد الشم
 ميل إليها واحبب قليلاً عليها ،
 وأبلغ الرملة الأنيقة وابلغ
 كنت جلدأ ، فلم يدع بينكم لا
 قد ذمنا بُعيد بُعدكم العي
 س ، وشارفت دوحها والنخيل
 س بفتيان بانه الأثيل
 إن لي نحو ذلك الحي ميلا
 معشراً لي بربعها وأهילה :
 جسم حولاً ولا لقلبي حيلة
 ش ، فليت الحمام كان قبيلة

الحافظ الود

وقال وكتب بها إلى أحد
 إخوانه بالحلة من حماة :

أظعت داعي الهوى رغباً على العاصي ،
 وبات لي بمغاني أهلها ، وبها
 والريح تجري رضاء فوق جدولها ،
 وقد تلاقت فروع الدوح ، واشتبكت
 تدار ما بيننا حمراء صافية ،
 مع شادين رب أقرط ومنطقة ؛
 تدنيه كفتي ، فيثني جيده مراحاً ،
 لما نزلنا على ناعورة العاصي
 شغلان عن أهل شغلان وبغراض
 والطير ما بين بناء وغواص
 كأنما الطير منها فوق أقفاص
 كانت هدايا يزيد من بني العاص
 وقينة ذات أحجال وأخراص^١
 كأنه جوذر في كف قناص^٢

١ الاحجال ، الواحد حجل : الخلل . الأخراص ، الواحد خرص : حلقة الذهب أو الفضة وغيرها .
 ٢ الجوذر : ولد البقرة الوحشية .

وكم لدينا بها شادٍ وشاديةٍ
إذا ثناها نسيمُ الرقصِ من مَرَحٍ ،
يا قاطيعَ البيدِ يطويها على نُجُبٍ ،
إذا وَرَدَتْ بها شاطي الفُراتِ ، وقد
وجُزَتْ بالحِلَّةِ الفَيحاءِ مُلتَمِحاً
فقِفْ بسَعديَّتها المشكورِ منشأهُ ،
واقِرَ السَّلامِ على مَنْ حلَّ ساحتَهُ ،
واخبرْ بأنِّي ، وإنْ أصبَحْتُ مُبْتَسِياً
صابٍ إلى نحوِكم صَبٌّ بِحَبِّكُمْ ،

تُشجِي ، وراقصةٍ تَعصو ورقاصٍ^١
عجبتَ من هَزْ أَغْصانٍ وأدعاصٍ^٢
لم تُبقِ منها الفَيافي غيرَ أشخاصٍ
نكبتَ عن ماءِ حورانٍ وقيّاصٍ
آرامَ سِرْبِ حَمَتِها أسدُ عِيّاصٍ^٣
سعدٍ بنِ مزيّدٍ لا سَعْدِ بنِ وقاصٍ
وصِفْ ثنائي وأشواقٍ وإخلاصي
مَجْداً وأغليَ قَدْرِي بعدَ إِرْخاصِي
مُحافظُ الودِّ للدَّاني وللْقاصِي

الفتى السباك

وقال وهو بمصر وكتب بها إلى
الشيخ الإمام العالم أفضى القضاة
مفتي الفرق تاج الدين بن السباك الحنفي
ببغداد يشتاقه ويشكره :

تَرَكْنِنا لَواحِظُ الأتراكِ ، بينَ مُلقَى شاكِي السَّلاحِ وشاكٍ
حَرَكَاتُها سَكُونُ فَتُورٍ تَرُكُ الأُسْدَ ما بها من حَرَكَ

١ تعصو : تقرب بالمصا ، لعلها حركة تعملها في أثناء رقصها .

٢ الإدعاص ، الواحد دعص : الكتيب من الرمل ، شبه بها أردافها .

٣ عياص : اسم موضع .

مَلَكْتَنِي خُزْرُ الْعُيُونِ . وَإِنْ خِلَا
 كُلَّ ظَنِّي فِي أَسْرِ رِقِّي ، وَلَكِنْ
 أَيْنَ حَسَنُ الْأَعْرَابِ مِنْ حَسَنِ أَسَدٍ
 فَإِذَا غُوزِلُوا ، فَأَرَامُ سِرْبٍ ،
 وَإِذَا نُورُهُمْ ثَنَى اللَّيْلَ صُبْحًا ،
 كُلُّ طِفْلٍ يَتَجَلَّى أَنْ يَتَحَكَّى الْبَدَنُ
 بِشُغُورٍ لَمْ يَعْلَمْهَا قَشْفُ النَّحْلِ
 وَعُيُونٍ كَأَنَّمَا الْغُنْجُ فِيهَا
 وَقُدُودٍ كَأَنَّمَا شُدَّ عَقْدُ الْإِ
 كِدَتْ أَنْجُو مِنَ الْقُدُودِ وَلَكِنْ
 قُلْ لَسَاجِي الْعُيُونِ قَدْ سَلَبَتْ عَيْنِي
 فَا بَقِيَ لِي خَاطِرًا بِهِ أَسْبَكُ النَّظَرِ
 حَاكِمٌ مَهْدَدُ الْقَضَاءِ بِقَلْبٍ
 فِكْرَةٌ نَحْتُ مُسْتَهَيَّ دَرْكِ الْأَرَا
 مُنْذُ دَعَتْهُ الْأَيَّامُ لِلدِّينِ تَاجًا ،
 رَتَبَةٌ جَاوَزَتْ مَقَامَ ذَوِي الْعَالَمِ

تْ بَأْتِي لَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مَا لِأَسْرِي فِي حَبْتِهِ مِنْ فِكَالِكِ
 أَفْرَعْتُ فِي قَوَالِبِ الْأَمَلِكِ
 وَإِذَا نُوزِلُوا ، فَأَسَدُ عِيرَاكِ
 أَخَذُوا ثَارَ مَنْ ذُكِّي بِالْمَذَاكِ
 رَ ، وَلَكِنْ لَهُ الْبُدُورُ تُحَاكِي
 لَ ، وَلَمْ تَجْلُهَا يَدُ بَسْوَاكِ
 رَائِدُ الْحَتَفِ ، أَوْ تَنْذِيرُ الْهَلَاكِ
 بِنْدٍ مِنْهَا عَلَى قَضِيبِ أَرَاكِ
 أَدْرَكْتَنِي فِيهَا بَطْعَنُ دِرَاكِ
 نَاكِ قَلْبِي ، وَأَفْرَطْتُ فِي انْتِهَاكِ
 مَ وَأَثْنِي عَلَى فَنَى السَّبَاكِ
 ثَاقِبِ الْفَهْمِ نَافِذِ الْإِدْرَاكِ
 ضِرْ وَعِزُّهُمْ فِي ذُرُوءِ الْأَفْلَاكِ
 حَسَدَ الدِّينِ فِيهِ هَامُ السَّمَكِ
 مَ . وَفَاقَتْ مَرَاتِبَ النَّسَاكِ

- ١ قوله : من ذكي بالمذاكي ، هكذا في الأصل ، والمذاكي : الخيول التي تم منها وكملت قوتها ،
 ولعله أراد هنا الحمار المشتملة من ذكت النار : اشتد لها بها .
 ٢ القشف : سوء الحالة وضيق العيش . التحل : الهزال .
 ٣ في السباك : أراد أنه الفتي الذي ينظم في مدحه سلك الشعر .

ذو يَرَاعٍ رَاعَ الحَوَادِثَ لَمَّا أَضْحَكَ الطَّرْسَ سَعِيَهُ وَهُوَ بَاكِ
 بِمَعَانٍ لَوْ كُنَّ فِي سَالِفِ الْعَصْرِ لَسَكَّتْ مَسَامِعَ السَّكَاكِ
 زَادَ قَدْرِي بِجَبِّهِ ، إِذْ رَأَى النَّاسَ سُ التَّزَامِي بِجَبِّهِ وَامْتِسَاكِي
 مَذْهَبٌ مَا ذَهَبَتْ عَنْهُ وَدِينٌ مَا تَعَرَّضْتُ فِيهِ لِلْإِشْرَاكِ
 أَيْتَاهَا الْأَرْوَغُ الَّذِي لَفْظُهُ وَالْأُ فَضْلٌ بَيْنَ الْأَنَامِ زَاهٍ وَزَاكِ
 إِنْ تَغَيَّبَ عَنِ لِحَاطِ عَيْنِي ، فَلَلِقَا بِ لِحَاطٍ سَرِيعَةٍ الْإِدْرَاكِ
 لَمْ تَغَيَّبَ عَن سَوَى عَيْوَنِي ، فَقَلْبِي شَاكِرٌ عَنِ عُلَاكِ ، وَالطَّرْفُ شَاكِ

حاكم رأيه سراج

وقال وكتب إلى قاضي القضاة بماردين
 شمس الدين عبد الله بن المهذب قدس
 الله روحه عند قدومه من مكة شرفها
 الله سنة خمس وعشرين وسبعمائة :

سَلَبْتَنَا فَوَاتِكُ الْفَتَاتِ ، إِذْ سَبَقْنَا بِالْخَيْفِ كُلَّ فِتَاةٍ
 فَجَهَلْنَا الْهَوَى ، وَلَمْ نَذِرْ أَنَّ الْأُ سَدَّ تَعْدُو فَرَائِسَ الْغَادَاتِ
 بِجَفْوَنِ ، لَهَا فُتُورُ ذَوِي السَّكَا رٍ عَلَى ضُعْفِهَا وَفَتْكُ الصُّحَاةِ
 وَعَيْوَنِ فِي لِحْظِهِنَّ سُكُونٌ ، هُوَ فِي الْفَتْكِ أَسْرَعُ الْحَرَكَاتِ

١ سكت : سدت . السكاك : كان من علماء البيان .

قلْ لذاتِ الجَمالِ إذ رُمْتُ لإنجا
 يا شبيهَ القنّاةِ قدّاءَ وليناً ،
 بعد ما كانَ من وصالِكَ في الغمِّ
 ودياري ما بينَ دجلةَ والصَّيِّ
 وورودي من عَيْنِ دجلةَ والفِرِّ
 بينَ قومٍ لستُ المَلومَ ، إذا أذ
 وارثناني من خَمَرِ فيكَ وقلبي
 لستُ أخشَى مع رشفِ فيكَ من الحةِ
 من فَمٍ ما رشفتُ ، قبلَ ثنابا
 لا أرى غيرَ فيكَ أجدرَ بالتَّعِ
 ذي المعالي فتي المَهذبِ شمس الدِّ
 حاكمٍ رأيهُ ، إذا أَشكِلَ الأُمِّ
 ذو علومٍ ، إذا تلاطمَ موجُ الشِّ
 لو أعارَ الظلامَ أخلاقَه الغُ
 قرنتُ كَفَّهُ الإِجادةَ بالجو
 كلِّما جَمَعْتُ شَمائلُهُ الفَضِّ
 ذو يَراعٍ يُبدي إذا أمطرَ الطَّيرُ
 بمَعانٍ تُضيءُ في ظُلْمَةِ الحَبِّ
 زَ عِداتي ، فأصبَحْتُ من عِداتي
 إنَّ ليلي في طُولِ ظلِّ القنّاةِ
 ضِرْ قصيراً ، شبيهَ ظِفْرِ القِطاةِ
 رةً ، لا بينَ دجلةَ والصَّراةِ
 دوسٍ ، لا نهرِ بَنَّةٍ والفُراةِ
 هبْتُ نفسي عليهمُ حَسراتِ
 آمِنٌ من طوارِقِ الحادِثاتِ
 فِ لأنِّي وردتُ عَيْنَ الحَيَاةِ
 هُ ، جُماناً مُنْضَداً في لِثاتِ
 بيلٍ ، إلّا أكفَّ قاضي القُضاةِ
 ينِ ربِّ المَناقِبِ الباهراتِ
 رُ ، سِراجٌ في ظُلْمَةِ المُشكِلاتِ
 لكُ كانتُ للخصمِ سُفنَ النِّجاةِ
 رَ لأغنتُ به عن النِّيراتِ
 دِ ، وحُسنَ الخِلالِ بالحَسَناتِ
 لَ تَداعَتُ أموالُهُ بالشتاتِ
 سُ رياضاً أنيقَةً الزَّهَراتِ
 رِ شبيهَ الكواكِبِ الزَّاهراتِ

١ قوله : الفراء بالتاء المربوطة ، هكذا في الأصل ، ولعله نهر غير الفرات .

أخبرتنا عذوبةُ اللفظِ منها أنْ عَيْنَ الحَيَاةِ فِي الظَّلَمَاتِ
أيتها المرسلُ الذي آمَنَ النَّاسُ سُبُوحُ بَآيَاتِ فَضْلِهِ الْبَيِّنَاتِ
كم صِيَامٍ قَرَنْتَهُ بِقِيَامٍ ، وَصَلَاتٍ وَصَلْتَهَا بِصَلَاتِ
ومَسَاعٍ قَدْ أَشْرَكَ الْمَلِكُ الصَّاحِبَ لَحْ فِي بَاقِيَاتِهَا الصَّالِحَاتِ
فَقَصَدْتَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ، فَأَقْصَدَ تَ بِسَهْمِ الرَّدَى قُلُوبَ الْعُدَاةِ
ولَكُمْ قَدْ حَرَمْتَ فِي يَوْمٍ أَحْرَمَ تَ لَذِيذَ الْكَرَى عِيُونََ الْبُغَاةِ
ثُمَّ لَبَّيْتَ مُنْعِمًا ، حِينَ لَبَّيْ تَ ، نِدَا مَنْ دَعَاكَ لِلْمَكْرُمَاتِ
وَتَقَدَّمْتَ لِلطَّوَافِ فَاطْفَأَ تَ لَهيبَ الْهَمُومِ بِالْخُطُوبَاتِ
وَاسْتَلَمْتَ الرُّكْنَ الْعَتِيقَ فَأَسْلَمَ تَ قُلُوبَ الْعُدَاةِ لِلْحَسَرَاتِ
وَسَعَيْتَ السَّعْيَ الْحَنِيفَ وَكَمْ قَدْ جُزْتَ فِي الْمَكْرُمَاتِ سَعْيَ السَّعَاةِ
ولَكُمْ قَدْ قَصَرْتَ سَاعَةً قَصُرَ تَ عَلَى الْخَوْفِ أَنْفُسًا قَاصِرَاتِ
وَمُنَى النَّفْسِ فِي نَزُولِ مِئْنَى نَدَى تَ بَرْغَمِ الْأَعْدَاءِ وَالشُّمَاتِ
وَرَمَيْتَ الْجِمَارَ فِي كَبِيدِ الْأَعْدَاءِ لَدَاءِ ، لَمَّا رَمَيْتَ بِالْجَحْمَرَاتِ
ولَكُمْ قَدْ أَفْضَتَ مِنْ فَيْضٍ لَنَا مَكَ ، لَمَّا أَفْضَتَ مِنْ عَرَفَاتِ
وَرَأَيْتَ الثَّنَاءَ أَبْقَى مِنَ الْمَاءِ لِ ، فَعَادَرْتَهُ هَبًّا بِالْهَبَاتِ
إِنَّمَا الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ أَصْلِ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ^١

١ قصرت : حبست . قصرت : أمسكت عن الأمر مع القدرة عليه . القاصرات ، الواحدة قاصرة الطرف : لا تمتد عينها إلى غير بعلمها . ولعله أراد قاصرة : أي غير رشيدة .
٢ قوله : الطيبين الأصل ، هكذا في الأصل ، والوجه طيبي الأصل ، ولعله أراد أن يذكر الآية كما وردت .

لا تَسْمُنَا قِضَاءَ حَقِّكَ بِالْأَشْدِّ هَارٍ ، يا كَامِلَ الصِّفَا والصِّفَاتِ
لو نَظَمْنَا النُّجُومَ فِيكَ عُقُوداً ، ما قَضَيْنَا حَقُوقَكَ الْوَاجِبَاتِ

كُرِّرِ اللَّوْمَ عَلَيْهِ

وقال وقد أنشده القاضي علاء الدين بن الأثير كاتب
السر بمصر المحروسة أبياتاً لأحد المغاربة من أهل عصره :
كاتم اللمع هواه فوشى ، وسقاء الحب كأنما فانتشى
وكان ممجبةً بهذه الأبيات وسأله أن ينظم على نمطها
فاستمهله يومين ونظم فيها فقال :

كُرِّرِ اللَّوْمَ عَلَيْهِ إِنْ تَشَاءُ ، فَهُوَ صَبٌّ بِحُمَيَّاهُ انْتَشَى
هَزَّهُ بِلِ أَزَّهُ ذِكْرُ الْحِمَى ، فَتَشَنَّى طَرَباً ، بِلِ رَعَشَا
كَادَ أَنْ يَقْضِي فَجَدَّدَتْ لَهُ ، ذِكْرَ سَكَانِ الْحِمَى ، فانتَعَشَا
لَسْتُ عِنْدِي عَادِلًا بِلِ عَادِلٍ ، سُرَّ بِالذِّكْرِ فَوْشَى ، إِذْ وَشَى
مُغْرَمٌ حَاوَلَ كَيْمَانَ الْهَوَى ، وَشُهُودُ الدَّمْعِ لَا تَرْضَى الرُّشَى
شَامَ بَرَقَ الشَّامِ صُبْحاً ، فَصَبَا ، وَتَرَاعَادُ عِشَاءً ، فَعَشَا
لَا حَ ، وَاللَّيْلُ بِهِ مَكْتَهِلٌ ، وَجَنَيْنُ الصَّبْحِ حَمْلٌ فِي الْحَشَا
وَهَلَالُ الْأَفْقِ يَحْكِي قَوْسَهُ ، جَانِبَ الْمِرَاقِ يَبْدُو مِنْ غِشَا

١ ازه : أغراه

وحكى كياناً صقراً لا يذأ
 وكأن المشتري ذو أمل
 وحكى الميربح في صنعته
 وسهيل مثل قلب خافق
 وبنات النعش سرب نافر
 والثريا سبعة قد أشبهت
 ووميض غادرت غرته
 طرز الأفق بنور ساطع ،
 فتلاه من دموعي وإبل
 طبق الأفق حتى خلت
 كاتب السر الذي في عصره ،
 يقط الآراء ، ملبوب الكرى ،
 فالأمان من عطاءه تُرنجى ،
 خلق لو يقتدي الدهر به
 ذو براع راع آساد الشرى ،
 لا يُراعي ذمة الأسد التي
 ظل للأسد به مفترساً ،
 أصبح العصب به مُرتعداً ،

بجناح النسر لما فرشا
 نال حظاً ، ومن البدر ارتشى
 خدّ محبوب بلحظ خدشاً
 مكن الرعب به ، فارتعشا
 هام ذُعراً ومن النسر اختشى
 شكل لحيان بتخت نُقشاً
 أدهم الليل صباحاً أبرشاً
 أدهش الطرف به بل أجهشاً
 لا يزيد القلب إلا عطشاً
 من ندى أيدي عتي قد نشأ
 مرّ دسّ الملك يوماً ما فشأ
 مُستجيش العزم ، متعوب الوشا
 والمنايا من سطاه نُختشى
 كحالت أرباحه كل عشا
 وحشا الأعداء رعباً قد حشا
 بينها في الغاب قديماً قد نشأ
 ولأطواد العلى مفترشاً
 وانثنى اللدن به مُرتعشاً

١ الوشا : كثرة الابل ، والمعنى غامض .

٢ العصب : السيف . اللدن : الرمع .

فإذا أوحى إليه أمره
 كلما تاه جِماحاً صدره ،
 كفّل الأيتام إلا أنه
 عربّي واطيء روميّة
 يُصبحُ الروض هشيماً كلما
 ما رأينا قبله ليث شرى
 أبها القاضي الذي كاد القضاء ،
 جدت لي بالود من قبل الندى
 وبسطت الأنس لي في زمنٍ
 فسأجلو ذكركم في موطنٍ
 إنما الذكر ، طليقاً ، مُتّعد ،
 فاستمع لابنة يومئذ التي
 وابق في عزٍ مُقيم ظلّه ،
 مستظلاً دوحة المجد التي
 جاء طوعاً وعلى الرأس مثنى
 صرفته كفه حيث يشا
 أيتّم الأطفال لما بطشاً
 ينسِلُ الزنج لها والحبشاً
 رقم الطرس به ، أو رقصاً
 حملت يمناً صلاً أرقشاً
 ويد الأقدار تقضي ما يشا
 مُنعماً بالقرب لي بل مُنعشاً
 كنت من ظلي به مُستوحشاً
 يحمّد السامع فيه الطرشاً
 فإذا قيّد بالشعر مثنى
 جُمّل الفكر لها بل جُمشاً
 بسط الأمن له ، فافرشاً
 ثبّت أصلاً ، وطابت عرشاً

١ العرش ، الواحد عريش : البيت يستظل به مثل الخيمة .

ربما كبت الجياد

وقال وكتب بها إلى صاحب المظم
شمس الدين بن عبسون مستوفي سنجار
قبل الاجتماع به وقد بلغه شكره
وإنعامه ويتشوقه ويعتذر إليه من
جوازه بظاهر سنجار ولم يدخلها ليراه :

ما كنتُ أعلمُ، والضمائرُ تنطيقُ،	أنَّ المسامعَ كالنواظرِ تعشقُ
حتى سمعتُ بذكركم ، فهويتكم،	وكذاك أسبابُ المحبةِ تعلقُ
ما ذرّ من أرضِ الغنيةِ شارقُ ،	إلاّ وكدتُ بدمعِ عيني أشرقُ
شوقاً إلى أكنافِ ربّكمُ الذي	كلّي إليه تشوّفُ ، وتشوّقُ
أسري وأسري مؤثّقٌ بيدِ الهوى،	فمضى أسيرُ أنا الأسيرُ المطلقُ
فلئن عثرتُ بأن عبّرتُ، ولم أبيتُ،	بغيناك ، ذا حدّقٍ بمجدك تحديقُ
فاعذرْ جواداً قد كبا في جريه ،	فلربّما كبتَ الجيادُ السبقُ

١ اسري الاولى : اسير في الليل . الثانية : من امره قبض عليه .

جن الظلام

وقال وكتب بها إليه بعد الاجتماع
به وكان لهجاً بأبيات ابن الحريري
ذات الوزنين :

جَنّ الظَّلَامُ، فمذبدا	متبسّماً	لاح الهُدَى	وتجَلَّتِ الظُّلُماءُ
وهَدَّتْ محبّاً ظَلّ في	ليل الحفا	لما هدا	وامتدَّتِ الآثاءُ
رَشّاً غداً من سُكْرِ حَمّه	رّة ريقه	متأودا	فكأنّها صهباءُ
وسرّت بحديّه المدا	مُ بلطفها	فتورّدا	وكساهما الألامُ
وافى بعيدُ من التواصل	ضعف ما	منه بدا	إذ صَحّ منه وفاءُ
فألتم بي طوعاً وبا	ت لساعدي	متوسّدا	وفراشه الأعضاءُ
عانقتهُ مترقفاً	وضمّته	متأبدا	إذ نامتِ الرقباءُ
حتى اغتدى من ساعديّ	موشحاً	ومقلّدا	وقد اعتراه حياءُ
وسطا الضياء على الظلا	م وحبّدا	لو يُفتدى	وله النفوسُ فداءُ
لم أدر، ضوء الصّبح أة	بل جيشه	متبدّدا،	وله الشّعاعُ لواءُ
أو نورُ شمس الدّين قد	جلّى الدجى	لما بدا	وله القلوبُ سماءُ
شمسٌ إذا ما راح تر	قبه العلى	وإذا غدا	فكأنّها الحرباءُ
وإذا تدرّع فالسّما	حة درّعه،	وإذا ارتدى	فله الجحمالُ رداءُ

١ الآثاء ، الواحد أثى : كل الميل أو جزء منه .

من آلِ عِيسَى الَّذِي	نَ إِذَا انْتَمَوْا	عِيسَى الرَّدَى	وَتَوَلَّتِ اللَّأْوَاءُ ^١
وإذا سَطَوْا بِكَتِ السَّيَو	فُ وَإِنْ سَخَوْا	ضَحِكَ النَّدَى	وَتَجَلَّتِ الْغَمَاءُ ^٢
قَوْمٌ بِهِمْ تُجَلَّى الْكُرُو	بُ وَمِنْهُمْ	يُرجَى الْجَدَا	إِنْ ضَمَّتِ الْأَنْوَاءُ ^٣
فَنَدَاهُمْ قَبْلَ السَّوَا	لِ وَجُودُهُمْ	قَبْلَ النَّدَى	وَكَذَلِكَ الْكُرْمَاءُ
وَهُمْ مُنَى لِمَنْ اعْتَقَى	وَمَنْيَّةٌ	لِمَنْ اعْتَدَى	فَسَعَادَةٌ وَشَقَاءُ
مَوْلَايَ شَمْسَ الدِّينِ يَا	مَنْ كَفَّهُ	يَرْوِي الصَّدَى	وَبِهَا الْعُدَاةُ ظِمَاءُ
أَشْكُو إِلَيْكَ غَرِيمَ شَو	قٍ قَدْ غَدَا	مَتَمَّ سَرْدَا	مَا عِنْدَهُ إِغْضَاءُ
شَوْقِي إِلَى عِلْيَاكَ أء	ظَلَمْتُ أَنْ يَرَى	مَتَعَدَّدَا	وَيَعْمَهُ الْإِحْصَاءُ
فَاسْلَمْ، فَإِنَّكَ خَيْرُ مَوْ	لِي يُرْجَى	أَوْ يُجْتَدَى	وَلَكِ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
لَا زَالَ غَيْثُ نَدَاكَ يُمْ	طَرِ فِضَّةٌ،	أَوْ عَسَجَدَا	تَغْنَى بِهِ الْفُقَرَاءُ ^٣

١ اللَّأْوَاءُ : الشدة ، الضيق .

٢ الغماء : الحزن .

٣ المسجد : الذهب .

شر عين الكمال

وقال وكتب بها جواب أبيات
وصلته من الشيخ مجيد الدين الحياط
الدمشقي من بحر المديد وكان طبعاً به
متحدثاً بنظمه :

أَلْأَلِ أَشْرَقَتْ فِي نُحُورِ	أَمْ نَجُومٌ أَشْرَقَتْ فِي لِيَالِي
أَمْ فُصُولٌ مِنْ خَوَاطِرِ مَوْلَى	ذِي مَقَامٍ فِي الْعُلَى وَمَقَالِ
كَمْ بَنَتْ بِالْفِكْرِ بَيْتَ مَعَانٍ ،	وَانْشَنَتْ بِالذِّكْرِ بَيْتَ مَعَالِي
نَفْثُ أَقْلَامٍ خِيفَافٍ نَخَافِ ،	كَمْ أَبَادَتْ مِنْ خُطُوبٍ ثِقَالِ
وَقِصَارٌ فِي الْأَكْفِ وَلَكِنْ	قَصَّرَتْ فَعَلَ الرِّمَاحِ الطَّوَالِ
تَجْعَلُ الْغُمُضَ عَلَيْنَا حَرَاماً ،	كَلَّمَا جَاءَتْ بِسِحْرِ حَلَالِ
قَيَّدَتْني بِالْجَمِيلِ ، وَلَكِنْ	أَطْلَقَتْ بِالشُّكْرِ فِيهِ مَقَالِي
أَمْنَتْنِي غَيْرَ أَنِّي عَلَيْهِ	خَائِفٌ مِنْ شَرِّ عَيْنِ الْكَمَالِ
فَاعْفُ مَوْلَايَ مُحِبّاً ثَنَاهُ	عَنْ ثَنَاهُ فَيَكُمُّ شُغْلُ بَالِ
ذَا هَيُومٍ ، قَلْبُهُ فِي اشْتِغَالِ ،	وَلِظَى أَحْزَانِهِ فِي اشْتِعَالِ

قوت القلوب

وقال وكتب بها إلى الشيخ الأديب
العالم الكامل جمال الدين بن نباتة
المصري بدمشق :

مَنْ لَصَبَ أَدْنَى الْبَعَادُ وَفَاتَهُ ، إِذْ عَدَاهُ وَصَلُ الْحَيِّبِ وَفَاتَهُ ،
فَاتَهُ مِنْ لِقَا الْأَحْبَسَةِ عَيْشٌ ، كَانَ يَخْشَى قَبْلَ الْوَفَاةِ فَوَاتَهُ
كَانَ ثَبَتًا قَبْلَ التَّفَرُّقِ لَكِنْ ، زَعَزَعَتْ رَوْعَةُ الْفِرَاقِ ثَبَاتَهُ
سِرَّهُ جَمْعُ شَمْلِهِ بَلِقَاهُمْ ، فَقَضَى حَادِثُ الزَّمَانِ شَتَاتَهُ
مَا عَصَى الْحَبَّ ، حِينَ أَطْنَبَتِ الْوَا ، شُونََ فِيهِمْ ، وَلَا أَطَاعَ وَشَاتَهُ
سِرَّهُ ذِكْرُهُمْ ، وَقَدْ سَاءَ اللَّو ، مٌ ، فَأَحْيَاهُ عَذْلُهُمْ وَأَمَاتَهُ
أُظْهِرُوا لِي تَمَلِّقًا وَاكْتِثَابًا ، هُوَ عِنْدِي نَهَكَمٌ ، وَشَمَاتَهُ
فَصَمْتُ شِدَّةُ الْهَمُومِ عُرَى الْقَلْدِ ، بِ وَأَصْدَى مِرْأَى الْعِدَى مِرَاتَهُ
كَيْفَ تَقْرِي الْهَمُومُ حَدَّ اصْطِبَارِي ، بَعْدَمَا فَلَكَ الْخَطُوبُ شَبَاتَهُ
كَنتُ مُسْتَنْصِرًا بِأَسْيَافِ صَبْرِي ، فَتَبَّتْ بَعْدَ فُرْقَةٍ ابْنِ نُبَاتِهِ
فَاضِلٌ أَلْفَ الْفَصَاحَةِ وَالْعِلْدِ ، مَ وَضَمَّتْ آرَاؤُهُ أَشْتَاتَهُ
وَهَبَّتُهُ الْعُلَيَاءُ هَمَّةَ قَلْبٍ ، طَهَّرَتْ مِنْ شَوَائِبِ الْعَيْبِ ذَاتَهُ
رَبِّ شَعْرٍ لَمْ يَتَّبِعْ مَا رَوَى الْغَا ، وَوَنَ لَكِنْ بِالْفَضْلِ يَهْدِي غَوَاتَهُ
وَمَعَانٍ تُضِيءُ فِي قَالِبِ اللَّهِ ، ظِ ، فَيَجْلُو مِصْبَاحُهَا مِشْكَاتَهُ

١ الوفاة الأولى : الموت . الثانية من فاته الأمر : أعوزه وذهب عنه .

وإذا هَذَبَ الرَّوَاةُ قَرِيضاً فيهِ قَدْ هَذَبَ الْقَرِيضُ رُوَاتَهُ
 صَارِمٌ فِي مَعَارِكِ اللَّفْظِ وَالْفَضْ لِحَمِيدِنَا انْعِمَادَهُ وَانْصِلَاتَهُ
 قَدْ سَبَرْنَا حَدِيثَهُ فِي النِّتْظَمِ وَالنَّثْ ، فَكَانَتْ بِنَاكَةً بَنَاتُهُ
 يَا جَمَالَ الدِّينِ الَّذِي أَحْرَزَ السَّبْ قَ ، وَلَا يُعْثِرُ الْجِيَادُ أَنَاتُهُ
 أَنْتَ قُوَّةُ الْقُلُوبِ لَوْ كُنْتَ أُعْطِيَ مَتَّ لِحَبٍّ مِنْ أُنْسِيكُمْ مَا فَاتَهُ
 وَرَسُولٌ مِنْكُمْ تَعَجَّبْتُ مِنْهُ حِينَ حَانَتْ مِنِّي إِلَيْهِ التَّفَاتُهُ
 جَاءَ يُهْدِي إِلَى الصَّحَابِ طُرُوساً لَيْسَ لِلْعَبْدِ بَيْنَهُنَّ حُتَاتُهُ
 فَتَأَمَّلْتُ فِي يَدَيْهِ خُطُوطاً أَذْكَرْتَنِي مِنْ رَبِّهَا أَوْقَاتُهُ
 لَوْ بَعَثْتُمْ لِلْعَبْدِ فِيهَا سَحَاةً لِأَعَادَتٍ ، بَعْدَ الْمَمَاتِ ، حَيَاتُهُ
 فَتَفَضَّلْ بِالْأُنْسِ وَاهْدِ إِلَى عِبْ دِكَ مِنْ مِسْكِكَ الزَّكِيِّ فُتَاتُهُ
 لَكَ مِنْ وَافِرِ الْعُلُومِ نِصَابٌ ، فَاجْعَلِ الرَّدَّ لِلْجَوَابِ زَكَاتُهُ

١ البناكة والبناطة : القاطعة .

٢ الأناة : الوقار والحلم .

٣ الحنات : ما تنأثر من الشيء .

٤ السحاة : نبت شائك ، ولعلها مهول سحابة من سحاه : قشره .

لك القلم

وقال وكتب بها جواباً للصدر الكبير
العالم شمس الدين بن قتر كاتب السر
بالرحبة المحروسة عن أبيات أرسلها
إليه في هذا البحر :

كُتِبَ فما علمتُ أنورُ نَجْمٍ
فأسرَحَ ناظري في وشي روضٍ
وقسَّمتُ التفكَّرَ فيه لما
فلَم أعجَبَ لذلك ، وهو دُرٌّ ،
أشمسَ الدينِ كم من شمسٍ فضلٍ
نظمتَ من المعالي والمعاني
لكَ القَلَمُ الذي قصرتُ لديه
يراعُ راعَ بالخطبِ الزواهي
ففي يومِ الندى يجري ، فيجدي ؛
ويُرسلُ في الوري وسميَّ جودٍ ،
ويُطلعُ في سماءِ الطرسِ شهباً
إذا رامَ استراقَ السَّمعِ يوماً
فيا من سادَ في فضلٍ ولَفْظٍ ،

بدا لعيوننا أم نورُ نَجْمٍ
وألقَحَ خاطري من بعدِ عَقْمٍ
أخذتُ به من اللذاتِ قِسمي
إذا ما جاءَ من بحرٍ خِصَمٍ
بها جَلَّتْ يَدَاكَ ظلامَ ظَلَمٍ
بدائعِ حُزنٍ عن نثرٍ ونَظَمٍ
طِوالُ السُّمرِ في حربٍ وسِلَمٍ
جسيمَ الخطبِ ، وهو نحيفُ جِسمٍ
وفي يومِ الردى يرمي ، فيُصمي
ويَنفُثُ في العُدَاةِ زُعافَ سُمٍ
ثواقبُها لأفقِ المُلْكِ تحمي
رجيمُ الكيدِ عاجلهُ برَجَمٍ
كما قد زادَ في عملٍ وعِلَمٍ

١ النور : الزهر . النجم الثانية : النبات .

لَقَدْ بَسَمْتُ لَنَا الْآبَامُ لَمَّا بَدَلْتَ لَنَا مُحِبًّا غَيْرَ جَهْمٍ
 وشاهدَ ناظري أضعافَ ما قد تفرَّسَ قبلَ ذلكَ فيكَ فَهَمِي
 فكيفَ أرومُ أن أجزيكَ صنْعاً ، وأيسرُ صنْعكَ التَّنْوِيهِ بِاسْمِي
 فعَلَّكَ أن تُمهَّدَ بسطَ عُدْرِي ، لمعرفتي بتقصيري وجُرْمِي
 فمثلكَ مَنْ ترفقَ بالمَوَالِي ، وغضَّ عن المُقَصِّرِ جَفْنَ حِلْمِ
 ودُّمَ في سَبْقِ غَايَاتِ المعَالِي ، تُصَوِّبُ للَفَخَارِ جَوَادَ عَزْمِ

يا خليلي

وقال وكتب بها إلى صاحبه الحاج
 محمد الدين بن شيخ التل ببغداد وكان
 واعدته الاجتماع بمدينة أياس وتأخر
 عن السفر إليها يشاقه ويعرض بهزمه
 على العود إلى ماردين ويذكره أوطاره
 بها ويداعبه :

طَمَعِي فِي لِقَاكَ ، بَعْدَ أَيَّاسٍ ، هُوَ أَغْرَى قَلْبِي بِقَصْدِ أَيَّاسٍ
 ولو أنني علمتُ أنكَ بالزَّو راءِ وافيتُها بعيني وراسي
 وكذا في دِمَشْقَ لَوْلَاكَ مَا أَوْ ردتُ خَيْلِي بها على بانياسِ
 بل توَهَّمْتُ أن تَعُودَ إلى الشَّامِ م ، فوافيتُها على سِيَّوَاَسِ

يا خَلِيلِي مِنْ دُونِ كُلِّ خَلِيلٍ ،
لا تَكُنْ نَاسِيًا لِعَهْدِي ، فَإِنِّي
قَسُّ ضَمِيرِي عَلَى ضَمِيرِكَ فِي الْوُ
وَاعْتِمِدْ مَوْفِقًا عَلَى صِدْقِ وُدِّي ،
لو تَرَانِي كَمَا عَهِدْتَ مِنَ اللَّ
أَشْتَرِي التَّيْبَرَ بِاللُّجَيْنِ ، وَلَا أَفُ
فَتَرَانِي يَوْمًا بِحِمَارَةِ النَّهْ
فَأَنَاسُ تَكْلُومُ فِي نَقْصِ كَيْسِي ،
ذَاكَ خَيْرٌ مِنْ خِدْمَتِي لِأَنَاسٍ
يَسْتَقْلُونَ مَا بَدَلْتُ مِنَ النَّصِ
وَلَوْ أَنِّي أَفْوَهُ فِيهِمْ بَلَقْظٍ ،
فَسَأْفِي مَا قَدْ حَوَيْتُ وَلَا أَذُ
وَإِذَا مَا غَرَقْتُ فِي لُجَجِ الْمَ
بِلَدَةٍ مَا أَتَيْتُهَا قَطًّا إِلَّا
بَذَلُوا لِي مَعَ السَّمَاحَةِ وَدًّا ،
فَنَهَارِي جَلِيسُ لَيْثِ عَرِينٍ ،
فَأَنَاسُ تَقُولُ يَا أَبَا فِرَاسٍ ،
لَسْتُ أَشْكُو بِهَا مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا

وَأَنيسِي مِنْ دُونِ أَهْلِي وَنَاسِي
لَسْتُ مَا عَشْتُ لِلْعُهُودِ بِنَاسِي
دَ ، فَإِنَّ الْوَدَادَ عِلْمُ قِيَاسِي
لَا عَلَى مَا يَضُمُّهُ قُرْطَاسِي
لَذَّةٍ بَيْنَ الْقَيْسِيَّ وَالشَّمَّاسِ
رُقُ مَا بَيْنَ عَسَجَدٍ وَنَحَاسِ
رَ ، وَطَوْرًا بِحَاجَةِ الدَّرْبَاسِ
وَأَنَاسُ تَكْلُومُ فِي مَلَأِ كَاسِي
هَمٌّ إِذَا مَا اخْتَبَرْتُ غَيْرُ أَنَاسِ
حِ وَيَسْتَكْثِرُونَ فَضْلَ لِيَاسِي
كَادَ أَنْ يَنْسِفَ الْجِبَالَ الرَّوَاسِي
خَرُّ فَلَسًا لِسَاعَةِ الْإِفْلَاسِ
مَ ، فَفِي مَارْدِينٍ مَلَقَى الْمَرَّاسِي
خَلَّتْهَا بِلَدَتِي وَمَسْقِطَ رَاسِي
هُوَ مِنْهُمْ يَزِيدُ فِي لِيَاسِي
وَمَسَائِي ضَجِيعُ ظَبِي كَيْنَاسِ
وَأَنَاسُ تَقُولُ يَا أَبَا نُوَاسِ
أَتْنِي لَا أَرَاكَ فِي الْجُلَّاسِ

١ قوله : يا أبا ، هكذا في الأصل .

سَيْدِي صَاحِبِي أَنْيْسِي جَلِيسِي ، طَوْقُ جَيْدِي مُعَاشِرِي تَاجَ رَاسِي
 لَا يُغَيِّرُكَ مَا تَقُولُ الْأَعَادِي ، فَبِنَاءُ الْوَدَادِ فَوْقَ أَسَاسِ
 أَوْ نِفَارِي عَلَيْكَ مِنْ نَصَبِ الدَّرِّ ، بِ ، بِحَسَبِ الْإِدْلَالِ وَالْإِيْنَاسِ
 أَوْ خَصَامُ الشَّهْبَاءِ فِي يَوْمٍ آخِرَا ، جِ ، غُلَامِي بِهَا إِلَى النِّخَاسِ
 ذَاكَ هَفَوُ الْتَسَانِ مِنْ حَدَّةِ الْغِي ، ظِ ، لِأَنَّ الْفُضُولَ مِثْلُ الْعُطَاسِ
 يَا نَسِيمَ الشَّمَالِ إِنْ جُزْتَ بِالزَّوِ ، رَاءِ ، يَوْمًا مَعْطَرُ الْإِنْفَاسِ
 زُرُّ حَبِيبًا لَنَا بِدَرْبِ حَبِيبِ ، وَاتِلُ شَوْقِي ، وَمَا أُبَيْتُ أَقَاسِي
 صَاحِبًا لَمْ يَزَلْ ، إِذَا دَهَمَ الْهَ ، مِ ، يُسَاوِي بِنَفْسِهِ وَيُؤَاسِي
 وَإِذَا مَا قُضِيَتْ تَقْصِيلَ كَفِّهِ ، هِ ، فَسَلِّمْ عَلَى فَنَى الدَّرْبَاسِ
 ثُمَّ صِفْ لِلْجَلَالِ نَجْلَ الْحَرِيرِ ، يِ ، اشْتِيَاقِي ، وَالْفَخْرُ نَجْلُ الْيَاسِ

فلتة عن غير قصد

وقال وكتب بها إلى صاحبه سيف الدين
 أبي بكر بن أبي القاسم السلامي ويشتاقه
 ويداعبه ويماته على انقطاع كتبه :

فَلَنتَةُ كَانَ مِنْكَ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ ، يَا أَبَا بَكْرَ عَقْدُ بَيْعَةٍ وَدِّي
 فَلِهَذَا ، إِذَا تَقَادَمَ عَهْدُ بَيْنَا حُلَّتْ عَنْ وَفَائِي وَعَهْدِي

١. معنى المعجز غامض .

يا سميَّ الصَّدِيقِ ، ما كنتَ في صَ
 أَنْتَ أَلْزَمْتَنِي بِأَخْلَاقِكَ الْغُ
 ثُمَّ قَاسَمْتَنِي ، فَعِنْدَكَ قَلْبِي
 كُلَّ يَوْمٍ أَقُولُ : قَدْ قَالَ مَوْلَايَ ،
 يَا نَدِيمِي ، إِذَا تَقَرَّدَ بِي الْفِكَ
 أَنْتَ تَدْرِي مَا كَانَ بَعْدَكَ حَالِي ،
 هَلْ تُقَاسِمِي الْحَيْنَ مِثْلِي ، وَهَلْ تَحِ
 فَتُرَى لِمَ قَطَعْتَ كُتُبِي وَقَطَّعْتُ
 لَا كِتَابٌ بِهِ ابْتَدَأْتُ ، وَلَا رَدُّ
 وَبِكَ أَنْتَى لَكَ الْجُزَارَةَ وَالْحُمُ
 أَنَا أُولَى بِهَا لَعِدَةٍ أَقْسَا
 مَا سَرَايَا أَبِي ، وَمَا ابْنُ أَبِي الْقَا
 كَمَا قِيلَ يَقُولُ : تَدِيرُ قَيْسِرُ الْ
 غَيْرَ أَنْتِي مَدُّ أَطْلَقْتَ نُوْبُ الْأُ
 بَلْ تَعَوَّدْتُ أَنْ أَصْغَرَ قَدْرِي ،
 فَلَتَنُ كَانَ مِنْكَ ذَلِكَ بِالْقَصْدِ ،
 لَا أَجَازِيكَ بِالْإِهَانَةِ وَالسَّ

دَكَ إِلَّا مُصَدِّقًا قَوْلَ ضِدِّي
 رَّ وَدَادًا فِي حَالِ قُرْبِي وَبُعْدِي
 حِينَ فَارَقْتَنِي ، وَذَكَرْتُ عِنْدِي
 وَمَا قُلْتُ سَاعَةً : قَالَ عِبْدِي
 رُ ، وَيَا مُؤْنِسِي ، إِذَا كُنْتُ وَحْدِي
 فَتُرَى كَيْفَ كَانَ حَالُكَ بَعْدِي ؟
 مِيلُ شَوْقِي ، وَهَلْ تَكَابَدُ وَجْدِي
 مَتَّ حِبَالُ الْوَفَا بِإِخْلَافٍ وَعْدِي
 جَوَابٍ ، وَلَوْ بِحَبَّةٍ وَرَدِ
 قُ ؟ أَجِبْنِي ، وَأَنْتَ فِي ذَاكَ جَنْدِي
 مِ جِسَامٍ لَكِنْ أُسِيرُ وَتُبْدِي
 سَمِ عَمِّي ، وَمَا مَحَاسِنُ جَدِّي
 رَأَيْ دُونِي وَبَأْسُ عَمْرُو بْنِ مَعْدِي
 يَامَ حَدِّي مَا جُزْتُ بِالْحَقِّ حَدِّي
 لَصَدِيقِي ، وَلَا أَصْغَرَ خَدِّي
 وَلَمْ تَخْشَ مِنْ صَوَاعِقِ رَعْدِي
 بَ ، وَلَكِنْ جِزَاكَ يَا نَحْسُ عِنْدِي

١ الجزارة بضم الجيم : ما يأخذه الجزار أجرة الذبح كاليدنين والرجلين والرأس . وبالكسر :
 حرقة الجزار .

٢ السرايا ، الواحدة سرية : القطعة من الجيش .

كلام شبيه الكلوم

وقال وكتب بها إلى الأديب الفاضل شمس الدين محمد بن
المعجونة الكاتب الموصل وكان ورد منه رسول يدي
إبراهيم يكتب إلى الإخوان بماردين ولم يكن له معه كتاب
وأخبره بأنه تزوج بالموصل يداعبه ويذكر محبوباً كان
له اسمه موسى :

لو بَعَثْتُمْ فِي طَيِّ نَشْرِ النِّسِيمِ	بِسَلَامٍ رَاقٍ لِقَلْبِي السَّلِيمِ
لَا لَتَقِينَا قَبُولَهَا بِقَبُولِ ،	وَشَفِينَا مِنْهَا ، وَلَوْ بِالسُّومِ
وَلَوْ أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَ بِطِيرِسٍ	لُحِبِّ مِنْ بَيْنِكُمْ فِي جَحِيمِ
قُلْتُ عِنْدَ الْإِيَابِ : يَا نَارُ بَرْدًا	وَسَلَامًا كُونِي لِإِبْرَاهِيمِ
هَدُهُدٌ هَدَتْ قَوَّتِي حِينَ لَمْ يَدْ	قِي إِلَى الْعَبْدِ مِنْ كِتَابِ كَرِيمِ
جَاءَ يَسْعَى بِكُلِّ طِيرِسٍ نَضِيدِ	جَاءَ مِنْ لَفْظِهِ بِدُرٍّ نَظِيمِ
بِمَعَانٍ مِنَ الْجَزَالَةِ كَالصَّخَةِ	رِ ، وَلَفْظٍ مِنْ رِقَّةٍ كَالنِّسِيمِ
فَتَوَسَّمْتُهُ ، فَكَانَتْ مَعَانِي	هِ لِقَاحًا لِكُلِّ فِكْرٍ عَقِيمِ
سَيِّدِي بَلْ سَمِعْتُ عَنْكَ كَلَامًا ،	هُوَ فِي مُهْجَتِي شَبِيهُ الْكُلُومِ
إِنَّ مَوْلَايَ قَدْ تَوَلَّعَ جَهْلًا	بَعْدَ سِقْطِ التَّوَى بِوَادِي الصَّرِيمِ
وَرَوَّاهُ عَنْهُ أَنَّ ذَلِكَ زَوَاجٌ	ثَابِتٌ يَفْتَضِي شُرُوطَ الزَّوْجِ
ثُمَّ قِيلَ اهْتَدَى ، فَيَا لَيْتَهُ دَا	مَ عَلَى ذَلِكَ الْفَضَالِ الْقَدِيمِ

١ السليم : الملسوع .

فَتَنَقَّسْتُ حَسْرَةً ، وَتَعَوَّذْتُ مِنَ الشَّرِّ بِالسَّمِيعِ الْعَلِيمِ
رَبِّ رُشْدٍ مُلَقَّبٍ بِضَلَالٍ ، وَشَقَاءٍ مُلَقَّبٍ بِنَعِيمِ

يا أهيل الود

وقال وكتب بها جواباً لأحد أصحابه بالحنة من
آيات كتبها إليه من البحر المديد على هذا الروي :

راقني من لفظك المستطاب	حكمة فيه وفصل الخطاب
ومعانٍ مشرقات حسان ،	ما توارت شمسها في حجاب
هي للواردين ماء زلال ،	وسواها لاميح كالسراب
جال ماء الحسن فيها كما قد	جال في الحسناء ماء الشباب
ما رأينا قبلها عقد دري	ضمته في الطرس سطر كتاب
صدرت عن لفظ صاحب فضل	هو عندي من أكبر الأصحاب
فتأملت وأملت منه	جمع شمل في عاجل واقتراب
ثم قابلت أباي ثناء	بدعاء صالح مستجاب
يا أهيل الود أنتم مرادي ،	وإليكم في العلاء انيسابي
ذكركم لي شاغل في حضوري ،	وثناكم مؤنسي في اغترابي

الصاحب المعظم

وقال وكتب بها جواباً إلى الصاحب
المعظم تاج الدين بن البارنيادي كاتب السر
الشريف بطرابلس عن أبيات وصلته منه أولها :
من وفي إلى صفني مضاف ،
حسن الذكر كامل الأوصاف
فأجاب :

نلتُ من ودكَ الجميل انتصافي ، حيثُ من سائر القذى أنتَ صافي
وتيقنتُ مُدَّ أذنتَ لكتبي أن تُوافي ، بأنَّ لي أنتَ وافي
حملتها قوادِمٌ مِن وفاءٍ ، وخوافٍ للودِّ غيرُ خوافٍ
أيها الصاحبُ المعظمُ تاجُ الـ لدينِ ربَّ الإسعادِ والإسعافِ
لا تظنَّ انقطاعَ كتبي بأنِّي لك جافٍ ، كلاً ولا مُتجافٍ
ذكرُكم ملءُ مسمعي ، وسناوَجَ هكَّ تِلْقاءِ ناظري والهوى في^٢
وردتُ عبدكَ المُقَصَّرَ أيما ت فأغنته عن كُؤُوسِ السُّلافِ
بقوافٍ قد رُصِّعتْ بالمعاني ، ومعانٍ قد فُصِّلَتْ بالقوافي
فتخَيَّرْتُ ما أقولُ ، وأهدي نحوَ تلكَ الأخلاقِ والألطفِ
غيرَ أنِّي لَفَقْتُ نَذَرَ جَوابٍ ، لي شافٍ ، وإن غداً غيرَ شافٍ

١ القوادِم : الريشات التي في مقدم الجناح وهي كبار الريش ، والخوافي : صفاره وهي تحت القوادِم .

الخوافي الثانية من خفي : استتر .

٢ الهوى في : أي في قلبي ، وفي البيت اكتفاء .

فاسخُ لي مُنعِماً بتمهيدِ عُدري ؛ إنَّها من خلائقِ الأشرافِ
قد شرحتُ المبسوطَ من قِصرِ عُدري ، فاعتبرهُ من رأيكَ الكشافِ

عبد يود بقاء رقه

قال وكتب بها في صدر رسالة إلى
السلطان الملك الصالح :

من غرسِ نِعْمَتِهِ وتُربِ سَمَاحِهِ ، ورَبِيبِ دَوْلَتِهِ وراضِعِ جُودِهِ
عَبْدٌ يَوَدُّ بَقَاءَ مَالِكِ رِقَّتِهِ ، عِلْماً بِأَنَّ جُودَهُ بِوُجُودِهِ
يَطْوِي الْمَفَاوِزَ وَهُوَ يَنْشُرُ فَضْلَهُ ، وَوَدَادُهُ مِنْهُ كَحَبْلِ وَرِيدِهِ
لَا يَسْتَطِيعُ جُحُودَ شَامِلِ بِرِّهِ ، عَبْدٌ ، قَلَائِدُ جُودِهِ فِي جِيدِهِ

عبد يقبل الأرض

وقال وكتب بها في صدر رسالة
أخرى إليه عز نصره :

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ عَبْدٌ تَحْتَ ظِلِّكُمْ ، عَلَيْكُمْ بَعْدَ فَضْلِ اللَّهِ يَعْتَمِدُ
مَا دَارُ مَيَّةَ مِنْ أَقْصَى مَطَالِبِهِ ، يَوْمًا ، وَأَنْتُمْ لَهُ الْعَلِيَاءُ وَالسِّنْدُ

رعى الله من ودعته

وقال في صدر رسالة وكتب بها
إليه عند رحيله من ماردین متوجهاً
إلى مصر :

رَعَى اللهُ مَنْ وَدَّعْتُهُ ، فَكَأَنَّمَا أودَّعُ روحاً بَيْنَ لَحْمِي وَأَعْظَمِي
وَقُلْتُ لِقَلْبِي ، حِينَ فَارَقْتُ مَجْدَهُ : فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقَتْ غَيْرَ مُذَمَّمٍ

يا سادة

وقال في صدر رسالة وكتبها إليه
عند عودته من الشام لزوم ما لا يلزم :

يا سادَةَ مُذْ سَعَتْ عَنْ بَابِهِمْ قَدَمِي ، زَلْتُ ، وَضَاقَتْ بِي الْأَمْصَارُ وَالطَّرِيقُ
قَدْ حَارَبَ الصَّبْرَ وَالسَّلْوَانَ بَعْدَكُمْ قَلْبِي ، وَصَالَحَ طَرْفِي الدَّمْعُ وَالْأَرْقُ
وَدَوَّحَةُ الشَّعْرِ مُدْفِرَتْ مُجْدَكُمْ ، قَدْ أَصْبَحْتُ بِهَجِيرِ الْهَجْرِ تَحْرِيقُ
فَإِنْ أَرَدْتُمْ لَهَا الْبُقْيَا بِقُرْبِكُمْ ، تَدَارَكُوهَا ، وَفِي أَغْصَانِهَا وَرَقُ

هلم إلى ربع الجواد

وقال في صدر شفاعة إليه :

أقولُ لسارٍ يَطْلُبُ الرِّزْقَ ساقياً سَوَامَ الْأَمَانِي مِنْ حِيَاضِ الْمَطَامِعِ
هَلُمَّ إِلَى رُبْعِ الْجَوَادِ الَّذِي بَدَتْ مَنَاقِبُهُ مِثْلَ النُّجُومِ الطَّوَالِيعِ
وَرَبِّ دَلِيلٍ لِي إِلَيْهِ أَجَبْتُهُ : كَفَانِي دَلِيلًا مَا لَهُ مِنْ صَنَائِعِ
وَمُسْتَشْفِعٍ بِي عِنْدَهُ قُلْتُ إِنَّهُ كَرِيمٌ ، نَدَاهُ عِنْدَهُ خَيْرُ شَافِعِ

ما اشتقت الحمى

وقال وكتب بها إلى الملك ناصر
الدين عمر أخيه وقد طلبه إلى الحمى
بمباردين وسيرها أمانه :

فوالله ما اشتقتُ الحِمَى لِحَدَائِقِ بِهَا الدَّوْحُ يَزْهِي غُصْنُهُ وَوَرِيقُهُ
بَلْ اشْتَقْتُ لَمَّا قَبِلَ إِنَّكَ بِالْحِمَى ، وَمَنْ ذَا الَّذِي ذَكَرُ الْحِمَى لَا يَشَوْقُهُ

سقى الله

وقال في صدر رسالة وكتبها إلى
السلطان الملك المؤيد عماد الدين صاحب
حماة طاب ثراه :

سقى الله أرضاً، نور وجهك شمسها، وحيّا سماءً ، أنت في أفقها بدرُ
وروى بلاداً ، جودُ كفك غيثها ، ففي كل قطرٍ من نَدَاكَ بها قطرُ

أصبحت كالورقاء

وقال في صدر رسالة أخرى
إليه وهي لزوم ما لا يلزم :

يا سادةً حُمِلْتُ من بعدهم ، أكثرَ من عهدي ومن طَوْقي
أصبحتُ كالورقاء في مدحِكُم ، لما غدا إنعامُكُم طَوْقي
إنَّ حواسي الخمسَ مُذْغِبْتُمُ ، إليكمُ في غايَةِ الشوقِ
تَحْلُون في عيني وسمعي ، وفي لمسي ، وفي شَمِّي ، وفي ذَوْقي
كذا جهاتي الستَ من بعدهكم مملوءةٌ من لَاحِجِ الشوقِ
خلفني وقدّامي ، ويُمْناي واليه رى ، ومن تحتي ومن فوقِ

إليك اشتياقي

وقال في صدر رسالة :

إليكَ اشتياقي لا يُحَدِّدُ لَأَنَّهُ إذا حُدِّدَ لا يُلْفَى لضابطِهِ أَصْلُ
وكيفَ يُحَدِّدُ الشَّوْقُ عِنْدِي بضابطِ وليسَ لَهُ جِنْسٌ "قَرِيبٌ" وَلَا فَصْلُ

سواد في بياض

ولما سَطَرْتُ الطَّرْسَ أَشْفَقَ نَاطِرِي ، وقال لَطِيسِي : سَوْفَ أَمْحُوكَ بِالْمَطَلِ
كِلَانَا سَوَادٌ فِي بَيَاضٍ ، فَمَا الَّذِي تَمُنُّ بِهِ حَتَّى تُشَاهِدَهُم قَبْلِي

كل مصور في النار

لَا غَرَوَ أَنْ يَصِلَ الْفُؤَادُ لِبَعْدِكُمْ نَاراً تُؤَجِّجُهَا يَدُ التَّذْكَارِ
قَلْبِي إِذَا غَبِمَ يُصَوِّرُ شَخْصَكُمْ فِيهِ ، وَكُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ

أحن إليكم

أَحِنُّ إِلَيْكُمْ كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ ، وَيَشْتَاقُ قَلْبِي كُلَّمَا مَرَّ خَاطِفٌ
وَأَهْتَزَّ مَنْ خَفَقَ النَّسِيمَ ، إِذَا سَرَى ، وَلَوْلَاكُمْ مَا حَرَّكَتَنِي الْعَوَاصِفُ

رعى الله

رَعَى اللَّهُ مَنْ فَارَقْتُ يَوْمَ فِرَاقِهِمْ حُشَاةَ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَعُوا
وَمَنْ ظَلَعْتَ رُوحِي ، وَقَدْ سَارَ ظَلَعُهُمْ ، فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنِينَ أَشْبَعُ

يا بعيداً

يَا بَعِيداً يَشْتَاقُهُ لِحْظُ عَيْنِي ، وَقَرِيباً مَحَلُّهُ فِي فُؤَادِي
تَشْتَهِي الْعَيْنُ أَنْ تَرَكَ وَلَوْ بِـ تٌ مَرِيضاً وَأَنْتَ مِنْ عَوَادِي
وَتَمَنَيْتُ لَوْ كَتَبْتُ كِتَابِي أَنْ إِنْسَانَهَا مَكَانَ الْمِدَادِ
لَا تَنْظُنَّ الْبُعَادَ يُخْلِقُ عَهْدِي ، أَوْ تَحُلْ الْأَيَّامُ عَقْدَ وَدَادِي
أَنْتَ مِنْ مُهْجَتِي مَكَانَ السَّوِيدَا ، وَمِنْ مَقَلَّتِي مَكَانَ السَّوَادِ

ختم الأحلام

م تَخْلُ مِنْكَ خَوَاطِرِي وَنَوَاطِرِي ، فِي حَالِ تَسْهَادِي ، وَحِينَ أَنَامُ
فِي طَيْبِ ذِكْرِكَ مِنْكَ تَبْدَأُ يَقْظَتِي ، وَبشَخْصِ طَيْفِكَ تُخْتَمُ الْأَحْلَامُ

طيب الوصل في الحلم

وَاللَّهِ مَا سَهَرَتْ عَيْنِي لِبُعْدِكُمْ ، لَعَلِمَهَا أَنَّ طَيْبَ الْوَصْلِ فِي الْحُلُمِ
وَلَا صَبَوْتُ إِلَى ذِكْرِ الْجَلِيسِ لَكُمْ ، لِأَنَّ ذِكْرَكُمْ فِي خَاطِرِي وَفَتْمِي

سلام عليكم

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ مُحِبِّ مُتَسِيمٍ ، مَشَوْقٍ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ لَهُ جُنَا
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ شَجٍّ ، كَلَّمَا هَدَتْ مِنْ اللَّيْلِ آثَاءُ الظَّلَامِ لَهُ أَنَا
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ غَرِيٍّ بِذِكْرِكُمْ ، إِذَا هَبَّ خَفَاقُ النَّسِيمِ لَهُ حَنَّا^١

١ معنى البيت غامض ، وربما كان فيه تحريف .

٢ الغري : المولع .

سلامٌ عَلَيْكُمْ لا فُجِعْنَا بِقُرْبِكُمْ ، ولا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ بُعْدَكُمْ عَنْنا
سلامٌ عَلَيْكُمْ ما حَيَّيْنَا ، وإنْ نَمُتْ عَلَيْكُمْ سلامٌ اللهُ مِنْ بعدِنا مِنْنا

يا بياض البياض

يا بَيَاضَ البَيَاضِ ! أَنْتَ مِنَ الأَءِ يَنْ والقَلْبِ فِي سَوادِ السَّوادِ
طالَ شَوْقِي إِلَيْكَ ، والسِّرُّ خافِ عَنْ جَمِيعِ الأَنامِ ، والشَّوْقُ بَادِ
فلَتُنْ سِرْتُ عَنْ حِمَاكَ وَحَالَ الـ شَوْقُ ما بَيْنَنا بَغِيرِ مُرادِ
ما تَزَوَّدْتُ مُدَّ رَحَلْتُ سَوى الهَدْمِ ، فلا تَجْعَلْنَهُ آخَرَ زَادِي

أخذت بثأر الدهر

إذا ما تراءتْ لِي مَحاسِنُ شَخْصِكُمْ يُطالِبُنِي قَلْبِي وَيَمْطُلُّنِي صَبْرِي
فأَحْجِمُ ، لا خَلَّ يُعَوِّضُ عَنْكُمْ لَدَيَّ ، ولا وَعْدُ يَقُومُ بِهِ عُنْدِي
فإنَّ سَمَحَ الدَّهْرِ المُشْتِ بِقُرْبِكُمْ ، وأَصْلَحَ ما قَدْ أَفْسَدَتْهُ يَدُ الهَجْرِ
أَخَذْتُ بَثْأَرَ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ كاشِحٍ ، يَقُولُ بَأْنَ القَدَرِ مِنْ شَيْمِ الدَّهْرِ

بَعْدَ بَعْدِ قُرْبِ

لَثْنُ حَكَمَتِ بَفُرْقَتِنَا اللَّيَالِي ، وَرَاعَتْنَا يَبْعَدُ بَعْدَ قُرْبِ
فَشَخْصُكَ لَا يَزَالُ جَلِيسَ عَيْنِي وَذَكَرُكَ لَا يَزَالُ أُنَيْسَ قَلْبِي

كَيْفَ أُنْسِي

لَسْتُ يَوْمًا أُنْسِي مَوَدَّةَ مَوْلَايَ ، وَإِنْ كَانَ لِلْمَوَدَّةِ أُنْسِي^١
كَيْفَ أُنْسِي مَنْ كَانَ رَاحَةً قَلْبِي وَصَفَا عَيْشِي وَجَامَعَ أُنْسِي^٢

شَرَابُ الدَّمُوعِ

الشَّوْقُ أَعْظَمُ جُمْلَةٍ ، يَا سَيِّدِي ، مِنْ أَنْ يُحَدِّثَ يَسِيرُهُ بِكِتَابِ
وَلَوَاعِجُ الْبُرَحَاءِ أَعْظَمُ كَثَرَةٍ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا بَلِغُ خِطَابِي
لَا بِنْتَ يَا إِنْسَانَ أَعَيْنِ حَبَّتِي عَنِّي ، وَبَيْتَ قَصِيدَةِ الْأَصْحَابِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ شَرَبُ الدَّمَاءِ مُحَرَّمًا صَيَّرْتُ بَعْدَ كَمِ الدَّمُوعِ شَرَابِي

١ أنسي : من النسيان .

٢ أنسي ، من الأنس : ضد الوحشة .

أشكو اليك

أشكو إليك اشتياقاً لست تُنكيرُهُ مني وأبدي ارتياحاً أنتَ تعرِفُهُ
وأرتجيك لعينٍ أنتَ مانعُها طيبَ الرقادِ ، وقلبٍ أنتَ مُتلفُهُ
فكلَّ يومٍ مقالي حينَ يُقلِقُنِي قلبٌ لبُعدِكَ باللقيا أُسوّفُهُ
لا أوحشَ اللهُ مِمَّن لا أرى أحداً من الأنامِ ، إذا ما غابَ يَخْلِفُهُ

غاية القرب

ومِن عَجَبِي أَنِّي أَحِينَ إِلَيْكُمْ ، ولم يَخْلُ طَرَفِي مِنْ سَنَاكُمْ وَلَا قَلْبِي
وَأَطْلُبُ قُرْباً مِنْ حِمَاكُمْ ، وَأَنْتُمْ إِلَى نَاطِرِي وَالْقَلْبُ فِي غَايَةِ الْقُرْبِ

حضور غيب

أفدي الذين قَضَتْ لَهُمْ أَيْدِي النَّوَى بِالْبُعْدِ عَنْ أَوْطَانِهِمْ فَتَغَرَّبُوا
غَابُوا ، وَمِثْلَ شَخْصِهِمْ لِنَوَاطِرِي ذَكْرِي لَهُمْ ، فَهُمْ الْحُضُورُ الْغَيْبُ

سواد القلب وسواد العين

أَيَا مَنْ ضَاعَ فِيهِ نَفِيسُ عُمْرِي ، وَصَبْرِي بَيْنَ إِعْرَاضٍ وَبَيْنِ
أَرَاكَ مُمَثَّلًا بِسَوَادِ قَلْبِي ، فَمَنْ لِي أَنْ يَرَاكَ سَوَادُ عَيْنِي ؟

كنت اصبر

قال وكتب بها إلى من دنا دأباً وعز مزاراً :

قَدْ كُنْتُ أَصْبِرُ ، وَالْدِيَارُ بَعِيدَةٌ ، فَالْيَوْمَ قَدْ قَرُبْتُ وَصَبْرِي فَانِي
مَا ذَاكَ مِنْ عَكْسِ الْقِيَاسِ ، وَإِنَّمَا لَتَضَاعُفِ الْحَسَرَاتِ بِالْحِرْمَانِ

القرب شر من البعد

وَمَا زَادَنِي قُرْبُ الدِّيَارِ تَلَهْفًا عَلَيْكُمْ ، لِأَنَّ التُّرْبَ شَرٌّ مِنَ الْبُعْدِ
وَلَكِنْ ، إِذَا الظَّمَانُ شَاهِدَ مَنَهْلًا ، عَلَى قُرْبِهِ ، زَادَ الْحَنِينَ إِلَى الْوَرْدِ

دنوتم فزاد الشوق

دنوتم ، فزادَ الشوقُ عما عهدته ، وزدتُ لقربِ الدارِ كَرَباً على كَرَبٍ
وكنْتُ أظنَّ الشوقَ في البُعدِ وحده ، ولم أدِرْ أنَّ الشوقَ في البُعدِ والقُربِ

الدنو بعاد

شوقِي إليكم ، والديارُ قَرِيبةٌ ، وإن قلتُ: زالَ معَ التقربِ
دنتِ الديارُ بكم ، وعزَّ مزاركم ، حتى توهَّمتُ الدنُو

تباعدتم وأوحشتم

وقال فيمن قدم من سفر ثم سافر على الأثر :

وكنَّا سألنا اللهَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ، وَيَقْضِي لَنَا بِالْقُرْبِ مِنْكُمْ وَيَحْكُمُ
وَنَجْلُو بِأَيَّامِ السَّرُورِ وَنُورِهَا لِيَالِي أَحْزَانٍ ، بِهَا الْعَيْشُ مُظْلِمٌ
فَلَمَّا أَنِسْنَا مِنْكُمْ بِخَلَائِقٍ تُصَدِّقُ مَا تَرَوِي الْخَلَائِقُ عَنْكُمْ
تَبَاعَدْتُمْ ، لَا أَبْعَدَ اللهُ دَارَكُمْ ، وَأَوْحَشْتُمْ ، لَا أَوْحَشَ اللهُ مِنْكُمْ

هبة الزمان

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَادِمٍ جَذَبَ الْفِرَاقَ بِيَاعِهِ
وَهَبَ الزَّمَانُ لَنَا الْلِقَاءَ ، وَدَعَاهُ فِي اسْتِرْجَاعِهِ
عَانَقْتُهُ عِنْدَ الْقُدُومِ ، وَجَدْتُ فِي إِسْرَاعِهِ
فَهَوَ اعْتِنَاقُ لِقَائِهِ ، وَهَوَ اعْتِنَاقُ وَدَاعِهِ

بأي أرض تموت

وقال وكتب بها يستدعي أحد الأعيان :

لَيْسَ كُلُّ الْأَوْقَاتِ يَجْتَمِعُ الشَّمْسُ لِي ، وَلَا رَاجِعٌ لَنَا مَا يَفُوتُ
فَاغْتَنِمُ سَاعَةَ اللَّقَاءِ ، لَمْ تُنَفَسْ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

نجل الجياد

لَقَدْ جُرْتُ فِي الصَّدِّ حَدَّ الزِّيَادَةِ ، فَلَا تَجْعَلِ الْمَهْجَرَ خُلُقًا وَعَادَةً
فَعِنْدِي اشْتِيَاقٌ شَدِيدٌ إِلَيْكَ ، وَقَلْبُكَ يَشْهَدُ هَذَا الشَّهَادَةَ

وَعَوَّدَتْنِي مِنْكَ حُسْنَ الْوَدَادِ ، وَمَا يَطْلُبُ الْقَلْبُ إِلَّا اعْتِيَادَهُ
وَأِنِّي عَهْدْتُكَ نَجَلَ الْجِيَادِ ، لِذَلِكَ أَطْلُبُ مِنْكَ الْإِجَادَةَ
فَإِنَّ أَنْتَ أَتَمَحَقَّتْنِي بِالْحُضُورِ ، فَمِنْ أَيْنَ لِلْعَبْدِ هَذِهِ السَّعَادَةُ ؟

تقبله وقبله

وقال في جواب كتاب من بعض الأعيان :

مَا جَاءَ عَبْدَكَ مَسْطُورٌ بَعَثَ بِهِ إِلَّا تَقَبَّلَهُ حُبًّا ، وَقَبَّلَهُ
وَلَا سَمَحْتَ بُوْعْدٍ فِيهِ مَرْتَقَبٍ ، إِلَّا تَأَمَّلَهُ عَشْرًا وَأَمَّلَهُ
وَلَا أَتَيْتَ بَعْدِي عَنْ تَأْخِرِهِ ، إِلَّا تَعَلَّلَ بِاللَّقِيَا وَعَلَّلَهُ
مَا ضَرَّ مَوْلَايَ لَوْ زَادَ الْخَطَابُ بِهِ ، وَلَوْ تَطَوَّلَ بِالْحُسْنَى وَطَوَّلَهُ

كتاب هو السحر

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ أَحْسَبُ أَنَّهُ هُوَ السَّحَرُ لَا بِلْ دُونَ مَوْقَعِهِ السَّحَرُ
بَشَرٍ يَظَلُّ النَّظْمُ يَحْسُدُ رَصْفَهُ ، وَنَظْمٌ لِلطُّفْلِ السَّبَكِ يَحْسُدُهُ النَّثَرُ
لَهُ رُقَّةُ الْخَنَسَاءِ فِي حَالِ نَوْحِهَا ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ لِقُوَّتِهِ صَخَرُ
إِذَا شَنَّفَ الْأَسْمَاعَ دُرُّ نِظَامِهِ ، تَيَقَّنَ كُلُّ أَنْ مُرْسَلُهُ الْبَحَرُ

كتبت

كَتَبْتُ ، فما علمتُ أَخَطُّ نَقْشٍ يَلُوحُ لَنَاظِرِي أَمْ حَظُّ نَفْسِي
 فَمَ بِهِ عَلَيَّ سُرُورٌ يَوْمِي ، وَكَادَ بَأْنُ يُعِيدَ سُرُورَ أَمْسِي
 وَقَالُوا : قد وَجَدْتَ بِهِ سُرُورًا ، فَقُلْتُ مُصْرَحًا مِنْ غَيْرِ لَبْسٍ :
 غَرَسْتُ بِصَدْرِ مُرْسِلِهِ وَدَادَا ، فَمَا أَنَا قَدْ جَنَيْتُ إِحْمَارَ غَرَسِي

اتق الله في أمري

أَنَا فِي كِتَابٍ مِنْكَ يَتَفَتَّحُ بِالسَّحْرِ ، وَلَكِنَّهُ بِالْعَتَبِ مُتَفَتِّحُ السَّحْرِ
 يَضُمُّ عِتَابًا مِنْ عُبَابِكَ ذَاخِرًا ، وَلَا عَجَبٌ ، إِذْ ذَاكَ ، مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
 فَأَشْعِرْتُ مِنْ تَعْرِيفِهِ بِسِعَايَةٍ رَمَتْنِي بِهَا الْأَعْدَاءُ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي
 فَإِنْ يَكُ حَقًّا ، فَاجْعَلِ الْعَفْوَ كَيْدَهُمْ ؛ وَإِنْ يَكُ زُورًا فَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَمْرِي

الباب الخامس

في مرآتي الأعيان وتعازي الإخوان

انهدام المجد

قال يرثي خاله صفي الدين بن
محسن المقدم ذكره في باب الحماسة
حين قتل غدرًا :

أَنْظَرُ إِلَى الْمَجْدِ كَيْفَ يَنْهَدِمُ ، وَعُرْوَةُ الْمُلْكِ كَيْفَ تَنْفَصِمُ ،
وَاعْجَبْ لَشُهْبِ الْبُرْزَةِ كَيْفَ غَدَتْ ، تَسْطُو عَلَيْهَا الْحِدَاةُ وَالرَّخَمُ ،
قَدْ كُنْتُ أَخْتَارُ أَنْ أُغَيِّبَ فِي الثَّرْبِ ، وَتَبْلَى عِظَامِي الرَّمَمُ ،
وَلَا أَرَى الْيَوْمَ مِنْ أَكَابِرِنَا أَسَدًا ، وَفِيهَا الذَّنَابُ قَدْ حَكَمُوا ،
ظَنَّنُوا الْوَلَايَاتِ أَنْ تَدُومَ لَهُمْ ، فَاقْتَنَطَعُوا بِالْبِلَادِ ، وَاقْتَسَمُوا ،
وَاقْتَدَحُوا بِالْوَعِيدِ نَارَ وَغَى ، وَرُبَّ نَارٍ وَقُودُهَا الْكَلِمُ ،
لَمْ يَعْلَمُوا أَيَّ جُنُودَةٍ قَدَحُوا ، وَأَيَّ أَمْرِ إِلَيْهِ قَدْ قَدِمُوا ،
بَلْ زَعَمُوا أَنْ يَصْدَنَا جَزَعٌ ، كَانَتْ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ مَا زَعَمُوا ،

١ الحداة ، سهل حداة : طائر من الجوارح . الرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية
الطباع .

لا عُرِفَ العِزَّ في مَنَازِلِنَا ،
 إن لم نَقُدِّهَا شُعْثًا مَضْمَرَةً
 بكلِّ أَزْرِ في مَتْنِهِ أَسَدٌ ،
 من فِتْيَةٍ أَرخَصُوا نفوسَهُمْ ،
 إن زَارُوا في الهِجَاجِ تحسُّهُمْ
 شُوسٌ تَظُنُّ العِدَى سِهَامَهُمْ
 صَغِيرُهُمْ لَا يَغِيْبُهُ صِغَرٌ ،
 ففِي القَضَايَا إن حُكِّمُوا عَدَلُوا ،
 إن صَمَتُوا كَانَ صَمْتُهُمْ أَدْبًا ،
 مَا عُدْرُنَا ، وَالسَّيْفُ قَاطِعَةٌ ،
 وَحَوْلُنَا مِنْ بَنِي عُمُومِنَا
 بَأْيَ عَيْنٍ نَرَى الْأَنَامَ ، وَقَدْ
 أَمَّا مَمَاتٌ ، وَذِكْرُنَا حَسَنٌ ؛
 لَا شَاعَ ذِكْرِي بِنَظْمٍ قَافِيَةٍ
 وَلَا اِهْتَدَتْ فِكْرَتِي إِلَى دُرَرٍ
 وَشَلَّ مَنِّي يَدٌ ، عَوَائِدُهَا
 إِنْ لَمْ أَخْضَبْ مَلَابِسِي عَلَقًا

وَأُنْكَرْتَنَا الصَّوَارِمُ الْخُدُمُ^١
 تَذُوبٌ مِنْ نَارٍ حَقِدَهَا اللَّجْمُ^٢
 وَكَلَّ طَوْدٍ مِنْ فَوْقِهِ صَنَمٌ^٣
 كَأَنَّهُمْ لِلْحَيَاةِ قَدْ سَتَمُوا
 أَسَدًا عَلَيْهَا مِنَ الْقَنَّا أَجَمُ
 شُهْبًا بِهَا الْمَارِدُونَ قَدْ رُجِمُوا
 وَشَيْخُهُمْ لَا يَشِينُهُ هَرَمٌ^٤
 وَفِي التَّقَاضِي إِنْ حُوكُوا ظَلَمُوا
 أَوْ نَطَقُوا كَانَ نُطْقُهُمْ حِكْمٌ^٥
 وَأَمْرُنَا فِي الْعِرَاقِ مُتَّظِمٌ^٦
 كَتَائِبُ كَالْغَمَامِ تَزْدَحِمُ^٧
 تَحَكَّمَتْ فِي أَسُودِنَا الْغَنَمُ^٨
 أَمَا حَيَاةٌ ، وَرَبَعُنَا حَرَمٌ^٩
 تَلُوحُ حُسْنًا كَأَنَّهَا عَلَمٌ^{١٠}
 يُشْرِقُ مِنْ ضَوْءِ نُورِهَا الْكَلِمُ^{١١}
 يَسْجُولُ فِيهَا الْحُسَامُ وَالْقَلَمُ^{١٢}
 يُصْبَغُ مِنْ سَيْلٍ قَطَرِهَا الْقَدَمُ^{١٣}

١ الخدم : السيوف القاطعة .

٢ الأزر : الظهر .

وَأَخَذَ النَّارَ مِنْ عِدَالِهِ ، وَلَوْ
فِي وَقْعَةٍ تَسْلَبُ الْعُقُولُ بِهَا ،
إِنْ بَاشَرَتْهَا أَقَارِبِي يَسْدِ
يَا صَاحِبَ الرِّتْبَةِ الَّتِي نَكَصَتْ
قَدْ كُنْتَ لِي ذَابِلًا أَصُولُ بِهِ ،
مَا كُنْتُ أَخْشَى الزَّمَانَ حِينَ غَدَا
كَفَفْتَ عَنَّا كَفَّ الْخُطُوبِ ، فَمِنْ
مَا أَلْبَسْتَنَا الْأَيَّامُ ثُوبَ عُلَى
عَزَّ عَلَى الْمَجْدِ أَنْ تَزُولَ ، وَأَنْ
تَبْكِي الْمَوَاضِي ، وَطَالَمَا ضَحِكْتَ
فَالْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحْتَ صَوَارِمُهَا ،
يُذَكِّرُنِي جُودَكَ الْغَمَامُ ، إِذَا
إِذْ كُنْتَ لِي دِيمَةً تَسُحُحُ ، وَلَا
لَا جَمَدَتْ أَدْمُعِي ، وَلَا خَمَدَتْ
وَكَيْفَ يَرْقَا عَلَيْكَ دَمْعُ فِتْنَى ،

تَحَصَّنُوا بِالْحَصُونِ ، وَاعْتَصَمُوا
وَأَنْفُسُ الدَّارِعِينَ تُخْتَرَمُ
يَوْمًا ، فَمِنْ دُونِهِمْ يَدُ وَفَمُ
مِنْ دُونِ إِدْرَاكِ شَاوِهَا الْهِمَمُ
مَا خَلَّتْهُ فِي الْهِيَاجِ يَنْحَطِمُ
خَصَمِي لِعِلْمِي بِأَنَّكَ الْحَكَمُ
بَعْدَكَ أَمْسَى الزَّمَانُ يَسْتَقِيمُ
إِلَّا وَأَنْتَ الطَّرَازُ وَالْعَلَمُ
تُخْلِقُ تِلْكَ الْأَخْلَاقُ وَالشِّيمُ
مِنْكَ وَأَمْسَتْ غُمُودُهَا الْقِيمُ
وَشَمَلُهَا فِي الْهِيَاجِ مُنْصَرِمُ
أَصْبَحَ دَمْعُ الْغَمَامِ يَنْسَجِمُ
يَنْسَاكَ قَلْبِي مَا سَحَّتِ الدَّيْمُ
نَارُ أَسَى فِي حَشَايَ تَنْضَطَرِمُ
وَلَحْمُهُ مِنْ ثَرَاكَ مُلْتَحِمُ

غارات المنية

وقال يرثي جماعة أنسابه الذين قتلوا في
تلك الواقعة ويخص منهم خاله جلال الدين
عبد الله بن حمزة بن محاسن المذكور في باب
الحماسة :

جبالٌ بأرباحِ المنيةِ تُنسَفُ ، غدتْ وهي قاعٌ في الوقائعِ صَفَصَفُ^١
مَحْتَهَا رِياحٌ للمَنُونِ عَوَاصِفُ ، على أنها لا تُنْقَى حينَ تَعَصِفُ
أفي كلِّ يومٍ للمنيةِ غارةٌ ، تُغِيرُ على سِرْبِ النفوسِ فتَخْطِفُ
كانَ حِبالَ السَّاحِرِينَ نفوسُنَا ، وتلكَ عصا موسى لها تَتَلَقَّفُ
أغارَتْ على الأقيالِ من آلِ سِنِيسِ ، فأصْبَحَ فيهمُ صرْفُها يَتَصَرَّفُ
رِجالٌ ، لو أنَّ الأُسْدَ تُخَشِّي ديارَهُمُ ، لكنْتُ عليها منهمُ أَتَخَوَّفُ
شموسُ أَرانا الموتُ في التُّرْبِ كسَفَها ، وما خلتُ أن الشمسُ في التُّرْبِ تَكْسِفُ
أناها ، فلمْ تُدْفِعْ من السِّيفِ وقعةٌ ، ولمْ يُغْنِ منهُ السَّابِرِيُّ المُضَقَّفُ^٢
ولا الحِيلُ تَجْرِي بينَ آذانِها القَنَا ، تُقَرِّطُ من خُرْصانِهِ وتُشَنَّفُ^٣

١ القاع : أرض سهلة مطمئة قد انفرجت عنها الجبال والآكام. الصفصف : المستوي من الأرض ، المظمن .

٢ السابري : درع دقيقة النسيج محكمة. المضيف : لعله من تصاف القوم : اجتمعوا ، يريد أن نسج الدرع مجتمع محكم .

٣ الخرصان : الرماح القصيرة ، الواحد خرص . والخرصان أيضاً حلق من الذهب والفضة وغيرها . تقرط : تلبس أقرطاً ، والقُرط : ما يملق في شحمة الأذن من درة ونحوها . تشنف : تلبس الشنوف ، والشنف : ما يعلق في الأذن أو أعلاها من الحلي .

ولا رَدَّ عن نَفْسِ ابنِ حمزةَ جاشُها
ولا صارِمٌ ماضي الغرارِ بكفِّه ،
عَرُوفٌ بأحوالِ الضرابِ تُوْمَةُ
ألا في سَبِيلِ المجدِ مَصْرَعُ ماجِدِ
إذا ما أرادَ الضدُّ غايةَ ذمِّه
تصدَّعَ قلبُ البرقِ يومَ مُصابِه ،
وما زالَ بَدْرُ التَّمِّ يَلْطُمُ وجهه
فيا هالكاً قد أطمعَ الخطبَ هُلْكُهُ ،
لقد كُنْتَ حِصْناً مانعاً بكَ نلتجِي
فإن كنتَ في أيامِ عَيْشِكَ كَعْبَةٍ
فبعدك لا شَمْلُ اللّٰهِي متفَرِّقٌ ،
سأبكيكَ بالعزِّ الذي كنتَ مُلبِسي ،
وأنزِفُ من حزني دَمِي لا مَدَامِعي ،
سَقَى اللهُ تُرباً ضَمَّ جِسْمَكَ وإيلاً
إذا أنكَرْتَ أيدي البلي عَرَصاتِه ،

ولا الجيشُ من أمواجه الأرضُ ترجِفُ
مَضارِبُهُ في الرُّوعِ بالدمِ تَرَعِفُ
عزيمَةُ شَهْمٍ منه بالضربِ أَعْرِفُ
ثِمَارُ الأمانِ مِن أيادِيهِ تَقْطِفُ
تَوَصَّلَ حَتَّى قالَ: في الجودِ مُسْرِفُ
أَلَسْتَ تَراهُ خافِئاً حينَ يَخْطِفُ
على فَقْدِهِ حَتَّى اغْتَدَى ، وهو أَكْلَفُ
وكانَ بهِ طَرَفُ النَوائِبِ يُطَرَفُ
حِذارَ العِدَى ، واليومَ بِاسْمِكَ نَحْلِفُ
يُلاذُّ بها ، فالْيَوْمَ ذَكَرُكَ مُصْحَفُ
يَجُودِ ، ولا شَمْلُ العُلَى مُتَأَلَفُ
وكنْتُ بهِ بَيْنَ الْوَرَى أَتَصَرَّفُ
وأيُّ دَمٍ أَبْقَيْتَ في فَيْتَرَفُ
يُنَمِّقُ رَوْضاً بَرْدُهُ وَيُفَوِّفُ
يَنَمُّ على أَرْجائِهِ ، فيُعَرِّفُ

فجعت بك الدنيا

وقال يرثي خاله المذكور :

سَفَهَا ، إِذَا شُقَّتْ عَلَيْكَ جُيُوبُ ،
وَتَمَلَّقَا سَكَبُ الدَّمِوعِ عَلَى الثَّرَى
يَا حَمْزَةَ الثَّانِي الَّذِي كَادَتْ لَهُ
إِنْ ضَاعَ ثَارُكَ بَيْنَ آلِ مُحَاسِنٍ ،
لَمْ أَبْكِ بِالْحُزَنِ الطَّوِيلِ تَمَلَّقَا ،
فَلَأَبْكِيَنَّكَ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا ،
لَا يَأْمَلَنَّ بَنُو أَبِي الْفَضْلِ الْبَقَا ،
وَوَرَاهُمْ مِنْ آلِ سِنْبِسٍ عَصَبَةٌ
قَوْمٌ ، إِذَا غَضِبُوا عَلَى صَرْفِ الْقَضَا ،
وَإِذَا دُعُوا يَوْمًا لِدَفْعِ مُلِمَةٍ ،
إِنْ خُوطِبُوا ، فَحَدِيثُهُمْ وَخِطَابُهُمْ
فَلْيَبْكِيَنَّكَ طَرْفُ كُلِّ مُشَقَّفٍ
يَبْكِيكَ فِي يَوْمِ الْهَيْجِ بِأَعْيُنٍ
وَالصَّبْحُ لَيْلٌ بِالْعَجَاجِ ، وَقَدْ بَدَا

إِنْ لَمْ تُشَقَّ مَرَاثِرُ وَقُلُوبُ
إِنْ لَمْ يُمَازِجْهَا الدَّمُ الْمَسْكُوبُ
صُمُّ الْحِبَالِ الرَّاسِيَاتِ تَذُوبُ
تِلْكَ الْمُحَاسِنُ كُلَّهِنَّ عُيُوبُ
حُزْنِي عَلَيْكَ وَقَاتِعٌ وَحُرُوبُ
حَتَّى يُحَطِّمَ ذَابِلٌ وَقَضِيبُ
إِنْ الْفَنَاءَ إِلَيْهِمْ لِقَرِيبُ
مُرْدٌ ، وَشُبَّانٌ تُهَابُ ، وَشَيْبُ
جَاءَ الزَّمَانُ مِنَ الذُّنُوبِ يَتُوبُ
بَسَمُوا فِي وَجْهِ الزَّمَانِ قُطُوبُ
يَوْمَ الْجِلَادِ ، حَوَادِثُ وَخُطُوبُ
يُزْهَى بِحَمْلِ سِنَانِهِ الْأُنُوبُ
خُزْرٍ ، مَدَامِعُهَا الدَّمُ الْمَصْبُوبُ
بِالْبَيْضِ فِي فُودِ الْعَجَاجِ مَشِيبُ

١ الذابِل : الرمح . القضيب : السيف .

ولقد رَضِيتَ بَأَن تَعِيشَ مَنْزَهاً ،
فِي مَنَصِبٍ ، لِّلَّهِ فِيهِ طَاعَةٌ
سَتُثِيرُ ثَارَكَ ، يَا ابْنَ حِمَزَةٍ ، عَصْبَةٌ
نُجَبَاءُ مِنْ آلِ الْعَرِيفِ ، إِذَا سَطَوْا
سَمِعْتَ بِمَصْرَعِكَ الْبِلَادُ فَأَرْجَفَتْ ،
وَبَكَى لِرُزْئِكَ صَعْبُهَا وَذَلُولُهَا ،
تَبْكِي الْعِثَاقُ ، إِذَا نَعَتَكَ عَوَاقُ ،
فُجِعْتَ بِكَ الدُّنْيَا ، فَلَا وَجْهَ الْعُلَى
إِذْ أَنْتَ فِي يَوْمِ الْجِلَادِ عَلَى الْعِدَى
يَا شَمْسَ أَفْقٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا
إِنْ غُيِبَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنُ فِي الثَّرَى
حُزَّتِ الْمَحَامِدُ بِالْمَكَارِمِ مَيَّتًا ،
فَابْشِيرْ ، فَإِنَّكَ بِالثَّنَاءِ مُخَلَّدٌ ،
حَيًّا الْحَيَا جَدًّا حَلَلْتَ بِتَرْبِهِ ،
لَا زَالَ تَبْكِيهِ عَيُونُ سَحَابٍ ،
تَهْمِي عَلَيْهِ لِّلْسَحَابِ مَدَامَعٌ ،

لَا غَاصِبًا فِيهَا ، وَلَا مَغْصُوبُ
تُرْضِي ، وَلِلْفُقَرَاءِ فِيهِ نَصِيبُ
شَمُّ الْأَنْوَفِ إِلَى الْقِرَاعِ تَثُوبُ
يَوْمًا ، أَفَادُوا الدَّهْرَ كَيْفَ يَنْوَبُ
وَتَوَاتَرَ التَّصَدِيقُ وَالتَّكْذِيبُ
وَشَكَا لِفَقْدِكَ شَائِهَا وَالذَّيْبُ
وَيَحِينُ بَيْنَكَ إِذْ أَبَانَ النُّوبُ
طَلَقُ ، وَلَا صَدْرُ الزَّمَانِ رَحِيبُ
خَطَبُ وَفِي يَوْمِ الْجِدَالِ خَطِيبُ
لِلشَّمْسِ فِي طَيِّ الصَّعِيدِ غُرُوبُ
فَجَمِيلُ ذِكْرِكَ فِي الْبِلَادِ يَجُوبُ
فَغَدَا لَكَ التَّأْيِينُ لَا التَّأْيِبُ
مَا غَابَ إِلَّا شَخْصُكَ الْمَحْجُوبُ
حَتَّى تَعَطَّرَ نَشْرُهُ ، فَيَطِيبُ
لِلبَرَقِ فِي حَافَاتِهِنَّ لَهَيْبُ
فَتُشَقُّ فِيهِ لِلشَّقِيقِ جُيُوبُ

القضيب الداوي

وقال يرثي ولد صديق له :

يا قَضِيْباً ذُو ، وَكَانَ نَضِيْرًا مَا رَأَيْنَا لَهُ الْغَدَاةَ نَظِيْرًا
أَظْلَمَتْ بَعْدَهُ الدِّيَارُ ، وَقَدْ كَا نَ سِرَاجاً بِهَا وَبَدَراً مُنِيْرًا
غَيَّبَتْهُ الْأَرْضُونَ عَنَّا ، وَمَا خِلَا تْ أَدِيمَ التَّرَابِ يَحْوِي الْبُدُورَا
لَا وَلَا خِلْتُ أَنْ شُهِبَ الدَّرَارِي بَعْدَ أَوْجِ الْعُلَى تَحِلَّ الْقُبُورَا
يَا حَبِيْباً ، فِرَاقُهُ أَخْرَبَ الْقَدَا بَ ، وَقَدْ كَانَ مَتَرِلاً مَعْمُورَا
فَاجَأْتَنَا بِالنَّدْبِ أَصْوَاتُ نَاعِي لِكَ ، وَكَادَتْ قُلُوبُنَا أَنْ تَطِيْرَا
فَنَفَيْتَنَا الرِّقَادَ عَنْ كُلِّ عَيْنٍ ، فَجَرَّتْهَا دُمُوعُهَا تَفْجِيْرَا
مَا رَأَى النَّاسُ قَبْلَ مِثَالِكِ يَوْمَا كَانَ بِالْبَيْنِ شَرَهُ مُسْتَطِيْرَا
وَلَقَدْ خِفْتُ مِنْ فِرَاقِكَ يَوْمَا بَاكِياً بِالشُّبُورِ يَنْعَى ثِيْرَا
فَبِرْغَمِي أَنْ لَا أَرَى مِنْكَ وَجْهًا يَرْجِعُ الطَّرْفُ مِنْ سَنَاهِ حَسِيْرَا
كَنتَ رِيحَانَةَ الْقُلُوبِ ، فَقَدْ دَا رَ بِكَ التُّرْبُ عَنِيْرًا وَعَبِيْرَا
كَنتَ شَهْمًا مَعَ الْحَدَاثَةِ فِي السَّ نَ ، وَجَلَدَا عَلَى الْبَلَاءِ صَبُورَا
وَحَمَلْتَ الْأَثْقَالَ عَنِّي فَأَمْسَى بِكَ طَرْفِي بَيْنَ الْأَنَامِ قَرِيْرَا
فَجَزَاكَ الْإِلَهِ عَنْ ذَلِكَ الصَّبِّ رِ عَلَى الْهَوْلِ جَنَّةً وَحَرِيْرَا
وَأَرَاكَ الْإِلَهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ نَعِيْمًا بِهَا وَمُلْكًا كَبِيْرَا

١ الشُّبُور : الهلاك . ثِيْر : جبل .

خذها على طيب السماع

وقال يرثي السلطان الملك المنصور طاب ثراه وقد كان
نظم مرثية بالعراق وحضر إلى ماردين للغزاة فوجد الغزاة
قد انقضت وبنيه قد خلموا الحزن ونصبوا مجلس الأنس
فاستجيب لإرادها ونظم على هذا النمط الغريب :

أدركها بأمنٍ لا يُغيَّركَ الوهمُ ، وزُفَّ على الجُلَّاسِ ما خَلَّفَ الكَرَمُ
وداوٍ أذاها بالسماعِ ، فإنَّها بلا نَقَمٍ غَمٌ ، بلا دَسَمٍ سُمٌ
مُعْتَقَّةٌ لو غَسَلُوا ميتاً بها لما ذابَ منه المَخُ وانهَشَمَ العَظَمُ
ولولا انتقاءُ اللهِ قلتُ بأنَّها بها تَنطِقُ الأمواتُ أو تَسْمَعُ الصَّمُ
فلَمْ يَرِ يوماً كاسَها مَنْ رَأَى الأذى ، ولا مَسَّها بالكَفِّ مَنْ مَسَّهَ الهَمُ
فخذها على طيبِ السماعِ ، فإنَّها بِشاشةٍ وجهِ العيشِ إن عَبَسَ الهَمُ
ولا تَخْشَ من لَئِمٍ ، إذا ما شَرَبْتِها ، لظاهرِ قولِ الناسِ إنَّ اسمَها الإِئِمُ
فما كلَّ وصفٍ في الحَقِيقَةِ ذاتُه ، وليسَ المُسَمَّى في حَقِيقَتِه الاسمُ
ولو أنَّ وَصَفَ الشَّيْءِ عَيْنٌ لِداتِه ، أو الذِّكْرَ لِلشَّيْءِ المُرادِ هوَ الجُرْمُ
لما ماتَ مَنْ سَمَّوهُ باللفظِ خالِداً ، ولا خَرَّ مَلِكٌ في الثَّرى واسمُه نَجْمُ
كما خَرَّ نَجْمُ الدِّينِ من عَرشِ مُلكِه ولم يُغْنِ عَنهُ الباسُ والعَزمُ والحَزْمُ
مَضَى المَلِكُ المَنصُورُ من دَسَتِ مُلكِه ولم يُنْجِه المُلْكُ المُتَمَنِّعُ والحُكْمُ
مَلِكٌ أَفاضَ العَدْلَ في كُلِّ مَعشَرٍ ، فليسَ لَهُ ، إلَّا لأموالِه ، ظَلَمُ
وما غَيَّبَتِهُ الأرضُ ، إلَّا لأنَّها ، لأقدامِه ، ما كانَ يُمَكِّنُها اللَّئِمُ

وَخَلَّفَ أَشْبَالَ سَعَوْا مِثْلَ سَعْيِهِ
 مَلُوكًا حَدَّوْا فِي الْجُودِ حَدَّوْا أَبْيَهُمْ
 وَأَشْرَقَ فِي الشَّهْبَاءِ فِي الدَّسْتِ مِنْهُمْ ،
 هُوَ الصَّالِحُ الْمَلِكُ الَّذِي لَيْسَ الْبَهَا ،
 جَمِيعُ أَمَارَاتِ الشَّهِيدِ ظَوَاهِرُ
 وَأَهْوَنُ شَيْءٍ عِنْدَهُ الْخَيْلُ وَاللَّهْنَى ،
 وَأَحْسَنُ أَيَّامِ السَّمَاحِ وَلُودُهَا ،
 وَرَبُّ حَدِيثٍ مِنْ عُلَاهُ سَمِعْتُهُ ،
 وَفَيْضِ نَوَالٍ مِنْ يَدَيْهِ أَفْدَتُهُ ،
 وَلَمَّا أَرَادَ الدَّهْرُ كَيْدِي فَزُرْتُهُ ،
 فَأَخَّرَ صَرَفَ الدَّهْرِ عَنِّي ، فَلَا يَرَى

لثَلَا يَعْمُ النَّاسَ مِنْ بَعْدِهِ الْيَوْمُ
 فِي كُلِّ وَصْفٍ مِنْ نَدَاهُ لَهُمْ قِسْمُ
 وَقَدْ غَابَ عَنْهَا تَجْمُهَا ، بِدَرْهَا التَّمْ
 وَلِلنَّاسِ مِنْهُ ، فَوْقَ ثَوْبِ الْبَهَا ، رَقْمُ
 عَلَيْهِ تَسَاوَى الْبَاسُ وَالرَّأْيُ وَالْفَهْمُ
 وَأَنْفَقُ شَيْءٍ عِنْدَهُ النَّثْرُ وَالنَّظْمُ
 إِذَا أَعْجَبَ النَّجَالُ أَيَّامُهَا الْعُقْمُ
 لِحُلُوجَتَاهُ ، مِنْ حُلُوقِ النَّهْيِ طَعْمُ
 لَهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ جَسَدِي وَسَمُ
 وَبَيْتُ ، وَلِي فِي صُحُفِ إِنْعَامِهِ رَسْمُ
 مُقَابَلَتِي لَمَّا دَرَى أَنَّهُ الْخَصْمُ

سقى عهدك العهد

وقال يرثي ملوكاً كان رباه صغيراً
 حتى صار كاتباً فطناً وسيداً :

هَجَرَتْ بَعْدَكَ الْقُلُوبُ الْجُسُومَا
 حِينَ أَمْسَتْ مِنْكَ الرَّبُوعُ رُسُومَا
 وَخَلَّتْ مِنْ سَنَّاكَ زَهْرُ الْمَغَانِي ،
 فَاسْتَحَالَ النَّهَارُ لَيْلًا بِهَيْمَا

١ الرقم : يرد موشى .

يا هِلالاً أودى به الحسف لما
وقضياً رُمنا لذيذ جنّاه ،
ما ظننّا المنونَ ترقى إلى البَد
هدّ قلبي من كان يؤنس قلبي
ونأى يؤسفي ، فقد ذهبَ عينا
يا صغيراً حوى عظيمَ صفات ،
خلقاً طاهراً ، وكفّاً صنّاعاً ،
كنت رقي ، فصرت مالك رقي
ويدين ثنت عِنانَ يراعٍ ،
ومقال ، إذا دعاه لبيبٌ
وإذا ما تَلَوْتُ نَظْمِي ونَثَرِي ،
يا خليلاً ، ما زالَ خصماً لخصمي
كيف جرّعتني الحميم من الحُر
نمت عن حاجتي ، فأحدثَ عندي
وترحلتَ عن فيائي رَحِيلاً ،
لست أنساكَ ، والمنيّة تُخفي
ومسحتُ الجبينَ منك بكفّي ،
كنت أملتُ أن تُشيعَ نعشي ،
وتوقعتُ أن أُرَدَّ بك الخط

صارَ عندَ الكمالِ بَدراً وسيماً
فدوى حين صار غُصناً قوياً
ر ، وأنّ الحِمَامَ يَغشى النجوماً
إذْ نَبَذناهُ بالعراءِ سَقِيماً
يَ من حُزْنِهِ ، وكنتُ كَظِيماً
أوجبتُ في قلوبنا التعظيماً
ولساناً طلقاً ، وطبعاً سليماً
بحجّى منك يَسْتَخِفُ الحُلوماً
أنبئتُ في الطروسِ دُرّاً نَظِيماً
ظنّ أنّي منك استفدتُ العلوماً
خالني منك أطلبُ التعليماً
كيف صيرت لي الغرامَ غَريماً
ن ، وقد كنتَ لي صديقاً حَمِيماً
لتنائيك مُقْعِداً ومُقيماً
صيرَ الحُزنَ في الفؤادِ مُقيماً
منك نُطقاً عذباً وصوتاً رَخيماً
فأعادَ المسيحُ قلبي كليماً
وتواري في التُربِ عَظْمي الرَمِيماً
ب ، فأَمسى نواكَ خَطْباً جَسِيماً

قد تَبَوَّاتِ قَاطِنًا جَنَّةَ الْخُلْدِ ، فَأَوْرَثْتَ فِي فُؤَادِي الْجَحِيمَا
وَتَقَرَّرْتَ بِالنَّعِيمِ مِنَ الْعَيْ شِرِّ ، وَأَبْقَيْتَ لِي الْعَذَابَ الْأَلِيمَا
فَسَقَى عَهْدَكَ الْعِيَادُ ، فَقَدْ فُزْتُ تَ بَزُلْفَى الْجِنَانِ فَوْزًا عَظِيمَا
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ حَيًّا ، وَمَيِّتًا ، وَرَضِيعًا ، وَيَافِعًا ، وَفَطِيمَا

بدور تحت التراب

وقال يرثي السلطان الملك المنصور
وهي الأولى المشار إليها :

يا بُدُورًا تَغِيبُ تَحْتَ التَّرَابِ ، وَجِبَالًا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ اعْتِبَارًا وَذِكْرًا ، يَتَوَعَّى بِهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
قُلْ لِّصَادِي الْآمَالِ لَا تَرِدِ الْعَيْ شِرِّ ، فَإِنَّ الْحَيَاةَ لَمَعُ سَرَابِ
أَيْنَ رَبِّ السَّرِيرِ وَالْجِيزَةِ الْبَيْ ضَاءِ ذَاتِ النُّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ
عَرَصَاتٌ كَأَنَّهُنَّ سَمَاءٌ ، قَدْ تَوَارَتْ شُمُوسُهَا فِي الْحِجَابِ
أَيْنَ رَبِّ الْأَرَاءِ وَالرَّبَّةِ الْعَدِ يَاءِ ، وَالْمَاجِدِ الرَّفِيعِ الْجَنَابِ
وَالَّذِي لَقَبُوهُ بِالْأَبْلَجِ الْوَ هَابِ طَوْرًا ، وَالْعَابِسِ النَّهَابِ
لَيْتُ إِنَّا أَرْتَقَ الْمَلِكُ الْمَنَ صُورُ ، رَبُّ الْإِحْسَانِ وَالْأَنْسَابِ

١ المهاد : مطر الربيع .

صاحبُ الرتبةِ التي نكصَ العا
ومُجَلِّي لبسِ الأمورِ ، إذا برَ
حازَ حِلْمَ الكُهولِ طِفْلاً وأعطي
جلَّ عن أن تُقبَلَ الناسُ كَفِيَّةً
لم تُرْتَحِ أعطافهُ نَشوَةُ المُلدِّ
رافعُ النَّارِ بالبِقاعِ ، إذا أخذَ
ومُحِيلُ العامِ المَحِيلِ ، إذا عتا
عرَفُوا رَبَّعَهُ ، وقد أنكَرَ الجُوءُ
وقدورٍ بما حوتِ راسياتِ ،
ملكٌ أصبحَ الخلائقُ والأُ
فاعتَبِرْ خُضرةَ الرِّياضِ تَجِدُها
حَمَلوهُ على الرِّقابِ ، وقد كا
ما أظنَّ المَنونَ تَعَلَّمُ ماذا
يارَجِيمَ الخطوبِ ، فاسترقِ السَّهْمَ
فليَطُلْ ، بعدهُ على الدَّهْرِ عَتَبِي ،
أيتها الذَّاهِبُ الذي عَرَضَ الأُمُّ
طارَ لُبَّ السَّماحِ ، يومَ تُوَفِّيهِ
وعَلا في المَلأ عَوِيلُ العَوالي ،

لمُ من دونِها على الأعقابِ
قَعَ قُبْحُ الخطا وجوهَ الصَّوابِ
وَرَعَ الشَّيبُ في أوانِ الشَّبَابِ
هـ ، فكانَ التَّقِيلُ للأعتابِ
كـ ، ولا يَزدهيه فَرطُ اعتِجابِ
مَدَّ بَرْدُ الشِّتاءِ صَوْتَ الكِلابِ
دَ لسانُ الفَصيحِ نطقَ الذِّبابِ
دُ ، برَفَعِ اللِّوَا ونَصَبِ العِتابِ
وَجِفاءِ مَمْلُوءَةٍ كالجِوانِي
يَأمُ والأَرْضُ بعدهُ في اضطرابِ
أثَرَ اللَّطَمِ في خُدودِ الرِّوابي
نَ نَداهُ أطواقَ تلكَ الرِّقابِ
قَصَفَتْ بعدهُ من الأصْلابِ
ح ، فأفَقُ العُلَى بغيرِ شِهَابِ
رُبَّ ذَمٍّ مُلقَّبِ بعتابِ
والِ والنَّاسَ بعدهُ للذَّهابِ
تَ ، وشَقَّتْ مَرائِرُ الآدابِ
ونَحيبُ البِراعِ والقِرْصابِ

١ الجوابي : الأحواض .

لو يُرَدِّ الرَّدَى بِقُوَّةٍ بِأَسْرِ
بَأْسُودٍ بِيضِ الْوَجْهِ ، طِيَالِ
تَرَكَوا اللَّهَوَ نَلْغُوةً ، وَأَفَنُوا
وَجِيَادٍ مِثْلَ الْعَقَارِبِ نَحْوِ
كُلِّ طَيْرٍ مُطَهَّمٍ ، سَائِلِ الْغُدُ
كُنْتَ ذُخْرًا لَنَا ، لَوْ أَنَّ الْمَنَاسِ
لَمْ أَكُنْ جَازِعًا ، وَأَنْتَ قَرِيبٌ ،
كَانَ لِي جُودُكَ الْعَمِيمُ أَنْيَسًا
مَا بَقَائِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ ، إِلَّا
لَوْ قَيْنَاكَ فِي الْأُمُورِ الصَّعَابِ
بَاعَ ، شَمُّ الْأَنْوْفِ ، غُلْبِ الرِّقَابِ
عُمَرَاهُمْ فِي كِتَابٍ ، أَوْ كِتَابِ
رَوْعٍ تَسْعَى شَوَائِلَ الْأَذْنَابِ
رَّةً ، جَعَدِ الرَّسْغِينَ ، سَبْطِ الْإِهَابِ
يَا جُنُبْتُ عَنْ رَفِيعِ ذَاكَ الْجَنَابِ
لِبُعَادِ الْأَهْلِينَ وَالْأَنْسَابِ
فِي انْفِرَادِي ، وَمَوْطِنًا فِي اغْتِرَابِي
كِبْقَاءِ الرِّيَاضِ بَعْدَ السَّحَابِ

مبدد شمل المال

وقال يرثي ولده الملك ناصر
الدين محمداً طاب ثراه :

عيونٌ لها مَرَأَى الْأَحْبَةِ لِإِمْدٍ ،
وعَيْنٌ خَلَّتْ مِنْ نُورِ وَجْهِ حَبِيبِهَا ،
ولي لِمُقْلَةٍ قَدْ أَنْكَرَ الْغَمُضَ جَفْنُهَا ،
عَجِيبٌ لَهَا فِي عُمَرِهَا كَيْفَ تَرَمَدُ^٢ ،
عَجِبْتُ لَهَا ، مِنْ بَعْدِهِ ، كَيْفَ تَرْقُدُ^١ ،
وعَرَفَهَا صَرْفُ النَّوَى كَيْفَ تَسْهَدُ

١ القلب : الغلاظ ، كناية عن القوة .

٢ الأثمد : الكحل .

تراعي النجوم السائرات ، كأنما
تحاوله بين النجوم ، لأنه
ملك ، لو أن الريح تشبه جوده ،
مبدد شمل المال ، وهو مجمع ،
فلا نمتق الاعذار يوماً لسائل ،
دهته المنايا ، وهي من دون بأسه ،
فيا ملكاً قد أطلق الجود ذكره ،
لقد كنت للوفاد وبلاً ، وللعدي
فكم أنشأت كفالك في المحل عارضاً ،
وكم أرسلت يمناك في الحرب للعدى
إذا ما وتى مسراه ثقلاً يحثه
فينظم فيها الرمح ما السيف نائر ،
فمفرداً من نثر سيفك توأم ،
وفي معرك الآداب كم لك موقف ،
ولم يبق من أي المفاخر آية ،
عليك سلام الله ، لا زال سمرداً
فلو خلد المعروف قبلك ماجداً

تمثل فيهن الملك محمد
لرئيته فوق الكواكب مقعداً
لما أوشكت يوماً من الدهر تركد^١
وجامع شمل الحمد ، وهو مبدد
ولا قال للوفاد : موعيدكم غد
كذا الصارم الصمصام يفنيه مبرد
وكل نزيل من نداءه مقيد
وبالآ ، به تشقى أناس وتسعد
وخد الثرى من عارض الخطب أمرد
سحاب نكال بالصواهل يبرعد^٢
جواد وعضب : أجرد ومجرد
وينثر فيها العضب ما اللدن ينضد
وتوأمها من نظم رحك مفرد
لأهل الحجي منه مقيم ومقعد
ولا غاية ، إلا وعندك توجد
كجودك حتى بعد فقدك سمرداً
لكنت بإسداء الجميل مخلداً

١ تركد : تسكن .

٢ النكال : هو أن يصنع شخص صنيعاً يحذر غيره إذا رآه .

بكى عليك الحسام والقلم

وقال يرثي أخاه الملك ناصر
الدين عمر طاب ثراه وجل
من براه :

بكى عليك الحسام والقلم ، وانفجع العلم فيك والعلم
وضعت الأرض ، فالعياد بها لا طيمة ، والبلاد تلتطم
تظهر أجزائها على ملك ، جل ملوك الورى له خدم
أبلغ ، غص الشباب ، مقتبل العم ر ، ولكن مجده هرم
محكم في الورى ، وآمله يحكم في ماله ويحكم
يتجمع المجد والثناء له ، وماله ، في الوفود ، يقتسم
قد ستمت جودة الأنام ، يلقاه ، من بذله الندى ، سام
ما عرفت منه لا ، ولا نعم ، بل دون الآلاء والنعم
الواهب الألف ، وهو مبتم ، والقاتل الألف ، وهو مفتحم
مبتم والكماة عابسة ، وعابس ، والسيوف تبتم
يستصغر العصب أن يصول به إن لم تجرد من قبله الهمم
ويستخف القناة يحملها ، كأنها في يمينه قلم
لم يعلم العالمون ما فقدوا منه ، ولا الأقربون ما عديموا
ما فقد فرد من الأنام ، كمن إن مات ماتت لفقده أمم
والناس كالعين إن نقدتهم ، تفاوتت عند نقدك القيم

يا طالبَ الجودِ قد قضى عُمْرُ ،
ويا مُنادي الندى ليدركهُ !
مضى الذي كانَ للأَنامِ أبا ،
وسارَ فوقَ الرقابِ مُطَرَحاً ،
مُقلَّباتِ السَّروجِ شاخِصَةً ،
وحلَّ داراً ضاقتْ بساكنيها ،
كانهُ لم يَطلْ إلى رُتبٍ ،
ولم يُمهِّدْ للمُلكِ قاعِدَةً
ولم تُقبَلْ لَهُ المُلوكُ يداً
ولم يَقْدُ للحروبِ أَسَدَ وَغَى ،
ولم يَصِلْ والخَميسُ مُرتَكِبٌ
إِنَ الذي كانَ للورى سَنَداً ،
إِنَ الذي إِن سَرى إلى بَلَدٍ
أين الذي يَحْفَظُ الذِّمامَ لَنَا
يا ناصرَ الدِّينِ ، وابنَ ناصِرِهِ ،
وصاحبَ الرِّتبةِ التي وَطِئَتْ
تُفني عَلَيكَ الورى ، وما شَهِدُوا

فكلُّ جُودٍ وُجُودُهُ عَدَمٌ
أَقصِرْ ، ففِي مَسَمِعِ الندى صَمَمٌ
فالْيَوْمَ كلُّ الأَنامِ قد يَتَمَوُا
وحَوَلَهُ الصَّافِئاتُ تَزْدَحِمُ
لها زَفِيرٌ ذابتْ بِهِ اللُّجُجُ
ودونَ أدنى دِيارِهِ لارَمُ^١
تَقصُرُ من دونِ نيلِها الهِمَمُ
بها عِيُونُ العُقُولِ تَحْتَلِمُ
تَرغَبُ في سِلْمِها ، فَتَسْتَلِمُ
تَسري بها من رِماحِها أَجَمُ
عِبابُهُ ، والعِجاجُ مُرتَكِمُ
ورحبُ أَكثافِهِ لها حَرَمُ
لا ظَلَمَ يَبقى بِهِ ، ولا ظَلَمَ
إِن خُفِرَتْ عِندَ غَيرِهِ الذِّمَمُ
ومَن بِهِ في الخُطوبِ يُعْتَصِمُ
لها على هامَةِ السَّهَى قَدَمُ^٢
مِنَ السَّجَايا إِلَّا بما عَلِمُوا

١ لرم : مدينة أسطورية .

٢ السهى : نجم خفي .

يَبْكِيكَ مَا لَوْفُكَ التَّقَى أَسْفَا ، وصاحبك العَفَافُ وَالكَرَمُ
لَمْ يَشَقَّ يَوْمًا بِكَ الْجَلِيسُ ، مَسَّ نَدَامَاكَ عِنْدَكَ النَّدَمُ
أَغْنَيْتَنِي بِالْوَدَادِ عَنْ نَسَبِي ، كَأَنَّمَا الْوَدَّ بَيْنَنَا رَحِمُ
لَوْلَا التَّسْلِي بِمَنْ تَرَكْتَ لَنَا أَلَمْ يَ بِي مَنْ تَدَكُّهِيَ لَمَمُ
وَفِي بَقَاءِ السَّلْطَانِ تَسْلِيَةٌ لِكُلِّ قَلْبٍ بِالْحُزْنِ يَضْطَرِمُ
الْمَلِكُ الصَّالِحُ الَّذِي ظَهَرَتْ مِنْهُ السَّجَايَا ، وَطَابَتْ الشِّيمُ
لَا زَالَ يُغْنِي الزَّمَانَ فِي دَعَا ، وَالذِّكْرُ عَالٍ ، وَالْمَلِكُ مُنْتَظِمُ

يا ليت شعري

وقال يرثيه أطاب الله مثواه :

يَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَقَدْ أَوْدَى بِكَ الْقَدْرُ ، يَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَقَدْ أَوْدَى بِكَ الْقَدْرُ ،
وَكَيْفَ جَارَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ مُعْتَدِيًا ، أَمَا تَعْلَمُ مِنْكَ الْعَدْلَ يَا عُمُرُ
يَا ابْنَ الْمُلُوكِ الْأُولَى كَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ طَوْعًا وَأَقْبَلَ صَرْفُ الدَّهْرِ بِاتْمِرُ
يَا نَاصِرَ الدِّينِ ، يَا مَنْ جُودُ رَاحَتِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ عَلَى الْأَيَّامِ يَتَنَصِّرُ
أَنْتَ الْجَوَادُ الَّذِي لَوْلَا مَكَارِمُهُ ، لِأَصْبَحَ الْجُودُ عَيْنًا مَا بَهَا بَصَرُ
تُعْطِي وَتَبْسُطُ بَعْدَ الْبَذْلِ مَعْدَرَةً ، وَعُذْرُ غَيْرِكَ دُونَ الْبَذْلِ يُبْتَدَرُ

الحم : جنون .

فَقَتَ الْمُلُوكَ جَمِيعاً فِي عَطَاً وَسَطاً ،
وَحُزَّتْ أَخْلَاقُ شَمْسِ الدِّينِ مَكْتَسِباً
خَاطَرَتْ فِي طَلَبِ الْعِلْيَاءِ مُجْتَهِداً
رَفَعَتْ ذِكْرَكَ بِالْإِنْعَامِ مُتَتَجِداً ،
قَدْ كَانَ جُودُكَ لِي عَيْنَ الْحَيَاةِ إِذَا
أَعَزَّ عَلَيَّ بِأَنْ أَدْعُوكَ ذَا أَمَلٍ ،
وَأَنْ يُحِثَّ إِلَى مَغْنَاكَ وَفْدُ ثَنَاءٍ ،
طَابَتْ مَرَاتِيكَ لِي بَعْدَ الْمَدِيحِ ، وَمَنْ
كَانَ حُزْنُكَ مِنْ أَسْمَائِهِ سَقَرًا ،
سَقَى ضَرْبِيكَ صَوْبُ الْمُزْنِ مُنْبَجِسًا
وَكَيْفَ أَسْأَلُ صَوْبَ الْمُزْنِ رِيَّ ثَرَى

فَأَنْتَ كَالْبَحْرِ فِيهِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
وَالشَّمْسُ مَكْتَسِبٌ مِنْ نُورِهَا الْقَمَرُ
وَمَا يُخَاطِرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
بِهِ ، وَغَيْرُكَ بِالْأَمْوَالِ يَفْتَخِرُ
وَرَدَّتْهُ ، وَحَوَانِي رَبُّكَ الْخَضِيرُ
فَلَا يُجَابُ بِرِفْدٍ مِنْكَ يَنْهَمِرُ
وَلَيْسَ مِنْكَ بِهِ عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
بَعْدَ السَّرُورِ بَرَانِي الْحُزْنُ وَالْفِكْرُ
فَذَاكَ فِي الْقَلْبِ لَا يَبْقَى ، وَلَا يَذَرُ
حَتَّى يُدَبِّجَ أَقْصَى تَرْبِهِ الزَّهْرُ
حَلَلَتْ فِيهِ ، وَفِيهِ الْبَحْرُ وَالْمَطَرُ

١ متجداً : مستعيناً .
٢ سقر : من أسماء جهنم .

نفوس الصيد أثمان المعالي

وقال يرثي الأمير ركن الدين اسحق ابن ملك الأمراء
سيف الدين بهادر المنصوري وقد قتله الأكراد اللاذخية حين
غزاهم بوادي جهنم من نواحي الجزيرة ويعرض السلطان
الملك الصالح على أخذ ثأره منهم حالا :

نفوسُ الصيْدِ أثمانُ المعالي ، إذا هزّتْ معاطِفُها العوالي ،
وأبدتْ أوجهُ البيضِ ابتِسَاماً ، يُطِيلُ بكاءَ آجالِ الرجالِ
ومَنْ عَشِقَ العَلَاءَ ، وخافَ حَتَفاً رَحِيبُ الصَّدْرِ في ضيقِ المجالِ
ولم يَحْزِرِ العُلَى إِلَّا كَمِيٌّ ، وكلَّ نعيمِ مُلكٍ في زوالِ
تَيَقَّنَ أَنَّ طِيبَ الذِّكْرِ يَبْقَى ، تَعَلَّمَ رَبُّهَا طَلَبَ الكَمَالِ
لِذَاكَ سَمَتْ بِرُكْنِ الدِّينِ نَفْسٌ ، وَيَحْمُومَ المَنِيَّةِ كالزَّلَالِ
سَمَتْ فَأَرَتْهُ حَرَّ الكَرِّ بَرْداً ، وَصَيَّرَ جِسْمَهُ غَرَضَ النَّبَالِ
فَأَلْبَسَ عِرْضَهُ دِرْعاً حَصِيناً ، وَحَلَّ عَلَى الأَرَائِكِ في ظِلَالِ
تَبَوَّأَ جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ داراً ، وكلَّ لَهِيبِ صَدْرِ في اشتِعَالِ
وخلَّفَ كلَّ قَلْبٍ في اشتِغالٍ ، وأفْقَدَ فَقْدَهُ عَزِيٍّ وَمَالِي
بروحي مَنْ أَذَابَ نَوَاهُ رُوحِي ، بَأَنَّ التُّرْبَ بُرْجٌ لِلهِلالِ
ولم أَكْ قَبْلَ يَوْمِ رَدَاهُ أَدْرِي ، وما وَقَعَ النَّبَالِ على الجِبَالِ
وقالوا: قد أُصِيتَ، فقلتُ: كَلّا،

١ اليعموم : الأسود من كل شيء ، الدخان .

ولم أعلمُ بأنَّ الرَّمْسَ يُسمَّى
 أيا صَخْرَ الجَنَانِ أَدَمْتَ نَوْحِي ،
 وَفَتَّ لِي فِيكَ أَحْزَانِي وَدَمْعِي ،
 بِذَلَّتِ النَّفْسُ فِي طَلَبِ المَعَالِي ،
 تُسَابِقُ لِلوَعَى قَبْلَ التَّنَادِي ،
 شَدَدَتِ القَلْبَ فِي خَوْضِ المَنَايَا ،
 لَيْسَتْ عَلَى ثِيَابِ الوَثْيِ قَلْبًا ،
 تَهْزُ لِمُلْتَقَى الأَعْدَاءِ عِطْفًا ،
 فَعِشْتَ ، وَأَنْتَ مَمْدُوحُ السَّجَايَا ،
 أُرْكَنَ الدِّينِ كَمْ رُكْنٍ مَشِيدٍ
 رُبُوعَكَ بَعْدَ بَهْجَتِهَا طُلُوعُ ،
 تَنُوحُ لِفَقْدِكَ الجُرْدُ المَذَاكِي ،
 يَحْنُ إِلَى يَمِينِكَ كُلُّ عَضْبٍ ،
 أَتَسْلُبُكَ المَتُونُ ، وَأَنْتَ طُودُ ،
 وَتَضَعُ عَزْمَةَ البَيْضِ المَوَاضِي ،
 وَلَمْ تُحْطَمْ قَنَاةٌ فِي طَعَانٍ ،
 بِمَوْجِ الحَرْبِ مِنْ صَدَفِ اللَّآلِي
 فَهِيَ أَنَا فِيكَ خَسَاءُ الرِّجَالِ
 وَخَانَ عَلَيْكَ صَبْرِي وَاحْتِمَالِي
 كَبَدْلِكَ لِلْهُيَ يَوْمَ النِّوَالِ
 كَسَبَقِكَ بِالْعَطَا قَبْلَ السُّوَالِ
 وَوَبِلُ الثُّبُلِ مُنْحَلَّ العِزَالِي
 غَنَيْتَ بِهِ عَنِ الدَّرْعِ المِذَالِ
 يَهْزُ رَطِيئُهُ مَرَحُ الدَّلَالِ
 وَمُتَّ ، وَأَنْتَ مَحْمُودُ الحِلَالِ
 هَدَدْتَ بِفَقْدِ ذِيَاكَ الجَمَالِ
 وَحَالِيهَا مِنَ الأَنْوَارِ خَالِ
 وَتَبْكِيكَ الصَّوَارِمُ والعَوَالِي
 وَتَشْتَاقُ الأَعْيَنَةَ لِلشَّمَالِ
 وَتُرْخِصُكَ الكُمَاةُ ، وَأَنْتَ غَالِ
 وَتَقْصُرُ هِمَّةُ الأَسَلِ الطَّوَالِ
 وَلَمْ تُفْلَلْ صِفَاحٌ فِي قِتَالِ

١ الهى : المطايا .

٢ قوله العزالي : هو من قولهم أنزلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة وقع المطر ، شبه شدة انصباب
 النبال بشدة انصباب المطر .

٣ المذال : الطويل الذيل .

ولا اضْطَرَمَتْ جِيَادُ في طِرَادٍ ،
 ولا رَفَعُوا بَوَقَ الخَيْلِ نَقْعاً ،
 وتُمْسِي اللَّاذْحِيَّةُ في رُقَادٍ ،
 ولم تُقْلَعْ لِقْلَعَتِهِمْ عُرُوشُ ،
 ولا وادي جَهَنَّمَ حِينَ حَلَّتْوا
 سَابِكِي مَا حَيَّيْتُ ، وَلَسْتُ أَنْسَى
 ولو أَنْتِي أَبْلَغُ فَيْكَ سُؤْلِي ،
 بَكْلَ مُهَنْدِ الحَدَّيْنِ ماضٍ
 يُرِيكَ بِهِ رُكَامُ المَوْتِ مَوْجاً ،
 وَأَسْمَرَ نَاهِزَ العِشْرِينَ لَدُنْ ،
 يُضِيءُ عَلَى أَعَالِيهِ سِنَانُ
 وَأَشْفِي مِنْ دِمَاءِ عِدَاكَ نَفْساً ،
 لَعَلَّ الصَّالِحَ السَّلْطَانَ يَجْلُو
 وَيُجْرِيهَا مِنَ الشَّعْبَيْنِ قُبّاً ،
 يُحَرِّضُهَا الطَّرَادُ عَلَى الْأَعَادِي ،
 عَلَيْهَا كُلُّ مَاضِي العَزْمِ ذِمْرٍ ،
 وَيَشْفِي عِنْدَ أَخَذِ الثَّأْرِ مِنْهُمْ
 وَأَعْلَمُ أَنَّ عَزْمَتَهُ حُسَامُ ،
 ولا أَعْتَرَكْتَ رِجَالُ في مَجَالٍ
 ولا نُسِجَ الغُبَارُ عَلَى الجِلَالِ
 تَوَهَّمُ فَعِلَهَا طَيْفَ الحِيسَالِ
 إِذَا اسْتَوَتْ الْأَسَافِلُ وَالْأَعَالِي
 بِهِ أَمْسَى عَلَيْهِمْ شَرٌّ قَالَ
 صَنَائِعُكَ الْأَوَاخِرَ وَالْأَوَالِي
 بَكَيْتُكَ بِالصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي
 تَدَبَّ بِهِ الْمَنِيَّةُ كَالنَّمَالِ
 وَتَمْنَعُهُ الدَّمَاءُ مِنَ الصَّقَالِ
 رُدَيْتُنِي الْمُنَاسِبِ ذِي اعْتِدَالِ
 ضِيَاءَ النَّارِ فِي طَرْفِ الذُّبَالِ
 تَنْوُطُ الْقَوْلَ مِنْهَا بِالْفِعَالِ
 بَغْرَةً وَجْهِهِ ظَلَمَ الضَّلَالِ
 إِلَى الْهَيَجَاءِ تَسْعَى كَالسَّعَالِ
 كَانَ الْكَرَّ يُذَكِّرُهَا الْمَخَالِي
 كَمَيِّ فِي الْجِلَادِ وَفِي الْجِدَالِ
 نَفُوساً لَيْسَ تَقْنَعُ بِالْمَطَالِ
 وَلَكِنْ التَّقَاضِي كَالصَّقَالِ

لو يرد الردى

وقال يرثي قاضي القضاة بماردين
شمس الدين عبد الله بن المهذب قدس
الله روحه في سنة عشرين وسبعمائة :

لو يردّ الردى ببذل الأيادي ،
ولأبقت في المهذب أيد
ولو أن الحيمام يدفع بالبا
لحمته يوم الهياج حمة
وكمة يظّلها من وشيج ال
بصفاح تخال موج المنايا ،
كل صافي الفيرند بالماء ر
غير أن الأيتام بالخلق تجري
كيف ترجو المقام ، والخلق سفر
أين رب السرير والحيرة البية
إن أسباب فاصلات المنايا
ما اعتمادي على الزمان ، وقد أو
بمديد الظلال مقتضب الرا
مُسرف في السماح يؤهمه الجو
أبقت المكرّمات كعب الإيادي^١
طوّقت بالتدّى رقاب العباد
س ، وبيض الطّبيّ وحمر الصّعاد
تُعرف البيض من نجيع الأعادي
مخطّ غاب يسير بالآساد
في صفا مسنّها عيون الحرّاد
يان ولكنّه إلى الدم صادي
لبلوغ الآجال جري الحياد
نحن ركبٌ وحادث الدهر حادي
ضاء ، أم أين ربّ ذات العِماد
قد أبادت فرعون ذا الأوتاد
دى بمولّى عليه كان اعتمادي
ي بسيط الندى طويل النجاد
دُ بأنّ الإقتصاد في الإقتصاد^٢

١ كعب الإيادي : أحد مشاهير أجواد العرب .

٢ الإقتصاد ، من أقصده : طعنه فلم يخطئه .

لم تُرْتَحِ أَعْطَافُهُ نَسَمَةُ الْكَبِيرِ
 حَاكِمٌ حُكْمَ الْمُؤْمَلِ فِي الْمَا
 وَسَرَتْ مِنْهُ سِيرَةُ الْعَدْلِ فِي النَّا
 شَمْسُ دِينِ اللَّهِ الَّذِي ضَبَطَ الْأَحْ
 رَبُّ حِلْمٍ لِلْبَطْشِ فِيهِ كُمُونٌ ،
 سَطَوَةٌ تُظْمِيءُ الرِّوَاةَ مِنْ الرِّءِ
 وَانْتِقَادٌ ، إِذَا جَلَّتْ ظُلْمَةُ الشَّ
 وَجِدَالٌ مَعْسُولٌ أَكْمَنَهُ اللَّفْ
 ذُو يَرَاعٍ رَطَبِ الْمَشَافِرِ يَبْسُ الـ
 خَدَمَتُهُ الْبَيْضُ الْحِدَادُ ، وَإِنْ كَا
 فَإِذَا مَا جَرَى بِحَلْبَةِ طَرَسٍ
 يُطْلِقُ اللَّفْظَ فِي السَّجِلِ فَيَأْتِي ،
 مَا رَأَيْنَا مِنْ قَبْلِ مَجْرَاهُ خَطًّا
 كُلُّ خَطٍّ سَوَادُهُ فِي بَيَاضٍ ،
 أَيْنَ خَصَبُ الْأَكْنَافِ فِي الزَّمَنِ الْمَا
 وَالْجَوَادُ السَّهْلُ اللَّقَاءِ ، إِذَا مَا
 سَلَبَتَهُ الْأَيَّامُ غَدْرًا ، وَكَانَتْ

ر ، وَلَا اقْتَادَهُ عَيْنَانُ الْعِينَادِ
 ل ، وَقَاضٍ قَضَى بِحَتْفِ الْأَعَادِي
 سِ مَسِيرَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ
 كَامَ ضَبَطَ الْأَمْوَالِ بِالْأَعْدَادِ
 كَلْطَى النَّارِ كَامَنًا فِي الزَّنَادِ
 ب ، وَنُطْقُ يَرْوِي النُّفُوسَ الصَّوَادِي
 ك ، جَلَاهُ بَنُورِهِ الْوَقَادِ
 ظُ كَأَنَّ الْعِدَى فِيهِ فِي جَلَادِ
 مَتْنِ جَمِّ الضَّمِيرِ خُلُوِ الْفُؤَادِ
 نَ صَبِيئًا ، كَبِضْعِ الْفَصَادِ
 رَكُضَ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِي
 بِالْمَعَانِي مَقْرُونَةً فِي صِفَادِ
 سَاطِعِ النَّوْرِ فِي ظَلَامِ الْمِدَادِ
 وَتَرَاهُ بَيَاضُهُ فِي السَّوَادِ
 حَلٍ ، وَالسَّبْطُ فِي السَّنِينَ الْجِعَادِ
 كَانَ سَهْلُ اللَّقَاءِ غَيْرَ جَوَادِ
 طَوَعَ كَفَّيْهِ فِي الْأُمُورِ الشَّدَادِ

١ هذا البيت غامض المعنى ، مختل الوزن ، ولعله محرف .

٢ عجز البيت غامض .

٣ أراد بالسبب سبط الكف كناية عن الكرم . وبالسبب الجعاد : الماحلة ، البخيلة .

وَأَصِيتَ لَفَقْدِهِ ، فَلَهَذَا
 كَانَ عَضْداً لِلْأَمَلِينَ ، فَأَمْسَى
 كَانَ زَيْنَ الْأَوْلَادِ وَالْمَالِ إِنْ زِي
 يَا حُسَاماً مَا خِلْتُ أَنْ أَدِيمَ الْإِ
 كُنْتُ يَوْمَ النَّدَى سَرِيعاً إِلَى الْبِ
 أَيُّ نَادٍ لِلْجُودِ لَمْ تَكُ فِيهِ
 أَصْبَحْتَ بَعْدَكَ الْمَكَارِمُ فَقُرّاً ،
 وَتَوَفِّي السَّمَاحُ ، يَوْمَ تَوْفِيهِ
 فَعَزِّيزٌ عَلَى الْمَكَارِمِ أَنْ تَخْ
 أَوْ يُنَادِيَ لِلْمَكْرُمَاتِ ، فَلَا يَسْ
 رَقْدَةً مَا نَرَاكَ مِنْ قَبْلِهَا ذُو
 مَا شَهِدْنَا مِنْ قَبْلِهَا لَكَ حَالاً
 أَحْسَنَ اللَّهُ عَنْكَ صَبْرَ الْمُتَعَالِي ،
 وَأَطَالَ اللَّهُ عُمَرَ مَرَاثِيهِ
 وَسَقَتْ قَبْرَكَ الْغَوَادِي ، وَإِنْ كَا
 فَلَعَمْرِي لَقَدْ عَهَدْتُ إِلَى الدَّمِ

أَلَيْسَتْ بَعْدَهُ ثِيَابُ حِدَادِ
 بَنَوَاهُ يَفُتُّ فِي الْأَعْضَادِ
 نَ سِوَاهُ بِالْمَالِ وَالْأَوْلَادِ
 أَرْضٍ يُسَمِّي لَهُ مِنَ الْأَجَادِ
 رَ ، وَيَوْمَ الرَّدَى أَيْ الْقِيَادِ
 حَاضِراً بِالنَّدَى ، وَذِكْرُكَ بَادِ
 وَالْمَعَالِي عَوَاطِلَ الْأَجِيَادِ
 تَ ، فَهَلْ كُنْتُمْ عَلَى مِيعَادِ
 فَيَ ، وَفِي النَّاسِ طِيبُ ذِكْرِكَ بَادِ
 بَقُ مِنْكَ النَّدَى نِدَاءَ الْمُتَنَادِي
 تَ عَنْ الْمَكْرُمَاتِ طَعْمَ رُقَادِ
 كُنْتُ فِيهَا خِلَواً مِنَ الْحُسَادِ
 وَعِزَاءَ الْإِنْشَاءِ وَالْإِنْشَادِ
 لَكَ قَانِي فِيهَا حَلِيفُ اجْتِهَادِ
 نَتُّ دُمُوعِي رَوَائِحاً وَغَوَادِي
 عَ لِيُغْنِيَهُ عَنْ دُمُوعِ الْعِيَادِ

١ قوله من الأجداد : هكذا في الأصل .

٢ هذا البيت غامض .

لا ناه ولا آمر

وقال يرثي صديقاً له رتب ناظراً
ببلد العين بالمراق وتوفي فيها :

ما دامَ جَرِيُ الْفَلَكَ الدَّائِرُ ، لم يَبْقَ من بَرٍّ ولا فَاجِرٍ
ما عَطَفَ الدَّهْرُ على حاتمٍ ، كَلَا ، ولا قَصَرَ عن مَادِرٍ
إِنْ خِيُولَ الدَّهْرِ إِنْ طَارَدَتْ أَتْبَعَتْ الْأَوَّلَ بِالْآخِرِ
لا تَحْرِصَنَّ مِنْهُ على مَوْرِدٍ ، فغَايَسَهُ الْوَارِدِ كَالصَّادِرِ
أَبْعَدَ عَبْدِ اللَّهِ بِحْرِ النَّدَى لَزَلَةِ الْأَيَّامِ من غَافِرٍ
مُجْرِي النَّدَى فِي الْأَرْضِ حَتَّى نَهَى بَسِطُهَا من بَحْرِهِ الْوَافِرِ
وَمُخَصَّبٌ فِي بَلَدٍ مَاحِلٍ ، وَعَادِلٌ فِي زَمَنِ جَائِرٍ
وَمَنْ غَدَّتْ سِيرَةُ إِنْْعَامِهِ تَمَلُّ سَمْعَ الْمَثَلِ السَّائِرِ
أَصْبَحَ دَسْتُ الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ خَلَوْا بِلَا نَاهٍ وَلَا آمِرٍ
وَأَصْبَحَ الْعَيْنُ بِلَا نَاطِرٍ ، كَأَنَّهَا الْعَيْنُ بِلَا نَاطِرٍ

١ حاتم : هو حاتم الطائي المشهور بكرمه . مَادِر : لثيم من بني هلال .
٢ قوله نهى : هكذا في الأصل ، ولعله أراد نهل ، أي شرب فحذفت اللام مراعاة للوزن ، واعتاض
منها بالألف .

للدهر مغرى بالكريم

وقال يرثي السيد النقيب غياث الدين عبد الكريم بن عبد
الحميد وقد خرج عليه جماعة من العرب بشط سورها من
العراق فحكموا عليه وسلبوه فأنهم عن سلب سرواله
فضربه أحدهم فقتله ويحرض النقيب الطاهر شمس الدين
الأوي على الأخذ بثأره :

هو الدهرُ مغرّى بالكريمِ وسلّيه ،
أرانا المعالي كيف ينهدّ ركنها ،
أبعد غياث الدين يطمعُ صرْفُه
وتخطو إلى عبدِ الكريمِ خطوبُه ،
سكّيلُ النبيّ المصطفى ، وابنُ عمّه ،
فتى كانَ مثلَ الغيثِ يُخشى وباله
رقيقُ حواشي العيشِ في يومِ سلّمه ،
فلا يتقي الأسيافَ إلّا بوجهه ،
ولا ينظرُ الأشياءَ إلّا بعقله ،
إذا جالَ في يومِ الردى قيلَ مَنْ له ؟
أمن بعدِ ما تمتَّ محاسنُ بدره ،
دهتهُ المنايا ، وهي في حدِّ سيفه ،
فإن كنتَ في شكٍّ بذاك فسَلْ به
وكيف يغورُ البدرُ من بينِ شُبهه
بصرفِ خطابِ الناسِ عن ذمِّ خطبه
ويُطلبُ منا اليومَ غفرانُ ذنبه
ونجلُ الوصيِّ الهاشميِّ لصلبه
ويرجى لطلابِ الندى وبَلْ سُجبه
كثيفُ حواشي الجيشِ في يومِ حربِه
ولا يلتقي الأضيافَ إلّا بقلبه
ولا يسمَعُ الأنباءَ إلّا بلبه
وإن جادَ في يومِ الندى قيلَ مَنْ به ؟
ودارتُ على كلِّ الورى كاسُ حزنه
وصرَفُ الليالي وهو من بعضِ حبه ١

١ من بعض حبه : أي من بعض محبيه .

كَانَ لَمْ يَقْدُهَا كَالْأَجَادِلِ سُرْبًا ،
 وَلَمْ يَقْرَعَ الْأَسْمَاعَ وَقَعَ خِطَابِهِ ،
 وَلَا كَانَ يَوْمَ الدَّسْتِ صَاحِبَ صَدْرِهِ ،
 أُنْعَزَهُ الْأَعْدَاءُ فِي يَوْمِ لَهْوِهِ ،
 وَلَمْ أَرْ قَبْلَ الْيَوْمِ لَيْثَ عَرِيكَتِهِ ،
 وَلَوْ كَانَ مَا بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا ،
 لَكَانَ جَمِيلَ الذِّكْرِ عَنْ حُسْنِ فِعْلِهِ ،
 أَبِي قِيَادِ النَّفْسِ آثَرَ حَتْفِهِ ،
 كَانَ بَنِي (عَبْدَ الْحَمِيدِ) لَفَقْدِهِ ،
 أُنْسَلِبُهُ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَيْنِ رَهْطِهِ ،
 وَتَفَقَّدُهُ فِي دَوْلَةِ ظَاهِرِيَّةِ ،
 بِدَوْلَةِ مَلِكٍ يَغْصِبُ اللَّيْثَ قُوَّتَهُ ،
 فَلَوْ كَانَ شَمْسُ الْحَقِّ وَالذِّينُ شَاهِدًا ،
 بَكَاهُ بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ وَالظُّبَى ،
 وَشَنَّ عَلَى عُرْبِ الْعَذَارِينَ غَارَةً ،
 فَتَعَجَّبُ لَبَّاتُ الْكُمَاةِ بِطَعْنِهِ ،
 فَلَا نَقْطَ إِلَّا مِنْ سِنَانِ قَنَاتِهِ ،
 وَيَرْفَعُ قَبَ اللَّيْلِ مِنْ نَقْعِ قُبَيْهِ ،
 وَلَمْ يَطْرُقِ الْهَيْجَاءَ مَوْقِعُ خَطْبِهِ ،
 وَلِلْجَيْشِ يَوْمَ الْحَرْبِ مَرَكُزُ قُطْبِهِ ،
 فَهَلَا أَتَوْهُ جَحْفَلًا يَوْمَ حَرْبِهِ ،
 أَذَاقَتْهُ طَعْمَ الْمَوْتِ عَضَّةُ كَلْبِهِ ،
 وَفَوْقَ مُتُونِ الْحَيْلِ إِدْرَاكُ نَحْبِهِ ،
 يُنْفَسُّ عَنْ قَلْبِ الْفَتَى بَعْضَ كَرْبِهِ ،
 وَلَمْ يُبْدِ يَوْمًا لِلْعِدَى لَيْنَ جَنْبِهِ ،
 ذُرَى جَبَلٍ هُدَّتْ جَلَامِدُ هَضْبِهِ ،
 وَتَغْتَالُهُ الْأَيَّامُ مِنْ دُونِ صَحْبِهِ ،
 بِهَا الذُّئْبُ يَعْدُو رَائِعًا بَيْنَ سِرْبِهِ ،
 وَيَقْتُلُ مَنْ يَلْقَاهُ شِدَّةُ رُغْبِهِ ،
 لِمَصْرَعِ ذَاكَ النَّدْبِ سَاعَةَ نَدْبِهِ ،
 بِدَمْعٍ مِنَ اللَّبَّاتِ مَسْقِطُ سَكْبِهِ ،
 يَضِيقُ بِهَا فِي الْبَرِّ وَاسِعُ رَحْبِهِ ،
 وَيُعْرِبُ هَامَاتِ الْحُمَاةِ بِضَرْبِهِ ،
 وَلَا شَكْلَ إِلَّا مِنْ مَضَارِبِ عَضْبِهِ .

١ قوله : سرباً ، لعله من قولهم : ظبية ساربة أي ذاهبة إلى مرعاهها . قب الليل : لعله أراد قبة الليل .
 قبه : خيوله الضامرة .

أبا الحربِ بادِرُ واتَّخِذْها صَنِيعَةً ،
فَكَمْ لَغِيَاثِ الدِّينِ مِنْ حَقِّ مِنتَ
قَضَى نَحْبَهُ ، وَالذِّكْرُ مِنْهُ مُخَلَّدٌ
وَمُذْ رَجَعْتَ أَتْرَابَهُ مِنْ وَدَاعِهِ ،
سَقَى قَبْرَهُ مِنْ صَيِّبِ الْمُزْنِ وَابِلٌ ،
وَمَنْ عَجَبَ أَنْ السَّحَابَ بِقَبْرِهِ ،
تُبَدِّلُ مَرَّةً الْقَوْلَ فِيكُمْ بَعْدِيهِ
تُطَوِّقُ بِالْإِنْعَامِ أَعْنَاقَ صَحْبِهِ
بِأَفْوَاحِنَا لَمْ يَقْضِ يَوْمًا لِنَحْبِهِ
تَلَقَّاهُ فِي أَكْفَانِهِ عَقْوُ رَبِّهِ
يَجْرُ عَلَى أَرْجَائِهِ ذَيْلَ خَصْبِهِ
وَأَسْأَلُ مِنْ صَوْبِ الْحَيَا رَيَّ رَبِّهِ

المرء غرض الردى

وقال يرثي القاضي شهاب الدين
عموداً كاتب السر بدمشق سنة خمس
وعشرين وسيمائة :

حَبْلُ الْمُنَى بِجِبَالِ الْيَأْسِ مَعْقُودٌ ،
وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَ أَشْرَاكِ الرَّدَى غَرَضٌ
لَا تَعْجِبَنَّ ، فَمَا فِي الْمَوْتِ مِنْ عَجَبٍ ،
فَالْمُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ مُرْتَجِعٌ ،
وَالْمَسْنِيَّةُ أَظْفَارٌ ، إِذَا ظَفِيرَتْ ،
لَمْ يَنْجُ بِالْبَأْسِ مِنْهَا ، مَعَ شِرَاسْتِهِ ،
وَالْأَمْنُ مِنْ حَادِثِ الْآيَاتِ مَعْقُودٌ
صَمِيمُهُ بِسِهَامِ الْحَتَفِ مَقْصُودٌ
إِذَا ذَاكَ حَدَّثَ بِهِ الْإِنْسَانُ مَجْدُودٌ
وَالْمُسْتَعَارُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَرْدُودٌ
رَأَيْتَ كُلَّ عَمِيدٍ وَهُوَ مَعْمُودٌ
لَيْثُ الْعَرِينِ ، وَلَا بِالْحِيلَةِ السَّيِّدُ

قد ضلّ من ظنّ بعض الكائنات لها
 ألّم يّة قولوا بأنّ الشّهَبَ خالِدَةٌ
 مَنْ كانَ في علمه بَيْنَ الْوَرَى علماً
 وَمَنْ رَوَتْ فَضْلَهُ حُسَادُ رُبْتِهِ ،
 فَضْلٌ بِهِ أَوْجُهُ الْأَيَّامِ مُشْرِقَةٌ ،
 مُهَذَّبُ اللَّفْظِ لَا فِي الْقَوْلِ لَجَلَجَةٌ
 لَا يَهْدِمُ الْمَنْ مِنْهُ عُمْرَ مَكْرُمَةٍ ،
 إِنْ كَانَ يُقْصَدُ مَقْصُودٌ لِبَذَلِ نَدَى
 لَهُ الْيَرَاعُ الَّذِي رَاعَ الْخَطُوبَ بِهِ
 أَصَمُّ أُخْرَسُ مُشَقَّوقُ اللِّسَانِ ، إِذَا
 إِنْ شَاءَ تَسْوِيدَ مُبْيَضِّ الطَّرُوسِ فَمَنْ
 لَوْ خَطَّ سَطْرًا تَرَى عَكْسَ الْقِيَاسِ بِهِ :
 وَالسَّائِرَاتُ الَّتِي رَاقَتْ لَسَامِعِهَا
 رَشِيقَةُ السَّبَكِ لَا الْمَعْنَى بِمُبْتَذَلِ
 يَا صَاحِبَ الرَّتْبَةِ الْمَعْدُورِ حَاسِدُهَا ؛
 مَا شَامَ بَعْدَكَ أَهْلُ الشَّامِ بَارِقَةٌ

مَكْتُ ، وَلِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ تَخْلِيدُ
 طَبْعًا ، فَأَيْنَ شِهَابُ الدِّينِ مَحْمُودُ
 يُهْدَى بِهِ إِنْ زَوَتْ أَعْلَامُهَا الْبِيدُ
 وَعَنْعَنْتْ عَنْ أَيْادِهِ الْأَسَانِيدُ
 كَأَنَّهُ لِحُدُودِ الدَّهْرِ تَوْرِيدُ
 مِنْهُ ، وَلَا عِنْدَهُ فِي الرَّأْيِ تَرْدِيدُ
 وَلَا يَعْمَدُ بِالْمَطْلِ الْمَوَاعِيدُ
 فَإِنَّهُ لِلنَّدَى وَالْفَضْلِ مَقْصُودُ
 فِي حَلْبَةِ الطَّرْسِ تَصْوِيبٌ وَتَصْعِيدُ
 طَارِحَتُهُ سُمِعَتْ مِنْهُ الْأَغَارِيدُ
 إِنْشَائِهِ لِبَيَاضِ النَّاسِ تَسْوِيدُ
 الشَّمْسُ طَالَعَةٌ ، وَاللَّيْلُ مَوْجُودُ
 أَلْفَاظُهَا ، وَحَلَّتْ مِنْهُ الْأَفَاشِيدُ
 مِنْهَا وَلَا لَفْظُهَا بِالْعَسْفِ مَكْدُودُ
 إِنْ السَّعِيدَ عَلَى النِّعْمَاءِ مَحْسُودُ
 لِلْفَضْلِ حِينَ ذَوَى مِنْ رَبِّهِ الْعُودُ

١ عنن : قال في روايته : روى فلان عن فلان عن فلان . الأسانيد ، الواحد إسناد : من يستند إليه الحديث ، أي يعزى ويرفع .
 ٢ قوله : يعمد ، هكذا في الأصل .
 ٣ العسف : التكلف .

إِلَيْكَ قَدْ كَانَ يُعْزَى الْعِلْمُ مُنْتَسِبًا ،
 كَمْ خُطْبَةٍ لَكَ رَاعَ الْخُطْبَ مَوْعِعُهَا ،
 وَلَقِظَةٍ لَا يَسُدُّ الْغَيْرُ مَوْضِعَهَا ،
 وَجَحْفَلٍ لِحِدَالِ الْبَحْثِ مُجْتَمِعٍ ،
 قَدْ جَرَّدَ الشُّوسُ فِيهِ قُضْبَ السَّنَةِ ،
 عَقَرَتْ كُلَّ كَيْيٍّ فِي عَقِيرَتِهِ
 بِصَارِمٍ لَا يَرُدُّ الدَّرْعُ ضَرْبَتَهُ ،
 حَتَّى إِذَا نَكَصَ الْقَوْمُ الْكَمِيُّ بِهِ ،
 أَلْقَوْا مَقَالِيدَهُمْ فِيهِ إِلَى بَاطِلٍ
 يَا مُفْقِدِي مَعَ وُجُودِي فَيُضْ أَنْعُمِهِ
 وَجَاعِلِ الْفَضْلِ فِيمَا بَيْنَنَا نَسَبًا ،
 قَدْ كَانَ يَجْدِي التَّنَاسِي عَنْكَ دَفْعُ أَسَى ،
 قَدْ أَخْلَقْتُ ثُوبَ صَبْرِي فِيكَ حَادِثَةً
 بِرُغْمِ أَنْفِي أَنْ يَدْعُوكَ ذُو أَمَلٍ ،
 وَأَنْ يُرَى رُبْعُكَ الْعَافِي ، وَلَيْسَ بِهِ
 أَبْكِي : إِذَا مَا خَلَا أَوْصَافُ مُجْدِكَ لِي ،
 وَالتَّجِي بِالتَّسْلِي أَنْ سَتُخْلِفُهَا

وَالْيَوْمَ فِيكَ يُعْزَى الْعِلْمُ وَالْجُودُ
 وَكَمْ تَقْلُدُ مِنْهُ ، الدَّهْرُ ، تَقْلِيدُ^١
 غَرَاءَ تَحَسَّبُ مَاءً ، وَهِيَ جُلُودُ
 كَأَنَّهُ لِحِلَالِ الْحَرْبِ مَحْشُودُ
 فِي مَعْرَكٍ يَوْمُهُ الْمَشْهُورُ مَشْهُودُ
 بِهِ ، وَأَزْرَكَ بِالتَّحْقِيقِ مَشْدُودُ
 وَلَوْ سَنَى نَسَجَهُ الْمَرْدُودَ دَاوُدُ^٢
 وَأَعَوَزَتْ عِنْدَ دَعَاوِهِ الْأَسَانِيدُ
 شَهْمٍ ، إِلَى مِثْلِهِ تَلْقَى الْمَقَالِيدُ
 هَمِّي وَمَوْجُودُ وَجْدِي وَهُوَ مَفْقُودُ
 إِذْ كَانَ فِي نَسَبِ الْأَبَاءِ تَبَعِيدُ
 لَوْ أَنَّ مِثْلَكَ فِي الْمِصْرَيْنِ مَوْجُودُ
 أَضْحَى بِهَا لَثَابِ الْحُزْنِ تَجْدِيدُ
 فَلَا يَسَحُّ عِيَاهُ مِنْكَ مَعْهُودُ
 مَرَعَى خَصِيبُ ، وَظَلُّ مِنْكَ مَمْدُودُ
 فِكْرِي وَأَطْلُبُ صَبْرِي ، وَهُوَ مَطْرُودُ
 أَبْنَاوُكَ الْغُرُّ أَوْ أَبْنَاوُكَ الصَّيْدُ

١ عجز البيت غامض . وقد يكون فيه تحريف .

٢ سنى : فك ، حل .

فَسَوْفَ تَرِثُكَ مِنِّي كُلُّ قَافِيَةٍ ، بِهَا لَذِكْرُكَ بَيْنَ النَّاسِ تَخْلِيدُ
وَأَسْمِعُ النَّاسَ أَوْصَافاً عُرِفَتْ بِهَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْدُودُ
فَلَا عَدَا الْغَيْثُ تُرْباً أَنْتَ سَاكِنُهُ ، مَعَ عَلِمِنَا أَنْ فِيهِ الْغَيْثُ مَلْحُودُ
وَدَامَ ، وَالظِّلُّ مَمْدُودٌ بِسَاحَتِهِ ، وَالسِّدْرُ وَالطَّلْعُ مَحْصُورٌ وَمَنْضُودُ^١

أي الملوك نعوا ؟

وقال يرثي السلطان الملك المؤيد عماد الدين
صاحب حماة وقد حضر موته مسطاً لقصيدة
الوزير أبي الوليد أحمد بن زيدون المغربي
في سنة اثنتين وثلاثين وسبعائة :

كَانَ الزَّمَانُ بَلْقِيَاكُمْ يُمَتِّينَا ، وَحَادِثُ الدَّهْرِ بِالتَّفْرِيقِ يَشِينَا
فَعِنْدَمَا صَدَقَتْ فِيكُمْ أَمَانِنَا ، أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِنَا
وَنَابَ عَنْ طَيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا
خَلِنَا الزَّمَانُ بَلْقِيَاكُمْ يُسَامِحُنَا لَكِي تُزَانَ بِذِكْرَاكُمْ مَدَائِحُنَا
فَعِنْدَمَا سَمَحَتْ فِيكُمْ قَرَائِحُنَا بَيْنْتُمْ وَبَيْنَا فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا
شَوْقاً إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَتْ مَاقِينَا

١ السدر : شجر التبق . الطلع : ما يبدو من ثمرة النخل أول ظهورها .

لم يُرضينا أن دَعَا بِالْبَيْنِ طائِرُنَا ، شَقُّ الْجُيُوبِ ، وما شُقَّتْ مَرَاثِرُنَا
يا غَائِبِينَ وَمَأْوَاهِمَ سَرَائِرُنَا ، تَكَادُ حِينَ تَنْجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا
يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا نَأْسِنَا

حَمَدْتُ أَيَّامَ أَنْسٍ لِي بِكُمْ سَعِدْتُ ، وَأَسْعَدْتُ إِذْ وَفَّتْ فِيكُمْ بِمَا وَعَدْتُ
فَالْيَوْمَ إِذْ غَبِمْتُ ، وَالِدَارُ قَدْ بَعُدْتُ ، حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَعَدْتُ
سُودًا ، وَكَانَتْ بِكُمْ بَيْضًا لَيَالِينَا

فَزُنَا بِنَيْلِ الْأَمَانِي مِنْ تَشَرَّفِينَا ، بِقُرْبِكُمْ ، إِذْ بُرِينَا مِنْ تَكَلَّفِينَا
حَتَّى كَانَ اللَّيَالِي فِي تَصَرَّفِينَا ، إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَقَ مِنْ تَأَلَّفِينَا
وَمَوْرِدُ اللَّهِوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا

كَمْ قَدْ وَرَدَنَا مِيَاهَ الْعِزِّ صَافِيَةً ، وَكَمْ عَلَلَّنَا بِهَا الْأَرْوَاحَ ثَانِيَةً
إِذْ عَيْنُهَا لَمْ تَكُنْ بِالْمَنْ آتِيَةً ، وَإِذْ هَصَرْنَا غُصُونَ الْأَنْسِ دَانِيَةً
قُطُوفُهَا ، فَجَنَيْنَا مِنْهُ مَا شِينَا

يَا سَادَةَ كَانَ مَغْنَاهُمْ لَنَا حَرَمًا ، وَكَانَ رَيْعُ حِمَاةٍ لِلنَّزِيلِ حِمَى
كَمْ قَدْ سَقَيْتُمْ مِيَاهَ الْجُودِ رَبَّ ظَمًا لَيْسَ قِ عَهْدِكُمْ عَهْدُ الْقَمَامِ فَمَا
كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَا حِينَا

هَلْ يَعْلَمُ الْمُسْكِرُونَ مِنْ سَمَاحِهِمْ بِرَشَفِ رَاحِ النَّدَى مِنْ كَأْسِ رَاحِهِمْ
أَنَا لَبِسْنَا الضَّنَّ بَعْدَ التَّمَاحِيهِمْ ، مَنْ مُبْلِغُ الْمُبْلِيسِينَا بَانْتِزَاحِهِمْ
ثَوْبًا مِنَ الْحُزْنِ لَا يَبْلَى وَيُبْلِينَا

إِذَا ذَكَرْنَا زَمَانًا كَانَ يُدْرِكُنَا ، بِالْقُرْبِ مِنْكُمْ ، فِي اللَّذَاتِ يُشْرِكُنَا
 لَا تَمْلِكُ الدَّمْعُ وَالْأَحْزَانُ تَمْلِكُنَا ؛ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ يُضْحِكُنَا
 أَنَا بِقُرْبِكُمْ قَدْ صَارَ يُبْكِينَا
 نَعَى الْمُؤَيَّدِ قَوْمٌ لَوْ دَرَوْا وَوَعَوْا ، أَيُّ الْمُلُوكِ إِلَى أَيِّ الْكِرَامِ نَعَوْا
 أَظْنَهُ ، إِذْ سَقَانَا الْوَدَّ حِينَ سَعَوْا ، غِيْظَ الْعِدَى مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فَدَعَوْا
 بِأَنْ نَقْصَ ، فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا
 لَمَّا رَأَوْا مَا قَضَيْنَا مِنْ مَجَالِسِنَا ، وَسَبِطَ أَنْسُ رَأْيِنَا مِنْ مَجَالِسِنَا
 دَعَوْا لِنُفْجِعَ فِي الدُّنْيَا بِأَنْفُسِنَا ، فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا
 وَابْتَتْ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا^١
 أَيْنَ الَّذِينَ عَهَدْنَا الْجُودَ يُوْثِقُنَا فِي رَبْعِهِمْ ، وَلَهُمْ بِالشُّكْرِ يُنْطِقُنَا
 وَكَانَ فِيهِمْ بِهِمْ مِنْهُمْ تَأْتِقُنَا ، وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخْشَى تَفَرَّقُنَا
 فَالْيَوْمَ نَحْنُ ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِنَا
 يَا غَائِبِينَ ، وَلَا تَخْلُو خَوَاطِرُنَا مِنْ شَخْصِهِمْ وَإِنْ اشْتَاقَتْ نَوَاطِرُنَا
 وَاللَّهِ لَا يَنْقُضِي فِيكُمْ تَفَكَّرُنَا ، لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا
 إِنْ طَالَ مَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا
 إِنَّا ، وَإِنْ زَادَنَا تَفْرِيقُنَا غُلَلًا ، إِلَى اللَّقَاءِ ، وَكَسَانَا بَعْدَكُمْ عِلَلًا^٢
 لَمْ نَدْعُ غَيْرَكُمْ سُؤْلًا ، وَلَا أَمَلًا ، وَاللَّهِ مَا طَلَبْتَ أَرْوَاحُنَا بَدَلًا
 مِنْكُمْ ، وَلَا انْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

١ اثبت : انقطع .

٢ الغلل ، الواحدة غلة : العطش الشديد . الملل ، الواحدة علة : المرض الشديد .

إذا ذكرتُ حِمَى العاصي وملعبِهِ ، والقصرَ والقُبَّةَ العُليا بمرقبِهِ
أقولُ ، والبرقُ ساري في تلهبِهِ : يا ساري البرق غادي القصر فاسق به

من كان صرفَ الهوى والودَّ يسقينا

يا غاديَ المزنِ إن وافيتَ حِلَّتَنَا على حَمَاةٍ ، فجدُ فيها محَلَّتَنَا
واقرَ السلامَ بها عَنَّا أحبَّتَنَا ، ويا نسيمَ الصَّبَا بلغْ تحيَّتَنَا
مَنْ لو على البُعْدِ مُتْنَا كانَ يُحيينا

سلطانُ عَصْرِ إلهُ العرشِ بَوَاهُ مِنْ المعالي ، وللخيرَاتِ هَيَّاهُ
براهُ زِينًا ، وممَّا شانَ بَرَاهُ ، ربيبُ مُلْكٍ كانَ اللهُ أنشَاهُ
مِسْكَ ، وقَدَّرَ لإنشاءِ الوَرَى طينا

نحنُ الفِداءُ لمن أبْقَى لَنَا خَلْفًا ، من ذِكْرِهِ ، وإن ازدَدْنَا به أسفًا
وإن نكنَ دونَ أن يُفدى بنا أنفًا ، ما ضَرَّ إن لم نكنَ اكفاءهُ شرفًا
وفي المَوَدَّةِ كافٍ من تكافينا

يا مَنْ يرى مَغْنَمَ الأموالِ مَغْرَمَةً ، إن لم يُفِدْ طالبي جَدَواه مَكْرَمَةً
إنَّا ، وإن حُزَّتْ ألقابًا مَكْرَمَةً ، لَسْنَا نُسَمِّيكَ إجلالًا ونَكْرَمَةً
وقدركَ المُعْتَنِي عن ذاكَ يُغْنينا

كم قد وُصِفَتْ بأوصافٍ مشرَّفَةٍ ، في خطِّ ذي قلمٍ أو نُطقِ ذي شَفَةِ
فقد عرفناكَ منها أيَّ مَعْرِفَةٍ ، إذا انفردتَ وما شُورِكتَ في صِفَةٍ
فحَسْبُنَا الوصفُ إيضاحًا وتيسينًا

١ انفأ : ترفأ .

خَلَفَتْ بَعْدَكَ لِلدُّنْيَا وَآمِلِيهَا نُجَلَاءُ يُسْرَرُ الْبَرَايَا فِي تَأْمَلِهَا
فَلَمْ تَقُلْ عَنْكَ نَفْسٌ فِي تَمَلُّمِهَا: يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبْدِلْنَا بِسِلْسِلِهَا

وَالْكُوْثَرِ الْعَذْبِ زُقُومًا وَغَسَلِينَا

كَمْ خُلُوةٍ هَزَنَّا لِلْبَحْثِ بَاعِثُنَا ، فَلَيْسَ يُؤْنِسُنَا إِلَّا مَبَاحِثُنَا
فَالْيَوْمَ أَخْرَسَ بِالتَّفْرِيقِ نَافِثُنَا ، كَأَنَّنَا لَمْ نَبْتَ ، وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا

وَالدَّهْرُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا

وَلَيْلَةٍ قَدْ حَلَا فِيهَا تَنَادُمُنَا ، وَالْعِزُّ يَكْنِفُنَا ، وَالسَّعْدُ يَقْدُمُنَا
وَنَحْنُ فِي خُلُوةٍ ، وَالدَّهْرُ يَخْدُمُنَا ، سِرِّينَ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْتُمُنَا

حَتَّى يَكَادُ لِسَانُ الصَّبْحِ يُفْشِينَا

لِلَّهِ كَمْ قَدْ قَضَيْنَا مِنْكُمْ وَطَرًا ، قَدْ كَانَ عَيْنًا فَأَمْسَى بَعْدَكُمْ خَبْرًا
لَا تَعْجَبُوا إِنْ جَعَلْنَا ذِكْرَكُمْ سَمْرًا ، إِنَّا قَرَأْنَا الْأَمْسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا

مَتَلُوةً ، وَاتَّخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا

كَمْ مِنْ حَبِيبٍ عَدَلْنَا مَعَ تَرْحَلِهِ ، إِلَى سِوَاهُ ، فَأَغْنَى عَنْ تَأْمَلِهِ
وَصَعِبَ وَرْدِ عَدْلَانَهُ بِأَسْهَلِهِ ، أَمَا هَوَاكَ ، فَلَمْ يُعْدَلْ بِمَنْهَلِهِ

شُرْبًا وَإِنْ كَانَ يَرُونَا ، فَيُظْمِنَا

تَشْكُو إِلَى اللَّهِ نَفْسٌ بَعْضَ مَا لَقِيتُ غِيبَ النَّعِيمِ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ شَقِيتُ
فَيَا سَحَابًا بِهِ كُلُّ الْوَرَى سُقِيتُ : عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيتُ

صَبَابَةً مِنْكَ تُخْفِيهَا وَتُخْفِينَا

مضى طاهر الأثواب

قال يرثي أخاه لأبويه عبد
الله بن سرايا سنة ست وعشرين
وسبعمائة وقد توفي في تلك السنة
ابننا عميه وولده وملكه وصديق له :

بَكَيْتُ دَمًا لَوْ كَانَ سَكَبُ الدَّمَا يُغْنِي ،
وَأَعْرَضْتُ عَنْ طِيبِ الْهَنَاءِ لِأَنْتَنِي
أَرَى الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا كَأَحْلَامٍ نَائِمٍ ،
فَمِنْ حَادِثٍ جَمٍّ صَفَقْتُ لَهُ يَدِي ،
أَفِي السَّتِّ وَالْعِشْرِينَ أَفْقَدُ سِتَّةً ،
فَقَدْتُ ابْنَ عَمَّتِي وَابْنَ عَمَّتِي وَصَاحِبِي ،
مَتَى تُخْلِفُ الْأَيَّامُ كَابِنَ مُحَمَّدٍ
رِجَالًا لَوْ أَنَّ الشَّائِخَاتِ تَسَاقَطَتْ
فُجِعْتُ بِنَدْبٍ كَانَ يَمَلَأُ نَظْرِي ،
عَقِيفُ نَوَاحِي الصُّلْبِ مِنْ طَيِّ رِيَّةٍ ؛
قَرِيبٌ إِلَى الْمَعْرُوفِ وَالْخَيْرِ وَالتَّقَى ،
جَبَانٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ شَحِيحٌ بَعْرِضِهِ ،
وَضَاعَفْتُ حُزْنِي لَوْ شَفَى كَمَدًا حُزْنِي
نَقِمْتُ الرِّضَى حَتَّى عَلَى ضَاحِكِ الْمَزْنِ
فَلَدَائِثُهَا تُفْنِي ، وَأَحْدَاثُهَا تُفْنِي
وَمِنْ قَادِحٍ صَعْبٍ قَرَعْتُ لَهُ سَنِي
جِبَالًا غَدَتْ مِنْ عَاصِفِ الْمَوْتِ كَالْعِهْنِ^١
وَأَكْبَرَ غِلْمَانِي بِهَا ، وَأَخِي ، وَابْنِي
وَنَجْلَ سَرَايَا بَعْدَهُ ، وَفِي الرُّكْنِ
عَلَيْهِمْ ، لَكَانَ الْقَلْبُ مِنْ ذَاكَ فِي أَمْنٍ
فَأَصْبَحَ نَاعِي نَدْبِهِ مَالئًا أُذُنِي
سَلِيمٌ ضَمِيرُ الْقَلْبِ مِنْ دَنْسِ الضَّغْنِ
بَعِيدٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْإِفْكِ وَالْأَفْنِ^٢
إِذَا عَيْبَ بَعْضُ النَّاسِ بِالشَّحِّ وَالْجُبْنِ

١ المهن : الصوف .

٢ الأفك : الكذب . الأفن : ضعف العقل .

وَمَنْ أُنْعَبَ اللُّؤَامَ فِي بَدَلِ بِرِّهِ ،
 مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ وَالنَّفْسِ وَالخُطَى ،
 وَلَمْ يَبْقَ مِنْ تَذْكَارِهِ غَيْرُ زَقَرَةٍ ،
 وَلَوْ سَلَبَتْهُ الْحَرْبُ مِنْي لَشَاهَدْتُ
 وَأُبْكَيْتُ أَجْفَانَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
 فَيَا ابْنَ أَبِي وَالْأَمِّ ، قَدْ كُنْتُ لِي أَبَا
 لِيَهْنِكَ أَنْ الدَّمْعَ بَعْدَكَ مُطْلَقٌ ،
 جَعَلْتُ جِبَالَ الصَّبْرِ بِالْحُزْنِ صَفْصَفًا ،
 وَحَاوَلْتُ نَظْمَ الشَّعْرِ فِيكَ مَرَاتِيًا ،
 بَنَيْتُ عَلَى أَنْ أَتْقِي بِكَ شِدَّتِي ،
 وَبُلُغْتُ مَا أَمَلْتُ فِيكَ سِوَى الْبَقَا ،
 سَبَقْتُ إِلَى الزَّلْفَى ، وَمَا مِنْ مَزِيَّةٍ
 خَلَفْتُ أَبَاكَ النَّدْبَ فِي كُلِّ خِلَّةٍ
 سَرَايَا خِصَالٍ مِنْ سَرَايَا وَرِثَتِهَا ،
 جَزَاكَ الَّذِي يَمْتَمْتُ سَعِيًا لِبَيْتِهِ ،
 وَوَفَاكَ مَنْ لَمْ تَنْسَ فِي الدَّهْرِ ذِكْرَهُ
 فَقَدْ كُنْتُ تُحْيِي اللَّيْلَ بِالذِّكْرِ ضَارِعًا

فَلَائِمُهُ يَثْنِي ، وَآمِلُهُ يَثْنِي^١
 عَقِيفَ مَنَاطِ الذَّلِيلِ وَالْجَيْبِ وَالرَّدَنِ
 تَفَرَّقُ بَيْنَ النَّوْمِ ، فِي اللَّيْلِ ، وَالْحَفَنِ
 كَمَا شَاهَدْتُ فِي نَارِ أَخْوَالِهِ مِنْي
 نَجِيعًا ، غَدَاةَ الْكَرِّ فِي الضَّرْبِ وَالطَّعَنِ
 حُنُوءًا ، وَلَكِنْ فِي الْإِطَاعَةِ لِي كَابِي
 لَفَرَطِ الْأَسَى ، وَالْقَلْبِ بِالْهَمِّ فِي سَجَنِ
 وَصَيَّرْتُ أَطْوَادَ التَّجَلُّدِ كَالْعِهْنِ
 فَأَرْتِجَ حَتَّى كِدْتُ أُخْطِئُ فِي الْوِزَنِ
 وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الدَّهْرَ يَنْقُضُ مَا أَبْنِي
 وَمَا رُمْتُهُ إِلَّا الْوُقُوفَ عَلَى الدَّفَنِ
 مِنَ الْفَضْلِ إِلَّا كُنْتُ أَوَّلَى بِهَا مِنْي
 مِنَ الْمَجْدِ ، حَتَّى كِدْتُ عَنْهُ لَنَا تُغْنِي
 عَلَى أَنْ هَذَا الْوَرْدَ مِنْ ذَلِكَ الْغُصْنِ^٢
 وَلَبَيْتُ فِيهِ مُحَرَّمًا ، جَنَنْتِي عَدَنٍ
 شَفَاعَتَهُ ، وَالنَّاسُ فِي الْحَشْرِ كَاللُّسْكَانِ
 إِلَى اللَّهِ ، حَتَّى صِيرْتَ بِالنَّسْكِ كَالشَّنِّ^٣

١ يثني : يرتد بالووم . ويثني بضم الياء : يمدح .

٢ السرايا : الشريفة .

٣ الشن : القرية البالية .

فيؤنسني ترتب نفلك في الضحي ،
 أمنت صروف الدهر بعدك والأذى ،
 سأكبك بالعز الذي كنت ملبسي ،
 وأعلم أن الحزن والموت واحد
 فإن كان عمر البين قد طال بيننا ،
 فحبك في قلبي ، وذكرك في فمي ،
 ويطر بسني ترتيل وردك في الوهن
 فمن ذا رأى من صار بالخوف في أمن
 لديك ، وثقل كنت تحمله عني
 علي ، فذا يضي القلوب ، وذا يفي
 كما طال في آناء مدته حزني
 وشخصك في عيني ، ولفظك في أذني

لا عبد يغني عنه

وقال يرثي ملوكاً له وكان
 كاتباً مجيداً فصيحاً :

لا عبد يغني عنه ولا ولد ،
 ولا سليل يسره تلقى ،
 ما كل عبد عليه يعتمد
 كتناضح في رضاي يجتهد
 ذا يسمنى فقدي لكي يجد
 مال ، وهذا لحزه يجد
 ربيب بيتي ، بل رب نعمته ،
 ومن به في الأمور اعتضد
 يسعى لنفعي بالطبع منه ،
 بقصر في فعله ويضطهد
 قد يقطع الصارم المهند بالطب
 ع ، ويمضي برغمه الوتد

١ النفل : ما يعمل زيادة عن المفروض . الورد : الجزء من القرآن . الوهن : الليل .

وهو القوي الأمين إن عرّضتُ
منظره صالح ، ومخبره ،
كان لساناً لي ناطقاً ، ويداً
لم تلكُ لي دارُ ميةٍ غرضاً ،
كفّلتُهُ يافعاً ، فكنتُ له
مُعْتَقِداً فيه ما تحقّق لي
فقدته ، فارتضيتُ همتَهُ ،
وظلتُ أغدوه بالعلوم ، وما
فجاء مُستَعْدَبَ الخلائق واللّه
مُهْتَدِبُ اللفظ ، ما بمنطقهِ
يُعَرِّبُ ألفاظهُ ، فينفثُ في
إن خطّ طرساً ، فالدرّ منتظِمٌ ،
للّه قلبٌ رثتُ علاقته
قطعتُ من غيرهِ الرجاءَ فما
لي أزمةٌ كانَ منه لي مددُ
فالبدرُ في بُردَتِيهِ ، والأسدُ
طُولِي ، وظهراً لِسَبِيهِ أُسْتَنْدُ
إذ لي منه العلياءُ والسندُ
كالوالدِ البرّ ، وهو لي وَلَدُ
من ودّه ، وهو في مُعْتَقِدُ
والناسُ مثلُ النّصارِ تُنْتَقَدُ
يزينه ، وهو فيه مُجْتَهِدُ
ظ ، ومِصْبَاحُ فهمِهِ بِقِدُ
زَيْغٌ ، ولا في خِلَالِهِ أودُ
سِحْرِ المَعَانِي ، وما بها عُقْدُ
أو قالَ لَفْظاً ، فجَوهرٌ بَدَدُ
به ، وأثوابُ حُزْنِهِ جُدَدُ
وَجَدْتُ مِثْلًا لَهُ ، ولا أَجِدُ

بدور تغرب في الماء

وقال يرثي صديقاً له غرق بدجلة :

أصفيحُ ماءٍ أم أديمُ سماءٍ ،
 ما كنتُ أعلمُ قبْلَ موتِكَ موقِناً
 ولقد عَجِبْتُ ، وقد هَوَيْتَ بِلُجَّةٍ ،
 لو لم يُشَقَّ لكَ العُبابُ ، وطالما
 أنِفَ العلاءُ عليكَ من لمسِ الثرى
 وأجلَّ جِسْمُكَ أن يُغَيَّرَ لُطْفُهُ
 فأحَلَّهُ جَدّاً طهوراً مُشَبَّهاً
 ما ذاكَ بدعاً أن يَضُمَّ صَفَاوَهُ
 فالبَحْرُ أولى في القياسِ من الثرى ،
 يا مالكي ! إنني عليكَ مُتَبَيِّمٌ ،
 ولقد ألوذُ بكَتَرِ صَبْري طالباً
 وأعافُ شُرْبَ الماءِ يَطفَحُ لُجَّهُ ،
 وإذا رأيتُ مدامعي مُبَيَّضَةً
 لا يُطْمَعُ العُدَّالُ حُسْنَ تَجَلُّدي ،
 فلئن خَفَضْتُ لهم جَنَاحَ تَحَمُّلي ،
 فيه تَغَوَّرُ كَوَاكِبُ الجَوَازِ ؟
 أنَ البُدُورَ غُرُوبُهَا في الماءِ
 فَجَرَى على رِسلٍ بغيرِ حَيَاءٍ
 أَشْبَهَتْ موسى باليَدِ البَيْضَاءِ
 وحلولِ باطنِ حُفْرَةِ ظَلَمَاءِ
 عَقَنُ الثرى وتَكَاثُفُ الأَرْجَاءِ
 أخلاقُهُ في رِقَّةٍ وَصَفَاءِ
 نُوراً يَضُنُّ بهِ على الغَبْرَاءِ
 بجِوارِ تلكَ السَدْرَةِ الغَرَاءِ
 يا صَخْرُ ! إنني فيكَ كَالْحَنَسَاءِ
 حُسْنَ العِزَاءِ ، ولاتَ حينَ عِزَاءِ
 فأصْدَ عَنهُ ، وأنثني بظَمَاءِ
 مثلَ المِياهِ مَزَجَتْهَا بِدِمَاءِ
 فلَذلكَ خَوْفَ شِماتِهِ الأَعْدَاءِ
 فالقَلْبُ مَنصُوبٌ على الإِغْرَاءِ

١ في هذا البيت غموض .

ثَمَالُ الْيَتَامَى وَالْأَيَامَى

وقال يرثي القاضي تاج الدين محمد
ابن وشاح قاضي الحلة :

لو أفادتنا العزائمُ حالا ، لم نَجِدْ حُسْنَ العزاءِ محالا ،
كيف يُولي العزمُ صبراً جميلاً حينَ وارَى التَّربُّ ذاكَ الجَمَلا
ما ظننَّا أنَّ رِيحَ المَنابِا تَنسِفُ الطُّودَ ، وتُردي الجِبَلا
جارَ صَرفِ الدَّهرِ فينا بَعْدِلِ لم نَجِدْ للقولِ فيه مَوالا^١
أفما تَنفَكَّ أَيْدي المَنابِا تَسْلُبُ المَالَ ، ونُفِى الرِّجالا
فإذا أبدى لها المَرءُ سِلماً ، جَرَدَتِ عَضْباً ، وراشتَ نِبَلا
كلما رُمنا نَمُو هِلالِ غَيَّبَتْ بَدراً أَصابَ الكَمَلا
فإذا ما قَلْتُ قد زالَ حُزنٌ ، أَبدَلْتُ أَحداثَها اللامَ دالا
كيف دَكَّتْ طودَ حِلَمِ نَداهُ ، سَبَقَ الوَعدَ ، وأفنى السَّوالا
كيف كَفَّ الدَّهرُ كَفّاً كَرِماً لِيَمينِ الدَّهرِ كانتَ شِمالا
ثَمِلٌ من نَشوَةِ الجُودِ أَضحى لِلِيتامى والأَيامى نِمالا^٢
نِعَمٌ لِسائِلِهِ جَوابٌ ، لم يَصِلْ يَوماً إلى لَن ولا لا
دَوحةٌ من عِرْقِ آلِ وشاحٍ ، قد دَتَّتْ لِلطَّالِبينَ مَنالا

١ موالا : هكذا في الأصل ، ولعلها محزنة عن : مجالا .

٢ الثمال : النفاث .

قد رست أصلاً وطابت نماراً ، وزكت فرعاً ومدت ظيلاً
 أزعج النادي بنجواه ناع ، كم نفوس في دموع أسلاً
 فسمعنا منه ندباً لنذب ، أبعد الصبر ، وأدنى الخيال
 بات يهدي للقلوب اشتغالا ، ولنيران الهوم اشتيعالا
 قد مررنا في مغانيه ركبا ، وغوادي الدمع تجري انهمالا
 وسألنا النار عنه ، فقالت : كان تاج الدين ركناً ، فزالا
 كان وبلاً للعفاة هتونا ، ولأحزاب العداة وبالا
 كان تاج الدين للدهر تاجاً ، زاد هام الدهر منه جمالا
 كان زلزالاً لباع عصاه ، ولباغي الرقد منه زلالا
 كان للأعداء ذلاً وبؤساً ، ولراجي الجود عزاً ومالا
 كان للناس جميعاً كفيلاً ، فكأن الخلق كانوا عيالا
 راع أحزاب العدى يتراع ، طالما أنشأ السحاب الثقلا
 ناكل الجسم قصير دقيق ، دق في الحرب الرماح الطوالا
 يجعل النوم عليهم حراماً ، كلما أبرز سحراً حلالا
 فإذا ما خطت اسود نقش ، خيلته في وجنة الدهر خالا
 يا كريماً طاب أصلاً وفرعاً ، وسماً أمأ وعمأ وخالا
 وخليلاً منذ شربت وفاه ، لم أريد تبعاً به أو خيالاً
 وإذا ما فئت باسم أيه ، كان للميثاق والعهد فالاً
 إن أسأنا لم يرعنا بلوم ، وإذا لئناه أبدى احتمالاً

كَانَ عَصْرُ الْأَنْسِ مِنْكَ رُقَادًا ، وَلَتَذِيدُ الْعَيْشِ فِيهِ خَبَالًا ،
 مَنْ لَدَسَتْ الْحُكْمَ بَعْدَكَ قَاضٍ ، لَمْ يَمِيلْ يَوْمًا إِذَا الدَّهْرُ مَالًا ،
 مَنْ لِإِصْلَاحِ الرِّعَايَا ، إِذَا مَا أَفْسَدَتْ مِنْهَا يَدُ الدَّهْرِ حَالًا ،
 مَنْ لِإِطْفَاءِ الْحُرُوبِ ، إِذَا مَا صَارَ الْجِدَالُ جِلَادًا ،
 رُبَّ يَوْمٍ مَعْرَكُ الْحَرْبِ فِيهِ ذَكَرَ الْأَحْقَادَ فِيهِ رِجَالٌ ،
 فِي مَكْرَةٍ وَاسِعِ الْهَوْلِ ضَنْكٍ ، وَكَسَا الْخَيْلَ الْغُبَارُ جِلَالًا ،
 شَمْتُ فِي إِصْلَاحِهِمْ عَضْبَ عِزِّمْ ، لَا يُطِيقُ الطَّرْفُ فِيهِ مَجَالًا ،
 بِكَ كَفَّ اللَّهُ كَفَّ الرِّزَايَا ، وَكَسَا الْخَيْلَ الْغُبَارُ جِلَالًا ،
 فَلَتَنٌ وَارْتَكَ أَرْضٌ ، فَهَا قَدْ زَادَهُ حَزْمُ الْأُمُورِ صِقَالًا ،
 لَمْ يَمُتْ مَنْ طَابَ ذِكْرًا ، وَأَبْقَى شَيْدَا مَسْجَدًا لَهُ لَنْ يُنَالًا ،
 أَسَدٌ خَلَفَ شَيْلِي عَرِينَ ، وَجَمَالَ الدِّينِ فِيهِ جَمَالًا ،
 ظَلَّ زَيْنُ الدِّينِ لِلدَّهْرِ زِينًا ، فِيهِمَا ، إِنَّ جَارَ دَهْرٍ وَمَالًا ،
 فَأَرَانَا اللَّهُ أَقْصَى الْأَمَانِي ، وَنَعِيمًا خَالِدًا لَنْ يُزَالَا ،
 وَحَبَاكَ اللَّهُ فِي الْخُلْدِ رُوحًا ،

الضد يظهر للضد

وقال يرثي السيد النقيب مجد الدين
أبا الفوارس بن الأعرج طاب مثواه :

صروفُ الليالي لا يدومُ لها عهدُ ،
تُسالِمنا سهواً ، وتَسْطو تَعَمِّداً ،
عَجِبْتُ لِمَن يَغْتَرَّ فيها لِجَنَّةٍ
أني كلَّ يومٍ للنوائبِ غارةُ
أرى كلَّ مألوفٍ يُعَجِّلُ فَقْدَهُ ،
فقدتُ رجالاً كانَ في البؤسِ بأْسُهُمُ ،
يَزِيدُهُمُ لَيْلُ الخُطوبِ ، إذا دَجَا ،
أرى كلَّ من يستخْلِصُ الشكرَ بعدَهُمُ
لذلكَ هَجَرْتُ الإلفَ أعلَمُ أنِّي
وزرتُ بلاداً يُنَبِّتُ العزَّ أرضُها ،
مَخَافَةً أن أضْحِي من الخُلِّ خالِياً ،
ولما عطفتُ العيسَ ، آخرَ رِحْلَةٍ ،
وشارفتُ أعلامَ الطويلةِ ذاكِراً
سألتُ حِمَى الفَيْحاءِ : ما بالُ رُبْعِها
وأيدي المتنايا لا يُطاقُ لها رَدُّ
فإسعافُها عَسْفٌ ، وإقصادُها قَصْدُ
من العيشِ ما فيها سَلامٌ ولا بَرْدُ
يُشَقُّ عَلَيْها الحَيِّبُ أو يُلْطَمُ الحَدُّ
فَمَا بالُ فَقْدِ الإلفِ ليسَ له فَقْدُ
هو الظَّهْرُ لي والباعُ واليَدُ والزَّندُ
ضِيَاءٌ وحُسْنُ الضَّدِّ يَظْهَرُهُ الضَّدُّ
من النَّاسِ نَحْراً لا يَلِيقُ به عِقدُ
لَكَ السَّيْفُ لا يَبْلِيهِ ، إن بَكَى ، الغِمْدُ
وَيَسْجَعُ في أبناءِ أَيْياتِها العِقدُ
وحيداً ، وأمسي عندَ مَنْ مالَهُ عِندُ
إلى مَعْهَدٍ لي ، والحَيِّبُ بِهِ عَهْدُ
عهودِ الصِّبَا ، والشَّيْبُ لَمَّا يَلْحَقُ بَعْدُ
جدياً ، وقد كانتَ نَضارَتُهُ تَبْدُو

١ المسف : الظلم . إقصاها : إصابتها .

وما بالها لم يرو من مائها الصدى
فقلت: قضى من كان بالسعد لي قضى،
فأصبح مجد الدين في الترب ثاوياً ،
فتى علمته غاية الزهد نفسه ،
ولم أر بداراً قبله حازه الثرى ،
سكيل صفى المصطفى ، وابن سبطه ،
فصبح ، إذا الخصم الألد تعلمت
إذا قال قولاً يسبق القول فعله ،
لئن أخطأت أيدي الردى بمصابيه ،
مضى طاهر الأثواب والجسم والحشى ،
وأبقى لنا من طيبه طيب ولده ،
هم القوم فاهوا بالفصاحة رفعا ،
إذا حل منهم واحد في قبيلة
كفاهم فخاراً أنه لهم أب ،
فيا نازحاً يدينه حسن أدكاره ،
لك الله كم أدركت في المجد غاية
إذا افتخر الأقسام يوماً بمجدهم ،
تعود متن الصافات صغيرهم ،
حموا لجنود الحاش حول بيوتهم ،

لظام ، ولا يوري لقاصديها زئد
وصوح نبت العز وانهدم المجد
وزال السماح السبط والرجل الجعد
فأصبح حتى في الحياة له زهد
ولم أر بداراً قبله ضمه اللحد
لقد طاب منه الأثم والأب والحد
دلائله ، كانت له الحجاج اللد
فليس له يوماً وعيد ، ولا وعد
لعمري أبي ، هذا هو الخطأ العمد
له الشكر درع ، والعفاف له برد
يتوب كما أبقي لنا ماء الورد
وشابت نواحي مجدهم ، وهم مرد
يشار إليه إنه العلم الفرد
ويكفيه أن أمسى ومنهم له ولد
ففي بعده قرب ، وفي قرينه بعد
تقاعس عن إدراكها الأسد الورد
فإنك من قوم بهم يفخر المجد
إلى أن تساوى عنده السرج والمهد
من المجد ، ما لم يحمه الجيش والحد

بيوتُ كُماةٍ دونها تُحطَمُ القنا ،
 أقاموا وبردُ العيشِ عندهم لَطَي ،
 وعزّوا إلى أن سالتهم نجومها ،
 ورثت علاهم واقتديت بفضليهم ،
 فإن شاق صدرُ الخودِ والنهدُ معشراً
 قبالرغمِ مني أن يُغيّبكَ الثرى ،
 ويُعرضَ عن ردِّ الجوابِ لسائلي ،
 سأبكيك جهدَ المستطيعِ مُنظماً
 فإن رُمِدَتْ أجفانُ عيني بالبُكا ،
 لئن كنتَ قد أصبحتَ عنا مُغيّباً ،
 وما غابَ من يقصو ومعناه حاضرٌ ،
 وغاباتُ أسدٍ دونها تُفَرَسُ الأسدُ
 وصالوا وحرَّ الكَرِّ عندهم بَرْدُ
 فلا نجمَ إلّا وهو في ربّيعهم سَعْدُ
 فأنتَ إذا نِدَّ الكِرامِ لهم نِدَّ
 يشوقُكَ صدرُ الدّستِ والفرسُ النّهدُ
 ويرجعَ مردوداً بخيبتِهِ الوَفْدُ
 وقد كنتَ لم يُعرَفْ لسائلكَ الرّدّ
 رثاكَ ، وهذا جُهدُ من ماله جُهدُ
 فكَم جَلِيَتْ منّا بك الأعينُ الرّمْدُ
 فقد نابَ عنكَ الذّكرُ والشّكرُ والحمدُ
 ولا زالَ من يَخْفَى وآثارُهُ تَبْدوا

بدر يستسر في التراب

وقال يرثي الأمير محمداً
 ولد الحاج صالح بماردين :

صالَ فينا الرّدى جَهّاراً نَهّاراً ،
 فكأنّ المنونَ تَطَلَّبُ ثاراً
 كلّما قلتُ يَسْتَمّ هِلالٌ ،
 سلّبتنا أيدي الرّدى أقماراً

١ يقصو : يبعد .

يا لَقَومِي ! ما إِنْ وَجَدْتُ مِنَ الحَظِّ
 كُلَّ حِينٍ الحَيَّ الحُطوبَ عَلَى فَتَّةٍ
 يا هَلالاً لَمَّا اسْتَمَّ ضِيَاءُ ،
 قَمَرٌ أَسْرَعَتْ لَهُ الأَرْضُ كَسْفاً ،
 أَذْهَلَ العَقْلَ رُزُوهُ ، فَتَرَى النَّاسَ
 ما رَأَيْنَا مِنْ قَبْلِ رُزْئِكَ بَدَراً
 كُنْتُ أَدرِي أَنَّ الزَّمانَ ، وَإِنْ أَسُ
 غَيْرَ أَنِّي غُرِرْتُ أَنْ سَوْفَ تَبْقَى ،
 يا قَضِيّاً ذَوِي ، وَصَوِّحَ لَمَّا
 قَدْ فَقَدْنَا مِنْ طِيبِ خُلُقِكَ أنْساً
 خُلُقاً يُشْبِهُ النِّسِيمَ ، وَلُطْفاً
 أَيْهَا النَّازِحُ الَّذِي مَلَأَ القَلْدَ
 لَسْتُ أَختارُ بَعْدَ بَعْدِكَ عَيْشاً ،
 كُلَّمَا شامَ بَرَقَ مَخْناكَ قَلْبِي ،
 وَإِذا ما ذَكَرْتُ ساعَةَ أنْسي
 فَكانَ التَّذْكارُ حَجَجَ بَقَلْبِي ،
 فَسأَبْكِكَ ما حَيَّتْ بَدَمِعِ ،
 لَيْسَ جُهدِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ إِلَّا

بِ مَحِيداً ، وَلَا عَلَيْهِ انْتِصاراً
 لِي حَبِيبٍ ، وَأَعْتَبُ الأَقْداراً
 قَدْ أَغَارَتْ فِيهِ المَنُونُ ، فَغَاراً
 وَكذا الأَرْضُ تُكْسِفُ الأَقْماراً
 سَ سَكَارَى وما هُمْ بِسَكَارَى
 جَعَلَ المُكْثَ فِي التُّرابِ سِراراً
 هَفَ بالصَّفْوِ يُحْدِثُ الأَكْداراً
 فَلَقَدْ كُنْتُ كَوَكْباً غَرَّاراً
 أَظْهَرَ الزَّهْرُ غُصْنَهُ وَالشَّماراً
 عَلَّمَ النُّومَ عَنْ جَفَوْنِي النِّفَّاراً
 سَلَبَ المَاءَ حُسْنَهُ ، وَالْعُقَّاراً
 بَ بِأَحْزَانِهِ ، وَأَخْطَى الدِّياراً
 غَيْرَ أَنِّي لا أَمْلِكُ الإِختياراً
 أَرْسَلْتُ سُحْبُ أَدْمُعِي أَمْطاراً
 بِكَ أَذْكَى التَّذْكارُ فِي القَلْبِ ناراً
 فَهُوَ بِالْحَزَنِ فِيهِ يَرْمِي الجِماراً
 لا تُقالُ الجُفُونُ مِنْهُ عِشاراً
 أَرْسِلَ الدَّمْعَ فِيكَ وَالْأَشْعاراً

سقى الله قبراً

وقال يرثي صاحبه زكي الدين بن
مقبل البغدادي حين توفي بماردين :

سقى الله قبراً حلّ فيه ابنٌ مُقبِلٌ ، تواليَ أمطارٌ بها البرقُ ضاحِكُ
فتى غابَ عنا شخصهٌ دونَ ذكرِهِ ، فأصبحَ فينا حاضراً ، وهو هالِكُ
غريبٌ عنِ الأوطانِ قد حلّ حُفرةً من الحزنِ يعلوه الصفا والدكادِكُ^١
فيا ربّ قد وافاك ذا أملٍ ، فجُدْ عليه برُضوانٍ ، فإنك مالِكُ

رحم الاله جوارحاً

وقال في شمس الدين محمد بن
المجونة الموصلّي الكاتب وقد توفي
بماردين ودفن بجبانة تعرف بقبور
الرضوان :

رَحِمَ الإلهُ جَوَارِحاً ضَمَّ التَّرى ، في ماردين بأيمن الصّمانِ
فلقد تَمَتَّعتِ التّواظُرُ برُهةً من ربّها بالحُسنِ والإحسانِ
وعلمتُ أنْ ذنوبه مَغْفُورةٌ من دَقْنِه بِمَقَابِرِ الرّضوانِ

١ الدكادك : الأراضي فيها غلط .

توفيت الآمال بعد محمد

وقال يرثي السلطان الملك الناصر
محمد بن قلاوون في سنة اثنتين وأربعين
وسبعمائة :

وَفَى لِي فِيكَ الدَّمْعُ إِذْ خَانَنِي الصَّبْرُ ،
وَأَضْحَمْتُ تَقْوِلُ النَّاسُ وَالِدَسْتُ وَالْعُلَى :
تُوفِيَتِ الْآمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ،
وَزَالَتْ حَصَاةُ الْحِلْمِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا ،
وَسَاوَى قُلُوبَ النَّاسِ فِي الْحُزْنِ رَزْوَهُ
فَإِنْ أَظْلَمَتْ أَرْضُ الشَّامِ الْحُزْنَ ،
قَضَى النَّاصِرُ السُّلْطَانُ مِنْ بَعْدِي قَضَى
وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ الْجَاشُ وَالْجَيْشُ وَاللَّهُى
وَلَا الْحَيْلُ تَجْرِي بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا ،
لَدَى مَعْرَكٍ خَاضَتْ بِهِ الْحَيْلُ فِي الْوَعَى
كَأَنَّ لَمْ يَقْدُهَا فِي الْهِيَاجِ عَوَايِسَا ،
وَلَمْ تَرْجِعِ الْبَيْضُ الصَّفَاحُ مِنَ الْعِدَى
وَلَمْ يَتْرَكِ الْأَبْطَالُ صَرَعى ، وَغَسَلُهَا
وَلَا صَنَعَتْ فِيهَا ظُبَاهُ مَا دَبَا ،
وَلَا أَخَذَتْ مِنْهُ الْمُلُوكُ لِسْلِمِهِ

وَأَعْبَدَ فِيكَ النَّظْمُ إِذْ خُذِلَ النَّصْرُ
كَذَا فَلْيَجَلَّ الْخَطْبُ وَلْيَقْدَحِ الْأَمْرُ
وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ
وَأَصْبَحَ كَالْحَنَسَاءِ فِي قَلْبِهِ صَخْرُ
كَأَنَّ صُدُورَ النَّاسِ فِي حُزْنِهَا صَدْرُ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ ذَلِكَ الصَّعِيدُ وَلَا مَصْرُ
فَرُوضِ الْعُلَى طُرّاً ، وَسَلَامُهُ الدَّهْرُ
وَفَرَطُ النُّهَى وَالْحُكْمُ وَالنُّهَى وَالْأَمْرُ
لِحَرْبِ الْعِدَى وَالِدَّاهِمُ مِنْ دَمِهِمْ حُمْرُ
مِنَ الدَّمِ فِيمَا خَاضَتْ الْبَيْضُ وَالسَّمْرُ
بِكُلِّ كَمِيٍّ ضَمَّ فِي قَلْبِهِ الصَّدْرُ
مُخَضَّبَةً ، وَالْبَرَّ مِنْ دَمِهِمْ بَحْرُ
دَمَاهَا ، وَأَحْشَاءُ النَّسُورِ لَهَا قَبْرُ
فَأَصْبَحَ مِنْ أَضْيَافِهِ الذُّنْبُ وَالنَّسْرُ
زِمَامَ الرِّضَى مِمَّا يَقْلِقِلُهَا الذَّعْرُ

ولا مُهتَدَ الإسلامُ عندَ اضطرابِهِ ،
ولا قَلَدَ الأعناقِ من فيضِ جُودِهِ ،
ولا جَبَرَتْ كَفَّاهُ في كلِّ بلدَةٍ
ألا في سَبِيلِ المَجْدِ مُهْجَةٌ مَاجِدٍ
كَرِيمٌ أَفَادَ الدَّهْرُ مِنْهُ خَلَائِقًا ،
يَرُوعُ جِيوشَ الحَادِثَاتِ بِرَاعِهِ ،
إلى بابِهِ تَسْعَى المُلُوكُ ، فإن عَدَّتْ
لَقَدْ شَهِدَتْ أَهْلُ المَمَالِكِ أَنَّهُ
قَوِيٌّ إِذَا لَانُوا ، سَرِيعٌ إِذَا وَتُوا ،
كَأَنَّ أَدِيمَ الأَرْضِ قَدْ مِنْ اسْمِهِ ،
يَجُولُ ثَنَاهُ في البِلَادِ كَأَنَّهُ
وما كان يَدْرِي مَنْ تَيَمَّمْ جُودَهُ
مِفْتَاحُ أَرْزَاقِ العِبَادِ بِكَفِّهِ ،
فَتَى كَانَ مِثْلَ الدَّهْرِ بَطْشًا وَبَسْطَةً ،
فَتَى طَبَّقَ الأَرْضَ البَسِيطَةَ جُودَهُ ،
فَتَى لَفَظَهُ مَعَ رَأْيِهِ وَنَوَالِهِ ،
فَتَى لَمْ تُرْتَعْ نَشْوَةُ الكَبِيرِ عِظْفُهُ ،
فَتَى يَكْرَهُ التَّقْصِيرَ حَتَّى تَظُنَّهُ ،
فَتَى لَمْ يَدَعْ في مُهْجَةِ المَجْدِ حَسْرَةً ،

فَأَصْبَحَ مَشْدُودًا بِهِ ذَلِكَ الأَزْرُ
قَلَائِدَ بَرٍّ لَا يَقُومُ بِهَا الشُّكْرُ
كَبِيرَ كِرَامٍ مَا لَكَسَرِهِمْ جَبْرُ
يُشَارِكُنَا فِي حُزْنِهِ المَجْدُ والفَخْرُ
فَأَيَّامُهُ مِنْهُ مُحَجَّلَةٌ غُرُ
وَيُفْنِي الأَعَادِي قَبْلَ أَسْيَافِهِ الذِّكْرُ
تَعْدَى إِلَيْهَا القَتْلُ والنَّهْبُ والأَسْرُ
مَلِكٌ لَهُ مِنْ فَوْقِ قَدَرِهِمْ قَدْرُ
صَوُولٌ إِذَا كَرَّوْا ، ثَبُوتٌ إِذَا فَرَّوْا
فَمَا وَجِدَتْ إِلَّا وَفِيهَا لَهُ ذِكْرُ
وِشَاحٌ ، وَمَجْمُوعُ البَقَاعِ لَهُ خَصْرُ
وَنَكَبَ لُجَّ البَحْرِ أَتَهُمَا البَحْرُ
فِيْمَنِي بِهَا يُمْنٌ ، وَيُسْرَى بِهَا يُسْرُ
يُرْجَى وَيُخْتَى عِنْدَهُ النِّفْعُ والضَّرُّ
فَنِي كُلِّ قَطْرِ مِنْ نَدَاهُ بِهَا قَطْرُ
يَجِيءُ ارْتِجَالًا لَا يُغْلِغِلُهُ الفِكْرُ
وَمِنْ بَعْضِ مَا قَدْ نَالَهُ يَحْدُثُ الكَبِيرُ
يَكُونُ حَرَامًا عِنْدَهُ الجَمْعُ والقَصْرُ
مَدَى الدَّهْرِ ، إِلَّا أَنْ يَطُولَ لَهُ العَمْرُ

فَتَنَى ذَخَرَ الْحُسْنَى ، فَأَعْقَبَ فَعْلُهُ
تَقَاصَرَتِ الْأَشْعَارُ عَنْ وَصْفِ رُزْيِهِ ،
طَوَاهُ الثَّرَى مِنْ بَعْدِ مَا شَرَفَ الثَّرَى
وَلَمْ نَرَ بَدْرًا قَبْلَهُ غَابَ فِي الثَّرَى ،
وَقَدْ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ يَغْبِطُ ظَهْرَهَا
أَحَاطَ بِهِ الْآسُونُ يَبْغُونَ طَيْبَهُ ،
وَرَامُوا بِأَنْوَاعِ الْعَقَاقِيرِ بُرَاهُ ،
وَكَيْفَ يَرُدُّ الطَّبُّ أَمْرًا مُقَدَّرًا ،
وَمِمَّا يُسَلِّي النَّفْسَ حُسْنُ انْتِقَالِهِ ،
وَإِنْ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ سَلِيلِهِ
فَإِنْ غَابَ ذَاكَ الْبَدْرُ عَنْ أَفْقِ مُلْكِهِ
وَسَرَ الْعُلَى مَا أَسْمَعَ النَّاسُ عَنْهُمْ ،
فَإِنْ فَكَلَتِ الْأَيَّامُ حَدَّ مُحَمَّدٍ ،
وَإِنْ أَحْدَثَتْ بِالنَّاصِرِ الْمَلِكِ زَلَّةً ،
فِيَا دَوْحَةَ الْمَجْدِ الَّذِي عِنْدَمَا ذَوَتْ
لَكَ اللَّهُ كَمْ قَلَدَتْنا طَوْقَ مِينَةٍ ،
لَقَدْ عَزَّ فِينَا بَعْدَ وَجْدَانِكَ الْغِنَى ،
تَرْتَبَّتِ الْأَحْزَانُ فَيْكَ مَرَاتِبًا

عَوَاقِبُهُ الْحُسْنَى ، فَقَدْ نَفَعَ الذَّخَرَ
لَقَدْ جَلَّ حَتَّى دَقَّ عَنْ وَصْفِهِ الشَّعْرُ
بَوَاطِيهِ ، وَالتَّخْتُ وَالدَّسْتُ وَالْقَصْرُ
وَلَمْ نَرَ طَوْدًا قَبْلَهُ ضَمَّهُ الْقَبْرُ
عَلَيْهِ ، فَأَمْسَى الْبَطْنُ يَحْسَدُهُ الظَّهْرُ
وَقَدْ حَارَتِ الْأَفْهَامُ وَاشْتَغَلَ السَّرَّاءُ
وَهَلْ يُصْلِحُ الْعِطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ
إِذَا كَانَ ذَاكَ الْأَمْرُ مَمْنً لَهُ الْأَمْرُ
عَقِيفَ إِزَارٍ لَا يُنَاطُ بِهِ وَزُرٌّ
مَلِكًا بِهِ عَنْ فَقْدِهِ يَحْسُنُ الصَّبْرُ
فَقَدْ أَشْرَقَتْ مِنْ نَجْلِهِ أَنْجَمُ زُهْرُ
وَقَالَ الْوَرَى قَدْ صَدَّقَ الْخَبَرَ الْخَبْرُ
فَقَدْ جَرَدَتْ سَيْفًا بِهِ يُدْرِكُ الْوَتْرُ
فَبِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَامَ لَهَا الْعُدْرُ
سَمَتْ وَنَمَتْ فِي الْمَجْدِ أَغْصَانُهَا الْخَضْرُ
فَنَلَّكَ كَعَدَدِ الْقَطْرِ لَيْسَ لَهُ حَصْرُ
كَمَا ذَلَّ فِينَا قَبْلَ فَيْقْدَانِكَ الْفَقْرُ
بِقَلْبِي ، وَرَقْمُ الصَّبْرِ مِنْ بَيْنِهَا صِفْرُ

١ الآسُون ، الواحد آس : الطيب .

٢ الوزر : الإثم .

ولما نَظَّمْتُ الشَّعْرَ فَيْكَ فَلَائِدًا ، تَمَنَّتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لَوْ أَنَّهَا شِعْرُ
سَابِكِكَ بِالشَّعَارِ ، حَتَّى إِذَا وَهَتْ سُلُوكُ عُقُودِ النَّظْمِ أَنْجَدَنِي النَّوْءُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا ذُكِرَ اسْمُكُمْ ، وَذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ آخِرُهُ الْحَشَرُ

ما للجبال الراسيات ؟

وقال يرثي السلطان الملك الأفضل ناصر
الدين محمدًا ابن السلطان الملك المؤيد عماد
الدِّين إسماعيل بن أيوب صاحب حماة في
سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة :

ما للجبالِ الرّاسياتِ تَسِيرُ ، أَفَأَنَ بَعَثَ لِلوَرَى وَنُشُورُ ؟
أَمْ زَالَتِ الدُّنْيَا فَيَذْبُلُ يَذْبُلُ مِنْهَا وَيَدْعِي بِالشُّبُورِ ثَبِيرُ
أَمْ أَخْبَرْتَ أَنَّ ابْنَ أَيُّوبٍ قَضَى ، فَتَكَادُ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ تَمُورُ
الأفْضَلُ الْمَلِكُ الَّذِي لِفَخَارِهِ ذَبِيلٌ عَلَى هَامِ السُّهَى مَجْرُورُ
ذُو الرِّبَّةِ الْعَلِيَاءِ ، وَالْوَجْهِ الَّذِي مِنْهُ الْبَدُورُ تَغَارُ ثُمَّ تَغُورُ
يَسْخُو وَصُوبُ الْمُزْنِ يَجْبَسُ قَطْرُهُ عَنَّا ، وَيَعْدِلُ وَالزَّمَانُ يَجُورُ
فَإِذَا سَخَا ذَلَّ النَّصَارُ بِكَفِّهِ ، كَرَمًا ، وَعَزَّ لَهُ ، الْعَدَاةُ ، نَظِيرُ
يُرْوِي حَدِيثَ الْجُودِ عَنْهُ مَعْتَفًا ، فَحَدِيثُهُ بَيْنَ الْوَرَى مَأْثُورُ

١ قوله : يدعي ، هكذا في الأصل ، ولعلها لغة في يدعو .

جَمَعَ الثَّناءَ ، وإنَّهُ ، إلا على
من مَعَشَرَ ما شَكَ طالِبُ جودِهِم
قومٌ ، إذا صَمَتَ الرِّوَاةُ لِفَضْلِهِم ،
أَخَنَتْ عَلَيْنَا الحادِثاتُ بِرُزْئِهِ ،
وعَلَا النِّمَى لَهُ ، وكانَ إذا بَدَأَ
عَمَّ الحلائِقَ حَزْنُهُ ، فقلوبُهُم
عَفَّ الإِزارِ ، فَلَا يُلَاثُ بِرَلَّةٍ ،
طالَتْ إلى الحُسنى يَداهُ ، وخطوهُ ،
يَسْطَهَرُ الماءُ القَرَّاحُ بِغُسْلِهِ ،
أينَ الذي كَسَبَ الثَّناءَ بِسَعْيِهِ
أينَ الذي ساسَ البلادَ بِخاطِرِهِ
أينَ الذي عَمَّ الأَنامَ بِأَنعَمِ
يا غائِباً أَخْفَى التُّرابُ جِمالَهُ
ومُساوِراً وَلَّى فَطَوَّلَ نايَهُ ،
لَقَد اسْتَقَمَّتْ كَما أُمِرَتْ ، وأَمْرُكَ
رَأْيٌ حَمِيَّتْ بِهِ (حِماة) وأَهْلُها ،
ما زالَ وَفَرُّكَ لِلْعُفْاةِ مُعَرَّضاً ،
ما خِلْتُ أَنَّ نَدَاكَ تُقْلِعُ سُجْبَهُ

جَمَعَ النُّضارِ ، إذا يَشَاءُ قَدِيرُ
أَنَّ الثَّناءَ عَلَيْهِمُ مَحْصُورُ
أثنى عَلَيْهِم مَنِبَرٌ وَسَرِيرُ
والرَّزءُ بِالْمَلِكِ الكَبِيرِ كَبِيرُ
يَعْلُو لَهُ التَّهْلِيلُ والتَّكْبِيرُ
بالْحُزْنِ مَوْتى ، والجُحُومُ قُبُورُ
فيقالَ : إنَّ هِبابِهِ تَكْفِيرُ
نحوَ المعاصي ، واللِّسانُ قَصِيرُ
وبطِيهِ يَتَعَطَّرُ الكافُورُ
لنِجَارَةٍ في المَجْدِ لَيْسَ تَبُورُ
كالْبَحْرِ لَيْسَ لَصْفَوِهِ تَكْدِيرُ
يُطَوَّى الزَّمانُ ، وَذِكْرُها مَنشُورُ
عَنّا ، وَأَنعُمُهُ لَدَيَّ حُضُورُ
وَنَرى المُسافِرَ فَرَضَهُ التَّقْصِيرُ
حالي ، فَأَنْتَ الأَمْرُ المَأْمُورُ
وَرَعَى المَمالِكِ سَعْيُكَ المَشْكُورُ
أَبداً ، وَعِرضُكَ بَيْنَهُم مَوْفُورُ
عَنّا ، وَيَنْضَبُ بِحَرِّهِ المَسْجُورُ^٢

١ يلاث : يُلطخ .

٢ المسجور : المَلان ، المحمي .

أفإن أصم صدك عني إن لي منك الصدى المهْموزُ والمَقصورُ
سمعتُ بمقدمك الجنانُ فزخرقتُ وتبأشرتُ ولدانها والخورُ
لم تتن عنك الغاسلون عنانها ، إلا أذاك مبشّر وبشيرُ
وغدت تقولُ العالمونَ وقد بكتُ علماً بلذّةٍ ما إليه تصيرُ
تبكي عليه ، وما استقرّ قراره في اللحدِ ، حتى صافحتهُ الخورُ

زعزع ركن المجد

وقال يرثي الأمير الكبير المعظم ملك السادة
عماد الدين ناصر بن محمد الدلقندي أتاب الله
مثواه ويذكر وفاته فجأة في يوم عاشوراء من
سنة ست وأربعين وسبعمائة :

اليوم زُزعزع رُكنُ المجدِ وانهدما ، فحقّ للخلق أن تذري الدموعَ دما
ما مِن وفي بكى دمعاً بغيرِ دمٍ ، إلا غدا في صفاءِ الودّ متّهما
يا فجعةً أحدثت في المجدِ مُعضلةً تبلي الصّميمَ وفي سمعِ العليّ صمّما
شقّ الجيوبِ بلا شقّ القلوبِ بها خلقٌ ذميمٌ لمن يرعى لها الذمّما
حتامٌ أحزنُ في توديعِ مُرتحلٍ ، وأقرعُ السنّ في آثارِهِ نَدّما
من خالط الناسَ كان الحزنُ غايتهُ ، من أكثَرَ النّومَ لا يَسْتَدْنِبُ الحُلّما
أما تني الحزنُ إلا أنْ نُطقَ فمي يحكي الصّدى لنعيّ خطبُهُ عَظّما

فالنَّاسُ تُعَجَّبُ إِذْ نَظَّمْتُ مَرثِيَّةً ،
 أَيْنَ الَّذِي كَانَ مَغْنَاهُ لَأَمْلِهِ
 أَيْنَ الَّذِي كَانَ مَسْعَاهُ وَبَهْجَتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي كَانَ نَعَمَ الْمُسْتَشَارُ بِهِ ،
 وَإِنْ غَدَتْ لِلْمُلُوكِ الْأَرْضُ مُشْكَلَةٌ
 يَقْظَانُ يُرْضِيكَ نَجْوَاهُ وَخَاطِرُهُ ،
 مَضَى الْأَمِيرُ عِمَادُ الدِّينِ عَنْ أَمَمٍ
 فَمَا أَرَتْنَا اللَّيَالِي عِنْدَهُ نِعَمًا ،
 قَضَى دِيُونَ الْعُلَى فِي عِزَّةٍ وَقَضَى
 مَا مَالَ إِلَّا عَلَى مَالٍ بِجُودٍ بِهِ
 وَلَمْ يُحَرِّكْ لِسَانًا فِي أَذَى أَحَدٍ
 يَا نَاصِرَ الْحَقِّ لَمَّا عَزَّ نَاصِرُهُ ،
 مَا كُنْتُ إِلَّا طِرَازًا رَاقٍ مَنَظَرُهُ
 مَا تَنَّتْ لِمَوْتِكَ خَلْقٌ كُنْتُ غَيْبَتُهُمْ ،
 لَبَّيْتَ دَاعِيَ الرَّدَى لَمَّا فَجِئْتَ بِهِ
 رَمَيْتَ بِالذَّلِّ قَوْمًا أَنْتَ عَزَّهُمْ ،
 حَلَّ الرَّدَى بِكَ ضَيْفًا فَانْبَسَطْتَ لَهُ ،
 قَدْ سَالَمْتُكَ اللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا ،

وَهَلْ سَمِعْتَ بِمَيِّتٍ نَظَّمَ الْكَلِمَا
 حِصْنًا ، وَظَلَّ فِينَاهُ لِلنَّزِيلِ حِمَى
 بَيْنَ الْمَمَالِكِ تَجْلُو الظُّلْمَ وَالظُّلْمَا
 إِذَا تَرَاكُم مَوْجُ الشُّكِّ وَالتَّطَلُّمَا
 غَدَا لَهَا حِكْمًا تَرْضَى بِهَا حِكْمًا
 إِنْ قَالَ أَفْهَمَ ، أَوْ أَسْمَعْتُهُ فِهَمَا
 قَدْ كَانَ مِنْهَا سَنَاهُ وَالنَّدَى أَمَمًا
 حَتَّى قَضَى ، فَأَرَتْنَا عِنْدَهُ نِقَمًا
 عَفَّ الْإِزَارِ بِجَبَلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا
 عَلَى الْوَرَى وَلَغَيْرِ الْخَيْلِ مَا ظَلَمَا
 مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَا أُجْرَى بِهِ قَلَمًا
 وَذَلَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالْجَاهِ مُلْتَزِمًا
 عَلَى ثِيَابِ الْعُلَى وَالْمَسْجِدِ قَدْ رُقِمَا
 وَهَدَّ فَقْدُكَ مِنْ أَهْلِ الرَّجَا أَمَمًا
 طَوْعًا ، وَلَمْ تَرَ مِنْهُ عَابَسًا وَجِمًا
 وَمَا رَمَيْتَ وَلَكِنْ الْإِلَهَ رَمَى
 وَجُدْتَ بِالنَّفْسِ لَمَّا رَامَهَا كَرَمًا
 حَتَّى الْمَنِيَّةُ أَلْقَتْ دُونَكَ السَّلَامَا

١ تَرْضَى بِهَا : هَكَذَا فِي الْأَصْلِ .

٢ الْأَمَمُ : الْقَرَبُ .

ففاجأناكَ بِرَفَقٍ لَمْ يَذِقْكَ ضَنْئِي ،
يا ابنَ الأئمَّةِ والقومِ الذينَ سَمَوْا
مَتَوَالِكَ في يومِ عاشوراءَ يُخْبِرُنَا
وَيُخْلِقُكَ السَّبْطُ يَا ابنَ السَّبْطِ حَنِّ لَهْ ،
قَدْ كَانَ وَجْهُكَ في الإِقْبَالِ قَبْلَتَنَا ،
وَكَانَ مَالُكَ في الأَقْوَامِ مُنْقَسِمًا ،
كُنَّا نَعَزِيكَ في الأموالِ تُثْلِفُهَا ،
أَرْضَعْنَا ثَدْيِي أَنَسٍ مِنْكَ تَأْلِفُهُ ،
تُبْدِي التَّوَاضُعَ لِلإِخْوَانِ مُنْبَسِّطًا ،
بَسَطْتَ لِي مِنْكَ أَخْلَاقًا وَتَكْرِمَةً ،
فَكَيْفَ نَحْيَا ، وَقَدْ زَالَ الْحَيَاءُ لَنَا ،
أَبْكِي عَلَيْهِ ، وَهَلْ يَشْفِي الْبَكَاءُ كَدًّا ،
وَكَيْفَ نَبْكِي أَمْرًا كَانَ الإِلَهُ لَهُ
مَضَى ، وَأَبْقَى لَنَا مِنْ بَعْدِهِ خَلْقًا

كُنْتُمْ لَهُ خُلَفَاءَ

قال وكتب بها إلى أبناء الملك
المنصور صدر رسالة :

مَا مَاتَ مَنْ أَنْتُمْ أَغْصَانُ دَوْحَتِهِ ،
لَمَّا اقْتَضَى الدَّهْرُ مِنْهُ وَتَرَهُ ، وَقَضَى
كُنْتُمْ لَهُ خُلَفَاءَ يُهْدِي الثَّنَاءَ لَهُ ،
فَالذِّكْرُ مِنْهُ مُقِيمٌ بَيْنَ أَحْيَاءِ
عَفَّ الإِزَارِ حَمِيدَ الْفِعْلِ وَالرَّأْيِ
كَالْمَاءِ لِلوَرْدِ ، أَوْ كَالوَرْدِ لِلْمَاءِ

خفض همومك

قال يعزي الملك الأفضل صاحب
حماة بوالده الملك المؤيد :

خَفَضْ هُمُوكَ ، فَالْحَيَاةُ غُرُورُ ، وَرَحَى الْمَنُونِ ، عَلَى الْأَنَامِ تَدُورُ ،
وَالْمَرْءُ فِي دَارِ الْفَنَاءِ مُكَلَّفٌ ، لَا قَادِرٌ فِيهَا وَلَا مَعْدُورُ ،
وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا كَظِلٍّ زَائِلٍ ، كُلُّ إِلَى حُكْمِ الْفَنَاءِ يَصِيرُ ،
فَالنَّاسُ وَالْمَلِكُ الْمَتَوَجُّ وَاحِدٌ ، لَا أَمْرٌ يَبْقَى ، وَلَا مَأْمُورُ ،
عَجَبًا لِمَنْ تَرَكَ التَّذَكُّرَ ، وَانْثَى فِي الْأَمَنِ ، وَهُوَ بِعَيْنِهِ مَغْرُورُ ،
فِي فَقْدِنَا الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ شَاهِدٌ ، أَلَا يَدُومَ مَعَ الزَّمَانِ سُرُورُ ،
مَلِكٌ تَيَتَّمَتِ الْمُلُوكُ بِرَأْيِهِ ، فَكَأَنَّهُ لِمَصْلَاحِهِمْ إِكْسِيرُ ،
مَنْ آلَ أَيُّوبَ الَّذِينَ سَمَّاحُهُمْ بِحَرٍّ بِأُمُوجِ النَّدَى مَسْجُورُ ،
أَضْحَتْ مَدَائِحُ الْحِسَانِ مَرَاثِيًا ، لِلنَّاسِ مِنْهَا رَتَّةٌ وَزَفِيرُ ،
وَبَكَتْ لَهُ أَهْلُ الثُّغُورِ ، وَطَالَمَا أَمْسَى عِمَادُ الدِّينِ بَعْدَ عُلُومِهِ ،
وَإِذَا الْقَضَاءُ جَرَى بِأَمْرِ نَافِذٍ ، وَلَطِيبُهُ عَمَّا عَرَاهُ قُصُورُ ،
وَلَوْ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ مِثْلُ سَمِيَّةِ غَلِطَ الطَّيِّبُ ، وَأَخْطَأَ التَّدْبِيرُ ،
إِنْ لَمْتُ صَرَفَ الدَّهْرِ فِيهِ أَجَابَتِي : يُفْدَى ، فَدَنَتْهُ تَرَائِبُ وَنُحُورُ ،
أَبَتِ النُّهَى أَنْ يُعْتَبَ الْمَقْدُورُ

١ الإكسر في زعمهم : ما يلقى عل الفضة ونحوها فيحول إلى ذهب خالص .

أَوْ قُلْتُ: أَيْنَ تُرَى الْمُؤَيَّدُ؟ قَالَ لِي :
 أَمْ أَيْنَ كِسْرَى أَزْدَشِيرُ وَقِصْرُ
 أَيْنَ ابْنُ دَاوُدَ سَلِيمَانُ الَّذِي
 وَالرَّيْحُ تَجْزِي حَيْثُ شَاءَ بِأَمْرِهِ ،
 فَتَكْتُبُهُمْ أَيْدِي الْمَنُونِ ، وَلَمْ تَزَلْ
 لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْفَضَائِلِ مَا جِدْتُ
 كُلُّ بَصِيرُ إِلَى الْبَلَى ، فَأَجَبْتُهُ :
 أَيْنَ الْمُظْفَرُ قَبْلُ وَالْمَنْصُورُ ؟
 وَالْهُرْمُزَانُ ، وَقَبْلَهُمْ سَابُورُ ؟
 كَانَتْ يَحْفَلِيهِ الْجِبَالُ تَمُورُ
 مِنْقَادَةٌ ، وَبِهِ الْبِسَاطُ يَسِيرُ ؟
 خَيْلُ الْمَنُونِ عَلَى الْأَنَامِ تُغَيِّرُ
 مَا ضَمَّتِ الرُّسُلَ الْكِرَامَ قُبُورُ
 إِنِّي لِأَعْلَمُ ، وَاللَّيْبُ خَيْرُ

لدوا للموت وابنوا للخراب

وقال يعزى صاحب المعظم الحاج
 شرف الدين بن فخر الدين إبراهيم
 بماديين بولد :

لِدُوا لِلْمَوْتِ ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ ،
 كَذَلِكَ قَالَ خَيْرُ الْخَلْقِ طُرّاً ،
 فَمَرْجِعُ كُلِّ حَيٍّ لِلْمَنَايَا ،
 بَنُوا الدُّنْيَا فَرَائِسُ لِلْمَنَايَا ،
 وَمَنْ يَغْتَرَّ فِي الدُّنْيَا بَعِيشٍ ،
 فَمَا فَوْقَ التَّرَابِ إِلَى التَّرَابِ
 رَسُولُ اللَّهِ ، ذُو الْأَمْرِ الْمُجَابِ
 وَغَايَةُ كُلِّ مَلِكٍ لِلذَّهَابِ
 وَنَابُ الْمَوْتِ عَنْهَا غَيْرُ نَابِ
 فَقَدْ طَلَبَ الشَّرَابَ مِنَ السَّرَابِ

دعا ابشكَ للردى مَنْ ليس يَعْصَى ، وداعي الموتِ مَمْنوعُ الجَوَابِ
أرانا فَقْدُهُ الأَيَّامَ سُوداً ، ونادي الأَنْسِ مَغْبَرُ الجَنَابِ
وما طيبُ الحَيَاةِ بِغَيْرِ بِشْرٍ ، ولا حُسْنُ السَّمَاءِ بِلا شِهَابِ
فلذُ بالصَّبْرِ في اللَّائِي وأَحْسِنُ عَزَاءَكَ واغْتَنِمِ حُسْنَ الثَّوَابِ
فإِنَّكَ مِنْ أناسٍ ليسَ يَخْفَى على آرائِهِمْ وجهُ الصَّوَابِ

كذا فليصبر

وقال يعزي الأمير نور الدين
ركن الدين إسحق بملك الأمراء فخر
الدين عثمان :

كذا فليَصْبِرِ الرَّجُلُ النَجِيبُ ، إذا نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الخُطُوبُ
يَسِرُّ النَّفْسَ ثُمَّ يُسِيرُ حُزْناً ، يَضِيقُ بِبَعْضِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَيُبْذِي البَاسَ للأَعْدَاءِ كَيْلاً ، تُؤْتِبُهُ الشَّوَامُ ، أو تَعِيبُ
ومثلُ عِلَاكَ نُورِ الدِّينِ مَنْ لا يُقْلَقِلُ قَلْبَهُ نُوبٌ تَنُوبُ
فإِنَّكَ في جِلَادِ المَلِكِ خَطِيبُ ، وفي يَوْمِ الجِدَالِ لَهُ خَطِيبُ
تَخَافُكَ حِينَ تَزْجُرُهَا الرِّزَايا ، وتُجَلِّي حِينَ تَلَحَّظُهَا الكُرُوبُ
بِقَلْبِ كُلِّ فِكْرَتِهِ عِيونُ ، وطَرَفِ كُلِّ نَظَرَتِهِ قُلُوبُ

وَإِنَّ يَدَ الرَّدَى ، وَوُقِيتَ مِنْهَا ،
 أَرْتَكَ بِفَقْدِ فَخْرِ الدِّينِ رُزْماً ،
 كَرِيمٌ مَا بِسَمْعِ نَدَاهُ وَقَرْ ،
 وَلَوْ أَنَّ الْوَعَى سَلَبَتْهُ مِنَّا ،
 لِقَامَ بِنَصْرِهِ مِنَّا رِجَالٌ
 بِيضٌ يَغْتَدِي نَمْلُ الْمَنَایَا
 وَخَيْلٌ كُلَّمَا رَفَعَتْ عَجَاجاً
 كَانَ مُثَارَ عَشِيرَتِهَا سَحَابٌ
 أَفْخَرَ الدِّينِ كَمْ أَعْلَيْتَ فَخْراً ،
 بَرُغْمِي أَنْ تَبِيتَ غَرِيبَ دَارٍ ،
 وَتَخْلُو مِنْكَ أُمْنِيَةُ الْمَعَالِي ،
 وَتَدْعُوكَ الْكُفَاةُ وَلَا تُنَاجِي ،
 وَيُقَسِّمُ فِي الْأَنَامِ زَكَاةُ مَدَحٍ ،
 خَفِيتَ عَنِ الْعِيُونِ ، وَأَيُّ شَمْسٍ
 فَصَبْرًا يَا بَنِي إِسْحَقَ ، صَبْرًا ،
 وَخَفِضْ عَنْكَ نَوْرَ الدِّينِ حَزْناً ،
 فَإِنَّ قَرِيبَ مَا تَخْشَى بَعِيدٌ ،
 وَلَيْسَ الْخُفْ فِي الدُّنْيَا عَجِيبٌ ،

سِهَامٌ خَطُوبُهَا أَبْدَأُ نُصِيبُ
 تُشَقُّ لَهُ الْمَرَاثِرُ لَا الْجُيُوبُ
 وَلَا فِي وَجْهِ نَائِلِهِ قُطُوبُ
 وَبَزَتْهُ الْوَقَائِعُ وَالْحُرُوبُ
 تُزَرُّ عَلَى دُرُوعِهِمُ الْقُلُوبُ
 لَهُ مِنْ فَوْقِ صَفْحَتِهَا دَيِّبُ
 جَلَاهُ الدَّرْعُ وَالسَّيْفُ الْعَضِيبُ
 حَدَّثَهُ مِنْ سَنَابِكِهَا جَنُوبُ
 لَأَلِكَ حِينَ تَشْهَدُ ، أَوْ تَغِيبُ
 وَعِشْتَ ، وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا غَرِيبُ
 وَيَمْحَلُ ذَلِكَ الْمَرَعَى الْخَصِيبُ
 وَتَسْأَلُكَ الْعُقَاةُ ، فَلَا تُجِيبُ
 وَمَا لَكَ فِي نِصَابِهِمْ نُصِيبُ
 تَلُوحُ ، وَلَا يَكُونُ لَهَا مَغِيبُ
 قَرَبُ الْعَيْشِ بِالْحُسْنَى يُثِيبُ
 تَكَادُ الرَّاسِيَاتُ بِهِ تَلُوبُ
 وَإِنَّ بَعِيدَ مَا تَرْجُو قَرِيبُ
 وَلَكِنَّ الْبَقَاءَ بِهَا عَجِيبُ

١ المصيب : القاطع .

٢ يثوب : يكافئ .

لا شغل الله

وقال وكتب بها إلى أحد الأعيان :

لا شَغَلَ اللهُ لَكُمْ خَاطِراً ، ولا عَرَّتْكُمْ بَعْدَهَا شَائِبَةٌ
ولا أَرَتْكُمْ لَصُورِ الرَّدَى حَادِثَةً تُصِمِّي ولا نَائِبَةً

الباب السادس

في الغزل والنسب وطرائف التشبيب

شفاء العشاق بعيد

قال في المحاورات والجواب :

ظَنَنْ قَوْمِي أَنَّ الْأُسَاةَ سَتَبْرِي دَاءَ وَجْدِي ، وَالْعَلَّاجُ يُفْسِدُ
فَأَتَوْا بِالطَّبِيبِ ، وَهُوَ لَعَمْرِي فِي ذَوِي فَتْنِهِ مُجِيدٌ مُجِيدُ
مَذْرَأَى عِلَّتِي ، وَقَدْ لَاحَ لِلْمَوِّ تِ عَلَيْهَا أَدَلَّةٌ وَشُهُودُ
جَسَّ نَبْضِي وَقَالَ : مَا أَنْتَ شَاكٍ ؟ قُلْتُ : نَارًا لَمْ يُطْفِئِهَا التَّبْرِيدُ
فَعَدَا يُخْلِصُ الدَّوَاءَ ، فَأَلْفَى نَارَ وَجْدِي مَعَ الدَّوَاءِ تَزِيدُ
قَالَ : مَا كَانَ أَصْلُ دَائِكَ هَذَا ؟ قُلْتُ : طَرَفِي ، وَذَلِكَ حَالٌ شَدِيدُ
قَالَ : إِنَّ الْهَوَى قَدْ أَحْدَثَ بَلَا لَكَ ، فَقُلْتُ : الْمَقْصُورُ لَا الْمَمْدُودُ
فَانْتَفَى حَائِزًا وَقَالَ لِأَهْلِي : مَا شِفَاءُ الْعُشَّاقِ إِلَّا بَعِيدُ

١ يخلص الدواء : يختاره ، يأخذ خلاصته .

مجلس أنيق

وقال متغزلاً بمحبوب له وكان وعده أن
يسافر معه عند انتزاعه عن العراق ثم اعتذر
بمحاذرة أعدائه فكتب إليه من بغداد وهو
في موسم المحول بمجلس عيسى :

أَذَابَ التَّبَرَّ فِي كَأْسِ اللَّجَيْنِ ، رَشَا بِالرَّاحِ مَخْضُوبَ الْيَدَيْنِ
وَطَافَ عَلَى السَّحَابِ بِكَأْسِ رَاحِ فطافَتْ مُقْلَتَاهُ بِآخِرَيْنِ
رَخِيمٌ مِنْ بَنِي الْأَعْرَابِ طِفْلٌ ، يُجَاذِبُ خَصْرُهُ جَبَلَتِي حُسَيْنِ
يُبْدِلُ نُطْقَهُ ضَاداً بَدَالٍ ، وَيُشْرِكُ عُجْمَةً قَافاً بَغَيْنِ
يَطُوفُ عَلَى الرَّفَاقِ مِنَ الْحَمِيَا ، وَمَنْ خَمِرِ الرُّضَابِ بِمُسْكِرَيْنِ
إِذَا يَجْلُو الْحَمِيَا وَالْمُحِيَا شَهِدْنَا الْجَمْعَ بَيْنَ النَّيِّرَيْنِ
وَأَخَّرَ مِنْ بَنِي الْأَعْرَابِ حَفَّتْ جِيُوشُ الْحُسْنِ مِنْهُ بَعَارِضَيْنِ
إِلَى عَيْنِيهِ تَنْتَسِبُ الْمَنَايَا ، كَمَا انْتَسَبَ الرَّمَاحُ إِلَى رُذَيْنِ
تَلَاظُمُ سَوْسَنَ الْخَدَيْنِ مِنْهُ ، فَيُبْدِلُهَا الْحَيَاءُ بَوَرْدَتَيْنِ
وَمَجْلِسُنَا الْأَنِيقُ تُضْيِئُ فِيهِ أَوَانِي الرَّاحِ مِنْ وَرَقٍ وَعَيْنِ
فَأُطْلِقْنَا فَمَ الْإِبْرِيقِ فِيهِ ، وَبَاتَ الرِّقُّ مَغْلُولَ الْيَدَيْنِ
وَشَمَعَتْنَا شَبِيهُ سِنَانِ تَبِيرٍ ، تَرَكَّبَ فِي قَنَاةٍ مِنْ لُجَيْنِ
وَقَهْوَتُنَا شَبِيهُ شَوَاطِ نَارٍ ، تَوَقَّدُ فِي أَكْفِ السَّاقِيَيْنِ
إِذَا مَلَى الرَّجَاجُ بِهَا وَطَارَتْ حَوَاشِي نُورِهَا فِي الْمَشْرِقَيْنِ

عَجِبْتُ لِبَدْرِ كَأْسٍ صَارَ شَمْساً
 وَنَحْنُ نَزْفُ أَعْيَادَ النَّضَارَى
 نُوحِدُ رَاحَتَنَا مِنْ شِرْكٍ مَاءٍ ،
 وَقَدْ صَاغَتْ يَدُ الْأَزْهَارِ تَاجاً
 بَوْرِدٍ كَالْمَدَامِنِ فِي عَقِيقٍ ،
 وَقَدْ جُمِعَتْ لِي اللَّذَاتُ لَمَّا
 وَمَا أَنَا مِنْ هَوَى الْفَيْحَاءِ خَالٍ ،
 إِذَا مَا قَلْبُوا فِي الْحَشْرِ قَلْبِي ،
 تَمَلَّكَ حُبُّهُ قَلْبِي وَصَدْرِي ،
 وَأَعَوَزَ مَعَ دُنُوءِي مِنْهُ صَبْرِي ،
 إِذَا مَا رَامَ أَنْ يَسْلُوهُ قَلْبِي
 أَلَا يَا نَسْمَةَ السَّعْدِيِّ كُونِي
 وَيَا نَشْرَ الصَّبَا بَلِّغْ سَلَامِي
 وَحَيَّ الْجَامِعِينَ وَجَانِبَيْهَا ،
 وَقُلْ لِمُعَذَّبِي هَلْ مِنْ نَجَازٍ
 سَمِيكَ كَانَ مَقْتُولاً بِظُلْمٍ ،
 وَهَبْتُكَ فِي الْهَوَى رُوحِي بِوَعْدٍ ،
 وَجِئْتُ فِي يَدَي كَفَنِي وَسَيْفِي ،

يُحَفِّ من السَّقَاةِ بِكُوكَبَيْنِ
 بِشَطِّ مُحَوَّلٍ وَالرَّقْمَتَيْنِ
 وَنُؤَلِّعُ فِي الْهَوَى بِالْمَذْهَبَيْنِ
 عَلَى الْأَغْصَانِ فَوْقَ الْجَانِبَيْنِ
 وَأُقْدِحُ كَأْزَارِ اللَّجَيْنِ
 دَنْتُ مِنْهَا قُطُوفُ الْجَنَّتَيْنِ
 وَلَا مَمْنٌ أَحَبَّ قَضَيْتُ دِينِي
 رَأَوْا بَيْنَ الضَّلُوعِ هَوَى حُسَيْنِ
 فَأَصْبَحَ مَلَأَ تِلْكَ الْخَافَقَيْنِ^١
 فَكَيْفَ يَكُونُ صَبْرِي بَعْدَ بَيْنِ
 تَمَثَّلَ شَخْصَهُ تِلْقَاءَ عَيْنِي
 رَسُولاً بَيْنَ مَنْ أَهْوَى وَبَيْنِي
 إِلَى الْفَيْحَاءِ بَيْنَ الْقَلْعَتَيْنِ
 فَقَدْ كَانَا لَشَمْلِي جَامِعَيْنِ
 لَوْعَدَي سَالِفِيكَ السَّالِفَيْنِ
 وَأَنْتَ ظَلَمْتَنِي ، وَجَلَبْتَ حَيْنِي
 وَبِعْتُكَ عَامِداً نَقْداً بَدِينِ
 فَكَيْفَ جَعَلْتَهَا خُفْيَ حُنَيْنِ ؟

١ قوله النضارى : هكذا في الأصل .

٢ قوله تلك الخافقين : هكذا في الأصل .

ولم صَبِرْتُ بَعْدَكَ قَبْدَ قَلْبِي ،
فَصِرْنَا نُسَبَّهُ النَّسْرَيْنِ بَعْدًا ،
عَلِمْتُ بَأَنَّ وَعْدَكَ صَارَ مَيْنًا ،
وَقُلْتُ ، وَقَدْ رَأَيْتُكَ : خَابَ سَعْيِي
فَلِمَ دَلَيْتَنِي بِحِبَالِ زُورٍ ،
وَهَلَّا قُلْتَ لِي قَوْلًا صَرِيحًا ،
عَرَفْتُكَ دُونَ كُلِّ النَّاسِ لَمَّا
وَكَمْ قَدْ شَاهَدْتُكَ النَّاسُ قَبْلِي ،
وَطَاوَعْتُ الْفِتْوَةَ فِيكَ حَتَّى
فَلَمَّا أَنْ خَلَا الْمَغْنَى وَبَيْنَا
قَضَيْنَا الْحَجَّ ضَمًّا وَاسْتِلَامًا ،
أَتَهَجَرْتُ وَتَحَفَظْتُ عَهْدَ غَيْرِي ،
وَقُلْتُ : الْوَعْدُ عِنْدَ الْحَرِّ دَيْنٌ ،
أَجْعَلُ لِي سِوَاكَ عَلَيْكَ عَيْنًا ،
إِذَا مَا جَاءَ مَحْبُوبِي بِذَنْبٍ
وَقُلْتُ : جَعَلْتُ كُلَّ النَّاسِ خَصْمِي
فَكَانَ النَّاسُ قَبْلَ هَوَاكَ صَحْبِي ،
بُعَادِي أَطْمَعَ الْأَعْدَاءَ حَتَّى
وَهَلَّا طَالَعُوكَ بَعَيْنِ سُوءٍ ،
وَكَانَ جَمَالُ وَجْهِكَ قَبْدَ عَيْنِي ؟
وَكُنَّا أَلْفَسَةً كَالْفَرْقَدَيْنِ
لَزَجْرِي مُقْلَتَيْكَ بِصَارِمَيْنِ
لَكُنْوَ الْبَدْرِ بَيْنَ الْمُقَرَّبَيْنِ
وَلَمْ أَطْعَمْتَنِي بِسَرَابٍ مَيِّنٍ
فَكَانَ الْمَتْعُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ
نَقَدْتُكَ فِي الْمَلَاةِ نَقْدَ عَيْنٍ
فَمَا نَظَرُوكَ كُلُّهُمْ بَعَيْنِي
جَعَلْتُكَ فِي الْعَلَاءِ بِرُبُوبَيْنِ
عُرَاةً بِالْعَفَافِ مُؤَزَّرَيْنِ
وَلَمْ تَشْعُرْ بِمَا فِي الْمَشْعَرَيْنِ
وَهَلْ لِلْمَوْتِ عُدْرٌ بَعْدَ دَيْنٍ
فَكَيْفَ مَطَّلَنِي وَجَّحَدْتَ دَيْنِي
وَكُنْتَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ عَيْنِي
يُسَابِقُهُ الْجَمَالُ بِشَافِعَيْنِ
لَقَدْ شَاهَدْتُ إِحْدَى الْحَالَتَيْنِ
فَهَلْ أَبْقَيْتَ لِي مِنْ صَاحِبَيْنِ
رَأَوْكَ الْيَوْمَ خُزَرَ النَّاطِرَيْنِ
وَأَمْرِي نَافِذٌ فِي الدَّوْلَتَيْنِ

وما خَفَقَتْ جَنَاحُ الْجَيْشِ إِلَّا
لَئِنْ سَكَنْتَ إِلَى الزَّوْرَاءِ نَفْسِي ،
هُوَ يَفْتَادُنِي لِذِيَارِ بَكْرِ ،
سَأَسْرِعُ نَحْوَ رَأْسِ الْعَيْنِ خَطْوِي ،
وَأَسْرِحُ فِي حِمَى جَبْرُونَ طَرَفِي ،
فَلَيْسَ الْخَطْبُ فِي عَيْنِي جَلِيلًا ،
فَيَا مَنْ بَانَ لَمَّا بَانَ صَبْرِي ،
تَتَغَصَّ فَيْكَ بِالزَّوْرَاءِ عَيْشِي ،
وما عَيْشِي بِهَا جَهْمًا ، وَلَكِنْ
رَأُونِي مَلَأَ قَلْبَ الْعَسْكَرَيْنِ
فَإِنَّ الْقَلْبَ بَيْنَ مُحَرَّكَتَيْنِ
وَأَخَّرُ نَحْوِ أَرْضِ الْجَامِعَيْنِ
وَأَقْصَدُهَا عَلَى رَأْسِي وَعَيْنِي
وَأَرْبَعُ فِي رِيَاضِ النَّيِّرَيْنِ
إِذَا قَابَلْتُهُ بِالْأَصْغَرَيْنِ
وَحَارِبَتِي رُقَادُ الْمُقْلَتَيْنِ
وَيُدَلَّ زَيْنُ لَدَائِي بِشَيْنِ
رَأَيْتُ الزَّيْنَ بَعْدَكَ غَيْرَ زَيْنِ

الريق والرحيق

تُرَى سَكِرَتْ عِطْفَاهُ مِنْ خَمَرِ رَيْقِهِ ،
مَلِيحٌ يُغَيِّرُ الْغُصْنَ عِنْدَ اهْتِرَازِهِ ،
فَمَا فِيهِ شَيْءٌ نَاقِصٌ غَيْرَ خَصَرِهِ ؛
وَلَا مَا يَسُوءُ النَّفْسَ غَيْرُ نِفَارِهِ ،
عَجِبْتُ لَهُ يُبْذِي الْقَسَاوَةَ عِنْدَمَا
وَيَلَطُّفُ بِي مِنْ بَعْدِ إِعْمَالِ لَحْظِهِ ،
فَمَا سَتَ بِهِ ، أَمْ مِنْ كَوْسِ رَحِيقِهِ
وَيُخْجِلُ بَدْرَ التَّمِّ عِنْدَ شُرُوقِهِ
وَلَا فِيهِ شَيْءٌ بَارِدٌ غَيْرَ رَيْقِهِ
وَلَا مَا يَرُوعُ الْقَلْبَ غَيْرَ عُقُوقِهِ
يُقَابِلُنِي مِنْ خَدِّهِ بَرِيقِهِ
وَكَيْفَ يَرُدُّ السَّهْمُ بَعْدَ مُرُوقِهِ

يَقُولُونَ لِي، وَالْبَدْرُ فِي الْأَفْقِ مُشْرِقٌ :
فَلَا تُنْكِرُوا قَتْلِي بِدَقَّةِ خَصْرِهِ ،
وَلَيْلَةَ عَاطَانِي الْمُدَامَ ، وَوَجْهَهُ
بِكَاسٍ حَكَاهَا ثَغْرُهُ فِي ابْتِسَامَةٍ ،
لَقَدْ نِلْتُ ، إِذْ نَادَمْتُهُ ، مِنْ حَدِيثِهِ
فَلَمْ أَدِرْ مِنْ أَيِّ الثَّلَاثَةِ سَكَّرْتَنِي ،
لَقَدْ بَعَثَهُ قَلْبِي بِخُلُوةٍ سَاعَةٍ ،
وَأَصْبَحْتُ نَدْمَانًا عَلَى خُسْرِ صَفْقَتِي ،

بِذَا أَنْتَ صَبَّ ؟ قُلْتُ : بَلْ بِشَقِيْقِهِ
فَإِنَّ جَلِيلَ الْخَطْبِ دُونَ دَقِيْقِهِ
يُرِينَا صَبَوحَ الشُّرْبِ حَالَ غَبُوقِهِ
بِمَا ضَمَّهُ مِنْ دُرِّهِ وَعَقِيْقِهِ
مِنَ السَّكْرِ مَا لَا نَلْتُهُ مِنْ عَقِيْقِهِ
أَمِنْ لَحْظِهِ أَمْ لَفْظِهِ أَمْ رَحِيْقِهِ
فَأَصْبَحَ حَقًّا ثَابِتًا مِنْ حُقُوقِهِ
كَذَا مَنْ يَبِيعُ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ سَوْقِهِ

لولا الهوى

لَوْلَا الْهَوَى مَا ذَابَ مِنْ حَنِينِهِ
مُتَيِّمٌ لَا تَهْتَدِي عَوَادُهُ ،
أَصْبَحَ يَخْشَى الظُّبْيَ فِي كِنَاسِهِ ،
يَعْتَذِرُ الرَّشْدُ إِلَى ضَلَالِهِ ،
يَا جَبْرَةَ الْحَيِّ أَجِيرُوا عَاشِقًا ،
بَاطِنُهُ أَحْسَنُ مِنْ ظَاهِرِهِ ،
لَا تَحْسَبُوا مَا سَاحَ فَوْقَ خَدِّهِ
وَلِنَّمَا ذَابَ جَلِيدُ قَلْبِهِ ،

صَبَّ أَصَابَتُهُ عَيُونُ عَيْنِهِ
إِلَّا بِمَا تَسْمَعُ مِنْ أُنِينِهِ
وَلَا يَخَافُ اللَّيْثَ فِي عَرِينِهِ
وَيَقْرَأُ الْعَقْلُ عَلَى جُنُونِهِ
مَا حَالَ عَنْ شَرِّ الْهَوَى وَدِينِهِ
وَشَكَّهُ أَوْضَحُ مِنْ يَقِينِهِ
مَدَامِعًا تَسْفَحُ مِنْ جُفُونِهِ
فَطَرَفُهُ يَرْشَحُ مِنْ مَعِينِهِ

يتمسك بالتراب

غَيْرِي بِحَبْلِ سِوَاكُمْ يُتَمَسِّكُ ، وَأَنَا الَّذِي بَتْرَابِكُمْ أَتَمَسِّكُ^١ ،
 أَضَعُ الْخُدُودَ عَلَى مَمَرٍ نِعَالِكُمْ ، فَكَأَنِّي بَتْرَابِهَا أَتَبَرِّكُ^٢ ،
 وَلَقَدْ بَذَلْتُ النَّفْسَ ، إِلَّا أَنِّي خَادَعْتُكُمْ ، وَبَذَلْتُ مَا لَا أَمْلِكُ^٣ ،
 شَرَطِي بِأَنْ حُشَّاشَتِي رِقٌّ لَكُمْ ، وَالشَّرْطُ فِي كُلِّ الْمَذَاهِبِ أَمْلِكُ^٤ ،
 قَدْ ذُقْتُ حُبِّكُمْ ، فَأَصْبَحَ مُهْلِكِي ، وَمِنَ الْمَطَاعِمِ مَا يُذَاقُ فِيْهِلِكُ^٥ ،
 لَا تَعَجَّلُوا قَبْلَ الْلِقَاءِ بِقَتْلَتِي ، وَصِلُوا ، فَذَلِكَ فَائِزٌ يُسْتَدْرَكُ^٦ ،
 وَلَقَدْ بَكَيْتُ لَدَهْشَتِي بِقُدُومِكُمْ ، وَضَحَكْتُ قَبْلَ وَهْجَرِكُمْ لِيْ مُهْلِكُ^٧ ،
 وَلَرَبَّمَا أَبْكَى السَّرُورُ إِذَا أَتَى فَرَطًا ، وَفِي بَعْضِ الشَّدَائِدِ يُضْحَكُ^٨ ،
 زَعَمَ الْوُشَاةُ بِأَنْ هَوَيْتُ سِوَاكُمْ ، يَا قُوتِلَ الْوَاشِي ، فَأَنْتَ يُؤْفَكُ^٩ ،
 عَارٌّ عَلَيَّ بِأَنْ أَكُونَ مُشْتَرَعًا^{١٠} ، دِينَ الْهَوَى ، وَيُقَالُ لَأَنِّي مُشْرِكُ^{١١}

شمس في الليل

جَلَّ الَّذِي أَطْلَعَ شَمْسَ الضُّحَى مُشْرِقَةً فِي جَنَحِ لَيْلٍ بِهِمٍ^١ ،
 وَقَدَّرَ الْحَالَ عَلَى خَسَدِهِ ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ^٢ ،

١ بترابكم أتمسك : أتفسخ بالملك .

بَدْرٌ ظَنَنَّا وَجْهَهُ جَنَّةً ، فَمَسَّنَا مِنْهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ
 يَنْفُرُ كَالرَّيْمِ ، أَلَا فَانظُرُوا
 لَمَّا انْحَنَى حَاجِبُهُ ، وَانْشَى
 عَجِبْتُ مِنْ فَرَطٍ ضَلَالِي ، وَقَدْ
 دَاوٍ حَبِيبِي ، يَا طَيِّبَ الْهَوَى ،
 فَخَصَرُهُ وَاهٍ ، وَأَجْفَانُهُ
 مَرِيضَةٌ ، وَاللَّحْظُ مِنْهُ سَقِيمٌ

في ذمة الرحمن

رَعَى اللَّهُ مَنْ لَمْ يَرْعَ لِي حَقَّ صُحْبَةٍ ، وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَسْخُ لِي بِسَلَامِهِ
 وَفِي ذِمَّةِ الرَّحْمَنِ مَنْ ذَمَّ صُحْبَتِي ، وَلَمْ أَكُ يَوْمًا نَاقِضًا لِدِمَامِهِ
 وَلَئِنِّي عَلَى صَبْرِي عَلَى فَرَطٍ هَجَرِهِ ، وَقُرْبِ مَغَانِيهِ ، وَبُعْدِ مَرَامِهِ
 يُحَاوِلُ طَرَفِي لِحِظَةً مِنْ خَيَالِهِ ، وَيَشْتَاقُ سَمْعِي لِفِظَةً مِنْ كَلَامِهِ
 وَيَوْمَ وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ ، وَقَدْ بَدَا
 شَكْوَتُ الَّذِي أَلْقَى ، فَظَلَّ مُقَابِلًا
 بَدَمَعٍ يُحَاكِي لِفِظَتَهُ فِي انْتِثَارِهِ ، وَعَتَبٍ يُحَاكِي ثَغْرَهُ فِي انْتِظَامِهِ
 فَمَا رَقَّ مِنْ شَكْوَايَ غَيْرُ خُلُودِهِ ، وَلَا لَانَ مِنْ نَجْوَايَ غَيْرُ قَوَامِهِ

أصداً وسخطاً ؟

أَصْدَاً وَسُخْطاً، مَا لَهُ كَيْفَ يَحْكُمُ ، أَلَيْسَ لَهُ قَلْبٌ يَرْقُ ، فَيَرْحَمُ
 الْأَرْضَ بِقَتْلِي فِي الْهَوَى وَهُوَ سَاخِطٌ ، وَأَبْسَطُ أَعْذَارِي لَهُ وَهُوَ مُجْرِمٌ
 نَبِيُّ جَمَالٍ لِلْغَرَامِ مُشْرِعٌ ، يُحَلِّلُ مَا يَخْتَارُهُ وَيُحَرِّمُ
 يُرِينَا خُدُودَ الْمُحْسِنِينَ ضَوَارِعاً لَدَيْهِ ، وَأَقْدَامَ الْمُسِيئِينَ تُلْثَمُ
 عَجِبْتُ لَهُ يُجَنِّي وَيُصْبِحُ عَاتِباً ، فَوَا حَرْباً مِنْ ظَالِمٍ يَتَظَلَّمُ
 وَأَعْجَبُ مَنْ ذَا أَنَّهُ، وَهُوَ ظَالِمِي ، غَدَا لِي خَصْماً وَهُوَ فِي الْفَصْلِ يَحْكُمُ
 فَيَا عَاتِباً فِي سَكَبِ دَمْعٍ أَذَالَهُ ، فَأَمْسَى بِأَسْرَارِ الْهَوَى يَتَكَلَّمُ
 أَسْرَتَ فَوَادِي ثُمَّ أَطْلَقْتَ أَدْمُعِي ، وَحَاوَلْتُ أَنْتِي لِلصَّبَابَةِ أَكْتُمُ
 وَمَنْ قَلْبُهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ ؛ وَمَنْ سِرَّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يُكْتَمُ

أما للحب منتصر ؟

وقال أيضاً في غلام كفله
 صغيراً ورباه فحسد عليه :

هَوَيْتُهُ تَحْتَ أَطْمَارِ مُشْعَثَةٍ ، وَطَالِبُ الدَّرِّ لَا يَغْتَرَّ بِالْصَدَفِ
 وَخَبَّرْتَنِي مَعَانٍ فِي مَرَاسِمِهِ بِهِ ، كَمَا خَبَّرَ الْعُنْوَانُ بِالْصَحْفِ

١ أراد بمشرع : من يضع الشرائع .

ولا ح لي من أمارات الجمال به
 فظلت أرخص ما يبديه من درن
 حتى إذا تم معنى حسنه وبدا
 ولا ح كالصارم المصقول أخلصه
 وجال في وجهه ماء الحياة كما
 وأولد الحسن في أحداقه حوراً،
 أضحت به حدق الحساد مُحَدَقَةً
 وظل كل صديق يرتضي سخطي
 يا للرجال أما للحب مُتَّصِرٌ
 ما أطيّب العيش لولا أن سالكة
 ما كان عن لحظ غيري بالحمول خفي
 به، وأدحض ما يُخفيه من جَنَفٍ
 كالبدري في التم أو كالشمس في الشرف
 تتبع القين من شين ومن كلف
 يحول ماء الحيا في الروضة الأنف
 وضاعف الدل ما بالجسم من ترف
 ترنو إليه بطرف غير مُنْطَرِفٍ
 فيه ، وكل شقيق يرتجي تلغي
 لضعف كل محب غير مُتَّصِفٍ
 يُمسي لأسهم كيد الناس كاهدف

يا رب ! ..

يا رب أعطِ العاشقين بصبرهم
 وأذيقهم برد السرور ، فطالما
 حتى يرى الحبشاء عن حمل الهوى
 فيكون أصغر جاهل حمل الهوى
 في الخلد غايات التعيم المطلق
 صبروا على حر الغرام المطلق
 غايات عزهم ، التي لم تلحق
 يلهو بأكبر عالم لم يعشق
 ١ أدحض : أبطل . الجف : الجور .

ضعيف الجفون

يا ضَعِيفَ الْجُفُونِ أَضْعَفْتَ قَلْبًا ، كَانَ قَبْلَ الْهَوَى قَوِيًّا مَلِيًّا
لا تُحَارِبْ بِنَاطِرِيكَ فُؤَادِي ، فَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا

لا بارك الله للأعداء

أَطَعْتُ مَا سَنَّ أَعْدَائِي وَمَا فَرَضُوا ، وشاهدوك بسُخْطِي راضياً فَرَضُوا
تَشَبَّعُوا ، إِذْ رَأَوْا تَفْرِيقَنَا شَيْعاً ، وَسُنَّةَ الْعَدْلِ فِي دِينِ الْهَوَى رَفَضُوا
أَعْيَاهُمُ السَّعْيُ فِيمَا بَيْنَنَا زَمَنًا ، فَمُذْ رَأَوْا فُرْصَةً فِي بَيْنِنَا نَهَضُوا
بَنَوْا لَدَيْكَ بِنَاءً لَا ثَبَاتَ لَهُ ، وَمَا دَرَوْا أَيَّ وَدٍّ بَيْنَنَا نَقَضُوا
يَا مَنْ تُقْطِبُ مِنِّي حِينَ أَمْنَحُهُ ، أَنَسًا ، وَأَبْسَطُ آمَالِي فَيَنْقَبِضُ
وَمَنْ تَعَرَّضَ لِي حَتَّى أَعَارِضَهُ ، يَوْمًا ، فَيُعْرِضُ عَنِّي ثُمَّ يَعَرِّضُ
لَا بَارَكَ اللَّهُ لِلْأَعْدَاءِ فِيكَ ، وَلَا هُنَاكَ مَنْ لَكَ عَنِّي مِنْهُمْ الْعِوَضُ
وَلَا تَعْدَى لظُلْمِي فِي الْوُثُوقِ بِهِمْ ، وَلَا عَلَا مِنْكَ بَيْنَ النَّاسِ مَا خَفَضُوا
فَسَوْفَ تَعْرِفُ مِقْدَارِي ، إِذَا سَمِيتُ نفوسهم ، وانقضى من وصلك الغرضُ

١ قوله سميت : هكذا في الأصل .

حرضوني

حَرَّضُونِي عَلَى السَّلْوِ ، وَعَابُوا لَكَ وَجْهًا بِهِ يُعَابُ الْبَدْرُ
حَاشَا لِلَّهِ مَا لِعُذْرِي وَجْهٌ ، فِي التَّسْلِي ، وَلَا لَوْجْهِكَ عُذْرُ

حديث الناس

حَدِيثُ النَّاسِ أَكْثَرُهُ مُحَالٌ ، وَلَكِنْ لِلْعِدَى فِيهِ مَجَالٌ
وَأَعْلَمُ أَنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَكِنْ لِلْيَقِينِ بِهِ إِحْتِمَالٌ
وَكُنْتُ عُذْرْتُكُمْ وَالْقَوْلُ نَزَرٌ ، فَمَا عُذْرِي وَقَدْ كَثُرَ الْمَقَالُ
وَقُلْتُ : قِيلَ مَا لَا كَانَ عِنَّا ، فَمَنْ لِي أَنْ يَكُونَ ، وَلَا يُقَالَ
فَيَا مَنْ ضَاعَ فِيهِ نَفِيسُ عُمْرِي ، وَقُوْضَ فِيهِ مَالِي وَالرَّجَالُ
وَكَمْ قَدْ رَامَهُ ضِدِّي بِسَوْءٍ ، فَرَاخَ وَآلَهُ فِي الْحَرْبِ آلُ
سَأَلْتُكَ لَا تَدْعُ لِلْقَوْلِ وَجْهًا ، فَيَكْثُرُ حِينَ أَذْكُرُكَ الْجِدَالَ
وَلَمَّا مَعَ صُدُودِكَ وَالتَّجَنِّي وَفِيَّ لَيْسَ لِي عَنْكَ انْتِقَالُ
أَغَارُ إِذَا سَرَى بِحِمَاكَ بَرَقُ ، وَأَغْضَبُ كُلَّمَا طَرَقَ الْخِيَالُ
وَأَوْثَرُ أَنْ يَنَالَ دَمِي وَوَفْرِي ، وَمَحْبُوبِي عَزِيزُ لَا يُنَالُ

لَأَنْتِي لَا أَنْحُونَ عَنْهُوَ خَلِيٍّ ، وَلَوْ حَقَّتْ بِي النَّوْبُ الثَّقَالُ
وَأَنْتِي إِنْ حَلَقْتُ لَهُ يَمِينًا ، فَمَا غَيْرُ الْفِعَالِ لَهَا شِمَالُ
فَيَا مَنْ سَرَّنِي بِاللَّفْظِ مِنْهُ ، وَلَكِنْ سَاءَ نِي مِنْهُ الْفِعَالُ
إِلَى كَمْ أَلْتَقِيكَ بِوَجْهِ بَشِيرٍ ، وَفِي طَيِّ الْحَسَا دَاءُ عَضَالُ
وَأَحْمِلُ مِنْ عُدَاتِكَ كُلَّ يَوْمٍ ، حَدِيثًا لَيْسَ تَحْمِلُهُ الْجِبَالُ
وَأَسْمَعُ مِنْ وَشَاةِ الْحَيِّ فِينَا ، كَلَامًا دُونَ مَوْقِعِهِ النَّبَالُ
وَأُرْسِلُ مَعَ ثِقَاتِكَ مِنْ حَدِيثِي ، عِتَابًا ، دُونَهُ السَّحَرُ الْحَلَالُ
وَمَهْمَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّيْفِ أَصْلُ ، بَلْجَوهرِهِ ، فَمَا يُجْدِي الصَّقَالُ
جَعَلْتَ جَمِيعَ إِحْسَانِي ذُنُوبًا ، وَطَالَ بِكَ التَّعَتُّبُ وَالِدَّلَالُ
وَقُلْتَ بِكَ انْتَهَكْتُ ، وَذَلِكَ زُورُ ، وَإِنَّ الزُّورَ مَوْقِعُهُ مُحَالُ
فَمَا نَقَعِي بِحُسْنٍ فِي خَلِيلٍ ، إِذَا لَمْ يَصِفْ لِي مِنْهُ الْخِلَالُ
إِذَا عَدِمَ الْفَتَى خُلُقًا جَمِيلًا ، يَسُودُ بِهِ ، فَلَا خُلُقَ الْجَمَالُ

قيل وقال

إِذَا عَلِمَ الْعِدَى عَنْكَ انْتِقَالِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ
وَنَالُوا مِنْكَ بِالْأَقْوَالِ عِرْضًا ، وَقَيْنَاهُ بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي
وَقَدْ كَانَ الْعَدُوُّ يَوَدُّ أَنْتِي ، أَسْبَغُ لَهُ الْبَسِيرَ مِنَ الْمَقَالِ

فكَيْفَ إِذَا تَبَيَّنَ فَيْكَ زُهْدِي ،
وَكَمَ رَخِصَ الْمِلَاحُ ، وَأَنْتَ غَالِي ،
وَكَمَ هَدَمْتُ حِمِي قَوْمِي خُطُوبُ ،
وَكَمَ مِنْ وَقْعَةٍ لِعِدَاكَ عِنْدِي ،
وَكَمَ هَمَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ نَهْضًا ،
وَكَمَ لَامَتْ عَلَيْكَ سَرَاةُ أَهْلِي ،
وَكَمَ خَاطَرْتُ فَيْكَ بِبَذْلِ نَفْسِي ،
وَكَمَ صَبَّ تَفَاءَلٌ فِي حَبِيبِ ،
وَكَمَ جَرَّبْتُ قَبْلَكَ مِنْ مَلِيحِ ،
وَلَوْلَا أَنْ فِي التَّجْرِبِ فَضْلًا ،
أَظْنُكَ ، إِذْ حَوَيْتَ الْحُسْنَ طُرًّا ،
قَصَدْتَ بَأْنَ جَعَلْتَ الْعُذْرَ عَيْبًا ،
فَسَوْفَ أَسْوَأُ نَفْسِي بِانْقِطَاعِي ،
إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْلُو حَبِيبًا ،
وَكَانَ يَسْرُهُ عَنْكَ اشْتِغَالِي ،
وَكَمَ رَخِصَ الْمِلَاحُ ، وَأَنْتَ غَالِي ،
تَهْدُ الرَّاسِيَاتِ ، وَأَنْتَ غَالِي ،
نَذَرْتُ بِهَا دَمِي ، وَنَذَرْتُ مَالِي ،
وَقَدْ حَمَتِ الْأَسْوَدُ حِمَى الْغَزَالِ ،
فَأَحْسَبُ قَوْلَ آلِي لِمَعَ آلِ ،
وَأَعْلَمُ أَنَّ بَالِي فَيْكَ بَالِي ،
وَفَى لِي ، إِنَّ حَبِيبِي مَا وَفَى لِي ،
فَأَمْسَى جِيدُ حَالِي مِنْهُ حَالِي ،
لَمَّا فَتَضَّلَ الْيَمِينُ عَلَى الشَّمَالِ ،
وَإِذْ وَقَيْتَ أَقْسَامَ الْجَسَامِ ،
عَسَاهُ يُقِيكَ مِنْ عَيْنِ الْكَمَالِ ،
بِحَيْثُ أَسْرَ نَفْسَكَ بَارِتِ حَالِي ،
فَأَكْثِرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي ،

لا أجعل الذل سلماً

تَيَقَّنَ مُذْ أَعْرَضْتُ أَنْتِي لَهُ سَالِي ،
وَأَظْهَرَ لِلْأَعْدَاءِ ، إِذْ صَدَّ جَافِيًا ،
فَلَمَّا رَأَيْتِي لَا أَحْرَكَ بِاسْمِهِ
وَأَيَقَّنَ أَنْتِي لَا أَعُودُ لَوْصِلِهِ ،
تَعَرَّضَ لِلْأَعْدَاءِ بِحَسْبِ أَنْتَهُمْ
فَأَصْبَحَ لَمَّا جَرَّبَ الْغَيْرَ نَادِمًا ،
إِذَا مَا رَأَهُ عَاشِقٌ قَالَ شَامِتًا :
فَلَانْتِي إِذَا مَا اخْتَلَّ خِلٌ تَرَكَتُهُ ،
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَبْدُلُ الْعِرْضَ فِي الْخَوَى
عَلَى أَنْتِي لَا أَجْعَلُ الذَّلَّ سَلْمًا
وَمَا زِلْتُ فِي عِشْقِي عَزِيزًا مَكْرَمًا ،
فَقُولَا لِمَنْ أَمْسَى بِهِ مُتَغَالِيًا ،
كَذَا لَمْ أَزَلْ يَرَعَى الْمَحْبُونَ فَضْلَتِي ،
فَأَوْهَمَ ضِدِّي أَنَّهُ الْهَاجِرُ الْقَالِي
بِأَنَّ جَفَاهُ عَنْ دَلَالٍ وَإِذْلَالٍ
لِسَانِي ، وَلَمْ أَشْغَلْ بِتَذْكَارِهِ بِالِي
وَلَوْ قَطَعْتَ بَيْضُ الصَّوَارِمِ أَوْصَالِي
يَكُونُونَ فِي حِفْظِ الْمَوَدَّةِ أَمْثَالِي
كَثِيفَ حَوَاشِي الْعَيْشِ مُنْخَفِضِ الْحَالِ
أَلَا أَنْعِمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي
وَبَيْتٌ ، وَقَلْبِي مِنْ مَحَبَّتِهِ خَالٍ
وَلِنْ جُدْتُ لِلْمَحْبُوبِ بِالرُّوحِ وَالْمَالِ
بِهِ تَرْتَقِي نَفْسِي إِلَى نَيْلِ آمَالِي
أَجُرُّ عَلَى الْعُشَّاقِ بِالنَّيِّهِ أَذْيَالِي
وَلَمْ يَدِرْ أَنْتِي مُرْخِصٌ ذَلِكَ الْغَالِي
وَيَلْبَسُ أَهْلُ الْحُبِّ فِي الْعِشْقِ أَسْمَالِي

العذاب الأليم

عذابُ الهوى للعاشقين أليمٌ ، وأجرُهُمُ يومَ المعادِ عظيمٌ
 فواللهِ لا ذاقُوا الجَحيمَ وإنْ جنّوا ، فحَسَبُهُمُ أَنَّ الغَرامَ جَحيمٌ
 بروحي من قد نامَ عن سوءِ حالتي وعندي منه مُقَعِدٌ ومُقيمٌ
 وما ذاكَ إلاّ أَنّ مُخْطَفَ خصرِه لراجيه كَهَفٌ ، والعِذارُ مُقيمٌ^١

ما أغبي المغالين في الهوى

خَليليّ ما أغبى المغالينَ في الهوى ، وأغفلَهمُ عن حُسنِ كلِّ مَلِيجٍ
 يَظُنُّونَ أَنَّ الحُسنَ بالعينِ مُدرَكٌ ، وسرَّ الهوى بادٍ لكلِّ لَمُوحٍ
 وليسَ طَمُوحُ الناظرينَ بمُبْصِرٍ ، إذا كانَ لَحْظُ القلبِ غيرَ طَمُوحٍ
 فليسَ (جَميلٌ) في الهوى (وكثيرٌ) ولا (عُرْوَةُ العنبريِّ) و (ابنُ ذَرِيعِ)
 بأعرافِ مني للمِلاحِ تَوَسَّماً ، ولا جَنَحُوا للعشقِ بعضَ جنوحِي
 وأيَّ لَبيبٍ ما سبى الحُسنُ لُبَّهُ ، فبَاتَ بقلبٍ بالغَرامِ قَرِيعِ
 إذا ما خَلَا القلبُ الصَّحيحُ من الهوى ، علِمْتُ بأنَّ العَقْلَ غيرُ صَحيحِ

١ المخطف : الضامر .

يد الغرام

أَيْنَ فِي الْحِمَى عَرَبٌ لِي بِرَبْعِهِمْ أَرَبٌ
 كُلَّمَا ذَكَرْتُهُمْ هَزَنِي لَهُمْ طَرَبٌ
 جِيرَةٌ بِحَيْتِهِمْ لَيْسَ يُحْفَظُ الْحَسَبُ
 الْعُهُودُ وَالْحُقُوقُ قُ عِنْدَهُمْ تُغْتَصَبُ
 فِي خِيَامِهِمْ قَمَرٌ بِالصَّفَاحِ مُحْتَجَبُ
 رَيْقُهُ مُعْتَقَّةٌ ثَغْرُهُ لَهَا حَبَبُ
 بَيْتٌ فِي دِيَارِهِمْ وَالْفُؤَادُ مُكْتَسِبُ
 الدَّمْعُ هَاطِلَةٌ وَالضَّلُوعُ تَلْتَهِبُ
 إِنَّ لِلْغَرَامِ يَدًا ، مَسْنِي بِهَا الْعَطَبُ
 إِنَّ قَضَيْتُ فِيهِ أَسَى ، فَهَوَ بَعْضُ مَا يَجِبُ
 أَبَدَتِ الْوُشَاةُ رِضَى مِنْهُ يُلْحَظُ الْغَضَبُ
 الْوُجُوهُ ضَاكِكَةٌ ، وَالْقُلُوبُ تَتَحَبُّ
 لَوْ أَتَوْا بِمَكْرُمَةٍ ، أَعْتَبُوا وَمَا عَتَبُوا
 فَالْغَرَامُ نَارٌ لَطَّى ، عَذْلُهُمْ لَهَا حَطَبُ

أدوا الأمانات

قلوبُنا مُودَعَةٌ عندَكم ، أمانةٌ نَعَجِزُ عن حَمْلِها
إنْ لَمْ نَمُصِّنوها بِإِحْسَانِكُمْ ، أدِّوا الأماناتِ إلى أهلِها

ولقد ذكرك

ولقد ذكركِ ، والسيوفُ مواطِرٌ كالسُّحْبِ من وَبَلِ النِّجَعِ وظلِّهِ
فوجدتُ أنساً عندَ ذكركِ كامِلاً ، في مَوْقِفٍ يَخْشَى الفَتَى من ظِلِّهِ

تعطرت أرض الكفاح

ولقد ذكركِ ، والعجاجُ كأنه ظِلُّ الغَنيِّ وسوءُ عيشِ المُعْسيرِ
والشُّوسُ بَيْنَ مُجَدَّلٍ في جندَلٍ مِنَّا ، وَبَيْنَ مُعَقَّرٍ في مِغْفَرِ
فَطَنَنْتُ أني في صَبَاحِ مُشْرِقٍ ، بضياءِ وَجْهِكَ ، أو مَسَاءِ مُقْمِرِ
وتعَطَّرَتْ أرضُ الكِفَاحِ ، كأنما فُتِّقَتْ لَنَا رِيحُ الجِلاَدِ بِعَنْبَرِ

راح وكؤوس

ولقد ذكّرتك ، والجماجمُ وقعَ تحتَ السّنايكِ . والأكفَ تطيرُ
والهامُ في أفقِ العجاجةِ حومٌ ، فكأنّها فوقَ النّسورِ نُسورُ
فاعتادني من طيبِ ذكركِ نشوةٌ ، وبدتْ عليّ بشاشةٌ وسُرورُ
فظنّنتُ أنّي في مجاليسٍ لَدَني ، والراحُ تُجلى ، والكؤوسُ تدورُ

نبل كالوبل

ولقد ذكّرتك حينَ أنكرتِ الطّبيّ أغمادها وتعارفتْ في الهامِ
والنّبلُ من خللِ العجاجِ كأنهُ وبُلٌ تتابعُ من فُروجِ غمامِ
فاستصغرتْ عينيّ أفواجَ العدى ، وتتابعُ الأقدامِ في الإقدامِ
ووجدتُ بردَ الأمنِ في حرّ الوغى ، والموتُ خلفي نارةٌ وأمامي

غارَت

غارَتُ ، وقد قُلْتُ لمِسواكِها : أراكَ تَجنّي ريقها يا أراك
قالَتْ : تَمَنيتَ جنّي ريقِي وفازَ بالترّشافِ منها سيّواك

يا ظبية

يا ظبيّة قَنَصَ الأُسُودَ جَمالُها ، ونَرَى الطِّباءَ يَصِيدُها القَناصُ
أصمّتْ لَواحِظُكِ القلوبَ بأَسْهُمٍ ، لم يُغْنِ عَنْها نَثْرَةٌ ودِلاصُ^١
فَهَبَنِي جَرَحْتُ الحَدَّ مِنْكَ بِنَظَرَةٍ ، أَمّا لَأَسِرِ القَلْبِ مِنْكَ خِلاصُ
ها قد جَرَحْتُ بِنَبْلِ عَيْنَيْكَ الحَشَى ، فدَعِ فَوادِي ، فالجُرُوحُ قِصاصُ

السواك للسفيه

يا مَنْ حَمَتْ عَنّا مَذاقَةَ ريقِها ، رَفَقاً بِقَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ سِواكَ
فَلَكُمْ سَأَلْتُ الثَّغَرَ وَصَفَ رُضابِهِ ، فَأَبَى ، وَصَرَحَ لي سَفِيهِ سِواكَ^٢

قالت وقلت

قالتُ : كَحَلَّتْ الجُفونَ بِالوَسَنِ ، قلتُ : ارْتِقاباً لَطِيفِكَ الحَسَنِ
قالتُ : تَسَلَّيْتُ بَعْدَ فُرْقَتِنَا ؛ فقلتُ : عَنِ مَسَكَتِي وَعَنْ سَكَنِي

١ النثرة : الدرع السلة الملبس . الدلاص : الدرع الملساء اللينة

٢ السواك : المسواك ، ما تنظف به الأسنان .

قَالَتْ : تَشَاغَلْتَ عَنْ مَحَبَّتِنَا ، قُلْتُ : بَفَرَطِ الْبُكَاءِ وَالْحَزَنِ
 قَالَتْ : تَنَاسَيْتَ ! قُلْتُ : عَافِيَتِي ! قَالَتْ : تَنَاسَيْتَ ! قُلْتُ : عَنْ وَطَنِي
 قَالَتْ : تَخَلَّيْتَ ! قُلْتُ : عَنْ جُلْدِي ! قَالَتْ : تَغَيَّرْتَ ! قُلْتُ : فِي بَدَنِي
 قَالَتْ : تَخَصَّصْتَ دُونَ صُحْبَتِنَا ، فَقُلْتُ : بِالْغَيْبِ فِيكَ وَالْغَيْبِ
 قَالَتْ : أَذْعَتِ الْأَسْرَارَ ، قُلْتُ لَهَا : صَيَّرَ سَرِّي هَوَاكَ كَالْعَلَنِ
 قَالَتْ : سَرَرْتَ الْأَعْدَاءَ ، قُلْتُ لَهَا : ذَلِكَ شَيْءٌ لَوْ شِئْتُ لَمْ يَكُنْ
 قَالَتْ : فَمَاذَا تَرُومُ ؟ قُلْتُ لَهَا : سَاعَةً سَعِدَ بِالْوَصْلِ تُسْعِدُنِي
 قَالَتْ : فَعَيْنُ الرَّقِيبِ تَنْظُرُنَا ! قُلْتُ : فَإِنِّي لِلْعَيْنِ لَمْ أَبِينِ
 أَنْحَلْتَنِي بِالصَّدُودِ مِنْكَ ، فَلَوْ تَرَصَّدْتَنِي الْمَتُونُ لَمْ تَرَنِي

فاضحة البدور

وقال مسطاً لأبيات مجي الدين بن زبلاق :

فضحتِ بدور التّم ، إذ فُتِقَتْهَا حُسْنًا ، وَأَخْجَلْتِيهَا ، إِذ كُنْتُ مِنْ نُورِهَا أَسْنَى
 وَلَمَّا رَجَوْنَا مِنْ مَحَاسِنِكَ الْحُسْنَى ، بَعَثْتَ لَنَا مِنْ سِحْرِ مُقْلَتِكَ الْوَسْنَى
 سُهَادًا يَذُودُ النَّوْمَ أَنْ يَأْلَفَ الْحَقْنَا
 وَخِلْتُ بِأَنِّي عَنْ مَغَانِيكَ رَاحِلٌ ، وَرَبَعَ ضَمِيرِي مِنْ وَدَادِكَ مَاحِلٌ

١ الغين والغين (بتسكين الباء وفتحها) : الخداع .

فأسهرَ طرفي ناظرٌ منك كاحِلٌ ، وأبصرَ جسمي أن خصرَكَ ناحِلٌ^١
فحاكاهُ لكن زادني دِقَّةَ المعنى

حويتِ جمالاً قد خلقتِ برسمِهِ ، فخلناكِ بَدَرَ التَّمِّ ، إذ كنتِ كاسمِهِ
فمُذ صارَ منكِ الحُسْنُ قِسْماً كقسمِهِ : حكيتِ أخاكِ البَدَرَ في حالِ تِمِّهِ
سنّاً وسنّاءً ، إذ تشابهتُما سِنّاً^٢

سجنتِ فؤادي حينَ حرّمتِ زورَتي ، وأطلقتِ دَمعي لو طمأ حرّ زَفَرَتِي
فقلْتُ ، وقد أبدى الغرامُ سَريرَتِي : أهيفاءُ إن أطلقتِ بالبُعدِ عَبرَتِي
فإن لقلبي من تباريحِهِ سِجناً

حرّمتُ الرضَى إن لم أزرُكِ على النوى ، وأحملُ أثقالَ الصَّبابةِ والجوى
فليسَ لداءِ القلبِ غَيْرُكِ من دَوَا ، فإن تُحجّبي بالبَيضِ والسُّمْرِ فالهوى
يُهَوِّنُ عندَ العاشِقِ الضَرْبَ والطَّعْنََا

سأفني حدودَ المَشْرِفَةِ والقنَا ، وأسعى إلى مَغْنَاكِ إن شَطَّ أو دَنَّا
وألقيَ المتنايا كَيَّ أنالَ بها المُنَى ، وما الشَّوْقُ إلّا أنْ أزوركِ مُعَلِّناً
ولو مَنَعَتْ أَسَدُ الشَّرَى ذلِكَ المَغْنَى

عدمتِ اصطباري بَعْدَ بَعْدِ أَحِبَّتِي ، فَمَاذَا عَلَيْهِمُ لَو رَعَوْا حَقَّ صُحْبَتِي
فَيْتُ ، وما أفنى الغَرامُ مَحَبَّتِي ، أحبابنا قَضَيْتُ فيكُم شَيِّبَتِي
ولم تُسَعِفُوا يَوْماً بإحسانِكُم حُسْنَى

١ كاحل : أراد مكحول .

٢ السنا : البهاء . السناء : الارتفاع ، العلو .

أَعِيدُوا لَنَا طِيبَ الْوِصَالِ الَّذِي مَضَى ، فَقَدْ ضَاقَ بِي مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمُ الْفَضَا
وَلَا تَهْجُرُوا فَالْعُمُرُ قَدْ فَاتَ وَانْقَضَى وَمَا نِلْتُ مِنْ مَأْمُولٍ وَصَلِكُكُمْ رِضَى
وَلَا ذُقْتُ مِنْ رَوَاعَاتِ هَجْرِكُمْ أَمْنًا
حَفِظْتُ لَكُمْ عَهْدِي عَلَى الْقَرَبِ وَالنَّوَى وَمَا ضَلَّ قَلْبِي فِي هَوَاكُمْ وَمَا غَوَى
فَكَيْفَ نَقَضْتُمْ عَهْدَ مَنْ شَفَّهَ الْجَوَى وَكُنَّا عَقْدَنَا لَا نَحُولُ عَنْ الْهَوَى
فَقَدْ ، وَحْيَاةِ الْحَبِّ ، حُلْتُمْ وَمَا حُلْنَا
فَلَسْتُ بِسَالٍ ، جُرْتُمْ أَوْ عَدَلْتُمْ ، وَلَا حُلْتُ إِنْ قَاطَعْتُمْ ، أَوْ وَصَلْتُمْ
وَلَكِنِّي رَاضٍ بِمَا قَدْ فَعَلْتُمْ ، فَشُكْرًا لِمَا أَوْلَيْتُمْ إِذْ جَعَلْتُمْ
بِدَايَتِكُمْ بِالْبُعْدِ مِنْكُمْ ، وَلَا مَنَّا

القرض الحرام

يَا دِيَارَ الْأَحْبَابِ ! بِاللَّهِ مَاذَا فَعَلْتَ فِي عِرَاصِكَ الْأَيَّامُ
أَخْلَقْتَهَا يَدُ الْجَدِيدَيْنِ حَتَّى نُكِرْتَ مِنْ رُسُومِهَا الْأَعْلَامُ
قَدْ شَهِدْنَا فِعْلَ الْبِلَى بِمَغَانِيهِ ، وَدَمْعُ الْغَيُومِ فِيكَ سِجَامُ
وَاقْتَرَضْنَا مِنْهَا الدَّمُوعَ فَقَالَتْ : كُلُّ قَرْضٍ يَجْرُ نَقْعًا حَرَامُ

أقول للدار

أقول للدار ، إذ مررتُ بها . وعبرتي في عراصها تكيفُ
ما بالُ وعدِ السحابِ أخلفَ مَعَهُ ناك ؟ فقالت : في دمعك الخلفُ

نعس الغنج

البيضُ دُونَ لِحَاطِ الأَعْيُنِ السُّودِ ، والسَّمُرُ دُونَ قُدُودِ الحُرْدِ الغِيدِ
والمَوْتُ أحلَى لَصَبٍ في مَقَاصِلِهِ . تَجْرِي الصَّبَابَةُ جَرَى المَاءِ في العودِ
مَنْ لي بَعَيْنٍ غَدَتُ بِالْغُنْجِ نَاعِيسَةً أَجْفَانُهَا ، وَكَلَّتْ جَفَنِي بِتَسْهِيدِ
وَحَاجِبٍ فَوْقَهُ تَشْدِيدُ طَرَّتِهِ ، كَأَتَمَّا النُّونُ مِنْهُ نُونٌ تَوَكِيدِ
وَمَاءٍ وَجْهٍ غَدَاً بِالنُّورِ مُتَقِدَاً ، كَأَنَّ فِي كُلِّ خَدٍّ نَارًا أَخْدُودِ^١
وَنَقْطِ خَالٍ ، إِذَا شَاهَدَتْ مَوْقِعَهُ ، خِلْتَ الخَلِيلَ ثَوَى فِي نَارٍ نَمْرُودِ
يَا أَهْلَ جَيْرُونَ جُرْتُمْ بَعْدَ مَعْدَلَةٍ ظُلْمًا ، وَعَوَّدْتُمُونِي غَيْرَ مَعْهُودِي^٢
بَذَلْتُ رُوحِي إِلَّا أَنهَا ثَمَنٌ ، لِلْوَصْلِ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ حَسْبُ مَجْهُودِي

١ شبه الحاجب في تقوسه بالنون .

٢ إشارة إلى النار التي أحرقت فيها أصحاب الأخدود (الآية) .

٣ جيرون : من دمشق .

أنا المُحِبُّ الذي أَهْلُ الهَوَى نَقَلُوا
 مِنْ أَيْنَ للعِشْقِ مثلي فِي تَشَرُّعِهِ ،
 اللَّهُ لَيْلَةَ أَنَسٍ قُلْتُ إِذْ ذُكِرْتَ :
 وَالشَّرْقُ قَدْ حَمَلَتْ أَحْشَاؤُهُ لَهَبًا
 وَتَعَلَّبُ الصَّبْحِ وَافَى فَاغْرَأَ فَمَهُ ،
 كَأَنَّهَا شَكْلُ انْكِسٍ تُولَدُهُ
 أَمْسَى بِهَا وَعَيُونَُ الْغَرِّ شَاخِصَةٌ
 مَكَانَتِي فَوْقَ إِمْكَانِي ، وَمَقْدَرَتِي
 وَمَا رَجَانِي امْرُؤٌ ، إِلَّا بِذَلِكَ لَهُ
 لَا أَوْحَشَ اللَّهَ مِنْ قَوْمٍ مَكَارِمُهُمْ
 مَا عِشْتُ لَا أَتَعَاطَى غَيْرَ حُبِّهِمْ ،

عَنِّي ، فَأَعْطَيْتُهُمْ بِالْعِشْقِ تَقْلِيدِي
 وَمَنْ يُشِيدُ دِينَ الْحَبِّ تَشِيدِي
 يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ مِنْ ذَاتِ اللَّمَى عَوْدِي
 لِلشَّمْسِ فِيهَا جَنِينٌ غَيْرُ مَوْلُودٍ
 إِذْ قَابَلْتَهُ الشَّرِيًّا شَبَهَ عُنُقُودٍ
 فِي الْغَرْبِ أَيْدِي الدِّيَا جِي أَيَّ تَوَلِيدٍ
 نَحْوِي وَحَصْنِي مَتُونُ الضَّمْرِ الْقُودِ
 مِنْ دُونَ قَدْرِي ، وَجُودِي فَوْقَ مَوْجُودِي
 جُودًا عَنِ الشُّكْرِ ، أَوْ شُكْرًا عَنِ الْجُودِ
 وَفَضْلُ جُودِهِمْ كَالطُّوقِ فِي جِيدِي
 وَهَلْ سَمِعْتُمْ بِشِرْكِ بَعْدَ تَوْحِيدِ

السن ضاحكة وقلبي باك

لَوْ صِرْتُ مِنْ سَقَمِي شَبِيهَ سِوَاكِ ،
 لَا فُزْتُ مِنْ أَشْرَاكِ حَبْلِكَ سَالِمًا ،
 يَا مَنْ سَمَحَتْ لَهَا بَرُوحِي فِي الْهَوَى ،
 أَخْرَبَتْ قَلْبِي ، إِذْ مَلَكَتِ صَمِيمَهُ ،

مَا اخْتَرْتُ مِنْ دُونَ الْأَنَامِ سِوَاكِ
 إِنْ شُبْتُ دِينَ هَوَاكِ بِالْإِشْرَاكِ
 أَرْخَصْتَنِي وَعَلَيَّ مَا أَغْلَاكِ
 أَكْذَا يَكُونُ تَصَرُّفُ الْمَسْلَاكِ

كَيْفَ اسْتَبَحَتْ دَمَ الْمُحِبِّ وَلَمْ يَكُنْ
 هَلْ عِنْدَ دَمِ الْوَجَنَاتِ رَخَصَ فِي دَمِي ،
 أَصْغَيْتِ سَمْعاً لِلْوُشَاةِ ، فَتَارَةً
 أَطْلَقْتِ فِي إِفْشَاءِ أَسْرَارِ الْهَسْوَى
 شَمِيتِ الْعُدَاةُ ، وَلَوْ مَلَكَتِ ، صِيَانَةً
 وَلَقَدْ أُمُوهُ بِالْغَوَانِي وَالْمَهَا ،
 إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي التَّغْزَلِ بِالْمَهَا
 زَعَمَ الْعُدَاةُ بِأَنْ حُسْنِكَ نَاقِصٌ ؛
 قَالُوا : حَكَيْتِ الْبَدْرَ ، وَهِيَ نَقِیْصَةٌ ؛
 لِمَ صَبِرُوا تَشْبِيهِهُمْ لَكَ شُبُهَةٌ ،
 إِنِّي لِأُصْغِي لِلْوُشَاةِ تَمَلِّقًا
 وَأَظْلُ مُبْتَسِمًا لِقَرَطٍ تَعَجَّجِي ،
 قَلْبِي عَصَاكَ ، وَلَا شَقَقْتُ عَصَاكَ
 أَمْ طَرَفُكَ الْفَتَاكَ قَدْ أَفْنَاكَ ؟
 أَخَشَى عَلَيْكَ ، وَتَارَةً أَخْشَاكَ
 دَمِي وَفَاكَ ، فَمَا أَقْلَ وَفَاكَ
 لَكَ ، فَكَ عَنْ إِيضَاحِهِمْ لِكِفَاكَ
 خَوْفَ الْعِدَى ، وَأُصِدَّ عَنْ ذِكْرِكَ
 لَقَبٌ ، وَلَا أَسْمَاهُ مِّنْ أَسْمَاكَ
 حَاشَاكَ مِنْ قَوْلِ الْعِدَى حَاشَاكَ
 الْبَدْرُ لَوْ يُعْطَى الْمُنَى لِحَكَاكَ
 أَتُرَاكَ مَكْنَتِ الْعُدَاةِ تُرَاكَ ؟
 لَهُمْ ، فَأَرْضِي الْكَاشِحِينَ بِذَاكَ
 فَالَسَّنُ ضَاكِكَةً ، وَقَلْبِي بَاكَ

الناس أعداء لما جهلوا

فِي مِثْلِ حُبِّكُمْ لَا يَحْسُنُ الْعَدَلُ ،
 رَأَوْا تَحَيَّرَ فِكْرِي فِي صِفَاتِكُمْ ،
 وَإِنَّمَا النَّاسُ أَعْدَاءُ لِمَا جَهِلُوا
 فَأَوْسَعُوا الْقَوْلَ إِذْ ضَاقَتْ بِي الْحِيلُ
 وَأَنْتُمْ عَرَفُوا فِي الْحُبِّ مَعْرِفَتِي
 بِشَأْنِكُمْ ، عَذَرُوا مِنْ بَعْدِمَا عَذَلُوا

يا جاعلي خبري بالهجر مُبتدئاً ،
 رفعتُ حالي ، ورفعتُ الحالِ مُمتنعاً ،
 كم قد كتمتُ هواكم لا أبوحُ به ،
 وبِتُّ أخفي أنبي والحنين بكم
 كيف السبيلُ إلى إخفاءِ حبكمُ ،
 يا مُلبسي القلبِ ثوبَ الحزنِ بعدهمُ ،
 لئذا بواكرُ أيامي ، لبعدكمُ ،
 أحسستمُ القولَ لي وعداً وتكرمةً ،
 حتى إذا وثقتُ نفسي بموعِدكم ،
 حملتُموني ، على ضعفي ، لقوتكم
 لله أيامُنَا ، والدَّارُ دانيّةٌ ،
 شفيتُ غلّةَ قلبي ، والغليلَ بها ،
 يا حبّذا نسمةُ السَّعدي حينَ سرتُ
 لا أوحشَ اللهَ من قومٍ لبعدِهِمُ ،
 غابوا ، وألحظُ أفكارِي تُمثلُهُم ،
 ساروا ، وقد قتلوني بعدهمُ أسفاً ،
 وخلفوني أعرضَ الكفِّ من ندَمٍ ،

لا عطفَ فيكم ، ولا لي منكمُ بدلُ
 إليكم ، وهوَ للتمييزِ يَحتمِلُ
 والأمرُ يَظهرُ والأخبارُ تَتَقِلُ
 توهُماً أنْ ذاكَ الجرحَ يَندَمِلُ
 والقلبُ مُتَقَلِّبٌ ، والعقلُ مُعْتَقِلُ
 حُزني قَشِيبٌ وصَبْرِي بعدكم سَمِلُ^١
 أصائلُ ، وضحاها بعدكم طَقَلُ
 لا يَصْدُقُ القولُ حتى يَصْدُرَ العملُ
 وقلتُ: بُشراي زالَ الخوفُ والوجلُ
 ما ليسَ يَحْمِلُهُ سَهْلٌ ولا جَبَلُ
 والشملُ مُجْتَمِعٌ ، والجمعُ مُشْتَمِلُ
 فالْيَوْمَ لا غلَّتِي تَشْفِي ، ولا الغلِّلُ
 مريضَةٌ في حواشي مِرطِها بَلَلُ^٢
 أَمْسَيْتُ أَحْسَدُ من بالغمضِ يَكْتَحِلُ
 لأنَّهم في ضَميرِ القلبِ قد نَزَلُوا
 يا لَيْتَهُمُ أَسْرُوا في الركبِ مَن قَتَلُوا
 وأكثرُ النوحِ ، لما قَلَّتِ الحِيلُ

١ السمل : الثوب البالي .

٢ المرط : كل ثوب غير مخيط .

أقولُ في إثرهم . والعَيْنُ دَامِيَّةٌ ،
 ما عَوَّدوني أَحَبَّائي مَقَاطِعَةً ،
 وسِرْتُ في إثرهم حيرانَ مُرْتَمِضاً ،
 تُرِيكَ مَشْيَ الْهَوَيْنَا ، وهي مُسْرِعَةٌ ،
 لا تَنْسَبِنَ إِلَى الْغُرْبَانِ بَيْنَهُمْ ،
 وفي الْهَوَادِجِ أَقْمَارٌ مُحْجَبَةٌ ،
 تلكَ الْبُرُوجُ الَّتِي حَلَّتْ بُدُورُهُمْ ،
 وَحَجَّتِ الْعَيْسَ حَادِ صَوْتُهُ غَرْدٌ ،
 جَدَا بِهِمْ ثُمَّ حَيًّا عَيْسَهُمْ مَرَحًا ،
 لَيْتَ التَّحِيَّةَ كَانَتْ لِي ، فَأَشْكُرُهَا ،
 والدَّمْعُ مُنْهَمِرٌ مِنْهَا وَمُنْهَمِلٌ :
 بل عَوَّدوني . إِذَا قَاطَعْتُهُمْ وَصَلُوا
 وَالْعَيْسُ مِنْ طَلَّتْهَا تَحْفَى وَتَسْتَعِلُ^١
 مَرَّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثُ ، وَلَا عَجَلُ
 فَذَاكَ بَيْنَ غَدَتِ غُرْبَانُهُ الْإِبِلُ
 أَغْرَةٌ حَمَلَتْهَا الْأَيْنُقُ الدَّلِيلُ
 فِيهَا ، وَابْسَ بِهَا ثَوْرٌ ، وَلَا حَمَلُ
 بِنَغْمَةٍ دُونَهَا الْمَزْمُومُ^٢ وَالرَّمْلُ
 وَقَالَ : سِرَّ مُسْرِعًا حُبَيْتَ يَا جَمَلُ
 مَكَانَ يَا جَمَلُ حُبَيْتَ يَا رَجُلُ

أصم الله

أَصَمَّ اللَّهُ أَسْمَعَنَا الْمَلَامَا ،
 وَأَعْمَى طَرْفَ أَعْدَرِنَا لِحَاطًا ،
 وَهَدَّ جَنَانَ أَثْبَتِنَا جَنَانًا ،
 وَأَرْغَدَنَا عَلَى التَّفْرِيقِ عَيْشًا .
 وَقَصَرَ عَمْرَ أَطْوَلِنَا مَطَالًا
 وَعَجَّلَ حَتْفَ أَسْرَعَنَا مَلَالًا
 إِذَا عَزَمْتَ أَحْبَبْتَنَا ارْتِحَالًا
 وَأَحْسَنَنَا لِفَقْدِ الْإِلْفِ حَالًا

١ المرتقمض : الحزين .

٢ حجت العيس : هكذا في الأصل . المزموم والرمل : من غناء العرب .

سلوة أخِي الهوى

يَقَوَّانَ: طَوْلُ الْبُعْدِ يُسْلِي أَخَا الْهَوَى ، فَقُلْتُ: أَجْلٌ عَنْ صِحَّةِ الْجَسْمِ وَالْقَلْبِ
وَلَوْ أَنَّ طَوْلَ الْبُعْدِ يُحْدِثُ سَلَوَةً ، لَمَا رَغَبَ الْعُشَّاقُ يَوْمًا إِلَى الْقُرْبِ
وَلَكِنَّهُمْ ظَنُّوا التَّجَلُّدَ سَلَوَةً ، وَمَا عَلِمُوا مَا فِي الْفُؤَادِ مِنَ الْكَرْبِ
وَقَدْ يَصْبِرُ الْمَغْلُوبُ رَغْمًا عَلَى الْأَذَى ، كَمَا يَتَّسِرُ الظَّمْآنُ مِنْ لَذَّةِ الشَّرْبِ

قد قيل

قَدْ قِيلَ طَوْلُ الْبُعْدِ يُسْلِي الْفَتَى ، فَقُلْتُ : بَلْ يُفْرِطُ فِي وَجْدِهِ
وَلَيْسَ ذَا حَقٍّ ، وَلَكِنَّهُ تَوَقَّفُ الشَّيْءِ عَلَى ضِدِّهِ

فتاة كالهلال

بَدَتْ تَخْتَالُ فِي ذَيْلِ النِّعَمِ ، كَمَا مَالَ الْقَضِيبُ مَعَ النَّسِيمِ
وَأَشْرَقَ صَبَحُ وَاضِحِهَا فَوَلَّتْ هَزِيعُ اللَّيْلِ فِي جَيْشِ هَزِيمِ
وَكَفَّ الصَّبْحُ قَدْ سَلَتْ نِصَالًا ، تُخَرِّقُ حُلَّةَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ

وأَجَجَ من شُعاعِ الشَّمْسِ ناراً ،
 فَناءُ كاهِلالٍ ، فإنْ تَجَلَّتْ
 وَكُنْتُ بها أَحَبُّ بَنِي هِلالٍ ،
 بِخَصْرِ مِثْلِ عاشِقِها نَحيلٍ ،
 وَقَدَّرَ لو يَمُرَّ بِهِ نَسِيمٌ ،
 أيا ذَاتَ اللَّمَى رِفْقاً بَصَبٍ ،
 يُعَلِّلُ من وِصالِكَ بالأَماني ،
 نَظَرْتُ إِلَيْكَ ، فاستَأَسرتِ قَلْبِي ،
 فَطَرَفِي من خُدودِكَ في جِنانٍ ،
 أرى سَقَمَ الجُفونِ بَرَى فَوادِي ،
 لَعَلَّ الحَبَّ يَرَفُقُ بالرَّعايا ،
 أَذابَ لَهيُها بَرَدَ النُّجومِ
 أَرَتنا البَدَرَ في حالٍ ذَمِيمِ
 فَمُذْ تَمَّتْ هَويتُ بَنِي تَمِيمِ
 وَطَرَفٍ مِثْلِ مَوَعِدِها سَقِيمِ
 لَكَادَ يَوُودُهُ مَرُّ النَّسِيمِ
 يُراعي ذِمَّةَ العَهْدِ القَدِيمِ
 وَيَقْنَعُ من رِياضِكَ بالهَشِيمِ
 فَأَدْرَكَنِي الشَّقَاءُ مِنَ النِّعَمِ
 وَقَلْبِي من صُدودِكَ في جَحِيمِ
 وَعَلَمَنِي مُكابِدَةَ الهُمُومِ
 وَيأخُذُ للبريِّ من السَّقِيمِ

جنة الحسن

يا جَنَّةَ الحُسْنِ الَّتِي حُقِّتْ لَدَيْنَا بِالْمَكَارِهِ
 إِنِّي لَوَجَّهِكَ عاشِقٌ ، وَلَمُنْظَرِ الرِّقَباءِ كَارِهِ

١ يُوودُهُ : يَضَنُّكَ ، وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ .

هلا عدلت

يا مَنْ حَكَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِحُسْنِهَا ، وَبُعَادِ مَتَرِلِهَا وَبَهْجَةِ نُورِهَا
هَلَا عَدَلْتُ كَعَدْلِهَا ، إِذْ صَبَّرْتُ لِلنَّاسِ غَيْبَتَهَا بِقَدْرِ حُضُورِهَا

لو أن لي صبراً

وَمَا بَعَثْتُكُمْ رُوحِي بِأَيْسَرٍ وَصَلِيكُمْ ، وَبِي مِنْ غِنَى عَنْ قَبْضِ مَا لِي مِنْ حَقٍّ
وَلَوْ أَنَّ لِي صَبْرًا عَلَى مُرِّ هَجْرِكُمْ ، صَبَّرْتُ وَمَا أَمْسَيْتُ مِنْ رِبْقَةِ الرِّقِّ

زورة على عجل

لَعَمْرُكَ مَا نَجَافَى الطَّيْفُ طَرْفِي لِفَقْدِ الْغُمُضِ ، إِذْ شَطَّ الْمَزَارُ
وَلَكِنْ زَارَنِي مِنْ غَيْرِ وَعَدِي ، عَلَى عَجَلٍ ، فَلَسَمَ يَرَا مَا يُزَارُ

لي حبيب

لي حبيبٌ يَلِدْ في عَدَايَ وَيَعْدُبُ
ليسَ لي فيه مَطْمَعٌ ، لا ولا عَنْهُ مَذْهَبُ
يَتَمَنَّى مِنِّي وهوَ للقلبِ مَطْلَبُ
إنَّ قَتْلَ المحبِّ في حِلَالٍ وَطَيْبُ
أنا فيه مُخَاطِرٌ ، حينَ يَأْتِي وَيَذْهَبُ
فعلَى الظَّهِيرِ حَيَّةٌ ، وعلى الصَّدْغِ عَقْرَبُ

زارني

قال وهو من الأوزان الأعجمية :

زارني والصبحُ قد سَفَرَا ، وظلِّيمُ الظَّلامِ قد نَفَرَا
وجيوشُ النجومِ جافِلَةٌ ، ولِواءُ الشَّعاعِ قد نُشِرَا
جاءَ يُهْدِي وِصالَه سَحَرًا ، شادِنُ القلوبِ قد سَحَرَا
فَتَيَقَّنْتُ أَنَّهُ قَمَرٌ ، وكذا اللَّيْلُ يَحْمِلُ القَمَرَ

نار خده

أوضحتُ نارُ خدّه للمَجوسِ حُجّةٌ في السّجودِ والتّقديسِ
وأقامتُ للعاشقين دليلاً واضحاً في جوازِ نهبِ النفوسِ
رُشاً من جاذيرِ التُّركِ ، لكن حازَ لِرثَ الجَمالِ عن بليّيسِ
لابساً من بهائِهِ ثوبَ بَدْرِ ، ومِنَ الوَشِيِّ حُلَّةَ الطّاوُوسِ
حملَ الكأسَ فاكتسبتُ وجنتاه شفقاً من شعاعِها المَعكُوسِ
فشهِدنا من خدّه وسناها كيف تُكسّي البَدورُ نورَ الشّمسِ
وجلاها والصّبحُ قد هزَمَ اللّهُ لَ ، وهَمَّ الرّفاقُ بالتّعريسِ
والثريّا ولّتْ ومالتْ إلى الغرِّ ب ، فكانتُ كالطّائِحِ المَنكُوسِ
ولّدَ الشّرقُ شَكلَها ، وهوَ لَحيّا نُ فصارتُ في الغربِ كالإِنكيسِ
فابتَدَرنا الصّبوحَ واللّهوَ لَمّا نَبّهَ الصّبحَ دَقّةُ النّاقُوسِ
وجلّونا على الأهلّةِ شمسَ الرّا حِ بَيْنَ الشّمسِ والقِيسِ
قَهوةً تحسُدُ العِمامَ لا تَسَ كُنُ ، لَمّا تُدارُ ، غيرَ الرّوُوسِ
جعلتُ بَيْنَ شارِبِها على اللّهِ وِ وبَيْنَ المَومِ حربَ البّسُوسِ
من يَدَي شادِنٍ يَكاذُبُ عَيدُ ال رَاحَ سَكرى بِحُلُقِهِ المائُوسِ
فعلتُ مُقلّناهُ في أنفُسِ العُد شاقٍ فَعَلَ السّلافةُ الحَنَدريسِ

١ التعريس : النزول ليلاً .

٢ الإنكيس : شكل من أشكال الرمل وهو ثلاثة خطوط متساوية تحتها نقطة ، ويسمى بالمنكوس أيضاً .

٣ الحندريس : الخمر القديمة .

قَدَحٌ دَارَ فِي يَدِي ذِي احْوَارٍ فَسَكِرْنَا بِالطَّرْدِ وَالْمَعْكُوسِ
 أَهَيْفُ الْقَدِّ مَخْطَفُ الْحَصْرِ سَاجِيَا طَرَفِ أَنْسِ النَّدِيمِ رُوحُ الْجَلِيسِ
 لَا تُلَامُ الْعُشَّاقُ فِي تَلَفِ الْأَرْ وَاحٍ فِي عِشْقِهِ وَبَدَلِ النَّفُوسِ
 نَظَرُوا ذَلِكَ الْجَمَالَ ، وَقَدْ لَا حَ نَفِيسًا ، فَخَاطَرُوا بِالنَّفِيسِ

لا بلغ الحاسد

لَا بَلَغَ الْحَاسِدُ مَا تَمَنَّى ، فَقَدْ قَضَى وَجَدًا ، وَمَاتَ مَنَّا
 وَلَا أَرَاهُ اللَّهَ مَا يَرُومُهُ فِينَا ، وَلَا بُلُغَ سُوءٍ عَنَّا
 أَرَادَ يَرْمِي بَيْنَنَا لَبِيسِنَا ، فَجَاءَ فِي الْقَوْلِ بِمَا أَرَدْنَا
 أَبْلَغَكُمْ أَنِّي جَحَدْتُ جَبَّكُمْ ، أَصَابَ فِي اللَّفْظِ وَأَخْطَا الْمَعْنَى
 ظَنُّ حَبِيبِي رَاضِيًا بِسَعْيِهِ ، فَشَنَّ غَارَاتِ الْأَذَى وَسَنَّا
 فَمُسَدُّ رَأَى حَبِيبِي إِلَيَّ مُحْسِنًا أَسَاءَ نِي فِعْلًا وَسَاءَ ظَنًّا
 يَا مَنْ غَدَا لِلنَّيِّرِينَ ثَالِثًا ، وَثَانِي الْغُصْنِ ، إِذَا تَشَنَّى
 وَمَنْ سَأَلْنَا مِنْهُ مَنَّا بِالْمُنَى ، فَمَنْ بِالْوَصْلِ لَنَا وَمَنَّا
 أَشْمَتَنِي بِالصَّدِّ بَعْدَ شِدَّةٍ ، وَمَنْ تَعَنَّى فِي الْهَوَى تَهَنَّا
 فَعُدَّ بِوَصْلٍ وَاغْتَنِمَ طَيْبَ الثَّنَا ، فَإِنَّ ذَا يَبْقَى وَذَاكَ يَفْنَى

المولع بالخلاف

أَلْهَمَ اللهُ غُنْجَ الْحَاضِكِ الْعَدَّ لَ ، وَأَغْرَى عَيْنِكَ بِالْإِنْصَافِ
 سَيِّدِي أَنْتَ مَعَ رِضَاكَ وَسُخْطِي لَا تُؤَافِي وَلَا بُودِي تُؤَافِي
 كَيْفَ حَالِي ، إِذَا تَكَدَّرَتْ مِنِّي ، أَنْتَ صَافِي ، وَمَا يَرُومُ انْتِصَافِي
 قُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُ قَدْرَكَ وَالْحَدَّ دَ وَمَطْلَ الْوَعْدِ وَالْإِخْلَافِ
 مَا لَغَصَنِ الْأَرَاكِ إِذْ حَمَلَ الْوَرَّ دَ غَدَا ، وَهُوَ مُوَلِّعٌ بِالْخِلَافِ

دموع لا ترقأ

دُمُوعِي فِيكَ لَا تَرْقَأُ ، وَدَاءُ الْقَلْبِ لَا يُرْقَى
 وَمَحَلُّ الْحَدِّ مِنْ غَيْثٍ رِ مَسِيلِ الدَّمْعِ لَا يُسْقَى
 دُمُوعٌ تُعْطِشُ الْحَدَّ دَ وَأَجْفَانِي بِهَا غَرَقَى
 أَلَا يَا مَالِكَ الرِّ قَ بَمَنْ مَلَّكَكَ الرِّقَا
 إِذَا لَمْ تَقْضِ أَنْ أَسْعَ دَ لَا تَقْضِ بَأَنْ أَشْقَى
 تَصَدَّقْ بِالَّذِي يَفْنَى ، وَخُذْ أَجْرَ الَّذِي يَبْقَى
 وَذَكَرْ عِطْفَكَ الْمَيَّا لَ وَالرَّدْفَ بِمَا أَلْقَى
 سَيِّدَ كَرٍّ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى

العقيق والسحر

قِيلَ إِنَّ الْعَقِيقَ قَدْ يُبْطِلُ السَّحْرَ ر بِتَخْتِيمِهِ لَسِيرَ حَقِيقِي
فَأَرَى مُقْلَتَيْكَ تَنْفُثُ سِحْرًا ، وَعَلَى فَيْكَ خَاتَمٌ مِنْ عَقِيقِ

اتقِ الله

لَيْتَ شِعْرِي بِمَنْ تَشَاغَلْتَ عَنَّا ، يَا خَلِيلًا أَشَقَى الْقُلُوبَ وَأَعْنَى
وَإِذَا مَا تَشَنَّتْ عَنْ وَصْلِ خَلٍّ ، عَنْكَ يَثْنِي . وَلَمْ يَكُنْ عَنْكَ يَثْنَى
فَاتَّقِ اللَّهَ فِي عَذَابٍ مُحِيبٍ ، كُلَّمَا جَنَّ لَيْلُهُ فَيْكَ جُنَّا
ثُمَّ عُدُّ لِلْوِصَالِ مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ ، مِثْلَمَا كُنْتَ قَبْلَ ذَلِكَ وَكُنَّا
سَيِّدِي قَدْ عَلِمْتَ فَيْكَ اعْتِقَادِي ، فَلِإِذَا أَسَأْتَ بِالْعَبْدِ ظَنَّنَا
أَنْتِ أَمْلَكْتَنَا . وَلَمْ نَجْنِ ذَنْبًا ، لَوْ عَلِمْنَا ذَنْبًا لَدَيْكَ لَثَبْنَا
بِالرَّضَى كَانَ مِنْكَ صَدُّكَ وَالْبُعْ دُ ، فَكَانَ الْفِرَاقُ بِالرَّغْمِ مِنَّا
يَا مُعِيرَ الْغَزَالِ جِيدًا وَطَرْفًا ، وَمُغِيرَ الْقَضِيبِ لَمَّا تَشَنَّى
قَدْ وَجَدْنَا فَيْكَ الْجَمَالَ ، وَلَكِنْ فَيْكَ حُسْنٌ وَلَمْ نَجِدْ فَيْكَ حُسْنَى
مَنْ تَرَى مُسْعِدِي عَلَى جَوْرِ بَدْرِ يَتَجَلَّتِي ، وَتَارَةً يَتَجَنَّنِي
مَا تَهَنَّيْتُ فِي الْهَوَى ، إِذْ تَعَنَّنِي تُ ، وَقَدْ قِيلَ مِنْ تَعَنَّنِي تَهَنَّنِي

يا عاذلي

لا تَنْطِقَنَّ عَنْ هَوَى ، يا مَنْ يُعَنَّفُ فِي هَوَى
 بِسَوَى الْحُمَيَّا وَالْمُحَيَّا ، ما لأدوائِي دَوَا
 قَسَمًا بِنَجْمِ الْكَأْسِ فِي كَفِّ السَّقَاةِ . إذا هَوَى
 ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ بِذَا كَ عَنْ الصَّوَابِ . وما غَوَى
 يا عاذلي فيمَنْ طَوَى تَ عَلَيْهِ قَلْبِي ، فأنطوى
 الْقَلْبُ عَنْهُ ما سَلَا ، وإلى مَقَالِكَ ما ارعوى
 خَالَفَتْ عَبْدَ الْقَادِرِ الـ قُرْشِيَّ ، فاسألْ ما رَوَى
 إِذْ ذَاكَ يَخْطُؤُ فِي الْهَوَا . وإنْ تَخْطَى فِي هَوَى

أهلاً وسهلاً

أهلاً وسهلاً يا رَسُولَ الرِّضَى ، شَنَنْتَ سَمْعِي بِلَذِيذِ الْكَلَامِ
 تُهْدِي سَلاماً مِنْ حَبِيبٍ لَنَا . عَلَيْكَ مِنَّا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ
 فَاشْهَدْ بِمَا شَهِدْتَ مِنْ حَالَتِي ، وَصِفْ جُنُونِي ، إِذْ يَجُنُّ الظَّلَامُ
 وَإِنْ تَغَافَلْتَ وَأَغْفَلْتَهَا . عَلَيْكَ فِيهَا لَا عَلَيَّ الْمَلَامُ

محاسن الحسن

ما كنتُ أعلمُ ، والبلاغةُ صنعتي ، أنّ البديعَ بحسنِ وجهكَ يُعلمُ
حتى تبدّتْ لي محاسنُ حسنه ، ببدايعِ تُملي عليّ وأنظِمُ

ضلال وهدى

الوجهُ منكَ عنِ الصوابِ يُضِلُّني ، وإذا ضللتُ ، فإنه يُهديني
وتُميّتي الأخطأُ منكَ بنظرةٍ ، وإذا أردتَ ، بنظرةٍ تُحييني
وكذلكَ من مرّضِ الحفونِ بليّتي ، وإذا مرّضتُ ، فإنها تشفيني
فلذلكَ أشري الوصلِ منكَ بمُهجّتي ، وأيُّعُ دُنيايِ بذاكَ وديني

شكوت

شكوتُ إلى الحبيبِ أزينَ قلبي ، إذا جنّ الظلامُ ، فقال : إنّنا
فقلتُ له : أظنُّكَ غيرَ راضٍ بما كابدتُ فيكَ ، فقال : إنّنا
فقلتُ : أترتضي إن ناءَ قلبي بأنقالِ الغرامِ ، فقال : إنّنا
فقلتُ : فإنّكم لولاءُ أمرٍ على أهلِ الغرامِ ، فقال : إنّنا

ما يقول الفقيه

ما يَقُولُ الْفَقِيهُ فِي عَبْدٍ رِقًّا لَحِيْبٍ لَمْ يَرْضَ مِنْهُ بَعْتَقِ
زَارَهُ فِي الصَّيَامِ يَوْمًا ، وَأَوَّلًا دُجَمِيلًا مِنْ بَعْدِ بَعْدٍ وَسُحْقِ^١
هَلْ عَلَيْهِ فِي إِثْمٍ فِيهِ جُنَاحٌ ، إِنْ غَدَا مُضْمِرًا مَحَبَّةَ صِدْقِ^٢

قلبي لكم

قَلْبِي لَكُمْ بِشُرُوعِهِ وَشُرُوطِهِ ، وَشُرُوبُهُ^٣ مُلْكٌ لَكُمْ وَحَقُّوقُهُ^٣
حُرٌّ تُحِيطُ بِهِ حُدُودٌ أَرْبَعُ فِيهَا تَعَيَّنَ رَحْبُهُ وَمَضِيقُهُ^٣
الْوَدُّ أَوَّلُهَا وَثَانِيهَا الْوَفَا ، وَالثَّالِثُ الْعَهْدُ السَّلِيمُ وَثِيقُهُ^٣
وَالرَّابِعُ الْمَسْلُوكُ صِدْقٌ مَحَبَّتِي لَكُمْ . وَفِيهِ بَابُهُ وَطَرِيقُهُ^٣

١. السحق : البعد .

٢. الجناح : الإثم .

٣. شروبه : ماؤه الصالح للشرب .

اقرار اللسان

أَقَرَّ بِمُهِجَّتِي لَكُمْ لِسَانِي ، وَذَاكَ بِصِحَّةٍ وَجَوَازٍ أَمْرٍ
 وَأَوْجَبَ ذَاكَ إِجَابًا صَحِيحًا ، مُطِيعًا ، رَاضِيًا مِنْ غَيْرِ قَسْرٍ
 فَقَدْ مَلَكَتُكُمْ مُلْكًا جَلِيلًا ، بَنَيْتُ بِهِ الْمَنَاقِبَ طَوْلَ عُمْرِي
 فَلَيْمَ أَسْكَنْتُمْ الْأَحْزَانَ فِيهِ ، لَتَخْرِبَهُ ، وَيَعْفُو رِسْمُ ذِكْرِي

احلى من البدر

وَجْهٌ مِنَ الْبَدْرِ أَحْلَى . وَمِنْهُ بِالْمَدْحِ أَحْرَى
 طَرَفِي بِهِ يَتَجَلَّى . وَنَاطِرِي يَتَحَرَّى
 بِمَنْظَرِي يَتَحَلَّى . وَنَاطِرِي يَتَجَرَّى
 خَدٌّ يُقِرُّ بِقَتْلِي . وَرِدْفُهُ يَنْبَرِّي

كثرة النمام

لَا تَعْجَبَنَّ ، إِذَا أَتَوْا بِنَمِيمَةٍ ، فِينَا . وَإِنْ عَذَلُوا عَلَيْكَ وَلَا مُوا
 مِنْ كَانَ نَسَبُهُ حُسْنِ يَوْسُفَ حُسْنِهِ ، فَلِذَاكَ يَكْثُرُ حَوْلَهُ النَّمَامُ

القناعة ملك

للتُّركِ ما لي تَتركُ ، ما دينُ حُبِّي شِرْكُ
أَخْلَصْتُ دينَ هَوَاهُم ، فحُبُّهُمْ لي نَسْكُ
خَاطَرْتُ بالِنَفْسِ فيهم ، ومَسَلَكُ العِشْقِ ضَمَكُ
قَنِعْتُ بالودِّ منهم ، إنَّ القَنَاعَةَ مُلْكُ
وبي أغرُّ غريرٌ ، ملامتي فيه إِفْكُ
بِجَابِيهِ وَعَيْنِي ۚ لِلْمُحِبِّينَ هَتْكُ
حَوَاجِبُ وَعِیُونَ ۚ لَهَا بِقَلْبِي فَتْكُ
كَالْقَوْسِ يُصْمِي ، وَهَذِي تَشْكِي المَحَبَّ وَيَشْكُو

عاقبت من اهواه

عَاقَبْتُ مَنْ أَهْوَاهُ فِي هَجْرِي وَأَكْثَرْتُ المَلَامَةَ
فَأَجَابَنِي : أَقْلَلْتُ حَبَّ لِكَ لِي ، فَأَبْدَيْتَ الجَهَامَةَ
فَأَجَبْتُ : إِنَّ كَرَامَتِي فَرَضٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقِيَامَةِ
فَأَجَابَنِي : مَنْ مَا لَهُ حُبٌّ فَلَيْسَ لَهُ كَرَامَةُ

كان بدر السماء

كَانَ بَدْرُ السَّمَاءِ يَسْكُتُ النَّوْ رَ مِنَ الشَّمْسِ كِي يَحُوزَ الْبَهَاءَ
فَهُوَ الْيَوْمَ يَسْتَعِيرُ ضِيَا وَجْهِكَ . إِذْ فُقَّتْهُ سَنًا وَسَنَاءَ
وَإِذَا مَا رَأَىكَ صَدَّ عَنِ الشَّمْسِ سِرِّهِ ، وَوَاكَ يَسْتَمِدُّ الضِّيَاءَ

السكوت أبلغ من الكلام

أَمُوتُ ، وَأَنْتَ تَعَلَّمُ مَا لَقِيتُ ، أَيَا مَنْمَنِ بِالنَّعِيمِ بِهِ شَقِيتُ
وَلَوْلَا أَنْ فِي قَلْبِي أَمَانِي أَعْلَلُّهُ بِهِنَ لَمَّا بَقِيتُ
وَأَعْجَبُ أَنْ بِي قَرَمًا شَدِيدًا إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ لِلْأَرْوَاحِ قُوتُ
جَعَلْتُ مِنَ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ زَادِي ، فَجِئْتُ ، وَذَلِكَ زَادٌ لَا يُقِيتُ
أَضَامُ ، وَلَا أَرَى لِلْقَوْلِ وَجْهًا ، وَلَيْسَ يَتَلِقُ بِي إِلَّا الصُّمُوتُ
إِذَا عَدِمَ الْقَبُولَ إِلَيْكَ شَاكٍ ، فَأَبْلَغُ مِنْ تَكَلَّمِهِ السَّكُوتُ

سارق الكحل

مَا زَالَ كُحْلُ النَّوْمِ فِي نَظْرِي ، مِنْ قَبْلِ إِعْرَاضِكَ وَالْبَيْنِ
حَتَّى سَرَقْتَ الْغُمُضَ مِنْ مَقْلَتِي ، يَا سَارِقَ الْكُحْلِ مِنَ الْعَيْنِ

انت سؤلي

أنت سؤلي، وإن بَخِلْتَ بسؤلي، ورجائي . وإن قَطَعْتَ رَجائي
وحياتي ، وإن تَعَمَّدْتَ قَتلي ، ونَعِيمي . وإن قَصَدْتَ شَقائي
مُنِي ، بُغِي ، حَبِيبي ، نَصِيبي ، مالكُ الرِّقِّ ، سيدي . مولائي
لَيْتَ أَنِّي قَضَيْتُ نَحْيي ، وأن تُصَبحَ بعدي مُمْتَعاً بالبقاءِ

راقب الله

كيف صَبْرِي . وأنتَ لِلْعَيْنِ قُرَّة ، وهي ما إن تَرَكَ في العامِ مَرَّة
وبماذا يُسَرِّ قَلْبِي . إذا غِيبَ . إذا كُنْتَ لِلْقُلُوبِ مَسْرَّة
قَسَمًا بِالَّذِي أَفَاضَ عَلَى طَلِّهِ عَتِكَ النُّورَ، فهي لِلشَّمْسِ ضَرَّة
إنَّ يَوْمًا أَرى جَمَالَكَ فِيهِ ، هوَ عِنْدِي فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ غُرَّة
أَيُّهَا الْمُعْرِضُ الَّذِي هَانَ عِنْدِي تَعَبِي فِيهِ . واحتمالُ المَضَرَّة
راقِبِ اللَّهَ فِي حُشَاشَةِ نَفْسِي . إِنَّهُ لَا يَضِيعُ مِثْقَالُ ذَرَّة

الصبر الفاني

إنْ غِبتَ عَنْ عِيَانِي ، يا غَايَةَ الأَمَانِي
فَالفِكْرُ فِي ضَمِيرِي ، والذِّكْرُ فِي لِسَانِي
مَا حَالَ عَنْكَ عَهْدِي ، وَلَا انشَنَى عِنَانِي
وَجَدِي عَلَيْكَ بَاقٍ ، والصَّبْرُ عَنْكَ فَانِي

رقيق الحدين

ورقيقِ الحَدَيْنِ مُدُّ قَابِلِ الكَأْسِ بَوَجهِ كَرِيقَةِ الدِّيَابِجِ
جَرَحَتْ خَدَاهُ أَشْعَةُ نُورِ الـ رَاحِ شَفَّتْ وَرَاءَ جِرِمِ الزَّجَاجِ

الصمم المستعذب

أَوْهَمَتْهَا صَمَمًا فِي مَسْمَعِي . فغَدَتْ تُكْرَّرُ اللَّفْظَ أحيانًا وَتَبْتَسِمُ
قِيلَتْ مَا رُمْتُ مِنْ رَجْعِ الْكَلَامِ فَلَا عَدِمْتُ لَفْظًا بِهِ يُسْتَعَذَّبُ الصَّمَمُ

محاذر السخط

أشرتُ عليك ، فاستَغشِشتَ نَصْحي
 وأغراكَ الخِلافُ بضِدِّ قولي ،
 وشاروني العُداةُ وبأيَعُوني ،
 فصِرتُ ، إذا خطبتَ جميلَ رأيي ،
 ولم أتبعْ خُطَاكَ لضعفِ رأيي ،
 ولكنتي أحاذِرُ مِنكَ سُخْطاً ،
 لظنِّكَ أنَّ مَقْصودي إذا كَا
 فكانَ الفِعلُ مِنكَ بضِدِّ ذاكَا
 فأنجَحَ حُسنُ رأيي في عِداكَا
 أُشيرُ بما أرى فيه هَواكَا
 ولا أني أريدُ بهِ رِداكَا
 فأتبعُ كلَّ ما فيه رِضاكَا

الخمارة النصرانية

ونصرانيّةٍ يتنسا جِواراً
 خطبنا عندها راحاً ، فجاءتْ
 وأبدتْ منظرًا حسنًا ، فظَلنا ،
 فلما أن دنتْ نحوي بكأسٍ
 مَسَحَتْ يَدَي على خَدِّ أسيلٍ
 فهزّتْ عِطْفَها مَرَحاً وقالتْ :
 لها ، فلنا بساحتِها جُنُوحُ
 براحٍ للنفُوسِ بها تُريحُ
 وكلُّ من تَلَهَّفَ فيه قَريحُ
 يُضَاعِفُ نورَها الوجهُ الصَّبِيحُ
 فعادتْ في بَعدِ المَوتِ رُوحُ
 قضى نَحْباً ، فأحياهُ المَسيحُ

لله بالحدباء عيشي

لله بالحدباء عيشي ، فكم وَرَدْتُ مِنْ عَيْنِهَا جَارِيَةً
وَكَمْ تَقَنَّنْتُ بِهَا جُودُراً ، وَرَدْتُ مِنْ عَيْنِهَا جَارِيَةً^١

ودعوني

وَدَّعُونِي مِنْ قَبْلِ تَوْدِيْعِ حَبِيٍّ ، أَنَا مِنْهُ أَحَقُّ بِالتَّوْدِيْعِ
ذَاكَ يُرْجَى لَهُ الرُّجُوعُ ، وَلَا يُطِمْ مَعُ ، إِنَّ مُتً بَعْدَهُ ، بِرُجُوعِي

قمر هدى أهل الضلال

عَبَثَ النَّسِيمُ بِقَدِّهِ ، فَتَأَوَّدَا ، وَسَرَى الْحَيَاءُ بَخْدَهُ فَتَوَرَّدَا^٢
رَشَاءً تَفَرَّدَ فِيهِ قَلْبِي بِالْهَوَى ، لَمَّا غَدَا بِحِمَالِهِ مُتَفَرَّدَا

١ ردت : طلبت . العين : أراد النساء الجميلات العيون .

٢ تأود : تمايل .

قَمَرٌ هَدَىٰ أَهْلَ الضَّلَالِ بِوَجْهِهِ ،
 كَحَلِّ الْعَيُونِ بِضَوْءِ نُورِ جَبِينِهِ ،
 مُغَرِّى بِإِخْلَافِ الْمَوَاعِدِ فِي الْهَوَىٰ ،
 سَلَبَتْ مَحَاسِنُهُ الْعُقُولَ بِنَظِيرِ
 يَا صَاحِي الْأَعْطَافِ مِنْ سُكْرِ الطَّلَىٰ ،
 وَحُسَامِ لُحْظِكَ كَأَمِنْ فِي غِمْدِهِ ،
 قَاسُوكَ بِالْغُصْنِ الرَّطِيبِ جَهَالَةً ،
 حَسَنُ الْغُصُونِ إِذَا اكْتَسَتْ أَوْرَاقُهَا ،
 وَأَضَلَّ بِالْفَرَعِ الْأَيْثِ مِنْ اهْتِدَايَ^١ ،
 عِنْدَ السَّمُورِ . فَلَا عِدْمَتُ الْإِيمِدَا^٢ .
 يَا لَيْتَهُ جَعَلَ الْقَطِيعَةَ مَوْعِدَا
 يُصْدي الْقُلُوبَ وَمَنْظَرَ يَجْلُو الصَّدَا^٣
 مَا بَالُ طَرْفِكَ لَا يَزَالُ مُعْرِيدَا^٣
 مَا بَالُهُ قَدْ ضَرَّابَ الْمُغَمَّدَا
 تَالَهُ قَدْ ظَلَمَ الْمُشَبَّهَ وَاعْتَدَا
 وَنَرَكَ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ مُجَرَّدَا

أغار عليك مني

تَعَرَّضَ بِي ، فَقُلْتُ : إِلَيْكَ عَنِّي ،
 أَخَافُ مِنَ اللَّحَاطِ عَلَيْكَ ، حَتَّى
 أَلَمْ تَرَنِي . إِذَا أُرْسَلْتُ طَيِّفًا ،
 أَقْبِلْ تُرْبَ مَسْعَاهُ بِطَرْفِي ،
 كَفَانِي فِيكَ عَيْشِي بِالتَّمَنِّي
 أَغَارُ عَلَيْكَ . حِينَ أُرَاكَ ، مِنِّي
 وَزَادَ عَلَيْكَ خَوْفِي بَعْدَ أَمْنِي
 وَأَحْوَىٰ إِثْرَ وَطْأَنِهِ بِجَفْنِي

١ الأَيْثِ : المَلْتَف ، الكَثِير .

٢ يُصْدي ، مَسْهَل يُصْديءُ الشَّيْءَ : يَجْعَلُهُ صَدْبًا .

٣ الطَّلَى : الْحَمْر . الْمَعْرِيد : السَّيِّءُ الْخَلْق .

ملكت رقي

مَلَكْتَ رِقِّي ، وَأَنْتَ فِيهِ ، يَا حَسَنًا جَلَّ عَنْ شَبِيهِ
يَا مَنْ حَكَمَى يُوسُفًا ، وَلَكِنْ قَدْ زَيْنَ فِي عَيْنِ مُشْتَرِيهِ

طاف بالكأس

طَافَ بِالْكَأْسِ عَلَى عُشَّاقِهِ ، رَشًا كَالْبَدْرِ فِي إِشْرَاقِهِ
فَكَأَنَّ الرَّاحَ مِنْ وَجَنَتِهِ ، وَكَأَنَّ الْمَاءَ مِنْ أَخْلَاقِهِ
لَيْسَ الْعِطْفُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ قَاسِيَ الْقَلْبِ عَلَى مُشْتَاقِهِ
لَمْ يَكُنْ أَوْهَى قُوَى مِنْ خَصَرِهِ غَيْرُ صَبْرِي عَنْهُ ، أَوْ مِيثَاقِهِ

قسم الحبيب

أَقْسَمَ الْحَبِيبُ أَنْ يُبَالِغَ فِي الصَّـ دَّ لِيَبْلُوَ عَلَى الصَّدُودِ جَنَانِي
بَرًّا فِي حَلْفِهِ ، فَيَا لَيْتَهُ كَا نَ وَلَوْ مِنْ دَمِي خَضِيبَ الْبَنَانِ

غيرة قلب

يَغَارُ عَلَيْكَ قَلْبِي مِنْ عِيَانِي ، فَأُخْفِي مَا أَكَابِدُ مِنْ هَوَاكُمَا
مَخَافَةَ أَنْ أَشَاوِرَ فِيكَ قَلْبِي ، فَيَعْلَمَ أَنَّ طَرَفِي قَدْ رَاكُمَا

ملك ومملوك

وِظِّي حَازَ رِقِّي ، وَهُوَ رِقِّي ، بِصَحَّةِ كَسْرَةِ الطَّرْفِ السَّقِيمِ
يُنَاسِبُ يَوْسُفَ الصَّدِّيقِ حُسْنًا ، وَوَصَفَاً فِي قِيَاسِ ذَوِي الْعُلُومِ
فَذَلِكَ قَبْلَ ذَا مَلِكٍ كَرِيمٍ ، وَهَذَا قَبْلَ مَمْلُوكٍ كَرِيمٍ

آيات الجمال

بُعِثَتْ بآيَاتِ الْجَمَالِ ، فَأَمْنَتْ بِحُسْنِكَ أَبْصَارُ لَنَا وَبَصَائِرُ
وَأَبْدَيْتَ حُسْنًا بِاللِّحَاطِ مُمَنِّعًا ، فَلَا خَاطِرُ إِلَّا وَفِيكَ يُخَاطِرُ
وَلَمَّا بَدَتْ زُهْرُ الثَّغُورِ ، وَتَاهَتْ الْخَوَاطِرُ ، وَامْتَدَّتْ إِلَيْكَ النَّوَاطِرُ
خَتَمْتَ عَلَى دُرِّ الثَّنَا بِخَاتَمِ عَقِيقٍ وَنَحْتِ الْخَمْرِ تُخْبِي الْجَوَاهِرُ

الحب للحبيب الأول

لا حُبَّ إِلَّا للحبيبِ الأولِ ، فاصْرِفْ هَوَاكَ عن الحبيبِ الأولِ
ودَعَ العَتِيقَ ، فللجديدِ حلاوةٌ تُنسِيكَ ماضي العيشِ بالمُسْتَقْبَلِ
أعلى المراتبِ في الحِسابِ أخيرُها ، فقيسِ المِلاحَ على حِسابِ الجُمَلِ
أَتَشْكُ في أنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا خَيْرُ البريةِ ، وهو آخرُ مُرْسَلِ

اعتذار البدر

إلى مُحَبِّتِكَ ضَوْءُ البَدْرِ يَعتَذِرُ ، وفي مَحَبَّتِكَ العُشَّاقُ قد عذِرُوا
وجنَّةُ الحُسْنِ في خَدَيْكَ مُوثَقَةٌ ، ونارُ حَبِّكَ لا تُبْقِي ولا تَذَرُ
يا مَنْ يَهْزُ دَلالاً غُصْنَ قامتهِ ، الغُصْنُ هذا ، فأينَ الظِّلُّ والثمَرُ
ما كنتُ أَحْسَبُ أنْ الوَصْلَ مُمْتَنِعٌ ، وأنَّ وَعْدَكَ بَرَقَ ما بهِ مَطَرُ
خاطَرْتُ فِيكَ بغالي النَّفْسِ أَبْدُلُها ، إنَّ الخَطِيرَ عَلَيْهِ يَسْهُلُ الخَطَرُ
لَمَّا رَأَيْتُ ظِلَامَ الشَّعْرِ مِنْكَ بَدَا خُصْتُ الظَّلَامَ ولكنْ غَرَّنِي القَمَرُ

نظروا الهلال

نظروا الهلالَ فأعظموهُ وأكبروا ، حتى سَفَرَت . فقليلَ هذا أكبرُ
 ودروا بأنهمُ بذلكَ أخطأوا ، فأتاك . كلُّ تائباً يَسْتَغْفِرُ
 يا جَنَّةَ يَصِلِي المَحَبُّ بها لَنَظِي ، ويموتُ من ظَمإٍ ، وفيها الكَوثرُ
 صَيَّرَتَنِي فِي نارٍ حَبْكَ خَالِدًا ، قلبٌ يَذوبُ ، وأدمعُ تَتَحَدَّرُ
 فكأنَّ قَلْبِي فِي الحَقِيقَةِ مِرْجَلٌ ، نارُ الصَّبَابَةِ حَوْلَهُ تَتَسَعَّرُ
 فإذا تَصَاعَدَ بالتَّنَفَّسِ حَوْلَهَا تُهْدِي إلى عَيْنِي الدَّمْعُ ، فتَقَطُّرُ

صب أسر الهوى

قد هتَكَ الدَّمْعُ مِنْهُ ما سَتَرَا ، وإن تُرِدْ خُبَرَ حالِهِ سَتَرِي
 صَبَّ أَسْرَ الهَوَى وَكَتَمَهُ ، فعِنْدَما فاضَ دَمْعُهُ ظَهَرَا
 لا تَعَجَّبُوا إن جَرَّتْ مَدَامَعُهُ ، بلِ اعْجَبُوا للفِرَاقِ كَيْفَ جَرَى
 شامَ بُرُوقَ الشَّامِ ناظِرُهُ ، فأرْسَلَتْ سَحْبُ دَمْعِهِ مَطَرًا
 لما تَرافَقِي من حَرٍّ لَوَعَتِهِ ، لهيبُ نارٍ بِقَلْبِهِ اسْتَعْرَا
 تَكَاتَفَ الدَّمْعُ فِي مَحَاجِرِهِ ، فإنْ أَذَابَتْهُ نارُهُ قَطَرًا

بشراي

قال وهو من الأوزان الأعجمية :

بشرايَ قد تنبّه لي الطالعُ السّعيدُ قد زارني الحبيبُ فذا اليومُ يومُ عيدُ
 قد تمّ لي السّرورُ وكملتُ مَج لمسي من خمرنا العتيقِ ومن زهرنا الجديدا
 ناديتُ ، إذ رأيتُ حبيبي بمَج لمسي عن جانبي القريبِ وقد جاء من بعيدُ
 من شاهدَ الكواكبَ تمشي على ال شري أو عاينَ الموالِي تسعى إلى العبيدُ
 من خمره سقيتُ ومن بردِ ري قه خمرينِ ذي تُزِيلُ خُبالي وذي تزيده^١
 إن فاتني التمتعُ بالطيفِ في ال كرى في يقظتي حظيتُ بأضعافٍ ما أريدُ

من عاشق ناء

وأخبرني من أثق به من الشيوخ أنه قرأ في كتاب مهتدى الفرق للإمام فخر الدين الرازي قصيدة مربعة من مربع الرجز ، كل أربعة سطور منها على قافية للشيخ مدرك ابن علي الشيباني المغربي ، وذكر الإمام فخر الدين أنها جمعت سائر عبادات النصاري ومواقبهم وقرابينهم ، وأسماء أكابرهم وشيوخ طريقتهم وكان موجب نظمها أن الشيخ مدركاً كان من أفاضل أهل الغرب والمتقنين في العلوم ، المطبوعين في نظم الشعر ، وكان ببغداد يقرئ في الآداب وله مجلس بمحلة دار الروم لا يقرأ به سوى الأحداث وكان بينهم

١ قوله : كملت مجلسي ، هكذا في الأصل .

٢ الخيال : الجنون .

عمرو بن روحنا النصراني كان من أحسن أهل زمانه وأسلمهم طباعاً فهم به الشيخ مدرك عشقاً ولم يستحسن مواجهته ، فكتب رقعة وطرحها في حجره وفيها :

بمجالس العلم التي بك تم جمع جموعها
ألا رثيت لمقلة غرقت بماء دموعها
بيني وبينك حرمة ، الله في تضييعها

فلما قرأ عمرو الأبيات استحيا وخاف أهله وعلم بها من بالمجلس فانقطع عن مجلسه فاشتد به البلاء فترك المجلس والاشتغال ونظم هذه القصيدة ومرض مرضة شديدة. ووجد في كتاب فيه أخبار الشيخ مدرك أنه لما اشتد به المرض اتصل خبره بقاضي القضاة ببغداد وهو يومئذ أبو القاسم بن المحسن بن أبي الفهم التنوخي وأصله من المعرة وهو بمدوح أبي العلاء الممرى ، فشق عليه ذلك وقال لمن حضره إن كان موت هذا الرجل دنياً فإن لإحياء لمروءة. ثم أحضر الغلام وجبره على عيادته فعاده وقال له : كيف حالك ؟ فقال :

أنا في عافية إلا من الشوق إليك
أما العائد ما بي منك لا يخفى عليك
لا تمد جسماً وعد قلباً رهيناً في يديك
كيف لا يهلك مر شوق بسهمي مقلتيك

ثم شق شقة فمات . قال الراوي حساس بن محمد بن عيسى بن شيخ : فما برحت عنده حتى غسلته ودفنته وكانت هذه القصيدة سائبة اللزوم لا أرجوزة مطلقة ولا مسمطة بشرائط التسميط إذ شرطه على رأي الخليل ومن تابعه أن تكون الثلاثة أغصان على قافية بمفردها ويكون الرابع على قافية تنبئ عليها القصيدة بجميع أبياتها وترجع إليها، ومثل عليه بقول ابن الحريري :

أيا من يدعي الفهم إلى كم يا أبا الوهم تعبى الذنب والذم وتخطي الخطأ الجرم
فإنه حيث كان بناء المصراع الرابع على قافية الميم لم يفارقه إلى آخر القصيدة .

قال العبد الناظم هذا الديوان : وكنت وقعت في قريب مما وقع فيه الشيخ مدرك ورأيت القصيدة قابلة للتتميم بالتسميط فخمستها تخميساً لم أسبق إليه لأن من شأن التخميس أن تخمس الفصلان بثلاثة آخر قبلها ، وهاهنا خمسة : الأربعة بواحد بعدها، وقد ناسبت بين الألفاظ والمقاصد بحيث يتوهم السامع أنها لناظمها عملتها وهي :

من عاشقٍ ناءٍ ، هواهُ دانٍ ،
ناطِقٍ دَمْعٍ صامتِ اللسانِ
مُوثِقِ قلبٍ مُطَلَقِ الحُشمانِ ،
مُعَذِّبٍ بالصدِّ والهجرانِ
طَلِيقِ دَمْعٍ ، قلبُهُ في أسْرِ

من غيرِ ذَنْبٍ كَسَبَتْ يَداهُ ،
غيرَ هَوَى نَمَتْ بِهِ عَيْنَاهُ
شوقاً إلى رُؤْيَةٍ من أَشْقاءِ ،
كأنما عافاهُ مَنْ أَبْلَاهُ
إِذْ كَانَ أَصْلُ نَفْعِهِ وَالضَّرَّ

يا وَيْحَهُ من عاشقٍ ما يَلْقَى ،
من أدمعٍ منهلةٍ ما تَرَقَّا
ذابَ إلى أنْ كادَ يَفْنَى عِشْقاً ،
وعن دَقِيقِ الفِكرِ عَنهُ دَقَّا
فَكَادَ يَخْفَى عن دَقِيقِ الفِكرِ

لم يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ طَرْفٍ يَبْكِي ،
بأدمعٍ مثلِ نِظامِ السِّلَكِ
يُخَمِدُ نيرانَ الهَوَى ويُدْكِ ،
كأنَّها قَطْرَ السَّمَاءِ تَحْكِي
هيهاتَ هل قيسَ دَمٍّ بَقَطْرًا

إلى غَزالٍ من بَنِي النِّصارَى ،
فُضِّلَ بالحُسْنِ على العَدَارَى
كلُّ الْوَرَى منذُ نَشَأَ حَيَارَى ،
في رِبْقَةِ الحُبِّ لَهُ أَسَارَى
يُنشِدُ قولَ مُدْرِكٍ في عَمْرٍو^١

يا عمرو نَاشِدْتُكَ بالمَسيحِ
أَلَا سَمِعْتَ القَوْلَ من نَصيحِ
يُعَرِّبُ عن قَلْبٍ لَهُ جَرِيحِ ،
ليسَ من الحُبِّ بمُسْتَرِيحِ
كَسِيرِ قَلْبٍ ما لَهُ من جَبَرِ

١ يذكي : يشعل .

٢ الرَبْقَةُ : العروة في الحبل .

يا عمرو بالحقّ من اللاّهوت ، والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي خصّ من النعوت ، بالنطق في المهد ، وبالسكوت
وأنشر الميت بيطن القبر

بحقّ ناسوت بيطن مريم ، حلّ محلّ الروح منها في الفم
ثمّ استحال في القنوم الأقدم ، يكلمُ الناس ولما يُفطم
مصرّحاً عن أمّه بالعذر

بحقّ من بعد المات قمتصا ثوباً على مقداره ما قصصا
وكان لله تقياً مخلصاً ، ومبرئاً من أكمه وأبرصا
بما لديه من خفي السرّ

بحقّ مُحبي صورة الطيور ، بالتفخ في الموتى وفي القبور
ومن إليه مرجع الأمور ، يعلم ما في البرّ والبحور
وما به صرف القضاء يجري

بحقّ من في شامخ الصوامع من ساجد لربه وراكع
يبكي ، إذا ما نام كلّ هاجع ، خوفاً من الله بدمع هامع
ويهجّر اللذات طول العمر

بحقّ قوم حلّقوا الرؤوسا ، وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرّعوا في البيعة الناقوسا ، مشمعلين يعبدون عيسى
قد أخلصوا في سرهم والجهرا

أنشر الميت : أقامه من الموت .

مشعلين : متفرقين ، منتشرين

بِحَقِّ مَارِي مَرِّيمَ وَبُولُسَ ، بِحَقِّ شَمْعُونَ الصِّفَا وَبَطْرُسَ
 بِحَقِّ دَانِيْلَ وَحَقِّ يُونُسَ ، بِحَقِّ حَزَقِيْلَ ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ
 وَكُلِّ أَوَابٍ رَحِيْبِ الصَّدْرِ
 وَنِيْنَوَى إِذْ قَامَ يَدْعُو رَبَّهُ مُطَهَّرًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ قَلْبَهُ
 وَمُسْتَقِيْلَ ، فَأَقِيْلَ ذَنْبَهُ ، وَنَالَ مِنْ أَبِيهِ مَا أَحَبَّهُ
 إِذْ رَامَ مِنْ مَوْلَاهُ شِدَّةَ الْأَزْرِ^١
 بِحَقِّ مَا فِي قَلَّةِ الْمَيْرُونِ مِنْ نَافِعِ الْأَدْوَاءِ لِلْجُنُونِ
 بِحَقِّ مَا يُؤَثِّرُ عَنْ شَمْعُونَ مِنْ بَرَكَاتِ النَّخْلِ وَالزَّيْتُونِ
 خِصْبِ الْبِلَادِ فِي السَّنَنِ الْغُبْرِ^٢
 بِحَقِّ أَعْيَادِ الصَّلِيبِ الزَّهْرِي ، وَعِيدِ مَارِيَا الرَّفِيعِ الذِّكْرِ
 وَعِيدِ أَشْمُونِي ، وَعِيدِ الْفِطْرِ ، وَبِالشَّعَانِينِ الْجَلِيلِ الْقَدْرِ
 مَوَاسِمُ تَمْنَعُ حَمَلَ الْإِصْرِ^٣
 وَعِيدِ اشْعِيَا وَبَاهِيَا كُلِّ ، وَالدُّخْنِ اللَّاتِي لَوْضَعِ الْحَامِلِ
 يَشْفَى بِهَا مِنْ كُلِّ خَبَلٍ خَابِلٍ ، وَمَنْ دَخَلَ السَّمَاءَ فِي الْمَقَاصِلِ
 لِكُونِهَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ تَبْرِئُ^٤
 بِحَقِّ سَبْعِينَ مِنَ الْعِبَادِ ، قَامُوا بِدِينِ اللَّهِ فِي الْبِلَادِ

١ شمعون الصفا وبطرس : كلاهما واحد . الأواب : التائب .

٢ لعله أراد بنينوى يونان .

٣ القلة : الكوز الصغير .

٤ الإصر : الإثم .

٥ الدخن ، الواحدة دخنة : ذريرة تدخن بها البيوت . الخبل : الجنون .

وأرشدوا الناسَ إلى الرِّشَادِ ، حتى اهتدى مَنْ لم يكن بالهادي
وحَقَّقَ الحَقُّ بِكَشْفِ السِّتْرِ

بِحَقِّ الاثني عشرَ مِنَ الْأَمَمِ ، ساروا إلى الرَّحْمَنِ يَتَلَوْنَ الْحِكَمَ
حتى إِذَا صُبْحُ الْهَدْيِ جَلَا الظُّلُمَ ، صاروا إلى اللَّهِ ففازوا بِالنَّعَمِ
ثمَّ اسْتَدَامُوهَا بِفَرَطِ الشُّكْرِ

بِحَقِّ مَا فِي مُحْكَمِ الْإِنْجِيلِ مِنْ مُسْزَلِ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ
وَبِالْبَتُولِ وَالْأَبِ الْهَيُولِي ، بِحَقِّ جِيلٍ قَدْ مَضَى وَجِيلٍ
يُسْنِدُ زَيْدٌ عِلْمَهُ عَنْ عَمْرِو

بِحَقِّ مَا رَعَى عَبْدُ التَّقِيِّ الصَّالِحِ ، بِحَقِّ لَوْقَا ، بِالْحَكِيمِ الرَّاجِعِ
وَالشَّهْدَاءِ بِالْفَلَاحِ الصَّاحِبِ ، مِنْ كُلِّ غَادٍ مِنْهُمْ وَرَائِحِ
مُعْتَبَرٌ فِي صَوْمِهِ وَالْفِطْرِ

بِحَقِّ مَعْمُودِيَةِ الْأَرْوَاحِ ، وَالْمَذْبَحِ الْمُتَعَمِّرِ فِي النَّوَاحِي
وَمَنْ بِهِ مِنْ لَا بَيْسِ الْأَمْسَاحِ ، مِنْ رَاهِبٍ بَاكِ وَمِنْ نَوَاحِ
يَنْدْرِفُ لَيْلًا دَمْعُهُ وَيُنْذِرِي

بِحَقِّ تَقْرِيبِكَ فِي الْآحَادِ ، وَشُرْبِكَ الْقَهْوَةَ كَالْفِرْصَادِ
وَمَا بَعْثَيْنِكَ مِنَ السَّوَادِ ، بِطُولِ تَقْطِيعِكَ لِلْأَكْبَادِ
وَسَلْبِكَ الْعِشَاقَ حُسْنَ الصَّبْرِ^٢

١ الصحاح ، الواحد صححان : ما استوى من الأرض وكان أجرد .

٢ الفرصاد : التوت الشامي .

بِحَقِّ شَمْعُونَ ، وما يَرْوِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وبالتَّزْيِيزِ
وَكُلَّ نَامُوسٍ لَهُ فَقِيهِ ، مُؤْتَمِّنٍ فِي دِينِهِ وَجِيهِ
مُتَّبِعٍ فِي نَهْيِهِ وَالْأَمْرِ

شَيْخَيْنِ كَانَا مِنْ شُيُوخِ الْعِلْمِ ، وَبَعْضُ أَرْكَانِ التَّقَى وَالْحِلْمِ
لَمْ يَنْطَقَا قَطَّ بِغَيْرِ الْفَهْمِ ، مَوْتُهُمَا كَانَ حَيَاةَ الْخَصْمِ
وَعَنْهُمَا أَخْبَرَ كُلَّ حَبِيبٍ

بِحُرْمَةِ الْأَسْقُفِّ ، بِالْمَطْرَانِ ، وَالْجَائِلِيْقِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي
وَالْقِسِّ ، وَالشَّمَّاسِ ، وَالْغُفْرَانِ ، وَالْبَطْرُكِ الْأَكْبَرِ ، وَالرَّهْبَانِ
وَالْمُقَرَّبَانِ ذِي الْخِصَالِ الزُّهْرِيَّ

بِحُرْمَةِ الْمَحْبُوسِ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ ، بِحَقِّ لَوْقَا حِينَ صَلَّى وَابْتَهِلَ
وَبِالْمَسِيحِ الْمُتَرْضَى وَمَا فَعَلَ وَبِالْكَنِيسَاتِ الْقَدِيمَاتِ الْأَوَّلِ
وَبِالَّذِي يُتْلَى بِهَا مِنْ ذِكْرِ

بِكُلِّ نَامُوسٍ لَهُ مُقَدِّمٌ ، يُعَلِّمُ النَّاسَ وَلَمَّا يَعْلَمِ
بِحُرْمَةِ الصَّوْمِ الْكَبِيرِ الْأَعْظَمِ ، وَمَا حَوَى الْمِيلَادُ لابْنَ مَرْيَمَ
مِنْ شَرَفِ سَامٍ عَظِيمِ الْفَخْرِ

بِحَقِّ يَوْمِ الذَّبِيحِ فِي الْإِشْرَاقِ ، وَلَيْلَةِ الْمِيلَادِ وَالسَّلَاقِ
بِالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ لَا الْأَوْرَاقِ ، بِالْفِصْحِ يَا مَهْدَبَ الْأَخْلَاقِ
وَكُلِّ مِيقَاتِ جَلِيلِ الْقَدْرِ

- ١ الجبر بالفتح والكسر : العالم الصالح ، ورئيس من رؤساء الدين عند المسيحيين .
- ٢ الجائليق : متقدم الأساقفة . وقوله المقربان : لم نجدها ، ولا نعلم ماذا أراد بها .
- ٣ يوم الذبيح في الإشراق : لا نعلم ما هو . السلاق : عيد الصعود عند المسيحيين .

أَلَا سَعَيْتَ فِي رِضَى أَدِيبٍ . بَاعِدَهُ الْحُبُّ عَنْ الْحَبِيبِ
 فذَابَهُ شَوْقًا إِلَى الْمَذِيبِ . أَعْلَى مُنَاهُ أَيْسَرُ الْقَرِيبِ
 مِنْ بَسَطِ أَخْلَاقٍ وَحُسْنِ بَشَرٍ^١
 وَاَنْظُرْ أَمِيرِي فِي صَلَاحِ أَمْرِي ، مُحْتَسِبًا فِي عَظِيمِ الْأَجْرِ
 مَكْتَسِبًا مِنِّي جَمِيلَ الشُّكْرِ ، فِي نَظْمِ أَلْفَاظٍ وَنَظْمِ شِعْرِ
 فَفَيْكَ نَظْمِي أَبَدًا وَنَثْرِي

شكوت إليك الجوى

وقال وقد اقترح عليه السلطان الملك المؤيد
 صاحب حماة تخميس أبيات غنيت بمجلسه لمغاربة
 فخمها يديها بالمجلس :

شَكُوتُ إِلَيْكَ الْجَوَى ، فَلَمْ تَسْتَسْجِ بِالذَّوَى
 فَمَذْ طَالَ عَمْرُ النَّوَى ، جَعَلْتُ إِلَيْكَ الْهُوَى
 شَفِيعًا ، فَلَمْ تُشْفِعِي^٢
 صَرَمْتُ حِبَالَ الْوَفَا ، وَكَادَ رُثْنِي بِالْخَفَا
 فَحَاوَلْتُ مِنْكَ الصَّفَا ، وَنَادَيْتُ مُسْتَعْطِفًا
 رِضَاكَ ، فَلَمْ تَسْمَعِي

١ قوله : فذابه شوقاً ، هكذا في الأصل ، والوجه : أذابه .

٢ الذوى : النماج الصغيرة ، ولا معنى لها هنا ، ولعلها محرفة ، وقوله : فلم تشفعني ، هكذا في الأصل .

تُراكَ إِذَا مَا اشْتَقَى عِدَاكَ ، وَزَالَ الْحَقُّ
وَأَمْرَضَنِي بِالْحَقِّ . أَتَارِكْتِي مُدْنَفًا
أَخَا جَسَدٍ مُوجِعٍ
تُرَى هَلْ لِعَيْشِي رُجُوعٌ بِمُؤْنِسَتِي فِي الرَّبُّوعِ
وَفَاجَعَتِي بِالْهُجُوعِ . وَمُغْرِقَتِي بِالْدُمُوعِ
وَقَدْ أَحْرَقَتْ أَضْلُعِي
لَقَدْ كُنْتُ طَوَعَ الْهَوَى ، وَنَحْنُ بِحَالٍ سَوَا
فَكَيْفَ أَكْفَى النَّوَى ، وَفَوَادِي قَدْ انْكَوَى
بِالنَّظَرِ الْمُطْمِعِ
أَطَعْتُ فَعَاصَيْتَنِي ، وَبِالصَّبْرِ أَوْصَيْتَنِي
فَمَنْ قُلْتُ خَصَيْتَنِي : جَقَوْتُ وَأَقْصَيْتَنِي
فَهَلَا ؟ وَقَلْبِي مَعِي

الهوى حرم

قال وهي من الفراقيات :

وَحَقٌّ مَنْ لَا سِوَاهُمْ عِنْدِي الْقَسَمُ ، وَمَنْ بَغَيْرِ هَوَاهُمْ لَيْسَ لِي قَسَمٌ
وَمَنْ أُمُوهُ بِالذِّكْرِ لَغَيْرِهِمْ مُعَرِّضًا بِسِوَاهُمْ ، وَالْمَرَادُ هُمْ

أَهْوَى جُحُودَ الْهَوَى لَا بَلْ أَدِينُ بِهِ ،
مَا كُلَّ مَنْ صَانَ لِجَلَالٍ لِمَالِكِهِ
اسْتَوْدَعُ اللَّهَ قَوْمًا مَا أَفَارِقُهُمْ ،
وَمَنْ لَكثَرَةَ تَمَثِيلِي لِشَخْصِهِمْ ،
أَظَنَّهُمْ مَا دَرَوْا مَا بِي وَقَدْ رَحَلُوا ،
سَادُوا وَقَدْ تَرَكَوا جِسْمِي بِلَا رَمَقٍ
صَادُوا فَوَادِي وَحِلِّ الصَّيْدِ مُمْتَنِعٌ ،
يَا غَائِبِينَ ، وَمَا غَابَتْ مَحَاسِنُهُمْ ،
نَمْتُمْ وَلَمْ تَحْلَمُوا بِي فِي رُقَادِكُمْ ،
وَحَقٌّ مُوثِقٌ عَهْدٍ كُنْتُ أَعْهَدُهُ ،
مَا لَذَلِّي الْعِيشُ مُذْ غَابَتْ مَحَاسِنُكُمْ ،
قَدْ كَانَ لَيْلِي نَهَارًا مِنْ ضِيَائِكُمْ ،
عَشَقْتُكُمْ لِحِلَالٍ كُنْتُ أَعْرِفُهَا ،
لَا تَنْقُضُوا ذِمَّتِي بَعْدَ الْوَفَاءِ بِهَا ،
لَا ذَنْبَ لِي يَوْجِبُ الْهَجْرَانَ عِنْدَكُمْ ،
أَعْطَى الزَّمَانُ نَفْسًا مِنْ وَصَالِكُمْ ،
إِلَى مَنْ الْمُسْتَكِي إِنْ عَزَّ قَرْبُكُمْ ،
قَدْ كُنْتُ أَقْهَرُ صَرَفَ الْحَادِثَاتِ بِكُمْ ،
كَمْ قَدْ بَكَيْتُ وَقَدْ سَارَتْ رَكَائِبُكُمْ ،

وَلِنْ أَقَرَّ بِهِ التَّبْرِيحُ وَالسَّقَمُ
غَرَامَهُ ، فِي صَفَاءِ الْوَدِّ مُتَّهَمُ
إِلَّا وَتُدْنِيهِمُ الْأَفْكَارُ وَالْحُلُمُ
أُظُنُّ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنَّهُمْ قَدِمُوا
تَاللَّهِ لَوْ عَلِمُوا حَالِي بِهِمْ رَحِمُوا
عِنْدِي ، لَيَسُدُّبُهُمْ ، وَالْقَلْبُ عِنْدَهُمْ
لَهُمْ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الْهَوَى حَرَمُ
وَنَازِحِينَ ، وَأَقْصَى بَيْنِهِمْ أَمَمُ
وَمَعَ سُهَادِي بِكُمْ يَقْظَانُ أَحْتَلِمُ
وَصَحْبَةً خِلْتُ جَهْلًا أَنَّهَا رَحِيمُ
وَلَا حِلَّتْ ، بَعْدَ رُؤْيَاكُمْ ، لِي النِّعَمُ
فَالْيَوْمَ ضَوْءُ نَهَارِي بَعْدَكُمْ ظُلَمُ
وَلِنَّمَا تُعَشِّقُ الْأَخْلَاقُ وَالشِّيمُ
إِنَّ الْكِرَامَ لَدَيْهَا تُحْفَظُ الذِّمَمُ
وَهَبَهُ كَانَ ، فَأَيْنَ الْعَفْوُ وَالْكَرَمُ
فَارْتَدَّهُ ، وَعَرَاهُ بَعْدَهُ نَدَمُ
مِمَّا جَنَى الدَّهْرُ وَهُوَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ
فَالْيَوْمَ أَصْبَحَ صَرَفُ الدَّهْرِ يَتَّقِمُ
فَالدَّمْعُ يَسْفَحُ ، وَالْأَحْشَاءُ تَضْطَرِمُ

ما للمدامعِ لا تُطْفِئِ لَهْطِي كَسِيدِي ، وَيُغْرِقُ الرَّكَبَ مِنْهَا سِيلُهَا الْعَرَمُ ،
وَقَفْتُ أَظْهَرُ لِلْعُدَالِ مَعْدِرَةً عَنْكُمْ وَإِنْ صَحَّ عِنْدَ النَّاسِ مَا زَعَمُوا
قَالُوا : غَدًا مُغْرَمًا طَوَّلَ الزَّمَانِ بِهِمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مُغْرَمٌ بِكُمْ

فراق دون إياب

تَسْنَرُهُ عَتَبِي عَنْ خَطَاكَ صَوَابُ ، وَصَمْتِي عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ جَوَابُ
وَمَا كُلُّ ذَنْبٍ يَحْسُنُ الصَّفْحُ عِنْدَهُ ، أَلَا رُبَّ ذَنْبٍ لَيْسَ مِنْهُ مَتَابُ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكَ رَسَائِلُ ، وَفِي كُلِّ طَوْرِ وَقْفَةٍ وَعِتَابُ
أَعْتَلُّ رُوحِي بِالْوُرُودِ عَلَى الظَّمَا ، وَأُطْمِعُهَا بِالمَاءِ ، وَهُوَ سَرَابُ
أَتَجْعَلُ غَيْرِي فِي هَوَاكَ مِمَّاثِلِي ، وَمَا كُلُّ أَعْلَاقِ الْخِيُولِ سَكَابُ
إِذَا كَدَّرَتْ وَرْدِي الْأَسْوَدُ أَبَيْتُهُ ، فَكَيْفَ إِذَا مَا كَدَّرَتْهُ كِلَابُ
وَمَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ عَلَيَّ ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ بِهَذَا لَا عَلَيَّ يُعَابُ
أَبَى اللَّهُ أَنْ أُلْقَى قَبِيحَكَ بِالرَّضَى ، فَصَبْرِي عَلَى ذَاكَ الْمُصَابِ مُصَابُ
إِذَا اخْتَلَّ وَدَّ الْخَيْلُ مِنْ غَيْرِ مُوجِبُ ، فلي نَحْوِ أَهْلِ الْوَدِّ مِنْهُ ذَهَابُ
وَكُنْ غَرَامِي فِيكَ ، إِذْ كُنْتَ وَامِقًا ، بِصَوْنِي ، كَمَا صَانَ الْحُسَامُ قِرَابُ
وَقَدْرُكَ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ مُمْنَعًا ، لَكَ الْعِزُّ ثَوْبُ ، وَالْحَيَاءُ نِقَابُ

١ الاعلاق ، الواحد علق : النفيس من كل شيء . سكاب : اسم مهرة من عناق الخيل .

وما بَيْنَنَا سِرٌّ يُرَاعَى سِوَى التَّقَى ، ولا دُونَنَا إِلَّا الْعَفَافُ حِجَابُ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحَيِّ مُهْمَلًا . لكلِّ مُرِيدٍ نَحْوَ وَصْلِكَ بَابُ
فلا تَدْعُنِي لِلْقُرْبِ مِنْكَ جَهَالَةً . فما كلِّ دَاعٍ فِي الْأَنَامِ يُجَابُ
وليسَ فِرَاقٌ ما اسْتَطَعْتُ ، فَإِنْ يَكُنْ فِرَاقٌ عَلَى حَالٍ . فليسَ إِيَابُ

أمير الملاح

قال وهي أبيات مردوفة على
طريق الموشح :

طافَ ، وفي راحتهِ كأسُ راحٍ ، مَوْقَرُّ الرَّدْفِ سَفِيهُ الْوِشَاحِ
يُجِيلُ فِي عُشَّاقِهِ أَعْيُنًا ، نحنُ بها المَرْضَى وَهْنُ الصَّحاحِ
مُقَرَّرَطَقُ مُنْطَقٍ ، إِذَا نَطَقَ ظَنَنْتُ عَنْهُ الْمِسْكَ وَالنَّدْفَ فَاحٍ
يُسْكِرُنَا مِنْ نُطْقِ الْحَاضِرِ ، وَالسُّنُّ الْأَعْيُنِ خَيْرُ سَفَاحِ
كَأَنَّهُ ، وَالكَأْسُ فِي كَفِّهِ . بَدْرُ الدَّجَى يَحْمِلُ شَمْسَ الصَّبَاحِ
قَدْ أَشْرَقَ ، وَأَبْرَقَ ، وَأَحْرَقَ قَلْبِي بِنَارِ الْوَجْدِ وَالْإِلْتِياحِ
تَمَّتْ مَعَانِي الْحُسْنِ فِي وَجْهِهِ . حَتَّى غَدَا يُدْعَى أَمِيرَ الْمِيسَلِاحِ

١ المَقْرَطَقُ : اللباس القُرْطَقُ : ضرب من اللباس . المنْطَقُ : اللباس النطاق : ما يشد به الوسط .

٢ الإِلْتِياحُ : العطش .

أَحْوَى لَهُ خَدُّ سَقَاهُ الْحَيَا فَأُورَثَ الْأَحْدَاقَ مِنْهُ^١ انْتِفَاحُ
 فَحَلَّقَ . تَأَلَّقَ . فَطَلَّقَ . نومي . وراجعتُ البكا والنواح
 مُهَفِّفٌ تَحْسِبُهُ أَعْزَلًا . وَهُوَ مِنَ الْأَلْحَاطِ شَاكٍ السَّلَاحِ
 مُتْرَكُ اللَّحْظِ لَهُ قَامَةٌ^٢ . أَلْطَفُ هَزْأً مِنْ قُدُودِ الرِّمَاحِ^٣
 وَأُرْشَقَ وَأَمْشَقَ . فَمَا أُعْشِقَ قَلْبِي لَهُ فِي جِدِّهِ وَالْمَزَاحِ

حامل الهوى

قال من الموشح المضمن وهو من مخترعاته التي
 لم يسبق إليها والأبيات منقولة لأبي نواس
 وقيل إنها لابن الحريري :

وَحَقَّ الْهُوَى مَا حَاتَ يَوْمًا عَنِ الْهُوَى . وَلَكِنْ نَجْمِي فِي الْمَحَبَّةِ قَدْ هَوَى
 وَمَا كُنْتُ أَرْجُو وَصَلَ مَنْ قَتَلِي نَوَى ، وَأَضْنَى فَوَادِي بِالْقَطِيعَةِ وَالنَّوَى^١
 لَيْسَ فِي الْهُوَى عَجَبٌ ، إِنَّ أَصَابَنِي النَّصَبُ
 حَامِلُ الْهُوَى تَعِيبٌ ، يَسْتَفِزُّهُ الطَّرَبُ
 أَخُو الْحَبِّ لَا يَنْفَكُ صَبًا مَتِيمًا ، غَرِيقَ دُمُوعٍ قَلْبُهُ يَشْتَكِي الظَّمَا

١ الانتفاح : الوقاحة .

٢ مترك اللحظ : أراد تركي اللحظ .

٣ قتلي نوى : أي عزم على قتلي . النوى : الفراق .

لَفَرَطِ الْبُكَاءِ صَارَ جِلْدًا وَأَعْظُمًا ،
الْغَرَامُ أَنْخَلَهُ ،
إِنْ بَكَى يُحَقِّقْ لَهُ ،
أَلَا قُلْ لِدَاتِ الْحَالِ يَا رَبَّةَ الذِّكَا ،
شَكَوْتُ غَرَامِي لَوَرَّثَيْتِ لِمَنْ شَكَا ،
فَانْتَشَيْتِ سَاهِيَةً ،
تَضَحَّكِينَ لَاهِيَةً
أَسْرَتْ فَوَادِي حِينَ أَطْلَقْتِ عِبْرَتِي ،
وَلَمَّا رَأَيْتِ السَّقَمَ أَنْخَلَمَ مُهْجَتِي ،
صِرْتُ إِنْ بَدَأَ أَلَمِي .
تَعَجَّبِينَ مِنْ سَقَمِي ،
تَحَجَّبْتِ عَنْ عَيْنِي ، فَأَيَقَنْتُ بِالشَّقَا ،
فَلَمَّا أَمَطْتُ السَّرَّ وَارْتَحْتُ بِاللَّقَا ،
حِينَ تَرَفَّعَ الْحُجُبُ ،
كَلَّمَا انْقَضَى سَبَبُ
فَلَا عَجَبُ أَنْ يَمْزُجَ الدَّمْعَ بِالْدمَا
إِذَا أَصَابَ مَقْتَلَهُ
لَيْسَ مَا بِهِ لَعِبُ
وَمَنْ بَضِيَاءِ الْوَجْهِ فَاقَتْ عَلَى ذُكَا
وَأُطْلِقَتْ دَمْعِي لَوْ شَفَى الدَّمْعُ مِنْ بَكَى
وَالْقُلُوبُ وَاهِيَةً
وَالْمُحِبُّ يَسْتَحِبُّ
وَبَدَّلْتَنِي مِنْ مُنِيَّتِي بِمُنِيَّتِي
تَعَجَّبْتِ مِنْ سَقَمِي وَانْكَرْتِ قَتْلِي
عِنْدَمَا أَرَقْتُ دَمِي
صِحَّتِي هِيَ الْعَجَبُ
وَأَيَسَّنِي فَرَطُ الْحِجَابِ مِنَ الْبَقَا
غَضِبْتَ بِلَا ذَنْبٍ وَعَاوَدْتَنِي لِقَا
مِنْكَ يَصْدُرُ الْغَضَبُ
مِنْكَ عَادَنِي سَبَبُ

واطول خوفي

قال من الموشح المجنح
ويسمى أيضاً الشعرى :

عَزَمْتَ ، يا مُتَلَفِي ، على السَّفَرِ ، واطولَ خَوْفِي عليكَ واحْدَرِي
يُؤَيِّسُنِي من لِقَاكَ قَوْلُهُمْ بأنه لا رجوعَ للقَمَرِ
تَسَهَّلْ مُضْنَى جَفَاكَ ، تَحْمَلْ ذُبْتُ فِي هَوَاكَ
يا مَنْ حَكَمَ الظِّيَّ في تَلَقُّتِهِ ، وفاقَهُ بالدَّلالِ والحَفَرِ
أَتَلَقَّتَنِي بالصدودِ مُعْتَدِيًا فذلَّ عِزِّي وعِزُّ مُصْطَبِرِي
تَدَلَّلْ مُهْجَتِي فِدَاكَ ، تَسَهَّلْ بَعْضَ ذَا كَفَاكَ
ودَعَتَنِي ، والدَموعُ سائِحَةٌ ، لو عَرَضْتَ لِلْمَطِيِّ لم تَسِرِ
وخاطِرِي بالفِرَاقِ مُنْكَسِرٌ ، ولاعِجُ الوَجْدِ غَيْرُ مُنْكَسِرِ
مُبْلَبِلٌ أُرْتَجِي لِقَاكَ ، أُعَلِّلُ انْسِي أَرَاكَ
عَلَيْكَ جِسْمٌ كالماءِ رِقَّتُهُ ، يَضُمُّ قَلْبًا قد قُدَّ من حَجَرِ
وطلَعَةٌ كالهلالِ مُشْرِقَةٌ ، تَزْهِي على غُصْنِ قَدَاكَ النَضِيرِ
إذا أَقْبَلَ يَخْجَلُ الأَرَاكَ وَيَذْبُلُ عِنْدَما يَرَاكَ
إن قِيلَ قد رُمْتَ في الهَوَى بَدَلًا فانظُرْ ، فَلَيْسَ العِيَانُ كالخَبَرِ
فَتَشْ فُؤَادِي ، فَأَنْتَ سَاكِئُهُ ، فَلَيْسَ فِيهِ سِوَاكَ من بَشَرِ
تَأْمَلْ هَلْ بِهِ سِوَاكَ لِيُقْفَلَ ، مَقْتَضَى رِضَاكَ

كأنَّ نارَ الحَحيحِ هجرُكَ لي ، لم تُبقِ من مُهجَّتِي ولم تَدِرْ
 إن كان أَقصى مُنَّاكَ سَفْكَ دمي فليسَ عِندي لَذاكَ من أَثيرِ
 أَيَحْمِلُ حَتْفاً مَن رَجَاكَ وَيُقَتِّلُ ، وَهُوَ في حِمَاكَ
 يا قلبٍ قد كانَ ما بليتَ به ، فاصبرِ لِحُكْمِ القَضَاءِ والقَدَرِ
 فالصبرُ كالصَّبْرِ في مَرَّارَتِهِ ، لكنَّ فيه عَوَاقِبَ الظَّفَرِ
 تحمَلُ في الهوى أَذاك ، نُدُلُّلَ كَي نَرَى مُنَّاكَ

كثير الحسن قليل الوفاء

قال موشعاً وأغصانه من وزن الدوبيت :

عَيْنُ حَبِيبِي أُعِيدُهَا بِاللَّهِ ، ما أَوْقَعَنِي في عِشْقِهِ إِلَّا هِي
 مُذْ قَاطَعَنِي وَصَدَّ عَنِّي لَاهِي ، أَجْرَى عِبْرَتِي ، وَأَذَكِي زَفَرَتِي
 أَمْسَيْتُ وَطِيبُ النُّومِ عَن أَجْضَانِي فَانِي
 لَمَّا تَجَافَانِي أَرَعَى النُّجُومِ
 أَهْوَى قَمَرًا هَوَيْتُ عَيْنِيهِ وَفَاه ، ما أَكْثَرَ حُسْنَهُ ، وَإِنْ قَلَّ وَفَاه
 وَالْعَاذِلُ يُغْرِي فِيهِ إِنْ لَامَ وَفَاه ، أَمْسَى في ضِرَامٍ مِنْ نَارِ الْفَرَامِ
 إِنْ كَانَ عَدُولِي الَّذِي أَغْرَانِي رَأَنِي
 فِي حَرِّ نِيرَانٍ . لِمَ ذَا يَلُومُ

لَمَّا شَهَرَ الْحَبُّ مِنَ التَّحْظِ نِصَالُ ،	أَكْثَرْتُ عِتَابَهُ وَقَدْ صَدَّ وَصَالُ
كَيْ أَنْعَمَ بِالْكَلامِ مِنْ غَيْرِ وَصَالُ	نَاجَيْ بِالْكَلامِ مِنْ بَعْدِ السَّلَامُ
لَوْ لَمْ يَكُنِ الْحَبِيبُ	إِذْ نَاجَانِي جَانِي
بِالْوَصْلِ تَجَانِي	مِنْ ذِي الْهُمُومِ
يَا مَنْ بِهِوَاهُ صِرْتُ فِي الْحَبِّ أُسِيرُ	حَيْرَانًا إِلَى مَسَالِكِ الذَّلِّ أُسِيرُ
وَاللَّهِ أَرَى تَخْلَصِي مِنْكَ عَسِيرُ	لَوْ رُمْتُ انْتِقَالَ عَنْ هَذَا الْجَمَالِ
مَا كَانَ إِذَا كُنْتُ	عَنِ الْإِخْوَانِ وَاثِي
وَرُمْتُ سُلُوفِي ،	عُذْرِي يَقُومُ
لَوْ صِرْتُ مِنَ السَّقَامِ فِي زِيِّ سِوَاكَ	لَا أَعْشَقُ دُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ سِوَاكَ
لَا كُنْتُ إِنْ انْشَنَيْتُ عَنْ دِينِ هَوَاكَ	أُدْعَى فِي الْأَنَامِ مِنْ أَهْلِ الذَّمَامِ
بَلْ كُنْتُ بِهَا لِعَابِدِ الْأَوَّلِ	ثَانِ ثَانِي
إِنْ صَدَّقْتَنِي ثَانِ	عَمَّا أَرُومُ

بِي ظَبْيِ حِمَى

وقال من ذلك ما اخترع وزنه
السلطان الملك المؤيد صاحب حماة واقتصره
عليه امتحاناً له طاب ثراه :

بِي ظَبْيِ حِمَى وَرَدُّ خَدَّهِ صَارِمُ التَّحْظِ	قَاسٍ غَرَّتْنِي مِنْهُ رِقَّةُ الْخَدِّ وَاللَّفْظِ
ذُو فَرَعٍ بِمَحْضِ اعْتِنَاقِ أَرْذَافِهِ مُحْظِي	مَا لِي لَمْ أَتْلُ حِظَّهُ كَمَا قَدْ حَكَّتِي حِظِّي

بدیعُ المعاني من الأعمار أحسن
 إلینا أسا لحظه واللفظ أحسن
 قد حازَ المعاني لجمعه ، والصدّ بالصدّ من ماءٍ ونارٍ تَضُمُّها صفحةُ الخدّ
 والفرقُ الذي شقَّ ليلَ فاحمه الجعدِ أضحى للورى یقرنُ الضلالةَ بالرشدِ
 بفرعٍ دجى الليل فيه قد تعین
 وفرقٍ سنّى الصبح فيه قد تبین
 هل يدري الذي باتَ عن عَمَّا الحب في شكَّ ماذا لاقت العربُ من طُبی أَعین التَّركِ
 قد قلَّ احتمالي وليس لي طاقةُ التَّركِ أَلقَتني العیونُ المِراضُ في معرَكَ ضَنكَ
 سباني عزیزٍ من الأتراكِ أَعین
 بقَدِّ رَشیقٍ من الأغصانِ أَلین
 قولاً للذي ظلَّ بالحیا كاسرَ الجفنِ ، ما بالی أرى سيفَ لحظه كاسرَ الجفنِ
 ما شرطُ الوفا أن یزیدَ حسنُك في حزني إذ مُهَجَّتني زادَ خَلَقَه واهبُ الحسنِ
 فمِنْ حَبَّةِ القلبِ نَقَطَ الخالِ كَوْنِ
 كما من دمي صفحةً الخَسَدِ لَوْنِ
 يا مَنْ قد لحاني لو كنتَ تهدي إلى الحقَّ ما رُمْتُ انتقالي عَمَّنْ غدا مالکاً رقي
 بدرٍ ليسَ یَرْضَى بغيرِ قلبي من أفقٍ ، یَرْضِیني عَذابي به ولم أرضَ بالعِشْقِ
 وسلطانُ حُسن بقایي قد تَمَكَّنْ
 وأسمی له في صَمی مِ القلبِ مَسْكَنِ
 لما أن أتى زائراً بلا موعِدٍ حَبَّي ، أعدیتُ الدَجَى رَقَّةً بما رَقَّ من عَتَي

أبدي من رقيق العتاب ما رقّ للقلب
 حتى نشر الشرق ما طوته يد الغرب
 وأشكرو بلفظ به
 الألباب تُفَن
 وأبكى بدمع من ال
 أنسواء أهت
 كم خود غدت وهي في غرامي به مثلي
 تلحاني لعتي له وتزري على عقلي
 قالت: لا تُسائل ربّ الجمال عن الفعل
 لو انّ الليالي تجود لي منه بالوصل
 كان نرك عتابه ،
 ونعمل غير ذا الفن
 وذلك الذي بيننا
 في الوسط يدفن

رب العيون القواثل

قال وقد اقترح عليه أحد الأعيان بحلب نظم موشح في غرض
 له من أنواع الغزل معارضاً لموشح الأستاذ أبي بكر بن تقي
 المغربي الذي أوله :

لست من اسر هواك محلا ، لو يكن إذا ما طلبت سراحا
 وإن تكن الحرجة زجلية فنظم :

صاحب السيف الصّقل المحلّا ، جرد اللحظ ، وألق السلاح
 لك يا ربّ العيون القواثل
 ما كفّي عن حمل سيف وذابل
 أعين تبّدو لديها المقاتل

١ هاتان التوشيحتان الأخيرتان هما بألفاظ الرجل تسميها المغاربة والمصريون خرجة زجلية اقترحها
 أيضاً عليه .

ما سرى في جفنها الغنجُ إلا
 وغزالٍ من بني التّر
 خدهُ باللفظِ لا باللحْ
 فلَ جيشَ الليلِ
 أشرقتْ خداهُ ، والراحُ تجلّى ،
 زارني ، والليلُ قد
 فأرانا وجهه
 كلما مالتْ به
 وتبدّى وجهه وتجلّى
 وعذولٍ باتَ لي
 إذ رأني من أذى
 قلتُ : قل ، إنني برو
 قال : مه لا تعصني ! قلتُ : مهلاً ،
 ربّ ليلٍ باتَ
 وخضابُ الليلِ
 فسقاني الريقَ ،
 قال : املاي الكأسَ بالراحِ أم لا
 قال لي في العتبِ
 ويدي تدنيه نحو
 حُلّتْ ما بيني
 أوثقتُ منّا القلوبَ جراحاً
 كِ المي
 ظِ يدمي
 لَمّا ألَمّا
 فتوهمتُ اغتياي اصطباحاً
 مدّة ذِيلاً
 الشمسِ ليلاً
 الراحُ ميلاً
 صيرَ الليلَ البهيمَ صباحاً
 عنه زاجرٍ
 القولِ حاذِرٍ
 حي مخاطِرٍ
 لستُ أخشى مع هواهُ افتضاحاً
 فيه مواصلٍ
 بالصبحِ ناصِلٍ
 والكأسُ واصلٍ
 قلتُ : حسبي ريقك العذبُ راحاً
 والليلُ هادي
 وسادي :
 وبينَ رُقادي

جاعِلاً يُمنَاكَ للِسَاقِ حِجْلًا ، وَالْيَدَ الْيُسْرَى لِحَصْرِي وَشَاحًا
 وَفَتَاةٍ وَاصْلَتْهُ وَمَالَتْ
 تَبْتَغِي تَقْبِيلَهُ حِينَ زَالَتْ
 فَانْشَنَى عَنْهَا نِفَارًا فَقَالَتْ :
 عَنْ مَيِّتٍ لَيْلَةً مَا تَسْمَعُ بِقَبْلِهِ ، لَا عَدِمْنَا مِنْكَ هَذَا السَّمَاحَةَ

شرك الرقاد

قال من الغزل من لحن الدوبيت :

لَا تَحْسَبْ زُورَةَ الْكَرَى أَجْفَانِي مِنْ بَعْدِكَ مِنْ شَوَاهِدِ السُّلُوفِ
 مَا أُرْسَلَتِ الرَّقَادَ إِلَّا شِرَاكًا ، تَصْطَادُ بِهِ شَوَارِدَ الْغِزْلَانِ

كلما أعادوه حلا

فِي مِثْلِكَ يَسْمَعُ الْمَحِبُّ الْعَدْلَا : مَا كُلَّ حَبِّ سَمِعَ الْعَدْلَ سَلَا
 مَا أَسْمَعُهُ إِلَّا لِأَزْدَادِ هَوَايَ . إِذَا ذِكْرُكَ كَلَّمَا أَعَادُوهُ حَلَا
 ١ وهذان القفلان أيضاً خرجة زجلية كما تقدم شرحه .

سخاء الحب

وقال فيه وهو تجنيس القلب :

الحبّ سخا ، وطرفُ أعدائي خسا من حيثُ سرى والنجمُ في الغربِ رسا
للوصلِ سعى ، وطالما قلتُ عسى ، والريقُ سقى من بعدِ ما كان قسا

ما ملت عن العهد

ما ملتُ عنِ العهدِ وحاشايَ أمين ، بل كنتُ على البُعدِ قوياً وأمين
لا تحسبني إذ قسا الهجرُ ألين ، بل لو كُشفَ الغطا لما ازددتُ يقين

دار الفؤاد

كم قد جعلَ الفؤادَ داراً وسكن ، من ربّ ملاحَةٍ ، ولا مثلَ سَكَن
ملكْتُكَ رُوحِي ، وفؤادي ، فلذا اختارُ بأن تكونَ إلهاً وسَكَنِي

للحسن حلاوة

للحُسْنِ حَلَاوَةٌ ، وبالعَيْنِ تُذَاقُ ، إِنْ كُنْتَ تَرَاهَا بَعْيُونَِ الْعُشَاقِ
والعِشْقُ لَهُ مُرَارَةٌ يَعْرِفُهَا مَنْ خَلَدَ فِي جَحِيمِ نَارِ الْأَشْوَاقِ

العيد أتى

قال من تجنيس التام والمركب :

العيدُ أَتَى ، وَمَنْ تَعَشَّقْتُ بَعِيدُ ، مَا أَصْنَعُ بَعْدَ مُنِيَّةِ الْقَلْبِ بِعِيدِ
مَا الْعَيْشُ كَذَا لَكِنْ مِنْ عَاشٍ رَغِيدُ مَنْ غَازَلَ غِزْلَانًا ، أَوْ عَاشَرَ غِيدِ

شعر كالأرقم

قال من جناس الملفق :

ذَا شَعْرُكَ كَالْأَرْقَمِ إِمَّا لِسَبَا . وَالْعِقْدُ كَالْغُصْنِ الْبَانِ إِنْ مَالِ سَبَى
وَالرَّدْفُ ، إِذَا عَاتَبْتُهُ خَاطَبَنِي بِالْآخِرِ لِلْأَحْقَافِ إِمَّا لِسَبَا

١ لِسَب : لسع . سبى : فتن . الاحقاف : رمال مستطيلة بناحية الشحر . سبا : بلاد باليمن .

أهوى قمرأ

أهوى قمرأ كلّ الورى تهواه ، ما أرخصَ عِشْقَهُ وما أغلاه
يتأى مَلَلًا ، وخاطري مأواه ، ما أبعدَهُ مني وما أدناه

ما خلق عبثاً

يا مَنْ لجمالِ يوسفٍ قد ورثنا ، العاذِلُ قد رَقَّ لحالي ورثني
والناسُ تقولُ ، إذ ترى حُسْنَكَ ذا : سُبْحانَكَ ما خلقتَ هذا عبثاً

فاضح الغصون

يا مَنْ فضَحَ الغصونَ في مَشْيَتِهِ ، والبدرَ ، فما أفاقَ من غَشْيَتِهِ
مَنْ شاهدَ ظَبياً شاردًا ذا مَرَحٍ ، قد أشفقتِ الأسودُ من خَشْيَتِهِ

ظباء تصيد الأسد

يا مَنْ جعلَ الظباءَ للأسدِ تصيدَ ، والسادَةَ في مَوَاقِفِ العِشقِ عبيدَ
أهيمُ حدَقَ المِلاحِ في الحُكْمِ بنا إنجازَ مَواعِدٍ وإخلافَ وِعيدِ

يا سليماً من داء قلبي

قال في غلام اسمه إبراهيم :

يا سليماً من داءِ قلبي السليم .
 إن تنم خالياً ، فبعدك قلبي
 أو يكن خاطري بذكرك في الخلد
 فمتى يسعد الزمان بلقيا
 ويقول الوصال يا نارُ برداً
 يا سمي الذي فدَى الله إكرا
 لو تمكنت لافتديت تدانيه
 ومقيماً على الودادِ القديم
 كل يوم في مقعدٍ ومقيم
 ، فعيناي في العذاب الأليم
 لك محباً من النوى في جحيم
 وسلاماً كوني لإبراهيم
 ما له نجله بذبح عظيم
 لك بسوداءٍ مهجتي والصميم

سمي الخليل

يا سمي الذي له خبت النار
 لم عكست القياس في نار قلبي
 منذ حكيت الهلال والظبي والغص
 شهيد العالمون طراً لطرقي
 ر ، وكانت له سلاماً وبردا
 فإذا ما ذكرت تزداد وقدأ
 ن جبيناً ، وغنج طرف ، وقدأ
 أنه فيك أحسن الناس نقدا

لو كنت تشرى

قال في غلام اسمه يوسف :

يا سَمِيَّ الذي بِهِ اَتَّهِمَ الذَّيْ بُ ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ مُلْكُ الْعَزِيزِ
لو تَقَدَّمْتَ مع سَمِيكَ لم يَمِ سِ فَرِيداً فِي حُسْنِهِ الْمَنبُورِ
حُزْتُ أَضْعَافَ حُسْنِهِ وَتَمَيَّزْتُ تَ عَلَيْهِ بِكُلِّ مَعْنَى مَحْزُورِ
أَنْتَ حَرُّ الْأَدِيمِ ، لَمْ تُشْرِ فِي الرَّ قَ بَنَزِرِ اللَّجَيْنِ وَالْإِبْرِيرِ
تَسَمَّنِي الْعِشَاقُ لو كُنْتَ تُشْرَى بِنَفُوسٍ نَفِيسَةٍ وَكُنُوزِ
لَا وَمَنْ زَانَ وَرَدَّ خَدَّكَ بِالْحَا لِ ، وَزَانَ الْعُيُونََ بِالتَّلْوِيزِ
مَا تَغَيَّرْتُ عَنْ هَوَاكَ وَلَا رُمُ تُ سِوَى ذَلِكَ الْجَمَالِ الْعَزِيزِ
كَلَّمَا هَزَلْتَ الصَّبَا هَزَّتِي الشَّو قُ إِلَى ضَمِّ قَدَّكَ الْمَهْزُورِ
غَيْرَ أَنْتِي أَيْتُ نَصَباً عَلَى الْهَ مَ بِحَالٍ يُغْنِي عَنْ التَّمْيِيزِ
أَتَوَقَّى الْأَعْدَاءَ إِنْ رُمْتُ ذِكْرَا كَ فَأَكْنِي عَنْ اسْمِكَ الْمَرْمُوزِ
فَأُنَاجِي بِكُلِّ مَعْنَى دَقِيقٍ وَأُنَاجِي بِكُلِّ لَفْظٍ وَجِيزِ

١ التلويز : أن تكون العيون لوزية .

ذكرى يوسف

أَنْصَفْتُهُ جُهْدِي ، وَلِي مَا أَنْصَفَا ، وَلَكُمْ صَفَوْتُ لَهُ ، وَلِي مَا إِنْ صَفَا
 وَوَهَبْتُ رَقِّي ، فَمَا إِنْ رَقَّ لِي ، وَوَفَيْتُ بِالْعَهْدِ الْقَدِيمِ فَمَا وَفَى
 قَمَرًا أَرَادَ الْبَدْرُ يَحْكِي وَجْهَهُ ، حُسْنًا ، فَأَمْسَى شَاحِبًا مَتَكَلِّفًا
 أَنْوِي السَّلْوَ لَهُ ، فَيَنْبِي عَزَمِي وَجْهٌ لَهُ لَوْ قَابَلَ الْبَدْرَ اخْتَفَى
 هِيَهَاتَ لَا أَنْفَكَ يَجْرِي ذِكْرُهُ بِفَمِي ، وَإِنْ لَامَ الْعَذُولُ وَعَنْفًا
 طَوْرًا أَصِيرُهُ تِلَاوَةَ مَنْطِقِي . شَغَفًا ، وَطَوْرًا فِي يَمِينِي مُصْحَفًا
 أَشْبَهْتُ بِعَقُوبِ الْحَزِينِ لِأَنْتَنِي مَا إِنْ أَزَالَ لِيُوسُفُ مِتْأَسَفًا
 حَتَّى اعْتَدَى كُلَّ الْأَنَامِ يَقُولُ لِي : تَاللهِ تَفْتَأُ أَنْتَ تَذَكُرُ يَوْسُفًا

طاعة الجن والإنس

قال في غلام اسمه سليمان :

يَا سَمِيَّ الَّذِي دَانَتْ لَهُ الْجِنُّ ، وَجَاءَتْ بِعَرْشِهَا بِلَقِيْسُ
 غَيْرَ بَدْعٍ إِذَا أَطَاعَتْ لَكَ الْإِنْسُ ، وَهَامَتْ إِلَى لِقَاكَ النَّفُوسُ

لَانِ الْحَدِيدِ

قال فيمن اسمه داود :

وَتِيقَتْ بِأَنْ قَلْبِي مِنْ حَدِيدٍ ، وفيهِ عَلَى الْهَوَى بَأْسٌ شَدِيدٌ
فَلَانَ عَلَى هَوَاكَ ، وَلَا عَجِيبٌ ، إِذَا دَاوُدُ لَانَ لَهُ الْحَدِيدُ

آيَةُ ذَا

قال فيمن اسمه موسى :

أَتَى مُوسَى بِآيَةٍ خَالٍ خَدَّيْ ، حَمَتَهُ صَوَارِمُ الْحَدَقِ الْمِرَاضِ
فَجَاءَ بَضِدًا مَا قَدْ جَاءَ مُوسَى ، كَلِمَةُ اللَّهِ فِي الْحَقَبِ الْمَوَاضِي
فَآيَةُ ذَا بَيَاضٍ فِي سَوَادٍ ، وَآيَةُ ذَا سَوَادٍ فِي بَيَاضٍ

لِلْوَصْلِ الْقَبِيحِ

قال في غلام اسمه خليل :

مَنْ لِي بِأَنْتَ يَا خَلِيلُ تَكُونُ فِي الدُّنْيَا خَلِيلِي
وَصَلِّ قَبِيحٌ مِنْكَ أَحْلَى لِي مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ

أنت حسبي

قال فيمن اسمه أحمد :

أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُطِيعَكَ لُبِّي حِينَ وَلَاكَ أَمْرَ جِسْمِي وَقَلْبِي
لَمْ أَقُلْ ذَاكَ عَنْ ضَلَالٍ ، وَلَكِنْ أَنْتَ رُوحِي وَالرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ فِي سُورَةِ الصَّ فَ وَمَنْ بِاسْمِهِ تُشْرَفُ كُتُبِي
أَنْتَ حَسْبِي مِنْ كُلِّ مَنْ وَطِئَ الْأَرْضَ ضَ ، وَحَسْبِي بَأَنَّ مِثْلَكَ حَسْبِي

مليح

قال في غلام اسمه أبو بكر :

أَمَّا وَالْهُوَى لَوْ ذُقْتَ طَعْمَ الْهُوَى الْعُذْرِي أَقَمْتَ بَيْنَ أَهْوَاهُ يَا عَاذِلِي عُذْرِي
وَلَوْ شَاهَدْتَ عَيْنَاكَ وَجْهَ مَعْدُنِي ، وَقَدْ زَارَنِي بَعْدَ الْقَطِيعَةِ وَالْمَجْرِي
رَأَيْتَ بِقَلْبِي مِنْ تَلْقِيهِ مَرَحَبًا ، وَسَيْفُ عَلِيٍّ فِي لِحَاطِ أَبِي بَكْرِي
مَلِيحٌ يُرِينَا فِرْعُهُ وَجَبِينُهُ سُؤْلُ ظِلَامٍ تَحْتَهَا هَالَةُ الْبَدْرِ
وَأَسْمَرُ كَالْحَطِطِيِّ زُرْقًا عِيُونُهُ ، كَذَلِكَ رِمَاحُ الْخَطِّ زُرْقًا عَلَى سُمْرِ
مَزَجْتُ بِشَكْوَى الْحَبِّ رَقَّةَ عَتَبِهِ ، فَكُنْتُ كَأَنِّي أَمْزُجُ الْمَاءَ بِالْخَمْرِ
وَلِذْتُ بِظُلِّ الْإِعْتِرَافِ وَإِنْ جَنَى ، مَحَافَةَ إِعْرَاضٍ ، إِذَا جِئْتُ بِالْعُذْرِ

شهيد الدار

وقال في غلام اسمه علي :

كَيْفَ حَلَلْتَ يَا عَلِيَّ دَمِي فِيكَ ، وَإِنِّي مِنْ شِيعَةِ الْأَنْصَارِ
وَتَمَلَّأَ مَرْحَبًا فُؤَادِي لِلْقِيَا لَكَ فَنَابَتْ عَيْنَاكَ عَنْ ذِي الْفَقَارِ
لَا أَرَى مُوجِبًا لَذَلِكَ إِلَّا حَيْثُ أَصْبَحْتَ فِي الْهَوَىٰ ذَا الْخِمَارِ
فَتَيَقَّنْتُ ، إِذْ هَجَرْتَ فِينَا دَا رِي ، أَنِّي بِهَا شَهِيدُ الدَّارِ

الموت أسرع لي

مَا دَامَ قَلْبِي مَأْسُورًا بِأَسْرِ عَلِيٍّ ، كَيْفَ الْبَقَاءُ ، فَإِنَّ الْمَوْتَ أَسْرَعُ لِي
وَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ طَرَفٍ لَوْ أَحْظُهُ كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ مِنَ الْخِلَلِ
يَا مَنْ حَكَى فِي احْتِرَامَاتِ النَّفُوسِ بِهِ سَمِيَّةٌ عِنْدَ وَقْعِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
أَكْفَيْفَ لِحَاطَتِكَ وَاعْمَدَ ذَا الْفَقَارِ ، فَمَا عَلَيْكَ فِي قَتْلَةِ الْعَشَاقِ مِنْ عَجَلٍ
لَقَدْ فَلَلْتَ جُمُوعَ الْعَاشِقِينَ بِهِ ، فِي وَقْعَةِ الظُّبِيِّ ، لَا فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ

١ الخلل ، الواحدة خلة : جفن السيف المنفى بالآدم .

شوق طويل

قال في غلام اسمه حسين :

حَبِيبِي وَافِرٌ وَالشُّوقُ مِنِّي طَوِيلٌ وَالْحَوَى عِنْدِي مَدِيدٌ
وَأَعْجَبُ أَنْتَنِي أَهْوَى حُسَيْنًا ، وَوَجَدِي فِي مَحَبَّتِهِ يَزِيدُ
كَتَمْتُ الْحُبَّ حَتَّى عِيلَ صَبْرِي ، وَكُتْمَانُ الْهَوَى صَعْبٌ شَدِيدُ
وَهَلْ يُخْفِي الْغَرَامَ حَلِيفٌ وَجَدٍ مَدَامَعُهُ بِمَا يُخْفِي شُهُودُ

رأيتُه كالهلال

قال في غلام اسمه بلال :

رَأَيْتُهُ كَالْهِلَالِ يَبْدُو وَوَجْهُهُ مُشْرِقٌ بِلَالًا
مُخَالِفٌ ، مُخْلِيفٌ لَوَعْدِي ، مَا قَالَ يَوْمًا نَعَمَ بِلَالًا
مَا بَلَ يَوْمًا غَلِيلَ قَلْبِي ، وَإِنْ دَعَاهُ الْوَرَى بِلَا لَا
دَعْوَتُهُ سَيِّدِي ، وَيَوْمًا فِي الدَّهْرِ لَمْ يَدْعُنِي بِلَالًا

١ أي فور .

٢ أي نافية .

٣ أي اسمه .

٤ أي خادم .

حوشيت من السقم

قال في غلام ممرض :

لا حالَ في جَوْهرِ جِسْمِكَ العَرَضُ ، ولا سَرَى في سَوى الحَاطِكِ المَرَضُ
حُوشيتَ من سَقَمٍ في غيرِ خَصْرِكَ أو في مَوَعِدٍ لَكَ في إِخلافِهِ غَرَضُ
فتورُ نَبْضِكَ من عَيْنَيْكَ مُسْتَرَقٌ ، وضعفُ جِسْمِكَ من جَفْنَيْكَ مُقْتَرَضُ
لو أَسْتَطِيعُ بِقَلْبِي عَنْكَ حَمْلَ أَذَى ، جَعَلْتُهُ في لَظَى حُمَاكَ يَرْتَمِضُ

مخلق الخدين

قال في غلام رام بالبندق :

وَمُخَلِّقِ الخَدَيْنِ من صَبْغِ الحَيَا ، في قُرْطُوقِ بَدَمِ القَنِيصِ مُخَلِّقِ
جُبِلْتَ على سَفَكِ الدِّمَا الحَاطِطُ ، وَنِبَالُهُ ، فَكِلَاهُمَا لم يُشْفِقِ
حَتَّى إِذَا شَهِدَ المَقَامَ مُبَارِزاً ، وَالطَّيْرُ بَيْنَ مُحَوِّمٍ وَمُحَلِّقِ
شَغَلَ الطَّيْرَ بِحُسْنِ مَنَظَرٍ وَجْهِهِ ، فَأَصَابَهَا بالبُنْدُقِ

١ المخلق : المظلي بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب .

ما رمدت عيناك

قال في غلام رمد :

وما رَمِدَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِفَرَطٍ مَا أَصَرَ عَلَى كَسْرِ الْقُلُوبِ انكِسَارُهَا
أَرَاقَتْ دَمَ الْعُشَاقِ فِي مَعْرَكِ الْهَوَى فَصَارَ احْمِرَاراً فِي الْجَفُونِ احْوِرَارُهَا

ظلي بقفر

قال في غلام فارس يرمي الظبي
بالسهام وفيه سبعة تشبيهات على الترتيب
طياً ونشراً :

وظبي بقفرٍ فوقَ طَرفٍ مُفَوِّقٍ بقوسٍ رَمَى فِي النِّقْعِ وَحْشاً بِأَسْهَمٍ
كشَمْسٍ بِأَفْقٍ فوقَ بَرْقٍ بِكَفِّهِ هِلَالٌ رَمَى فِي اللَّيْلِ جِنّاً بِأَنْجَمٍ

الطرف الكاسر

قال في غلام متصيد بالجوارج :

وأهيفَ مُغَرِّىً بِالْجَوَارِحِ حَوَمَتِ عَلَيْهِ قُلُوبٌ مَا لَهَنَ مَرَائِرُ
فَوَاعَجَبَا مِنْ طَرَفِهِ ، وَهُوَ جَارِحٌ ، يُخَيِّلُ مَكْسُوراً ، لَنَا ، وَهُوَ كَاسِرُ

قابض المال

قال في غلام رتب قابضاً للمال
وفيه ستة طعوم^١ :

يا قابِضَ المالِ الذي لم تَزَلْ عَيْنِي إِلَى بَهْجَتِهِ تَطْمَحُ
وَمَنْ إِذَا جَرَّحَنِي لِحْظُهُ غَدَا بِلَحْظِ خَدِّهِ يَجْرَحُ
تَاللهِ لَا أَنْفَكَ مُسْتَهْتَرًا فَيْكَ بِأَشْعَارِي وَلَا أُبْرَحُ
يَعْذُبُ لِي الْإِحْمَاضُ فِي قَابِضٍ حُلُوٍ إِذَا مَا مَرَّ يُسْتَمْلَحُ

وجه

قال في غلام تركي عليه
كُمة خَزْ وبِنْدَهَا ذَهَبُ^٢ :

وَجْهٌ تَحُفُّ بِهِ فَرَائِدُ عَسَجِدٍ كَالْعِقْدِ فِي بَنَدِ الْكَلَاءِ مَنْظَمٍ^٣
مَا شَاهَدَتْ عَيْنَايَ قَبْلَ جَمَالِهِ بَدْرًا عَلَيْهِ هَالَةٌ مِنْ أَنْجُمٍ

١ الطعوم الستة هي : المذوبة ، والإحماض ، والقبض ، والحلاوة ، والمرارة ، والاستملاح .
٢ كُمة : قلنسوة . الخَزْ : الحرير .
٣ الكلاء : العشب ، ولعلها محرفة .

لحي الله الطيب

قال في غلام قلع أضراسه :

لحي الله الطيب لقد تعدى وجاء اقلع ضيريك بالمحال
أعاق الظبي عن كلنا يديه ، وسلط كلبتين على غزال

بروج الهلال

قال في غلام وجدته بحمام
يضفر شعره :

وظي إنس ذي معانٍ مكمّله ، كأنه دُنيا السعيدِ المقبله
نظرتهُ نظرةَ حبٍّ أوله ، في صحنِ حمامٍ به مُجمّله
بفاحمٍ سبطٍ ، إذا رجّله قبلَ في حالِ القيامِ أرجله
كالليلِ ما أسحمه وأطوله ، حتى إذا سرحه وأسبله
وشدهُ كالكرةِ المدبّله ، ثمّ أجادَ ضفّره وعَدّله
كانَ بُروجاَ للهلالِ مدّله ، فتارةً جَوْزاَ وطوراَ سنبّله

١ الجوزاء والسنبلة : من البروج السماوية .

ضلال عام

قال في غلام سلم عليه
قبل المعرفة :

تَنَبَّأَ فِيكَ قَلْبِي فَاسْتَرَابَتْ بِهِ قَوْمٌ وَعَمَّهْمُ الضَّلَالُ
وَصَدَّهْمُ الْهَوَى أَنْ يُؤْمِنُوا بِي ، وقالوا : إن مُعْجِزَهُ مُحَالُ
فَمُذْ سَلِمْتَ سَلِمَتِ الْبَرَايَا ، إِيَّيَّ ، وَقِيلَ : كَلِمَةُ الْغَزَالُ

لعبة الشطرنج

قال في غلام لاعبه بالشطرنج :

وَعَزَّالٍ غَازَلْتُهُ بَعْدَ بَيْنِ أَلْفَتْ بَيْنَهُ الْمُدَامُ وَبَيْنِي
صَالِحَتِي الْأَيَّامُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، بَعْدَ مَا كُنْتُ مِنْهُ صِفَرِ الْيَدَيْنِ
مِنْ بَنِي التَّرْكِ لَا أَطِيقُ لَهُ تَرَكَأُ وَأَوْحَانُ فِي الْمَحَبَةِ حَيْنِي
بِتُ أَسْقَى بِشْغَرِهِ وَيَدَيْهِ ، مِنْ لِمَاهُ وَرَاحِهِ ، قَهْوَتَيْنِ
مَرْجَ الْكَأْسِ لِي فَمُذْ عَثَّ السَّكْرُ رَ بَعِطْفِي قَوَامِهِ الْمَرْفَعَيْنِ
قَالَ لِي مَازِحاً ، وَقَدْ طَغَتْ الرَّا حُ وَجَالَ التَّضْرِيعُ فِي الْوَجْنَتَيْنِ
قَدْ مَلَكْنَا ، فَهَاتِ نَلْعَبُ بِالشَّطْرَةِ جِ ، كَيْمَا أُرِيحَ قَلْبِي وَعَيْنِي

قلتُ سَمْعاً وطاعةً لكَ مَولَا
 فأجلُّ الشَّطْرَاجِ مِنِّي ، ولي من
 فائِثي ضاحكاً . وقال لِعَمْرِي
 فارتَضينا بذا الرَّهَانِ وصَيَّر
 قال لي السَّودُ لِلْأَسودِ وذِي الـ
 فصَقَقنا الحَيَشِينَ تُركاً وزَنجاً ،
 فابتَداني بِدَقْعِهِ بِيدِ القِرِ
 وأدارَ الفِرزانَ في بيتِ صَدْرِ الـ
 فعَقَدَتُ الفِرزانَ معَ بيدِ الصَّدِ
 فتَدانِي بالرُّخِ بَيْتاً ، وأجرى
 فَرَدَدَتُ الفِرزانَ ثُمَّ نَقَلْتُ الفِ
 ثُمَّ شَاغَلْتُهُ ، وأرسلْتُ فِلي
 فأخذتُ الفِرزانَ حُكْماً ، وولَّى
 ثُمَّ حَصَنْتُ مِنْهُ نَفْسِي عَنِ الشَّا
 ثُمَّ بَرَطَلْتُهُ بِبَيْدِ فِلي ،
 فأخذتُ اليُمْنِي ، وأجفَلتُ اليُسْ
 وتَقَدَّمْتُ من خِيولي بِمُهْرٍ
 ثُمَّ سَلَطْتُهُ عَلى الشَّاهِ والرُّ
 ثُمَّ لَقَطْتُ مِنْ بِيادِقِهِ الشُّ

ي . ولكن لُعبنا في رُهَيْنِ
 لك أَقلُّ النِّقوشِ في الكَعْبَتَيْنِ
 تَشَنِّي راجعاً بِخَفِّي حُنَيْنِ
 تُ إِلَيهِ الحِيَارَ في الحِلْبَتَيْنِ
 بِيضُ لَمَن يَبْتَغِي بياضَ اللَّجَيْنِ
 واعتَبَرنا تَقابُلَ العَسْكَرَيْنِ
 زانٍ من حِرْصِهِ عَلى نَقْلَتَيْنِ
 شَاهٍ نَقلاً يَظُنُّهُ غَيْرَ شَيْنِ
 رِ وَسُقْتُ الفِيلَيْنِ في الطَّرْفَيْنِ
 خَيْلَهُ بَيْنَ مُلتَقَى الصَّفَيْنِ
 لَ في بَيْتِهِ عَلى عَقْدَتَيْنِ
 مِنجَسِيقاً يَرمي عَلى القِطْعَتَيْنِ
 رُخَّهُ ناكِصاً عَلى العَقَبَيْنِ
 هِ بعَقْدِ الفِرزانِ بِالْبَيْدَقَيْنِ
 ودَفَعْتُ الثَّانِي عَلى الفِرْسَيْنِ
 رى شَروداً تَجولُ في الحَوْمَتَيْنِ
 أَدَهَمَ اللُّونَ مُصَمَّتِ الصَّفْحَتَيْنِ
 خَ فَعَجَلْتُ أَخَذَهُ بَعْدَ ذَيْنِ
 رَدِّ خَمْساً ، عاجَلْتُهِنَّ بِحَيْنِ

فَانْتَنَى يَطْلُبُ الْفِرَارَ وَجِبَةً
ثُمَّ ضَايَقْتُهُ ، فَلَمْ يَبْقَ لِلشَّاءِ
فَمَلَكْتُ الْأَطْرَافَ مِنْهُ وَسَلَطْتُ
ثُمَّ صَحْتُ اعْتَزَلْتُ فَشَاهُكَ قَدْ مَا
فَكَسَا وَجْهَهُ الْحَيَاءُ وَأَمْسَى
وَانْتَنَى بَاكِياً يُقَبِّلُ كَفَّ
قَائِلاً : إِنْ عَفَوْتَ قِيلَ كَمَا قَدْ
إِنَّ فِي رُبَّةِ الْفُتُوَةِ أَصْلاً
صَاحِبِ النَّصِّ وَالْأَدِلَّةِ وَالْإِجْمَا
وَمُجَلِّي الْكُرُوبِ عَنْ سَيْدِ الرُّسْ
قُلْتُ بُشْرَاكَ قَدْ أَقْلَتُكَ لَأَكْرَا
فَعَلَيْهِ السَّلَامُ مَا جَنَّ لَيْلٌ ،

شَيْ رَاجِعاً نَحْوَهُ مِنْ الْجَانِبَيْنِ
هـ عَلَى رُغْمِهِ سِوَى بَيْتَيْنِ
تُ عَلَيْهِ تَطَابُقَ الرُّخَيْنِ
تَ ، بَلَا مِرْيَةٍ ، وَقَدْ حُلَّ دَيْنِي
نَادِماً سَادِماً يَعْصُ الْيَدَيْنِ
يَ وَيَهْوِي طَوَّراً عَلَى الْقَدَمَيْنِ
لَ وَمَا شَاعَ عَنْكَ فِي الْخَافَقَيْنِ
لَكَ يُغْزَى إِلَى أَبِي الْحَسَنِ
عَ فِي الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ
لَ بَسْدِرٍ وَخَيْرٍ وَحُسْنَيْنِ
مَا لَذِكْرِ الْمَوْلَى أَبِي السَّبْطَيْنِ
وَأَنَارَ الصَّبَاحُ فِي الْمَشْرِقَيْنِ

شجى وشفى

قال في غلام مطرب بالمود :

شَجَى وَشَفَى ، لَمَا شَدَا وَتَرَتَّمَا ،
وَجَسَّ مِنَ الْأَوْتَارِ مَشْنَى وَمَثَلَتَّمَا ،
فَأَنْعَسَ أَيْقَاطًا وَأَيْقَظَ نُومًا
فَحَقَّتْ بِنَا الْأَفْرَاحُ فَرْدًا وَتَوَامًا

١ السادم : المهموم مع ندم .

أَغْنَىٰ كَأَنَّ الْعُودَ ضَمَّ صَدَىٰ لَهُ ، يُحَاكِهُ فِي الْحَالَيْنِ صَوْتًا وَلَهْجَةً ،
يُحَاكِهُ فِي الْحَالَيْنِ صَوْتًا وَلَهْجَةً ، إِذَا رَتَلْتَ أَلْفَاظَهُ الشَّعْرَ مُعْرَبًا ،
لَهُ مَنَطِقٌ يَسْتَنْزِلُ الْعُصْمَ عِنْدَمَا يَضُمُّ إِلَى نَهْدِيهِ عُودًا تَنْظَنَّهُ
كَأَنَّ حَشَاهُ ضَمَّ سِرًّا مَكْتُمًا ، يُطَارِحُنَا شَرْحَ الضُّرُوبِ مُبْرَهِنًا ،
وَلَا حَرَكَةَ الْكَفِّ أَبَدِي تَمَلُّمًا ،

يُحَاكِهُ فِي أَلْفَاظِهِ إِنْ تَكَلَّمَا ، فَقَدْ كَادَ يُلْفَىٰ ضَاكِكًا مَتَبَسَّمَا
أَعَادَتْ لَنَا أَوْتَارُهُ أَلْفَظَ مُعْجَمًا ، يَحْرَكُ فِي الْأَوْتَارِ كَفًّا وَمِعْصَمًا
نَسِيمًا مُجَزَّأً ، أَوْ نَعِيمًا مُجَسَّمًا
يُمَوِّهُ عَنْهُ ، أَوْ حَدِيثًا مُجَمِّمًا
فَنَأْخُذُ نَقْلَ اللَّهِوٍ عَنْهُ مُسَلِّمًا
فَحَرَّكَ مِنَّا يَذْبُلًا وَيَسْلَمًا

فَنِ الْأَنَامِ بَعُودِهِ

فَنِ الْأَنَامِ بَعُودِهِ وَبَشَدُوهُ ، شَادٍ تَجَمَّعَتِ الْمَحَاسِنُ فِيهِ
حَتَّىٰ كَأَنَّ لِسَانَهُ يَسْمِينُهُ . أَوْ أَنَّ مَا يَسْمِينُهُ فِيهِ

أَصَحُّ وَأَمْرَضُ

وَأَغْنَىٰ أَبَدِي مِنْ مَوَاجِبِ عُودِهِ نَغْمًا أَصَحَّ بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضَا
يَسْدِ ، إِذَا سَخِطَتْ عَلَى أَوْتَارِهِ ، نَالَ الرَّفَاقُ بِسُخْطِهَا عَيْنَ الرِّضَىٰ

١ مجزا : سهل مجزا . ولا نعلم ماذا أراد بالنسيم المجزا .

نافخ الصور

قال في غلام زامر :

يا نافعَ الصَّوْرِ بل يا نافعَ الصَّوْرِ ، من رَقْدَةِ السَّكْرِ لا من ظُلْمَةِ الحُفْرِ
قَرَنْتَ حُسْنَكَ بِالْإِحْسَانِ فِيهِ لَنَا ، فَكَانَ فِيكَ مُرَادُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
ضَمِنْتَ لِلصَّحْبِ إِقْبَالَ السَّرُورِ كَمَا ، ضَمِنْتَ نَائِكَ نَائِي الْهَمِّ وَالْكَدَرِ
صَوْتُ بَسِيطٍ بِهِ أَرْوَحُنَا أَنْبَسَطَتْ ، إِذْ جِئْتَ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى عَلَى قَدَرِ
إِذَا تَرَنَّمَ سَاوَى وَزَنَ نَعْمَتِهِ ، وَإِنْ عَلَا جَاءَ بِالتَّرْخِيمِ فِي الْأَثَرِ
يَكَادُ تُخْرِسُ صَوْتَ الْعُودِ صَرَخَتُهُ ، حَتَّى كَأَنَّ لَهُ وَتْرًا عَلَى الْوَتْرِ

مياه الحيا

قال في غلام راقص :

جاءَ فِي قَدِّهِ اعْتِدَالٌ ، مُهَفِّفٌ مَا لَهُ عَدِيلٌ
قَدْ خَفَقَتْ عِطْفُهُ شَمَالٌ ، وَثَقَلَتْ جَفْنُهُ شَمُولٌ^٢
ثُمَّ انْثَى رَاقِصًا بِقَدِّ ، تُشْنَى إِلَى نَحْوِهِ الْعُقُولُ
يَجُولُ مَا بَيْنَنَا بَوَاجِ ، فِيهِ مِيَاهُ الْحَيَا تَجُولُ
وَرَتَّحَ الرُّوضُ مِنْهُ عِطْفًا ، حَفَّ بِهِ اللَّطْفُ وَالِدُ الْخُولُ
فَعِطْفُهُ دَاخِلٌ خَفِيفٌ ، وَرَدْفُهُ خَارِجٌ ثَقِيلٌ

١ الصور : البوق . وقوله نافخ الصور : أراد باعث الموق .

٢ الشمول : الحمر .

رقص وغناء

قال في غلمان راقصين :

رَقَصُوا فقامَ الحربُ واشتَبَكَ القَنَا ، من كلِّ قَدَدٍ كالقَضِيبِ إِذَا انشَنَى
ونَضَوُا من السُّودِ المِراضِ صَوَارِمًا ، ييضاً ، فلم نَعْلَمْ عَلَيْنَا أَمْ لَنَا
هَزَّوُا الغصونَ ، وكلَّفُوا أعطافَهُمْ حَطْلَ الجبالِ ، فكانَ ظُلماً بَيْنَنَا
من كلِّ رِدْفٍ كالكَثِيبِ مُجاذِبٍ قَدَاً أَعْصَى من القَضِيبِ وَالْيَسْنَا
صَدَّوْا ورَدَّوْا سافرِينَ وجوهَهُمْ نَحْوِي فشاهدتُ المَنِيَّةَ والمُنَى
ضَمِنُوا قِرَى أَسْماعِنَا وِعْيُونِنَا ، للعَيْنِ رَقِصَهُمْ ولِلسَّمْعِ الغِنَا

بدور فوق غصون

رَقَصُوا ، فشاهدتُ الجبالَ تَمُورُ ، برَوادِفٍ ماجتٍ بَينَ خُصُورُ
وَنَسَّوْا قُلُوداً رَخِصَةً ، فكأنَّما هَزَّوْا غُصُونًا فوقَهنَّ بدورُ
من كلِّ مَجْدُولِ القَوامِ ، كأنَّما في الوَجْهِ مِنْهُ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُ
طَوْرًا يُغَيِّرُ على القلوبِ قَوامَهُ ، مَرَحًا ، وطَوْرًا للغصونِ يُغَيِّرُ

بجر من الحسن

بجرٌ من الحسنِ لا يَنجُو الغريقُ بهِ ، إذا تَلاطَمَ أعطافُ بأعطافِ
ما حرَّكَتهُ نَسِيمُ الرِّقَصِ من مَرَحٍ ، إلّا وماجَتْ بهِ أمواجُ أردافِ

ساق طفل

وقال في غلام ساق :

وساقٍ من بني الأتراكِ طَفَلَ أتيهُ بهِ على جَمْعِ الرِّفاقِ
أَمَلَكُهُ قِيادي ، وهوَ رقي ، وأفديهِ بعيني ، وهوَ ساقِ

طلعة الشمس

وقال في مليح أرسل إليه
رسولا مليحاً :

مَنْ كُنْتَ أَنْتَ رَسولَهُ ، كانَ الجَوَابُ قَبولَهُ
هوَ طَلَعَةُ الشَّمسِ الذي جاءَ الصَّبَاحُ دَليلَهُ

١ الطفل : الرخص ، الناعم .

لم يَبْدُ وجهُكَ قَبْلَهُ ، إلاَّ ارتَقَبْتُ وُصُولَهُ
فلِذَاكَ إِذْ واجَهْتَنِي بِلَّ الفؤادُ غَلِيلَهُ

شكرت إلهي

وقال في مליح عشق
مليحاً ظريفاً :

شَكَرْتُ إلهي إِذْ بَلَى مَنْ أُحِبَّهُ بعِشْقٍ مَلِيحٍ فِي الهَوَى لَيْسَ يُنْصِفُ
يُجَرِّعُهُ أَضْعَافَ مَا بِي مِنَ الْأَذَى ، وَيُنْجِلُهُ بِالْهَجْرِ مِنْهُ وَيُتْلِفُ
فَأُورِدَهُ مَا أُورِدَ النَّاسَ فِي الهَوَى ، وَأَسْلَفَهُ الْوَجْدَ الَّذِي كَانَ يُسْلِفُ
فَأَصْبَحَ مَسْلُوباً وَإِنْ كَانَ سَالِباً ، ففِي الْحَزَنِ يَعْقُوبُ فِي الْحَسَنِ يَوْسُفُ

شيمته الخلف

وقال في غلام كثير الخلاف :

هَوَيْتُهُ مُخَالَفاً ، إِنْ سَمِئْتُهُ الْوَصْلَ جَفَاً
شِمَتُهُ الْخُلْفُ ، فَلَوْ سَأَلْتَهُ الْغَدَرَ وَقَى

حبيب الحبيب

وقال في محبوب المحبوب :

يا حبيبَ الحبيبِ دِنَهُ كَمَا دَانَ مُحِبِّتَهُ مِنْ صُدُودٍ وَهَجَرٍ
ثُمَّ مَرُّ طَرْفِكَ الصَّحِيحِ بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْ طَرْفِهِ السَّقِيمِ بَوْتَرٍ
جَاءَ نَصْرُ الْإِلَهِ وَالْفَتْحُ إِلَى أَنْ دُمْتَ حَرْبًا لَهُ وَقُمْتَ بِنَصْرِي
أَنْتَ بَدْرُ التَّمَامِ، فَاجْعَلْ لَنَا بَنِي نَكَ عَهْدًا وَبَيْنَهُ حَرْبَ بَدْرِ

عذار من الحبر

وقال في غلام كاتب
لا ث خده بالمداد :

يَقُولُ ، وَقَدْ لَاثَ فِي خَسَدِهِ مِدَادًا حَكَى اللَّيْلَ فَوْقَ النَّهَارِ :
أَتَعْجَبُ مِمَّا جَنَنَتْهُ يَدِي ، فَمَا كَانَ ذَاكَ بَغَيْرِ اخْتِيَارِي
وَلَكِنْ أَرَدْتُ يَرَى عَاشِقِي تَضَاعَفَ حُسْنِي بَنَيْتِ الْعَذَارِ

سورة وصورة

وقال في غلام قاريء :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لَشَادِنٍ شَاهَدْتُهُ يَوْمَ الزَّيَارَةِ قَارِئًا فِي الْمَصْحَفِ
فَتَنَ الْأَنَامَ بِيَهْجَةٍ وَبِلَهْجَةٍ تَسْبِي وَتُصْبِي كُلَّ صَبٍّ مُدْنَفٍ
فَتَلَا مَلِيًّا جُلَّ سُورَةِ يَوْسُفٍ ، وَجَلَا مُحْيَاً مِثْلَ صُورَةِ يَوْسُفٍ

الصيد في جوف الفرا

وقال في غلام لابس سمل فروة :

بَصُرُوا بِفَرُوكَ ، فَازْدَرَوْكَ لِحَالَةٍ أَضْحَىٰ بِهَا مَعْرُوفٌ حَسَنُكَ مُنْكَرًا
كُلُّ أَدَارِ الطَّرْفِ عَنْكَ مُحَاوَلًا صَيْدًا، وَكُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا^١

الظلام مطية الأنوار

وقال في غلام ممدّر :

قَالُوا التَّحَىٰ مِنْ قَدْ كَلَفْتُ بِجَبِّهِ ، وَبَدَا السَّوَادُ بِحَدِّهِ الْغَرَّارِ
فَأَجَبْتَهُمْ : مَا تِلْكَ مِنْهُ عَجَبِيَّةٌ ، إِنَّ الظَّلَامَ مَطِيَّةُ الْأَنْوَارِ

١ الفرا : حمار الوحش . وقوله كل الصيد في جوف الفرا : مثل يراد به أن الفرا أعظم الصيد لمن صاده فهو يفتيه عن كل صيد .

مشبه البدر

وقال في غلام شرير كثير الفتن
بدوي من آل ليث وقد جنى جناية
فضرب بالسياط :

أفدي غزالاً من آل ليث	تمت له دولة الجمال
تفعل الحاظه بقلبي	ما يفعل الليث بالغزال
ذا حاجب خط تحت صلت	منور بالجمال ، حال
كان أيدي في هلال	عرقن نونا على هلال
يا مشبه البدر حين يبدو ،	في النور والبعد والكمال
أفديك يا من تراه عيني	في كل يوم بسوء حال
وكل يوم يبطن سجن ،	وكل أن يباب والي
كيف أتوا بالسياط ضرباً	من فوق أردافك الثقال
فأثروا فوقها رسوماً ،	كانتها الطرق في الجبال

كل حياة الى تلف

وقال في مذكر له أخ
مليح صغير :

لما اكتسى خده ، وقلت له : كل حياة عقيسها تلف
رأى أخاه بعين معذرة ، وقال : ما مات من له خلف
لعله أراد بهرقن : جمل نونا كالمروق .

ديب العذار

دَبَّ العِذارُ ، فقامَتِ الأعذارُ ، وبدا السَّوادُ ، فزادتِ الأنوارُ
لا يدعَ إن زادَ الظَّلامُ ضياءَهُ ، إذ في الحنادِيسِ تشرقُ الأقمارُ
لو لم تلحْ شعراتُهُ في خَدِّهِ ، لم تحلُ لي في وَصْفِهِ الأشعارُ
يبدو الظَّلامُ على ضياءِهِ كأنَّهُ قمرٌ له ذيلُ السَّحابِ خِمارُ

سواد وبياض

وقال في معذره غيره بالشيب :

أيتها المِعْرُضُ المِعْرُضُ بالشَّيْبِ ، وألغى عن عارضِيهِ اعتراضِي
لو تَغاضَيْتَ عن عتابِي لأغضَيْتُكَ عن العَتَبِ ضَعْفَ ذاكِ التَّغاضِي
فلماذا امتعَصْتَ من نَبْتِ خَدِّي ، وما أوجَبَ المَشِيبُ امتعاضِي
أنا راضٍ بأنْ أَشِيبَ ، وأنْ يُصْ بَسَحَ من هَوْلِ نَبْتِهِ غيرَ راضٍ
إنَّ هذا البَيَاضَ بَعْدَ سَوادٍ دونَ ذاكِ السَّوادِ بَعْدَ بَيَاضٍ

الحلاوة طبع

وقال في مليح سكري :

وَمُسْتَحَلَّى الْمَرَّاشِفِ سَكْرِيٍّ ، أَتَى بِغَرَائِبِ الْحُسْنِ الظَّرِيفِ
تَنَازَعَ خَصْرُهُ وَالرَّدْفُ ، حَتَّى بَدَأَ حُكْمُ الْقَوَى عَلَى الضَّعِيفِ
فَقُلْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ كَثِيفَ رَدْفٍ يَمْوِجُ لَهْزَةَ الْقَدِّ اللَّطِيفِ
لِذَا غَدَتِ الْحَلَاوَةُ فِيهِ طَبْعًا ، لِمُعْتَدِلٍ يُوَثِّرُ فِي كَثِيفِ

اغن مسكي الإهاب

وقال في غلام أسود مليح :

وَأَغْنِ مِسْكِي الْإِهَابِ . وَوَجْهَهُ
رَاقَ الْعَيُونَ بِمَنْظَرٍ ذِي بَهْجَةٍ
فَكَأَنَّهُ لَمَّا تَكَامَلَ حُسْنُهُ
مِنْ فَرَطٍ إِحْدَاقِ الْعَيُونَ بِحُسْنِهِ ،
يُبْدِي جَمَالًا زَانَهُ الْإِشْرَاقُ
وَنَوَاطِرٍ مِنْهَا الدَّمَاءُ تُرَاقُ
وَرَنْتٌ إِلَيْهِ بِطَرْفِهَا الْعِشَاقُ
خَلَعَتْ عَلَيْهِ سَوَادَهَا الْأَحْدَاقُ

١ الأغن : الرخم الصوت .

سافك الدماء

وقال في مליح حجام :

كلّفي بحجامٍ تحكّم طرفه ، فغدا على سفكِ الدماءِ يواطِي
أضحى كثيرَ الاشتطاطِ ، ولم تكن منه اللحاظُ كليلَةَ المِشراطِ

فاعل صانع

وقال في مليح فاعل :

وفاعلٍ أبدعَ في صنّعه ، وحسنُه مع فعلِهِ رائعُ
أحسنَ في صنّعتِهِ متقناً ، فقلتُ : هذا فاعلٌ صانعُ

لا تجزعن

وقال في مليح أبخر الفم :

لا تجزعنَ إذا ارتاعوا لرائحةٍ بِفِيكَ ليسَ لها في الحُسنِ من أثرٍ
للكلبِ والضَّبِّ أفواهٌ معطرّةٌ ، والليثُ والصقْرُ موصوفانِ بالبَحْرِ

خمار أسود

وقال في معذر:

والله ما شانتك حليّة حليّة بل نزهتكَ عن القياسِ بأمرَدِ
وبدا بخديك السوادُ فزانتها ، مثلُ المليحةِ في الحمارِ الأسودِ

المحاسن المجموعة

وقال فيمن اسمه علي :

شمسُ النهارِ بحسنِ وجهكِ تُقسِمُ ، إنَّ الملاحَةَ من جمالكِ تُقسِمُ
جمعتُ لبهجتيك المحاسنُ كلُّها ، والحُسنُ في كلِّ الأنامِ مُقسِمُ
يا مَنْ حكّتْ عيناهُ سيفَ سميّةِ هلاًّ اقتديتْ بعَدْلِهِ إذْ يحْكُمُ
أنتَ المُرادُ ، وسيفُ لحظكِ قاتلي ، لكنْ فَمِي عن شرحِ حالي مُلجَمُ
تَشْكُو تَفَرَّقَنَا ، وأنتَ جنيتُهُ ، ومن العجائبِ ظالمٌ يتظَلَّمُ
وتقولُ أنتَ بعُذرٍ بُعدي عالمٌ ، واللهُ يَعْلَمُ أَتَنِي لا أَعْلَمُ
فُتْرَاكَ تَدْرِي أَنَّ حَبْكَ مُتْلِفِي ، لَكُنِّي أَخْفِي هَوَاكَ وَأَكْتِمُ
إِنْ كُنْتَ مَا تَدْرِي ، فتلكَ مصيبةٌ ، أَوْ كُنْتَ تَدْرِي ، فالمصيبةُ أَعْظَمُ

قطرة مسك

وقال في غلام بخذه خال :

مذ بدا صُبْحُ وجه حَبِّي وولَّتِي هارباً من سناهُ صَبِغُ اللَّيالي
قطرتُ منه قطرةٌ تُشْبِهُ المِسْكَ كَ على خَدِّهِ فَعُدَّتْ بِخَالِ

الباب السابع

في الحمريات والنبد الزهريات

ربيبة الدير

قال في صفة الحمرة ومجالسها وأحوالها :

تَشَارَكَ فِيهَا الشَّمُّ وَالذَّوْقُ وَاللَّمْسُ ،
وَلَا حَ لِلْحَظِّ الصَّحْبِ سَاطِعُ نُورِهَا ،
رَبِيبَةُ دَيْرٍ لَيْسَ تَرْفَعُ حُجُبُهَا ،
دَعَوْتُ لَهَا خِيَلًا مِنَ الدَّيْرِ صَالِحًا ،
فَجَاءَ بَرِيحَانِيَّةٍ كَهَرَبِيَّةٍ ،
بِرَاحٍ ، إِذَا حَقَّقَتْ طَرْدَ حُرُوفِهَا ،
تَفُوقُ جَمِيعَ الْمُسْكِرَاتِ بِأَصْلِهَا ،
تُولَدُ مَا بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً ،
إِذَا قَاتِلٌ حَيًّا بِهَا ابْنَ قَتِيلِهِ ،
وَمَرَّ عَلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ صَبَّهَا جَرَسُ ،
فَقَدْ أَشْرَكَتْ فِيهَا حَوَاسِمُ الْخَمْسِ ،
إِذَا سَامَهَا الشَّمْسُ عَوَّذَهَا الْقَسَّ ،
رَقِيقَ الْحَوَاشِي لَا بَطِيءٌ وَلَا نِكْسُ ،
تُخَالُّ عَلَى كَفِّ النَّدِيمِ بِهَا وَرْسُ^١ ،
غَدَا طَبَعُهَا فِي الْكِيفِ ، وَهِيَ لَهَا عَكْسُ ،
فَقَدْ طَابَ مِنْهَا الْفَصْلُ وَالنَّوْعُ وَالْجِنْسُ ،
وَتُحَدِّثُ أَنْسَاءَ لَيْسَ فِي مُحْضِهِ وَكْسُ^٢ ،
تُولَدُ مِنْهَا بَيْنَ قَلْبَيْهِمَا الْأُنْسُ ،

١ الورس : نبات أصفر .

٢ الوكس : النقص .

إذا ما درى إبليسُ ما في طِبَاعِهَا ،
 ولو عَلِمَتْ أَهْلُ الْمَدَارِسِ قَدَرَهَا ،
 ولو رَشَفَ الرَّعْدُ فَاذِلَ كَأْسِهَا ،
 ولَمَّا قَتَلْنَاهَا بِسَيْفِ مِزَاجِهَا ،
 أَقَامَتْ لَهَا الْأَطْيَارُ فِي الدَّوْحِ مَأْتَمًا ،
 وَقَامَتْ لَهَا الْحِرَابُ مِنْ كُلِّ مَرْقَبٍ
 وَبَاتَ بِمُعَاطِنَا سُلَاقًا كَأَنَّهَا
 بِكَأْسٍ لَهَا أَشْخَاصُ كَسْرَى وَقَيْصَرٍ ،
 فَلَوْ لَبِثَتْ فِي كَأْسِهَا عُمُرَ سَاعَةٍ ،
 وَلَمَّا اسْتَحَالَتْ نَشْوَةُ الْكَأْسِ سَكْرَةً
 وَهَبَتْ لَهَا كَهْلًا مِنَ الْعَقْلِ وَافِرًا ،
 يَقُولُونَ لِي جَهْلًا: مَتَى تَرْكُ الْطَّلَا ،
 وَكَيْفَ اطْرَاحِي لِلْمُدَامِ ، وَفَضْلُهَا
 فَمَا سَادِرٌ فِي السَّكْرِ إِلَّا كَحَاتِمٍ ،

من السرِّ ، قال الحينُ : نَقْدِيكَ يَا لَأَنَسُ
 جَلَسَتْ كَأْسُهَا فِي مَوْضِعٍ يُذَكِّرُ الدَّرْسُ
 عَلَى ضَعْفِهِ ، ظَنَنْتُهُ عَنَتَرَهَا عَبَسُ
 فَبُرَّدَ مِنْهَا الْحَرُّ ، وَاعْتَدَلَ الْيَبَسُ
 بِهِ لِلنَّدَامَى مِنْ سُرُورِهِمْ عُرْسُ
 تُطَالَعُهَا ، لَا تَهْزِي لَأَنَّهَا الشَّمْسُ
 هِيَ النَّارُ لَكِنْ يَسْتَطَاعُ لَهَا لَمَسُ
 وَقَدْ أَحْدَقْتُ مِنْ حَوْلِهَا الرُّومُ وَالْفَرَسُ
 إِذَا نَطَقَتْ مِنْ سَرِّهَا الصُّورُ الْخُرْسُ
 إِذَا مَاتَ مِنْهَا الْعَقْلُ تَتَعَشَّى النَّفْسُ
 فَكَانَ لَدَيْهَا النِّصْفُ وَالثَّلْثُ وَالسُّدْسُ
 فَقُلْتُ : إِذَا مَا عَادَ مِنْ قَوْتِهِ أَمْسُ
 جَلِي ، عَلَى الْأَبْصَارِ لَيْسَ بِهِ لَبَسُ
 وَمَا بِأَقِيلُ إِلَّا إِذَا ذَاقَهَا قَسُ

قهوة أفنت الزمان

أذْكُرُوا ، لما أروها النديماً ، من عهودِ المِصَارِ عهداً قديماً ،
فأنتَ تَطْلُبُ القِصاصَ ، ولكن تَجْعَلُ العَقْلَ في التقاضي غريماً
قهوةُ أفنتِ الزَّمانَ ، فأفنتي الرَّطْبَ من جِرمِها وأبقى الصِّمَمَ
فغدَتْ تُثْقِلُ اللِّسانَ لسرِّ الـ سَكْرِ منها وتستخفُّ الحُلُومَ
لو حساً من سُلَافِها الأَكَمَ الأخ رَسُ كَأْساً لاستخرجَ التَّقْوِيماً^١
وعلى الضَّدَّ لو حساها فصيحُ أحدثتْ في حَدِيثِهِ التَّرخيماً^٢
أنبأتنا الأنباءَ عن سالفِ الدَّه رِ وعدتْ لَنَا القُرُونُ القُرُوماً^٣
وحكَّتْ كيفَ أصبحتُ فتيَةُ الكَه فِ رُقُوداً، خِلَواً، وكيفَ الرِّقِمَا
وبماذا تَجَنَّبَتْ نارُ نُمُرُو دِ خَلِيلَ الإِلَهِ إبراهيمَ
وغداةَ امتحانِ يُونُسَ بالنِّسو نِ ، وقد كانَ في الفِعالِ مَلِيماً
وتشكَّى يعقوبُ إذ ذهبَتْ عَيْنَا هُ من حُزْنِهِ ، وكانَ كَظِيماً
والتَّناجِي بالطَّوَرِ ، إذ كَلَّمَ الرَّح مَنُ مُوسَى نَبِيَّهُ تَكْلِيماً
ودُعاءَ المَسِيحِ ، إذ نُعِشَ المَيِّ تُ من رَمْسِهِ ، وكانَ رَمِيماً
فشَهِدْنَا لها بِفَضْلِ قَدِيمِ ، واستَفَدْنَا منها النِّعِيمَ المُقِيمَ

١ الأَكَمَ : المولود أعمى . التقويم : حساب الأزمنة .

٢ التَّرخيم عند النحاة : قطع آخر المنادى ، وأراد هنا أن شاربها الفصح يثقل كلامه فيقطع ألفاظه قبل إتمامها .

٣ القرون ، الواحد قرن : مئة سنة ، والقرن سيد القوم . والقروم ، الواحد قرم : السيد العظيم .

وفَضَضْنَا خِيَامَهَا ، عن أنها ،
وظَلَّلْنَا نُحْيِي بِهَا جَوْهَرَ النَّفْ
في جِنَانٍ من الحَدَائِقِ لَا نَسْ
بَيْنَ صَحْبٍ مِثْلِ الْكَوَاكِبِ لَا تَنْدُ
وجَعَلْنَا السَّاقِي خَلِيلًا جَلِيلًا ،
فَرَأَيْنَا فِي رَاحَةِ الْبَدْرِ شَمْسًا ،
وقَدَفْنَا بِشُيْهِهَا مَارِدَ الْهَدَى
وَلَدَتْ لُؤْلُؤَ الْحَبَابِ ، وكانت
أَخْصَبَتْ عِنْدَ شُرْبِهَا سَاحَةُ الْعَيْ
فَابْتَدَرَهَا مُدَامَةً تَجْلُبُ الرُّو
وَاخْتَصِرَ إِنْ قُلْتَهَا يُنْعَشُ الرُّو
فَارْتَكِبَ أَجْمَلَ الذَّنُوبِ لِنَفْعٍ ،
ثُمَّ تَبَّ ، وَاسْأَلِ الْإِلَهَ تَجِدْهُ ،

فَرَأَيْنَا مِزَاجَهَا تَسْنِيمًا
سِ ، وَنُسَقَى رَحِيقَتَهَا الْمَخْتُومًا
مَعَ فِيهَا لَغَوًا وَلَا تَأْثِيمًا
ظُرُّ مَا بَيْنَهُمْ عُتُلًا زَيْمًا
يُحْسِنُ الْمَرْجَ ، أَوْ غَزَالًا رَخِيمًا
اطْلَعَتْ فِي سَمَا الْكُؤُوسِ نَجُومًا
مَ ، فَكَانَتْ لِلْمَارِدِينَ رُجُومًا
قَبْلَ وَقَعِ الْمِزَاجِ بِكَرًا عَقِيمًا
شِ وَأَمْسَى أَحْوَى الْهَمُومِ هَشِيمًا
حَ إِلَى الرُّوحِ حِينَ تَنْفِي الْهُمُومًا
حَ وَإِفْرَاطِهَا يَضُرُّ الْجَسُومًا
وَاعْتَقِدْ فِي ارْتِكَابِهِ التَّحْرِيمًا
لِذُنُوبِ الْوَرَى غَمُورًا رَحِيمًا

- ١ التسنيم : قيل انه ماء في الجنة .
٢ العتل : الجاني الفليظ . الزنيم : اللثيم .
٣ الروح ، بفتح الراء : الراحة ، الفرح .

ادرها بلطف

أدرها بلطف، واجعل الرفق مذهباً ، وحيّ به كأساً من الراح مذهباً
ولا تطف في حثّ الكؤوس لأننا شربنا لنحيا ، ما حيينا لنشرباً
فإن قليل الراح لروح راحة ، فإن زاد مقداراً عن العدل أنعباً
فلا تلك من أعطى المدام قيادته ، فأودت به واستوطأ الجهل مركباً
فإن كثيراً من يظن كثيراً ، إذا زاد زاد النفع أو كان أقرباً
كظنهم في كثرة الأكل أنها إذا أفرطت أمتى بها الجسم مخصباً
أضلوا الوري من جهلهم وتنزهوا عن الجهل حتى صار جهلاً مركباً
وأعجب أن السكر في كل ملة وتكثر منها المسلمون لسكرها
وإن نظروا يوماً لبيبا مداوياً وتترك نفعاً للقليل محرمًا
وما السكر إلا حاكم متسلط ، بها الهم ، قالوا : باخلا متطبباً
فإن شئت يوماً شربها ، فإذا هو قاوى أغلباً كان أغلباً
وخل دعاني للصباح أجبتُه ، حكيماً لبيبا ، أو نديماً مهذباً
وأقطعته كِفلاً من الأمن بعدما وقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً
وأبرزتها صفراء تحسب كأسها بسطت له صدرًا من الدهر أرحباً
وعاطيته صفراء بشرق وجهها غشاء من البلور يحمل كهرباً
بنور يرينا أدهم الليل أشهباً

١ الكفل : الضعف من الأجر ، الخط ، النصيب .

طَلِيقَةً وَجَهٍ تَغْرِهَا مُتَبَسِّمٌ ،
وَبِتْنَا نُوقِي الْعَيْشَ بِاللَّهْوِ حَقَّةً ،
وَلَأَنِّي لِأَهْوَى مِنْ نَدَامَايَ مَاجِدًا ،
لِذَا مَا أَمِرْتُ مُرَّةً فِي مَذَاقِهَا ،
فَأَوْجَبَ مَعَ مِثْلِي عَلَى النَّفْسِ شُرْبَهَا ،
إِذَا مَا حَسَاهَا بِاسْمِ الشَّعْرِ قَطْبًا
وَنَسَرَخُ فِي رَوْضٍ مِنَ الْأَنْسِ أَعْشَبًا
إِذَا خَامَرَتْهُ الرَّاحُ زَادَ تَادِبًا
رَأَاهَا لِقُرْبِي مِنْ جَنَى النَّحْلِ أَعْدَبًا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلًا أَرَى التَّرْكَ أَوْجَبًا

ما وجدت مثلي

طَلَبْتُ نَدِيمًا يُوجِدُ الرَّاحَ رَاحَةً ،
يُشَارِكُنِي فِي سَرَّهَا وَسُرُورِهَا ،
وَيَشْرَبُهَا بِالْكَيفِ وَالْأَيْنِ وَالْمَتَى ،
فَلَمَّا أَبَى الْحِرْمَانُ إِلَّا بِحَاجَةٍ ،
خَلَوْتُ بِهَا وَحْدِي ، كَمَا قَالَ شَيْخُنَا ،
إِذَا الرَّاحُ أَوَدَّتْ بِالكَثِيرِ مِنَ الْعَقْلِ
فِيمَلَأُ أَوْ يَحْسُو ، وَيَكْتُبُ أَوْ يُمْلِي
وَيَعْرِفُهَا بِالْجَنَسِ وَالنَّوْعِ وَالْفَصْلِ
وَأَعَوَّزَنِي خِلًا بِنَاسِبٍ فِي الْفَضْلِ
وَذَاكَ لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ لَهَا مِثْلِي

تسبي وتسبي

عَجِبْتُ لَهَا تُمْسِي الْعُقُولَ لَهَا نَهَبًا ،
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهَا كَلَّمَا طَغَتْ
وَتَسْبِي النَّدَامَى وَهِيَ مَا بَيْنَهُمْ تُسْبِي
عَلَى الْعَقْلِ زَادَ الشَّارِبُونَ لَهَا حُبًّا

سُلاَفٌ تُمِيتُ الْعَقْلَ فِي حَالِ شُرْبِهَا ،
مُعْتَقَّةٌ أَفْنَى الْجَدِيدِ عَتِيقُهَا ،
مُحَجَّبَةٌ وَسَطَ الدَّانِ ، وَنُورُهَا
كُمِيتٌ إِذَا شَاهَدَتْهَا فِي إِثَانِهَا ،
إِذَا مَسَّهَا وَقَعَ الْمِزَاجُ تَأَلَّمَتْ ،
وَأَعْجَبُ مِنْ بَكْرِهَا الْمَاءُ وَالِدٌ ،
عَجُوزٌ إِذَا مَا أُبْرِزَتْ مِنْ حِجَابِهَا ،
هِيَ الشَّمْسُ إِلَّا أَنَّهَا فِي شُرُوقِهَا ،
إِذَا جُلِيتْ فِي كَاسِهَا وَتَبَرَّجَتْ ،
بَعْضٌ عَلَيْهَا التَّائِبُونَ بَنَاتِهِمْ ،
إِذَا مَا حَسَنَوْنَهَا أَقْرَأُوا بِأَنَّهُمْ
وَلَمْ أَرَ حَبِيراً تَابَ عَنْ نَفْعِ نَفْسِهِ ،
فَهَبْنَا بِنَا نَحْوَ الصَّبَوحِ وَبَرْدِهِ ،
وَعُوجَا بِنَا نَسْتَمْطِرُ الدَّنَّ غُدُوَّةً ،
وَوَاصِلَ صَبَوحِي بِالْغَبُوقِ وَعُلَّتَنِي
فَإِنَّ قَتِيلَ الرَّاحِ يُوْشِكُ بَعْثُهُ ،
إِذَا نَفَحَتْ مِنْ رُوحِهَا فِيهِ نَفْحَةً ،
فَكَمْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتُهَا بِمَسْرَةٍ ،

وَيَنْعَشُ مِنْهَا الرُّوحَ وَالْجِسْمَ وَالْقَلْبَ ،
وَأَبْقَى صَمِيماً مِنْ حُشَاشَتِهَا لُبّاً
يُخَرِّقُ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتِهَا الْحُجْبَا
وَلَكِنْ لَصَافِي لَوْنِهَا دُعِيتُ صَهْبَا
وَأُزِيدَ مِنْهَا الثَّغَرُ ، وَامْتَلَأَتْ رُعْبَا
وَتَرَجُّعُ أَتَى رَامَ تَقْيِيلِهَا غَضَبِي
تُرِيكَ نَشَاطاً ، كَالْغَلَامِ إِذَا شَبَا
إِذَا مُزِجَتْ فِي كَاسِهَا أَطْلَعَتْ شُهْبَا
وَزَادَتْ نَفُوسَ الْوَاقِعِينَ بِهَا عُجْبَا
وَيَسْدُبُ كُلُّ مَنْهُمْ عَقْلَهُ نَدْبَا
قَدْ ارْتَكَبُوا فِي تَرْكِهَا مَرْكَباً صَعْبِي
فَلِلَّهِ مَا أَعْمَى الْجَهُولَ ، وَمَا أَغْبَا
فَإِنِّي لِيَرْضِيَنِي النَّدِيمُ ، إِذَا هَبَا
إِذَا عَاجَتِ الْأَغْمَارُ تَسْتَمْطِرُ السُّحْبَا
بِهَا كُلَّ يَوْمٍ لَا تَذُرُ شُرْبَهَا غِيَا
إِذَا أَنْتِ أَثَرَعْتَ الْكُؤُوسَ لَهُ سَكْبَا
تَمَثَّلَ حَيّاً بَعْدَ أَنْ قَضَى نَحْبَا
وَقَضَيْتَ فِيهَا الْعَيْشَ أَنَّهُبُهُ نَهْبَا

١ الاغمار ، الواحد غمر : غير المجرب .

وبِتْنَا نُوقِي الحَاشِرِيَّةَ حَقَّهَا ،
نُلَبِّي مُنَادِي الاصْطِيَا حِ إِذَا دَعَا ،
بِلَيْلَةٍ سَعْدٍ نَصْطَلِي النَّدَّ رَيْتَهَا ،
بِرَاحٍ لَهَا طَبَعٌ لِعَكْسِ حُرُوفِهَا ،
وَكَادَتْ تَكُونُ الرُّوحَ لَا الرَّاحَ كَمَلَتْ
شَمْنَا شَذَاهَا فِي الْكُؤُوسِ فَأَسْكَرَتْ ،
فَلَوْ لَمَعَتْ فِي اللَّيْلِ غُرَّةٌ وَجْهِيهَا ،
وَلَوْ قَطَرَتْ مِنْهَا عَلَى الصَّخْرِ قَطْرَةٌ ،
فَمَا هِيَ إِلَّا أَصْلُ كُلِّ مَسْرَةٍ ،
إِذَا مَا رَحَى الْأَفْرَاحَ دَارَتْ ، فَلَا يَرَى

وَنُشِيتُ مِنْ بَعْدِ الْغَبُوقِ لَهَا نَصَبًا^١
وَنَدَعُو سَمِيعَ الْاِغْتِيَاقِ إِذَا لَبَّى
وَنُوقِدُ فِي آثَائِهَا الْمُنْدَلَ الرُّطْبَا
يُصَيِّرُ ضَيْقَ الصَّدْرِ مِنْ جَرِّهِ رَحْبَا
قَوَى طَبَعِهَا لَوْ كَانَ يَابِسُهَا رُطْبَا
فَأَنَّى لَهَا رُشْدٌ ، إِذَا اسْتَعْمِلَتْ شُرْبَا
لَشَاهَدَتْ دُهِمَ اللَّيْلِ مِنْ نَوْرِهَا شُهْبَا
رَأَيْتَ صِفَاةَ الصَّخْرِ قَدْ أَثْبَتَتْ عُسْبَا
فَكَمْ رَوَّحَتْ هَمًّا وَكَمْ فَرَّجَتْ كَرْبَا
لَيِّبٌ سِوَى كَأْسِ الْمُدَامِ لَهَا قُطْبَا

عرس الكرام

حَيٍّ بِالصَّرْفِ مِنْ كُؤُوسِ الْمُدَامِ ،
وَإِذْكَ فَهَمِي بِقَهْوَةٍ تُطْفِئُ الْهَـ
ثُمَّ قُلْ ، كَلِمَا تَرَامَتْ لَكَ الْكَأْ
عَصَمَ اللَّهُ مِنْكَ كُلَّ ثَقِيلٍ ،
إِنَّ بَنَاتِ الْكُرُومِ عِرْسُ الْكِرَامِ
مَ بَيَّرِدٍ مِنْ سُكْرِهَا وَسَلَامِ
سُ فَشَابَتْ بِهَا فُرُوعُ الظَّلَامِ :
جَاهِلٍ ذِي تَبْظُرٍ وَاحْتِشَامٍ^٢

١ الحاشرية : لعلها من أسماء الخمر أو نعتها . النصب : العلم .

٢ التبظرم ، من تبظرم : إذا كان أحق وعليه خاتم فيتكلم ويشير به في وجوه الناس .

يُجَدُّ اللَّهْوَ بِالْمُدَامِ حَرَامًا ، ، وَالرِّبَاءَ غَيْرَ حَرَامٍ .
وِيرَى الزُّورَ وَالتَّجَسُّسَ وَالْغِيَةَ ، فِي شُرْعَةِ الْإِسْلَامِ .
وَإِذَا زَارَ مَجْلِسًا لَكَ فَسَدِمٌ مِنْهُمْ غَيْرُ مُوَلِّعٍ بِمُدَامٍ .
فَإِنْ جِئِدًا عَنْهُ وَثَنَ بِمَا يُؤْجِبُ إِبْعَادَهُ بِغَيْرِ احْتِرَامٍ .
ثُمَّ صَرَخَ لَهُ بِأَنْ حُضِرَ الرَّاحُ قَصْدًا كَثُرَ بِهَا فِي الْإِثَامِ .
فَمُقَامُ الصُّحَاةِ بَيْنَ السُّكَارَى كَمُقَامِ الْقُعُودِ بَيْنَ النَّيَامِ .

جنة من رياض الحزن

وقال أيضاً يصف ليلة قضاها
في دير بنواحي ماردين :

مَا مَاسَ مُنْعَطِفًا فِي قُرْطُقٍ وَقَبَا ، إِلَّا وَعَوَذْتُهُ مِنْ غَاسِقٍ وَقَبَا^١ ،
ظِيُّ نَبَا سَيْفُ صَبْرِي فِي مَحَبَّتِهِ ، وَطَرِفُ عَزَمِي بِمَيِّدَانِ السُّلُوكَبَا^٢ ،
مُتَرَكُّ اللَّحْظِ فِي أَخْلَاقِهِ دَمَثٌ ، مُسْتَعْرِبُ اللَّفْظِ تَرْكِيٌّ إِذَا انْتَسَبَا^٣ ،

١ الغيبة : الاغتيال .

٢ القدم : المي عن الكلام .

٣ القرطوق والقبا : ضربان من الثياب . وقبا : آق ، جاء . الغاسق : الليل إذا اشتدت ظلمته ،
الأسود من الحيات .

٤ الطرف : المهر . العزم : الثبات والشدة فيما يعزم عليه الإنسان . كبا : انكب على وجهه .

يَرْمِي بِسَهْمٍ مِنَ الْأَسْقَامِ أَسهَمَنِي
صَعْبُ الْقِيَادِ ، فَإِنْ رَاضَتْ خَلِيقُهُ
وَلَيْلَةُ جَادَ لِي عَدْلُ الزَّمَانِ بِهِ ،
سَقِيتُ مِنْ يَدِهِ طَوْرًا وَمِنْ فَمِهِ
فِي جَنَّةٍ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ غَالِيَةً ،
قَدْ أَفْرَشْتَنَا مِنَ الرُّوضِ الْأَنِيقِ بِهَا
بِتِنَّا بِهَا لَيْلَةً رَقَّتْ شَمَائِلُهَا ،
أَسْقَى نَدِيمِي بِهَا ، إِذَا غَابَ ثَالِثُنَا ،
مِنْ قَهْوَةِ كَشْعَاعِ الشَّمْسِ مَشْرِقَةً ،
شَعَشَعْتُهَا فَأَضَاءَ الشَّرْقُ مُنْبَلِجًا
حَتَّى إِذَا أَحْمَلْتُ مِنْهَا زُجَاجَتُنَا ،
نَبَّهْتُ رَاهِبَ دَيْرٍ كَانَ يُؤْنِسُنَا
بَادَرْتُهُ ، وَقَرَعْتُ الْبَابَ وَاحِدَةً
فَقَامَ يَسْحَبُ بُرْدِيهِ عَلَى مَهْلٍ ،
وَجَاءَ يَسْأَلُ عَمَّا لَيْسَ يُنْكِرُهُ
فَقُلْتُ : ضَيْفٌ مُلِمٌ غَيْرُ ذِي طَمَعٍ
فَأُطْلِقَ الْبَابَ إِذْنًا فِي الدَّخُولِ لَنَا ،

عَنْ حَاجِبٍ لِلْكَرَى عَنْ نَازِرِي حَجَبًا
كَأْسُ الْمُدَامِ أَلَانَتْ مِنْهُ مَا صَعِبًا
فَلَمْ يُفِدْ بَعْدَهَا جُودًا وَلَا ذَهَبًا
كَأْسِي سُلَافٍ تُزِيلُ الْهَمَّ وَالْكَرْبَا
يُضَاحِكُ الزَّهْرُ مِنْ نُوَارِهَا السُّحْبَا
بُسْطًا ، وَمَدَّ عَلَيْنَا دَوْحَهَا طُنْبًا
كَيَوْمِهَا يَسْتَجِدُّ الْتَهْوَ وَالطَّرْبَا
إِذَا شَرِبْتُ ، وَيَسْقِينِي إِذَا شَرِبَا
إِذَا جَرَى الْمَاءُ فِيهَا أَطْلَعَتْ شُهْبَا
بِهَا ، وَقَامَ لَهَا الْحِرْبَاءُ مُتَتَصِبًا
وُظِلَّ مِنْهَا غَدِيرُ الدَّنِّ قَدْ نَضَبَا
تَرْجِيْعُهُ الصَّوْتِ إِنْ صَلَّى وَإِنْ خَطَبَا
قَرَعًا تَوَسَّمَ مِنْ إِخْفَائِهِ الْأَدْبَا
فَمَا اسْتَشَاطَ بِنَا خَوْفًا وَلَا رُعبًا
مِمَّا نَرُومُ ، وَلَكِنْ يُثَبِّتُ الطَّلْبَا
فِي الزَّادِ ، لَكِنَّهُ يَرْضَى بِمَا شَرِبَا
وَقَالَ : هَذَا عَلَيْنَا بَعْضُ مَا وَجَبَا

١ أسهمني : غير لوني ، أهزلي .

٢ الحزن : ما غلظ من الأرض ولما يكون إلا مرتفعاً .

٣ شمشتها : مزجتها بالماء .

وجاءنا بسلافٍ نشرها عبيقٌ ،
 أفنى المدى جرمها حيناً ، فلو مكثتُ
 فأنزع الكأسَ حتى فاضَ فاضلُها ،
 فمُد رأينا سروراً في أسرتهِ
 كلنا له فضةٌ بالكفِّ فاضلةٌ
 من قهوةٍ حجبوها في معابدهم ،
 فبتُ أسقي نديمي من سلافتيها ،
 ما زلتُ أسقيه حتى مالَ جانبهُ
 حتى إذا قدَّ ذيلُ الليلِ من دُبُرِ
 ومدَّ باعُ الضحَى كَفّاً أناملُها
 نبهتهُ وجبينُ الصبحِ مُندلقٌ ،
 فقامَ يمسحُ عينيهِ براحتيهِ ،
 عاطيتهُ ، وحجابُ الليلِ مُنخرقٌ ،
 عذراءَ تعلمُ أنَّ الماءَ والدها ،
 إذا أصابَ بلحِنُ الماءِ عسجدَها ،
 وبتُ في طيبِ عيشٍ رقَّ جانبهُ ،
 بتنا نُقضيهِ ، والأيامُ تُشيدنا :
 والدهرُ قد غفلتْ أيامهُ ، وغدَّتْ
 فلا تُضيعُ ساعةً كانتْ لنا هبةً ،

شَمطاءٌ قد عتقتَ في دنتها حقيبا
 في الدنِّ حولاً لكادتُ أن تطيرَ هباً
 بكفِّه ، وسقاني بعدما شربنا
 تبدو وكفّاً له بالنورِ مُختضباً
 عنا ، وكالَ لنا من دونهِ ذهباً
 وعلّقوا حولها الأستارَ والصلباً
 راحاً تكونُ إلى راحتهِ سبباً
 إلى الوسادِ وأغفى بعدما غلباً
 بها وسل علينا صبحُها قُضباً
 تُزجي الشعاعَ وأخرى تَلَقَطُ الشهباً
 وقد دنا أجلُ الظلماءِ واقرباً
 والنومُ يعقدُ من أجفانهِ الهدباً
 راحاً تُخرِّقُ من لآلئها الحُجباً
 وتَسْتَشِيطُ ، إذا ما مسَّها ، غضباً
 أرتكَّ دُرّاً يُزيكَ الدرّ مُحْتَلَباً
 مُرَقَّةَ البالِ لا أخشى بهِ نصباً
 ما كلَّ يومٍ ينالُ المرءُ ما طلباً
 بطيبِ ساعاتِهِ تَسْتَوِفُ الثوباً
 من قبل أن يَسْرُدَ الدهرُ ما وهباً

إذا مت

إذا مُتْ ، فأنعيني بحَقِّ مَثَلِي ، وصرخة ناي واصطفاق مَـزَاهِرِ
ولا تَعْقِرِي غَيْرَ العُقَارِ لَتَنْضَحِي ثَرَى جَدَّتِي من سِيرِهَا المتَجَادِرِ
وقولي : كذا قد كَانَ ظَاهِرُ فِعْلِهِ ، وكُفِّي ، فعندَ اللَّهِ عِلْمُ السَّرَائِرِ
فإن كَانَ رَبِّي في المَعَادِ مُسَائِلِي ، وحُوسِبَتْ عن فَعْلِ الذَّنُوبِ الكَبَائِرِ
أقولُ : ترَشَّفْتُ المُدَامَ ، ولم أَقْلُ طَعَنْتُ ابنَ عَبدِ القيسِ طِيعَةَ ثَائِرِ

سلام الخمر

حَلَّتْ بِمَزْجِهَا المُدَامُ ، فالْمَزْجُ لِنَقْصِهَا تَمَامُ
لا أَشْرَبُهَا بِغَيْرِ ماءٍ ، فالخمرُ بِعَيْنِهَا حَرَامُ
حَمَاءُ لِنُورِهَا وَمِيزُ الدُّرِّ لِكَاسِهَا نِطَاقُ ، يُجَلَى بِشُعَاعِهِ الظَّلَامُ
شَمَطَاءُ تَنْجَلِي عَرُوساً ، والمِسْكُ لِدَنِّهَا خِتَامُ
لِلْهَمِّ بِمَزْجِهَا قُطُوبُ ، للدُّرِّ بِنَحْرِهَا نِظَامُ
لو نَادَمَهَا النَّدِيمُ يَوْمًا ، إن لَاحَ لِشَغْرِهَا ابْتِسَامُ
إن قَالَ لَهَا امْرُؤٌ : سلام ! ما أَعْجَزَهَا لَهُ الكَلَامُ
قالت : وعليكمُ السَّلَامُ

١ من سيرها المتجادر : هكذا في الأصل ولعل فيه تحريفاً .

الملام يغري

خلتباني من قول زيد وعمر ، واسقاني ما بين عود وزمر
 واتركا اليوم في مُدامي ملامي ، إن فَرَطَ المَلامِ في ذاك يُغري
 ودعاني من سُخطٍ من رام تخوي ، فمي وزجري ، وهجر من رام هجري
 إن من لا يُطيقُ يُنقصُ رزقي ، لم يكن قادراً على نقص عسري
 ربّ يوم قضيت فيه سروراً ، فهو باللهو خير من ألف شهر
 طاب عيشي بكلّ ليلة شرب ، قدّرتُ بالسرور ليلة قدر
 فنعّمتنا بالحاشرية حتى ، خلت نور المدام مَطْلَع فجر
 مع غزال عيناه من آل حرب ، حين يبدو ، والوجه من آل بدر
 يتعاطى حُبّي ويمزج راحي ، ويعاطي كأسٍ وينشد شعري
 في رياض كأنما رَصَعَ القَط ، رُ أكاليلها الحسان بدر
 حلّ فيها الربيع ، فالزهر يُبدي ، حباً ، خلتُهُ مشاعيل جمر
 وبدا الترجيسُ المحدثُ بِحكي ، أشيأ فوق رأسه طاس تبر
 فدعوتُ الساقى : لقد غفل الدّه ، رُ ، فعجل وطُف بكاسات خمر
 فتباطأ بها ، فقلتُ : أدريها ، لست ساقى ، ولا قلامه ظفري

قم الى اللهو

نَدِيمِي قُمْ إِلَى اللَّهْوِ ، فَقَدْ سَاعَدَنَا الدَّهْرُ
وَفِي مَجْلِسِنَا شَمْسٌ تَوَلَّى حَمَلَهَا بَدْرُ
وَسَاقٍ كُلَّمَا مَاسَ تَشَكَّى رِدْفَهُ الْخَصْرُ
نَدِيمٌ ، نَاعِمٌ ، حُلُوٌّ ، وَرَاحٌ خَشِنٌ مُرٌّ

ماء الملام

يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْمُدَامَةِ ، مَا لِلْمُحِبِّ وَلِلْمَلَامَةِ
لَا حَبَّ عِنْدِي لِلَّذِي فِيهَا يَلُومُ ، وَلَا كَرَامَةَ
مَا إِنْ تَنَالُ ، إِذَا عَدَا تَ عَلَى الْمُدَامِ ، سَوَى النَّدَامَةِ
إِنْ تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَا مِ سَقَيْتُكَ اسْمَ أَبِي دُلَامَةِ

١ أبو دلامة : شاعر أسود من موالي بني أسد كان يقول الشعر وكان الناس يخافون لذعات لسانه .

العمر خطفة طائر

إذا ابتدأ السَّاقِي وثَنَى وثَلَّثَا ، وجَسَّ لَنَا الشَّادُونَ مَشْنَى وَمَثَلَّثَا ،
 وَهَبَ لَنَا شَادٍ حَكَى الغَصْنَ قَدُهُ ، يَرْدَدُ طَرَفًا صَامِتًا مُتَّحِدَتَا ،
 أَخُو نَشْطَةٍ ، فَحَلَّ اللَّحَاطِ ، مَذَكَّرُ ، يُخَالُ لَتَرخِيمِ الكَلَامِ مَوْتَنَا ،
 إِذَا لَحْظُهُ ، أَوْ لَفْظُهُ ظَلَّ نَافِتًا ، بِسِحْرِ لَنَا لَمْ نَدْرِ مَنْ كَانَ أَنْفَتَا ،
 فَيُنْشِدُ مِنْ شِعْرِي رَقِيقًا مُخَمَّسًا ، وَيَرْشِفُ مِنْ خَمْرِي رَحِيقًا مُثَلَّثًا ،
 وَيَمَزْجُ لِي فِي الكَاسِ بِكَرًا قَدِيمَةً ، تَخَالُ خِيَابَهَا مِنْ جَنَى النُّحْلِ مُحَدَّثَا ،
 إِذَا بَسَمَتْ لِلْهَمِّ رَاحَ مُقَطَّبًا ، وَإِنْ سَقَرَتْ لِلْحُزَنِ سَارَ مُحْتَضِثَا ،
 فَلَا تَخْلُفْنِي إِنْ طَرْتُ بِالسَّكْرِ نَائِمًا ، أَرُومُ بِأَهْدَابِ النُّجُومِ تَشَبُّثًا ،
 وَلَا أَنْ تَرَانِي نَائِمَ الْعَقْلِ طَائِفًا ، أَرَى الرَّشْدَ عِنْدِي أَنْ أَقُولَ وَأَعْبَثَا ،
 وَلَا أَتَّسِّي عَنْ حَالَةٍ وَأَعِيدُهَا ، وَأُقْسِمُ أَتَنِي لَا أَعُودُ وَأَحْنَثَا ،
 فَبِمَا الْعُمُرُ إِلَّا مِثْلُ خَطْفَةِ طَائِرٍ ، يَمُرُّ سَرِيعًا لَا يُطِيقُ تَلَبُّثًا ،
 لِذَلِكَ إِنِّي أَنْهَبُ الْعَيْشَ قَاطِعًا ، ثِمَارَ الْمُنَى ، حَتَّى أَمُوتَ وَأَبْعَثَا

لا تصحو ولا نصحو

وَيَوْمٍ ضَمَّ شَمْلَ الصَّحْبِ فِيهِ ، مُلِثٌ فِي تَرَادُفِهِ مُلِحٌ ،
 تَكَاثَفَ غَيْمُهُ ، فَالصَّبْحُ لَيْلٌ ، وَأَوْمَضَ بَرْقُهُ ، فَاللَّيْلُ صُبْحٌ

وعاهدنا العهدَ بهِ عهوداً ، فما لحفونها بالسَّحَّ شَحَّ
فقد حلفتُ لنا أن ليسَ تصحو ، وأقسمنا لها أن ليسَ نصحو

ضيف ثقيل

وقال وقد زاره ثقيل من الفقهاء
وهو على عزم الشرب فلم يستطع دفعه
إلا بالتلويح له بذلك :

وقهوةٌ يُجتَلَى السُّرورُ بها وتَسْجَلِي بانْجِلَايَها الكُرْبُ
جَلَوْتُها ، والحُطوبُ غافِلَةٌ ؛ وقد تَجَلَّتْ في أَفْقِها الشُّهْبُ
وَبَيْتٌ أَغْرِي بها أَخَا صَلَفٍ ، قد نَشَفَتْهُ الدُّروسُ والكُتُبُ
باتٌ برُعْمِي ضَيْفًا لَدَيَّ ، ولا يَعْلَمُ أَنِّي بِمِثْلِهِ تَعِيبُ
فَقَالَ لِي مُغَضَّبًا لِيُرْشِدَنِي : مِثْلُكَ لَا يَسْتَخِفُّ الطَّرَبُ
فَقُلْتُ : هَلَا رَأَيْتَ صَيغَتَها كَأَنَّها في الزَّجَاجِ تَلْتَهِبُ
وَطَعْمُها لو عَرَفْتَ لَذَّتْهُ لَزَالَ عَنْكَ الْوَقَارُ والأَدَبُ
نُطْفَةٌ كَرَمٍ فَوَيْقَها حَبَبٌ ، كَأَنَّهُنَّ الرِّضَابُ والشَّنَبُ^١
فازدادَ يَبْسًا ، وقَامَ مُمْتَعِضًا ، ولاحَ فِيهِ النِّفَارُ والغَضَبُ
وقال : لا ذُقْتُها ! فقلتُ لَهُ : من مِثْلِ ذَا الْيُبْسِ يَحْدُثُ الجَرْبُ

١ العهد : أول مطر الربيع ، ولعله أراد هنا السحاب .

٢ الرضاب : الريق . الشنب : بياض الأسنان وحسنها .

الفقيه الزائر

وقال في مثله :

ولَيْلَةٍ زَارَنِي فَفَقِيهُ^١ فِي رُشْدِهِ لَيْسَ بِالْفَقِيهِ
رَأَى يُمْنَايَ كَأْسَ خَمْرٍ ، فَظَلَّ يَتَأَى وَيَتَّقِيهِ
فَقُلْتُ : هَلَا ؟ فَقَالَ : كَلَّا ، فَقُلْتُ : لِمَ لَا ؟ فَقَالَ : إِيه^١
مَا ذَاكَ فَنِّي ، فَقُلْتُ : عَدْلُ^١ أَنْزَهُ الْكَأْسَ عَنْ سَقِيهِ

قنان وقيان

وقال وقد ورد الورد في أول شوال
يمدح الملك ناصر الدين عمر ابن
الملك المنصور :

دَقَّ شَوَّالٌ فِي قَفَا رَمْضَانٍ ، وَأَتَى الْفِطْرُ مُؤَذِّنًا بِالتَّهَانِي
فَجَعَلْنَا دَاعِي الصَّبَّوحِ لَدِينَا بَدَلًا مِنْ سُحُورِهِ وَالْأَذَانِ
وَعَزَلْنَا الْإِدَامَ فِيهِ وَلُذْنَا بِقَنَانٍ مَصْفُوفَةٍ وَقِيَانِ
وَنَحَرْنَا فِيهِ نَحُورَ زِقَاقٍ ، وَضَرَبْنَا بِهِ رِقَابَ دِنَانِ
وَاسْتَرَحْنَا مِنَ التَّرَاوِيحِ وَاعْتَصَفُ^١ نَا بِحَقِّ الْجَنُوكِ وَالْعِيدَانِ

١ إيه : اسم فعل للاستزادة من قول أو فعل .

فالمزَامِيرُ في دُجَاهُ زَمُورٌ ،
كلَّ يَوْمٍ أروحُ فيهِ وأغْدُو
لا تراني ، إذا رأيتَ نقيَّ ١
مَنْظَرُ الصَّوْمِ مع تَوَخُّيهِ عِنْدِي
ما أَتَانِي شَعْبَانُ من قَبْلُ إِلَّا
كَيْفَ أَسْتَشْعِرُ السَّرورَ بِشَهْرِ
لا تَتِمُّ الأَفْرَاحُ إِلَّا إذا عَا
فيهِ هَجَرُ الذَّاتِ حَتْمٌ وفيهِ
وَقَبِيحٌ فيهِ التَّنَسُّكُ إِلَّا
فَاسَقِنِي القَهْوَةَ الَّتِي قِيلَ عَنْهَا
خَنْدَرِيْسًا تَكَادُ تَفْعَلُ بِالْعَمَّةِ
بَنْتُ تِسْعِينَ تُجْتَلَى في يَدَيِ بَنِي
كَلَّمَا زَادَتِ البَصَائِرُ نَقْصًا
شَمْسُ رَاحِ تَرْيِكَ في كُلِّ دَوْرٍ
ذَاتُ لُطْفٍ يَنْظُنُّهَا مَنْ حَسَاها
سَيِّمًا في الحَرِيفِ ، إذا بَرَدَ الظَّ
وَانْتِشَارُ الغَيُومِ في مَبْدَأِ الفَصِ
وَبَسَاطَةُ الأَزْهَارِ كَالوَشْيِ ، والغَيْبِ

والمَثَانِي مَثَالِثُ وَمَثَانِي
بَيْنَ حُورِ الجِنَانِ وَالوِلْدَانِ
خَدُّ أَثْنِي طَرْفِي إِلَى لِحْيَانِي ١
مَنْظَرُ الشَّيْبِ في عَيُونِ الغَوَانِي
وَفُؤَادِي من خَوْفِهِ شَعْبَانُ ٢
زَعَمَ الطَّبَّ أَنَّهُ مَرَضَانِ
دَ سَنًا بَدَرِهِ إِلَى نَقْصَانِ
غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ وَصَالُ الغَوَانِي
بَعْدَ سَتِينَ حِجَّةٍ وَثَمَانِي
إِنِّهَا من شَرَائِطِ الشَّيْطَانِ
لِ فِعْلِ النَّعَاسِ بِالْأَجْفَانِ
تِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ وَثَمَانِ
خَطَبُوهَا بِوَافِرِ الأَثْمَانِ
يَبْدُورِ السَّقَاةِ حُكْمَ قِرَانِ
خُلِقَتْ من طَبَائِعِ الإنسانِ
لِ وَصَحَّ اعتِدَالُ فَصْلِ الزَّمَانِ
لِ ، وَشَمْسُ الحَرِيفِ في المِيزَانِ
مُ كُتُوبٍ مُجَسِّمٍ من دُخَانِ

١ الحياني : الطويل الحية .

٢ شعبان : الشهر الثامن من الشهور القمرية . شعبان الثانية : أراد بها أنه مبدوع .

في رياض الفخريّة الرّجبة الأك
 فوق فرش مبثوثة وزراب
 صحّ عندي بأنّها جنة الخلد
 وكأنّ الهضاب بيض خدود
 وكأنّ المياه دمع سرور ،
 وشموس المدام تشرق والصح
 فاسقني صرفها ، فإنّ جديد ال
 بين فرش مبثوثة وزراب
 في ظلال على الأرائك منها ،
 فانتهاز فرصة الزمان فليس ال
 وتمتع ، فإنّ خوفك منها
 فرضعنا درّ السرور وظلنا
 شملتنا من ناصر الدين نعتي
 عمّر المالك الذي عمّر الجو
 الملك الذي يرى المنّ إشرا
 والجواد السّمح الذي مرجّ البح
 ملك يعتق العبيد من الرّ

ناف ذات الفنن والأفنان
 بي عتاق وعبقري حسان^١
 د ، وفيها عيّن نضاحتان
 ضرجتها شقائق النعمان
 وكأنّ الرياح قلب جبان
 ب بظل الغمام في صيوان
 غيم يدعو إلى عتيق الدنان
 بي رياض وعبقري حسان^٢
 والدوالي ذات القطوف الدواني
 مرء من جور صرفه في أمان
 سوء ظنّ بالواحد المنان
 في أمان من طارق الحدّثان
 نصرتنا على صروف الزمان
 د ، وقد كان دائر البنيان
 كأ بوصف المهيمين المنان
 رين من راحتيه يلتقيان^٣
 ق ويشري الأحرار بالإحسان

١ الزرابي ، الواحدة زربية : ما بسط واتكأ عليه . العبقري : الذي ليس فوقه شيء . الحسان : الحسن .

٢ هذا البيت مكرر .

٣ مرج : خلط .

بَسْجَايَا رَضَعْنَ دَرَّ الْمُعَالِي ،
فَلْبَاغٍ عَصَاهُ حُمْرُ الْمَنَايَا ،
لَذْتُ حَبًّا بِهِ ، فَمَدَّتْ بَضْبَعَهُ
وَحَبَّانِي قُرْبًا ، فَأَصْبَحْتُ مِنْهُ
يَا أَخَا الْجُودِ لَيْسَ مِثْلُكَ مَوْجُو
أَنْتَ بَيْنَ الْأَنَامِ لَقِظَةُ إِجْمَا
وَلَكِ الرِّبَّةُ الَّتِي قَصَّرَتْ دُو
وَالْحُسَامُ الَّذِي إِذَا صَلَّتِ الْبَيْ
قَامَ فِي حَوْمَةِ الْهَيْبِاجِ خَطِيبًا
وَالْيِرَاعُ الَّذِي يَزِيدُ بَقْطَعِ الْ
لَمْ يَمَسَّ التَّرَابَ نَعْلَاكَ إِلَّا
شَيْمٌ لَمْ تَكُنْ لَغَيْرِكَ إِلَّا
جَمَعَ اللَّهُ فَيْكُمَا الْحُسْنَ وَالْإِ
وَتَجَارَيْتُمَا إِلَى حَلْبَةِ الْمَجْ
ثُمَّ عَاظَدْتُهُ ، فَكُنْتُ لَهُ عِي
فَتَهَنَ بِالْعِيدِ السَّعِيدِ ، وَإِنْ كَا
لَيْسَ لِي فِي صِفَاتِ مَجْدِكَ فَخْرٌ ،
كَلَّمَا أَبْدَعْتَ سَجَايَاكَ مَعْنَى ،

وَمَزَايَا رَضَعْنَ دَرَّ الْمُعَالِي
وَلْبَاغِي نَدَاهُ بَيْضُ الْأَمَانِي
يَ وَأَعْلَى سِعْرِي ، وَأَعْلَى مَكَانِي
مِثْلَ هَارُونَ مِنْ فِتْنَةِ عِمْرَانِ
دَا ، وَإِنْ كَانَ بَادِيًا لِلْعِيَانِ
عَ عَلَيْهَا اتِّفَاقُ قَاصٍ وَدَانِ
نَ عَلَاهَا الذِّيرَانُ وَالْفِرْقَدَانِ
ضُ وَصَلْتُ فِي الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ
قَائِلًا : كُلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ
رَأْسِ نَظَقًا مِنْ بَعْدِ شَقِّ الْإِنْسَانِ
حَسَدَتَهُ مَعَاقِدُ التَّيْجَانِ
لِ الْمُعَالِي شَقِيقِكَ السَّلْطَانِ
سَانَ إِذْ كُنْتُمَا رَضِيعِي لِبَانِ
دِ ، فَوَافَيْتُمَا كُثْرِي رِهَانِ
نَا وَعَوْنًا فِي كُلِّ حَرْبٍ عَوَانِ
نَ لِكُلِّ الْأَنَامِ مِنْهُ التَّهَانِ
هِيَ أَبَدَتْ لَنَا بَدِيعَ الْمَعَانِي
نَظَمْتُ فِكْرَتِي وَخَطْتُ بَنَانِي

١ صلت الأولى ، من صل السلاح : إذا سمع له طنين . والثانية من الصلاة على الاستعارة والجنان .

لا تَسْمُنِي بالشَّعْرِ شُكْرَ أَيْادِي لَكَ ، فَمَا لِي بِشُكْرِهِنَّ يَدَانِ
لو نَظَّمْتُ النُّجُومَ شِعْراً لَمَا كَا فَيَتُّ عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ الْإِحْسَانِ

يا قاصدي البحر

بَدَتْ ، فَلَمْ يَبْقَ سِرٌّ غَيْرَ مُنْهَتِكَ مَنَا وَلَمْ يَبْقَ سِرٌّ غَيْرَ مُنْهَتِكَ
وَأَقْبَلْتُ ، وَقَمِيسُ اللَّيْلِ قَدْ نَحَلْتُ أَسْمَالُهُ ، وَرَدَاءُ الصَّبْحِ لَمْ يُحَكِّ
تَبَسَّمَتْ إِذْ رَأَتْ مَبْكَائِي فَاشْتَبَهَتْ مَدَامَعِي بِلَالِي الشَّغْرِ فِي الضَّحِكِ
فَحِيرْتُ مِنْ دُرِّ عِبْرَاتِي وَمَبْسِمِهَا ، مَا بَيْنَ مُشْتَبِهٍ مِنْهَا وَمُشْتَبِكِ
مَلَكَتْ قَلْبِي وَجَسَمِي فِي يَدَيْكَ هَوًى ، إِنْ شِئْتَ فَاَنْتَهِي ، أَوْ شِئْتَ فَاَنْتَهَكِي
أَفْنَيْتَ لِحَاطُوكِ أَرْبَابَ الْغَرَامِ ، وَمَا عَلَيْكَ فِي قَتْلَةِ الْعِشَاقِ مِنْ دَرَكِ
يَبْدُلَ كُلِّ عَزِيزٍ فِي هَوَاكَ كَمَا يَعْزِ كُلَّ ذَلِيلٍ فِي حِمَى الْمَلِكِ
مَلِكٌ لَوْ أَنَّ بَدَّ الْأَقْدَارِ تُنْصِفُهُ ، لَمَا أَحَلَّتْهُ إِلَّا ذُرْوَةَ الْفَلَكَ
يَسْتَعْظِمُ النَّاسُ مَا نَحْكِيهِ عَنْهُ ، فَإِنْ لَازُوا بِهِ اسْتَقْلَلُوا مَا كَانَ عَنْهُ حُكِي
تَشَارِكُ النَّاسُ فِي إِنْعَامِ رَاحَتِهِ ، وَمَجْدُهُ فِي الْبَرَايَا غَيْرُ مُشْرَكِ
بَحْرٌ ، وَلَكِنَّهُ طَابَتْ مَشَارِعُهُ ، وَالْبَحْرُ يَجْمَعُ مِنْ طَيْبٍ وَمِنْ سَهَكِ

١ سر غير منتهك : غير متمزق . وسر غير منتهك : غير مفتضح .

فِي كَفِّهِ قَلَمٌ تَهْمِي مَشَافِرُهُ ، فِي نَفْعِ مُعْتَكِرٍ ، أَوْ وَقَعَ مُعْتَرِكِ
 قَلْ لِلْمُنْكَبِ عَنْهُ كَيْ يَتَالَ غِنَى ، لَقَدْ سَلَكْتَ طَرِيقاً غَيْرَ مُنْسَلِكِ
 يَا قَاصِدِي الْبَحْرِ إِنِّي فِي ذَرَى مَلِكٍ ، لَدَيْهِ أَصْبَحْتُ جَارَ الْبَحْرِ وَالْمَلِكِ
 يَا نَاصِرَ الدِّينِ يَا مَنْ شُهِبَ عِزَّمَتُهُ مُنِيرَةً فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ وَالْحُبُكِ
 لَا يُقَدِّمُ الدَّهْرُ يَوْمًا أَنْ يَسْمِلَ عَلَى عَبْدٍ بِحَبْلِ وِلَايٍ مِنْكَ مُمْتَسِكِ
 مَا إِنْ حَطَّطْتُ رِحَالِي فِي رُبُوعِكُمْ ، إِلَّا وَكُنْتُمْ لَنَا كَالْمَاءِ لِلسَّمَكِ
 مَا زِلْتَ تَمْنَحُنِي وَدًّا ، وَتَرْفَعُنِي حَتَّى ظَنَنْتُ مَحَلَّتِي ذُرُوءَ الْفَلَكَ
 وَدَعْتُ مَجْدَكَ وَالْأَقْدَامُ تُنْكَصُ بِي كَأَنْتَنِي حَافِيًا أَمْشِي عَلَى حَسَكِ
 وَكَيْفَ تَتَرَجُّجُ بِي عَنْ ظِلِّكُمْ قَدَمٌ أَمْسَى لَهَا جُودُكُمْ مِنْ أَوْثَقِ الشَّرَكِ
 فَاسْلَمْ عَلَى قُلُلِ الْعُلَيَاءِ مُرْتَفِعًا عِزًّا ، وَشَانُكُمْ فِي أَسْفَلِ الدَّرَكِ

للشرب بين طعامين

وقال في لطف الغداء :

لَا يَحْفَظُ الصَّحَّةَ أَكْلُ الْفَتَى طَعَامَهُ بَيْنَ شَرَابَيْنِ
 وَإِنَّمَا الْحِكْمَةُ فِي شُرْبِهِ شَرَابَهُ بَيْنَ طَعَامَيْنِ

١ الحبك ، يقال : السماء ذات الحبك أي ذات الطرائق الحسنه .

خمر من قبل التاريخ

ومُدَامِ حَكَتْ سُهَيْلَ اتَّقَادَا ، فِي زُجَاجٍ كَأَنَّهُ الْمِرْيَخُ
ذَاتِ نَشْرِ تَرْيَكَ حَامِلَهَا وَهَذَا بِمِسْكِ أَوْ عَنَبٍ مَلْطُوخُ
عَتَقَتْهَا الْقُسُوسُ مِسْكِيَّةَ الْأَدْنَسِ ، لَا قَارِسُ وَلَا مَطْبُوخُ
قُلْتُ: كَمْ عَمْرُهَا الْمَدِيدُ؟ فَقَالُوا: خُلِقَتْ قَبْلَمَا يُخْلَقُ التَّارِيخُ

لا وعد ولا وداع

وقال في شروط أدب الشرب :

كَمْ عَتَقْنَا عَلَى الْمُدَامَةِ يَوْمًا ، إِذْ دَعَانَا إِلَى الْمَسْرِةِ دَاعٍ
وَنَحَلْنَا بِهَا بِإِخْوَانٍ صِدْقٍ ، رُؤَسَاءِ الْحَدِيثِ وَالِاسْتِمَاعِ
وَالْتَزَمْنَا شُرُوطَهَا ، وَاتَّبَعْنَا أَدَبَ الْإِفْتِرَاقِ وَالِاجْتِمَاعِ
فَاجْتَمَعْنَا لَهَا عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ ، وَافْتَرَقْنَا عَنْهَا بِغَيْرِ وَدَاعٍ

بين اليمين والشمال

قال في الاعتذار عن دور الكؤوس شمالا :

أدِرِ الكؤوسَ على الشمالِ ، فلا تخفِ عَتَباً ، وكنْ في مَرَجِهِنَّ أَمِيناً
فالشمسُ تُسري في الحَقِيقَةِ بِسَرَةٍ ، ويُدِيرُها الفلكُ المُحيطُ يَمِيناً

أشرق شمس المدام

ربّ يومٍ قد رَفَلْتُ بِهِ ، في ثِيَابِ اللّهُوِ والمَرَحِ
أشْرَقَتْ شَمْسُ المَدَامِ بِهِ ، وَجَبَيْنُ الصَّبَحِ لم يَلُحِ
فَظَلَلْنَا بَيْنَ مُغْتَبِيقِ بِحُمَيَّاهَا ، وَمُصْطَبِحِ
وَشَدَّتْ في الدَّوْحِ صَادِحَةٌ بِضُرُوبِ السَّجَعِ والمُلَحِ
كَلَّمَا نَاحَتْ على شَجَنِ ، خَلَتْهَا غَنَّتْ على قَدَحِ

معجزات الحمرة

أرسلت في الكؤوس بالمعجزات ، فأرتنا الآيات والبينات
وتجملت من خلدتها ، فنهضنا ، ومشينا لفضلها خطوات
كيف لا تخضع العقول لديها ، وهي سلطان سائر المسكرات
قهوة بردها يتوب عن الما ، وتغني طورا عن الأقوات
لو حسنا ابن التسعين منها ثلاثا ، أبدلت قوس قذو بقناة
قتلتها السقا عمناء لتحياء ، بشبا الماء لا حدود الطببات
ألفوا في الكؤوس إذ مزجوها ، بين ماء الحيا وماء الحياة
باحمرار يدب في يقق الما ، ديب التضرع في الوجنات
سبك الدهر نبرها ، فقرأت كسنا الشمس في الصفا والصفات
جاء نص الكتاب بالنفع فيها ، لو خلعت من مائيم الشبهات
نهك المفريطون فيها حمى الإسه ، لام من غير عدة وتبات
لو حسوها بما لها من شروط ، بدلت سيئاتهم حسنات
قلت لما شربتها مع كرام ، عرّفوا ما لها من الآيات
ولدينا السرور دان ، الضد قد غاب والزمان موات
كم يقوت المعبردين على السك ، ر لدينا من طيب اللذات

و اليق : الأبيض ، البياض .

تحريم الراح

وقال وقد حرموا الشرب :

يقولون لي: قد حرّم الراح معشّرٌ ، وعزّتٌ ، فقلتُ: اليومَ عَفّ لزارُها
وقالوا: حماها قد أحاطتْ بهِ الطَّبِيّ الـ مواضي ، فقلتُ: الآنَ طابَ مزارُها

شربها للدواء حل

رَوّني من سُلَافَةِ الصَّهْبَاءِ ، فهي تَرَوِي من سائِرِ الأدواءِ
واسقِياني بل اشفِياني ، فحِفظُ الـ نفسِ خَيْرٌ من أنْ أَمُوتَ بدائي
إنْ يَكُ شربُها حَرَاماً على النَّاسِ سِـ بِنَصِّ الكتابِ والأنباءِ
شربُها للدَّواءِ حِلٌّ لِبَاغِيهِ ، قياساً لها على المُومِياءِ^١

١ المومياء : ضرب من الدواء .

قم هاتها

وقال مسطاً لأبيات لابن حمديس الصقلي :

قد أَيْقَظَ الصَّبْحُ ذَوَاتِ الْجَنَاحِ ، وَعَطَّرَ الزَّهْرُ جُيُوبَ الرِّيحِ
وَارْتَاخَتِ النَّفْسُ إِلَى شَرْبِ رَاحِ ، قَمِ هَاتِيهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ الْوِشَاحِ
فَقَدْ نَعَى اللَّيْلَ بِشِيرِ الصَّبَاحِ

بَاكِرٌ ، فَطَرَفَ الدَّهْرُ فِي غَفْلَةٍ ، وَأَنْتَ مِنْ يَوْمِكَ فِي غَفْلَةٍ
فَاعْجَلْ ، فَظِلُّ الْعَيْشِ فِي نَقْلَةٍ ، وَاحْلُلْ عُرَى نَوْمِكَ عَنْ مُقْلَةٍ
تُقِلُّ الْحَظَّ مِرَاضاً صِحَاحِ

فَقَاطِعِ الْغُمُضِ ، وَصِلْ نَشْوَةَ ، تُؤَلِّكَ مِنْ بَعْدِ الصَّبَا صَبْوَةَ
وَلَا تَرْمُ مِنْ سُكْرِهَا صَحْوَةَ ، خَلِّ الْكَرَى عَنْكَ ، وَخُذْ قَهْوَةَ
تُهْدِي إِلَى الرُّوحِ نَسِيمَ الرِّيحِ

بَاكِرٌ صَبُوحَ الرَّاحِ بَيْنَ الدُّمَى مَعَ كُلِّ بَدْرِ فَاقَ بَدْرَ السَّمَاءِ
مِنْ كُلِّ حُلُوِّ اللَّفْظِ عَذْبَ اللَّمَى ، هَذَا صَبُوحٌ وَصَبَاحٌ ، فَمَا
عَذْرُكَ عَنْ تَرْكِ صَبُوحِ الصَّبَاحِ

إِنْ لَذَّةٌ وَافَتْ ، فَكُنْ أَهْلَهَا ، مَخَافَةَ أَنْ لَا تَرَى مِثْلَهَا
وَلِنْ نَأَتْ صَارِمَةً حَبَلَهَا ، بَادِرْ إِلَى اللَّذَاتِ وَارْكَبْ لَهَا
سَوَابِقَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ الْمِرَاحِ

أما ترى الليلَ بنا قد طحاً ، والصُّبحَ بالنُّورِ لهُ قد مَحاً
 قم فارشُفِ الكأسَ ودعْ مَنْ لحاً من قبل أن ترشُفَ شمسُ الضُّحى
 ريقَ الغَوادي من تُغُورِ الأَقاح

هبوا

هَبُوا، فَقَدْ قَدْ ذِيلُ اللَّيْلِ مِنْ دُبُرٍ، وَنَبَّهَ الصُّبْحَ شَدُوُ الْوُرُقِ فِي السَّحَرِ
 وَأَقْبَلَ الصُّبْحُ يَدْعُو بِالصُّبُوحِ لَنَا ، مُنَاجِيًا بِلِسَانِ النَّايِ وَالْوَتْرِ
 فَاسْتَقِظُوا مِنْ ثِيَابِ السَّكْرِ وَابْتَدَرُوا رَاحًا تُرِيحُ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْفِكَرِ
 مُدَامَةً أَثَرَتْ فِي وَجْهِ شَارِبِهَا ، أَضْعَافَ تَأْثِيرِ نَوْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 يَسْعَى بِهَا ثَمَلُ الْأَعْطَافِ يُسَعِفُهَا بِنَشْوَةِ مِنْ سُلَافِ الْغُنَجِ وَالْحَوَرِ

إكسير السرور

أقولُ لِرَاوُوقٍ تَضَمَّنَ رَاحَنَا : بِقَلْبِكَ إكْسِيرُ السَّرُورِ، فَلِمَ تَبْكِي؟
 فَقَالَ: هَمَّتْ عَيْنِي، وَسِنِّي ضَاحِكٌ، وَقَدْ تَدَمَّعُ الْعَيْنَانِ مِنْ شِدَّةِ الضَّحْكِ

جيب الظلماء

وَلَيْلَةٍ خَرَقْتُ عَنْ صُبْحِهَا جَيْبًا ، من الظَّلماءِ ، مَزْرُورًا
شَاهَدْتُ بَدْرَ التَّمِّ فِيهَا ، وَقَدْ كَوَّرَ شَمْسَ الرَّاحِ تَكْوِيرًا
بِتَنَا بِهَا نَشْرَبُ مِنْ قَهْوَةٍ قَدَرَهَا السَّاقُونَ تَقْدِيرًا
إِنْ لَمْ تَكُنْ أَكْوَابُنَا فِضَّةً كَانَتْ قَوَارِيرَ قَوَارِيرًا

كلوا واشربوا

أَذَى الْجَسَمِ شَرِبُ الرَّاحِ قَبْلَ آغْتِزَائِهِ ، وَلِلنَّفْسِ مِنْهُ غَايَةُ الْقَبْضِ وَالثَّقْلِ
كُلُوا وَاشْرَبُوا أَمْرٌ بِتَرْتِيبِ شَرْبِهَا ، وَلَا تَشْرَبُوا الصَّهْبَاءَ ، إِلَّا عَلَى أَكْلِ

اشربها على حذر

قَالُوا : خَلَا الْوَقْتُ فَاشْرَبْهَا عَلَى حَذَرٍ ، فَقُلْتُ : هِيَاتَ أَمْرٌ لَيْسَ يَنْكَتِمُ
كَيْفَ السَّبِيلُ وَكُلُّ ، حِينَ يَشْرَبُهَا ، يَجُولُ فِي وَجْهِهِ بَعْدَ الصَّفَارِ دَمٌ

أسياف البرق

لجيش الحيا في مأقط الروضِ معرك^١ ،
 إذا استلّ فيه الرعدُ أسيافَ برقه ،
 فبا حَبْذاً فصلُ الحريفِ ومزْنُهُ ،
 وللطلّ في الغدرانِ رَقشٌ مُنَمَّمٌ ،
 ولم أنسَ لي في دَيْرِ سَهْلانٍ لَيْلَةً ،
 وثوبُ الثرى بالزّعفرانِ مُعَطَّرٌ ،
 وأقبلَ شَمَاسٌ وقسٌ وأسقفٌ ،
 يحضونَ بي حتى كأنّي لديهم^٢ ،
 ويصغونَ لي علماً بأنّي لبعثهم^٢ ،
 وأقبلَ كلٌّ منهمُ بمُدَامَةٍ ،
 فذلكَ تحويّ يحملُ الكأسَ جائباً ،
 وطافوا بكأسٍ لا يوحّدُ راحها ،
 مشعّعةٌ يخفي الزجاجُ شعاعها ،
 توهّمها الساقونَ نوراً مُجَسِّماً ،
 إذا قبّلوها يُنعشُ الروحَ لطفها ،
 كأنّ له ثأراً على الأرضِ يدرك^١ ،
 فليسَ بهِ إلاّ دَمُ الرّقّ يُسفك^٢ ،
 وسُتْرُ السحابِ الطلقِ بالبرقِ تُحبك^٢ ،
 كأنّ أديمَ الماءِ صرّح^٢ مُشبك^٢ ،
 بها السحبُ تبكي والبوارقُ تضحك^٢ ،
 وللريحِ ذيلٌ بالرياضِ مُمسك^٢ ،
 ومِطْرانهم مع مقربانٍ وبطرك^٢ ،
 حبيبٌ مُفدّى ، أو ملكٌ يملك^٢ ،
 عذيقُ جَنّاهُ ، والجذيلُ المُحكك^٢ ،
 بها كانَ في تقديسهِ يتنسك^٢ ،
 وهذا بمسحِ الكفّ بي يتبرك^٢ ،
 ولكن لها في الكأسِ ماءٌ يُشرك^٢ ،
 فمن نورها سِرُّ الدُّجْنَةِ يهتك^٢ ،
 فظلتُ بها بعدَ اليقينِ تُشكك^٢ ،
 وإن تَرَكوها ، فهي للجِسمِ تهتك^٢ ،

١ قوله : مأقط ، هكذا في الأصل ولم نجدها .

٢ العذيق ، مصغر عذق : هو من النخل كالمنقود من العنب . الجذيل ، تصغير الجذل : أصل الشجرة . يقال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، يقوله الرجل الذي يستشفى برأيه وعقله .

وإن سامحوها في المزاجِ تَمَرَّدَتْ ،
فَتَكُنَّا بِسَيْفِ الْمَاءِ فِيهَا ، فَحَاوَلْتُ
وَهَبَّ لَنَا شَادٍ كَرِيمٌ نِجَادُهُ ،
يُحَرِّكُ أَوْتَاراً تُنَاسِبُ حَسَّهَا ،
إِذَا جَسَّ لِلْعِشَاقِ عِشَاقَ نَعْمَةٍ
وَرَتَّلَ مِنْ شِعْرِي نَسِيباً مُنْقَحاً ،
إِذَا مَا تَسَامَلْتُ الْبُيُوتَ رَأَيْتُهَا
وَلَمَّا مَلَكَتُ الْكَأْسَ ثُمَّ حَسَوْتُهَا ،
بَجَلْتُ عَلَى الْأَغْيَارِ مِنْهَا بِقَطْرَةٍ ،
وَنَاولَتْهُ كَأْساً ، إِذَا مَا تَمَسَّكَتُ
فَظَلَّ إِلَى اللَّذَاتِ يَهْدِي نَفُوسَنَا ،
فَلَا تَنْسَ فِي الدُّنْيَا نَصِيكَ ، وَابْتَدِرْ
وَتَقْ أَنْ رَبَّ الْعَرْشِ ، جَلَّ جَلَالُهُ ،
وَمَا كَانَ مِنْ ذَنْبٍ لَدَيْهِ ، فَلِئِنَّهُ

وَمَالَتْ فَكَادَتْ أَنْفُسُ الصَّحْبِ تَهْلِكُ
قِصَاصاً ، فَبَاتَتْ وَهِيَ فِي الْعَقْلِ تَفْتِكُ
خُؤُولَتُهُ فِي الْفَخْرِ قَيْسٌ وَبِرْمَكُ
بِهَا تَسْكُنُ الْأَرْوَاحُ حِينَ تُحَرِّكُ
يُشَارِكُهَا فِي الْبِسْمِ رَسَتْ وَسَلَمَكَ^١
يَكَادُ يُعِيرُ الرَّاحَ سُكْرًا وَيُوشِكُ
نُضَارًا بِنَارِ الْأَلْمَعَةِ يُسَبِّكُ
تَقَاضَتْ فَظَلَّتْ ، وَهِيَ لِلْعَقْلِ تَمْلِكُ
وَجَدْتُ لِسَاقِيهَا بِمَا كُنْتُ أَمْلِكُ
يَدَاهُ بِهَا ظَلَّتْ بِهَا تَتَمَسَّكُ^٢
عَلَى أَنَّهُ لَا يَهْتَدِي أَيْنَ يَسْلُكُ
إِلَى الرَّاحِ ، إِنَّ الرَّاحَ لِلرَّوْحِ تُمْسِكُ
غَفُورٌ ، رَحِيمٌ ، لِلْسَّرَائِرِ مُدْرِكُ
سَيَغْفِرُهُ إِلَّا بِهِ حِينَ نُشْرِكُ

١ العشاق الثانية : لحن من ألحان الغناء ، وكذلك الرست والنسلمك .
٢ تمسك : تتضمخ بالمسك .

السلاف النافعة

وقال وهي لزوم ما لا يلزم :

حَلَّتِ المُوَمِّاءُ ، وهي من المَيِّ تَسَّ ، بعدَ التحريمِ للنَّفعِ فيها
وسُلافٌ يَنْفَعُها نَطَقَ القُرْأ نٌ قد حُرِّمَتْ على عارِفيها
يَلْبَسُ الجَهِلُ مَنْ قَصَدَ السَّك رَ ، فيُسمي بها الحَلِيمُ سَفِيها

السجود للخمر

وقال وهي لزوم ما لا يلزم :

أَنِفَ الخَمَّارُ من فَرَطِ خِيابِها ، ورأى الصَّوْنَ احتكاراً فسَبَّها
قَهْوَةٌ ، لو قيلَ لِلشَّمْسِ اسجُدوا وبَدَتْ حُقَّتْ على النَّاسِ اشتباها
جَرَّدَ المَرْجُ عَلَيْها سَيْفَهُ ، عندما سَلَّتْ على اللَّيْلِ ظُبَّها
وأبَاها المَرْجُ لَمَّا مُزِجَتْ ، وإذا ما انتَسَبَتْ كانَ أبَاها
فَرَأينا اللَّيْلَ صُبْحاً عندما برَزَتْ تُجَلِّي عَلَيْنَا من خِيابِها
هتَكَتْ أنوارُها سِتْرَ الدَّجَى ، بصِفاحٍ خَرَّقَ اللَّيْلَ سَنَّاها
قابَلَتنا ، فسَجَدنا هَيْبَةً لمحَيَّابِها ، وعَفَرنا الجِبابِها

في رِياضٍ عَطَّرَتْ أَنْفَاسُهَا سائِرَ الآفاقِ ، إذ هَبَّتْ صَبَّاهَا
أَلْبَسَتْهَا السُّحْبُ مِنْ وَشْيِ الْكَلَا حُلَلًا ، مُذْ بَلَغَ السَّيْلُ رُبَاهَا
فَقَضَيْنَا لَذَّةَ النَّفْسِ بِهَا ، فِي صَفَا عَيْشٍ بِهِ الدَّهْرُ حَبَاهَا

تحريم الخمر وتحليلها

نَهَى اللَّهُ عَنْ شَرَبِ الْمُدَامِ لِأَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ ، إِلَّا عَلَى مَنْ لَهُ عِلْمٌ
وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ إِبْثَاتُ نَفْعِهَا ، وَلَكِنْ فِيهِ مِنْ تَوَابِعِهَا إِثْمٌ
وَذَاكَ بِقَدْرِ الشَّارِبِينَ وَعَقْلِهِمْ ، فَفِي مَعْشَرٍ حِلٌّ ، وَفِي مَعْشَرٍ حُرْمٌ
وَلَوْ شَاءَ تَحْرِيمًا عَلَى كُلِّ مَعْشَرٍ لَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَا يُغْرَسُ الْكَرْمُ

كن للهام ذا مقت

قال في السبت :

أَلَا يَا مَلِكَ الْعَمَةِ يَا نَادِرَةَ الْوَقْتِ
وَمَنْ شَرَفَ قَدْرَ الدَّسِ تِ ، وَالْكَرْسِيَّ وَالْتَمَخِ

وَمَنْ مَا زَالَ صَدْرَ الْجَنَّةِ شِ الْمَوْكِبِ وَالْدُّسْتِ
 أَلَا فَانْظُرْ إِلَى الْفِرْدَوْسِ سِ كَالْفِرْدَوْسِ فِي النَّعْتِ
 وَبَادِرْ غَيْرَ مَأْمُورٍ وَكُنْ لِلْهَمِّ ذَا مَقْتِ
 وَزَفَ الرَّاحِ لَا زِلْتَ سَعِيدَ الْخَدِّ وَالْبَحْتِ
 مِنْ السَّبْتِ ، إِلَى السَّبْتِ ، إِلَى السَّبْتِ ، إِلَى السَّبْتِ

واصل الشرب

قال في الأحد :

يَا مَالِكَ الْعَصْرِ ، وَمَنْ لِحُودِهِ الْغَيْثُ حَسَدُ
 وَمَنْ حَوَى مَكْرُمَةَ الْ أَنْوَاءِ مَعَ بَأْسِ الْأَسَدِ
 أَمَا تَرَى الزَّهْرَ ، وَقَدْ أَجَجَ نَاراً وَوَقَدَ
 وَانْتَبَهَ الدَّهْرُ لَنَا ، مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ رَقَدَ
 فَاغْتَنِمِ الْعَيْشَ ، وَلَا تَرُدْ مِنْهُ مَا وَرَدَ
 وَوَاصِلِ الشَّرْبَ ، وَقُلْ أَنْجَزَ حُرّاً مَا وَعَدَ
 مِنْ الْأَحَدِ ، إِلَى الْأَحَدِ ، إِلَى الْأَحَدِ ، إِلَى الْأَحَدِ

خذ اللذات من الاوقات

قال في الاثنین :

أيا ذا الفخرِ وملِكَ العَصْرِ وسامي القَدْرِ على النَّسْرِ
وربَّ الفضلِ، وجمَّ البَدَلِ ، ومن بالعدلِ حكى العُمَرِ
أرى الأنوارَ من النُّوارِ شبيهَ النَّارِ بدتْ للعينِ
فقسُّ من بعدِ نهوضِ السَّعدِ فإنَّ الوعدَ شبيهُ الدِّينِ
خذِ اللذاتِ من الأوقاتِ ودعْ ما فاتَ قبيلَ البينِ
وقسِّ تَرتاجَ لشربِ الرَّاحِ ، فلا أقسِّحَ سَنَاهَا زَيْنِ
من الاثنینِ ، إلى الاثنینِ ، إلى الاثنینِ ، إلى الاثنینِ

باكر الراح

قال في الثلاثاء :

يا مَنْ غداً للأنامِ غيًّا ، وجُودُهُ للورى غيًّا
ومَنْ إذا جَارَ صَرَفُ دَهرٍ ، فقد نجى مَنْ بهِ استغاثا
أما تَرى الزَّهرَ وهو زاهٍ ، والجونَ قد جادهُ وغاثا

١. أراد بالجون : السحاب الأسود .

وقد وَفَى دَهْرُنَا ، وَكَانَتْ حَبَالُ مِيعَادِهِ رِثَانَنَا
 فَاغْتَنِمْ فِي مَوْعِدِ اللَّيَالِي مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحْدِثَ انْتِكَائَنَا
 وَبَاكِيرِ الرَّاحِ كُلِّ يَوْمٍ ، وَلَا تَرُمْ دُونَهَا التِّبَانَا
 مِنْ الثَّلَاثَا ، إِلَى الثَّلَاثَا ، إِلَى الثَّلَاثَا ، إِلَى الثَّلَاثَا

ثب إلى قهوة

قال في الأربعاء :

أَيَا مَلِكًا رَبْعُهُ لِلْعُقَاةِ ، رَحِيبُ الْفِنَاءِ رَفِيعُ الْبِنَاءِ
 وَمَنْ وَجْهُهُ مِثْلُ شَمْسِ النَّهَارِ عَزِيزُ الْمَقَالِ عَزِيزُ السَّنَاءِ
 وَمَنْ إِنْ أَرَدْنَا دُعَاءَ لَنَا ، دَعَوْنَا لِأَيَّامِهِ بِالْبَقَاءِ
 أَلَسْتَ تَرَى الْأَرْضَ قَدْ زُخِرَتْ ، وَقَدْ ضَحِيكَتْ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ
 فَثُبُّ كُلِّ يَوْمٍ إِلَى قَهْوَةٍ ، تَشَاكُلُ كَاسَاتُهَا فِي الصَّفَاءِ
 وَمُرُّ سَاقِي الرَّاحِ يَمْزُجُ لَنَا مِيَاهَ الْحَيَاةِ بِمَاءِ الْحَيَاءِ
 مِنَ الْارْبِعَاءِ ، إِلَى الْارْبِعَاءِ ، إِلَى الْارْبِعَاءِ ، إِلَى الْارْبِعَاءِ

أطرد لنا وهم الحوادث بالكميت

قال في الخميس :

يا صاحب الفضل العمي	م ، وصاحب الربع الأنيس
ومن انجلت بضياء به	جته دُجى الخطب العبوس
انظر إلى زهر الربا	ض عليك يُجلى كالعروس
والدوح قد جعل الشقي	ق برانساً فوق الرؤوس
فاطرد لنا وهم الحوا	دث بالكميت الخندريس
في كل يوم تجتلي	صبا يُجلى في الكؤوس
من الخميس ، إلى الحمي	س ، إلى الخميس ، إلى الخميس

بادر لذة العيش

قال في الجمعة :

أيا من خصه الله بحسن الخلق والطلعة
ويا من هو بالملك أحق الناس بالشفعة
ألا فانظر إلى الأزهار في أنوارها لمعة

وضَحَكِ الزَّهْرُ ، وَالرَّأُو قُ لَا تَرْقَى لَهُ دَمَعُهُ
فَبَادِرْ لَذَّةَ الْعَيْشِ ، وَطِيبَ الْوَقْتِ وَالْبَقْعَةَ
وَزَفَّ الرَّاحَ وَالرَّاحَا تِ فِي أَيَّامِكَ السَّبْعَةَ
مِنَ الْجُمُعَةِ ، إِلَى الْجُمُعَةِ ، إِلَى الْجُمُعَةِ ، إِلَى الْجُمُعَةِ

حق الصداقة والجوار

أَزِلْ بِالْخَمْرِ أَدْوَاءَ الْخُمَارِ ، وَعَاقِرْ صَفْوَةَ عَيْشِكَ بِالْعُقَارِ
وَهُبْ مَعَ الصَّبَاحِ إِلَى صَبُوحِ ، وَصِلْ آثَاءَ لَيْلِكَ بِالنَّهَارِ
وَلِنْ شَرَفَتْ مَجْلِسُنَا ، فَإِنَّا لَنَا حَقَّ الصَّدَاقَةِ وَالْجَوَارِ
فَعِنْدِي سَادَةٌ غُرٌّ كِرَامٌ ، يَزِينُونَ الْخِلَاعَةَ بِالْوَقَارِ
وَمَجْلِسُنَا بِهِ سَاقٍ صَغِيرٌ ، يُحْيِيَنَا بِأَقْدَاحِ كِبَارِ
إِذَا مَا قُلْتُ : مَهْلًا ! قَالَ : مَهْ لَا ، وَحَقُّكَ لَيْسَ ذَا يَوْمِ اخْتِصَارِ
وَشَادِ قَدْ حَوَى فِي الْخِدَّةِ مِنْهُ ، كَمَا فِي الْكَأْسِ مِنْ مَاءٍ وَنَارِ
إِذَا أَرْضَى مَسَامِعُنَا بِشَدْوِ ، تُجَاوِبُهُ الْبَلَابِلُ وَالْقُصَارِ
وَحَضَرْتُنَا مِنَ الْأَزْهَارِ مَلَأَى ، مِنَ الْوَرْدِ الْمُكْتَلَّلِ بِالْبَهَارِ
وَفِي مِيدَانِنَا فُرْسَانُ لَهْوِ ، كَمَاةٌ فِي الْمَجَالِسِ لَا الْقِفَارِ
رَمَاحُهُمُ الشَّمْعُ بِهِ ، وَفِيهِ دُخَانُ النَّدَّةِ كَالنَّقَعِ الْمُثَارِ

وراحٌ في لُجَيْنِ الكأسِ تحكي بصفرةٍ لونها ذوبَ النُّصارِ
وقد عَقَدَ الحَبَابُ لها نِطاقاً ، لمِعَصَمٍ كأسِها شبهَ السَّوارِ
فلا تَعْزِمُ لَنَا عُدْراً ، فإنَّا نُجَلِّكُ عن مَقَامِ الاعتذارِ
وعَجِّلْ بالتَفَضُّلِ ، أو أرحنا بِمَنَعِكَ عن عَناءِ الانتظارِ

قم نلتقط اللذات

وقال يستدعي أحد الفضلاء
وهو تضمين لأعجاز أبيات
فاتحة الحماسة :

قم صاحِ نلتقطِ اللذاتِ إن ذَهَلَتْ ولا تُطعْ في أطراحِ الرَّاحِ ذا ملقٍ ،
أما تَرَى الصَّحْبَ إذ نادى النَّدِيمُ بهم ،
إن قال : هُبُوا لها كانَ السَّرورُ لهُ قومٌ أقامُوا على لذاتِ أنفُسِهِم ،
لم يَسألُوا عن وِلاَةِ الجَورِ مَعْدَلَةً ،
قد أقسَمَ الدَّهْرُ أن العَيْنَ ما نَظَرَتْ يُبدونَ عندَ الرَضَى لِيناً ، فإن غَضِبُوا ،
بَنُو اللَّقِيطَةِ من ذُهلِ ابنِ شَيبَانَ عندَ الحَفِيطَةِ إن ذو لَوْنَةٍ لانا طاروا إليه زُرُافَاتٍ ووُحْدانًا
في النَّائِبَاتِ على ما قالَ بُرْهانًا ليسوا من الشرِّ في شيءٍ ، وإن هانا
ومِن إِساءَةِ أَهلِ السَّوءِ إِحسانًا سواهمُ من جَمِيعِ النَّاسِ إنسانًا
شَتَّوا الإِغارةَ فُرسانًا ورُكبانًا

رسائل إخوان الصفاء

وقال يستدي صاحباً إلى داره بما ردين :

رَسَائِلُ صِدْقِ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ ، تَجَدَّدُ أَنْسَ خُلَانِ الْوَفَاءِ ،
وَأَرْبَابُ الْوَدَادِ لَهُمْ قُلُوبٌ ، يُذِيبُ صَمِيمَهَا فَرَطُ الْجَفَاءِ ،
فَشَرَفٌ بِالْحُضُورِ ، فَإِنَّ قَلْبِي وَحَيَّ عَلَى الْمُدَامِ ، وَلَا تَبِعْهَا
فَقَدْ وَشَى الرَّيِّعُ لَنَا رُبُوعاً ، فَوَشَعَهَا كَتُوشِيعِ الرَّدَاءِ ١
وَنَحْنُ بِمَسْتَزِلٍ لَا نَقْصَ فِيهِ ، رَحِيبِ الرَّبْعِ مُرْتَفِعِ الْبِنَاءِ
وَفِي دَارِي بُخَارِيٍّ وَخَيْشٍ ٢ ، أُعِيدَا لِلْمَصِيفِ وَلِلشَّتَاءِ ٣
فَهَذَا فِيهِ شَاذِرَوَانُ نَارٍ ، وَهَذَا فِيهِ شَاذِرَوَانُ مَاءِ
وَمَنْظَرَةٌ بِهَا شَبَاكُ جَامٍ رَقِيقِ الْجَرِمِ مَعْتَدِلِ الصَّفَاءِ ٤
يَرْدُ الْبَرْدِ وَالْأَهْوَاءَ عَنَّا ، وَيَأْذَنُ لِلْأَشِعَّةِ وَالضِّيَاءِ
وَبِرَكْتُنَا بِهَا فَوَارُ مَاءٍ يُجِيدُ الْقَصْدَ فِي طَلَبِ السَّمَاءِ
إِذَا سَقَرَ الصَّبَاحُ لَهَا أَضَاءَتُ بِمَاءٍ مِثْلَ مَسْرُودِ الْأَضَاءِ ٥

١ وشعها : أعلمها أي جعل لها علماً من طراز وغيره .

٢ البخاري : لعله أراد بساطاً بخارياً . الخيش : ضرب من المراوح كانوا يستخدمونها في الحر لاستجلاب الريح .

٣ الجام : الكأس ، ولعله استعاره للزجاج .

٤ الأضاء : القدير .

وشادٍ يَرْجِعُ الصَّهْبَاءَ سَكْرَى
 وساقٍ من بَنِي الْأَعْرَابِ طَقْلٍ ،
 ذُكَاؤُ قَرِيحَةٍ وَذُكَاؤُ نَشْرِ ،
 وراحٌ تَعَبَقُ الْأَرْجَاءُ مِنْهَا ،
 إِذَا اتَّحَدَتْ بِجِرمِ الْكَأْسِ أَخْفَتِ
 تُعْظَمُ قَدَرَ كُلِّ سَلِيمٍ طَبْعٍ ،
 وَقَدْ سَتَرَ السَّحَابُ ذُكَا ، وَفُضَّتْ
 سَمَاءٌ بِالْغُيُومِ شَبِيهٌ أَرْضٍ ،
 فَهَبْ إِلَى الْمُدَامِ ، فَإِنَّ فِيهَا
 إِذَا دُرِثَتْ بِهَا الْأَدْوَاءُ جَاءَتْ
 وَقَدْ زُرْنَاكَ فِي أَمْسٍ ، فَزُرْنَا
 فَشَرَطُ الرَّاحِ أَنْ تَدْعُو وَتُدْعَى ،

بما يُبْدِيهِ مِنْ طِيبِ الْغِنَاءِ
 يَزِينُ الْحُسْنَ مِنْهُ بِالذُّكَا
 وَأَنْوَارُ تَفُوقُ عَلَى ذُكَا
 كَانَ أَرْيَحُهَا طِيبُ الثَّنَاءِ
 بِسَاطِعِ نُورِهَا جِرمَ الْإِنَاءِ
 وَتُصْغِرُ قَدَرَ أَهْلِ الْكِبْرِيَاءِ
 جَلَابِيبُ الْغُيُومِ عَلَى الْفَضَاءِ
 وَأَرْضٌ بِالْحَمَائِلِ كَالسَّمَاءِ
 شِفَاءٌ عِنْدَ مُنْقَلِبِ الْهَوَاءِ
 بِمَا يُغْنِيكَ عَنْ شُرْبِ الدَّوَاءِ
 نَكُنْ عِنْدَ الزِّيَارَةِ بِالسَّوَاءِ
 فَتُسَعِّفُ بِالْإِجَابَةِ وَالذَّعَاءِ

رقص وسماع

وقال يستدي أحد الأعيان بما ردين
وقد برز للسفر ونصب خيمة له بظاها
ويذكره ليلة قبلها، وهي تضمين لأعجاز
من أبيات لامية العرب :

أَجِلُّكَ إِنْ يَسْخُ الزَّمَانُ ، وَتَبَخَّلُ ، وَيُعَدِّلُ فِينَا بِاللِّقَاءِ فَتَعْدِلُ
وَيُسْعِفُنَا بِالْقُرْبِ مِنْكَ ، فَتَغْتَدِي ، وَدُونَكَ أَسْتَارُ التَّحَجُّبِ تُسَبِّلُ
فَمِلْ نَحْوَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ ، وَلَا تَقُلْ ، فَلَانِي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لَا مِيلُ
فَإِنْ لَمْ تَزُرْنَا ، وَالْحِيَامُ قَرِيبَةٌ ، وَلَا سِرَّ إِلَّا الْأَتْحَمِي الْمَرْعَبِلُ^١
فَكَيْفَ إِذَا حَقَّ التَّرَحُّلُ فِي غَدٍ ، وَشُدَّتْ أَطْيَاتِ مَطَايَا وَأَرْحُلُ^٢
فَقَدْ مَرَّ لِي يَوْمٌ سَعِيدٌ لَغِيمِهِ ، لِبَائِدٍ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَجَّلُ^٣
وَلَيْلَةٌ سَعِدَ بِصَطْطِي الْعُودَ رَبُّهَا ، سُرُورًا ، وَفِي آثَانِهَا الْبَدْرُ يُشْغَلُ
أَدَارَ بِهَا الْوِلْدَانُ كَأْسًا رَوِيَّةً ، وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ^٤
فَنَحْنُ وَقَدْ حَيَّا السَّقَاةُ بِشُرْبِهَا ، فَرِيقَانِ مَسْوُولُ ، وَآخِرُ يَسْأَلُ
وَهَبْ لَنَا شَادٍ حَكَى الْغُصْنَ قَدَّهُ ، أَلْفُ ، إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ ، أَعَزَلُ

١ الأتحمي : ضرب من البرود . المرعبل : الممزق .

٢ شدت المطايا : ركبت عليها أرحلها .

٣ اللبائد ، الواحدة لبيدة : ما تلبد من الشعر . الأعطاف : الجوانب . ترجل ، من رجل الشعر : سرحه ومشطه .

٤ الفارط : متقدم القوم إلى الماء .

يَتَجَسَّسُ من الأوتارِ صُهْباً ، كأنها
يَقْرَبُ بها من نَحْرِهِ ، فكأنه
إذا هَزَّ للترجيعِ رخصَ بَنَانِهِ ،
تُتَابَعُهُ فيها رُمُوزٌ ، كأنها
إذا واحدٌ منها استعانَ بِصَحْبِهِ ،
وقامتَ لَنَا عندَ السَّماعِ رَوَاقِصٌ ،
يُحَرِّكْنَ في الكَفَيْنِ شِيزاً كأنه
إذا الرقصُ هَزَّ الرِّدْفَ مِنْهُنَّ خِلْتَهُ
فثُبَّ نَحْوَ صَحْبٍ لَمْ تَزَلْ مُتَفَضِّلًا
فذا العيشُ لَا مَنْ أَصْبَحَ السَّيْدُ جَارَهُ ،
خُيُوطُهُ ماريَ تُغَارُ وتُفْتَلُ^١
يُطَالِعُهَا في أمرِهِ كيفَ يَفْعَلُ
يَشُوبُ فَنَاتِي من تُحَيِّتٍ ومن عِلْ^٢
مُرَزَّاةٌ تَكَلِّي تَرِنَ وتُعَوِّلُ^٣
دَعَا ، فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحْلٍ^٤
عَدَارَى عَلَيَّهِنَّ المَلَاءُ المُذَيَّلُ
قِدَاحٌ بِكَفِّي يَاسِرٍ تَتَقَلَّقُلُ^٥
يَظِلُّ بِهِ المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ^٦
عَلَيْهِمْ ، وَكانَ الأَفْضَلُ المُتَفَضِّلُ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولُ ، وَعَرَفَاءُ جِيَالُ^٧

-
- ١ ماري : اسم فاتل الخيوط . تغار : يحكم فتلها .
٢ المرزاة : المصابة بالزينة ، المصيبة .
٣ نظائر : أي ذئاب تشبهه . نحل : ضعيفة من شدة الجوع .
٤ الشيز : خشب أسود صلب جداً ، وأراد هنا آلة من آلات الطرب . الياسر : اللاعب بسهام الميسر .
٥ المكاء : طائر يصفر صغيراً .
٦ السيد : الذئب . الأرقط الزهلول : النمر الأملس . العرفاء : طويلة العرف ، أي شعر العنق . جيال :
من أسماء الضبع .

أدوات اللهو

وقال يستدعي أحد الأعيان للشرب :

تَصَدَّقْ ، فلنأ ذا النهارَ بخلوةٍ ، إذا زُرْتَهَا تَمَّتْ لَدَيَّ المَحَاسِنُ
أوانٍ ، وساقٍ غَيْرُ وَاٍ ، ومُطْرِبٌ ، وراحٌ لها طيبُ السَّرورِ مُقَارِنُ
فلن زُرْتَ مَغْنَانَا تَكُنْ أَنْتَ أَوَّلًا ، وعَبْدُكَ ثَانِيهَا ، وشادٍ وشَادِنُ
وخامسُهَا الرَّأوُوقُ والكأسُ سَادِسُ ، وسابعُهَا الإِبْرِيْقُ ، والْعُودُ ثَامِنُ

ليلة السرور

هَذِي لَيْلَةُ السَّرورِ الَّتِي كُنْتُ لِي وَلِيٍّ بِمِثْلِهَا مَسْرُورٌ
وَأَنَا الْيَوْمَ فِي طِلَابِكَ كَالدَّوْ لَابٍ تَجْرِي دُمُوعُهُ وَيَدُورُ
وَلَدَيْنَا رَاحٌ وَنَقْلٌ وَمَشْمُومٌ وَمُرْدٌ تُحْيِي النَفُوسَ وَحُورٌ
وَتَمَامُ السَّرورِ عِنْدِي إِنْ أَمَ كُنْ مِنْ وَجْهِكَ الْجَمِيلِ الْحُضُورُ

١ أراد دولا ب الناعورة .

إعادة الأيام الذاهبة

أيا ابنَ الكِرامِ الكُماةِ الحُماةِ ، كنوزِ العَفافِ وكَهفِ العُفاةِ
ويا مَنْ يَرى الجُودَ حَتَمًا عَلَيْهِ وفَرَضَ الصَّلَاتِ كَفَرَضِ الصَّلَاةِ
ومن رَأْيِهِ في الأُمُورِ الجِسامِ سُبُلُ النِّجَاحِ وسُفُنُ النِّجَاةِ
لَقَدْ سَاعَدَ الفِطْرُ رَبَّ الصِّيَامِ بعيدِ مُوافٍ وعِيشِ مُوَاتٍ
وعندي ظَنِّي غَرِيبُ الجَمالِ غَزِيرُ الصَّفَاءِ عَزِيزُ الصِّفَاتِ
يُديرُ الصَّفَاءَ كماءِ الحَيَا ، وماءِ الحَيَاةِ
وقد طَبَّقَ الجَوَّ غِيمٌ جَهَامٌ أحاطَ بِهِ من جَمِيعِ الجِهَاتِ^١
ونحنُ نُقَابِلُ جَيْشَ الرِّيعِ بزَفَ الهَناءِ ، وزنَ الهَنَاتِ^٢
فساعِدْ سَعِدَتَ بَنيلِ الوِفاقِ لأهلِ الوِفاءِ قُبيلَ الوِفاةِ
وزُرْنَا ، فَإِنَّ أَلَدَ الهِباتِ إعادةُ أَيامِنَا الذَّاهِباتِ

ليلة صالحة

شَرَفْتَ بِالْأَمْسِ بِنَقْلِ الخُطَى ، حَتَّى انقَضَتْ لِي لَيْلَةٌ صالِحَةٌ
فَعُدُّ بِهَا حَتَّى تَقُولَ الْوَرَى : ما أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

١ الجَهَام : الذي لا مطر فيه .

٢ قوله : زن ، هكذا في الأصل . الهَنَات ، الواحدة هنة : الشيء .

حي على الراح

وقال يستدعي فقيهاً كان
يوافقه في الملبوخ :

أيا صاحباً ساءَني بُعدُهُ ، فَمَا سَرَّتِي الْقُرْبُ مِنْ صَاحِبِ
لَئِنْ كُنْتَ عَنْ نَاطِرِي غَائِباً ، فَعَنْ خَاطِرِي لَسْتُ بِالْغَائِبِ
أَلَسْتُ تَرَى الدَّهْرَ يَجْرِي بِنَا ، كَجَرِي الْمَطِيَّةِ بِالرَّاكِبِ
فَزُرْنِي أَعُدُّ بِكَ مُسْتَدْرِكاً ، لَمَّا فَاتَ مِنْ عَيْشِنَا الذَّاهِبِ
فَعَيْنِي قَلِيلٌ مِنَ الْبَخْتِجُوشِ ، هَدَايَا فَقِيهِ إِلَى تَائِبِ
كَأَنَّ شَذَا عَرَفِيهَا عَنِيرٌ ، بِلَاثُ بِهِ شَارِبُ الشَّارِبِ
وَعُرْفَتُنَا خَلَوَةٌ لِلْعُلُومِ ، أُعِدَّتْ كَصَوْمَعَةِ الرَّاهِبِ
وَقَيْنَتِي خَلَفَ كُتُبِ الصَّحَاحِ ، تَحْتَ الْجِرَارِ إِلَى جَانِبِي^١
إِذَا شَمَّتْهَا النَّاسُ كَابَرْتُهُمْ ، وَأَقْسَمْتُ بِالطَّلَابِ الْغَالِبِ
وَإِنْ شُوهِدَتْ قُلْتُ : نِيْمَخْتَجِ ، أَدَاوِي بِهِ وَجَعَ الْحَالِبِ^٢
وَلَنْ يُنْكِرَ النَّاسُ إِنْ زُرْتَنِي ، لَسَعِي فَقِيهِ إِلَى كَاتِبِ
فَحَيَّ عَلَى الرَّاحِ قَبْلَ الدَّرُوسِ ، وَلَا تَجْعَلِ النَّدْبَ كَالْوَاجِبِ
وَحُذِّهَا بِأَوْفَرِ أَثْمَانِهَا ، وَلَا تَأْسَ مِنْ غِبْطَةِ الْكَاتِبِ
وِغَالِ بِهَا ، إِنَّهَا جَوْهَرٌ ، فَقِيَمَتُهَا غَرَضُ الطَّلَابِ

١ البختجوش : ضرب من الماء كل ، أو المشارب .

٢ قوله : قينتي ، هكذا في الأصل ، والوزن مختل .

٣ نيمختج : الظاهر أنه ضرب من الأدوية .

تصدق

وقال أيضاً يستمي صديقاً :

تَصَدَّقْ ، فَإِنَّا عَلَى حَالَةٍ تُقَلِّدُ بِالْمَنْ جِدَ الزَّمانِ
تُضَاعِفُ بِالْأَمْنِ بِأَسَ الشَّجَاعِ وَتُضَعِفُ بِالرَّعْبِ قَلْبَ الْحَبَّانِ
يَسُرُّ الْمَسَامِعَ فِي جَوِّهِ هَدِيرُ الْقَنَاطَةِ وَشَدْوُ الْقِيَانِ
وَعِنْدِي سَاقٍ يَنْوُبُ الْمَدَامَ ، فَيُسْكِرُنَا بِلَطِيفِ الْمَعَانِ
وَتَحْسِبُ قَهْوَتَنَا كَاهِنًا لِمَا أَظْهَرَتْ مِنْ صِفَاتِ حِسَانِ
إِذَا مَا حَسَاهَا الْفَتَى وَكَلَّتْ بِحُلِّ الضَّمِيرِ وَعَقْدِ اللِّسَانِ

منة لا تجحد

إِنْ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ تَشْرَفَ مَتَرَلِي ، فَلْتِلْكَ عِنْدِي مِنَّةٌ لَا تُجْحَدُ
فَالْعَبْدُ فِي هَذَا النَّهَارِ بِخُلُوةٍ مَحْجُوبَةٍ ، وَبِهَا ثَلَاثُ تَحْمَدُ
رَاحٌ نَعْتَقَةٌ ، وَشَادٍ مُطْرَبٌ ، طَلَقَ مُحْيَاهُ ، وَسَاقٍ أَغْبَدُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ مَجْلِسُهُ كَمَا قَالَ الْوَلِيدُ لَكَيِّ بِهِ يَسْتَشْهَدُ
فَأَقْلُ خُلُوتَهُ انْتِفِيفَةً مَحْفِلٌ ، وَأَخْفُ مَجْلِسِهِ الْمَحْجَبِ مَشْهَدُ

١ ينوب المدام : أر د ينوب عن المدام فنصب بنزع الخافض .

الليّب يتندر

وقال في مثله أيضاً :

لَيْسَ عَنْكَ مُصْطَبِرٌ ، حِينَ أَسْعَدَ الْقَدَرُ
إِنَّ صَفْوَةَ عَيْشَتِنَا ، لَا يَشْوِبُهُ كَدَرُ
فَابْتَدِرْ لِمَجْلِسِنَا ، فَالْثَّيْبُ يَبْتَدِرُ
وَاعْجِبْ لَشَمْسِ ضُحَى ، قَدْ سَعَى بِهَا قَمَرُ
وَالْخَطُوبُ غَافِلَةٌ ، وَالرِّفَاقُ قَدْ حَضَرُوا
وَالْعُيُونُ نَازِرَةٌ ، وَالْقُلُوبُ تَنْتَظِرُ
غَيْرَ أَنَّهُمْ نَفَرُوا عَنْ رِضَاكَ مَا نَفَرُوا
إِنْ مَنَحْتَهُمْ شُكْرُوا ، أَوْ مَنَعْتَهُمْ عَذَرُوا

أنعم وشرف

أَنْعِمْ وَشَرِّفْ بِالْجَوَابِ ، أَوْ زُرْ فَقَدْ زَادَ الْجَوَى بِي
فِيْمَجْلِسِي صِرْفُ الْمُدَامِ لَدَى سَوَاقِنَا الْجَوَابِي
وَبِهِ الْقُدُورُ الرَّاسِيَاتُ لَدَى جِفَانِ كَالْجَوَابِي

ليلة بالدير

وقال يستدعي صاحباً إلى
الشرب بدير سهلان بماردين :

قد مرّ لي ليلةٌ بالديرِ صاحبةٌ ، مع كلّ ذي طلعةٍ بالبدر مُشبهه
وقد عزّمتُ بأن أغشاهُ ثانيةً ، فهل تُعينُ على غيِّ همتُ به

مجلس شارف الكمال

وقال يستدعي صديقاً له في أواخر
شهر شعبان :

قُم بنا في صباحِ يومِ الخميسِ نتلقّى الصيامَ بالتهنيسِ
ثمّ قدّمْ لنا التّأهّبَ للصّومِ ، وداعِ السّلافةِ الحنّديّينِ
لا تنقلْ إنّها ليالٍ شِرافُ ، لستُ ألقى سُعودَها بنُحوسِ
إنّ يوماً مباركاً لاجتلاءِ الراحِ خيرٌ من هولِ يومِ عبّوسِ
فقدّا يقرأ الصّيامُ بفحوا هُ على النّاسِ آيةَ الدّبّوسِ
وترى بيّتنا وبينَ المَلاهي وكووسِ المدامِ حربَ البسوسِ

١ التهنيس ، من نهس اللحم : أخذه بمقدم أسنانه .

فالتَّ صَدْرَ الْحَمِيسِ مِنْكَ بِصَدْرٍ ، لَمْ يَزَلْ فِي الْهِيَاجِ صَدْرُ الْحَمِيسِ
فَلَدَيْنَا مُدَامَةً وَنَدَامَى ، كَبْدُورٍ قَدْ أَحْدَقَتْ بِشُمُوسِ
كُلُّ شَهْمٍ أَجْرًا جَنَانًا مِنَ الصَّغَةِ ، وَأَبْهَى حُسْنًا مِنَ الطَّائِفِ
مَجْلِسٌ شَارَفَ الْكَمَالِ ، وَلَا يَكُ مَلٌ إِلَّا بِوَجْهِكَ الْمَحْرُوسِ

بك نعوذ ونلوذ

وقال يستهدي شراباً من الملك
ناصر الدين محمد ابن الملك
المنصور طاب ثراهما :

بِكَ مِنْ حَادِثِ الزَّمَانِ نَعُوذُ ، وَبِأَبْوَابِكَ الشَّرَافِ نَلُودُ
وَلَكَ الْأَنْعُمُ الَّتِي كُلُّ حَدَسٍ بَيْنَنَا غَيْرَ شُكْرِهَا مَتَبُودُ
يَا مَلِكًا لِلْمَالِ مِنْهُ نَفَادُ ، وَلِآرَائِهِ الشَّرَافِ نَفُودُ
قَدْ خَلَقْنَا بِمَجْلِسٍ كُلُّ مَا فِيهِ ، سِوَى الْبُعْدِ عَنْ عِلَّاكَ، لَذِيدُ
وَلَدَيْنَا شَادٍ ، وَنَقْلٌ ، وَمَشْمُو م ، وَطَيْرٌ يُشَوِّى ، وَخَبِزٌ سَمِيدُ
وِغْلَامٌ مِنَ النَّصَارَى بِمَاءِ الْ حُسْنِ قَبْلَ اعْتِمَادِهِ مَعْمُودُ
لَوْ رَأَى لَفْظَهُ الرَّمِيسُ ابْنُ سِينَا سِرَّهُ أَنَّهُ لَهُ تَلْمِيزُ

١ الخميس الأول : يوم الخميس . الثاني : الجيش من خمس فرق .

قد أَخَذْنَاهُ مِنْ ذَوِيهِ ، وَلَكِنْ كُلُّ قَلْبٍ فِي أَسْرِهِ مَأْخُودٌ
 وَمَسَرَّاتُنَا تَمَامٌ ، فَمَا أَعَوَّ زَ بَيْنَ الرَّفَاقِ إِلَّا النَّيْدُ
 أَعَوَّزْتُ بِغُتَّةٍ فَحَالِي مَوْقُورٌ فٌ ، وَقَلْبِي لِفَقْدِهَا مَفْقُودٌ
 إِنْ تُسَاعِدْ بِهَا ، فَكَمْ مِنْ أَيَادٍ لَكَ فِكْرِي لَشُكْرِهَا مَسْحُودٌ
 قَيَّدَتْ شَارِدَ الثَّنَا لَكَ وَالشُّكْرَ رَ ، فَمَا لِلثَّنَاءِ عَنْهَا شُدُودٌ

أعوزت الراح

فَسَدَ الشَّرْبُ حِينَ أَعَوَّزْتُ الرَّاحَ حُ ، وَحَالَتْ قَوَاعِدُ النَّدَمَانِ
 وَحَقِيقٌ ، إِذَا تَعَدَّرْتَ الشَّمَّ سٌ ، فَسَادُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ
 فَتَصَدَّقْ بِقَهْوَةٍ ، إِنْ تَجَلَّتْ فِي الْأَوَانِي ، ظَنَنْتَ فِيهَا الْأَوَانِي

وعد ومطل

وَعَدْتُ النَّدَامَى بِالْمُدَامِ ، فَلَمْ أَجِدْ مَتَى النَّفْسَ ، وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَطْلِ
 فَمَنْ بَارِطَالٍ عَلَيَّ حَيِيَّةٍ إِلَيَّ ، فَإِنِّي أَعَشَقْتُ الْمَنَ بِالرَّطْلِ

لا تحرماني منكما

وقال يحرض قديمين كانا
يكثران النوم في مجلسه :

خليلي هبّا كلّ يومٍ وليلةٍ ، ولا تطعما حتى الصباح كراكما
فإنّ لئيلات الشتاء أنيسةٌ ، إذا نمتما قد فازَ فيها سواكما
وقد أمكنتُ في مجلسِ الشربِ سِتّةٌ ، وكلُّ على وفق الصواب رضاكما
شموعٌ ، وشمّامٌ ، وشادي ، وشادنٌ ، وشهدٌ ، وشربٌ يشتهي أن يراكما
فلا تحرماني منكما حسنَ صحبةٍ ، ألذُّ بها ، إنّي محبٌّ لذاكما
وإن كانَ هذا العيشُ من غير مانعٍ ، فلا أحسنَ الرّحمنُ فيه عزاكما

الحياة غرور

وقال يستدعي صديقاً له :

ثُبْ إلى اللذات ، فالعمرُ قصيرٌ ، وحياةُ المرء في الدّنيا غرورٌ
لا تدعْ نهبَ سرورٍ عاجلاً ، كلّما أمكنَ في الدّنيا سرورٌ
فأمرعِ الخطو ، فعندي شادنٌ ، وفتاةٌ ، وخمورٌ ، وأمورٌ
وسقاةٌ ، وحداةٌ ، وغيناٌ ، وجُنوكٌ ، وطُبولٌ ، وزُمورٌ
كلّما دُرنا رأينا بيننا شادناً يشدو ، وكاساتٍ تدورُ

الحشيش والفقاع

وقال في مثله وفد نوذي
بإبطال الشرب :

قُم بنا إنا قَصَدْنَا الاجتماع ، لا مُدَامٌ وحَضْرَةٌ وسَمَاع
لَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا التَّقِيدُ بالشر ، فإن زَالَتْ زَالَتْ الأَطْمَاع
إن يكن صدْنَا عن الرَّاحِ ذو الأم ، ر ، وذو الأمر في الأمور مُطَاع
فَلَدَيْنَا مُدَامَةٌ ما أَتَى النَّاصِ ، ص بتَحْرِيمِهَا ولا الإجماع
إن يكن حُرْمَ المُدَامِ عَلَيْنَا ، فَلَدَيْنَا الحَشِيشُ والفُقَاعُ

كيف رَضِيتُ أن أشْكوك

وقال يستدعي صديقاً له إلى
داره بماردين في ليالي الشتاء
ويصف ما بالمجلس ويعاتبه
عن تأخره :

حَوَيْتَ الحمدَ إِرثاً واكِتِسَاباً ، وَفُقْتُ النَّاسَ فَضْلاً وانْتِسَاباً
فَكَيْفَ رَضِيتُ أن أشْكوكَ يوماً ، وَأَغْلِظُ فِي الكِتَابِ لكَ العِتاباً

١ الفقاع : الشراب يتخذ من الشعير .

أَزَجِي الكُتُبَ من فَدَى ومَنْشَى ،
وأَحَسَبُ عَدَّهَا بَيْنَانِ كَفَتِي ،
فَكَمْ أُولَيْكَ وِدَاً واعتقاداً ،
هَدَمَتِ القلبَ ثُمَّ سَكَنْتَ فِيهِ ،
فَزُرْنَا إِنِّ مَجْلِسَنَا أُنِيقُ ،
يُقَابِلُهُ بُخَارِيٌّ تَلَطَّيْ ،
لَهُ تَاجُ يُرِيكَ النَّارَ تُجَلَّى ،
فَوِلْدَانٌ تُدِيرُ بِذَا مُدَاماً ،
وَلَيْلَتُنَا شَبِيهُ الصَّبْحِ نُوراً ،
كَأَنَّ ظِلَامَهَا بِالشَّمْعِ فُودٌ ،
وَيَرْفُدُ ضَوْءَ شَمْعَتِنَا غِلَامٌ ،
تَقَاصَرَ دُونَهَا قَدَاً ، وَقَدَرَاً ،
إِذَا اقْتَسَمَ الْعَقَائِرَ مَنْ لَدَيْهَا ،
وَقَهْوَتُنَا مِنَ الْمَطْبُوخِ حِلٌّ ،
تَجَلَّتْ فِي الزَّجَاجِ بِغَيْرِ خِدرٍ ،
وَلَمَّا سَاقْنَا نَظْمَ بَدِيعٍ ،
جَعَلْنَا الْمَاءَ شَاعِرَنَا ، فَلَمَّا جَرَتْ فِي فِكْرِهِ نَظْمَ الْحَبَابَا

١ بخاري : لعله نوع من المواقد .

٢ الفود : جانب الرأس . القثير : أراد الشيب .

٣ العقائر ، الواحدة عقيرة : ما عقر ، أي نحر من الصيد وغيره .

فَزُرْنَا تَكْمُلِ اللَّذَاتُ فِينَا ، وَلَا تَفْتَحْ لَنَا فِي الْعَتَبِ بَابًا
وَلَا تَجْعَلْ كَلَامَ الضَّدِّ عُدْرًا ، تَصُدُّ بِهِ الْأَحْبَةَ وَالصَّحَابَا
فَإِنَّ الرَّاحَ لِلْأَرْوَاحِ رَوْحٌ ، إِذَا حَضَرَتْ لِدَفْعِ الْهَمِّ غَابَا
وَمِثْلُكَ لَا يُدَلُّ عَلَى صَوَابٍ ، وَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ الصَّوَابَا

شبهة النعاس

وقال مخاطب نديماً تخصص
دونه بليلة صالحة :

أَخْبَرْتَ شُبُهَةَ النَّعَاسِ بِعَيْنِي لَكَ صَبَاحًا عَنِ الْمَسَاءِ السَّعِيدِ
وَفَهِمْنَا مِنْ الْفُتُورِ نَشَاطًا ، كَانَ مِنْهَا فِي نَهَبٍ وَرَدِ الْخُلُودِ
وَعَلِمْنَا لِمَ طُلِقَتْ لَذَّةُ الْغَمِّ ضِرٌّ ، بِمَا رَاجَعْتَ مِنَ الشَّهِيدِ
فَلِخَمْرِ السَّهَادِ فِيهَا خُمَارٌ ، مُخْبِرٌ بِانْقِضَاءِ عَيْشٍ رَغِيدِ

ذنب السكر

وقال يعتذر إلى أحد الأعيان
من هفوة جرت منه على السكر :

إِنْ أَكُنْ قَدْ جَنَيْتُ فِي السُّكْرِ ذَنْبًا فَاعْفُ عَنِّي يَا رَاحَةَ الْأَرْوَاحِ
أَيَّ عَقْلٍ يَبْقَى هُنَاكَ لِمِثْلِي ، بَيْنَ سُكْرِ الْهَوَى وَسُكْرِ الرَّاحِ

١ عجز البيت مختل الوزن .

أخلاق كالراح

وما كانَ ذا سكري من الرّاح وحدها ، ولكن لأسبابٍ يَقُومُ بها العُذْرُ
جَمَعَتَ لَنَا راحاً وروحاً وراحةً ، وكلُّ له في العَقْل ما تَفْعَلُ الخمرُ
وأبديتَ أخلاقاً حكى الرّاح فعلُها ، وليسَ عَجيباً أن يَتَعَفَّفَنِي السَّكْرُ

لا توبة عن الخمر

خَبَّرُونِي عَنِّي بما لَسْتُ أدري ، من أُمُورٍ أَدَيْتُ في حالِ سُكْرِي
فاعتراني الحَيَا ، وكِدْتُ ، وحاشا
ثمَّ راجَعْتُ رُشْدَ عَقْلِي وكَفَّرْتُ
فلَئِنْ كُنْتُ قد أَسَأْتُ فَمَوْلَا
لم يكنْ ذاكَ عن شُعُورِي ولكنْ
أنتَ تَدْرِي بأنَّني لَسْتُ أدري
يَ بَأَنِّي أَتُوبُ عن كَأْسِ خَمْرِي
تُ يَمِيناً ، كانتْ وَسَاوِسَ صَدْرِي
يَ على سَكْرَتِي بِمَهْدُ عُدْرِي
أنتَ تَدْرِي بأنَّني لَسْتُ أدري

هذيان سكران

وقال يعتذر من ذلك إلى صاحبه
علاء الدين بن العلم المصري ويداعبه
وكان سقاء قسراً وهو تائب فرعيد في
الحال وسفه عليه :

ضَعُفُ رَأْسِي وَقِلَّةُ الْإِيمَانِ
وَالْجُنُونُ الْفُحْشُ الَّذِي صرْتُ مِنْهُ
فَبَحَقَّتِي أَمُوتُ يَا مَالِكَ الرَّ
إِنَّ شَرِبَ النَّضُوحِ يَسْلُبُنِي الرَّشْدُ
ضَرَّتْ شُرْبُهُ بِغَيْرِ مِزَاجٍ
إِنَّ سُوءَ الْمِزَاجِ مِنْهُ وَمَنِي
وَلِذَا إِنْ مُتَّهَى غَايَةَ السُّكْرِ
بِتُ أَشْكُو جَوْرَ الْكُؤُوسِ وَسَاقٍ
إِنْ أَقُلْ : كُفْ ! قَالَ : هَاكَ بِبَحَقَّتِي ،
وَعُغْلَامٍ كَالشَّمْسِ فِي خِدْمَةِ الشَّمِ
بِعُقَارٍ تَظَلُّ تَفْعَلُ بِالْعَقَةِ
فَلِهَذَا قَصَّرْتُ فِي أَدَبِ النَّفْثِ
فَأَنَا الْيَوْمَ فِي خُمَارَيْنِ مِنْ سُكْرِ
فَاعْفُ وَاصْفَحْ عَمَّا تَخَيَّلَهُ السُّكْرِ

أَوْجَبًا مَا رَأَيْتَ مِنْ هَذَا يَانِي
خَارِجًا عَنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ
قَدْ فَانٍ عَنِ الْمُدَامِ عِنَانِي
دَكَ فَكَيْفَ الْمُشْعَشَعِ الْخُرْكَانِي^١
فِي أَوَانٍ دَارَتْ بِغَيْرِ تَوَانٍ
مُوجِبٌ مَا شَهِدْتَهُ بِالْعِيَانِ
رِ حَرَامٌ فِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ
كَلَّمَا قُلْتُ قَدْ سَكِرْتُ سَقَانِي
أَوْ أَقُلْ : مُتْ ! قَالَ لِي : فِي ضَمَانِي
سِ يَحْيِي بِالشَّمْسِ بِنْتَ الدَّنَانِ
لِ فِعَالِ النَّعَاسِ بِالْأَجْفَانِ
سِ ، وَطَالَتْ بِهِ يَدِي وَلِسَانِي
رِ وَفِكْرِ أَعْضٍ مِنْهُ بَنَانِي
رُ ، فَبَعْضُ الْحَيَاءِ مِنْكَ كَفَانِي

١ الفحش : القبيح من القول والفعل .

٢ النضوح بالضم : الشرب دون الري . وبالفتح : الماء الناضح ، ولعله والخركاني : ضرب من الشراب .

إن شئت

وقال يعتذر عن شرب الكثير :

إن شئتُ أن أَشْرَبَ الكَثِيرَ من الرَّا حِ نَهَانِي الْوَقَارُ وَالْأَدَبُ
أَخَافُ أَنْ تَسْتَخِفَّ سَوَرَتُهَا حِلْمِي إِذَا مَا اسْتَخَفَّنِي الطَّرَبُ
فَيَسْثَنِي مِنْ أَوْذَى صُحْبَتِهِ ، وَقَلْبُهُ عَنْ هَوَايَ يَنْقَلِبُ

قال الديك

قَالَ لَنَا الدِّيكُ حِينَ صَوْتُ ، وَالْحَفْنُ بِالْغُمُضِ قَدْ تَفَوَّتْ
وَالْغَصْنُ بِالزَّهْرِ قَدْ تَجَلَّى ، وَالْأَرْضُ بِالْقَطْرِ قَدْ تَرَوَّتْ
يَا حَيْفَ مَنْ فِي الصَّبَاحِ أَغْفَى ، وَغَبْنَ مَنْ لِلصَّبُوحِ فَوَّتْ
تَنْبَهُوا ، فَالْغُصُونُ سَكْرَى إِذَا مَا ثَنَّتْهَا الصَّبَا تَلَوَّتْ
وَالْغَيْمُ رَطْبُ الْأَدِيمِ جَعْدٌ ، كَأَنَّهُ حُلَّةٌ تَطَوَّتْ
قَوْمُوا اشْرَبُوا، فَالْهُمُومُ ضَعْفَى ، إِذَا تَرَخَى الْفَسَى تَفَوَّتْ

ما عارضه

وقال من وزن الدوبيت
يستدعي صاحباً له في يوم مطر :

الغَيْثُ عَقِيبَ مَا هَمَى عَارِضُهُ ، والحبُّ قُبَيْلَ مَا نَمَى عَارِضُهُ
حاشاكَ تَقُولُ عَارِضُ يَمْنَعُنِي ، أو تُحَوِّجُنِي أَقُولُ مَا عَارِضُهُ

هل تعلم

هل تَعْلَمُ مَا تَقُولُهُ الْأَطْيَارُ ، في الدَّوْحِ إِذَا مَالَتْ بِهَا الْأَشْجَارُ
مَا الْعِشَّةُ إِلَّا سَاعَةٌ ذَاهِبَةٌ ، لَا تَبْخُلُ إِنْ سَحَتْ بِهَا الْأَقْدَارُ

هفوة آدم

وقال يعتذر من هفوة فرطت
على السكر :

لَا تَأْخُذْنِي بِجُرْمٍ مَنَ قَدْ غَلِطَا ، فِي حَالَةٍ سُكْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ خَطَا
لَوْلَا صَدَرْتُ مِنْ آدَمَ هَفْوَتُهُ ، مَا كَانَ مِنَ الْجَنَّةِ يَوْماً هَبَطَا

مرحباً بالربيع

قال في الزهريات والريعيات :

وَرَدَ الرَّبِيعُ ، فَمَرْحَبًا بِوُرُودِهِ ، وَبُنُورٍ بِهَجَّتِهِ ، وَنُورٍ وَرُودِهِ
وَبُحْسَنِ مَنْظَرِهِ وَطِيبِ نَسِيمِهِ ، وَأَنْيَقِ مَلْبَسِهِ وَوَشْيِ بُرُودِهِ
فَصَلِّ ، إِذَا افْتَخَرَ الزَّمَانُ ، فَإِنَّهُ يُغْنِي الْمِزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ ،
يَا حَبِّدَا أَزْهَارُهُ وَثِمَارُهُ ، وَتَجَاوَبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ ،
وَالْغُصْنُ قَدْ كُشِيَ الْغُلَّالُ ، بَعْدَمَا نَالَ الصَّبَا بَعْدَ الْمَشِيبِ ، وَقَدْ جَرَى
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْغُصُونِ ، كَأَنَّهُ وَكَأَنَّمَا الْقَدَاحُ سَمِطُ لَالٍ ،
وَالْيَاسْمِينُ كَعَاشِقٍ قَدْ شَفَّهَ ، وَانْظُرْ لِنَرْجِسِهِ الشَّهِي كَأَنَّهُ
وَاعْجَبْ لِأَذْرِيُونِهِ وَبَهَارِهِ ، وَانْظُرْ إِلَى الْمَنْظُومِ مِنْ مَشُورِهِ ،
وَبُنُورٍ بِهَجَّتِهِ ، وَنُورٍ وَرُودِهِ
وَأَنْيَقِ مَلْبَسِهِ وَوَشْيِ بُرُودِهِ
إِنْسَانٌ مُقْلَتِهِ ، وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
بِاللَّطْفِ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُكُودِهِ
وَنَبَاتٌ نَاجِمِهِ ، وَحَبُّ حَصِيدِهِ
كَبَنَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي مَوَاجِبِ عُودِهِ
أَخَذَتْ يَدَا كَانُونَ فِي تَجْرِيدِهِ
مَاءُ الشَّيْبَةِ فِي مَنَابِتِ عُودِهِ
مَلِكٌ تَحُفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُودِهِ
هُوَ لِلْقَضِيبِ قِلَادَةٌ فِي جِيدِهِ^١
جَوْرُ الْحَبِيبِ بِهَجْرِهِ وَصُدُودِهِ
طَرَفٌ تَنْبَهَ بَعْدَ طَوْلِ هَجُودِهِ
كَالتَّبَرِّ يَزْهُو بِاخْتِلَافِ نُقُودِهِ^٢
مُتَنَوِّعًا بِفُصُولِهِ وَعُقُودِهِ

١ القداح : نور النبات قبل أن يتفتح .

٢ الأذريون والبهار : زهر أصفر .

أوما تَرَى الغَيْمَ الرقيقَ . وما بَدَا
والسَّحْبُ تَعْقُدُ في السَّمَاءِ مَاتَمًا .
نَدَبَتْ . فَشَقَّ لَهَا الشَّقِيقُ جُيُوبَهُ .
والماءُ في تَيَّارٍ دِجْلَةٍ مُطْلَقٌ .
والغَيْمُ يَحْكِي الماءَ في جَرَيَانِهِ .
فابْكُرْ إلى رَوْضٍ أُنِيقٍ ظِلُّهُ .
وإذا رَأَيْتَ جَدِيدَ رَوْضٍ نَاضِرٍ .
من كَفَّ ذِي هَيْفٍ يُضَاعِفُ خُلُقَهُ
صَافِي الأَدِيمِ تَرَى . إذا شَاهَدْتَهُ .
وإذا بَلَغْتَ مِنَ المُدَامَةِ غَايَةَ .
إِنَّ المُدَامَ . إذا تَزَايَدَ حَدُّهَا
للعَيْنِ مِنْ أَشْكَالِهِ وَطُرُودِهِ
وَالْأَرْضُ فِي عُرْسِ الزَّمَانِ وَعِيدِهِ
وَأَزْرَقَ سَوَسْنُهَا لِلطَّمِ خُدُودِهِ
وَالْحِيسْرُ فِي أَصْفَادِهِ وَقِيُودِهِ
وَالْمَاءُ يَحْكِي الْغَيْمَ فِي تَجْعِيدِهِ
فَالْعَيْشُ بَيْنَ بَسِيطِهِ وَمَدِيدِهِ
فَارْشُفْ عَتِيقَ الرَّاحِ فَوْقَ جَدِيدِهِ
سُكَّرَ المُدَامِ بِشَدْوِهِ وَنَشِيدِهِ
تِمَثَالِ شَخْصِكَ فِي صَمَاءِ خُدُودِهِ
فَأَقْلِلْ لِنُدْكِ النَّهْمِ بَعْدَ خُمُودِهِ
فِي الشَّرْبِ . كَانَ النِّقْصُ فِي مَحْدُودِهِ

حبذا يوم الشعب

حَبَّذا بِالشَّعْبِ يَوْمِي . بَيْنَ وَلَدَانٍ وَحُورٍ
وَعَصُونُ البَانِ وَالْوَرِ دِ عَلَى شَاطِئِ التَّهْجُورِ
وَبَدَا النَّرْجِسُ مَا بَيْنَ أَقْحٍ مُسْتَنِيرٍ
كَقُدُودٍ . وَخُدُودٍ . وَعُيُونٍ ، وَثُغُورٍ

الطُّرُودُ : فَرَاخُ النِّخْلِ وَلَا نَعْلَمُ مَاذَا أَرَادَ هُنَا وَلَعَلَّهَا مُحَرِّفَةٌ .

الروض الضاحك

قد أضحك الروض مدمع السحب وتوج الزهر عاطل القضب
وقهقه الورد للصبأ ، فغدت تملأ فاه قراضة الذهب
وأقبلت بالربيع مُحَدِّقَةً ، كتائب لا تُخل بالآدب
فغصنها قائم على قدم ، والكرم جاث له على الركب
والسحب وافت أمام مقدمه ، له ترش الطريق بالقرب
والأرض مدت لوطء مشيته ، مطارفاً من رياضها القشب
والطل فوق المياه مُتَثِّرٌ ، فهو لكأس الغدير كالحب
والطير غنت بمنطق غرد ، يُغني الندامى عن نفخة القصب
والقضب مالت لسجعيها طرباً ، ونحن منها أحق بالطرب
فقم بنا ننهب السرور ، وعش من التهامي في حسن مُنْقَلَب
ولا نُضِيعُ فرصة الزمان ، فما تعلم ما في حوادث النوب

عيون إلى ربها ناظرة

رعى الله ليلتنا بالحِمَى ، وأموه أعينه الزاخره
وقد زين حسن سماء الغصون بأجْمَ أزهارها الزاهيره
وللترجيس الغص ما بيننا وجوه بحضرتنا ناضيره
كان تحديق أزهارها عيون إلى ربها ناظيره

١ المطارف ، الواحد مطرف : رداء من خز ذو أعلام .

أعلام الزنبق

قد نَشَرَ الزَّنبَقُ أعلامَهُ ، وقالَ : كلَّ الزَّهْرِ في خِدْمَتِي
 لو لم أَكُنْ في الحُسْنِ سُلْطانَهُ ، ما رُفِعَتْ من دُونِهِم رايَتِي
 فقَهَقَهُ الْوَرْدُ بهِ هازِئاً ، وقالَ : ما تَحَذَرُ مِن سَطَوَتِي
 وقالَ لِلسَّوسَنِ : ماذا الذي يَقُولُهُ الْأَشْيَبُ في حَضْرَتِي
 وامْتَعْصَ الزَّنبَقُ في قَوْلِهِ ، وقالَ لِلأَزْهَارِ : يا عُصْبَتِي
 يكونُ هذا الجَيْشُ بي مُحَدِّقاً وَيَضْحَكُ الْوَرْدُ على شَيْبَتِي

مروط الرياض

وَجِنَحُ دُجْنَةٍ فِيهِ اغْتَبَقْنَا ، وواصلْنَا الصُّبُوحَ يَوْمَ دَجْنِ
 وقد نَشَرَ الرَّبِيعُ مَرْوِطَ رَوْضِ على الشَّعْبَيْنِ من سَهْلٍ وَحَزْنِ^١
 فأغْصانُ من النَّسَمَاتِ تُشَنِّي ، وأزهارُ على الأنواءِ تَتَنِي
 يُضاحِكُها الغَمَامُ بِشَغْرِ بَرَقِ ، وتَبْكِيها الغَمَامُ بِدَمْعِ مُزْنِ
 فطَوَّراً ضاحِكاً من غَيْرِ بَشَرٍ ؛ وطَوَّراً باكياً من غَيْرِ حُزْنِ

١ المروط ، الواحد مرط : كل ثوب غير مخيط . الحزن : ضد السهل .

قال الحيا للنسيم

قالَ الحَيَا للنَّسِيمِ لَمَّا ظَلَّ بِهِ الزَّهْرُ فِي اشْتِغَالِ
وَضَاعَ نَشْرُ الرِّيَاضِ حَتَّى تَعَطَّرَتْ بِرُودَةِ الشَّمَالِ
أَمَّا تَرَى الْأَرْضَ كَيْفَ تُثْنِي عَلَيَّ ، مِنْهَا لِسَانُ حَالِي
فَاعْجَبْ لِإِقْرَارِهَا بِفَضْلِي ، وَسَكْرِهَا بِي وَشُكْرِهَا لِي

بركة نيلوفر

وقال في النيلوفر :

وَبَرَكَةُ نَيْلُوفَرٍ زَهْرُهَا ثَمِي جِيدَهُ فِي الدَّجَى وَاحْتَجَبُهَا
فَمُذْ لَاحَ وَجْهُ حَبِيبِي لَهُ ، وَشَاهَدَ أَنْوَارَهُ كَاللَّهَبِ
تَوَهَّمَهُ الشَّمْسُ قَدْ أَشْرَقَتْ ، فَقَامَ عَلَى سَوْقِهِ وَانْتَصَبَ

ياقوت النيلوفر

وَزَهْرُ نَيْلُوفَرٍ لَوْلَا تَشَعُّبُهُ ، لَظَنَّ أَنْوَاعَهُ الرَّائُونَ يَاقُوتَا
كَأَنَّ أَحْمَرَهُ حُسْنًا وَأَزْرَقَهُ ، إِذَا غَدَا بِلِسَانِ الْحَالِ مَنَعُوتَا
مُشَاغِلٌ أَوْقَدُوا فِي بَعْضِهَا عِوَضًا مِنْ الْوَقُودِ مَكَانَ النَّفْطِ كَبِيرَتَا

١ النيلوفر : ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة .

الطرف الكحيل

وقال في زهر الباقلاء :

أَمْشِبَةُ الطَّرَفِ الْكَحِيلِ بَنَرَجِسٍ ، بَعْدَ الْقِيَّاسِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَضْدَادِهِ
نَافَاهُ فِي تَدْوِيرِهِ وَصَفَّارِهِ ، وَجُحُوظِ مُقْلَتِهِ وَفَرَطِ سُهَادِهِ
فَاعْجَبْ لَزَهْرِ الْبَاقِلَاءِ ، وَقَدْ بَدَأَ فَوْقَ الْقَضِيبِ يَمِيسُ فِي أُبْرَادِهِ
يَحْكِي عُيُونََ الْعَيْنِ فِي تَلْوِيزِهِ ، وَفُتُورِهِ وَبَيَاضِهِ وَسَوَادِهِ

خلياني

وقال يصف عين البرود وهي إحدى
ضياع ماردین وفيها ستة تشبيهات طي
ونثر مرتبات :

خَلْيَانِي أَجْرٌ فَضْلَ بُرُودِي ، رَاتِعًا فِي رِيَاضِ عَيْنِ الْبُرُودِ
كَمْ بِهَا مِنْ بَدِيعِ زَهْرِ أَنْيَقِ ، كَفُصُولِ مَنْظُومَةٍ وَعُقُودِ
زَنْبَقٍ بَيْنَ قُضْبِ آسٍ وَبَانٍ ، وَأَقَاحِ ، وَنَرَجِسٍ ، وَوُرُودِ
كَجَبِينٍ ، وَعَارِضٍ ، وَقَوَامٍ ، وَتُغُورٍ ، وَأَعِينٍ ، وَخُدُودِ

١ الباقلاء : الفول .

عين البرود برود العين

وقال فيها أيضاً :

عينُ البرودِ برودُ عيني ، إن عزَّ منظرُ رأسِ عيني^١
 فلو استَطَعْتُ لَزُرْتُهَا ، سعيًا على رأسي وعيني
 أرضٌ يُنَمِّقُ زَهْرَهَا ، ما فاضَ من نهرٍ وعيني^٢
 وَيَظِلُّ يَرَفُدُهَا السَّحَابُ ، بصوبٍ وسميٍّ وعيني
 فكأنَّ بهجَةً ورَدِهَا شمسٌ تلاحظُها بعيني^٣
 وكأنَّ نرجسَ رَوْضِهَا ، قد صيغَ من ورقٍ وعيني^٤
 فلثينٌ ثنائي رُبْعُهَا ، والضدَّ يرصدُني بعيني^٥
 لا أنثني عنها ، ولا أرضي بأثرٍ بعدَ عيني^٦

نرجس كالبيض الناضج

اعجبَ لنرجسنا المضعفِ أن نمتَ أوراقهُ وتفتحتَ أزهارهُ
 يحكي نضيجَ البيضِ قدَّ بمِديَّةٍ كانت فبتَّ على البياض صفارهُ

١ رأس العين : موضع .

٢ العين : أراد عين الماء .

٣ العين : أراد بها المطر .

٤ الورق : الفضة . العين : الذهب المضروب .

٥ العين : الجاسوس .

٦ الأثر : ما بقي من رسم الشيء . العين : حضور الشيء بشخصه .

ذيل الصبا

وقال في رياض الميطور بدمشق :

إن جُزّت بالميطورِ مُبتهِجاً بهِ ، ونظّرتَ ناضِراً دَوْحِهِ المَطُورِ
وأراكَ بالأصالِ خَفَقُ هَوَاهِ الـ مَمْدُودِ تحريكِ الهوى المَقْصُورِ
سلْ بَانَةَ المَنصُوبِ أينَ حديثُهُ الـ مَرْفُوعُ عن ذَيلِ الصَّبَا المَجْرُورِ

بسط الربيع وحلله

وقال في رياض عين
الصفاء وهي وادٍ بماردین :

عُجْنَا على وادي الصَّفَا ، فصَفَا عَيْشِي ، وولّى الهَمُّ مُرتَحِلاً
ولنا بها ، والشمسُ في أَسَدٍ قَيْظاً ، فخلينا بُرجَهَا الحَمَلَا
في روضةٍ حاكِ الرِّيعُ لها بُسْطاً ، وألْبَسَ دَوْحَهَا حُلُلَا
ما إن تَزَالَ رِياضُهَا قُشْباً ، أَبْدَأَ ، وبُرْدَةُ شَمْسِهَا سَمِلَا
فكَانَ صَوْبَ المِزْنِ يَعْشَقُهَا ، فَأَقَامَ لا يَبْغِي بها حِوَلَا
ما زالَ يَبْكِيهَا وَيَعْتَبُهَا ، حَتَّى تَوَرَّدَ خَدُّهَا خَجَلَا

١ في أسد : أي في برج الأسد .

جواسيس الحدائق

ولم أنسَ إذ زارَ الحبيبُ بروضةً ، وقد غفلتُ عنا وُشاةٌ ولُؤامُ
وقد فرّشَ الوردُ الخُدودَ ونُشرتْ لمقدّمه السّوسنُ الغصّ أعلامُ
أقولُ وطرفُ النرجسِ الغصّ شاخص إلينا ، وللتّمَامِ حَوليَ لِمَامُ
أياربُ ! حتّى في الحدائقِ أعينُ علينا ، وحتّى في الرياحينِ نَمَامُ

النّام : نبت له بزر كالريحان عطري قوي الرائحة سي بلك لسطوع رائحته .

الباب الثامن

في الشكوى والعتاب وتقاضي الوعد والجواب

لعلي أسأت

قال يعاتب أحد نواب السلطان الملك
الصالح عز نصره عن مال انقطع له
بالخرانة بماردين في الشكوى والعتاب :

ملكت ببعض برك رق شكري ، وفكّ سماح كفك قيد أسري
فإن خففت بالإحسان نهضي ، فقد أثقلت بالإنعام ظهري
فما برحت صلاتك واصلات ، لتنجدني بها وتشدّ أزرِي
فقلبك في الشدائد صدر بحر ، وصدرك في الأوايد قلب بحر
وكنْتُ ، إذا أتيتك بعد بعد ، تُصدّق فيك آمالي وزجري
يقابلني نذاك ببشر وجه ، ويلقاني رضاك بوجه بشر
فلم عودتني غير اعتيادي ، وجوزّ وسع صدرك ضيق صدرِي
عذرتك حين حلت وأنت بحر ، لأنّ البحر ذو مدّ وجزر
لقد فكرت ، حتى حارّ فكري ، وقد نقبت ، حتى عيل صبرِي
فلم أرَ موجباً سُخطي ، ولكن لعلّي قد أسأت ، ولست أدري

فإن أكُ قد أسأتُ لكَ التَّقاضي ،
بأنّي لا يَقي بالخَرَجِ كَسبي ،
ولم أكُ باذِلاً للنَّاسِ وَجَهي ،
فأحمِلَ في التَّحَمُّلِ فوقَ طَوْقي ،
وأشريَ عندكم ماءً بمِسالٍ ،
فأكسبَ كلَّ شَهرٍ خَرَجَ يومٍ ،
فكيفَ ، وقد تَوَلَّتُ نَقصَ كِيسي
وطافَ بها ثَقيلُ الرَّدْفِ طَقلُ ،
بزاحِ ذاتِ جِسمٍ من عَقيقٍ ،
فمِن لَهَبٍ تَوَقَّدَ تحتَ ماءٍ ،
أعاقِرُ كَأَسَها في كلِّ يومٍ ،
وليسَ بِشاغلي عن زَفِّ مَدَحي ،
فلا يَخْفَى على مَولاي عُدَري
ولستُ أَضيعُ بالتَّقْتيرِ عُمَري
ولا أنا كاسِبٌ مَلاً بِشِعَري
وأبذُلَ في التَّكَلِّفِ فوقَ قَدَري
وأحرِزَ دائِماً تِبراً بِتِبري
وأخرِجَ كلَّ يومٍ كَسبَ شَهرٍ
كوَوسُ الرَّاحِ في أَيَّامِ فِطَري
صَقيلُ السَّالِفينَ نَحيلُ خَصَري
ويُولِدها المِزاجُ بَناتِ دُرٍّ
ومن بَرَدٍ تَنَبَّضَدَ فوقَ جَمَري
وأسَرفُ لَذَّتِي من صَرفِ دَهرِي
ولستُ أُخِلُّ في سُكُري بِسُكُري

كيف أشقى

وقال يعاتب عز الدين بن بهاء
الدين على ضم لحقه منه :

خدمتي في الهوى عليكم حرامُ ،
إنَّ شَرَطَ الكَرامِ لا العَبْدُ يَشقَى
كيفَ أَشقَى بكم ، وأنتم كِرامُ
في حِمَامهم ، ولا النَزِيلُ يُضامُ

أَنَا عَبْدٌ لَدَيْكُمْ وَنَزِيلٌ ، وَلِهَذَيْنِ حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ ،
فَلَمَّاذَا أَضَعْتُمْ عَهْدَ مَنْ كَا نَ لَهُ صُحْبَةٌ بِكُمْ وَالتِّزَامُ
شَابَ فِي مَدْحِكُمْ ذَوَائِبُ شِعْرِي ، مِثْلَ شِعْرِي ، وَشِعْرُ غَيْرِي غَلَامٌ
وَنَظَّمْتُ الْبَدِيعَ فِيكُمْ ، وَقَدْ أَلْ قَى مَقَالِيدَهُ إِلَى الْكَلَامِ
فَلَمَّا مَا تَلَا الزَّمَانُ قَرِيبِي ، أَصْبَحَتْ تَسْتَعِيدُهُ الْآيَامُ
وَتَقَرَّبْتُ بِالْوَدَادِ فَمَحْسُورٌ دٌ مَقَالِي لَدَيْكُمْ ، وَالْمَقَامُ
وَلَقَدْ سَاءَ لِي شِمَاتُ الْأَعَادِي ، فِي لَمَّا زَلَّتْ بِي الْأَقْدَامُ
فَلَمَّا مَا افْتَخَرْتُ بِالْوَدِّ قَالُوا : لَا افْتَخَارُ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ
فَلِي كَمَ أَعُودُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، خَائِبًا سَاخِطًا وَتَرْضَى اللَّثَامُ
وَلَمَّا جَرَّبَ الْمُجَرَّبَ عَمْرُو ، فَعَلَيْهِ إِذَا أُصِيبَ الْمَلَامُ
تَقْتُلُونِي بِالْبِشْرِ مِنْكُمْ ، تُلُّ مَعَ ضَحْكِ صَفْحَتَيْهِ الْحُسَامُ
وَتُرِيشُونَ بَيْنَنَا أَهْمَ الْبَيِّ ، نِ ، وَتُعْزَى إِلَيَّ تِلْكَ السَّهَامُ
فَبِرْغَمِي فِرَاقُكُمْ وَرِضَاكُمْ ، وَشَدِيدٌ عَلَيَّ هَذَا الْفِطَامُ
فَلَقَدْ صَحَّ عِنْدَ كُلِّ لَيْبٍ أَنْ بُعْدِي مُرَادُكُمْ ، وَالسَّلَامُ

العتاب الطويل

وَعَوْدَتِي مِنْكَ الْجَمِيلَ ، فَإِنْ يَكُنْ جَفَاكَ لِأَمْرِ مُوجِبٍ ، فَجَمِيلُ
وَلِنْ يَكُنْ لِي فِي ذَلِكَ ذَنْبٌ ، فَمَنْطِقِي قَصِيرٌ ، وَإِلَّا فَالْعِتَابُ طَوِيلُ

وجه بغير خط

وقال وكتب بها الى الملك ناصر الدين
محمد ابن الملك المنصور طاب ثوابه
على إحالة كتبها له بغير وجه :

جُدتَ بِحَظِّ بَغِيرِ وَجْهِ ، ذَاكَ حَالُ عَلِيٍّ يُبْطِي
وَلَيْسَ ذَا مَذْهَبِي ، وَلَكِنْ أَحَبُّ وَجْهًا بِغَيْرِ خَطِّ

يا سادة

وقال يعاتبه على ضرر لحقه :

يَا سَادَةَ شَخْصُهُمْ فِي نَظَرِي أَبَدًا ، وَطِيبُ ذِكْرِهِمْ فِي خَاطِرِي وَفَمِي
وَمَنْ لَوْ أَنَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ تُسْعِدُنِي لَمَّا سَعَتْ نَحْوَ مَغْنَى غَيْرِهِمْ قَدَمِي
وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ رُوحِي بِأَنْ لَكُمْ فِي قَتْلَتِي غَرَضًا أَثَرْتَكُمْ بِدَمِي

حال الدنيا

وقال يعاتب أحد الأعيان
على الانقطاع :

عَذَرْتُكَ ، إِذْ حَالَتْ خِلَافُكَ الَّتِي أَطَلَّتْ بِهَا بَاعِي ، وَقَصَّرَتْ آمَالِي
لَأَنَّكَ دُنْيَايَ الَّتِي هِيَ فِتْنَتِي ، فَلَا عَجَبٌ إِلَّا تَدُومَ عَلَى حَالِ

القلب دليل القلب

وقال في مثله :

لا والذي جعلَ المودَّةَ مانعي من أن أجازي سيدي بجفائه
ما حلتِ الأيامُ موثقَ حبه عندي ، ولا حالتْ عهودُ وفائه
ودليلُ قلبي قلبه ، فودادهُ كودادهِ ، وصفاؤه كصفائه

هجران من غير ذنب

لئن سمحَ الزمانُ لنا بقُربٍ ، نشرتُ لديك ما في طيِّ كُتبي
وقمتُ معَ المقالِ مقامَ عتبٍ ، توهَّمهُ الأنامُ مجالَ حربٍ
أيا من غابَ عن عيني ، ولكن أقامَ مُخَيِّمًا في رِيعِ قلبي
عهدتُكَ زائري من غيرِ وعدٍ ، فكيفَ هجرتَني من غيرِ ذنبٍ
فإنَّ تَكُ راضياً بدوامِ سُخطي ؛ وإنَّ تَكُ واجداً روحاً بكُربي
فحسبي أنِّي بِرِضاكَ راضٍ ، وحسبي أن أبيتَ ، وأنتَ حَسبي

الوداد زور

إن كنتُ قد غِبتُ لا تَضرُّني ، وكلِّما غِبتَ لا أُزورُ
فإنَّ هذا الصَّدودَ قَصْدٌ ، وإنَّ ذاكَ الودادَ زورُ

لا يؤخذ الجار بالجار

وقال يعاتب صاحباً جفاه
بجرم جار له :

لا يؤخذُ الجارُ في الأعراضِ بالجارِ . إن دامَ . وهوَ على رِسلِ الوفاِ جارِيُ
على ذوي الودِّ بالحُسنى بأنفسِهِم . وما عليهمُ بفِعْلِ الغَيرِ من عارِ
فكَيْفَ ألحَقْتُمُ فِعْلَ العُدَاةِ بِنَا . لقُربِ دارِهِم . بالرَّغمِ ، من دارِي
ولِمَ عَدَقْتُمُ بِنَا ما قالَ ضِدُّكُمْ . عنكم . وإن قَلْتُهُ من غَيرِ إيثاريُ
كما سَمِعْتَ بصوتِ النَّارِ في حَطَبٍ ، والصَّوتُ للرَّيحِ ليسَ الصَّوتُ للنَّارِ

أَتَقْتَصُّ مِنِّي

أَتَقْتَصُّ مِنِّي إِنْ جَنَى الْغَيْرُ زَلَّةً . ككَاسِرِ دَنِّ الْحَلِّ إِنْ جَنَتِ الْحَمَرُ
ومن عَجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ جَرِيمَةً يَجِيءُ بِهَا زَيْدٌ . فَيُجْزَى بِهَا عَمْرُو

تَقْطُبُ الْحِجَابَ

وقال في أحد الأمراء
عن ضيق حجابهِ :

سَعَةُ الْعُدْرِ لِي ، وَضِيقُ الْحِجَابِ جَنَّبَانِي عَنْ قَصْدِ ذَلِكَ الْجَنَابِ
وَقُطُوبُ الْخُطُوبِ أَهْوَنُ عِنْدِي مَوْقِعاً مِنْ تَقْطِيبِ الْحُجَابِ

١ الرسل : الخصب ، التمهل ، التؤدة .

٢ قوله : عزقتم ، أراد ألققتم .

حَتَام

حَتَامَ لَا تَضْجَرُ ، يَا سَيِّدِي ، مِنْ سَعَةِ الْعُدْرِ وَضِيقِ الْحِجَابِ
وَمَعَشَرٍ إِنْ يَمَّمُوا نَحْوَكُمْ يَحْظُونَ بِالزُّلْفَى وَحَسَنِ الْمَاءِ
يَا مَالِكًا أَصْبَحَ لِي صَارِمًا أُعِدُّهُ يَوْمَ الْوَعَى لِلضَّرَابِ
حَاشَاكَ أَنْ تَرْضَى بِقَوْلِ الْعِدَى ، سَيْفُكَ هَذَا لَا يَفُكُّ الْقِرَابِ

إِسْطَبِلَ مُوسَى

وقال يشكو إلى الملك المنصور طاب
ثراه أحد نوابه وقد شد فرسه عنده في
الطريق فبات بغير علق ولا غطاء :

رَأَى فَرَسِي اسْطَبِلَ مُوسَى ، فَقَالَ لِي :
بِهِ لَمْ أَذُقْ طَعْمَ الشَّعِيرِ كَأَنِّي
تُقَعِّعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ أَضَالَعِي ،
إِذَا سَمِعَ السَّوَّاسُ صَوْتَ تَحْمَحُمِي ،
أَعْوَلُ فِي وَقْتِ الْعَلِيقِ عَلَيْهِمْ ،
قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَسْرُلٍ
بَسِطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ ، فَحَوْمَلٍ
لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ
يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجَمَلٍ
وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ

مانعا الصرف

وقال يعاتب مخلوماً له
صرفه من عمل لغير موجب :

خَدَمْتُكُمْ ، فما أَبْقَيْتُ جُهْدًا ، ولا أَطْمَحْتُ بِالْأَطْمَاحِ طَرْفِي
وَجِئْتُكُمْ بِمَعْرِفَةٍ وَعَدَلٍ ، ألمْ يَكُ فِيهِمَا مَنَعٌ لِّصَرْفِي

المنع سجية

وقال وقد حمل إلى أحد الأعيان هدايا
فلم يكافئه :

ولمَّا رَأَيْنَا الْمَنَعَ مِنْكُمْ سَجِيَّةً ، وما زِلْتُ بِالتَّكْلِيفِ مُسْتَفْرِغًا جَهْدِي
عَدَلْنَا إِلَى التَّخْفِيفِ عَنَّا وَعَنْكُمْ ، وصِرْنَا نُجَازِي بِالْدَّعَاءِ عَنِ الْوَدِّ
خَلَصْنَا ، وَأَسْقَطْنَا التَّجَمُّلَ بَيْنَنَا ، فلا سَيِّدِي يُعْطِي ، ولا عَبْدُهُ يُهْدِي

ثناء بلا ثمن

وقال قريباً منه :

قد اطْمَأْنَنْتُ عَلَى الْحَرَمَانِ أَنْفُسَنَا ، فَلَيْسََ لِلْمَنَعِ يَوْمًا عِنْدَنَا أَثَرُ
حَتَّى تَسَاوَى لَدَيْنَا مَنْ لَهُ كَرَمٌ ، مِنَ الْأَنَامِ ، وَمَنْ فِي نَفْسِهِ قِصَرُ
يُقْصَرُونَ ، فَتَسْتَحْيِي وَنَعْذِرُهُمْ ، وَيَحْلِفُونَ ، فَتَسْتَعْفِي وَنَعْتَذِرُ
نُهْدِي الثَّنَاءَ ، وَلَا نَبْغِي لَهُ ثَمَنًا ، وَرُبَّ دَوْحٍ نَضْمِيرٍ مَا لَهُ ثَمَرُ

١ أراد أن الاسم يمتنع من الصرف للملمية والعدل ، وقد ورى بهما تورية .

المستحيل ثلاثة

وقال يشكو عدم وفاء الإخوان :

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي الزَّمَانِ ، وَمَا بِهِمْ خِلٌ وَفِيٍّ ، لِلشَّدَائِدِ أَصْطَفِي
أَيَقَنْتُ أَنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلَاثَةٌ : الْغُولُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْحِلَّ الْوَفَى

صاحب كهواء الخريف

وَلِي صَاحِبٌ كَهَوَاءِ الْخَرِيفِ ، يُضِرُّ ، وَإِنْ كَانَ يُسْتَعَذَّبُ
لَهُ مَنْطِقٌ كُلِّيَّالِي الشَّتَاءِ ، طَوِيلٌ عَلَى بَرْدِهِ مُسَهَّبٌ
بَذَلْتُ لَهُ خُلُقًا كَالرَّبِيعِ يَطِيبُ وَمَخْبَرُهُ أَطِيبُ
وَإِنْ كَانَ قَلْبِي بِهِ كَالصَّيْفِ سُمُومٌ الْهُمُومُ بِهِ تَلْهَبُ

لا حب ولا كرامة

لِلَّهِ أَشْكُو صَاحِبًا ، لَا حُبَّ فِيهِ وَلَا كَرَامَةً
كَانَ النَّدِيمَ . فَلَمْ أَنْتَلِ مِنْ قُرْبِهِ غَيْرَ النَّدَامَةِ

وَأَقَمْتُ أَرْقُبُ وَصَلَهُ ، فَأَقَامَ فِي هَجْرِي الْقِيَامَةَ
 قَدْ كَانَ لِي فِيهِ الْغَرَامُ ، فَصَارَ لِي مِنْهُ الْغَرَامَةُ
 وَرَضِيتُ مِنْهُ بِالسَّلَامِ . فَصِرتُ أَرْضَى بِالسَّلَامَةِ
 فَهَنَّاكَ قُلْتُ لِحَاطِرِي . بَعْدَ الْمَلَالَةِ وَالْمَلَامَةِ :
 أَتَرَوْمْ مِنْ بَعْدِ النَّدَا مَتَةً مِنْهُ إِدْرَاكَ النَّدَى بِأَمَةٍ

الصديق الحميم

وقال في مثله وفيه صنعة الاستخدام :

وَخِيلَ بَغَى مِنْهُ قَلْبِي الشُّفَا وَأَمْرَضَهُ فَوْقَ أَمْرَاضِهِ
 وَقُلْتُ يَكُونُ الصَّدِيقُ الْحَمِيمُ ، فَجَرَّعَنِيهِ بِإِعْرَاضِهِ^١

ثمار الوفاء

وقال قريباً منه وفيه تورية :

لَدَيْ تَصَحَّ ثِمَارُ الْوَفَاءِ ، لَصَبْرِي عِنْدَ انْقِلَابِ الْهَوَى
 وَيَنْبُتُ عِنْدِي نَخِيلُ الْوَدَادِ ، لِأَنَّكَ عِنْدِي دَفَنْتَ النَّوَى^٢
 فَلَا تَتَوَّغَيْرَ فِعَالِ الْجَمِيلِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى

١ أعاد الضمير في جرعه إلى الحميم بمعنى الماء الحار وهذا هو الاستخدام .

٢ التورية في معنى النوى البعيد : أي الفراق ، والنوى بالمعنى القريب جمع نواة ، أي نواة الثمر .

وابل على الشهباء

وقال يعاتب صاحب فخر الدين
هبة الله صاحب ديوان حلب عن قرص
كان له قبله ، فمطله بسبب عزله ، وفيها
صنعة تجنيس الإبدال في كل بيت منها :

كفأك تهمي بالنوال وتهمل^١ ،
وعلاك يقضي للموئل بالرضى ،
أنت الذي إن أمه^٢ مستصرخ^٣ ،
فإذا شكا جور الحوادث جاره^٤ ،
ما كنت للشهباء إلا وابلاً ،
ما شاهدت عيناى قبلك حاكماً^٥ ،
مولاي دونك نظم شاك^٦ شاكر^٧ ،
وأجل مجدك أن يكون^٨ مساعدى^٩ ،
فسواك من يرضى بفعل دنية^{١٠} ،
ويداك تجزى بالجميل وتجزل^{١١} ،
وعطاك يكفى الوافدين^{١٢} ويكفل^{١٣} ،
يكفى العطية للنزيل^{١٤} ويسكمل^{١٥} ،
يُعدي^{١٦} النزيل على الزمان^{١٧} ويعدل^{١٨} ،
يرسى^{١٩} عليها بالقطار^{٢٠} ، ويرسل^{٢١} ،
يُعزى^{٢٢} إلى فعل^{٢٣} الجميل^{٢٤} ، فيعدل^{٢٥} ،
يُغضى^{٢٦} فيسحى^{٢٧} العتب^{٢٨} عنك ويحمل^{٢٩} ،
دهراً فتبدي^{٣٠} ضد^{٣١} ذاك^{٣٢} وتبديل^{٣٣} ،
يشكو^{٣٤} الصديق^{٣٥} من المطال^{٣٦} فيشكل^{٣٧} ،

١ يكفى : يستر ، يكم .

٢ يعينه : يعينه .

٣ يشكل : يقيد ، لعله أراد يشكل الصديق .

الأداء ثقيل

طَلَبْتُمْ يَسِيرَ الْمَالِ قَرْضاً فَلَمْ يَكُنْ إِلَى الرَّدِّ عَمَّا رُمْتُمُوهُ سَبِيلٌ
وَتَعَلَّمُ أَنْ الْمَالَ فِي النَّاسِ أَخْذُهُ خَفِيفٌ ، وَلَكِنَّ الْأَدَاءَ ثَقِيلٌ
فَلَا تَجْعَلَنَّ الْعِرْضَ لِلْمَالِ جُنَّةً ، وَكُنْ كَالْفَتَى الْكِنْدِيِّ حِينَ يَقُولُ :
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ نَفُوسُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضُ لَنَا وَعُقُولُ

القيام بالود أولى

وقال يعاتب صديقاً كان
يفتابه ويقوم له إذا أقبل :

يَا مُهْنِي عِنْدَ الْمَغِيبِ وَمُبْدٍ مَعَ حَضُورِي خُضُوعَ عَبْدٍ لِمَوْلَى
لَا تَقُمْ لِي مَعَ التَّقَاعِدِ عَنِّي ، فَقِيَامُ النَّفُوسِ بِالْوَدِّ أَوْلَى

الخطب أهون من الخطاب

وقال في أمير اغتابه :

سَأَمْسِكُ عَنْ جَوَابِكَ لَا لِعَيٍّ ، وَرَبُّ الْأَمْرِ مَمْنُوعُ الْجَوَابِ
وَلَوْ أَنِّي أَمِنْتُ ، وَقَلْتُ عَدْلًا ، رَأَيْتُ الْخَطْبَ أَهْوَنَ مِنْ خِطَابِي

كأنّي لم أسمع

بغيرِ ودادِكَ لم أقنّع . وفي غيرِ قُربِكَ لم أطمعِ
وأنتَ الذي ما ادّعي فضلهُ ، وكذبَ في وصفِهِ المدّعي
وكم قد هفوتَ بهُجرِ الكلامِ ، فأعرضتُ عن سَمعِهِ مِسْمعي
فكنتَ كأنك ما قُلتَهُ ، وكنتُ كأنّي لم أسمعِ

بعض الشر أهون من بعض

رَضيتُ ببعدي عن جَنابِكَ عندما رأيتُكَ مَطويّ الضلوعِ على بُغْضي
وأغضيتُ لما أن رأيتُكَ كلّما تعرّضَ عتبٌ لا تغضّ ولا يُغْضي
وأطلّقتُ دَمعي في الخُدودِ تأسّفاً عليك ، فطلّقتُ الجفونَ من الغمضِ
وأقنعتُ نفسي أن أراكَ على النوى بقَلْبِي ، وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ

الظن الجميل

وقال يعاتب :

أراكَ إذا ما قلتَ قولاً قَبِلْتَهُ ، وليسَ لأقوالي إلَيْكَ قَبُولُ
وما ذاكَ إلاّ أنّ ظَنّكَ سيّءٌ بأهلِ الوفا ، والظنّ فيك جميلُ
فكنْ قائلاً قولَ السّمّوالِ تائهاً بِنَفْسِكَ عَجَباً ، وهوَ منك قليلُ
ونُنْكِرُ إن شِئنا على النَّاسِ قولهم . ولا يُنْكروُنَ القولَ حينَ نَقولُ

ضدي وصديقي

أنت ضدي . إذا تَيَقَّنْتَ قُرْبِي . والصديقُ الشَفِيقُ عندَ فِرَاقِي
 فلهذا أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ البُعْدَ . وعُذْرِي تَعَذَّرُ الاتِّفَاقِ
 مثلُ قولِ الشَّمْسِ المُنِيرَةِ للبَدِّ رِ بَلَقَظِ العِتَابِ والإِشْفَاقِ
 أنا أَكْسَبْتُكَ الضِّيَاءَ . وكَمَا تُ لَكَ النُّورَ لَيْلَةَ الإِشْرَاقِ
 وإذا ما دَتَوْتَ بِالْقُرْبِ مِنِّي نِلْتُ مِنْكَ الكُسُوفَ حَالَ التَّلَاقِ
 قال : أنتَ البَادِي لِأَنِّي فِي بُعْدِكَ أدْنُو إِلَيْكَ كَالْمُشْتَاقِ
 فإذا ما سُرِرْتُ مِنْكَ بِقُرْبٍ ، كَانَ مَعَ ذَلِكَ السَّرُورِ مَحَاقِي

حالي وحالك

حالي وحالكَ كَالهِلَالِ وَشَمْسِهِ ، مُدَّ أَكْسَبَتْهُ النُّورَ فِي إِشْرَاقِهِ
 فإذا نَأَى عَنْهَا حَظِي بِكَمَالِهِ ، وَإِذَا دَنَا مِنْهَا رُمِيَ بِمَحَاقِهِ

أحبة وأعادٍ

فِي طَبْعِكُمْ مِثْلُ مُنَافٍ لِلوَفَا ، وَمِنَ الْمُخَالِ نَجْمَعُ الأُضْدَادِ
 فإذا تَنَاءَيْنَا نَكُونُ أَحِبَّةً ، وَإِذَا تَدَانَيْنَا نَكُونُ أَعَادِي
 فَلِذَاكَ أَنِّي قَدْ قَطَعْتُ تَرْدَدِي عَنْكُمْ ، وَنَارُ الشُّوقِ حَشُو فَوَادِي
 وَأَرَدْتُ إِبْقَاءَ المَوَدَّةِ بَيْنَنَا ، فَرَأَيْتُ صُحْبَتَكُمْ دَوَامَ بُعَادِي

لا أراك ولا تراني

عَلِمْتُ بِأَنْ رَأَيْكَ فِي التَّنَائِي ، فَلَسْتُ أُرُوعُ قَلْبَكَ بِالتَّدَانِي
وَأَوْثِرُ أَنْ تَعِيشَ قَرِيرَ عَيْنٍ ، وَأَنْتِي لَا أَرَاكَ وَلَا تَرَانِي

نسيتكم

نَسَيْتُكُمْ لَمَّا ذَكَرْتُمْ مَسَاءَتِي ، وَخَالَفْتُمْ لَمَّا اتَّفَقْتُمْ عَلَى هَجْرِي
وَأَصْبَحْتُ لَا يَجْرِي بِيَالِي ذِكْرُكُمْ ، وَلَا يَجْرِي بِيَالِكُمْ ذِكْرِي
وَقَدْ كُنْتُ أَفْنَيْتُ الزَّمَانَ بِشُكْرِكُمْ ، وَبِالْوَصْفِ حَتَّى شَاعَ فِي مَدْحِكُمْ شِعْرِي
وَأَنْتِي وَإِنْ أَغْلَظْتُ فِي الْقَوْلِ مَرَّةً ، عَلَيْكُمْ ، لِأَمْرِ ضَاقَ عَنْ حَمَلِهِ صَدْرِي
أَمَنْتُ بِمَا أُولَيْتُ مِنْ حَقِّ خِدْمَةٍ إِلَيْكُمْ ، وَمَا أَبْلَيْتُ مِنْ جِدَّةِ الْعُمْرِ

كل مجلوب مهان

عَرَضْنَا أَنْفُسًا عَزَّتْ لَدَيْنَا ، عَلَيْكُمْ ، فَاسْتَخَفَّ بِهَا الْهَوَانُ
وَلَوْ أَنَّا دَفَعْنَاهَا لِعَزَّتْ ، وَلَكِنْ كُلُّ مَجْلُوبٍ مُهَانٌ

دق الباب

لَمْ يَبْدُ مِنْي مَا سِوَجِبْ وَحِشَةٍ ، وَيُيَسِّحُ قَدَرَ قَطِيعَتِي وَعِتَابِي
إِنْ كُنْتُمْ اسْتَوْحِشْتُمْ مِنْ فِعْلِكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ فِي ذَاكَ دَقَّ الْبَابِ

حرف تغير

مَا زِلْتُ أَعْهَدُ مِنْكَ وَدَّأ صَافِيًا ، وَمَوَاقِفًا مَأْمُونَةً الْأَسْبَابِ
وَأَرَى مَلَائِكَ بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ حَرْفٌ تَغَيَّرَ فِي سَطُورِ كِتَابِ

ستدكرني إذا جربت غيري

زَجَرْتُ مُرُورَ طَيْرِكُمْ بِسَعْدٍ ، فَهَلَا قَدْ زَجَرْتَ بِذَاكَ طَيْرِي ؟
وَمَا خَبَرْتَ أَيْنَ حَلَلْتَ إِلَّا وَصَلْتُ إِلَيْكَ إِدْلَاجِي بِسِيرِي
وَلَمْ يَبْرَحْ إِلَى أَعْدَاكَ شَرِّي ، إِذَا لَاقَيْتَهُمْ ، وَإِلَيْكَ خَيْرِي
وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَسْزِلَتِي ، وَلَكِنْ سَتَذَكِّرُنِي ، إِذَا جَرَبْتَ غَيْرِي

على رسلكم

وقال معاتباً :

رَعَى اللهُ قَوْمًا أَصْلَحُونَا بِجَوْرِهِمْ ، وَعَادَةُ إِصْلَاحِ الرَّعِيَّةِ بِالْعَدْلِ
عَرَفْنَا بِهِمْ حَزْمَ الْأُمُورِ ، وَلَمْ نَكُنْ لِنَحْسَبِ حُسْنَ الظَّنِّ نَوْعًا مِنَ الْجَهْلِ
فِيَا مَنْ أَفَادُونَا بِسُوءِ صَنِيعِهِمْ تَجَارِبَ جُرْمٍ أَيْقَظَتْ سُنَّةَ الْعَقْلِ
عَلَى رِسْلِكُمْ فِي الْجَوْرِ إِنْ عُدْتَ ثَانِيًا ، وَإِنْ بَتُّ مَغْرُورًا بِكُمْ فَعَلَى رِسْلِي

لي الخيار

أَتَهْجُرُنِي ، وَمَا أَسْلَفْتُ ذَنْبًا ، وَيَظْهَرُ مِنْكَ زُورٌ وَازْوِرَارُ
وَتُعْرِضُ كُلَّمَا أَبْدَيْتُ عُلُرًا ، وَكَمْ ذَنْبٍ مَحَاهُ الْاعْتِذَارُ
وَتَخْطُبُ بَعْدَ ذَلِكَ صَفْوَ وَدِّي ، فَهَلْ يُرْضِيكَ وَدٌّ مُسْتَعَارُ
فَلَا وَاللَّهِ لَا أَصْفُو لَحِيلٍ ، سَجِيَّتُهُ التَّعَتُّبُ وَالنَّفَارُ
إِذَا اخْتَلَّ الْحَلِيلُ لَغَيْرِ ذَنْبٍ ، فلي فِي عَوْدِ صُحْبَتِهِ الْخِيَارُ

ود وهجر

كِلَانَا عَلَى مَا عَوَّدَتْهُ طِبَاعُهُ ، مُقِيمٌ ، وَكُلٌّ فِي الزِّيَادَةِ يَجْهَدُ
لَكُمْ مِنِّي الْوُدَّ الَّذِي تَعَاهَدُونَنَّهُ ، وَلِي مِنْكُمْ الْهَجْرُ الَّذِي كُنْتُ أَعَاهَدُ

حتام

حَتَامَ أَمْنَحُكَ الْمَوَدَّةَ وَالْوَفَا ، وَتَسْؤِمُنِي قَصْدَ الْقَطِيعَةِ وَالْجَفَا ،
يَا عَاتِبًا لِحَرِيرَةٍ لَمْ أَجْنِهَا ، ظَنًّا بِأَنْ وَفَايَ كَانَ تَكَلُّفًا ،
بِاللَّهِ لِمَ ثَقُلْتُ عَلَيْكَ رَسَائِلِي ، هَذَا ، وَأَنْتَ أَجَلَ إِخْوَانِ الصَّفَا ،
وَلِمَ أَطْلَعْتَ عَلَى جِبَالِ مَوَدَّتِي ، فَجَعَلْتَهَا بِالْهَجْرِ قَاعًا صَفْصَفًا ،
هَبْ أَتْنِي أَغْلَظْتُ قَوْلِي عَاتِبًا ، أَيَجُوزُ أَنْ يُقْلَى الصَّدِيقُ إِذَا هَفَا ،
إِنَّ الصَّدِيقَ ، إِذَا تَأَكَّدَ حَقُّهُ بِالْوَدِّ أَغْلَظَ فِي الْعِتَابِ وَعَنْفًا ،
وَكَذَا سَمِعُ الْعَتَبِ فِي حَالِ الرِّضَى يُغْضِي لَهُ ، وَإِذَا تَحَرَّفَ حَرَفًا ،
كَالرَّاحِ تُدْعَى الْإِثْمَ عِنْدَ مَلَاهَا ، وَمَعَ الرِّضَى تُدْعَى السَّلَافَ الْقَرَفًا ،

حالة غدر

أَتُكْرِمُنِي سِرًّا ، وَتَسْلِمُنِي جَهْرًا ، لَعَمْرُكَ هَذَا حَالُ مَنْ أَضْمَرَ الْغَدْرًا ،
فَهَلَّا عَكَسْتَ الْحَالَ أَوْ كُنْتَ جَاعِلًا ، بَعْدَ ذَلِكَ إِحْدَى الْحَالَتَيْنِ كَمَا الْآخَرَى

خير السبيل

وقال يعاتب من من عليه بحاجة يسيرة :

حَمَلْتَنَا بِالْمَنْ حِمْلًا ثَقِيلًا ، فَحَسَبْنَا اللَّهَ ، وَنَعَمْ الْوَكِيلُ
وَقُلْتُ: إِنِّي مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْقَبِيلِ
وإِنَّمَا كَانَ اتِّفَاقًا جَرَى ، وَسَوْفَ أَجْزِيكَ بِهِ عَنْ قَلِيلٍ
وإِنْ أُمْتُ مِنْ قَبْلِ فَوْزِي بِهِ ، فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرُ السَّبِيلِ

عبادة الحمار

وقال يعاتب أحد الأعيان

على ترك عيادته :

أَعُودُ حِمَارَكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، إِذَا مَا ضَرَّهُ فَرَطُ الشَّعِيرِ
وَيُمْرِضُنِي التَّأَلُّمُ مِنْ جَفَاكُمْ فَلَمْ أَرَ عَائِدًا لِي مِنْ زَفِيرِي
فإِنْ يَكُ ذَاكَ حَقَّ جَزَائِي مِنْكُمْ ، لِإِفْرَاطِ الْمَحَبَّةِ فِي ضَمِيرِي
فَشَكَرًا لِلْمَحَبَّةِ ، إِذْ حَطَّطْتُمْ بِهَا الْأَصْحَابَ عَنْ قَدْرِ الْحَمِيرِ

مشفق معذور

وقال في مثله :

عَذَرْتُ مَوْلَايَ فِي تَرْكِ الْعِيَادَةِ لِي ، إِذْ كَانَ فِي الْوَدِّ عِنْدِي غَيْرَ مُتَّهَمٍ
لأنَّهُ مُشْفِقٌ تَنْهَاهُ رَأْفَتُهُ عَنْ أَنْ يَرَانِي فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَلَمِ

خلان المدام

وقال يعاتب إخواناً هجروه
لما تاب عن المدام :

أَخْلَانِ المَدَامِ هَجَرْتُمُونِي ، لَهَجَرِي عَنْ قَلِيلٍ للمُدَامِ
وَأَصْبَحَ مَنْ سَمَحْتُ لَهُ بِرُوحِي يَشَحُّ عَلَيَّ حَتَّى بِالسَّلَامِ
وَلَمْ أَكُ تَائِباً عَنْهَا ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ بَأْنِ أَرَى أَهْلَ الذَّمَامِ
وَأَعْرِفَ مَنْ يُصَاحِبُنِي لِأَمْرِ ، إِذَا مَا هَلَّ - مَلَّ - مَعَ التَّمَامِ
فَشَكَرًا للمُدَامَةِ ، إِذْ أَرَتْنِي صَدِيقَ الصَّدِيقِ مِنْ مَدَقِ الكَلَامِ

الخطاب خطوب

وقال وكتبها إلى صديق له في
ظاهر كتاب أغلظ فيه عليه :

إِقْرَأْ كِتَابَكَ وَاعْتَبِرْهُ قَرِيبًا ، فَكَفَى بِنَفْسِكَ لِي عَلَيْكَ حَسِيبًا
أَكْذَا يَكُونُ خُطَابُ إِخْوَانِ الصَّفَا ، إِنْ رَاسَلُوا جَعَلُوا الْخُطَابَ خُطُوبًا
مَا كَانَ عُذْرِي لَوْ أَجَبْتُ بِمِثْلِهِ ، أَوْ كُنْتُ بِالْعَتَبِ الْعَنِيفِ مُجِيبًا
لَكُنْتَنِي خِفْتُ انْتِقَاضَ مَوَدَّتِي ، فَتَعُدَّ إِحْسَانِي لَدَيْكَ ذُنُوبًا

العاري المردود

وقال يعاتبُ صاحباً استعار
منه جوخة يوماً فردّه :

لَمَّا اسْتَعَرْتُ مِنَ الْمُهَذَّبِ جُوخَةً وَلَتِي ، وَأُولَانِي جَفّاً وَصُدُوداً
خَاوَلْتُهَا عَارِيَةً مَرْدُودَةً ، فَرَجَعْتُ مِنْهَا عَارِيّاً مَرْدُوداً

العبد المطيع

وقال يشكو إلى مخدومه جور
أحد نوابه :

يَا طَاهِرَ الْمَأْثِرَاتِ وَالْأَصْلِ ، وَصَاحِبَ الْمَسْكُومَاتِ وَالْفَضْلِ
وَمَنْ إِذَا مَا احْتَمَى النَّزِيلُ بِهِ كَانَ لَدَيْهِ كَالصَّارِمِ النَّصْلِ
أَشْكُو إِلَى ظِلِّكَ الظَّلِيلِ لَنَا مِنْ جَوْرِ بَاغِ مُسْتَحِكِمِ الْجَهْلِ
أَبْعَدَمَا شَاعَ أَنْتَنِي لَكُمْ عَبْدٌ مُطِيعٌ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
يَصْدُرُ فِي مِثْلِ عَصْرِكُمْ مِثْلُ هَذَا أَمْ فَعَلَ مِنْ مِثْلِهِ إِلَى مِثْلِي

المؤيد من الله

قال وكتب بها إلى السلطان الملك
المؤيد عماد الدين صاحب حماة وكان
وعده أن يحمل إليه غريباً له ببلده :

لا زالَ ظلكَ للعفاةِ ظليلاً ،
يا أيتها الملكُ الذي آراؤهُ
أنتَ المؤيِّدُ من إلهِكَ بالذي
بسمَاحَةٍ تَذرُ العفاةَ أعزَّةً ،
وشمائلٍ لو صافحتُ عِطفَ الصِّبَا
وصواريهم حمَتِ البلادَ حدودُها ،
فنظمتُها فوقَ الرقابِ غلاغلاً ،
طمحتُ إلى عليكَ أحداقُ الورى ،
وهبتُ لكَ العلياءُ حتى صدَاقِها ،
إن أمَّ ربَّعِكَ من وفودِكَ قاصِدٌ ،
تُعطي وتَسألُ سائلِكَ معَ العطا
تَجِدُ اليسيرَ من المدائحِ مُفْرِطاً ،
يا مَنْ ، إذا وَعَدَ الجَمِيلَ لوَفَدِه ،
وريسعُ مجدِكَ للمُقلِّ متقيلاً ،
سَحَبْتُ على هامِ السحابِ ذُبُولاً
طُلتَ الأنامُ بهِ ، ونِلتَ السُّولا
وحماسَةٍ تَذرُ العزيرَ ذليلاً
خِلتَ الشمالَ من الصِّفاءِ شَمولاً
وأرتكَ في حَدِّ الزَّمانِ فُلُولاً
وتخالُها بينَ الضُّلوعِ غليلاً
وارتدَّ طَرفُ الدهرِ عنكَ كليلاً
حتى رَضيتُ بأنْ تَراكَ خليلاً
أَمَسْتُ يَبُوتُ المالِ مِنْكَ طُلُولاً
عُذراً ، فكنْتَ السَّائلَ المَسْؤولاً
وتَرَى الكثيرَ من العطاءِ قليلاً
أضحى الزَّمانُ بما يَقولُ كَفيلاً

١ الغلاغل : عروق الأشجار المعنة في الأرض ، ولعله أراد بها الاغلال .

مَوْلَايَ تَتَقَبَّلُ عَلَيْكَ كَثِيرٌ
 وَبَرِيفٍ مِصْرِكَ لِي عَزِيزٌ لَمْ أَجِدْ
 لَمَّا عَرَضْتُ عَلَى عُلَاكَ لَذَكْرِهِ
 هَنَاتٌ نَفْسِي ، ثُمَّ قُلْتُ لَهَا ابْشِرِي
 هُوَ صَادِقُ الْوَعْدِ الَّذِي لَوْفَائِهِ
 قَدْ ظَلَّ يَفْتَخِرُ الْقَرِيبُ بِأَنْتِي
 وَالْعَبْدُ مُشْتَهَرٌ بِحَبْلِكَ ، نَاطِقٌ
 فَاجْعَلْ لِحَاجَتِهِ شِعْرَهُ مِنْ مَالِهِ ،
 إِذْ كَانَ ظَنَنِي فِي عُلَاكَ جَمِيلًا
 بِسِوَاكَ لِلْإِنصَافِ مِنْهُ سَبِيلًا
 طَرَفًا وَصَادَفَ مِنْ نَدَاكَ قَبُولًا
 وَثِقِي ، فَذَلِكَ وَعْدُ إِسْمَاعِيلَا
 نَسْتَشْهَدُ الْآيَاتِ وَالتَّزْيِيلَا
 صَيَّرْتَهُ طَوْرًا إِلَيْكَ رَسُولَا
 بِجَمِيلِ ذِكْرِكَ ، بُكْرَةً وَأَصِيلَا
 إِذْ شَأْنُهُ أَنْ لَا يَرَى التَّثْقِيلَا

ماء الحياء كمااء النجاة

وقال وكتب بها إلى أحد الأعيان :

كَفَرَضِ الصَّلَاةَ فَرُوضُ الصَّلَاتِ ، وَمَطْلُ الْعِدَاتِ كَحَرْبِ الْعُدَاةِ ١
 وَمَنْ جَادَ بَعْدَ تَمَادِي الْمَطَالِ ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ أَجْرُ السَّعَاةِ
 فَكَيْفَ امْرُؤٌ جَالٌ فِي فِكْرِهِ ، بَأَنَّ الْمَطَالَ سَقِينُ الْحَيَاةِ
 وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّ مَاءَ الْحَيَاءِ عِنْدَ الْكِرَامِ كَمَااءِ النِّجَاةِ

١ صدر البيت مختل .

٢ العِدَات ، الواحدة عِدَةٌ : الوعد .

الوعد السقيم

وعدُّكم بالندى سقيمٌ ، وأمَّ آمالِنَا عقيمٌ
وهبتُم موعداً ونمتُم ، فعندي المقعدُ المقيمُ
يا رَفْدَةً لم يحظَ قديماً بمثلِها الكهفُ والرقيمُ
فعودُها عن قضاءِ حقٍّ ، لعذرٍ من لامي يقيمُ

نسيان

تناسيت وعدي ، وأهملتُه ، وغرَّكَ في ذاك منِّي السكوتُ
إلى أن علاه غبارُ المطالِ ، وخيمَ من فوقِه العنكبوتُ
فناسيتُ نفسي وعللتُها بأن سوف أذكرُه ، إذ حييتُ
فلما تجاوزَ حدَّ المطالِ ، نسيتُ بأنِّي له قد نسيتُ

متى نرى وعدكم؟

قد قضينا العمرَ في مطليكمُ ، وظننا وعدكم كان متاماً
إذا متنا نرى وعدكمُ ، أم إذا كنَّا تراباً وعظاماً ؟

ليلة القدر

قد صَبَرْنَا بِالْوَعْدِ مِنْكَ شَهْرًا ، ما رأينا بهنَّ لَيْلَةَ قَدَرٍ
كُلُّ تِلْكَ الشُّهُورِ بَيْضٌ ، ولكن لَيْلَةُ الْقَدَرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ

انعموا بعذر

وَعَصِرَ الرِّضَا إِنِّي لَدَيْكَ لَفِي خُسْرٍ بِمَطْلِي . وَقَلْبِي فِيكَ لَمْ يَرْضَ بِالصَّبْرِ
وَوَعْدُكَ مُحْتَاجٌ إِلَى فَسْحٍ مُدَّتِي . وَرَبِّكَ أَدْرَى مَا تَخْلَفَ مِنْ عُمْرِي
وَفَرَطُ التَّقَاضِي يُوْهِمُ النَّاسَ أَنَّي هَجَمْتُ ، وَاسْتَنْزَعْتُ ذَلِكَ بِالْقَسْرِ
فَإِنْ صَدَّ عَنْ إِنْجَازِهِ الْمَنْعُ ، فَانْعِمُوا بِعُذْرِي . فَإِنَّ الْعُذْرَ أَسْوَى مِنَ الْغَدْرِ

فاتني النوم

هَجَرْتُ الْكَرَى مَذْنَمَتَ عَنْ ذِكْرِ مَوْعِدِي ، لثَلَاثَ أَرَى إِخْلَافَ وَعْدِكَ فِي الْعُمْصِ
فَمَا فُزْتُ بِالْوَعْدِ الَّذِي رُمْتُ قَبْضَهُ . وَقَدْ فَاتَنِي النَّوْمُ الَّذِي كَانَ فِي قَبْضِي

حمالة الخطب

وقال أيضاً وقد رآه أحد الأمراء في دار له
في ماردين وأوقد في بغير بها جميع حطب في
الدار ووعد أن يرسل بقاله لتحمل له عوضه :

إِنَّ الْبَخِيرِيَّ مَذْفَارَقْتُمُوهُ غَدًا يَسْفِي الرَّمَادَ عَلَى كَانُونِهِ الْحَرْبُ
لَوْ شِئْتُمْ أَنَّهُ يُمَسِّي أَبَا لَهَبٍ جَاءَتْ بِغَالُكُمْ حَمَالَةَ الْحَطَبِ

من هو الكريم

وقال في التقاضي :

وَلَيْسَ كَرِيماً مَنْ يَجُودُ بِمَوْعِدٍ ، وَيَمْطُلُ حَتَّى يُقْتَضَى بَعْتَابٍ
وَلَكِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَوْلَ مُسْرِعاً ، جَزِيلَ ثَوَابٍ ، أَوْ جَمِيلَ جَوَابٍ

وعد ومطل

وَعَدْتُمْ ، وَأَعْطَيْتُمْ مَدَى الْمَطْلِ حَقَّهُ عَلَى قَدَرِهِ حَتَّى سَمِينَا التَّمَادِيَا
فَلَمَّا تَقَاضَيْنَا بِشِعْرِ سَخَطْتُمْ ، وَقَلْتُمْ : غَدًا ، بَعْدَ الْمَدَائِحِ ، هَاجِيَا
وَمَا كَانَ ذَاكَ الْهَزْءُ ظُلْماً ، وَإِنَّمَا يُذَكِّرُ بِالْأَشْعَارِ مَنْ كَانَ نَاسِيَا
فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا ، فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا ، وَلَكِنَّا أَسَانَا التَّقَاضِيَا

١ أراد بالحرب الذي ينادي بالحرب ، أي بالويل لفراغه .

علينا الصبر

وقال أيضاً والبيت الأخير
منها يحتمل الدم والمواربة عنه :

علينا، إذا ما طالَ مَطْلُكُمْ، صَبْرُ ، وَمَقْصُودُنَا أَلَّا يَضِيقَ لَكُمْ صَدْرُ
وليسَ لَنَا نَحْوَ الْعِتَابِ تَسْرُعُ ، إذا ما وَتَى الانْجَازُ أَوْ عَجَلَ الْعُذْرُ
ولكن سننسى ما وَعَدْتُمْ لَعَلَّهُ يَدُورُ اهْ يوماً بِفِكْرِكُمْ ذِكْرُ
وإن حالَ دَاعِي المَوْتِ ذَوْنَ نَجَازِهِ ، فلا رَحِمَ الرَّحْمَنُ مَنْ ضَمَمَهُ القَبْرُ

العذر الواضح

يا مانحي مَحْضَ الوُعودِ ، ومانعي حِفْظَ العُهودِ ، وَمُجْتَنِي مَعْرُوفِهِ
لي ، كلَّ يومٍ ، منكَ عُذْرٌ واضحٌ ، وأخافُ أنْ يُفْضِيَ إلى تَصْغِيْفِهِ

لا تقطعوا رسائلكم

قال في تقاضي أجوبة الكتب :

بالله لا تَقْطَعُوا عَنَّا رَسَائِلَكُمْ ، فإنَّ فيها شِفَاءَ القَلْبِ والبَصْرِ
وأنسونا بها إن عَزَّ قَرِيبُكُمْ ، فالأنسُ بالسمعِ مثلُ الأنسِ بالنظرِ

١ تصحيف عذر : غدر .

لا كتاب ولا جواب

تَقْصُرُ الْكُتُبُ عَنْ تَطَاوُلِ عَتَبِي ، لَيْتَ شِعْرِي ، فَمَا الَّذِي كَانَ ذَنْبِي
لَا كِتَابٌ يَأْتِي ابْتِدَاءً ، وَلَا رَدٌّ جَوَابٍ ، إِذَا ابْتَدَأْتُ بِكُتُبِي
وَلَعَمْرِي مَا زَالَ حَبْلُ قَيْدَا ، فِي حَالَتِي بُعَادِي وَقُرْبِي
فَإِذَا لَحْتَ كُنْتَ قَيْدًا لِعَيْنِي ، وَإِذَا غَيْبْتَ كُنْتَ قَيْدًا لِقَلْبِي

يا بصيراً

يَا بَصِيرًا إِلَّا بِإِبْصَارِ كُتُبِي ، وَجَوَادًا إِلَّا بِرَدِّ جَوَابِي
وَلَوْ أَنِّي بَلَغْتُ سُؤْلِي مِنَ الدَّهْرِ لَوَافِيئُهُ مَكَانَ الْكِتَابِ

أنت والزمان

لَا تَكُنْ أَنْتَ وَالزَّمَانُ عَلَى عَاقِبَةٍ دِيكَ بِالْبَيِّنِ وَالْخَفَاءِ أَعْوَانَا
فَهَوَّارِاضٍ بِلَمَحِّ كِتَابِكَ ، إِذْ لَمْ يَسْمَحِ الدَّهْرُ أَنْ يَرَاكَ عِيَانَا

قضي الأمر

نَسِيتَ عَهْدِي ، واطَّرَحْتَ رَسَائِلِي ، كَأَنْ لَمْ يَدُرْ يَوْمًا بِفِكْرِكَ لِي ذِكْرُ
وَقَدْ كُنْتُ أَخَشِّي بَعْضَ ذَاكَ ، فَعِنْدَمَا قَطَعْتَ جَوَابِي ، قُلْتُ : قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ
وَقَدْ كَانَ ظَنِّي فِيكَ أَنْتَ ذَاكَرِي ، وَلَوْ جُرِدَتْ مَا بَيْنَنَا الْأَنْصَلُ الْبُتْرُ
فَكَيْفَ وَلَا الْخَطِيئَةُ يَخْطِرُ بَيْنَنَا ، وَلَا نَهَلْتُ مِنَّا الْمُثَقَّفَةُ السُّمْرُ

يقبل الأرض

يُقَبَّلُ أَرْضًا شَرَفَتْهَا رِكَابُكُمْ ، وَيُلْصِقُ أَحْنَاءَ التَّرَائِبِ بِالشَّرْبِ
وَيَسْأَلُكُمْ أَنْ لَا يَكُونَ نَصِيحُهُ مِنْ الرَّدِّ إِلَّا رَدًّا أَجُوبُهُ الْكُتُبِ

رادع العتاب

قَدْ قَنَعْنَا مَثَكُمْ بِرَدِّ الْجَوَابِ : دُونَ إِسْعَافِنَا بِمَا فِي الْكِتَابِ
فَاجْعَلُوهُ زَكَاةً مَقْدَرَةَ الْحُسْكَ مِنْ عَلَيْنَا . أَوْ رَادِعًا لِلْعِتَابِ
١ التَّوَابِ ، الْوَاحِدَةُ تَرِييَةٌ : أَعْلَى الصَّدْرِ .

أضربت صفحاً

أضربت صفحاً إذ أتتكَ صَحيْفتي ، فطَوَيْتَ كَشْحاً عِنْدَ رَدِّ رَسَائِلِي
أُظْنِتَ كُلَّ الرَّدِّ يَقْبَعُ فِعْلُهُ ، رَدُّ الْجَوَابِ خِلَافُ رَدِّ السَّائِلِ

تغاب لا غباوة

لو فعلتُم معَ المُحِبِّ صَوَاباً ، ما جَعَلْتُم تَرْكَ الْجَوَابِ جَوَاباً
ولو أنِّي عَلِمْتُ أَنَّ عَلَيكُمْ فِيهِ ثِقْلاً لَمَّا بَعَثْتُ كِتَاباً
كَيْفَ أَخَرْتُكُمْ جَوَابِي وَمَا كُ نَا كَمَا يَزْعُمُ الْحَسُودُ غِيْضَاباً
لَا حَإِعْرَاضُكُمْ ، وَلَسْتُ غَيِّباً بِقِلَاحِكُمْ ، لَكِنِّي أَنْغَابِي

القناعة بالرد

سَأَلْتُكُمْ رَدَّ جَوَابِي فَكُمْ يَدِي لَكُمْ مِنْ قَبْلِهَا عِنْدِي
فَقَلَدُونَا مِثَّةً ، وَاعْجَبُوا مِنْ سَائِلٍ يَقْنَعُ بِالرَّدِّ

لا تعرف الرد

تركتَ إجابةَ كُتبي إليك ، لَحَقْتُ تَشَبَّهُ بِالْبَاطِلِ
لأنِّي سألتُكَ رَدَّ الجَوَابِ ، ولا تَعْرِفُ الرَدَّ للسَّائِلِ

جمال الرد

لا تَخْشَ مِنْ رَدِّ الجَوَابِ ، وقد بدأتُكَ بالكتابِ
فالرَدَّ يَجْمَلُ في الأَمَانَةِ والتَّحِيَّةِ والجَوَابِ

لا خلخال ولا قلب

أَقُولُ وقد وافقتُ إلى الصَّحْبِ كُتُبُكُمْ ، ولم أَرِ لي ، من دونهم ، بينهم كُتُبًا
تَجُولُ خَلَائِلُ النِّسَاءِ ، ولا أَرَى لِمَلَّةٍ خَلَائِلًا ، يَجُولُ ، ولا قُلُوبًا

كنت أخشى

كنتُ أَخْشَى عَذْلَ العَوَازِلِ ، حتى صِرْتُ مُسْتَنْفِلًا لَرَدِّ جَوَابِي
فتركتُ التَّثْقِيلَ في بَعْثِ كُتُبِي ، واستراحتُ عَوَازِلِي من عِتَابِي

١ القلب : سوار للمرأة .

الجواب الشافي

عَوَّدَتْنِي ، بِسَوَابِقِ الْأَلْطَافِ ، أَنْسَأُ تَرَوْمُ بَيْسَطِهِ اسْتِعْطَافِي
أَفْعْلَامَ تُعْرِضُ عَنْ جَوَابِي جَائِراً ، وَالْجَوْرُ ضِدُّ خَلَائِقِ الْأَشْرَافِ
فَاشَفِ الْقُلُوبَ ، فَقَدْ غَدَوْنَا عَلَى شَفَا بِجَوَابِ طِيرِسٍ مِنْ يَدَيْكَ يُوَافِي
فَلَأْنَتْ فِي حَالِي حُضُورِكَ وَالنَّوَى مَا زِلْتَ تَعْهَدُ بِالْجَوَابِ الشَّافِي

الروح المعتلة

رُوحِي الَّتِي اعْتَلَّتْ لِبُعْدِي عَنْكُمْ ، وَغَدَتْ تُعَلَّلُ عِنْدَ سَطْرِ كِتَابِي
تُبْدِي اشْتِيَاقاً كَالسِّيَاقِ ، وَتَرْتَجِي رَمَقاً ، فَرَدَّهُ بَرْدُ جَوَابِي

السماع بالعين

لَقَدْ اشْتَاقَ سَمْعِي مِنْكَ لَفْظاً ، وَأَوْحَشَنِي خِطَابُكَ بَعْدَ بَيْنِي
فَأُودِعَ طَيْبَ لَفْظِكَ لِي كِتَاباً ، لِأَسْمَعَ مَا تُخَاطِبُنِي بَعَيْنِي

١ الألفاظ ، الواحد لطف : الهدية .

الباب التاسع

في الهدايا والاعتذار والاستعطاف والاستغفار

بحر وغدران

قال وكتب بها إلى القاضي علاء الدين
ابن الأثير كاتب السر بمصر وكان
لا يقبل هدية :

تَاللّهِ إِلَّا مَا قَبِلْتَ هَدِيَّتِي ، وَجَعَلْتَ لِي فَضْلًا عَلَى الْأَقْرَانِ
فَالْبَحْرُ تَنْشَأُ مِنْهُ كُلُّ سَحَابَةٍ صَدَرَتْ ، وَيَقْبَلُ فَاضِلَ الْغُدْرَانِ

البحر يمطره السحاب

وقال قريباً منه :

نَزِفًا إِلَيْكَ أَبْكَارَ الْمَعَانِي ، وَسَائِرُهَا لَنَا مِنْكَ اكْتِسَابُ
وَنَحْمِلُ مِنْ نَدَاكَ إِلَيْكَ مَالًا ، فَأَنْتَ الْبَحْرُ يُمْطَرُهُ السَّحَابُ

هدية عبد

وقال وكتب بها مع طبق
حلوى على يد غلام له :

عبدك قد أرسل أدنى خدمةٍ إليك ، يا مَنْ بالجميل قد سبق
فانظر بلحظ الجبر ، أو عين الرضا نحو غلام وكاتب وطبق

جبر القلوب

لو فرضنا أن الهدية لا تتجمل ، إلا نهاية المطلوب
شق هذا على المقل ، ولكن من صفات الكرام جبر القلوب

الهدية على مقدار مهديها

لو أن كل يسير رد محتقراً ، لم يقبل الله للورى عملاً
فالمرء يهدي على مقدار قدرته ، والنمل يعذر في القدر الذي حملاً

هدية متواضعة

بَعَثْتُ هَدِيَّتِي لَكُمْ ، وَلَيْسَتْ
ولكن حَسْبُ إمكاني ، وأرجو
فدَعْ كَسَرَ الْقُلُوبِ ، ففي حِسَابِي
بِقَدْرِكَ فِي الْقِيَاسِ وَلَا بِقَدْرِي
لَدَيْكَ قَبُولُهَا وَقِيَامَ عُنْدِي
يَكُونُ لَنَا مُقَابَلَةً بِجَبْرِ

للقدر الواهن

مَوْلَايَ هَذَا قَدَرٌ وَاهِنٌ ، يُخْبِرُ عَنْ قِلَّةِ مَيْسُورِي
لَيْسَ عَلَى قَدْرِي وَلَا قَدْرِيكُمْ ، لَكِنْ عَلَى مِقْدَارِ مَقْدُورِي

السيف الواصل

قال وكتب بها مع سيف
أهداه لأمر كان مقاطعه :

بَعَثْتُ الْحُسَامَ إِلَى مِثْلِهِ ، وَلَمْ أَكُ فِي حَمَلِهِ جَاهِلًا
وَشَاهَدْتُهُ مُرْهَقًا قَاطِعًا ، فَصَيَّرْتُهُ بَيْنَنَا وَاصِلًا

يد الخطوب

قال وقد أهدى لصديق له دون ما
وعده به :

تركُ التكلّفَ فيما قد خدّمتُ بهِ أولى من المَطْلِ والإِخلافِ والمَلَلِ
وربّ قائلٍ قولٍ قَصَّرتُ يَدَهُ يدُ الخطوبِ ، فصَدَّتْهُ عن العَمَلِ

العذر الجميل

وقال في ترك الهدية :

أجلّكَ أن تُواجَهَ بالقليلِ ، ولم أقدرْ على القَدْرِ الجَزِيلِ
فأتركُ خَيْرَةً هذا وهذا ، وأطمعُ منكَ بالعُذْرِ الجميلِ

١ الخيرة : الاختيار .

مجدل الأبطال

قال يمتنر إلى الأمير الكبير المعظم غياث الدين
زكريا بن جلال الدين حاكم سنجار رحمه الله وقد
اجتمع به في مجلس السلطان الملك الصالح صاحب
ماردين بالفردوس فوجهه مالا فوجهه للمطربين ومعه
شيء آخر فمظم عليه ذلك وأرسل يعاتبه فكتب إليه :

لم تَبْغِ هِمَّتُكَ المَحَلَّ العَالِي ، إِلَّا وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ لِكَمَالِ
وكذلكَ مَا عَشَقْتَ خِلَافَتُكَ العُلَى ، إِلَّا وَلِلْأَمْوَالِ قَلْبُكَ قَالِي
أُمُجْدَلُ الأَبْطَالِ ، بَلْ يَا بَاذِلَ الـ
صَيَّرْتَ أَسْحَارَ السَّمَاحِ بَوَاكِرًا ، وَجَعَلْتَ أَيَّامَ الكِفَاحِ لِيَالِي
بِحِمَاسَةٍ مَقْرُونَةٍ بِسَمَاحَةٍ ، وَجَلَادَةٍ مَشْفُوعَةٍ بِمِجْدَالِ
تُحْمِي الجِوَارَ مِنَ الحَوَادِثِ مِثْلَمَا ، يَحْمِي فَرِيسَتَهُ أَبُو الأَشْبَالِ
أَغْيَاثَ دِينِ اللهِ ، يَا مَنْ رَأَيْتُهُ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ ، قَبْلَ لُحْتٍ لِنَظَرِي ،
طَاوَعْتُ فَيْكَ تَقَرَّرْسِي وَتَوَسَّسِي ، وَعَصَيْتُ فَيْكَ مَلَامَةَ العُدَّالِ
مَا زِلْتُ مِنْذُ سَرَى رِكَابُكَ مَائِلًا ، أَتَوَقَّعُ الإِقْبَالَ بِالإِقْبَالِ
وَجَهَدْتُ أَنْتِي لَا أُسِيرُ مِيمَمًا ، حَتَّى أُمَثِّلَ بِالمَقَرَّرِ العَالِي
فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ كَانَ مُقَامَنَا ، وَبِمِثْلِهَا فِي الحَشْرِ يَنْجَحُ قَالِي
فَكَأَنَّ ذَاكَ اليَوْمَ رِقْدَةٌ نَائِمٍ ، وَكَأَنَّ عَيْشِي فِيهِ طَيْفُ خَيْالِ
مَا تَلَكَ لِلسُّلْطَانِ أَوَّلَ مِئْسَةٍ ، عَمَّتْ بِدَاهُ بِمِثْلِهَا أُمَثَالِي

ملكٌ عَرَفْتُ بِهِ الْمُلُوكَ ، فلم يَزَلْ
 لما رَأَيْتَ لِسَانَ شُكْرِي قَاصِراً ،
 وحَفِظْتُ عَهْدَكَ مِثْلَ حِفْظِي صِحَّتِي
 أَغْرَاكَ جُودُكَ بِي ، فَجَدْتُ تَبَرَّعاً ،
 فَأَبَيْتُ أَنْ أَرْضَى ، لِصِدْقِ مَحَبَّتِي ،
 وَمَنْحَتِي ، فَبَذَلْتُ مَالَكَ فِي يَدِي ،
 إِذْ كُنْتُ أَرْغَبُ فِي رِضَاكَ ، وَلَمْ يَكُنْ
 وَأَوَدَّ أَنْ أُجْرِيَ بِبَالِكَ بَعْضَ مَا
 مَا كُنْتُ أَنْهَكَ بِالتَّوَقُّعِ بِالْعَطَا
 لَكِنْ أَزِيلُ نَفِيسَ مَا مَلَكَتْ يَدِي
 شَيْئاً عَهَدْتُ بِهَا مَسَاعِي مَعْشَرِي ،
 مَا طَالَ فِي الدُّنْيَا تَنْعَمُ رَاحَتِي ،
 مَا فِي نِظَامِي غَيْرَ تَرَكَ مَدَائِحِي :

شِعْرِي بِهِ عَالِي ، سِعْرِي غَالِي
 وَعَلِمْتُ وَدَّيْ مِنْ لِسَانِ الْحَالِ
 وَشَهِدْتُ فِي ذَاكَ الْمَقَامِ مَقَالِي
 وَسَأَلْتَنِي لَمَّا أُمِنْتَ سُؤَالِي
 ثَمَنًا ، وَأَرْخَصْتُ قَدْرَ وَدَّي الْغَالِي
 وَحَسَدْتُ جُودَكَ لِي ، فَجَدْتُ بُمَالِي
 لِي ، مَعَ وَدَادِكَ ، رَغْبَةً فِي الْمَالِ
 يُجْرِي مَدِيحُكَ وَالثَّنَاءُ بِيَالِي
 عِرْضِي ، فَأَسْمِنَ جَارَتِي بِهِزَالِي
 أَنْفًا ، وَمَاءُ الْوَجْهِ غَيْرُ مُزَالِ
 فَسَحَبْتُ فِي آثَارِهِمْ أَذْيَالِي
 إِلَّا وَقَدْ قَصُرَتْ بِهَا آمَالِي
 نَقْصٌ ، وَذَاكَ النِّقْصُ غَيْرُ كَمَالِي

للاقلام طغيان

وقال يعتذر عن غلطة
 سبق بها القلم بين يديه :

طَغَى الْيَرَاعُ لِبَسْطِي فِي الْعِنَانِ لَهُ ، وَهُوَ الْجَوَادُ وَظَهَرُ الطَّرْسِ مَيْدَانُ
 فَلَا تُؤَاخِذْ بِطُغْيَانِ الْيَرَاعِ ، إِذَا جَرَى عَلَيَّ ، فَلِأَقْلَامِ طُغْيَانُ

شركة في المال

وقال يعتذر إلى الملك المنصور وقد وهبه
يوماً مالا ففرقه ببابه فأنكر عليه :

فوالله ما فرقتُ ما جدتَ لي بهِ
ولكنني لما علمتُ بأنني
شركتُ جميعَ الصَّحْبِ فيها لعلها
على الصَّحْبِ عن تيهٍ عراني أو كبيرٍ
أقصرُ عن أداءِ حقِّكَ بالشُّكرِ
تُساعدُ في شكرٍ يقومُ بهِ عُذري

خادم وحاجب

وقال يعتذر إليه ، وقد سار في ركابه
مرة أولاً ومرة أخيراً :

إن سارَ عبدُكَ أولاً ، أو آخرًا ،
في ظِلِّ مَسْجِدِكَ ما تعدَّى الواجبًا
فإذا تأخرَ كانَ خلفَكَ خادِمًا ،
وإذا تقدَّمَ كانَ دونَكَ حاجِبًا

حاجة في نفس يعقوب

وقال يعتذر إلى ولده الملك ناصر
الدين محمد عن الانقطاع بسبب سمي غلام
له به يدعى يعقوب :

نالتِ الأعداءُ بالسَّعيِ مُناها ،
فبرُّغمي يا أبا الفضلِ رِضاها
كانَ سَعيُ الضَّدِّ فيما بَيْننا
حاجةً في نفسِ يَعْقوبٍ قضاها

الذئب المتهم

وقال يعتذر إلى أحد الأعيان
عن أمر عزوه إليه :

يا علماً لاحَ لحَقْضِ العِدى ، وهو لرفعِ الذِّكرِ مَنْصوبُ
عَبْدُكَ قد جاءَكَ مُستَصْرِخاً ، وقلْبُهُ بالهَمِّ مَكْرُوبُ
حاشاكَ أن تُنصِفَ مَنْ دُونَهُ ، وحقُّهُ عندَكَ مَغْصُوبُ
فكلُّ ما يَغْرِسُ وحشُ الفِلا مَتَّهَمٌ في فِعْلِهِ الذَّيْبُ
الذَّيْبُ لا يُؤْمَنُ لِكِنِّهِ عليه في يوسُفَ مَكْذُوبُ
وقد تجلَّى الحَقُّ من بَعْدِ ما صَدَقَ فيه السَّعيَ يَعْقُوبُ
كَذلكَ العَبْدُ الَّذِي حَقُّهُ يباطلُ الأعداءِ مَغْلُوبُ
رأوكَ للسَّعيِ بِهِ سامِعاً ، فَلُفِّقْتُ عَنَّهُ الأكاذيبُ

مكافأة الطبيعة

وقال يعتذر إلى القاضي تاج الدين
ابن وشاح قاضي الحلة عن قيل فيه
وعزوه إليه كتبها إليه عند وصوله
من جبل الهكار :

حَذَرًا عَلَيْكَ مِنَ الفَعَالِ الجَافِي ، أَدْنِيكَ مُجْتَهِدًا إِلَى الإنصافِ
وَأَوَدَّ فِعْلَكَ لِلجَمِيلِ مَخَافَةً ، إِنَّ الطَّبِيعَةَ لِلْمُسِيءِ تُكَافِي

يا شائنَ الحُسْنِ البَدِيعِ بَدْعَةَ الـ
لا تَقْرِنَنَّ الحُسْنَ مِنْكَ بِضَدِّهِ ،
يا جامعَ الْوَرْدِ الْحَتِّيِّ ، وَمَآئِهِ
يا عاذلي في الحبِّ لَمَّا أَنْ رَأَى
لو سَرْتُ في قَدَسِ الْمَحَبَّةِ حَافِيًا ،
إِنَّ الَّذِي أَضْحَتْ صَوَارِمُ لَحْظِهِ
لو شَاءَ أَنْ يَشْفِي الْمَحَبَّ سَقَاهُ مِنْ
فَسَقَى رَبِّي الْمَرْجَ الْأَنِيْقَ وَلَالِشٍ ،
أَرْضًا حَلَلْتُ مُمْتَعًا فِي أَهْلِهَا ،
مَا زِلْتُ أَنْعَمُ فِي جَدِيدِ سَوَالِفِ
مِنْ كُلِّ مَجْدُولِ الْقَوَامِ مُهْفَهَفٍ ،
مِنْ فَيْتَةِ الْكُرْدِ الَّذِينَ لَجَدَّاهُمْ
قَوْمٌ إِذَا أَسْرَوْا الْمُلُوكَ بِأَرْضِهِمْ ،
غَضَبُوا الْوُعُولَ بِهَا الْقِيَانَ وَوَطَدُوا
وَبَنَوْا عَلَى قُلْدَلِ الْجِبَالِ بِيوتَهُمْ ،
خَلَقْتَ عِيونَهُمُ السَّهَامَ ، وَلَمْ أَخْلِ
وَرَنَوْا بِأَجْفَانٍ ضِعَافٍ فِي الْوَعَى ،
هَجَرَ الشَّنِيعِ وَكَثْرَةَ الْإِخْلَافِ
إِنَّ الْإِسَاءَةَ لِلْجَمَالِ تُنَافِي
فِي الْحَدِّ ، لِمَ أَشْرَبْتَ مَاءَ خِلَافِ
وَجَدِي وَيَشْرِي فِي الْهَوَى بِتَلَافِي
لَعَلِمْتَ كَيْفَ يَكُونُ بِشْرُ الْحَافِي
تَحْمِي مَرَّاشْفَهُ مِنْ التَّرْشَافِ
تِلْكَ الشَّفَاهِ بِأَوَّلِ الْأَعْرَافِ
وَالْعَيْنَ صَوَّبَ الْوَابِلِ الْوَكَّافِ
فَكَأَنَّهُمْ إِلْفَايَ ، أَوْ أَحْلَافِي
مِنْهَا ، وَطَوْرًا فِي عَتِيقِ سُلَافِ
فَحَلَّ اللَّحَاطِ مُخَنَّنِ الْأَعْطَافِ
شَرَفٌ مُنَافٍ أَهْلَ عَبْدٍ مُنَافٍ
جَعَلُوا الشَّعُورَ حَمَائِلَ الْأَسْيَافِ
وَعَرَّ الذَّرَى بِتَسَهَّلِ الْأُكْنَافِ
إِنَّ الْبِقَاعَ مَنَازِلُ الْأَشْرَافِ
أَنَّ الْقُلُوبَ لَهَا مِنْ الْأَهْدَافِ
لَكِنَّهَا فِي الْفَتَكِ غَيْرُ ضِعَافِ

١ الخلاف : صنف من الصفصاف ، وفي الكلام تورية .

٢ لالش : لعله موضع .

٣ قوله القيان : هكذا في الأصل ، ولم ندرك ماذا أراد .

حملوا البُدورَ على الغُصونِ وكتفوا
 عقدوا البُنودَ على الخُصورِ فأظهرتْ
 وتسربلوا بدُجى الشُّعورِ ، فأسبلوا ،
 وتتَوَجَّوا بقلانيسٍ مُحَمَّرَةٍ ،
 حُمُرٌ على سُودِ الشُّعورِ ، كأنَّها
 قُلٌّ للذي أخذتْ مَنَاطِقُ خَصْرِهِ
 إن يَزَهُ خَصْرُكَ بالوشاحِ فقد زَهَتْ
 الحاكمُ الحُكَمُ الذي شهِدَتْ لَهُ
 قاضٍ ، إذا التَّبَسَّتْ حَقِيقَةُ مُشْكِيلٍ
 وإذا أفاضَ البَحْثَ ساقطَ لَفْظُهُ
 وإذا المَسَائِلُ في الجِدَالِ تَمَرَّضَتْ
 مولى طَوَارِفُ مَالِهِ وتِلَادُهُ
 طَبِيعَ الْأَنَامِ على الخِلَافِ وَجُودُهُ ،
 بذَلِ النَّضَارَ مع اللَّجَيْنِ وعِرْضُهُ
 يُبْدي اهْتَزَازاً للمَدِيعِ ، كأنَّما
 ولربَّما جَلَّى العَجَاجَ بِسَيْفِهِ ،

ضُفِّفَ الخُصُورُ تَحَمَّلَ الأحْقَافُ
 ما كانَ مَجْهُولاً من الأُرْدَافِ
 فوقَ الصُّباحِ ، مَدَارِعَ الأَسْدَافِ
 جَعَدٌ على سَبَطِ الأَثِيثِ الصَّافِي
 شَفَقٌ على بَحْرِ الدُّجْنَةِ طَافِ
 من فَرَعِهِ خَبْرًا عَنِ الأَشْنافِ
 بَفَى وشاحٍ سائرُ الأطرافِ
 أعداؤه بِالْعَدْلِ والإنصافِ
 أَبَدَتْ لَهُ الآرَاءُ ما هوَ خَافِ
 دُرَرًا تُنَزِّهُهَا عَنِ الأَصْدَافِ
 بالعيِّ أَقْبَلَ بِالْجَوَابِ الشَّافِي
 وَقَفَ على الإِسْعَادِ والإِسْعَافِ
 في النَّاسِ ، مَسْأَلَةً بَغَيْرِ خِلَافِ
 في الصُّونِ كاسِمِ أَيْبِهِ في الأَوْصَافِ
 عُوْطِي ، وحاشاهُ ، كؤُوسَ سُلَافِ
 والنَّقْعُ أحْلَكَ من جَنَاحِ غُدَافِهِ

١ أراد بالأحقاف : الأرداف على التشبيه بأحقاف الرمل ، وهي كتيابه .

٢ الأسداف ، الواحد سدف : الظلمة والضوء ، وأراد هنا الشعور السود .

٣ السبط : ضد الجعد . الأثيث : الشعر الكثير الملتف .

٤ قوله : بفى وشاح ، هكذا في الأصل .

٥ الغداف : الغراب .

من فوقِ يَعبُوبُ لهُ يومَ الوَغَى
 يَنمي إلى القومِ الذينَ إذا سَطَوا ،
 يَتَهافتونَ على القِرَاعِ وفي الندى
 أغنامُهمُ عن رَفَعِ نيرانِ القِرى
 لا عيبَ فيهمُ غيرَ أنَ نَوَالِهمُ ،
 مولاي ، تاجَ الدينِ ، يا مَنْ حِلْمُهُ
 كيفَ استَخَرَتِ سَماعُ ما نَقَلَ العِدى
 أَفصَحَ أنَ الذئبِ أَكِلُ يوسُفِ ،
 حَتى تُفاسَ عليهِ كلَ رَفيعةٍ
 ولقدَ بسَطَتُ العُذْرَ عندَكَ فاعتَبِرُ
 بكمُ طالبِ عَفْوَ ، وليسَ بِمُذنبِ ،
 ومُؤثِّبِ في الانقِطاعِ ، وإنْ غَدَا
 ولربَّ جانٍ ، وهوَ غيرُ مُجانِبِ ،
 شُكراً لوأشِ أوجِبَتِ أقوالُهُ
 بَعْدُ جَنيتُ القُربَ منَ أغصانِهِ ،
 ولربَّما عَوَتِ الكِلابُ ، فأرشدتُ
 دَعُ عَنكَ ما اختلفَ الورى في نَقْلِهِ
 مَدحاً ، أناكَ ، ولا يَرومُ إجازةً ،

سَبَقُ القَطا ، وتَقَلَّبُ الخطافُ
 أغنَتِ عَزائِمُهُمُ عن الأسِيفِ
 يَتَهافتونَ على قِرى الأضيافِ
 ذكراً لهمُ عالٍ ، وشُكراً وافٍ
 في الناسِ ، مَنسُوبٌ إلى الإسرافِ
 وَسَمَاحُهُ يُغني عنِ استعطائي
 عني ، وذلكَ للصَّحيحِ يُنَافِي
 أوليسَ فيهِ لَكُم دَليلُ كافٍ
 رَفَعِ السَّعَاةُ بها إلى الأشرافِ
 مَبسُوطُهُ من رَأيكَ الكَشَافِ
 ومُقَدِّمِ عُدْرًا ، وائسَ بهافٍ
 مُتَجافياً خَجَلًا ، فليسَ بِجافٍ
 ولربَّ وافٍ ، وهوَ غيرُ مُوافٍ
 حَجَّيْ لكَعْبَةَ رَبِّكُم وطَوافِي
 وسُكِينَةَ حَصَلَتِ من الإرجافِ
 نحوَ الكِرامِ شَوَارِدَ الأضيافِ
 عني ، وخُذْ مَدحاً بغيرِ خِلافٍ
 إلَّا المودَّةَ والضَميرَ الصَّافِي

الظهر المثقل

وقال يمتذر إلى احد
الأعيان عن الانقطاع :

عَجَزِي ، عن قَضَاءِ حَقِّكَ بِالشَّكِّ ، ثَنَانِي عَنْ الْجَنَابِ السَّامِي
كَيْفَ أَسْتَمْلِكُ النَّهْوَضَ بظَهْرِي ، أَثْقَلْتَهُ بِدَاكِ بِالْإِنْعَامِ

الحضور كالغياب

وقال في مثله :

حَضُورِي عِنْدَ مَجْدِكَ مِثْلُ غَيْبِي ، وَبُعْدِي عَنْ جَنَابِكَ مِثْلُ قُرْبِي
فَإِنْ تَكُ غَائِبًا عَنْ لِحْظِ عَيْنِي ، فَلَسْتُ بِغَائِبٍ عَنْ لِحْظِ قَلْبِي

سيان

سَيَانٍ مِّن رَّبِّ الْوِدَا دِ حُضُورُهُ وَمَغْيِبُهُ
لَا تَسْتَمِعُ قَوْلَ الْعِدَايَ ، مَن غَابَ غَابَ نَصِيْبُهُ

يسعى على رأسه

قَسَمًا بِالْحَظِيمِ وَالْبَيْتِ وَالرَّكْ ن ، وَمِنْ حَوْلِهَا يَطُوفُ وَيَسْعَى
لَوْ تَمَكَّنْتُ مِنْ زِيَارَةِ مَوْلَايَ لَوَافَيْتُهُ عَلَى الرَّأْسِ أَسْعَى
كَيْفَ لِي دَائِمًا بِقُرْبِ مَلِكِ مُلْكِ النَّاسِ وَالسَّمَاحَةِ طَبْعًا
إِنْ سَطَا فِي الْكِفَاحِ ثَوْرَ نَقْعًا ، أَوْ سَخَا فِي السَّمَاحِ أَثَرَ نَفْعًا

الخوف من الحاجبين

وقال يعتذر عن الانقطاع
بضييق الحجاب :

أَخَافُ مَعَ التَّرْدَادِ تَقْطِيبَ حَاجِبِ ، وَأُخْشَى مِنَ التَّأْخِيرِ تَقْطِيبَ حَاجِبِ
فَإِنْ رُمْتُ إِقْدَامًا ، فَلَيْسَ بِمُمْكِنٍ ، وَإِنْ رُمْتُ تَأْخِيرًا ، فَلَيْسَ بِوَاجِبِ
فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا جَزَمْتَ بِحَالَةٍ تُخَلِّصُ رَبَّ الْوُدِّ مِنْ عَتَبِ عَاتِبِ

زيارة بالقلب

وقال يعتذر من أحد الأعيان
من الزيارة بالمطر :

حَسَدَتْ جُودَ كَفِّكَ الْأَمْطَارُ ، فَغَدَتْ مِنْكَ بِلَ عَلِيكَ تَغَارُ
صَدَّنَا الْغَيْثُ عَنْ زِيَارَةِ غَيْثِ بَشْرِهِ الْبَرْقُ وَالنُّضَارُ الْقُطَارُ

عاقَ أجسادنا ، فزُرناه بالقلد
حَجَبَتْهُ عَنَّا السَّحَابُ أَيَا
فَكَأَنَّ السَّحَابَ رَقَّ لَشَكْوَا
أَوْ تَعَاظَى بِأَنْ يُحَاكِكَ فِي الْجَوِ
ذَا بِمَاءٍ يَسْخُو ، وَأَنْتَ بِمَالٍ ،
أَنْتَ يَرَوِي نَدَاكَ كُلُّ ذَوِي الْفَقِ
ذَاكَ مِنْهُ النَّهَارُ يُظْلِمُ كَاللَّيْلِ
أَيُّهَا الْمُنْعِمُ الَّذِي لَيْسَ لِلَّآ
مَا اخْتَصَرْتُ التَّرَدَادَ إِلَّا لَعَذْرِ
رَأَتْ السُّحْبُ أَنَّهَا حِينَ تَهْمِي
وَالَيْكَ الْعُيُونُ تَطْمَحُ إِنْ لُحِ
فَتُنِينَا بِالْهَطْلِ بَلْ فَتُنِينَا ،
فَاقْبَلِ الْعُذْرَ ، فَهُوَ أَوْضَحُّ عَذْرِ ،
بِ ، وَذُو الْفَضْلِ بِالْقُلُوبِ يُزَارُ
مَاءً ، وَبِالسُّحْبِ تُحَجَّبُ الْأَقْمَارُ
يَ ، فَفَاضَتْ مِنْهُ الدَّمُوعُ الْغِزَارُ
دِ ، وَهِيَهَاتَ مَا لِذَاكَ اعْتِبَارُ
بِعَظَاهُ تُسْتَعْبَدُ الْأَحْرَارُ
رِ ، وَذَا مِنْ نَدَاهُ يَرَوِي الْقِفَارُ
لِ ، وَمِنْ وَجْهِكَ الظَّلَامُ نَهَارُ
مَالٍ فِي مُنْعِمٍ سِوَاهُ اخْتِيَارُ
لِي يَغْنِي عَنْ وَصْفِهِ الْاِشْتِهَارُ
لَيْسَ تَمْتَدَّ نَحْوَهَا الْأَبْصَارُ
تَ ، وَإِنْ غِيتَ بِالْبَنَانِ يُشَارُ
فَمَكَّشْنَا وَنَابَتِ الْأَشْعَارُ
فَلَدَى الصَّيْدِ تُقْبَلُ الْأَعْدَارُ

غيرة الغيث

أَغَارَ الْغَيْثَ كَفْكَ حِينَ جَادَا ،
فَأَفْرَطَ فِي تَرَادُفِهِ وَزَادَا
أُظِنُّ السُّحْبَ تَحْسُدُنَا عَلَيْهِ ،
فَتَمْنَعُ مِنْ زِيَارَتِكَ الْعِبَادَا

١ الترادف : التابع ، وأراد ترادف الجود .

ثَنَانَا عَنْكَ ، فَازِدْنَا ثَنَاءً ، عَلَى عَلَيْكَ لَا نَأْلُو اجْتِهَادًا
فَأَغْضَبْنَا ، وَإِنْ أَرْضَى الْبَرَايَا ، وَأَظْمَأْنَا ، وَإِنْ رَوَى الْبِلَادَا
وَكَمْ عَنَفْتُهُ فِي قَطْعِ حَبْلِي ، وَإِنْ وَصَلَ الْأَنَامَ ، فَمَا أَفَادَا
فِيَضْحَكُ حِينَ أَوْهَمُهُ ، وَيَبْكِي فِيُوهِمُنِي الْحَدِيدَعَةَ وَالْوَدَادَا
وَأَعْجَبُ لَابْتِسَامِ الْبَرْقِ فِيهِ ، وَقَدْ لَبِسْتَ سَحَابُهُ حِدَادَا
فَظَلْتُ تَحْسُدُ الْأَوْرَاقَ عَيْنِي ، وَقَدْ أُرْسَلْتُهَا تَشْكُو الْبُعَادَا
وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ ، وَقَدْ حَمَلْنَا بَيَاضَ الطَّرْسِ نَحْوَكَ وَالسَّوَادَا
أَصِيرْتُ الْبَيَاضَ لَهَا سَجِلًا ؛ وَصِيرْتُ السَّوَادَ لَهَا سَوَادَا

القطوع الوصول

عَاقَبَنِي الْغَيْثُ عَنْ زِيَارَةِ غَيْثٍ ، بِشْرُهُ الْبَرْقُ ، وَالْعَطَاءُ السَّيُولُ
غَارَ مِنْ كَفِّهِ وَمِنْ نُطْقٍ فِيهِ بِصَنِيعٍ يُسْدِي لَنَا ، فَيُزِيلُ
قَطَعَ الْوَصْلَ ثُمَّ وَاصَلَ هَطْلًا ، فَبَرُّغَمِي ذَاكَ الْقَطْعُ الْوَصُولُ
فَهْوَ فِي فِعْلِهِ وَقِيٌّ، خَوْثُونَ ، عَادِلٌ ، جَائِرٌ ، جَوَادٌ ، بَخِيلٌ
فَلَذَا جَاءَ ، وَهُوَ طَلَقَ عَبُوسٌ ، مَنَظَرٌ رَاقٍ ، وَدَمَعٌ هَطُولُ
فَتَحَيَّرْتُ بَيْنَ مَدْحٍ وَذَمٍّ ، لَسْتُ أَدْرِي فِي حَقِّهِ مَا أَقُولُ
غَيْرَ أَنِّي لَهُ شَكْوٌ، شَكُورٌ، عَاذِلٌ ، عَاذِرٌ، صَمُوتٌ، قَوْلُ

١ أراد بالسواد الأخير : الخبر .

صدني اليم

وقال يعتذر عن التأخر بقطع جسر دجلة :

صَدَنِي الْيَمَّ عَنْ تَيَمَّمِ مَوْلَايَ لَمَدِي قَضَى لَوْصَلِي بِحَزْرٍ
فَأَبَيْتُ ارْتِكَابَ فُلْكَ ، وَمَا كُنْتُ جَسُوراً عَلَى الْعُبُورِ بِجِسْرِ
عِنْدَ قَطْعِ الْجُسُورِ لَسْتُ جَسُوراً ، أَنَا غَمْرٌ إِذَا تُبِيدَتْ بَغَمْرٍ
لَسْتُ أَرْضَى بِالْفُرْسِ مُلْكاً إِذَا مَا كَانَ رِزْقِي فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ

الود ما حوته الصدور

طَلَبَ الْوَدَّ بِالزِّيَارَةِ زَوْرٌ ، إِنَّمَا الْوَدَّ مَا حَوَتْهُ الصُّدُورُ
كَمْ صَدِيقٍ يُقَصِّرُ السَّعْيَ تَخْفِي نَأً بِقَصْدٍ ، وَكَمْ عَدُوٍّ يَزُورُ
ذَلِكَ عُنْدِي عَنْ قَصْدِ حَضْرَةِ مَوْلَايَ ، وَقَوْلِي مَعَ أَتْنِي مَعْدُورُ
إِنْ أَكُنْ فِي تَأَخَّرِ السَّعْيِ قَصْرٌ ، فَفَرَضُ الْمُسَافِرِ التَّقْصِيرُ

١ نبلت : طرحت ، رميت .

مواصلة بالدعاء

وقال يعتذر عن الزيارة بألم المفاصل
وهي لزوم ما لا يلزم :

لَتَن سَلَ الزَّمانُ لَنَا مَنَاصِلُ ، فَصُنْعُ الودِّ عِندي غَيْرُ ناصِلٍ
وإن أَخَرْتُ عَن مَولاي سَعْيي ، فَإِنِّي بالدَّعاءِ لَهُ مُواصِلٍ
وإِنِّي إِنِّ وَصَفْتُ لَهُ وَلائِي ، كَأَنِّي طالِبُ تحصيلِ حاصِلٍ
وَلَمْ يَكُ ذلِكَ التَّأخيرُ إِلَّا لِمَا ألقاهُ مِن أَلَمِ المَفاصِلِ

عيب القصر

وقال يعتذر عن انقطاع كتبه :

مَولاي إِنَّ صَروفَ الدَّهرِ تَشغَلُنِي عَنِ التَّعَبُّدِ بالأوراقِ في سَقَرِي
فكَلِّمَ طالَ شَوقِي قَصَرَ كُتُوبِي ، وَأَيَّ عَيبٍ لَهَا أَسْنَى مِنَ القِصَرِ

الكتابة على الظهر

وقال يعتذر عن المكاتبه
على ظهر قرطاس :

كَتَبْتُ عَلى ظَهِرِ إِلَيكَ لِأَنَّنِي رَأَيْتُكَ ظَهري في جَميعِ النِّوائِبِ
وَأَعَرَضْتُ عَن بَيضِ الطَّرُوسِ لِأَنَّنِي حُرُمْتُ نَصِيبِي عِندَ بَيضِ الكِوَاعِبِ

قضاء الدين بالاعتذار

وقال وقد سأله بعض الخلفاء
أن يكتب على يده اعتذاراً أو
شفاعة إلى الملك العادل :

إِنَّ عَبْدًا أَتَاكَ يَلْتَمِسُ الْعَقْدَ وَ قَضَىٰ بِاعْتِذَارِهِ عَنْهُ دَيْنًا
قَدْ أَتَىٰ تَائِبًا لِتَصْفَحَ إِنْ شِئْتَ ، وَإِلَّا ، فَبَدَلِ الْخَاءِ عَيْنًا^١

مرض العين لا يعاد

وقال يعتذر عن ترك
عيادة أرمذ :

لِأَنِّي ، وَإِنْ لَمْ أَعُدْكَ يَوْمًا . فلي على ودِّكَ اعتمادُ
وما تأخَّرتُ عَنْ مَلَالٍ . بل مَرَّضُ الْعَيْنِ لَا يُعَادُ

صفاء القلوب

وقال يعتذر عن ترك الوداع :

لَمْ أَبَادِرْكَ بِالْوَدَاعِ لِأَنِّي وَائِقٌ بِاجْتِمَاعِنَا عَنْ قَرِيبٍ
ولهذا تأخَّرتُ عَنْكَ كُتُبِي لاعتمادي على صفاء القلوب

١ بدل الخاء عيناً ، أي حاء تصفع فتصير تصفع .

ترك العتاب

وقال يعتذر عن ترك العتاب :

ما تركتُ العتابَ ، يا مالكَ الرَّقْ ، لأنِّي قد قرَّرتُ عَنكَ قَرَارِي
بل تَعَامَيْتُ عن ذُنُوبِكَ خَوْفًا أن أرى فيكَ ذِلَّةَ الاعتذارِ

فصل الخطاب

وقال في مثله :

رَبِّ هَجَرٍ مُؤَلَّدٍ مِنْ عِتَابٍ ، وَمَلَالٍ مُؤَكَّدٍ مِنْ كِتَابٍ
فلَهِذَا قَطَعْتُ عَتِي وَكُتِّي ، حَذَرًا أَنْ أَرَى الصَّدُودَ جَوَابِي
أَبْتَهَا الْمُعْرِضُونَ عَنَّا بِلَا ذَنْبٍ ، وَمَا كَانَ هَجْرُهُمْ فِي حِسَابِي
خَاطِبُونَا ، وَلَوْ بِلَفْظَةِ شَمٍّ ، وَهِيَ عِنْدِي مِنْكُمْ كَفَصْلِ الْخُطَابِ

سنن العدل

وقال يعتذر عن مكافأة
معيء بإساءته :

حَدَانِي إِلَى مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ سَجِيَّتِي ، فَأُحَوِّجَنِي بِأَقْوَلٍ مِنْهُ إِلَى الْفِعْلِ
وَأُحَوِّجَنِي بِالْخَوْرِ عَنْ سُنَنِ الْوَفَا ، فَأُخْرِجَنِي بِالْخَوْرِ عَنْ سُنَنِ الْعَدْلِ

دب بقرد

وقال يعتذر عن ترك إجازة شاعر مدحه
بالشام وافتخر عليه في شعره ولوح بالامتحان
فأجابه بقصيدة جزلة وكتب بعدها :

لَوَ أَنَّكَ بِالْقَرِيضِ قَصَدْتَ حَمْدِي لَكُنْتُ مَعَ الْإِيَابِ حَمَدْتَ قَصْدِي
وَلَكِنْ رُمْتَ بِالشَّعْرِ امْتِحَانِي ، فَجَاءَكَ مِثْلُهُ دُبًّا بِقَرْدِي
كَسَوْتُكَ مِنْ قَشِيبِ الشَّعْرِ بُرْدًا يَهْجُنُ شِعْرَ بَشَّارِ بْنِ بُرْدِي
وَكُنْتُ عَزَمْتُ أَنْ أُولِكَ بِرًّا ، وَأَحْمِلَ فِي الْإِجَازَةِ وَسْعَ جُهْدِي
فَلَوْحَ لِي قَرِيضُكَ بِافْتِخَارٍ ، وَعُجِبَ جَاءَ عَنْ تَصْغِيرِ خَدِّي
فَصَبَّرْتُ الْقَرِيضَ لَهُ جُزَاءً ، وَقُلْتُ : جُزِيتَ عَنْ نَحْسٍ بِسَعْدِي

مرض العين كماضي القول

وقال يعتذر عن ترك
عيادة مريض العين أيضاً :

مَا انْقَطَاعِي عَنِ الْعِيَادَةِ كَبِيرٌ ، بَلِ الْأَمْرِ تَدَاوَاتُهُ الْعِيَادُ
مَرَضُ الْعَيْنِ فِي الْقِيَاسِ كَمَاضِي الْإِ قَوْلِ كُلِّ بَيْنِ الْوَرَى لَا يُعَادُ

ساكن كاليا

وقال يعتذر عن الانقطاع
بألم المفاصل أيضاً :

قد اقعَدَتني عنكمُ مَفَاصِلُ وإن أَقامَت في انقطاعي عُذري
فصِرتُ من بَعْدِ الحراكِ ساكِناً كاليا في القاضي وفي المستشري

العفو عند المقدرة

قال وكتب بها إلى أحد ملوك
عصره وقد قال قولاً فخوفه
أحد أصداده :

إنَّ المُلوكَ لَتَعْفُو عَنَدَ قُدْرَتِها ، لكنَّها عَن ثَلاثٍ عَفَّوْها قَبُحاً
ذَكَرُ الحَرِيمِ ، وَكشَفُ السِّرِّ مِنْ ثَقَّةٍ ، وَالقَدْحُ فِي المُلِكِ مِمَّنْ جَدَّ أَوْ مَزَحاً
وَالعَبْدُ لَمْ يُفْشِرِ أَسرارَ المَلِكِ ، وَلَمْ يَذْكَرْ حَرِيماً ، وَلَا فِي مُلْكِهِ قَدْحاً
وَإِنَّمَا قالَ قَوْلًا كانَ غايَتُهُ أنْ صرَحَ العُذْرَ أَوْ لِلحالِ قَدْ شَرَحاً
فكَيْفَ يَسْعَى وَسَيْطُ السَّوءِ عَنه بِما يُقْصِيهِ عَنكمْ فيُعْطِي فَوْقَ ما اقْتَرَحاً

من كالمنون

وقال وكتب بها إليه
في الترفع عن التشفع :

زَجَرْتَنِي عَنِ التَّشَفُّعِ نَفْسٌ ، مِئِنَّ النَّاسِ عِنْدَهَا كَالْمَنُونِ
لَمْ أَكُنْ جَاعِلًا شَفِيعِي إِلَّا عَفْوَكَ الْمُرْتَجَى ، وَحُسْنَ ظَنُّونِي
كَيْفَ أَسْتَجِدُّ الشَّفَاعَةَ مِنْ قَوٍ مِ هُمْ فِي الْمَقَامِ عِنْدَكَ دُونِي
لَيْسَ تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْءٌ ثَأْ وَلَا هُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ يُنْقِدُونِي

سكرة الموت

لَسُخِطِكَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ، فَعَطَفًا ، وَإِحْسَانًا عَلَى عَبْدِكَ الرَّقَّ
فَقَدْ تَنَقَّلُ الْأَعْدَاءُ حَقًّا وَبَاطِلًا ، فَلَا يَحْمِلُ الْمَوْلَى الْجَمِيعَ عَلَى الصَّدَقِ
وَكَيْفَ يَرَى إِسْخَاطَ مَالِكٍ رَقَهُ ، بَنَجَوَاهُ ، عَبْدٌ لَيْسَ يَرِغُبُ فِي الْعَتَقِ
فَرِيقًا إِلَى أَنْ يُبْرِزَ الْحَقُّ وَجْهَهُ ، بَعِيدَ كَمْ ، فَالْعَبْدُ أَجْدَرُ بِالرَّفَقِ

أين العفو والكرم ؟

وقال وهي لزوم ما لا يلزم :

مولايَ يا مَنْ رَبُّهُ ، لِيَلَا تُذِينَ بِهِ حَرَمٌ
قد كَانَ مِنِّي زَلَّةٌ ، لَا عُذْرَ عَنْهَا يُعْتَرَمُ
فَلَمَّ نَقَمْتِ ، فَمَا ظَلَمَ تَ ، وَإِنْ عَفَوْتَ فَلَا جَرَمَ
هَبْنِي أَسَأْتُ كَمَا زَعَمَ تَ ، فَأَيْنَ عَفْوُكَ وَالْكَرَمُ ؟

قساوة الاخلاق

عهدتُكَ بِي دَهْرًا ضَمِينًا عَلَى الْعِدَى ، إِذَا رَمَتِ الْأَعْدَاءُ عِرْضِي بِالظَّنِّ
وَكَانَ يَرَانِي حُسْنُ رَأْيِكَ بَالِي يُفْتَتُّ أَكْبَادَ الْعُدَاةِ مِنْ الْغَبَنِ
فَإِنْ حَالَ ذَاكَ الرَّأْيُ فِي ، فَطَالَمَا أَحَلَّتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا عَنِّي
وَأِنْ قَسَّتِ الْأَخْلَاقُ مِنْكَ ، فَطَالَمَا أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ حَتَّى اخْتَشَشْتُ مِنِّي

خير البر عاجله

اصبرْ لِعَادَتِكَ الْحُسْنَى الَّتِي عَمَّجِلْتُ بِالْبِرِّ نَحْوِي ، وَخَيْرُ الْبِرِّ عَاجِلُهُ
وَإِنْ تَبَرَّمْتَ فَادُلُّنَا عَلَى مَلِكٍ ، يَحْكِيكَ لِي ، فَدَلِيلُ الْخَيْرِ فَاعِلُهُ

مولاي

مولاي مثلي لا يُضامُ عٌ ولا يُضارُ ولا يُضامُ
وبمثلٍ ودّي لا يُقامُ سٌ، ولا يُقالُ، ولا يُقامُ
ولدّي سرُّك لا يُدامُ عٌ، ولا يُزالُ، ولا يُدامُ
فلذاك سِرِّي لا يُرامُ عٌ، ولا يُرادُ، ولا يُرامُ

غفران الذنوب

أوُمِّلْ غُفْرانَ ذَنبِي إِلَيْكَ لِمَا كانَ عندَكَ لي مِن مَّكانٍ
ولَوْ أَنَّ ذَنبِي لَوْنُ المَشْيَبِ ، وحِلْمَكَ لحِظُ عَيونِ الغَواني

الطمع بالعفو

طَمِعْتُ بِعَفْوِ مَنكَ عَمَّا اقْرَفْتُهُ ، فليسَ لهُ في طَيِّ حَلِمِكمُ قَدْرُ
وقلتُ بأنَّ البَحْرَ لا يَحْمِلُ القَدْزى ، وما شَكَّ خَلقٌ واحدٌ أَنَّكَ البَحْرُ
وأبديتُ إقراراً بذَنبي لأنَّه بهِ يَثْبُتُ الإنصافُ والتَّوبُ والعُذرُ

الصفح أنسب

العَفْوُ منك من اعتذاري أَقْرَبُ ، والصفحُ عن زَلَلِي بِحِلْمِكَ أَنَسَبُ
عُذْرِي صَرِيحٌ غَيْرَ أَنِّي مُقْسِمٌ ، لَا قُلْتُ عَذْرًا غَيْرَ أَنِّي مُذْنِبُ
يَا مَنْ نَمْتُ إِلَى عِلَاهُ بَأْتِنَا فِي طَيِّ نِعْمَةٍ مُلْكِهِ نَتَقَلَّبُ
لِأَنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ وَقْعِ خَطِيئَتِي ، وَلَسِنِ جُزِيتُ بِهَا ، فَذَلِكَ أَعْجَبُ

اليد الشافية

أَمْسَيْتُ ذَا ضُرٍّ وَفِي يَدِكَ الشِّفَا ، لَمَّا غَدَوْتُ مِنَ الذَّنُوبِ عَلَى شَفَا
وَعَلِمْتُ أَنَّ الصَّفْحَ مِنْكَ مُؤَمَّلٌ ، وَالْعَفْوَ مَرْجُوٌّ لَدَيْكَ لَمَنْ هَفَا
فَجَعَلْتُ عُذْرِي الْاعْتِرَافَ بِزَلَّتِي ، إِذَا مَا بِهَا فِي طَيِّ عِلْمِكَ مِنْ تَحَقَّا
فَإِذَا انْتَقَمْتَ ، فَإِنَّ ذَنْبِي مُوجِبٌ ، وَلَنْ عَفَوْتَ ، فَإِنَّ مِثْلَكَ مِنْ عَفَا

البين أعظم

وقال يستعطف بعض الإخوان :

أَقِيمُوا عَلَى الْإِعْرَاضِ مَعَ قُرْبِ دَارِكُمْ ، وَلَا تُتْلِفُوا الْأَرْوَاحَ بِالْبُعْدِ عَنْكُمْ
فَقَدْ سَهَّلَ الْبَيْنَ الْمُشْتَتَّ بَيْنَنَا جَفَاكُمْ وَأَحْلَى صَدَّكُمْ وَهُوَ عَلَقَمُ

وإنّا لنَرْضَى بالدُّنُوِّ بِسُخْطِكُمْ ، وَنَقْنَعُ بالإِعْرَاضِ فِي القُرْبِ مِنْكُمْ ،
وَنَخْتَارُ أَيَّامَ الصَّدُودِ ، لِأَنَّنَا نَرَى عِظَمًا بِالصَّدِّ ، وَالبَيْنُ أَعْظَمُ

تجرّم المولى على عبده

مِثْلَكَ مَنْ يَعْتَبُ فِي صَدِّهِ ، تَوَثَّقُ بِالمَحْضِ مِنْ ضِدِّهِ
جَفَوْتَ عَبْدًا لَوْ كَوَتْ قَلْبَهُ نَارُ الحَقِّ مَا حَالَ عَنْ عَهْدِهِ
وَلَيْسَ لِي ذَنْبٌ ، وَلَكِنَّهُ تَجَرَّمُ المَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ

إصفاء الود

حَاشَاكَ تَسْمَعُ فِي مَا نَقَلَ العِدَى ، وَتَظُنُّ وَدِّيَ فَيْكَ كَانَ تَكْلُفًا
إِنَّ الكَبِيرَ أَجَلٌ قَدْرًا أَنْ يَرَى عَجَلَ التَّغْيِيرِ لِلصَّدِيقِ ، إِذَا هَفَا
لَكِنْ يُنْقَبُ عَنْ حَقِيقَةِ جُرْمِهِ ، مُتَبَيِّنًا ، فَإِذَا تَحَقَّقَهُ عَفَا
عِلْمًا بِأَنَّ ذَوِي المَحَبَّةِ مَعَشَرٌ جُبِلَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى حِفْظِ الوَفَا
فَالْحِلَّ يُصْفِي وَدَّهُ مُتَكَدِّرًا ، وَالضَّدَّ أَكْدَرُ مَا يَكُونُ إِذَا صَفَا

الباب العاشر

في العريض والتقييد للإيجاز

كم ساهري

وله وهي مهملة الحروف
ليس فيها حرف معجم :

كَمْ سَاهِرٍ حَرَّمَ لِمَسَّ الْوَسَادُ ، وَمَا أَرَاهُ سُؤْلَهُ وَالْمُرَادُ
مَا سَهَرُ الْوَالِيهِ مُعْطٍ لَهُ وَصَلًا ، وَلَوْ دَاوَمَ طَوْلَ السَّهَادُ
وَلَا اطْرَاحُ اللَّتْهِوِ دَاعٍ لِمَا رَامَ ، وَسَحَّ الدَّمْعُ سَحَّ الْعِيَادُ
كَمْ وَالِيهِ مَرَّ هَوَاهُ لَنَهُ لَمَّا حَلَا مَوْرِدُهُ وَالْمُرَادُ
أَطْمَعَهُ حُلُوُّ مِرَاحِ الطَّلَا ، وَهَامَ لَمَّا مَاسَ دَلَالٌ وَمَادُ
أَرَاهُ مَعْسُولَ اللَّمَى وَرَدَهُ ، وَصَدَّ عَمَّا رَامَهُ ، وَهُوَ صَادُ
مُصَارِمٌ مَا صَارَ طَوْعًا لَهُ ، إِلَّا أَرَاهُ سَاعُهُ مَا أَرَادُ
أَسْمَرُ كَالرَّمْعِ لَهُ عَامِلٌ ، إِعْمَالُهُ حَظَمَ سُمْرَ الصَّعَادُ
أَحْمَرُ كَالْوَرْدِ لَهُ طَرَّةٌ ، مُسَوَّدَةٌ حَالِكَةٌ كَالْمِدَادُ
مُحَكَّمٌ سَلَّ لَطَلَّ الدِّمَا صَوَارِمَ السُّودِ الصَّحَّاحِ الْخِدَادُ

سَدَدَ سَهْمًا مَا عَدَا رَوْعَهُ ، وَرَوَعَ الْعُصْمَ ، وَلِلْأُسْدِ صَادُ
أَمَّا لَكَ الْأَمْرِ أَرْحُ هَالِكًا مَدْرِعًا لِلْهَمِّ دِرْعَ السَّوَادِ
أَرَاهُ طُولُ الصَّدِّ لَمَّا عَدَا مَرَامَهُ مَا هَدَّ صُمَّ الصَّلَادِ
وَدَّ وَدَادًا طَارِدًا هَمَّهُ ، وَمَا مُرَادُ الْحُرِّ إِلَّا الْوَدَادِ
وَالْمَكْرُ مَكْرُوهُ دَهَا أَهْلُهُ ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ لَهُ أَهْلَ عَادِ

فتنت بظبي

وله وهي معجمة ليس فيها
حرف مهمل :

فُتِنْتُ بِظَبِيٍّ بَغَى خَيْتِي ، بِجَفْنٍ تَفَنَّنَ فِي فِتْنَتِي
تَجَنَّنِي ، فَبِتُّ بِجَفْنٍ يَفِيضُ ، فَخَيَّبْتُ ظَنِّي فِي يَقْطَتِي
قَضِيْبٌ يَجِيءُ بَزِيٍّ يَزِينُ تَشَنَّى ، فَذُقْتُ جَنَى جَنَّةِ
نَجِيْبٌ يُجِيبُ بَفَنٍ يَذِيْبُ ، بِبَضٍّ خَضِيْبٍ نَقَى خَيْفَتِي
بِجَفْنٍ يَجِيءُ بِيضٍ غَزَتْ تَشَجَّ ، فَتَفَذُّ فِي جُبَّتِي
غَنِيٌّ يَضَنُّ بِنَضٍّ نَقِيٍّ ، فَيَقْضِي بَغْنِي فِي بُغْيَتِي
تَبْقَطُ بِي غُنْجُ جَفْنٍ غَضِيضٍ بَهَنٍ يَشَنُّ ضَنْئِي جُشْتِي

١ النفس : الدنيار ، أراد به الوجه على التشبيه بالاستدارة والنقاوة .

فِي شَطَفٌ بَتٌ ضَبِي ضَنِي	خَفِي بَيْنَ جَنَبِي فِي غَشِبَتِي
شُغِفْتُ بَذِي جَنَفٍ بَيِّنٍ ،	بَنَزَغٍ تَبَيَّنَ فِي غَيْبَتِي
بَذِي شَنَبٍ بِجَبِينٍ يُضِي	ءُ تَغْنِيَتِي ، فَفَشَتْ غَيْبَتِي
بُخِشَفٍ يُغِظُ بِيغِي يَغِضُ ،	بَغَشٍ يَفِضُ نُفَى نِيَتِي
قَضَيْتُ بَتَشَيْتٍ بَيْنَ قَضَى ،	فَتَى بَتَّ خَفَضِي فِي فِتْنَتِي
غَضَيْتُ بَتَبِينَ غَشٍ جَنَى ،	فَبِتُ بَغِظِي ، فِي غَضَبَتِي
نَشَبْتُ بِيغِي غَشِي بَغَى ،	فَذُبْتُ بَغْبِي فِي نَشَبَتِي
تَحْشَيْتُ غِبَّ تَجَنَّ يَفِي	يَقِينِي ، جَنَى فِي خَشَيْتِي

مجرى القوافي

وقال فيما قيد به حروفها الستة :

مَجْرَى الْقَوَافِي فِي حُرُوفٍ سِتَّةٍ ، كَالشَّمْسِ تَجْرِي فِي عُلُوِّ بُرُوجِهَا
تَأْسِيسُهَا ، وَدَخِيلُهَا مَعَ رِدْفِهَا ، وَرَوِيْهَا مَعَ وَصْلِهَا وَخُرُوجِهَا

حركات القوافي

وقال فيما قيد حركاتها
الست على الترتيب :

إِنَّ الْقَوَافِي عِنْدَنَا حَرَكَاتُهَا سِتٌّ عَلَى نَسَقٍ بَيْنَ يُبْلَاذُ
رَسٍّ ، وَإِشْبَاعٍ ، وَحَذُوٍّ ، ثُمَّ تَوَّ جِيهٌ ، وَمَجْرَى بَعْدَهُ وَنَفَاذُ

بحور العروض

وقال فيما قيد به عدة بحور العروض :
السة عشر تقريباً مختصراً للمبتدىء لا
على بناء أصول الدوائر :

الأول الطويل

طويلٌ له دونَ البحورِ فضائلٌ ، فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلٌ

الثاني المديد

لمديدِ الشعرِ عندي صفاتٌ ، فاعلاتن فاعلن فاعلاتٌ

الثالث البسيط

إنَّ البسيطَ لديهِ يُبسّطُ الأملُ ، مُستفعلن فاعلن مُستفعلن فعلٌ

الرابع الوافر

بحورُ الشعرِ وافرُها جميلٌ ، مُفاعلاتن مُفاعلاتن فعولٌ

الخامس الكامل

كَمَلَّ الجَمالُ منَ البحورِ الكاملِ ، مُتفاعِلن مُتفاعِلن مُتفاعلٌ

الثالث الهزج

على الأَهازِجِ تَسهِّلُ مَفاعِلن مَفاعِلن

السابع الرجز

في أبحرِ الأَرجازِ بحرٌ يَسهِّلُ ، مُستفعلن مُستفعلن مُستفعلٌ

الثامن الرمل

رملُ الأبحرِ ترويهِ الثِّقاتُ ، فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتُ

التاسع السريع

بجرٌ سريعٌ ما له ساحلُ ، مُستفعلن مُستفعلن فاعلُ

العاشر المنسرح

مُنسَرِحٌ فيه يُضربُ المَثَلُ ، مُستفعلن فاعلاتُ مفتعلُ

الحادي عشر الخفيف

يا خَفِيفاً خَفَّتْ بهِ الحَرَكَاتُ ، فاعلاتن مستفعلن فاعلاتُ

الثاني عشر المضارع

تُعَدُّ المضارِعَاتُ مفاعيلُ فاعلاتُ

الثالث عشر المقتضب

اقتَضِبَ كما سألوا ، فاعلاتُ مُفتعلُ

الرابع عشر المجث

إنْ جُثَّتِ الحَرَكَاتُ مستفعلن فاعلاتُ

الخامس عشر المتقارب

عنِ المُتقاربِ قالَ الخَلِيلُ فَعولُن فَعولُن فَعولُن فَعولُ

السادس عشر المحدث ويسمى الخبب والخلع وطرده الخيل

حَرَكَاتُ المُحدَثِ تَتَنَقَّلُ فَعِلُن فَعِلُن فَعِلُن فَعِلُ

زحاف الشعر

وقال في تقييد زحاف الشعر
الثمانية على ترتيب وقوعها في الأبحر :

زُحافُ الشعرِ قبْضٌ ثمَّ كَفٌّ ، بهنّ لأحرفِ الأجزاءِ نقصُ
وخبْنٌ ، ثمَّ طَيٌّ ، ثمَّ عَصْبٌ ، وعَقْلٌ ، ثمَّ إضمارٌ ووقصُ
وسائرُ ما عدا عِلَلٍ طَوَارٍ ، لها في الشعرِ أمكنةٌ تُخصّصُ

الباب الحادي عشر

في الملح والاهاجي

النفور من الغريب

قال وقد سمع أحد الفضلاء شعره
فاستحسنه وقال لا عيب فيه سوى قلة
استعماله للغة الغريبة فكتب إليه هذه
الآيات :

إنما الحيزبون^١ والدرديس^٢ ، والطخا^٣ والنقاخ^٤ والعطليس^٥
والسبتى^٦ ، والحقص^٧ ، والهيقي^٨ ، والهجرس^٩ والطرقسان^{١٠} والعسطوس^{١١}
لغة^{١٢} تنفر^{١٣} المسامع^{١٤} منها حين تروى وتشمئز^{١٥} النفوس^{١٦}
وقبيح^{١٧} أن يذكر^{١٨} النافر^{١٩} الوح^{٢٠} شيء^{٢١} منها ويترك^{٢٢} المأنوس^{٢٣}
أين^{٢٤} قولي هذا كئيب^{٢٥} قديم^{٢٦} ، ومقالي^{٢٧} عققيل^{٢٨} قدموس^{٢٩}
لم نجد^{٣٠} شادياً^{٣١} يغني^{٣٢} قفا^{٣٣} نب^{٣٤} لك^{٣٥} على العود^{٣٦} ، إذ تدار^{٣٧} الكؤوس^{٣٨}
لا ولا^{٣٩} من شدا^{٤٠} أقيموا^{٤١} بني^{٤٢} أ^{٤٣} مَي^{٤٤} ، إذا ما أدير^{٤٥} الحندريس^{٤٦}

١ الحيزبون : العجوز . الدرديس : الداهية ، الشيخ ، العجوز الفاتية . الطخا : السحاب المرتفع .
النقاخ : الماء البارد الصافي . العطليس : لم نجدها .
٢ السبتى : النمر . الحقص : الشد . الهيقي : الطويل من الرجال المفرط الطول والظلم . الهجرس :
القرود ، الثعلب ، الدب . الطرقسان : لم نجدها . والعسطوس : شجرة كالخيزران .

أثراني إن قلت للحب يا عبد
أو إذا قلت للقيام جلوس ،
خل للأصمعي جوب الفيا في ،
وسؤال الأعراب عن ضيعة الله
درست تلکمم اللغات وأمسى
إنما هذه القلوب حديد ،
ق درى أنه العزيز النفيس
علم الناس ما يكون الجلوس
في نشاف تخيف فيه الرؤوس
ظ إذا أشكلت عليه الأسوس
مذهب الناس ما يقول الرئيس
ولنذيد الألفاظ مغناطيس

أبو حبه

مملوكك اليوم أبو حبه ،
يزاحم الحمال في قوته ،
ياكل والغلمان في يومه ،
يود يسمي عرضه مطلقاً ،
لا يعرف الحمام لكنه
إذا رأى في قدره لحمه ،
وإن رأى في بيته فارة
يجل أن تدرك رغبانه
بالسمع والابصار والشم قد
مجتهد في خسة النفس
ويخزن الفلوس على الفلوس
فضلة ما قد كان بالأمس
وماله الوفور في حبس
في البيت يحمي الماء في الشمس
تلا عليها آية الكرسي
بادرها بالسيف والترس
حواس من يأتيه بالخمس
تدرك دون الذوق والشمس

يُقْفِلُ عِنْدَ الْأَكْلِ أَبْوَابَهُ ،
فَإِنْ أَتَى ضَيْفٌ عَلَى غِرَّةٍ ،
يَلْقَاهُ بِالرَّغِيبِ فِي الْإِحْتِمَاءِ ،
فَإِنْ تَعَدَّ أَكْلُهُ لُقْمَةً ،
فَهَذِهِ الْأَوْصَافُ مَكْسُوبَةٌ ،
قَدْ عَلِمَ السَّلْطَانُ مِنْ قَبْلِهَا
وَلَمْ أَزَلْ فِي رَحْبِ أَكْنَافِهِ
وَإِنْ تَرَاءَتْ فِي يَدَيَّ بَدْرَةً ،
فَمُذْ ثَنَانِي الدَّهْرُ عَنْ رَبْعِهِ ،
وَجُزْتُ فِي الْمَتَجَرِّ مَعَ مَعْشَرِ
طَوْرًا عَلَى الرُّومِ أَرَى بَيْنَهُمْ ،
فَصِرتُ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسٍ لَهُمْ ،
أَحِبُّ مَنْ فِي نَفْسِهِ خِيسَةٌ ،
وَلَمْ أَكُنْ مُسْتَحْدَثًا نِعْمَةً
لَكِنْ شَمْسَ الدِّينِ مُذْمَلْتَنِي ،
كَذَاكَ كُلَّ النَّبْتِ مِنْ شَأْنِهِ

خَوْفًا عَلَى الزَّادِ مِنَ الْكَبَسِ
قَابِلَهُ بِالتَّعَسِ وَالنُّكَسِ
وَبَعْدَهُ بِالْخَبَرِ وَالذَّبَسِ
رَأَيْتَ فِي أَضْلَاعِهِ رَفْسِي
أَدْرَكَهَا فِي غُرْبَتِي حِسِّي
أَنْتِي مِنْ ذَلِكَ بِالْعَكْسِ
أَقُولُ بِاللَّدَاتِ وَاللَّبْسِ
أَتَلَفْتُهَا فِي مَجَالِسِ الْأُنْسِ
وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي حَدْسِي
هَمَّهُمْ فِي الضَّبْطِ وَالْبَخْسِ
وَتَارَةً فِي بَلَدِ الْفُرْسِ
وَاسْتَرْقَتْ أَخْلَاقَهُمْ نَفْسِي
وَالْجِنْسُ مَيَّالٌ إِلَى الْجِنْسِ
أَفْضَى بِي السَّعْدُ إِلَى نَحْسِ
صَوِّحَ نَبْتِي وَذَوَى غَرَسِي
يُفْسِدُهُ الْبُعْدُ عَنِ الشَّمْسِ

الشاعر والشيطان

وقال في أحد ملوك العصر وقد حل
في بلده اتفاقاً فسامه المدح أطواراً
فمدحه بما استحسنته ورحل عنه كما ورد:

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَبَا مِرَّةٍ
وَحَوْلَهُ مِنْ رَهْطِهِ عُضْبَةٌ ،
وَقَالَ : يَا بُشْرَاكُمْ بِالَّذِي
هَذَا الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّهُ ،
وَقَالَ : لَوْ شِئْتُمْ أَسْمَاعَنَا
فَعِنْدَهَا أوردتُ مِنْ مَدْحِكُمْ
فَعَادَ كُلُّ مِنْهُمْ قَائِلًا :
فَقَالَ : مَعَ ذَا الْمَدْحِ هَلْ أَنْعَمُ
فَقُلْتُ : لَا ! قَالَ : وَلَا مَتَزِلُ
فَقُلْتُ : لَا ! قَالَ : وَلَا سَابِقُ
فَقُلْتُ : لَا ! قَالَ : فَتَمَّ صَاغِرًا ،

شَيْخِي فِي تَهْذِيبِ عِلْمِ الْبَيَانِ
يُشِيرُ نَحْوِي لَهُمْ بِالْبَيَانِ
غَيَّبْتُمْ عَنْ ذِكْرِهِ بِالْعِيَانِ
فِي نَظْمِهِ ، أَوْحَدُ هَذَا الزَّمَانِ
بِغَضٍ مَا نَظَّمْتَ فِي ذَا الْأَوَانِ
بِدَائِعًا مَنَظُومَةً كَالْجُمَانِ
أَحْسَنْتَ يَا رَبَّ الْمَعَانِي الْحِسَانِ
بِضَيْعَةٍ عَامِرَةٍ أَوْ فِدَانِ
مُسْتَحْسَنٌ يُغْنِيكَ عَنْ بَيْتِ خَانَ
مُرْفَةٍ السَّوْقِ شَقِيَّ الْعِنَانِ
مَا أَنْتَ إِلَّا بِغَوِيِّ اللِّسَانِ

١ أبو مرة : كنية إبليس .

زيارة إبليس

وقال وقد سأله أحد الأعيان أبياتاً
على هذا النمط منحولة إلى أبي نواس
واقترح عليه نظمها فعمسها وقال :

وَإِيلَةَ طَالَ سَهَادِي بِهَا ، فزارني إبليسُ عندَ الرقادِ
فقال : هل لك في شقفة كبشيةً تطرُدُ عنا السَّهادُ ؟^١
قلتُ : نعم ! قال : وفي قهوةٍ عتَّقها العاصِرُ من عهدِ عَادِ ؟
قلتُ : نعم ! قال : وفي مطربٍ إذا شدا يَطربُ منه الجَمَادُ ؟
قلتُ : نعم ! قال : وفي طمْلَةٍ في وَجَنَتَيْهَا للحِياءِ اتِّقادُ ؟
قلتُ : نعم ! قال : وفي شادنٍ قد كُحِلَتْ أَجْفَانُهُ بالسَّوادِ ؟
قلتُ : نعم ! فقال : نعم آمناً ، يا كعبةَ الفسقِ ورُكنَ الفسادِ

خط براءة

وقال وقد كلف نظم أبيات
في وصف المفرح الحيدري :

عَاطَيْتُهَا مَمَزُوجَةً بِالنَّبَاتِ ، من فمِ الكيسِ لا من الكاساتِ
خَنَدَرِيْساً دِنَانُهَا حُقُقُ العَا جِ ، وراحاً كووسُها راحاتي^٢
لَمْ تُدَنِّسْ بِمَزْجِ مَاءٍ ، وَلَكِنْ رَبِّمَا أُتْبِعَتْ بِمَاءِ فُرَاتِ^٣

١ الشقفة : القطعة من الخزف ، ولم ندرك ماذا أراد بالشقفة الكبشية ، ولعلها محرفة .

٢ الخندريس : الخمرة . الحقق ، الواحدة حقة : الوعاء الصغير .

٣ الفرات : العذب .

لا خُمارٌ لها سوى لُطفِ فِكْرِ يَبْسُطُ النَّفْسَ آخِرَ النَّسَمَاتِ
 نَشْوَةٌ لَمْ تَفُزْ بِهَا نَشْوَةُ الرَّأ حِ ، وَهَلْ لِلْعَجُوزِ لُطْفُ الْفَتَاةِ
 مَا عَلَيْهَا فِي الشَّرْعِ حَدٌّ وَلَا جَا عَ بَتَحْرِيمِهَا حَدِيثُ الثَّقَاتِ
 عَرَفَتْهَا النَّسَاكُ ، فَاتَّخَذُوها فِي الْمَعَاجِينِ وَالْجَوَارِشَاتِ
 لَقَبُوهَا طَوْرًا بِبَاعِثَةِ الْفِكَ رِ ، وَطَوْرًا بِهَاضِمَةِ الْأَقْوَاتِ
 قُلْتُ لَمَّا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهَا ، وَانْجَلَّتْ فِي ثِيَابِهَا الْحَقِيرَاتِ :
 حَقٌّ مِنْ بَاتٍ خَاطِبًا لَكَ أَنْ يَ طِيَّ بِنْتُ الْكُرُومِ خَطَّ بَرَاةِ :

فِي الْكَيْسِ لَا فِي الْكَاسِ

وَقَالَ فِيهَا وَهِيَ لِمَزُومٍ مَا لَا يِلْزَمُ :

فِي الْكَيْسِ لَا فِي الْكَاسِ لِي قَهْوَةٌ ، مِنْ ذَوْقِهَا أَسْكُرُ ، أَوْ شَمَمَهَا
 لَمْ يَنْتَهَ نَصَّ الذِّكْرِ عَنْهَا ، وَلَا أَجْمَعَ فِي الشَّرْعِ عَلَى ذَمِّهَا
 ظَاهِرَةٌ النَّفْعِ لَهَا نَشْوَةٌ تَسْتَنْقِذُ الْأَنْفُسَ مِنْ هَمِّهَا
 فَشَكْرُهَا أَكْثَرُ مِنْ سُكْرِهَا ، وَنَفْعُهَا أَكْثَرُ مِنْ إِثْمِهَا

١ الجوارشات : لعله من جرشه : طحنه ولم ينعم طحنه . والجوارش نوع من الحلوات .

٢ براءة : سهل براءة ، وخط البراءة : خط بالإجازة .

خمرة لا بأس بشربها

في الكيسِ لي عِوَضٌ عَمَّا حَوَى الكاسُ ، وفي القَرَاطيسِ عَمَّا ضَمَّتِ الطَّاسُ ،
 وبالجديدِ غَرَامِي لَا مُعْتَقَّةٌ ، وسواسُها في صُدُورِ النَّاسِ خَنَاسُ ،
 مُدَامَةٌ مَا لَهَا فِي الرَّأْسِ وَسُوسَةٌ ، تُطْغِي النَّفُوسَ ، وَلَا فِي الصَّدْرِ وَسَاسُ ،
 وَلَا تُسْكَلِفُ نَفْسًا غَيْرَ طَاقَتِهَا ، وَلَا يُخَافُ بِهَا ضُرٌّ وَإِفْلَاسُ ،
 كَمْ بَيْنَ خَمَرٍ يَخَافُ الْحَدَّ شَارِبُهَا ، وَخَمَرَةٍ مَا عَلَى شُرَابِهَا بَاسُ ،
 وَلَا نَبِيْتُ ، إِذَا شِئْنَا نَعَاقِرُهَا ، لَنَا عَلَى الْبَابِ حِفَاطٌ وَحِرَاسُ ،
 حَوْضُ الدَّوَاةِ لَهَا جَانٍ ، وَمِزْوَدُهَا دَنٌ ، وَكَاسَاتُهَا ظِفْرٌ وَقِرْطَاسُ

الحشيش لا الرحيق

تَغَانُ بِالْحَشِيشِ عَنِ الرَّحِيقِ ، وَبِالْوَرَقِ الْجَدِيدِ عَنِ الْعَتِيقِ ،
 وَبِالْخَضِرَاءِ عَنْ حَمْرَاءَ صَرَفٍ ، وَكَمْ بَيْنَ الزَّمَرْدِ وَالْعَتِيقِ ،
 مُدَامٌ فِي الْجُيُوبِ تُصَانُ عِزًّا ، وَتُشْرَبُ فَوْقَ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ،
 يَظْلِلُ سَحِيقُهَا فِي الْكَفِّ يَهْزَأُ ، بِطَبِيبِ رَوَائِحِ الْمِسْكِ السَّحِيقِ ،
 فَعَاقِرُهَا ، وَطَلَّقَ مَا سِوَاهَا ، تَعِيشُ فِي النَّاسِ ذَا وَجْهِ طَلِيقِ

أكل وظل

وقال أيضاً وهي لزوم ما لا يلزم :

خُذْ أَحَادِيثَهَا مِنْ الْعَارِ فِيهَا وَاعْفِ نَدَمَانَهَا مِنَ الْعَارِ فِيهَا
قَهْوَةً لَا يَخَافُ شَارِبُهَا الْحَدَّ ، وَلَا تَجْعَلُ الْحَلِيمَ سَفِيهَا
قَدْ وَجَدْنَا بِهَا نَعِيمًا مُقِيمًا ، فَعَدَّتْ جَنَّةً لِمَنْ يَصْطَفِيهَا
أَكْلُهَا دَائِمٌ ، وَظِلُّهَا ظَلِيلٌ ، وَتَرَى أَهْلَهَا يَحْلُونَ فِيهَا

السكر المركب

وقال في الجمع بينها وبين المدام :

فِي نَشْوَةِ الْحَمَرَاءِ وَالْخَضَرَاءِ أَمْنٌ مِنَ السَّوْدَاءِ وَالصَّفَرَاءِ
هَذَا بِلَا نَارٍ تَقُورُ ، وَهَذِهِ مَا سَبَتْ مَعَاطِفُهَا بِغَيْرِ هَوَاءِ
فَاكْسُرْ بِفِتْرَةِ تِلْكَ شِرَّةَ هَذِهِ ، وَاعْجَبْ لِحُسْنِ تَلَاوُمِ الْأَجْزَاءِ
فَالسَّكْرُ فِيمَا بَيْنَ ذَيْنِ مَرَكَبٍ ، كَسَلُ الْحَشِيشِ وَنَشْطَةُ الصَّهْبَاءِ

سَاءت وسرت

قال ، ولم يكن نظم هجاء قط وانما اقترح عليه
افاضل اصحابه شيئاً من ذلك في اسماء لم تعرف
مسمياتها امتحاناً له لظنهم انه ترك ذلك عجزاً
عن نظمه اسوة بالمتنبي ، فمن ذلك في مغنية غنت
قيحاً وضربت مليحاً :

حَوَتْ ضِدَّيْنِ ، إِذْ ضَرَبْتُ وَغَنْتُ ، فَقَدْ سَاءَتْ وَسَرَتْ مَنِ رَأَاهَا
غِنَاءٌ "تَسْتَحِقُّ" عَلَيْهِ ضَرْباً ، وَضَرْباً "تَسْتَحِقُّ" بِهِ غِنَاهَا

يميت السرور ويحيي الكرب

وقال في مطرب خارج ثقيل :

وَشَادٍ يُشَتِّتُ شَمْلَ الطَّرَبِ ، يُمِيتُ السَّرُورَ ، وَيُحْيِي الكَرْبَ
بَوَجْهِ يُسَيِّدُ ، إِذَا مَا بَدَأَ ، وَكَفَّ تَضُّرُّرَ ، إِذَا مَا ضَرَبَ
شَدَا ، فَعَدَا كُلُّ قَلْبٍ بِهِ ، قَلِيلَ النَّصِيبِ كَثِيرَ النَّصَبِ
تَغَنَّنِي ، فَعَنَّنِي قُلُوبَ الرَّفَاقِ ، وَمَاسَ ، فَمَسَّ القُلُوبَ العَطَبَ

صوت عذاب

وسئل تكميره فقال :

غَنِيَّ بَصَوْتٍ مِثْلَ سَوَاطِ عَذَابٍ ، وَبَدَأَ بَوَجْهِ مِثْلِ ظَهْرِ غُرَابٍ
فَوَدَدْتُ أَنِّي لَا أَرَادُ ، فَإِنِّي بَكَرْتُ إِلَيَّ مُغِيرَةُ الْأَعْرَابِ

ماتت ملاحظته

وقال في ملحق نبت عذاره :

مَاتَتْ مَلاَحِظَتُهُ يُكُونُ لَكَ الْبَقَا ، وَأَتَى الْعِذَارُ يَقُولُ مِنْ عَاشِ التَّقَى
وَبَدَأَ السَّوَادُ عَلَى نَقَاءِ خُدُودِهِ ، فَجَدِيدُهُ لِحْدِيدِهَا قَدْ أَخْلَقَا
وَتَنَكَّرَتْ صِفَةُ الْغُؤِيرِ ، فَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ الْغُؤِيرَ وَلَا النِّقَا ذَاكَ النِّقَا

الغني البخيل

وقال فيمن رزق مالا فتباخل :

لَمَّا اغْتَسَنَى أَفْقَدَنَا نَفْعَهُ ، وَتَلَّكَ مِنْ شِمَةِ بَيْتِ الْخَلَا
يَسْعَى إِلَيْهِ إِنْ غَدَا فَارْغَا ، وَمَا بِهِ نَقْعٌ إِذَا مَا امْتَلَا

١ الغوير ، تصغير غار : ما انحدر واطمأن من الأرض . النقا : قطعة من الرمل محدودة .

الباب المقفل

وسئل هجاء من خيب مؤمله فقال :

ما كنت في إحدى الشدائدِ مُرتجى ، إلا رأينا بابَ جُودِكَ مُرتجاً
وكذلكَ ما نُسِبتُ إِلَيْكَ رَذِيلَةٌ ، إلا مُدِحَتَ بها ، وكانَ لها الهِجاءُ
وبلغه أن المهجو توعده ذلك المقترح فخاف ، وطلب التنصل ، فغير له في كل بيت لفظة وقال
إن سئلت فقل ما قلت إلا :

ما كنت في إحدى الشدائدِ مُرتجى ، إلا رأينا بابَ عُدْرِكَ مُرتجاً
وكذلكَ ما نُسِبتُ إِلَيْكَ فَضِيلَةٌ ، إلا وقد مُدِحَتَ وكانَ لك الهِجاءُ

ما كان انساناً

وسئل هجاء ميت كان شريراً
يدعى إسحق فقال :

ما كانَ إِسْحَقُ إنساناً فَتَسَدُّبُهُ ، فلا تَقُلْ ماتَ إِسْحَقُ ، وقلْ نَفَقَا^١
لا تَجْنَحَنَّ إِلَى حَيٍّ تُمَايِلُهُ ، وإن جَنَحْتَ إِلَيْهِ ، فَاتَّخِذْ نَفَقَا^٢

١ نفقت الدابة : خرجت روحها .

٢ النفق : سرب في الأرض له مخرج إلى مكان معهود . المصراع الأخير يتضمن صدر بيت من قصيدة الطغرائي .

لا رحمة لثوائه

وسئل تكرر ذلك فقال :

سرى نَعَشُهُ من بَعْدِ ما سارَ غِشُّهُ ، فأفنى به الأحياءَ حالَ بَقائِهِ
وطالَ ازدحامُ النَّاسِ من حولِ نَعَشِهِ شَمَاتاً بهِ ، لا رَحْمَةً لثوائِهِ
فلا رَحِمَ الرَّحْمَنُ مَنْ فوقَ تَحْتِهِ ، ولا مَنَّ غداً يَسْري أَمامَ ورائِهِ
ونورَ من كِفَلٍ من النارِ قَبْرَهُ ، وأنْسَهُ بالرَّعبِ عندَ لِقائِهِ^١

بأس الذئب

وقال وقد عزل شمس الدين

ابن كبش من ولاية طريق خراسان

ورتب نجيب الدين بن ذئب فقال :

بشَّمَسِ الدِّينِ لم تُطِيقِ الرَّعايَا ، فكيفَ ، وقد تَبَدَّلَ بالنَّجيبِ
رعايا ما أطاقُوا بِأَسَ كبشٍ ، مُحالٌ أنْ يُطِيقُوا بِأَسَ ذئبٍ

الشوك بين الأقاح

وسئل تكرر به فقال :

عُزِّيتَ إلى آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ، وأنتَ بضِدِّهِمُ في الصَّلَاحِ
وإنْ صَحَّ أَنَّكَ من نَسْلِهِمِ ، فَقَدْ يَنْبُتُ الشُّوكُ بَيْنَ الأَاقِحِ

١. الكفل : الإثم ، النصيب .

قال النبي

وقال في هجاء علوي شرير :

قال النَّبِيُّ مقالَ صِدْقٍ لم يَزَلْ يَجْرِي على الأَسْمَاعِ والأَفْوَاحِ :
مَنْ غَابَ عَنْكُمْ أَصْلُهُ ، ففعاله تُنْيِكُمْ عَنْ أَصْلِهِ الْمُتَنَاهِي
وسفرتَ عن أفعالٍ سوءٍ أصبحتُ بينَ الأَنَامِ قَلِيلَةَ الأَشْبَاهِ
وتَقُولُ : إِنَّكَ مِنْ سُلَالَةِ حَيْدِرٍ ، أَفَأَنْتَ أَصْدَقُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ ؟

الرقيب القبيح

وقال في مליح له رقيب قبيح :

ومليحٌ لَهُ رَقِيبٌ قَبِيحٌ ، يَتَعَنَّى وَغَيْرُهُ يَتَهَنَّى
ليسَ فِيهِ مَعْنَى يُقَالُ وَلَكِنْ هُوَ عِنْدَ النُّحَاةِ جَاءَ لِمَعْنَى

ولد وعبد

وشكا إليه أحدهم ولده وعبده
وسأله نظم شيء فيهما فقال لذلك :

لِيَهْنِكَ أَنْ لِي وَلَدًا وَعَبْدًا ، سَوَاءٌ فِي الْمَقَالِ وَفِي الْمَقَامِ
فَهَذَا سَابِقٌ مِنْ غَيْرِ سَيْنٍ ، وَهَذَا عَاقِلٌ مِنْ غَيْرِ لَامٍ

١ حيدر : لقب الإمام علي .

٢ سابق من غير سين : أبى ، وهو العبد الذي يهرب من سيده . عاقل من غير لام : عاق ، والولد العاقل : الذي يعصي والده .

لو فكر العاشق

وسئل هجاء مليح سال عذاره فقال :

وأغيدَ مُكْتَمِلِ حُسْنُهُ ، ليسَ له في النَّاسِ من مُشْبِهٍ
أَسْقَطَهُ الْعَارِضُ من رُتْبَةٍ مُخْبِرَةٍ بِالْقُرْبِ من رَبِّهِ
فَقُلْتُ ، إِذْ سَالَ لَهُ عَارِضٌ ، فَأَعْرَضَ الْعُشَّاقُ عَنْ حَبِّهِ :
لو فَكَّرَ الْعَاشِقُ في مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ

زوال البهاء

وسئل تكرر به بتصريح
الهجاء فقال :

أَصْبَحَتْ نَارُ وَجَنَّتَيْكَ رَمَادًا ، وَرَبَّيعُ الْجَمَالِ مِنْكَ جَمَادًا
وَاسْتَحَالَ سَوَادُ حَظِّي بَيَاضًا ، حِينَ حَالَ الْبَيَاضُ مِنْكَ سَوَادًا
أَحْمَدُ اللَّهِ ، إِذْ كَسَاكَ عِذَارًا ، حَالَ مِنْهُ الْجَمَالُ عَنْكَ ، وَحَادًا
زَادَ في الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ، وَلَكِنْ زَالَ من وَجْهِكَ الْبَهَاءُ حِينَ زَادَا

حميم وحمام

وسئل ذم حمام دخلوه فقال :

إِنَّ حَمَامَكَ قَدْ ضَهَّ مَتَّ حَمِيمًا وَحِمَامًا
فَهِيَ مِثْلُ النَّارِ سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمَقَامًا

فرس ليست شكوراً

وقال في ذم فرس له جفول :

وَلِي فَرَسٌ لَيْسَتْ شَكُورًا ، وَإِنَّمَا
إِذَا جَفَلْتُ بِي فِي ضِيَاعٍ دَبَّرَشٍ .
تُعَرِّبِدُ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ مِنَ الضِّيَا ،
فَيَا لَيْتَهَا ، عِنْدَ الْعَلِيقِ ، جَفُولَةٌ ،
فَلَوْ شَرِبْتُ بِالْفَلَسِ مِنْ كَفِّ حَاتِمٍ
وَلَوْ بَرَزْتُ فِي جَحَفَلٍ تَحْتَ عَنَبَرٍ
بِهَا تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ فِي الْعُضِّ وَالرَّفْسِ
فَلَيْسَ لَهَا قَبْضٌ سِوَى فِي جَوَى فَرَسٍ^١
وَتَجَفُلُ فِي الْأَصَالِ مِنْ شَفَقِ الشَّمْسِ
كَمَا هِيَ مِنْكَارٌ مِنَ الْحَسِّ وَالْجَنْسِ
لَأَصْبَحَ نَدْمَانًا عَلَى تَلَفِ الْفَلَسِ
لِجُدَلٍ وَانْفَلَتْ جِيوشُ بَنِي عَبَسِ

١ دبرش : لعله اسم موضع . الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق ، وداء في الصدر . الفرس ، من فرس الأسد فريسته : دق عنقها . وقوله جوى فرس : هكذا في الأصل .

شر البقاع

وسئل ذم منزل نزله
بالغور فقال :

لا جادَ هَطَّالُ السَّحَابِ بِنُفْعَةٍ بالغورِ، أَضَحْتُ وَهِيَ شَرُّ بِقَاعِهِ
أَرْضٌ تَضَاعَفَ حَرُّهَا وَبَعُوضُهَا في مَرَجِهَا ، لَمَّا حَلَلْتُ بِقَاعِهِ
وَحَلَّ الذَّبَابُ بِهَا ، فَلَيْسَ بِيَارِحٍ غَرِدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ

صديق لا يعرف الصدق

وسأله أحد ذم صديق له
يعامله بالكذب فقال :

لِي صَدِيقٌ لَا يَعْرِفُ الصَّدْقَ فِي الْقَوْلِ لِ، وَلَيْسَ الصَّدِيقُ إِلَّا الصَّدُوقُ
لَيْسَ فِيهِ تَصَوُّرٌ يُدْرِكُ الْعِلْمَ مَ ، وَلَا لِي إِنْ قُلْتُهُ تَصَدِيقُ

كذاب نساء

وسئل تكريره والتصريح
بكذبه فقال :

تُلَفِّقُ كِذْبًا ، ثُمَّ تَأْتِي بِصِدْقِهِ ، إِذَا سَأَلُوا تَكْرِيرَ مَا كُنْتَ حَاكِيًا
فَإِنْ كُنْتَ قَوْلًا لَا فَإِنَّكَ كَاذِبٌ ، وَإِنْ كُنْتَ كَذَابًا فَلَا تَكُ نَاسِيًا

الفخر بالنسوان

يهجو شخصاً من بني طفيل :

طُفَيْلٌ تَقَادُ بِأَذْنَابِهَا ، وَقُودُ الْجِيَادِ بِأَرْسَانِهَا
إِذَا افْتَحَرَتْ فِتْيَةٌ بِالرَّجَالِ ، فَفَخَّرُ طُفَيْلٍ بِنِسْوَانِهَا

لا يجيب ولا ينض

وسئل هجاء بخيل متكبر فقال
وكان مدعياً بعلم الطب :

تَحَجَّرَ فَيْكَ طَبْعُ الشَّحِّ يَبَسًا ، وَذَاكَ لَأَنَّ كَفَّكَ فِيهِ قَبْضُ
وَكَمْ حَرَّكَتُهُ بِشَرَابِ عَتَبٍ ، فَأَقْسَمَ لَا يُجِيبُ وَلَا يَنْضُ
وَمَنْدُ رَفَعَتْ صَوْتِكَ لِي دَلِيلًا ، فَكَانَ لِنَصْبِ قَدْرِكَ مِنْهُ خَفْضُ
عَلِمْتُ بِأَنَّ رَأْسَكَ فِيهِ خِلْطٌ ، غَلِيظٌ ، لَا يُحِلُّ ، وَلَا يُفْضُ
وَمَنْ تَكَ هَذِهِ الْأَعْرَاضُ فِيهِ ، وَلَمْ يُعْرِفْ لَهُ بِالْعَدْلِ عِرْضُ
فَكَيْفَ أَرْوَمُ صِحَّتَهُ بَعْتِي ، وَلَمْ يَخْفِقْ لَهُ بِالْجُودِ نَبْضُ

١ ينض، من نض الماء : سال قليلا قليلا أو رشح .

لست إنساناً

وسئل هجاء ماطل
للوعود فقال :

لَمَّا تَطَاوَلَ بِي إِفْرَاطُ مَطْلِكَ لِي ، وَضَاعَ وَقْفِي بَيْنَ الْعُنْدِ وَالْعَدَلِ
أُيَقِّنْتُ أَنَّ لَسْتُ إِنْسَانًا لِفِعْلِكَ ذَا ، لِقَوْلِهِ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ

أصل الانام

وسئل هجاء جاهل متغافل
متشدد بالكلام فقال :

أَيُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي لَفْظُهُ الدُّرُّ ، وَلَفْظُ الْأَنَامِ كَالْأَصْدَافِ
كَيْفَ تَلْقَى الْأَنَامُ شَأْلَكَ فِي الْفَضْلِ ، وَإِنْ شَبَّهْتُكَ فِي الْأَوْصَافِ
أَصْلُ كُلِّ الْأَنَامِ طِينٌ ، وَلَكِنْ ، أَنْتَ طِينٌ مِنْ بَعْدِ يَاءٍ وَقَافٍ

مباضع إسحق

ومنه في طيب يدعى إسحق :

مَبَاضِعُ إِسْحَاقَ الطَّيِّبِ كَأَنَّهَا لَهَا بِفَنَاءِ الْعَالَمِينَ كَفِيلُ
مُعَوَّدَةٍ إِلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَتِيلُ

١ قوله : طين من بعد ياء وقاف ، أي يقطين ، وهو ما لا ساق له من النبات ، وغلب على القرع الطويل .

سميت عيسى

وله في ملقوط اسمه عيسى :

سُمِّيَتْ عَيْسَى ، وَلَمْ تَنْفَرْ بِمُعْجِزَةٍ ، وَلَمْ تُشَابِهْهُ فِي عِلْمٍ وَلَا حَسَبٍ
وَلَا أَتَيْتَ بِشَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِهِ ، إِلَّا بِأَنَّكَ مِنْ أُمَّ بَغَيْرِ أَبٍ

لو كان !

ومنه في أحق طويل اللسان :

لَوْ أَنَّ قُوَّةَ وَجْهِهِ فِي قَلْبِهِ ، قَبَضَ الْأُسُودَ وَجَدَّلَ الْأَبْطَالَ
أَوْ كَانَ طَوْلُ لِسَانِهِ يَمِينِهِ ، أَفْنَى الْكُنُوزَ ، وَأَنْفَدَ الْأَمْوَالَ

خبط عشواء

وقال في طيب اسمه عيسى :

أَرَى فِيكَ يَا عَيْسَى الطَّيِّبَ فَضِيلَةً ، هِيَ الضَّدَّةُ مِنْ أَفْعَالِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ
تُمِيتُ لَنَا الْأَحْيَاءَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ، وَتُضْنِي وَتُغْنِي بِالْيَدَيْنِ وَبِالْقَمَرِ
وَتَحْمِي ، وَلَكِنْ عَنْ شِفَاءٍ وَصِحَّةٍ ، وَتُحْقِنُ إِلَّا لِلْحَيَاءِ وَلِلدَّمِ
فَمَا أَنْتَ إِلَّا خَبْطُ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِيبُ ثَمَّتَهُ ، وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فِيهِرَمِ

ضعف اليقين

وقال في زنديق قد تمارض :

وقالوا : عندَ عبدِ اللهِ ضُعْفٌ ، فقلتُ : نعم ، ولكن في اليقينِ
فقالوا : ما يعيشُ ؟ فقلتُ : عدلٌ ، كذا هو في الحَيَاةِ بغيرِ شينٍ^١

لستما أبناء جنس

وقال في مسلماني طاول

شريفاً يدعى حسيناً :

كيفَ تَرجو بأن تُساوي حُسَيْنًا ، لستما في الفَخَارِ أبناءَ جنسِـ
هل تُساوي مَنْ جدُّه عَبدُ الشَّـمِـسِ ، ومَنْ كانَ جدُّه عَبدُ شَمْسِـ

أعجب ما شوهد

وقال في جاهل طياش

يدعى ابن عوسجة :

جَلَّ الذي أنشاكَ من قَرَعَةٍ ، وسائرُ العالمِ من طينِه
أعجَبُ ما شوهِدَ في عَصْرِنَا عَوْسَجَةٌ تَحْمِلُ بِقَطينِه

١ يعيش بغير شين : يعني أي ما يعني ، من الوعي : التدبر والحفظ .

ثقل صورة وخفة رأس

وقال في ثقل جهم الوجه :

واقى ، وقد شفَعَ التَّقَطُّبُ وَجْهَهُ ، وطحا بها مَرَحُ التَّكَبُّرِ ، فانشنى
يبدو فتَقَدِّفُهُ النُّفُوسُ لثِقَلِهِ ، فتراهُ أبعَدَ ما يكونُ إذا دَنَّا
فطَقِيقْتُ أَنشِدُ ، إذ بَصُرْتُ بِجُمُوعِهِ ، بيتاً جعلتُ الشَّطَرَ مِنْهُ مُضْمَنًا
يا ثِقْلَ صُورَتِهِ وَخِفَةَ رَأْسِهِ ، هَلَّا نَقَلْتُ إِلَى هُنَا مِنْ هَا هُنَا

جار كالبوم

وقال في متكبر مكار
جهم الوجه :

ليَ جَارٌ كَأَنَّهُ الْبُومُ فِي الشَّكْلِ ، ولكنَّ في عَجْبِهِ ، فغُرَابُ
هُوَ كَالْمَاءِ إِنْ أَرَدْتَ لَهُ قَبْضًا ، وإنْ رُمْتَ مَوْرِدًا فَسِرَابُ

شرفه بثوبه

وسئل نظم شيء في وضع
يفتخر بالمال فقال :

أَتَشْمَخُ إِنْ كَسَاكَ الدَّهْرُ ثَوْبًا ، شَرُفْتَ بِهِ ، ولم تَكُ بالشَّرِيفِ
فَكَمْ قَدْ عَايَنْتَ عَيْنَايَ سِرًّا مِنَ الدِّيَابِجِ حُطًّا عَلَى كَنِيفِ
١ شفه : صيره شفعاً أي أضاف إليه مثله .

لا عار في دخول الكنيف

وسأله صاحب من أهل الفضل
ذم إنسان مدحه لضرورة إليه
فخيب ظنه فقال :

مدحتك مدح بشار بن برد ، إذ دعاه لها اضطرارُ
أراد قضاء حاجته لديها ، فجاء بما لها فيه اختيارُ
إذا اضطرَّ الشريفُ إلى كنيفٍ ، فليس عليه إذ يأتيه عارُ

السارق البارع

وسئل نظم نبي في سارق فقال :

لو عاينت مقلته دُخنةً ، لاسترقَّ اللبَّ من القِشْرِ
ولو فلاها بعدهُ ناقِداً ، لم يرَ فيها أثرَ الكسْرِ
يكادُ أن يسرقَ طيبَ الكرى ، من راقِدِ اللَّيلِ ، ولا يدري
هذا ، ولو شاءَ غداً مُمكنًا أن يسرقَ السُّكَّرَ من الحَمْرِ

١ حكى أن بشار بن برد كان أعمى وكانت ربة خادمة لخدمته وتطبخ له ، فأراد مكافأتها بشيء من المال ، فأبت إلا أن يمدحها ، ولم ير إسقاطها لمكان الضرورة إليها ، فقال ما يناسب حالها :

ربة ربة البيت ، تصب الخل في الزيت
لها سبع دجاجات ، وديك حسن الصوت

٢ الدخنة : ذريرة تدخن بها البيوت .

أنف وقود للنار

وسئل نظم شيء في رجل عظيم
الأنف فقال ارتجالاً :

لو غدا أنفك العظيم غداً وهُـ وَ وَقُودٌ لِلنَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ
ثم قالوا : هلاً امتلأت ؟ ل قالت : هُوَ حَسْبِي ، ولم تُرِدْ من مَزِيدِ

الضد يصلحه الضد

وسئل نظم شيء في رجل أبخر
يدعى يحيى فقال ارتجالاً :

ليَحْيِي قَمٌ لو عُلِقَ الْمِسْكُ فَوْقَهُ لِأَصْلَحَهُ ، وَالضُّدُّ يُصْلِحُهُ الضُّدُّ
تَرى صَحْبَهُ الْحُضَارَ من نَتَنِ رِيحِهِ كَأَنَّهُمْ من طُولِ ما التَّشَمُّوا مُرْدُ

نكهة منتنة

وقال في شخص يسمى أبا علي :

لو كان لريح نكهته هبوبٌ ، لأوشكتِ الجبالُ لها تَدُوبُ
إذا ما عابَ ضرسُ أبي عليٍّ ، فليسَ يُطِيقُ بقلعه الطيبُ

العدر اللطيف

وسئل تكرر اسم يحيى فقال :

قلتُ للكلْبَتَيْنِ إِذْ عَجَزَتْ عَنْ ضِرْسٍ بِحَيِّى مِنْ بَعْدِ جُهِدٍ عَنِيفٍ
كَيْفَ أَعْيَاكَ نَزْعُ ذَلِكَ وَالْكَلْبُ بُ بَسْلَبِ الْعِظَامِ غَيْرُ ضَعِيفٍ
فَاعَادَتْ مِنْ الصَّلِيلِ جَوَاباً ، بَادَرْتَنَا مِنْهُ بَعْدُ لَطِيفٍ
لَا تُطِيقُ الْكَلَابُ تَنْزِعُ عَظْماً مُوثِقَ السَّمْرِ فِي قَرَارٍ كَنِيفٍ^١

رأس هدف النعال

وقال وقد سئل نظم شيء في
رجل كان بمجلس السلطان
وهو يصنع :

عَهْدِي بِهِ ، وَالْأَكْفُ تَخْتَلِفُ ، وَهُوَ يُعَاصِي طَوْرًا وَيَنْحَرِفُ
وَكَلَّمَا مَالَ عِظْفُهُ سَفَهَا تُمِيلُهُ صَفْعَةٌ ، فَيَنْعَطِفُ
وَأِنْ تَوَارَى بِشَخْصِهِ هَرَبًا مِنْ رَاحَةٍ فِي اعْتِمَادِهَا خَيْفٌ^٢
ظَلَّتْ سَهَامُ النِّعَالِ تَرَشُّقُهُ ، كَأَنَّمَا رَأْسُهُ لَهَا هَدَفُ

١ قوله : موثق السر ، هكذا في الأصل ، ولملحه من سره : إذا شده بالمسار .

٢ قوله : خيف ، هكذا في الأصل .

فم يحيى

وسئل تكريره ثالثاً فقال :

فم "لِيَحْيِيَ رِيحُهُ مُنْتِنٌ" ، لم يُرَ يوماً مثلهُ قَطَّ
لو أنه عَضَّ على فَاَرَةٍ اتعافَ أن يأكلها القِطَّ

يرد الفقر باللوم

وسئل ذم بخيل ذي مال فقال :

أيا مَنْ يَرُدُّ الْفَقْرَ بِاللُّومِ جَاهِداً ، كما رَدَّهُ يَوْماً بِسَوْءِ تِهٍ عَمَرُو
إذا كَانَ هَذَا سُوءَ عَيْشِكَ فِي الْغِنَى ، فماذا الذي تَخْشَى إِذَا مَسَّكَ الْفَقْرُ

سماء بأرض

وسئل نظم مثل ذلك في
شحيح الزاد فقال :

وبخيلٍ يَنَالُ مِنْ عَرْضِهِ النَّاسُ ، ولكن رَغِيفُهُ لَا يُنَالُ
كلَّ يَوْمٍ يَأْتِي بِحَرْفٍ رَغِيفٍ ، كَهَيْلَالٍ لَمْ يَدْنُ مِنْهُ كَمَالُ
مُسْتَقَرٍّ فِي وَسْطِ سَفَرَتِهِ الزَّرِّ قَاءٍ لَا يَبْعَثُهُ مِنْهُ زَوَالُ
فَتَعَجَّبْتُ مِنْ سَمَاءٍ بِأَرْضٍ كلَّ يَوْمٍ يَلُوحُ فِيهَا هَيْلَالُ

ولي صاحب

وسئل تكرير ذلك فقال :

ولي صاحبٌ يَسْتَرْجِعُ النَّاسَ كُلَّمَا ذَكَرْتُ لَهُمْ أَوْصَافَهُ وَنُعُوتَهُ
لَقَدْ أَلْبَسْتَنِي صِحَّةَ الْجَسَمِ دَارُهُ بِفَرْطِ الْحِمَى لَمَّا حَلَّتْ بِيُوتُهُ
وَمَا عَلَّمْتَنِي حِكْمَةً غَيْرَ أَنَّنِي أَدِيمُ مَطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمِيتَهُ

شحيح يخبز البخل

وسئل مثل ذلك في شحيح

يبسط للناس أخلاقه ليصدهم عن

زاده فيقيمها مقام الضيافة فقال :

وَشَحِيحٍ مِنْ لُؤْمِهِ يَخْبِزُ الْبَخْلَ لَ بَيَّسَطِ الْأَخْلَاقِ بَيْنَ الرِّفَاقِ
فَهُوَ مِنْ شَحِهِ يُشْمَنُ فِي الْخَرِّ جَ عَلَيْنَا مَسْكَارِمَ الْأَخْلَاقِ

وعزتي لن تراني

وسئل مثل ذلك في رجل

يدعى ابن سنان :

لَوْ تَرَانِي مِنْ فَوْقِ طَوْدٍ مِنَ الْجَوْ عِ أَنَا حِي رَغِيفَ نَجْلِ سِنَانِ
كَلَّمَا قُمْتُ قَائِلًا أَرِنِي وَجْ هَكَ نَادَى : وَعِزَّتِي لَنْ تَرَانِي

ان حاول الضيف

وسئل نظم شيء في بخيل يحتج
بالحكمة فنظم لزوم ما لا يلزم :

يَحْفَظُ فِي الْجُوعِ أَلْفَ مَنَفَعَةٍ ، وَمِثْلَهَا فِي مَضَرَّةِ الْبِطْنَةِ
وَيُؤْهِمُ النَّاسَ أَنَّ شِبَعَهُمْ يُطْفِئُ نُورَ الذِّكَاةِ وَالْفِطْنَةِ
إِنْ حَاوَلَ الضَّيْفُ أَنْ يُلِمَّ بِهِ أَعْطَاهُ مِنْ قَبْلِ نُطْقِهِ الْقِطْنَةَ

الباب الثاني عشر

في الآداب والزهديات ونواذر مختلفات

صاحب ذا أدب

في الأدب والحكم :

صاحبٌ، إذا ما صحبتَ، ذا أدبٍ مُهَذَّبٍ ، زانَ خَلْقَهُ الخائِضُ
ولا تُصاحبُ مَنْ في طبائِعِهِ سرٌّ لأنَّ الطَّبَاعَ تُسْتَرَقُ

لا تصاحب اللئيم

لا تُصاحب منَ الأتنامِ لئيمًا ، ربّما أفسَدَ الطَّبَاعَ اللئيمُ
فالهُوَاءُ البَسيطُ في جَمرةِ القَيِّ ظِ سَمُومٌ ، وفي الرِّبيعِ نَسيمُ
وابغِ منهم مُجانِسًا يوجبُ الضَّ مٌ ، فقد يَصحبُ الكَرِيمَ الكَرِيمُ
واعتبرْ حالَ عالَمِ الطَّيرِ طُرّاً ، كلُّ جِنسٍ مع جنسِهِ مَضمومُ

الذل في السؤال

لا تَكُنْ طالباً لِمَا فِي يَدِ النَّاسِ ، فَيَزَوَّرَ عَنْ لِقَاكَ الصَّدِيقُ
إِنَّمَا الذَّلَّ فِي سَوَالِكَ النَّاسِ ، وَلَوْ فِي سَوَالِ أَيْنَ الطَّرِيقِ

قناعة المرء

قَنَاعَةُ الْمَرْءِ بِمَا عِنْدَهُ ، مَمْلَكَةٌ مَا مِثْلُهَا مَمْلَكَةٌ
فَارْضُوا بِمَا قَدْ جَاءَ عَقْوَاً ، وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ

أقلل المزاح

أَقْلِلِ الْمَزْحَ فِي الْكَلَامِ احْتِرَازاً ، فَيُفْرَاطِهِ الدَّمَاءُ تُرَاقُ
قَلِيلَةُ السَّمِّ لَا تَضُرُّ ، وَقَدْ يَكُنْ مَعُ فَرْطِ أَكْلِهِ الدَّرِيَاقُ

توق فحش الكلام

تَوَقَّ مِنَ النَّاسِ فُحْشَ الْكَلَامِ . فَكُلُّ يَنَالٍ جَنَى غَرَسِهِ
فَمَنْ جَرَّبَ الذَّمَّ فِي عَرِضِهِ ، كَمَنْ جَرَّبَ السَّمَّ فِي نَفْسِهِ

المرح يوغر الصدور

كلّ مَنْ كَانَ شَأْنُهُ الْإِنْسَاطُ ، لَيْسَ يَطْوِي الْقَدَحَ فِيهِ بِسَاطُ
رَبَّمَا أَوْغَرَ الصَّدُورُ بِمَرْحٍ لَاحَ فِيهِ الْجَحْفَا وَالْإِشْطَاطُ^١
فَأَقْلِيلِ الْمَرْحَ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تَأْتِ بِنَزْرِ إِلَّا فِيهِ احْتِيَاطُ^٢
وَتَوَقَّ الْإِفْرَاطَ فِيهِ فَقَدْ يُفْ رِطُ فِي وَضْعٍ قَدْرِكَ الْإِفْرَاطُ

فحش الكلام يروع القلب

أَرَى فُحْشَ الْكَلَامِ يَرُوعُ قَلْبِي ، وَلَيْسَ تَرُوعُهُ الْبَيْضُ الْحِدَادُ^١
كَحَلْقِ الْبَكْرِ يَجْرَحُهُ زُلَالُ ، وَلَا يُدْمِي مَشَافَرَةُ الْقَتَادُ^٢

تأديب النفس

تَعَلَّمْتُ فِعْلَ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَهَذَبَ نَفْسِي فَعَلُهُمْ بِاخْتِلَافِهِ
أَرَى مَا يَسُوءُ النَّفْسَ مِنْ فَعْلٍ جَاهِلٍ ، فَاتَّخَذُ فِي تَأْدِيبِهَا بِخِلَافِهِ

١ الاشطاط : مجاوزة الحد .

٢ النزر : القليل .

٣ البكر : الفتي من الإبل . القناد : شجر صلب له شوك كالإبر .

الفرع ينبي عن الاصل

إذا غاب أصلُ المرءِ فاستقرَّ فعلُهُ ، فإنَّ دَلِيلَ الْفَرَعِ يُنْبِي عَنِ الْأَصْلِ
فَقَدْ يَشْهَدُ الْفِعْلُ الْجَمِيلُ لِرَبِّهِ ، كَذَلِكَ مَضَاءُ الْحَدِّ مِنْ شَاهِدِ النَّصْلِ

طيب الاصل لا يغني

لَعَمْرُكَ لَا يُغْنِي الْفَتَى طَيْبُ أَصْلِهِ ، وَقَدْ خَالَفَ الْآبَاءُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
فَقَدْ صَحَّ أَنَّ الْخَمَرَ رَجَسٌ مُحَرَّمٌ ، وَمَا شَكَّ خَلْقٌ أَنَّهُ طَيِّبُ الْأَصْلِ

سمعة الانسان

مَا كَلَّ مَنْ حَسُنَتْ فِي النَّاسِ سُمْعَتُهُ وَحَازَ قَلْبًا ذَكِيًّا أَدْرَكَ الْأَمَلَا
مَا السَّمْعُ وَالْقَلْبُ مُدْنٍ مِنْكَ مَتَقَبَّةٌ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذَا بَأْسًا ، وَذَاكَ عَلَامَا

قول الخير

عَوَّدَ لِسَانِكَ قَوْلَ الْخَيْرِ تَنْجُ بِهِ مِنْ زَلَّةِ اللَّفْظِ بَلْ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ
وَاحْرِزْ كَلَامَكَ مِنْ خِلٍّ تُنَادِيهِ ، إِنْ النَّدِيمَ لِمُسْتَقٍّ مِنْ النَّدَمِ

١ السمع : الذكر الحسن ، وولد الذئب . القلب : المصو المعروف ، منزل من منازل القمر ، وفي البيت استخدام .

مخاطبة المجلس

إِسْمَعْ مُخَاطَبَةَ الْجَلِيسِ ، وَلَا تَكُنْ عَجِلاً بِنُطْقِكَ قَبْلَمَا تَتَفَهَّمُ
لَمْ تُعْطَ مَعَ أُذُنَيْكَ نُطْقاً وَاحِداً ، إِلَّا لِتَسْمَعَ ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ

ترك الجواب

إِذَا لَمْ تَكُنْ عَالِماً بِالسَّوَالِ ، فَتَرْكُ الْجَوَابِ لَهُ أَسْلَمُ
فَإِنْ أَنْتَ شَكَكْتَ فِيمَا سُئِلْتَ ، فَخَيْرُ جَوَابِكَ لَا أَعْلَمُ

لَا

زيارة الملوك

إِذَا زُرْتَ الْمُلُوكَ ، فَكُنْ رَئِيساً ، بِصِيراً بِالْأُمُورِ رَجِيبَ صَدْرِ
وَقَابِلَ مِنْهُمْ يُجْزِلُ شُكْرَ لَدَيْكَ ، وَمَنْعَهُمْ بِجَمِيلِ عُنْدِ
فَإِنْ أَقْصَاكَ قُلُوبُ هَذَا مَقَامِي ، وَإِنْ أَدْنَاكَ قُلُوبُ ذَا فَوْقِ قَدْرِي

صنعة السلطان

إن تصحب السلطان كن محترساً ، متقن آداب الصباح والمساء
 وكُن لِمَا يُؤثِرُهُ مُقتبِسا ، واخضع ، إذا لَانَ ، وَلِإن إذا قَسَا
 وَلَا تَكُن طَلَقاً إذا مَا عَبَسَا ، وَلَا تَكُن مُستَوحِشاً إن أَنِسَا
 وَلَا تَزُرْ حَضْرَتَهُ مُختليسا ، وَلَا تُشَمِتُهُ إذا مَا عَطَسَا
 وَأَوْضِحْ لَهُ الأمرَ إذا مَا التَبَسَا ، مِنْ غَيْرِ جَعَلَ رَأْيُهُ مُنْعَكِسا
 وَلَا تُشِيعْ سِرّاً لَهُ مُحتَبِسا ، وَلَا تَبِتْ فِي عَيْشِهِ مُنْغَمِسا
 وَلَا تُشَارِكْهُ بِأَحْوَالِ النِّسَا ، لَمْ تَدْرِ مَا فِي نَفْسِهِ قَدْ هَجَسَا
 فَإِنَّهُ كَاللَّبِثِ يُخْفِي الشَّرَّسَا ، حَتَّى إذا رِيعَ حِمَاهُ افترَسَا

اللييب والقدم

إذا بُليَ اللَّيْبُ بِقُرْبِ قَدَمٍ تَجَرَّعَ مِنْهُ كَاسَاتِ الخُتُوفِ
 فَذَوِ الطَّيْعِ الكَثِيفِ بِغَيْرِ قَصْدٍ يُضِرُّ بِصَاحِبِ الطَّيْعِ اللِّطِيفِ
 وَذَلِكَ لِأَنَّ بَيْنَهُمَا اخْتِلَافاً يُنَافِي العَقْلَ بِالْجَهْلِ العَنِيفِ
 فِدَاءُ الْجَهْلِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ ، كَحُمَى الرَّبْعِ فِي فَصْلِ الخَرِيفِ

١ القدم : العيبي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم .

الجهول

إنَّ الجهولَ ، إذا ألزِمَتْ صُحْبَتَهُ قَسْرًا ، فصاحِبَتُهُ عن غيرِ إيثَارٍ
يُطْفِئُ ضِيَاءَ سَنَافَهَمِي ، وَيُنْقِصُهُ ، كالنَّارِ بالماءِ ، أو كالماءِ بالنَّارِ

توقوا للنساء

وقال وهو منظوم من كلام
أمير المؤمنين علي عليه السلام :

تَوَقَّوْا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ النِّسَاءَ نَقَصْنَ حُطُوظًا وَعَقْلًا وَدِينًا
وَكُلُّهُ بِهِ جَاءَ نَقْصُ الْكِتَابِ وَأَوْضَحَ فِيهِ دَلِيلًا مُبِينًا
فَأَمَّا الدَّلِيلُ لِنَقْصِ الْحُطُوظِ ، فَلِإِرْثِهِمْ نِصْفُ إِرْثِ الْبَنِينَ
وَنَقْصِ الْعُقُولِ فِاجِرَاوْهِنَ بِنِصْفِ الشَّهَادَةِ فِي الشَّاهِدِينَ
وَحَسْبُكَ مِنْ نَقْصِ أَدْيَانِهِنَّ مَا لَسْتَ تَزْدَادُ فِيهِ يَقِينًا
فَوَاتُ الصَّلَاةِ ، وَتَرَكَ الصِّيَامِ فِي مُدَّةِ الْحَيْضِ حِينًا ، فَحِينًا
فَلَا تُطْمِعُوهُنَّ يَوْمًا ، فَقَدْ تَكُونُ النَّدَامَةُ مِنْهُ سِنِينًا

أعدى الاعادي

إخْفِضْ جَنَاحاً لِمَنْ تَعَاشَرُهُ ، وَلِئِنْ ، إِذَا مَا قَسَسْتَ خَلَائِقَهُ
فَإِنَّهُ ، إِنْ أَسَاتَ صُحْبَتَهُ ، أَعْدَى أَعَادِيكَ ، إِذْ تَفَارِقَهُ

من الصديق

وَلَيْسَ صَدِيقاً مَنْ إِذَا قَلْتَ لَفْظَةً يُحَاوِلُ فِي أَثْنَاءِ مَوْقِعِهَا أَمْرًا
وَلَكِنَّهُ مَنْ لَوْ قَطَعْتَ بَنَانَهُ تَوَهَّمَهُ قَصْدًا لِمَصْلَحَةٍ أُخْرَى

عيون الرضا

فَكَمْ صَاحِبٍ مَذَّ بَدَا سُخْطُهُ بَدَلْتُ لَهُ خُلُقًا مُرْتَضًى
مَخَافَةً أَنْ تَنْقُضِي بَيْنَنَا عَهْدُ الْمَوَدَّةِ ، أَوْ يَنْقُضَا
وَلَائِي ، وَإِنْ سَاءَ نِي فِعْلُهُ ، وَأَصْبَحَ بَعْدَ الْوَفَا مُعْرِضًا
أَقَابِلُهُ بِمُحَيَّا الْقَبُولِ ، وَالْحَظُّهُ بَعْيُونِ الرِّضَا

الصديق والعدو

إنَّ الصَّدِيقَ يُرِيدُ بَسْطَكَ مَازِحاً ، فَإِذَا رَأَى مِنْكَ الْمَلَالَةَ يُقْصِرُ
وَتَرَى الْعَدُوَّ ، إِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ يُؤْذِيكَ بِالْمَزْحِ الْعَنِيفِ يُكْثِرُ

لا تعتب على ذنب

تَحْمَلُ مِنْ حَبِيبِكَ كُلَّ ذَنْبٍ ، وَعُدَّ خَطَاؤُهُ فِي وَفْقِ الصَّوَابِ
وَلَا تَعْتَبْ عَلَى ذَنْبِ حَبِيبٍ ، فَكَمْ هَجَرًا تَوَلَّدَ مِنْ عِتَابِ

العقل المسامر

أَحَبُّ صَدِيقًا مَنْصِفًا فِي ازْدِيَادِهِ ، يُخَفِّفُ عَنْ قَصْدٍ وَيُبْرِمُ عَنْ عُذْرِ
وَلَا رَأْيَ لِي فِيمَنْ يُنْغَصُّ خَلْقَتِي ، فَيَسْرِقُ لَدَائِي ، وَيُنْفِقُ مِنْ عُمْرِي
وَلِي خَلْقَاتٌ لَا أَيْعُ يَسِيرَهَا ، بِمَا مَلَكَتْ كَفَائِي مِنْ وَافِرِ الْوَفْرِ
أَبَيْتُ بِهَا فِي عَالَمٍ مِنْ تَصَوُّرِي ، يُسَامِرُنِي عَقْلِي ، وَيُؤْنِسُنِي فِكْرِي
وَيَعْتَادُنِي مِنْ خَمْرِ مَعْنَايَ نَشْوَةٍ ، أَوْدَ سُرُورًا أَنْ يَدُومَ بِهَا سُكْرِي
إِذَا كَدَّ وَزَنُ النِّظَمِ جُهْدَ قَرِيحَتِي ، عَزَلْتُ الْقَوَائِي وَاسْتَرَحْتُ إِلَى النَّثْرِ
وَأَجْعَلُ لَفْظِي لِلْمَعْنَى قَوَالِبًا ، فَأَنْحَتُ مِنْ صَخْرٍ وَأَغْرِفُ مِنْ بَحْرِ

النصح

انصَحْ صَدِيقَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ عَصَاكَ فَعُشَّهُ
لو ظَنَّ صِدْقَكَ مَا عَصَى . وَأَبَى وَأَظْهَرَ فُحْشَهُ

نبأ الهدد

نَصَحْتُكَ فَاصْغِرْ إِلَى مَنْطِقِي ، يَقْدُكَ إِلَى السَّنَنِ الْأَرَشِدِ
وَلَا تَسْتَقِلَّنْ رَأْيَ امْرِئٍ ، وَإِنْ كَانَ دُونَكَ فِي الْمَحْتَدِ
فَإِنَّ سُلَيْمَانَ فِي مُلْكِهِ ، وَكُلُّ بَارِئِهِ يَهْتَدِي
أَطَاعَتَهُ كُلُّ ذَوَاتِ الْجَنَاحِ وَأُصْغَى إِلَى نَبَأِ الْهُدْدِ

صن سرك

سِرُّكَ إِنْ صَتَّهُ بِصَمْتٍ ، أَصْلَحَ بَيْنَ الْأَنَامِ شَانَكَ
فَلَا تَفْهَمْ لَامْرِئٍ بِسَرٍّ ، وَلَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ

الغنى كالشهاب

إِنَّ الْغِنَى كَشِهَابٍ كَلَّمَا اعْتَكَرَتْ دُجَى الْخُطُوبِ جَلَا مِنْهَا حَنَادِ سَهَا
لَا تَنْفَعُ الْخَمْسَةُ الْأَسْمَاءُ مُحَدِّقَةً لَدَيْكَ ، إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ سَادِ سَهَا

عقول الرجال

تأمل ، إذا ما كتبت الكتاب . سطورك من بعد إحكامها
وهذب عبارة طرز الكلام . واستوف سائر أقسامها
فقد قيل إن عقول الرجال تحت السنة أقلامها

لسان الفقير

وإذا فاتك الغنى نكص العز م وكلّ اللسان عند الكلام
ما لسان الفقير إلا قصير ، عجباً إن أطاق ردّ السلام

قاضي الحاجات

لن يقضي الحاجات إلا درهم ، عزّ الغني ودرهم المؤمن
يُدني لك الغرض البعيد بسحره ، ويحلّ عقدة كل أمرٍ مُشكِـل
فإذا فهمت السرّ فيه رأيتَه دُخر المؤمن ، نزهة المتأمل
وإذا نظرت إلى أسيرة وجهه لمعت كلمع العارص المشتعل

لا تحقرن المال

قد نَظَرَ النَّاسَ بِلَا عَيْنٍ ، مَنْ نَظَرَ النَّاسَ بِلَا عَيْنٍ^١
لَا تَحْقِرَنَّ الْمَالَ فَالْعَيْنُ لِلْإِنْسَانِ كَالْإِنْسَانِ لِلْعَيْنِ^٢

عين النصار

عَيْنُ النَّصَارِ كَنَاطِرِ الْعَيْنِ الَّذِي يَتَأَمَّلُ الْفَاصِي بِهِ وَالِدَانِي
وَلَرَبَّ إِنْسَانٍ بِلَا عَيْنٍ غَدَا وَكَأَنَّهُ عَيْنٌ بِلَا إِنْسَانٍ

تصريف الايام

يُعْطَى الْبَلِيدُ مَعَ الْخُمُولِ ، مِنَ الْغَى مَا أَسْمَ يَنْكَلُهُ بِعَقْلِهِ وَبِحِسِّهِ
كَمْ مُدْرِكٍ ، مَعَ عَجْزِهِ مِنْ دَهْرِهِ فِي يَوْمِهِ ، مَا لَمْ يَنْلِ مِنْ أَمْسِهِ
لَكِنَّهَا الْأَيَّامُ ، فِي تَصْرِيفِهَا ، تَقْضِي عَلَيْهِ بِسَعْدِهِ وَبَشَحْسِهِ
إِنْ أَقْبَلَتْ وَهَبَتْ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ ، أَوْ أَدْبَرَتْ سَلَبَتْ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ

١ بلا عين الأول : بلا آلة النظر . الثانية : بلا علم ، بلا خبرة .

٢ الإنسان الثاني : بويو العين .

الفقير

إِنَّ الْفَقِيرَ ، وَإِنْ نَمَتْ هُ مَكَارِمُ وَفَضَائِلُ
لَا يُسْتَعَانُ بِهِ ، وَلَا يُعْبَأُ بِمَا هُوَ قَائِلُ
لَوْ كَانَ سَحَابَ الْبَلَاءِ غَمَةً أَنْكَرَتْهُ وَائِلُ
أَوْ كَانَ قَسَاً فِي الْفَصَا حَقِ قِيلَ هَذَا بِاقِلُ

حسن الظن

لَا تُحْسِنِ الظَّنَّ فِيمَنْ يُرْضِيكَ حُسْنُ لِقَائِهِ
فَمَنْ يُرِدْكَ لِأَمْرٍ ، يَمْلِكُكَ عِنْدَ انْقِضَائِهِ

اخفض جناحك

إِنَّ الصَّدِيقَ ، إِذَا رَأَاكَ مُخَالِفاً لِهَوَاهُ ، بَدَلْ وَدَّهُ بِعُقُوقِ
فَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلصَّدِيقِ مُتَابِعاً لِهَوَائِهِ ، أَوْ عِشْ بِغَيْرِ صَدِيقِ

سكر العشق

لِلْعِشْقِ سُكْرٌ كَالْمُدَا مِ ، إِذَا تَمَكَّنَ فِي الْعُقُولِ
يَبْقَى الْيَسِيرُ مِنَ الْكَثِيرِ ، فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالْقَلِيلِ

النفور من الشحيح

مَنْ لَمْ تَضُمَّ الضِّيَوفَ سَاحَتُهُ ، فَسِتْرُهُ أَنْ تَضُمَّهُ الْحُفْرَةُ
وَمَنْ تَمَادَى فِي شُحِّهِ نَفَرَتْ مِنْ قُرْبِهِ النَّاسُ أَيْمًا نَفَرَهُ
وَاللُّؤْمُ يُنْذِرِي مَنْ قَدَرَ صَاحِبِهِ ، حَتَّى لَقَدْ كَادَ يَقْتَضِي كُفْرَهُ
وَمَنْ غَدَا عَرْضُهُ الْمَهْلَبَ فِي النَّاسِ ، غَدَا وَجْهُهُ أَبَا صُفْرَهُ

يا من يعز المال

يَا مَنْ يُعِزُّ الْمَالَ ضَنْئاً بِهِ ، إِنَّ الْمَعَالِي ضِدَّةٌ مَا تَزَعَمُ
مَا عَزَّ بَيْنَ النَّاسِ قَدْرُ امْرِئٍ ، إِلَّا وَقَدْ ذَلَّ بِهِ الدَّرْهَمُ

لا تخزنوا المال

لَا تَخْزُنُوا الْمَالَ لِقَصْدِ الْغِنَى ، وَتَطْلُبُوا الْيُسْرَى بَعْسِرَاكُمْ
فَذَلِكَ فَقْرٌ لَكُمْ عَاجِلٌ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَلِيَاكُمْ
مَا قَالَ ذُو الْعَرْشِ لَنَا اخْزُنُوا بَلْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ

سافر

إن قلّ نفعك في أرضٍ حلت بها سافرٌ لتدرك قصداً أو ترى أملاً
فالبيض لو لازمت أغمادها صدئت ، والشمس لو لم تسير ما حلت الحملاً

تغرب

تغرب واغبر في الأسفار رزقاً ، لتفتح بالتغرب باب نجح
فلن تجد الثراء بغير سعي ، وهل يوري الزناد بغير قدح ؟

أصل كل هوان

بثلاث واواتٍ وشينٍ بعدها كافٌ وضادٌ أصل كل هوان
بوكالةٍ ، ووديعةٍ ، ووصيةٍ ، وبشركةٍ ، وكفالةٍ ، وضمانٍ

جبل الوصال

يسألني صديقي عن كتاب ، فأنكره ، وأشغل عنه بالي
وأزعم أنه خطٌ سقيم ، وطرسٌ دارسٌ ، كالشن بالي
مخافة أن أروم له ارتجاعاً ، فيقطع دونه حبل الوصال
ولست بواصف يوماً حبيباً أعرضه لأهواء الرجال

المغرى بالقوافي

ولأنني لمُغِرِّي بالقَوَافِي ونَظَمِهَا ، وَيَبْلُغُ بِي حَدَّ السَّرُورِ بَلِيغُهَا
وأَطِيبُ أَوْقَاتِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً ، تُرِيغُ الْقَوَافِي خَاطِرِي وَأُرِيغُهَا
فَكَمْ بَلَغَتْ بِي هِمَّتِي بَعْدَ غَايَةٍ ، يَغْزِي عَلَى الشَّعْرَى الْعَبُورِ بَلُوغُهَا
فَمَا سَرَنِي إِلَّا كَلَامٌ أَسِيغُهُ ، بِمَسْمَعٍ وَاعٍ ، أَوْ مَعَانٍ أَصَوغُهَا

أين البلاغة

لَيْسَ الْبَلَاغَةُ مَعْنَى فِيهِ الْكَلَامُ يَطْوُلُ
بَلْ صَوِّغُ مَعْنَى كَثِيرٍ يَحْوِيهِ لَفْظٌ قَلِيلُ
فَالْفَضْلُ فِي حُسْنِ لَفْظٍ يَقِلُّ فِيهِ الْفُضُولُ
يُظَنُّهُ النَّاسُ سَهْلًا ، وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
وَالْعَيَّ مَعْنَى قَصِيرٌ ، يَحْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلُ

الفساد عين الصلاح

فِي فَسَادِ الْأَحْوَالِ لِلَّهِ سِرٌّ ، وَالتَّيْبَاسُ فِي غَايَةِ الْإِبْضَاحِ
فَيَقُولُ الْجُهَّالُ : قَدْ فَسَدَ الْأَمْرُ ، وَذَلِكَ الْفَسَادُ عَيْنُ الصَّلَاحِ

١ أَرَاغُهُ : رَاوَدَهُ ، طَلَبَهُ .

ذو العقل

ذو العقل مَنْ أَصْبَحَ ذَا خَلْوَةٍ فِي بَيْتِهِ ، كَالْمَيْتِ فِي رَمْسِهِ
مُنْفَرِداً بِالْفِكْرِ عَنْ صَاحِبِهِ ، مُسْتَوْحِشاً بِالْإِنْسِ مِنْ أَنْسِهِ
أَصْبَحَ لَا يَأْلَفُ خِلَالَ ، وَلَا يَصْحَبُ شَخْصاً لَيْسَ مِنْ جَنْسِهِ
وَلَا يُرِيدُ اللَّيْثَ فِي غَابِهِ ، مِنْ مُؤَنَسٍ فِيهِ سِوَى نَفْسِهِ

أطيب الاوقات

وَأَطْيَبُ أَوْقَاتِي مِنَ الدَّهْرِ خَلْوَةٌ ، يَبْقَرُ بِهَا قَلْبِي وَيَصْفُو بِهَا ذِهْنِي
وَتَأْخُذُنِي مِنْ سُورَةِ الْفِكْرِ نَشْوَةٌ فَأُخْرِجُ مِنْ فَنٍّ وَأَدْخُلُ فِي فَنٍّ
وَيَفْهَمُ مَا قَدْ قَالَ عَقْلِي تَصَوُّرِي ، فَتَقْلِي إِذَا عَنِي ، وَسَمْعِي بِهَا مَنِّي
وَأَسْمَعُ مِنْ نَجْوَى الدَّفَاقِرِ طُرْفَةً ، أَزِيلُ بِهَا هَمِّي ، وَأَجْلُو بِهَا حَزْنِي
يُنَادِئُنِي قَوْمٌ لَدَيَّ حَدِيثُهُمْ ، فَمَا غَابَ مِنْهُمْ غَيْرُ شَخْصِهِمْ عَنِّي

الوحدة المؤنسة

تَوْئِنْسُنِي الْوَحْدَةُ فِي خَلْوَتِي ، وَهَذِهِ مِنْ صِفَةِ الْعَالَمِ
مَنْ يَلِكُ بِالْعَالَمِ مُسْتَأْنِساً ، فَإِنَّنِي مَنِّي فِي عَالَمِ

طالب الراحة

قال العَدُولُ : لمَ اعترَلتَ عن الورى . وأقمتَ نَفْسَكَ في المَقامِ الأوهنِ
نادَيْتُ : طالبُ راحةٍ . فأجابني : أتعبتَها بطِلابٍ ما لم يُمكنِ

الهدية المزرية

لا تُهدِ شَيْئاً لم يكنِ حَسَناً ، أو طُرْفَةً عُدْتُ من النَزْرِ
إنَّ الهدِيَّةَ في زيارَتِها تُزري بصاحبِها ولا يَدري

علامات زوال الصبغة

لا تَسْتَدِلْ على تَغْيِيرِ صاحبٍ ، وزوالِ صُحْبَتِهِ وخَفَرِ ذِمَامِهِ
يوماً بأوضحَ من تَجَهَّمِ وجهِهِ ، وجفاءِ مَنطِقِهِ وسُخْطِ غَلَامِهِ

أرد ما يكون

إذا الجَدُّ لم يَكُ لي مُسْعِداً ، فَمَا حَرَكَائِي إِلَّا سُكُونُ
إذا لم يَكُنْ ما يُريدُ الفَتَى ، على رُغْمِهِ ، فليُردْ ما يَكُونُ

كل لسان انسان

بِقَدْرِ لُغَاتِ الْمَرءِ يَكْثُرُ نَفْعُهُ ، فتلَكْ لَهُ عِنْدَ الْمِلِمَاتِ أَعْوَانُ
تَهَافَّتْ عَلَى حِفْظِ اللُّغَاتِ مُجَاهِدًا ، فكلُّ لِسَانٍ فِي الْحَقِيقَةِ إِنْسَانُ

بنو الزمان والحلّ الوفي

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي الزَّمَانِ وَمَا بِهِمْ خِلٌ وَفِيٍّ لِلشَّدَائِدِ أَصْطَفِي
أَبْقَنْتُ أَنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلَاثَةٌ : الْغُولُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْحِلُّ الْوَفِيُّ

اني لأعجب

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ تَعَقُّلِ جَاهِلٍ أَمْسَى يَدُلُّ بِجَاهِهِ وَيُوقِرُهُ
أَمْسَى يَشْعُ بِمَالِهِ وَيَزَادُهُ ، لَكِنْ يَجُودُ بِعِرْضِهِ وَيَذْكُرُهُ
وَتَرَاهُ يُحْسِبُ مَا بَقِيَ مِنْ مَالِهِ ؛ فَتُرَاهُ يَعْلَمُ مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ ؟

المرء من ماء وطين

أَتَطْلُبُ مِنْ أَخٍ خُلُقًا جَلِيلًا ، وَخَلَقُ النَّاسِ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ
فَسَامِحْ أَنْ تُكْذِرَ وَدَّ خِلٍّ ، فَإِنَّ الْمَرءَ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ

إذا أبطأ الرسول

وقال وقد اقترح عليه إجازة صدر بيت مفرد
وهو: إذا أبطأ الرسول فظن خيراً، فقال:

إذا أبطأ الرسولُ فظنُّ خَيْراً ، فسوءُ الظنِّ في عَجَلِ الرسولِ
فلولا أن يَرَى ما يَشْتَهيه ، لَعَادَ إِلَيْكَ في أَمَدٍ قَلِيلِ

الداء من لذیذ الطعام

لا تَأْمَنَنَّ إلى الحَرِيفِ وإنْ غَدَا عَذَبَ الهَوَاءِ يَلْدَ للأجسامِ
واحذَرُ تَوَصَّلَهُ إِلَيْكَ بِلَذَّةٍ ، فالدَّاءُ يُحَدِّثُ من أَلَذِّ طَعَامِ

يا رب

قال عند دخوله بيت
الله الحرام شرفه الله :

يا رَبِّ ! إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ وَالْداخِلُ بَيْتِ الْكَرِيمِ فِي حَسْبِهِ
لا يَخْتَشِي سُخْطَهُ عَلَيْهِ ، ولا يَحْذَرُ من مَكْرِهِ ولا غَضَبِهِ
فكَيْفَ يَرْتَاعُ مَنْ أَنَاخَ بِكَ الرَّحْمَ لَ ، وَيَخْشَى من سُوءِ مُنْقَلَبِهِ
لا يَسْأَلُ الْعَبْدُ غَيْرَ مَنْ هُوَ بِالْهَقْوِ جَدِيرٌ ، وَأَنْتَ أَجْدَرُ بِهِ

ذنبى عظيم

يَا رَبِّ ! ذَنْبِي عَظِيمٌ ، وَأَنْتَ عَنِّي حَكِيمٌ
بَلْ عَزَّيْ مِنْكَ وَعَدٌ ، لَهُ الْأَنَامُ تَرْوُمُ
إِذْ قُلْتَ فِي الذِّكْرِ لِلْمُصْطَفَى ، وَأَنْتَ كَرِيمٌ
نَبِيٌّ عِبَادِي أَنْتَ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

وقني النار

رَبِّ أَنْعَمْتَ فِي الْمَدِيدِ مِنَ الْعُمُرِ ، وَنَجَّيْتَنِي مِنَ الْأَشْرَارِ
فَاعْفُ عَنِّي الْيَوْمَ مِنْ سُؤَالِ لَيْثِمٍ ، وَقِنِي فِي غَدٍ عَذَابِ النَّارِ

الله سميع

تُبُّ وَتُبُّ وَادْعُ ذَا الْجَلَالِ بِصِدْقٍ تَجِدِ اللَّهَ لِلدَّعَاءِ سَمِيعًا
لَا تَخَفْ مَعَ رَجَاءِ رَبِّكَ ذَنْبًا ، إِنَّهُ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا

عَفْوِكَ حَسْبِي

يَا رَبِّ إِنْ كَانَ ذَنْبِي خِلَافَ إِخْلَاصِ قَلْبِي
فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِحُسْنِ ظَنِّي بِرَبِّي
مَا لِي إِلَيْكَ شَفِيعٌ ، إِلَّا اعْتِرَافِي بِذَنْبِي
وَلَيْسَ ، حَسْبِي إِلَّا بِأَنْ عَفْوَكَ حَسْبِي

عَيْشَةُ رَاضِيَةٍ

وقال موشحاً على طريق التصوف
اقترح عليه ذلك معارضاً موشحاً لغيلان
الغول المصري الذي أوله :

شَرِبْنَا سُلَافاً بَلَا آتِيَهُ ، فَلَا تَحْسَبُوا عَيْنَهَا آتِيَهُ^١

فقال والتزم في توشيحها تجنيس
القلب :

لَنَا نَشْوَةٌ فِي الدَّجَى نَاشِيَهُ ، بِإِدْرَاكِهَا أَصْلَحْتُ شَانِيَهُ
تَرَى ظِلَّهَا فِي الضَّحَى وَالْمَقِيلِ
أَشَدَّ وَطَاءً وَأَقْ وَمَ قِيلِ
وَأَلْقَتْ عَلَى الْفَةِ دَ قَوْلًا ثَقِيلِ

١ آتية الأولى : جمع إناء . الثانية من أفى : دنا .

فَكَانَتْ لَأَنْفُسِنَا هَادِيَةً . وَلَكِنَّهَا لِلْعِدَى دَاهِيَةً
تَبَدَّتْ لَنَا ، فَحَلَلْنَا الْحَبِي
وَقُلْنَا لَهَا مَرَحِبًا ، مَرَحِبًا
بِشَّمْسٍ بَدَتْ قَبْلَ رَفْعِ الْحَبَا
وَشَاهَدَتْ أَنْوَارَهَا بَادِيَةً ، فَصَيَّرَتْ تَذَكَارَهَا دَاهِيَةً
رَأَاهَا أَنْاسٌ بَعَيْنِ الْقُلُوبِ
فَدَانَ الْوُجُودُ لَهِمْ بِالْوُجُوبِ
وَسَحَّتْ عَلَيْهِمْ غِيُوثُ الْغِيُوبِ
عَلَيْهِمْ سَحَائِبُهَا هَامِيَةً ، وَلَمْ يَدْرِ غَيْرُهُمْ مَا هِيَةً
فَقَهِمْنَا بِهَا رَمَازٍ رَ الْوُجُودِ
لِفُوزِ الْعُقُولِ بِحَلِّ الْعُقُودِ
فَقُمْتُ لَهَا بِوَفَاءِ الْعُهُودِ
فَكَانَتْ لَشَهَوَاتِنَا نَافِيَةً ، عَلَى أَنَّهَا لَذَّةٌ فَانِيَةً
رَأَيْنَا الدَّعَاءَ لَدَيْهَا يُجَابُ
وَكَمْ دُونَ أَبْصَارِهَا مِنْ حِجَابِ
وَأَشْهَدْنَا الْغَيْبُ شَيْئًا عُجَابِ
فَعِشْنَا بِهَا عَيْشَةً رَاضِيَةً ، وَأُسْدُ حَقَائِقِنَا ضَارِيَةً

١ دايه ، سهل داي : شاني ، امري .

كل كأس

وقال على طريقة التصوف أيضاً :

كل كأسٍ من غيرِ خَمِّ رةٍ مَعَنَّاكَ لي قدَحُ
وسوى ذكرِكَ المُفَدِّحِ لم يَنْشَ لي فَرَحُ
أيُّها الغائبُ الذي عن حِمَى القلبِ ما نَزَحُ
مَنْ يَكُنْ قَصْدُهُ سِوَاكَ فَقَدْ خَابَ وَافْتَضَحُ

من وراء الحجاب

تَعَشَّقْتُ لَيْلَى مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهَا ، ولم تَرَ عَيْنِي لِمَحَّةٍ مِنْ جَنَابِهَا
فَكَيْفَ سَلَوِي ، إِذْ أَمِيطْتَ سَتُورَهَا ، وَزُحْزِحَ إِذْ وَافَيْتُ فَضْلُ نِقَابِهَا
وَكَمْ أَمَكَّنْتَنِي فُرْصَةً فِي اخْتِلَاسِهَا ، وَبِتُّ ، وَقَلْبِي طَامِعٌ فِي اغْتِصَابِهَا
فَأَجَلَلْتُهَا عَنْ أَنْ أَرَاهَا بِرَيْبَةٍ ، وَلَمْ يُرْضِنِي إِلَّا الدَّخُولُ بِبَابِهَا

الشهادة بالسمع

شَهِدْتُ بِأَنِّي عَبْدٌ مَغْنَاكُمُ الَّذِي عَلَى بَابِكُمْ أَرْضَى حِجَابَكُمْ عَنِّي
فَإِنْ شَنَعَ الْأَعْدَاءُ عَنِّي بِضَدِّهِ ، فَلَا تَشْهَدُوا إِلَّا بِمَسْمُوعِكُمْ مِنِّي

تراءت لنا

تراءت لنا، بين الأكلة والحجب،
وأعجب شيءٍ أنها منذ تبرجت،
تلقيتُها بالرحب مني كرامةً ،
عجبتُ لمسراها ، وأعجب باللقا ،
غزالةٌ سربٍ كنتُ أخشى تفارها ،
خففتُ جناحَ الذلِّ رفعاً لقدرها ،
وناجيتها فيما أحبَّ سماعه ،
لقد أصبحتنا من مدامٍ خطابها ،
حملتُ الظما شوقاً إليها ، فساقتني
علمتُ بها ما كنتُ أجهلُ علمه ،
كستني من العزِّ المقيمٍ ملايساً
وأصبحَ موتي كالحياةِ بوصلها ،
وكم جعلتُ مني عليّ طليعةً ،
فكلُّ يرى شمساً من الشرقِ أشرقَتْ ،
فيا حضرةَ القدسِ التي مُدَّ شَهِدُها
حنانيكٍ قد أشهدتني كلَّ واجبٍ
فأنتِ لنا قطبٌ عليه مدارنا ،

فتاهَ بها طرْفِي ، وهامَ بها قلبي
رأتُ حُسْنَهَا عَيْنِي ، ولم يرها صَحي
ومنها تَعَلَّمْنَا التَّلَقِّيَ بِالرَّحْبِ
فيا عَجَبِي ممَّا رَأَيْتُ ، ويا عَجَبِي
فأصْبَحْتُ مَعَ فَوْزِي بِهَا آمِنَ السَّرْبِ
فأوجِبَ ذاكَ الخَفْضُ رُفْعِي عَنِ النَّصْبِ
مُشَافَهَةً ، لا بِالترَّسْلِ وَالْكُتْبِ
وما قلتُ إلحاحاً عَلَيْهِ : أَلَا هُبِّي^١
إِلَى عَيْنِ تَسْنِيمٍ أَدَمْتُ بِهَا شُرْبِي
وكنْتُ بِهَا أُنْبَا فَصِرْتُ بِهَا أَنْبِي
حِسَاناً وَلَمْ تَقْصِدْ بِذَلِكَ سِوَى سَلْبِي
فإنْ غِيبْتُ كَانَ الْبَعْدُ فِي غَايَةِ الْقُرْبِ
فَعَيْنِي لَهَا فِي ذَاكَ عَيْنٌ عَلَى قَلْبِي^٢
وَتُشْرِقُ شَمْسُ الْعَارِفِينَ مِنَ الْغَرْبِ
تَيَقَّنَ قَلْبِي بِالْوُصُولِ إِلَى رَبِّي
عَلِيّ ، فلي من ذاكَ شُغْلٍ عَنِ النَّدْبِ
وَأَيَّ رَحَى أَضَحَّتْ تَدْوِرُ بِلَا قُطْبِ

١ ألا هبي : أي ألا هبي بصحنك فاصبحينا ، مطلع معلقة عمرو بن كلثوم .

٢ العين : الرقيب .

بورك من في النار

وقال أيضاً من اللويت :

لَمَّا رُفِعَتْ نَارُكُمْ لِلسَّارِي ، آتَسْتُ عَلَى النَّارِ هُدَى الْأَسْرَارِ
قَدْ جَسْتُكُمْ أَرُومٌ مِنْهَا قَبَسًا ، نُودِيتُ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ

نور الشيب

عَجَبًا لِفُؤْدِي بَعْدَ فَقْدِ شَيْبَتِي ، وَكَأَنَّ نُورَ الشَّيْبِ فِيهِ قَتَامُ
لَمَّا نَضَّتْ عَنْهُ اللَّيَالِي صِبْغَهَا ، خَلَعَتْ عَلَيْهِ شَبَابَهَا الْأَيَّامُ

كره الشباب

وقال في الشيب :

لَوْ تَيَقَّنْتُ أَنَّ ضَيْفَ بَيَاضِ الشَّيْءِ بِِ يَبْقَى لَمَّا كَرِهْتُ الشَّبَابَا
غَيْرَ أَنِّي عَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ الزَّأْ ثَرِ مَا يَقْتَضِي وَمَا يُتَقَاضَى

تبدیل

تَقُولُ لَمَّا أَنْ رَأَتْ لِمَتِي مَحْفُوفَةً بِالشَّعْرِ الْأَشْيَبِ :
بَدَلْتُ مِنْ مِسْكِكَ كَافُورَةً ، فَقُلْتُ : بَلْ بِالْعَنْبَرِ الْأَشْهَبِ

دولة الشباب

هَذِهِ دَوْلَةُ الشَّبَابِ ، إِذَا لَمْ أَكُ فِيهَا مُمْلَكًا مَحْسُودًا
فَمَتَى أَمْلِكُ الْقِيَادَ ، وَيُضْحِي أَلِ شَيْبُ حَوْلِي عَسَاكِرًا وَجُنُودًا

كذب الخضاب

قَالُوا اخْضِبِ الشَّيْبَ فَقُلْتُ أَقْصِرُوا ، فَإِنَّ قَصْدَ الصِّدْقِ مِنْ شِمَتِي
فَكَيْفَ أَرْضَى بَعْدَ ذَا أَنْسِي أَوَّلُ مَا أَكْذَبُ فِي لِحْيَتِي

مجازاة الفضل

وقال وكتبها إجازة الشيخ العلامة
القنوة المحقق شمس الدين بن عبد
اللطيف بن خليفة الهمداني برواية نظمه
ونثره :

إِنِّي لَفَضْلِكَ بِالْمَدِيحِ أَجَازِي ، شَتَانِ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازِ
فَضْلًا بِهِ ضَاقَ الْكَلَامُ بِأَسْرِهِ ، فَضْلًا عَنِ الْإِرْمَالِ وَالْإِرْجَازِ
إِنْ رُمْتُ بِالنَّظْمِ الْبَدِيعِ صِفَاتِهِ ، لَمْ أَلْقَ غَيْرَ نِهَآيَةِ الْإِعْجَازِ
رُضْتَ الْعُلُومَ فَأَصْبَحْتُ إِذَا أَصْبَحْتُ ، وَجِيَادُهَا تَمْشِي بِلَا مِهِمَازِ
وَسَمَوْتَ هِرْمَسَ وَالرَّيْسَ وَثَابِتًا ، فَضْلًا عَلَى الطُّوسِيِّ وَالشِّيرَازِيِّ^١
وَالشَّعْرُ ثَوْبٌ لَيْسَ يَعْرِفُ قَدْرَهُ ، مِنْ بَعْدِ حَائِكِهِ سِوَى بَزَازِ
وَهَزَزْتَ أَغْصَانَ الْكَلَامِ ، فَسَاقَطَتْ دُرَرًا ، فَلَا عَدِمَتَكَ مِنْ هَزَازِ
وَنَشَرْتَ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ فَضَائِلًا ، غُرًّا ، رَزَاتَ بَهَنَ ذِكْرَ الرَّازِيِّ^٢
وَتَرَكْتَ فُرْسَانَ الْكَلَامِ لِقَايَةٍ ، حَتَّى كَأَنَّكَ بِالْفَضَائِلِ غَازِي^٣
فَإِذَا الْجِدَالُ ، أَوْ الْجِلَادُ حَوَاهُمُ ، فِي يَوْمِ تَبْرِيزٍ وَيَوْمِ بِرَازِ
نَظَرُوا إِلَيْكَ بِأَعْيُنٍ مَزُورَةٍ ، نَظَرَ الْبُغَاثِ إِلَى التِّفَاتِ الْبَازِيِّ^٤

١ هرمس : إله الفصاحة عند اليونان. الرئيس : هو ابن سينا. ثابت بن قرة : عالم في الرياضيات والفلك . الطوسي والشيرازي : عالمان مشهوران .
٢ الرازي : هو أبو بكر الرازي جالينوس العرب ، أو طبيب المسلمين .
٣ قوله : لقاية ، هكذا في الأصل .
٤ البغاث : طائر ، وكذلك البازي .

يا سابقَ الوعدِ المَقولِ بِفِعْلِهِ ،
كم قد أسأتُ مُهاجراً ومُجاهراً ،
يا صاحبَ المِنَنِ التي آثارُها
لديارِ مصرَ لكَ الهَناءُ ، وإن غَدَا
قَوَّضْتَ عن أعلامِها ، فَتَنَكَّرْتَ ،
ما للمُقيمِ بِحَصْرِ بَعْضِ صِفَاتِهِ
وَجَلَوْتَ شِعْرِي فِي المَحافلِ بَعْدَ ما
وَحَطَبْتَ مِنِّي بَعْدَ ذاكَ إجازةً
هل يَخْطُبُ المولى إجازةَ عَبدِهِ ،
ولقد أَجَبْتُ بأن أَجَزْتُ بِخِدمَةِ
وأذِنْتُ أن تَروِيهِ عَنِّي ، مالِكي ،
فهيَ الإجازةُ والوداعُ لَأَنتِها
مَتَوَقَّعُ الإغضاءِ عن تَقْصِيرِهِ ،
وَإِذا عَجِزْتُ عن الجِزاءِ لِحَقِّقْكم

فِيحُولُ بَيْنَ المَطْلِ والإيجازِ
فَعَزَيْتُ بالإِكْرامِ والإِعْزازِ
فِينا ، كَفَعِلِ الغَيْثِ بالإِرْجاءِ
لِلزومِ بَعْدِكَ والعِراقِ نَعازِي
فكَأَنَّها ثوبٌ بَغِيرِ طِرازِ
قَبَلٌ ، فَكَيْفَ لِعابِرِ مُجْتَازِ
أَخْفَيْتُهُ بِدَفاتِيرِ وَجُزائِ
عَنْ نَقْلِهِ ، حَتَّى ظَنَنْتُكَ هازِي
وَيَرومُ مِنْ مَولاهُ خَطَّ جَوازِ
فِي غايَةِ التَّلْخِصِ والإِيجازِ
مَعَ كُلِّ ما تَعزُّوه نُحوي عازِي
صَدَرْتُ ، ومُرْسِلُها على أَوْفازِ
مَنْ ذا يَوازِنُ فَضْلَكمُ وَيُوازِي
بِمَدائِحِي ، فَاللهُ خَيْرُ مُجَازِي

اجازة

وقال وقد كتبها إجازة
لآخر برواية نظمه ونثره :

أَجَزْتُ لِسَيِّدِي وَمَمْلِكِي رِقِّي ، رَوَايَةَ مَا حَوَى مِنْ نَسَجِ فِكْرِي
وَمَا أَنْشَأْتُ مِنْ جِدِّ وَهَزَلٍ ، وَمَا أَبْدَعْتُ مِنْ نَظْمٍ وَنَثَرٍ
وَلَمْ أَقْصِدْ بِذَلِكَ سِوَى قَبُولِي لِمَرْسُومِ أَشَارَ بِهِ وَأَمْرِي
وَلَوْ نَسَبُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ عِلْمِي ، لَكَانَ كَنُقْطَةٍ فِي لُجٍّ بِحَرِّ

كم ترك الاول للآخر

وقال وكتبها على كتاب
المثل السائر لابن الأثير :

هَذَا كِتَابُ الْمَثَلِ السَّائِرِ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ
الْفَهْ نُجَلُّ الْأَثِيرِ الَّذِي أَبْرَزَهُ كَالْكَوْكَبِ الزَّاهِرِ
فَكَمَ بِهِ مِنْ زَهْرِ نَاضِرٍ ، فِي الْحُسْنِ أَضْحَى نُزْهَةَ النَّاطِرِ
إِذَا بَدَأَ مَعْنَاهُ قَالَ الْوَرَى : كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ

المقيد المطلق

قال وكتب بها إلى مسجون
من الأعيان مطوق :

إن يَحْبِسوكَ ، فإنَّ جودَكَ سائرٌ ، أو قيّدوك ، فإنَّ ذِكرَكَ مُطلَقٌ
والمِسْكُ يُخزَنُ في الوِعاءِ ونَشْرُهُ أبدأ بأفنيّةِ المتنازِلِ يَتعبَقُ
وكذلكَ كلَّ نَفيسٍ دُرٍّ لم يَزَلْ من دونِهِ للخَزَنِ بابٌ مُغلَقٌ
والحلِّيُّ في كلِّ المواطنِ زِينَةٌ ، شَتَانٌ جيدٌ عاطِلٌ ومُطَوَّقٌ

الجوهر يخزن

وقال في مثل ذلك :

قد عَهِدَ الجَوهَرُ بالخَزَنِ . فلا تَخَفْ عاقِبَةَ السَّجَنِ
يوسفُ نالَ المَلِكَ من بَعْدِهِ ، وعاشَ في عِزٍّ ، وفي أَمَنِ
مِن بَعْدِ ما أَعْمَى أباهُ البُكا وايبضَ عِناه من الحَزَنِ

فخار مجدك

وذكر عنه رحمه الله أنه عند جوازه بمدينة بدليس أنعم مالكمها
الأمير نجم الدين أبو بكر عليه بإنعامات متواصلة من قبل الاجتماع
به فعندما اجتمع به رحل عنه ولم يمتدحه فعتب عليه نجم الدين المرقوم وحمل
ذلك على الكبرياء فكتب إليه هذه الزومية والاعتذار في آخرها وهي:

لم تتبّع الأمر إلاّ كان ، أو كادا ،
وما رأى البؤس أفواج العفاة ، وقد
وطيب ذكرك لم يقصد بشهوته
حلتى بك الدهر أجياد العلاء ، فلم
يا ماجدا ما دعت في ندى وردى
ما رام بالعزم صيد الصيد يوم وغى
ولم يشاهد بني الآمال قد قطعت
وما دعا للندى إلاّ أجاب ندا
لا ينشني لمهب العاصفات ، ولم
فخار مجدك ، نجم الدين ، إن فخرت
ونار عزمك إن نار القري وقدت
وسحب تفحك إن هبت عواصفها
تركت مدحك إذ أكرمتني حذرا
إذ كنت أوليت قوما دون مرتبتي
فمذ أثرت ركابي عنك مرتحلا ،
فاسعد بأبكاه ، لا زلت في نعيم ،

ولم تر الخطب إلاّ بان ، أو بادا
حلت بربعك ، إلاّ حال أو حادا
بناء مجدك ، إلاّ شاع أو شادا
تخط المراتب إلاّ زان ، أو زادا
بنو المطالب إلاّ جال أو جادا
إن صالت الشوس إلاّ صال أو صاد
منها العلائق إلاّ عاج أو عاد
باغي النوال ، إذا ما ناح أو نادى
يهزه المدح إلاّ مال أو ماد
أهل السيادة ساوى النجم ، أو سادا
رأى لها الناس إيقاظا وإيقادا
رأى لها الشوس إرعابا وإرعادا
أن تفي المال إنفاقا وإنفاقا
بأسر المدح إرفاقا وإرفادا
أثرت مدحك إنشاء وإنشادا
ترى من الله إسعافا وإسعادا

غيرة الغيث من كفه

وقال عند وصوله إلى دمشق سنة خمس وعشرين وسبعمائة
وقد نزل بضواحيها فكتب إليه القاضي العلامة ملك الفصحاء
شهاب الدين محمود كاتب الدرج الشريف يومئذ بها يستزيده بأبيات
دالية فلما عزم على زيارته واصل الغيث ثلاثة أيام متوالية بعد انقطاعه
مدة طويلة فكتب يعتذر عن تأخره ويطلب المهلة إلى حين يقلع الغيث
وأجابه بهذه الأبيات :

أغارَ الغيثَ كَفُّكَ حِينَ جَادَا ، فَأَفْرَطَ فِي تَوَاتُرِهِ وَزَادَا
أَظُنُّ الْغَيْثَ يَحْسُدُنَا عَلَيْهِ ، فَيَمْنَعُ مِنْ زِيَارَتِكَ الْعِبَادَا
هَمَى فَرَأَيْتُ مِنْهُ السَّحَّ شَحًّا ، سَحَابًا مَا عَهَدْتُ بِهِ الْعِهَادَا
إِذَا رُمْنَا لِحَضْرَتِكَ ازْدِيَادَا ، نُوهَمُّ أَنَّنَا رُمْنَا ازْدِيَادَا
أَعَادَ الْأَرْضَ فِي صَقَرٍ رَبِيعًا ، وَكَانَ رَبِيعُنَا فِيهَا جُمَادَا
وَمَا بَارَاكَ فِي فَضْلٍ بِهِطَلٍ ، وَلَكِنْ زَادَنَا فِيكَ اعْتِقَادَا
وَكَيْفَ يَرُومُ أَنْ يَحْكِيكَ جُودًا ، بِفَرَطٍ الْهَطَلِ ، أَوْ يُدْعَى جَوَادَا
وَأَنْتَ وَقَدْ أَفَدْتَ ضَحُوكَ ثَغْرِ ، وَيَبْدُو بِالْبُسْكَاءِ ، وَمَا أَفَادَا
وَأَيْنَ الْغَيْثُ مِنْ إِنْعَامِ مَوْلَى ، يُنَوِّلُ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَرَادَا
أَغَرُّ تَرَاهُ أَعْلَى النَّاسِ نَقْدًا ، إِذَا مَا رُمْتَ لِلنَّاسِ انْتِقَادَا
قَلِيلُ الْغُمُضِ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي ، وَمَنْ عَشِقَ الْعُلَى هَجَرَ الْوِسَادَا
إِذَا عَصَفَتْ بِهِ النِّكْبَاءُ عَاسٍ ، وَإِنْ هَزَّتْهُ رِيحُ الْمَدَحِ مَا دَا
يُعِيدُ الْفَضْلَ عَوْدًا بَعْدَ بَدءٍ ، وَيُنْكِرُ فِهْمَهُ الْإِقْطَ الْمُعَادَا

تُصَرِّفُ كَفَّهُ الْيُمْنِي يَرَاعاً ،
تَرَى الْأَسِيفَ قَدْ مَطَرَتْ نَجِيعاً ،
خَفِيَّ الْكَيْدِ تَعْرِفُهُ الْمَنَايَا ،
بَنَقَتْ عَلَّمَ النَّقْثَ الْأَفَاعِي ،
يَكُونُ لِسَاعِدِ الْعَلِيَاءِ زَنْدَا ،
يُرِينَا أَوْجُهُ الْأَمَالِ بَيْضَا ،
يَظُنُّ إِذَا امْتَطَى خِمْساً لَطَافاً ،
وَلَمْ أَرْ قَلْبَهُ قَلَمًا نَحِيفاً ،
شِهَابَ الدِّينِ قَدْ أَطْلَقَتْ نُطْقِي ،
أَقَمْتَ لَصْنَعَةِ الْإِنْشَاءِ سُوقاً ،
وَزِدْتَ رَفِيعَ مَنَصِبِهَا سِدَاداً ،
بِفَضْلِ يُخْجَلُ السُّحْبُ الْغَوَادِي ،
رَفَعْتَ إِلَيْكَ يَا مَوْلَايَ شِعْرِي ،
وَحَظَّتِي مِنْ وِدَادِكَ غَيْرُ نَزْرِ ،
وَأَسْأَلُ مِنْكَ أَنْ تَعْفُو وَتُعْفِي ،
فِيُعْفِينِي قَبُولُكَ عَنْ جَوَابِ ،
فَلَا أَنْفَكَ أَشْكُرُ مِنْكَ فَضْلاً

بِهِ رَاعَ الْعِيْدِي ، وَرَعَى الْبِلَادَا
إِذَا أَوْدَاجُهُ قَطَرَتْ مِدَادَا
إِذَا مَا أَنْكَرَ السَّيْفُ النَّجَادَا
وَجَرِّي عَلَّمَ الْجَرِّيَ الْجِيَادَا
وَنَارُ الْحَرْبِ إِنْ وَقِدَتْ زِنَادَا
إِذَا مَجَتْ مَشَافَرُهُ السَّوَادَا
لَعْدَتِهِ ارْتَقَى سَبْعَا شِدَادَا
يَكُونُ لَبِيتٍ مَسْكُومَةٍ عِمَادَا
وَصِيرَتْ الْمَسْكَارِمَ لِي صِفَادَا
وَكَانَتْ قَبْلُ شَاكِيَةً كَسَادَا
وَكَانَ سِيَوَاكَ مِنْ عَوَزِ سِدَادَا
وَلَفَظٍ يَفْجُرُ الصَّمَّ الْجِلَادَا
لَأَخْطُبَ مِنْ مَكَارِمِكَ الْوَدَادَا
وَلَكِنِّي أَوْمَلُ أَنْ أَزَادَا
مُحِبِّكَ مِنْ إِجَابَتِهِ اعْتِقَادَا
إِذَا يُتْلَى نَقَصْتُ بِهِ وَزَادَا
قَرِيبَ الْعَهْدِ ، أَوْ أَشْكُو بُعَادَا

الكافية البديعية في المدائح النبوية

قال الشيخ العالم تاج الأدباء والفضلاء، ملك الشعراء والفصحاء، صفى الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن أبي القاسم الحلبي السبسي، رحمة الله عليه، يمدح سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وذكر أن موجب ذلك أنه أراد أن يؤلف كتاباً يحيط بكل أنواع البديع، فمرته علة طالبت مدتها، واشتدت شدتها، فاتفق أنه رأى في منامه رسالة من النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه المدح، ويعده البرء من سقمه، فعدل عن تأليف ذلك الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع أشنات البديع، وتتطرز بمدح محنده الرفيع، فنظم قصيدة عدتها مائة وخمسة وأربعون بيتاً في بحر البسيط تشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع، وجعل كل بيت منها مثالا شاهداً لذلك النوع بما اتفق في البيت الواحد نوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم. ثم قال وألزمت نفسي في نظمها عدم التكلف وترك التعسف والجري على ما أخذت به نفسي من رقة اللفظ وسهولته، وقوة المعنى وصحته، وبراعة المطلع والمترع، وحسن المطلب والمقطع، وتمكن قوافيها، وظهور القوي فيها، بحيث يحسبها السامع غفلاً من الصنائع.

ثم قال: فانظر أيها الناقد الأديب، والعالم اللبيب، إلى غزارة الجمع، ضمن الرياقة في السمع، فإنها نتيجة سبعين كتاباً، لم أعد منها باباً، فاستغن بها عن حشو الكتب المطولة، ووعر الألفاظ المغلطة.

ودع كل صوت غير صوتي فاني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى
وأعوذ بالله أن أكون من زكي نفسه، أو مدح فهمه وحده، وسماها الكافية
البديعية، في المدائح النبوية، وهذه القصيدة المشار إليها، والأنواع المتفق عليها،
فأولها :

براعة الاستهلال والتجنيس المركب والمشتبه :

إن جئت سلعاً فسَلَّ عن جيرةِ العَلَمِ ، وَاقرَ السَّلَامَ على عُرْبٍ بذِي سَلَمٍ

الملفق

فَنَقَدَ ضَمِنْتُ وَجُودَ الدَّمْعِ من عَدَمٍ لهم ، ولم أَسْتَطِعْ مع ذاكَ مَنَعَ دَمِي

المذيل واللاحق

أُبَيْتٌ ، والدَّمَعُ هَامٌ هَامِلٌ سَرَبٌ ، والجِسْمُ فِي اضْمٍ لَحْمٌ عَلَى وَضَمٍ .

التام والمطرف

مَنْ شَأْنِهِ حَمَلٌ أَعْبَاءُ الْهَوَى كَمَدًا ، إِذَا هَمَى شَأْنُهُ بِالْدَّمَعِ لَمْ يُلَمِّ .

المصحف والمحرّف

مَنْ لِي بِكُلِّ غَرِيرٍ مِنْ ظِبَائِهِمْ ، غَرِيرٌ حُسْنٌ يُدَاوِي الْكَلِمَ بِالْكَلِمِ .

اللفظي والمقلوب

بِكُلِّ قَدٍّ نَضِيرٍ لَا نَظِيرَ لَهُ ، مَا يَنْقُضِي أَمَلِي مِنْهُ وَلَا أَلَمِي .

المنوي

وَكُلٌّ لَحْظٌ أَتَى بِاسْمِ ابْنِ ذِي يَزَنٍ ، فِي فَتْكِهِ بِالْمُعَنَى ، أَوْ أَبِي هَرَمٍ .

الطباق

قَدْ طَالَ لَيْلِي وَأَجْفَانِي بِهِ قَصُرَتْ ، عَنْ الرَّقَادِ ، فَلَمْ أَصْبِحْ وَلَمْ أَنْمِ .

الاستطراد

كَأَنَّ آثَاءَ لَيْلِي فِي تَطَاوُلِهَا ، تَسُوفُ كَاذِبَ آمَالِي بِقُرْبِهِمْ .

التوشيح

هُمْ أَرْضَعُونِي ثُدَيَّ الْوَصْلِ حَافِلَةً ، فَكَيْفَ يَحْسُنُ مِنْهَا حَالُ مُنْفَطِمٍ .

المقابلة

كَانَ الرِّضَى بِدُنُوتِي مِنْ خَوَاطِرِهِمْ ، فَصَارَ سُخْطِي لِبُعْدِي عَنْ جَوَارِهِمْ .

١ السرب : السائل . الاضم : الحقد والحسد والفضب ، وجبل ، والوادي الذي فيه المدينة النبوية .

الوضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم .

٢ آثاء الليل : ساعاته . تسوف : هكذا في الأصل .

الف والنشر

وَجَدِي حَنِينِي أَنِينِي فِكْرَتِي وَلَهْمِي . مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ فِيهِمْ ، بِهِمْ .

التذيل

لِلَّهِ لَذَّةُ عَيْشٍ بِالْحَبِيبِ مَضَتْ ، فَلَمْ تَدُمْ لِي ، وَغَيْرُ اللَّهِ لَمْ يَدُمْ .

الالتفات

وَعَاذِلِ رَامَ بِالْتَعْنِيفِ يُرْشِدُنِي ، عَدِمَتْ رُشْدَكَ هَلْ أَسْمَعْتَ ذَا صَمَمِ .

التفويف

أَقْصِرْ أَطْلُ إِعْذِرْ إِعْذُلْ سَلْ تَخْلُ أَغْنِ . خُنْ هُنَّ عَنْ تَرْفُقِ كُفْ لُجْ لَمْ .

الهزل الذي يراد به الهد

أَشْبَعْتَ نَفْسَكَ مِنْ دَمِي فَهَاضَكَ مَا تَلَقَّيْ ، وَأَكْثَرُ مَوْتِ النَّاسِ بِالتُّخَمِ .

عتاب المرء نفسه

أَنَا الْمُفْرَطُ أَطْلَعْتُ الْعَدُوَّ عَلَى سِرِّي ، وَأَوْدَعْتُ نَفْسِي كَفَّ مُحْتَرِمِ .

رد العجز على الصدر

فَمَي تَحَدَّثَ عَنْ سِرِّي فَمَا ظَهَرَتْ سِرَائِرُ الْقَلْبِ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ فَمَي .

المواربة

لَأَنْتَ عِنْدِي أَحْصَى النَّاسِ مَسْرِلَةً ، إِذْ كُنْتَ أَقْدَرَهُمْ عِنْدِي عَلَى السَّلَامِ .

الهجاء في معرض المدح

من معشرٍ يُرخصُ الأعراضَ جواهرُهم ، ويَحْمِلُونَ الأذى من كلِّ مُهْتَضِمٍ
التهم

مَحَضَّتْ لي النَّصَحَ إحساناً إليّ ، غشَّ ، وقلَّدتني الإنعامَ ، فاحتكمِ
الإيham

لَبِيتَ المنيَّةَ حَالَتْ دونَ نُصْحِكَ لي فَتَسْرِجُ كِلَانَا من أذى التُّهَمِ
النزاهة

حَسْبِي بِذِكْرِكَ لي ذِمَّةٌ وَمَنْقِصَةٌ ، فيما نَطَقْتُ ، فلا تُنْقِصْ ولا تَدُمُ
التسليم

سَأَلْتُ في الحبِّ عُدَّالِي ، فما نَصَحُوا ، وَهَبْنِي كان ، فما نَفَعِي بِنُصَحِهِمِ
التخيير

عَدِمْتُ صِيحةَ جِسمِي مُذْ وَتَقْتُ بِهِم ، فما حَصَلْتُ على شيءٍ سِوَى النَّدَمِ

القول بالموجب

قالوا: سلَّوتَ لبُعْدِ العَهْدِ ، قلتُ لهم : سلَّوتُ عن صحتي والبُرءِ من سَقَمِي

١ قوله : تلم ، هكذا في الأصل ولعلها سهو تلم .

الانتان

ما كنتُ قبلَ طُبِّي الأَحَاطِرَ قَطَّ أَرَى سَيْفًا أَرَاكَ دَمِي إِلَّا عَلَى قَدَمِي

المراجعة

قالوا : اصْطَبِرْ ! قلتُ : صَبْرِي غَيْرُ مُتَمَسِّعٍ . قالوا : اسْلُؤْهُمْ ، قلتُ : وَدَيِّ غَيْرُ مُنْصَرِّمٍ .

المنافضة

وإِنِّي سَوْفَ أَسْلُوهُمْ . إِذَا عُدِمْتُ رُوحِي . وَأُحْيَيْتُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ

التغاير

فَاللَّهُ يَكْلَأُ عَذَّالِي ، وَيُلْهِمُهُمْ عَذْلِي فَقَدْ فَرَجُوا كَرْنِي بِذِكْرِهِمْ

الاكتفاء

قالوا : أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْحُبَّ غَايَتُهُ سَلَبُ الْخَوَاطِرِ وَالْأَلْبَابِ ؟ قلتُ : أَلَمْ

تشابه الأطراف

لَمْ أَدْرِ قَبْلَ هَوَاهُمْ . وَالْهَوَى حَرَمٌ . أَنَّ الظُّبَاءَ تُحِلُّ الصَّيْدَ فِي الْحَرَمِ

الاستدراك

رَجَوْتُ أَنْ يَرْجِعُوا يَوْمًا فَقَدْ رَجَعُوا عِنْدَ الْعِتَابِ ، وَلَكِنْ عَنْ وَفَا ذِمَّتِي

الاستثناء

فَكَلَّمَا سَرَّ قَلْبِي ، وَاسْتَرَاخَ بِهِ ، إِلَّا الدَّمُوعَ عَصَانِي بَعْدَ بُعْدِهِمْ

التشريع ويسمى التوام

فلو رأيتَ مُصَابِي نَمَ . عَدَمًا رَحَلُوا . رَثَيْتُ لِي مِنْ عَذَابِي يَوْمَ بَيْنِهِمْ

التمثيل

يا غائبين ، لقد أضنى الهوى جسدي ، والغصنُ يتدوي لفقد الوابلِ الرزمِ^١

تجاهل العارف

يا لبتَ شعري أسحراً كان حبكمُ ، أزالَ عقليَ ، أم ضربُ من اللممِ^٢

إرسال المثل

رجوتكم نُصحاءَ في الشدائدِ لي ، لضعفِ رُشدي ، واستسمتُ ذا ورَمِ

التميم

وكم بدلتُ طريفي والتلبدَ لكم ، طوعاً ، وأرضيتُ عنكم كلَّ مُخنصِمِ

الكلام الجامع

مَنْ كانَ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّهَدَ راحتهُ ، فلا يَخافُ لِلدَّعِ النَّحْلِ من أَلَمِ

التوجيه

خِلْتُ الفَضائلَ بَيْنَ النَّاسِ تَرَفَعُني ، بالابتداءِ ، فكانت أحرفَ القَسَمِ

القسم

لا لَقَبْتَنِي المَعاليَ بابنٍ بَجَدَتِها ، يومَ الفَخارِ ، ولا بَرَّ التَّقَى قَسَمي

الاستعارة

إِنْ لم أَحُثَّ مَطايا العَزمِ مُثْقَلَةً مِنْ القَوافي ، تَوَمَّ المَجْدَ عن أَمَمِ

١ الوابل : المطر الغزير . الرزم : الذي لا ينقطع .

٢ اللمم : الجنون .

مراعاة النظر

تِجَارُ لَفْظِي إِلَى سُوقِ الْقَبُولِ بِهَا ، مِنْ لُجَّةِ الْفِكْرِ تُهْدِي جَوْهَرَ الْكَلِمِ .

براعة التخلص

مِنْ كُلِّ مُعْرَبَةٍ الْأَلْفَاظِ مُعْجَمَةٍ ، يَزِينُهَا مَدْحُ خَيْرِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ .

الاطراد

مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي النَّبِيُّ أَجَا لَ الْمُرْسَلِينَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ذِي الْكَرَمِ .

التكرار

الطَّاهِرُ الشَّيْمُ ابْنُ الطَّاهِرِ الشَّيْمِ إِذِ نِ الطَّاهِرِ الشَّيْمِ ابْنِ الطَّاهِرِ الشَّيْمِ .

التورية ويسمى الإيهام

خَيْرُ النَّبِيِّينَ ، وَالْبَرَهَانُ مُتَضِحٌ ، فِي الْحَجَرِ عَقْلًا وَنَقْلًا وَاضِحُ الْقَسَمِ ١

المذهب الكلامي

كَمْ بَيْنَ مَنْ أَقْسَمَ اللَّهُ الْعَلِيِّ بِهِ ، وَبَيْنَ مَنْ جَاءَ بِاسْمِ اللَّهِ فِي الْقَسَمِ .

التوشيح

أُمِّيُّ خَطِّ أَبَانَ اللَّهُ مُعْجِزَهُ بِطَاعَةِ الْمَاضِيَيْنِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ .

المناسبة اللفظية

مُؤَيَّدُ الْعَزَمِ ، وَالْأَبْطَالُ فِي قَلْقٍ ، مُؤَمَّلُ الصَّفْحِ ، وَالْهِجَاءُ فِي ضَرَمِ .

١ الحجر : العقل . اللقم : الطريق الواضح .

التكميل

نَفْسٌ مُؤَيَّدَةٌ بِالْحَقِّ تَعْصُدُهَا عَيْنَانِ صَدَرَتْ عَنْ بَارِيٍّ النَّسَمِ

العكس

أَبْدَى الْعَجَائِبَ ، فَأَلْأَعْمَى بِنَفْسَتِهِ غَدَا بَصِيرًا فِي الْحَرْبِ الْبَصِيرُ عَمِي

الترديد

لَهُ السَّلَامُ مِنْ اللَّهِ السَّلَامِ ، وَفِي دَارِ السَّلَامِ تَرَاهُ شَافِعَ الْأُمَمِ

المبالغة

كَمْ قَدْ جَلَّتْ جِنَحُ لَيْلِ النَّقْعِ طَلَعَتْهُ ، وَالشَّهْبُ أَحْلَكَ أُلُوَانًا مِنَ الدُّهُمِ

الإغراق

فِي مَعْرَكٍ لَا تُثِيرُ الْحَبِيلُ عَثِيرَهُ ، مِمَّا تُرَوِّي الْمَوَاضِي تُرْبَهُ بِدَمٍ

الغلو

عَزِيزٌ جَارٍ ، لَوْ اللَّيْلُ اسْتَجَارَ بِهِ ، مِنْ الصَّبَاحِ ، لِعَاشَ النَّاسُ فِي الظُّلَمِ

الإيغال

كَانَ مَرَّاهُ بَدْرٌ غَيْرُ مُسْتَرٍ ، وَطِيبَ رِيَاهُ مِسْكٌ غَيْرُ مُكْتَمِ

نفي الشيء بإيجابه

لَا يَهْدِمُ الْمَنْ مِنْهُ عُمْرَ مَكْرُمَةٍ ، وَلَا يَسُوءُ أَذَاهُ نَفْسَ مَوْثِمٍ^١

الإشارة

يُولِي الْمَوَالِينَ مِنْ جَدَوَى شَفَاعَتِهِ مُلْكًا كَبِيرًا عَدَا مَا فِي نَفْسِهِمْ

١ العثير : الغبار .

٢ قوله : موثم ، هكذا في الأصل ، ولعلها متهم .

النوادر

كَأَنَّمَا قَلْبُ مَعْنٍ مَلءٌ فِيهِ . فَلَمَّ يَقُلْ لِسَائِلِهِ يَوْمًا سِوَى نَعَمٍ

الترشيح

إِنْ خَلَّ أَرْضَ أَنَاسٍ شَدَّ أَزْرَهُمْ . بِمَا أَتَاكَ لَهُمْ مِنْ حَطِّ وَزْرِهِمْ

الجمع

أَرَاؤُهُ : وَعَطَايَاهُ . وَنَقَمَتُهُ . وَعَقَوُهُ رَحْمَةً لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ

التفريق

فَجُودٌ كَفَّيْهِ لَمْ تُقْلِعْ سَحَابُهُ عَنْ الْعِبَادِ . وَجُودُ السَّحْبِ لَمْ يُقِيمِ

التقسيم

أَقْبَى جِيوشِ الْعِدَى غَزَوْاً فَلَسْتَ تَرَى سِوَى قَتِيلٍ وَمَأْسُورٍ وَمُنْهَزِمٍ

الجمع مع التفريق

سَنَاهُ كَالنَّارِ يَجْلُو كُلَّ مُظْلِمَةٍ . وَالبَّاسُ كَالنَّارِ يُفْنِي كُلَّ مُجْتَرِمٍ

الجمع والتقسيم

أَبَادَهُمْ ، فَلَبِيتَ الْمَالَ مَا مَلَكَوْا . وَالرُّوحُ لِلسَّيْفِ ، وَالْأَشْلَاءُ لِلرَّحْمِ

اتلاف المعنى مع المعنى

مِنْ مُفْرَدٍ بِغِرَارِ السَّيْفِ مُتَثِيرٍ ، وَمُزْوَجٍ بِسِنَانِ الرَّمْحِ مُنْتَظِمٍ

الاشتراك

شَيْبُ الْمَفَارِقِ يَرُوي الضَّرْبُ مِنْ دَمِهِمْ ذَوَائِبَ الْبَيْضِ بَيْضِ الْهَنْدِ لَا الْأَسْمِ

الإيجاز

وَاسْتَخْدَمَ الدَّهْرَ يَنْهَاهُ وَيَأْمُرُهُ
بِعَزْمٍ مُغْتَنِمٍ فِي زِيٍّ مُغْتَرِمٍ

المشاكلة

يَجْزِي إِسَاءَةً بِأَغْيِهِمْ بِسَيِّئَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَادِيًّا مِنْهُمْ عَلَى لَأَمٍ^١

اكتلاف اللفظ مع المعنى

كَأَنَّمَا حَلَقُ السَّعْدِيِّ مُتَثَرِّبٌ عَلَى الثَّرَى بَيْنَ مُنْفَضٍّ وَمُنْفَصِمٍ^٢

التشبيه

حُرُوفُ خَطٍّ عَلَى طِرْسٍ مُقْطَعَةٍ ، جَاءَتْ بِهَا يَدُ غَمْرٍ غَيْرِ مُفْتَهِمٍ

الاشتقاق

لَمْ يَلْقَ مَرَحِبٌ مِنْهُ مَرَحِبًا وَرَأَى ضِدَّ اسْمِهِ عِنْدَ هَذَا الْحِصْنِ وَالْأُطْمِ

التصرع

لَأَقَاهُمْ بِكُفَاةٍ عِنْدَ كَرَاهِمِ ، عَلَى الْجُسُومِ دُرُوعٌ مِنْ قُلُوبِهِمْ

التشطير

بِكُلِّ مُنْتَصِرٍ لِلْفَتْحِ مُنْتَظِرٍ ، وَكُلِّ مُعْتَرِمٍ بِالْحَقِّ مُلْتَزِمٍ

الترصيع

مِنْ حَاسِرٍ بِغِرَارِ الْعَضْبِ مُلْتَحِفٍ ، أَوْ سَافِرٍ بِغُبَارِ الْحَرْبِ مُلْتَشِمٍ

١ سَيْئَتُهُ : مَسْأَلَتُهُ . أَرَمَ : أَحَدٌ .

٢ السَّعْدِيُّ : الدَّرْعُ الْمَصْنُوعَةُ بِسَعْدٍ ، وَهِيَ بِلَدٍ تَصْنَعُ فِيهِ الدَّرُوعُ .

الموازنة

مُسْتَقْتَلٍ ، قَاتِلٍ ، مُسْتَرْسِلٍ ، عَجَلٍ ، مُسْتَأْصِلٍ ، صَائِلٍ ، مُسْتَفْحِلٍ خَصِمٍ .

التجزئة

بِبَارِقٍ خَدِمٍ فِي مَازِقٍ أَمَمٍ ، أَوْ سَائِقٍ عَرِمٍ فِي شَاهِقٍ عِلَمٍ .

التجميع

فِعَالٌ مُنْتَظِمٍ الْأَحْوَالِ مُقْتَحِمٍ الْأَهْوَالِ ، مُلْتَزِمٍ بِاللَّهِ مُعْتَصِمٍ .

المماثلة

سَهْلٌ خَلَاتِقُهُ ، صَعْبٌ عَرَائِكُهُ ، جَمٌّ عَجَائِبُهُ ، فِي الْحُكْمِ وَالْحِكَمِ .

التسيط

فَالْحَقُّ فِي أَفْقٍ ، وَالشَّرْكُ فِي نَفَقٍ ، وَالْكُفْرُ فِي فَرْقٍ ، وَالدِّينُ فِي حَرَمٍ .

التطريز

فَالْجَيْشُ وَالنَّقْعُ تَحْتَ الْجَوْنِ مُرْتَكِمٌ ، فِي ظِلِّ مُرْتَكِمٍ فِي ظِلِّ مُرْتَكِمٍ .

الإرداف

بِفِتْيَةٍ أَسْكَنُوا أَطْرَافَ سُمْرِهِمْ . مِنْ الْكُمَاةِ ، مَقَرَّ الضَّغْنِ وَالْإِضْمَ .

الكناية

كُلُّ طَوِيلٍ نِجَادِ السَّيْفِ يُطْرِبُهُ ، وَقَعُ الصَّوَارِمِ كَالْأَوْتَارِ وَالنَّغَمِ .

الالتزام

مِنْ كُلِّ مُبْتَدِرٍ لِلْمَوْتِ مُقْتَحِمٍ ، فِي مَازِقٍ بِغُبَارِ الْحَرْبِ مُلْتَحِمٍ .

١ مَقَرَّ الضَّغْنِ وَالْإِضْمَ : أَرَادَ بِهِ الْقَلْبَ .

الموارد

تَهْوِي الرِّقَابُ مَوَاضِيَهُمْ فَيَحْبِسُهَا حَدِيدُهَا كَأَنَّ أَغْلَالَاً مِنْ الْقِدَمِ

التجريد

شَوْسٌ تَرَى مِنْهُمْ ، فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ ، أَسَدَ الْعَرَيْنِ إِذَا حَرُّ الْوَطَيْسِ حَمِي

المجاز

صَالُوا ، فَنَالُوا الْأَمَانِي مِنْ عُدَاتِهِمْ ، بَبَارِقٍ فِي سِوَى الْمَهْجَاءِ لَمْ يُشْمِ

الترتيب

كَالنَّارِ مِنْهُ رِيَّاحُ الْمَوْتِ قَدْ عَصَفَتْ لَمَّا رَوَى مَأْوُهُ أَرْضَ الْوَغَى بَدَمِ

الالغاز

حَرَّانُ يَنْقَعُ حَرُّ الْكَرِّ غُلَّتْهُ ، حَتَّى إِذَا ضَمَّهُ بَرْدُ الْمَقِيلِ ظَمِي

الإيضاح

قَادُوا الشَّوَاذِبَ كَالْأَجَالِ حَامِلَةً أَمْثَالَهَا ، ثَبَتَتْ فِي كُلِّ مُضْطَرِمِ

التوليد

مَنْ سُبْقِي لَا يَرَى سَوْطُهَا سَمَلًا ، وَلَا جَدِيدٌ مِنَ الْأَرْسَانِ وَاللُّجْمِ

سلامة الاختراع

كَادَتْ حَوَافِرُهَا تُدْمِي جَحَافِلَهَا حَتَّى تَشَابَهَتْ الْأَحْجَالُ بِالرَّثَمِ

حسن الإتياع

يَكَابِرُ السَّمْعُ فِيهَا الطَّرْفَ حِينَ جَرَتْ ، فَيَرْجِعَانِ إِلَى الْآثَارِ فِي الْأَكْمِ

١ الاحجال ، الواحد حجل : البياض في رجل الفرس . الرثم : بياض في طرف أنف الفرس .

تتلاف اللفظ مع اللفظ

خاضوا عُبَابَ الوَغَى والحَيْلُ سَابِجَةٌ . في بحرٍ حربٍ بِمَوْجِ الموتِ مُلْتَطِمٌ .

التوهم

حتى إذا صَدَرُوا والحَيْلُ صَائِمَةٌ ، من بعدِ ما صَلَّتِ الأسيافُ في القِيَمِ .

تشبيه شيئين بشيئين

تَلَاعَبُوا تحتَ ظِلِّ السُّمْرِ من مَرَحٍ . كما تَلَاعَبَتِ الأشْبالُ في الأَجَمِ .

التتلاف اللفظ مع الوزن

في ظِلِّ أبلَجٍ مَنْصُورٍ اللّواءِ . لهُ عَدَلٌ يُوَلِّفُ بَيْنَ الذَّنْبِ والغَنَمِ .

البيط

سَهْلُ الخَلَاتِقِ سَمِعُ الكَفِّ باسِطُهَا ، مُنَزَّرَةٌ لَفْظُهُ عن لا ولن ولَمِ .

اللب والإيجاب

أَغَرُّ لا يَمْنَعُ الرَّاجِينَ ما سألوا . وَيَمْنَعُ الجارَ من ضِيَمٍ ومن حَرَمِ .

حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي

شخصٌ هو العالمُ الجزئيُّ في سَرَفٍ . ونَفْسُهُ الجَوْهَرُ الكُلِّيُّ في عِظَمِ .

الفرائد

ومَن لهُ خَاطَبُ الجَزَعِ البَيِّسُ ، ومن بكَفِّهِ أَوْرَقَتُ عَجْرَاءُ من سَلَمِ .

المعنوان

والعاقِبُ الحَبِيرُ في نَجْرانَ لآحَ لَهُ يومَ التَّبَاهِلِ عُقْبَى زَلَّةِ القَدَمِ .

حسن النسق

والذَّئْبُ سَلَمَ ، والجَنِّيَ أَسَلَمَ ، والـ
شُعْبَانُ كَلَمَ ، والأَمْوَاتُ فِي الرُّجَمِ .

التعريض

وَمَنْ أَتَى سَاجِداً لِلَّهِ سَاعَتَهُ ،
وغيرُهُ سَاجِدٌ فِي العُمْرِ للصَّنَمِ .

الاتفاق

وَمَنْ غَدَا اسْمُ أُمِّهِ نَعْتاً لَأَمْنِهِ ،
فَتلكَ آمَنَةٌ مِنْ سَائِرِ النِّقَمِ ١

اثتلاف المعنى مع الوزن

مَنْ مثْلُهُ وَذِرَاعُ الشَّاةِ حَدَّثَتْهُ
عَنْ اسْمِهِ بِلِسَانٍ صَادِقٍ الرَّنَمِ .

المقلوب المستوي

هَلْ مَنْ يَنْسُمُ بِجَبٍّ مَنْ يَنْسُمُ لَهُ
بِمَا رَمَوْهُ كَنْ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ رُمِي

التأديب والتأديب

هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي آيَاتُهُ ظَهَرَتْ
مِنْ قَبْلِ مَظْهَرِهِ لِلنَّاسِ فِي الْقِدَمِ .

التقييد بحرف الميم

مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ خُتِمَتْ
بِمَجْدِهِ مُرْسَلُو الرَّحْمَنِ لِلْأُمَمِ .

الانسجام

فذكرُهُ قَدْ أَتَى فِي هَلْ أَتَى ، وَسَبَّأَ ،
وَفَضَّلُهُ ظَاهِرٌ فِي النَّوْنِ وَالْقَلَمِ .

الإبداع

إِذَا رَأَتْهُ الْأَعَادِي قَالَ حَازِمُهُمْ :
حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النِّجَمَ فِي الظُّلَمِ .

١ صدر البيت مختلل الوزن ، ولعله : ومن غدت أمه نعتاً لآمنه .

التسكين

به استغاث خليلُ الله حين دَعَا ربَّ العبادِ ، فقال البردَ في الضَّرمِ

التثنية

كذلك يونسُ ناجى ربَّهُ ، فنَجَا من بطنِ نُونٍ له في اليمِّ ملتَقِمِ

الاستمارة

دعُ ما يقولُ النصارى في مَسِيحِهِمِ من التَّغالي ، وقل ما شئتَ واحتَكِمِ

التفصيل

صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ ما طَلَعَتْ شمسٌ وما لاحَ نجمٌ في دُجى الظُّلَمِ

التنكيث

وآلهُ أَمْناءُ اللهُ مَنْ شَهِدَتْ لِقَدَرِهِمْ سُورَةُ الْأَحْزَابِ بِالْعِظَمِ

الحذف

آلُ الرِّسُولِ محَلُّ الْعِلْمِ ، ما حَكَمُوا اللهُ ، إِلَّا وَكَانُوا سَادَةَ الْأُمَمِ

الانشاع

بَيْضُ الْمَفَارِقِ لَا عَابٌ يُدَنِّسُهُمْ ، شُمُّ الْأُنُوفِ ، طَوَالُ الْبَاعِ وَالْأُمَمِ

التفسير

هُمْ النُّجُومُ بِهِمْ يُهْدَى الْأَنَامُ ، وَيَنْجَا بُ الظَّلَامُ ، وَيَهْمِي صَيِّبُ الدِّيمِ

التعليل

لَهُمْ أَسَامٍ سَوَامٍ غَيْرِ خَافِيَةٍ ، مِنْ أَجْلِهَا صَارَ يُدْعَى الْإِسْمُ بِالْعَلَمِ

١ قوله : طوال الباع والأمم ، هكذا في الأصل .

التعطيف

وَصَحْبُهُ مَنْ لَهُمْ فَضْلٌ، إِذَا افْتَخَرُوا، مَا إِنْ يُقَصِّرُ عَنْ غَايَاتِ فَضْلِهِمْ.

جمع المؤنث والمختلف

هُمْ هُمْ فِي جَمِيعِ الْفَضْلِ مَا عَدِمُوا فَضْلَ الْإِخَاءِ وَنَصَّ الذِّكْرِ وَالرَّحِمِ.

الاستتباع ويسمى التعليق والمضاعف

الْبَاذِلُو النَّفْسَ بِذَلِكَ الزَّادِ يَوْمَ قِرْيَى، وَالصَّائِنُو الْعِرْضَ صَوْنَ الْجَارِ وَالْحَرَمِ.

التدبيج

خَضِرُ الْمَرَابِيعِ حَمْرُ السَّمْرِ يَوْمَ وَغَى، سَوْدُ الْوَقَائِعِ بَيْضُ الْفِعْلِ وَالشِّيمِ.

الإبداع

ذَلِكَ النَّضَارُ كَمَا عَزَّ النَّظِيرُ لَهُمْ، بِالْفَضْلِ وَالْبَذْلِ فِي عِلْمٍ وَفِي كَرَمٍ.

الاستخدام

مَنْ كُلَّ أْبْلَجٍ وَارِي الزَّنْدِ يَوْمَ نَدَى، مُشَمَّرٌ عَنْهُ يَوْمَ الْحَرْبِ مُصْطَلِمِ.

الطاعة والعصيان

لَهُمْ تَهَلُّلٌ وَجْهِهِ نَالِحِيَاءٍ كَمَا مَقْصُورُهُ مُسْتَهِيلٌ مِنْ أَكْفِهِمْ.

التفريع

مَا رَوْضَةٌ وَشَعَاعُ الْوَسْمِيِّ بُرْدَتَهَا، يَوْمًا بِأَحْسَنَ مِنْ آثَارِ سَعِيهِمْ.

الملح في مرض النظم

لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ النَّزِيلَ بِهِمْ يَسْأَلُوا عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ وَالْحَشَمِ.

التعديد

يا خاتمَ الرُّسل ، يا مَنْ عِلْمُهُ عَلَّمَ ، والعدلُ والفضلُ والإيفاءُ للذِّمَمِ .

المزاوجة

ومَنْ إذا خَفْتُ في حَشْرِي وكانَ لَهُ مَدْحِي ، نَجَوْتُ وكانَ المَدْحُ مُعْتَصِمِي

حسن البيان

وعَدَّتْني في مَنامي ما وثِقْتُ بِهِ ، معَ التَّقاضي بِمَدْحِ فيكَ مُشْتَظِمِ .

السهولة

فَقُلْتُ : هذا قبولُ جاءَني سَلَفًا ، ما نالَهُ أَحَدٌ قَبْلِي مِنَ الأُمَمِ .

الإدماج

لَصِدْقِ قولِكَ لو حَبَّ امرؤُ حَجَرًا لَكَانَ في الحَشْرِ عن مِثْواهُ لم يَرِمِ .

الاحتراس

فوقَّني ، غيرَ مأمورٍ ، وعودَكَ لي ، فليسَ رُؤْيَاكَ أَضْغاثًا مِنِ الحُلُمِ .

براعة الطلب

فقدَ عِلِمْتَ بما في النَفْسِ من أَرَبٍ ، وأنتَ أَكْبَرُ من ذِكْرِي له بِفَمِي

لاعتراض

فإنَّ مَنْ أنقَذَ الرَّحْمَنُ دَعْوَتَهُ ، وأنتَ ذاكَ ، لَدَيْهِ الجارُ لم يُضَمِّ .

المساواة

وقد مَدَحْتُ بما تَمَّ البَدِيعُ بِهِ ، معَ حُسْنِ مُفْتَسِّحِ مِنْهُ وَمُخْتَسَمِ .

المقد

ما شَبَّ من خَصَلَتِي حِرْصِي ومن أَمَلِي سوى مَدِيحِكَ في شَيْبِي وفي هَرَمِي

الاعتباس

هَذِي عَصَايَ الَّتِي فِيهَا مَآرِبُ لِي ، وَقَدْ أَهْشَتْ بِهَا طَوْرًا عَلَى غَنَمِي

التلميح ويسمى حسن التضمين

إِنْ أَلْقِيهَا تَتَلَقَّفُ كُلَّمَا صَنَعُوا ، إِذَا أَتَيْتُ بِسِحْرِ مِنْ كَلَامِهِمْ

الرجوع

أُطْلِتُهَا ضِمْنَ تَقْصِيرِي ، فَقَامَ بِهَا عُنْدِي، وَهَيْهَاتَ إِنْ الْعُدْرَ لَمْ يَقُمْ

براعة الختام

فَإِنْ سَعِدْتُ فَمَدَحِي فِيكَ مُوجِبُهُ ، وَإِنْ شَقِيتُ فَذَنْبِي مُوجِبُ النَّقْمِ

رَوَّ عِظَامِي

وقال رحمه الله تعالى يصف
أماكن ينفداد وخمرها :

رَوَّ عِظَامِي بِسُلَا فِي الْعَيْنِ الْمُرَوَّقِ
وَصَرَفِ الْمَهْمَ بَصَرٍ فِي مَائِهَا الْمُرَوَّقِ
وَلَا تُدْتَسُّهَا بِمَزْ جِ مَائِكَ الْمُرَوَّقِ
وَعَوِذِ الْكَأْسِ مِنْ هَاءِ بَرَبِ الْفَلَقِ
وَعَاطِنِهَا قَهْوَةً تَجْلُو ظِلَامَ الْغَسَقِ
وَأُسْقِي حَتَّى أَرَى الْفِيلَ بِقَدْرِ الْيَدَقِ^١
صَفَاءَ تَجْلُوهَا السَّقَا ةُ فِي زُجَاجٍ يَقْقِ
كَأَنَّهُا فِي كَأْسِهَا كَهَرَبَةٍ فِي زَيْقِ
تُجْلَى بِكَفِّ شَادِنٍ مُقَرَّطٍ مُقَرَّطِ^٢
يُشْرِقُ نُورُ وَجْهِهِ فِي قُرْطَقٍ مُخْلَقِ^٣
كَأَنَّهُ شَمْسُ النَّهَا رٍ فِي رِدَاءِ الشَّفَقِ
يُسْكِرُنَا مِنْ كَأْسِهِ ، وَلِحْظِهِ الْمُسْتَرِقِ
فَتَارَةً مِنْ قَدَحٍ ، وَتَارَةً مِنْ حَدَقِ

١ اليدق : طائر من الجوارح في حجم الباشق .

٢ المقرط : الملبس الأتراط ، ما يعلق بالأذن . المقرطق : الملبس القرطق ، وهو ضرب من الثياب

٣ المخلق : المطلي بالخلوق ، نوع من الطيب .

أما تَرَى الغَيْمَ الجَدِيدَ دَ مُحَدِّقًا بِالْأَفُقِ
فاشْرَبْ عَلَى جَدِيدِهِ مِنْ خَمَرِنَا الْمُعْتَقِ
فِي جَنَّتِي مُحَوَّلٍ ، وَبَاسِقٍ وَالْجَوْسِقِ
فَهِيَ مُرَادِي لَا رُبِّي إِلَّا سَتِيرٍ وَالْخَوَرَنَقِ
وَانْظُرْ إِلَى الْقَدَاحِ يَبِي دُو مِنْ خِلَالِ الْوَرَقِ
كَلُّوْهُ بِالْتَبْرِ فِي زُمَرْدٍ مُعَلَّقِ
وَالزَّهْرُ قَدْ مَدَّ لَنَا بُسْطًا مِنَ الْإِسْتَبْرِقِ
مِنْ أَحْمَرٍ ، وَأَصْفَرٍ ، وَأَخْضَرٍ ، وَأَزْرَقِ
وَالْمَاءُ بَيْنَ الرُّوضِ مِنْ مُقْبِدٍ ، وَمُطْلَقِ
وَالطَّيْرُ مِنْ مُحَوِّمٍ فِيهَا ، وَمِنْ مُحَلَّقِ
وَنَعْمَةُ الْبَلْبُلِ وَالْـ شَحْرُورِ وَالْمُطَوَّقِ
فَالْقَ الصَّبَاحَ بِالصَّبُو حَ قَبْلَ ضَوْءِ الشَّفَقِ
وَاجْلُدْجِي الظُّلُمَاءِ مِنْ نُورِ سَنَاهَا الْمُشْرِقِ
حَتَّى يُرِينَا أَدْهَمَ اللَّيْلِ لَ شَبِيهِ الْأَبْلَقِ
وَلَا تَخَفْ يَوْمًا عَلَى سَيِّءِ عَيْشِ الْمُحَلَّقِ
فَإِنَّ عِنْدِي فَضْلَةً مِنْ جُودِ آلِ أَرْتَقِ
قَوْمٌ بِفَيْضِ جُودِهِمْ رَدَّوْا بَقَايَا رَمَقِي
وَلَمْ تَزَلْ أَنْعَامُهُمْ قَلَائِدًا فِي عُنُقِي
لِذَاكَ أَجْلُو ذِكْرَهُمْ فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ
وَلَوْ أَرَدْتُ حَصْرَ بَعِ ضِ وَصْفِهِمْ لَمْ أَطِقِ

١ محول والباق والجوسق : أسماء أمكنة .

كتاب درر النحور

في امتداح الملك المنصور

قافية الألف

أبتِ الوصالَ مَخَافَةَ الرِّقَابِ ، وَأَنْتَكَ تَحْتَ مَدَارِعِ الظُّلَمَاءِ
أَصْفَتِكَ مِنْ بَعْدِ الصَّدُودِ مَوَدَّةً ، وَكَذَا الدَّوَاءُ يُسَكُونُ بَعْدَ الدَّاءِ
أَحْيَتْ بَزَوَرَتِهَا النُّفُوسَ ، وَطَالَمَا ضَنْتُ بِهَا ، فَقَضَتْ عَلَى الْأَحْيَاءِ
أَتَتْ بَلِيلٍ ، وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا دُرٌّ بِبَاطِنِ خِيَمَةِ زَرْقَاءِ
أَمَسَتْ تُعَاطِنِي الْمُدَامَ ، وَبَيْنَنَا عَتَبٌ غَنِيْتُ بِهِ عَنِ الصُّهْبَاءِ
أَبْكِي ، وَأَشْكُو مَا لَقِيتُ ، فَتَلْتَهِي عَنْ دُرِّ أَلْفَاظِي بَدْرَ بُكَاءِ
أَبَتْ إِلَى جَسَدِي لِتَنْظُرَ مَا انْتَهَتْ مِنْ بَعْدِهَا فِيهِ يَدُ الْبُرْخَاءِ
أَلْفَتْ بِهِ وَقَعَ الصَّفَاحِ ، فِرَاعِهَا جَزَعًا ، وَمَا نَظَرْتُ جِرَاحَ حَشَائِي
أَمْصِيَّةً مَنَا بَنَبَلٍ لِحَاطِهَا مَا أَخْطَأَتْهُ أَسْنَةُ الْأَعْدَاءِ
أَعْجَبْتُ مِمَّا قَدَرَايْتُ ، وَفِي الْحَشَا أَضْعَافُ مَا عَايَنْتِ فِي الْأَعْضَاءِ
أَمْسِي ، وَاسْتُ بِسَالِمٍ مِنْ طَعْنَةٍ نَجْلَاءَ ، أَوْ مِنْ مُقْلَةٍ كَحَلَاءِ
إِنَّ الصَّوَارِمَ وَاللِّحَاطَ تَعَاهَدَا أَنْ لَا أَزَالَ مُزْمَلًا بِدِمَائِي

أَجْنَتْ عَلَيَّ بِمَا رَأَيْتِ مَعَاشِرُ ،
أَكْسَبْتُهُمْ مَالِي ، فَمَذَّ طَلَبُوا دَمِي
أَبْعَدْتُ عَنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ رِكَائِي
أَرْجُو بِقَطْعِ الْيَدِ قَطْعَ مَطَامِعِي ،
أَدْرَكْتُهُ ، فَجَعَلْتُ أَلَمُ ، فَرَحَةً
أُضْحَى يَهْنِي الزَّمَانُ بِقَصْدِهِ ،
أَوْمَتْ إِلَيَّ مُشِيرَةً أَنْ لَا تَخَفُ ،
أُبَارِدِينَ تَخَافُ خَطْفَةَ مَارِدٍ ،
أُهَيْتُ عَنْ قَوْمِي بِمَمْلَكٍ عِنْدَهُ
لَئِنْ تَرَكْتُ النَّاسَ حِينَ وَجَدْتُهُ ،
الْمُرْتَقِي فَلَكَ الْفَخَارُ ، إِذَا اغْتَدَى ،
أَفْنَى جُيُوشَ عَدَاتِهِ بِخَوَافِقِ
أَسِيفُهُ نِقَمٌ عَلَى أَعْدَائِهِ ،
إِنْ حَلَّ حَلَّ النَّهْبِ فِي أَرْكَانِهِ ،
أُمُجْبَدِلَ الْأَبْطَالِ ، بَلْ يَا مُنْتَهَى
أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ فِي سَوَادِ مَطَالِبِي ،
أُرْقِي إِلَى عَرْشِ الرَّجَا رَبَّ النَّدَى ،

نَظَرُوا إِلَيَّ بِمُقْلَةٍ عَمِيَاءِ
لَمْ أَشْكُهُمْ إِلَّا إِلَى الْبَيْدَاءِ
مَتَنَقِّلًا كَتَنَقَّلَ الْأَفْيَاءِ
وَأَرُومُ بِالْمَنْصُورِ نَصَرَ لَوَائِي
بِوُصُولِهِ ، أَخْفَافَ نُوقِ رَجَائِي
وَيُشِيرُ كَفُّ الْعِزِّ بِالْإِيمَاءِ
وَابْشِرْ ، فَإِنَّكَ فِي ذُرَى الْعَلْيَاءِ
وَشِهَابُهَا فِي الْقَلْعَةِ الشَّهْبَاءِ
تَنْسَى الْبَنُونَ فَضَائِلَ الْآبَاءِ
تَرُكُ التَّيَمُّمَ فِي وُجُودِ الْمَاءِ
وَإِذَا بَدَأَ ، فَالنَّاسُ كَالْحِرْبَاءِ
رَأْيَاتٍ ، بَلْ بِسَوَاكِنِ الْأَرَاءِ
وَأَكْفُهُ نِعَمٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ
أَوْ سَارَ سَارَ الْخُلْفُ فِي الْأَعْدَاءِ
الْأَمَالِ ، بَلْ يَا كَعْبَةَ الشُّعْرَاءِ
حَتَّى أَتْنِي بِالْيَدِ الْبَيْضَاءِ
فَكَأَنَّ يَوْمِي لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ

قافية الباء

بدت لنا الراح في تاج من الحبب ،
 بكر ، إذا زوجت بالماء أولدها
 بقية من بقايا قوم نوح ، إذا
 بعبدة العهد بالمعصار ، لو نطقت
 باكرتها برفاق قد زهت بهم
 بكل متشح بالفضل متزير ،
 بل رب ليل غدا في الآهات غدت
 بذلت عقلي صداقا حين يت به
 بيتنا بكاساتها صرعى ، ومضربنا
 بعث أانا ، فلم ندر لفرحتنا
 بروضة ظل فيها الطل أدمعه ،
 بكت عليه أساكيب الحيا ، فغدا
 بسط من الروض قد حاكت مطارقها
 باتت تجود علينا بالمياه ، كما

فمزقت حالة الظلماء بالهيب
 أطفال در على مهد من الذهب
 لاحت جلت ظلمة الأحران والكرب
 لحدثتنا بما في سالف الحقب
 قبل السلاف سلاف العلم والأدب
 كأن في لفظه ضربا من الضرب
 تنقص فيه كؤوس وهي كالشهب
 أزوج ابن سحاب بابتة العنب
 بعيد أرواحنا من مبدل الطرب
 من نفخة الصور أم من نفحة القصب
 والدمر مبسّم عن ثغره الشنب
 جدلان يرفل في أثوابه القشب
 يد الربيع ، وجارتها يد السحب
 جادت يد الملك المنصور بالذهب

١ الضرب : العسل .

٢ قوله : في الآهات ، هكذا في الأصل .

٣ المضرب : ما يضرب به على العود .

٤ طل : أطر . الطل : الندى ، المطر الخفيف .

بحرٌ تَدَفَّقَ بِحَرِّ الجُودِ مِنْ يَدِهِ ،
 بادٍ بِبَذَلِ النَّدى قَبْلَ السَّوَالِ ، وَمَنْ
 بَدَرَ أَضَاءَ تُغُورِ المُلْكِ فابْتَسَمَتْ
 بَنَى المَعَالِي ، وَأَفْنَى المَالِ نَائِلُهُ ،
 بِبَاسِهِ أَضْحَتِ الأَيَّامُ جَازِعَةً ،
 بِأَسِّ يُذَكِّلُ صَعْبُ الحَادِثَاتِ بِهِ ،
 بِهِ تَنَاسَيْتُ مَا لَاقَيْتُ مِنْ نَصَبٍ ،
 بَادَرْتُهُ ، وَعُقَابُ الهَمِّ يَطْرُدُنِي ،
 بِكُمْ تَبَلَّجَ وَجْهُ الحَقِّ ، يَا مُلْكاً
 بَنَيْتَ لِلْمَجْدِ أَيْبَاناً مُشِيدَةً ،
 بَسَطْتَ فِي الأَرْضِ عِدلاً لَوْ لَه اتَّبَعْتُ
 بَلَغْتَ سَيْفَكَ فِي هَامِ العَدُوِّ ، كَمَا
 بَاشَرَ غَرَائِبَ أَشْعَارِي ، فَقَدْ بَرَزْتُ
 بِدَائِعٍ مِنْ قَرِيضٍ لَوْ أَتَيْتُ بِهَا
 بِقَيْتَ مَا دَارَتْ الأَفْلَاقُ فِي نِعَمٍ ،

فَأَصْبَحَ المُلْكُ يُزْهِو زَهْوَ مُعْتَجِبٍ
 فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ أَحْيَا ذِمَّةَ العَرَبِ
 بِهِ ، فَكَانَ لِثَغْرِ المُلْكِ كَالشَّنْبِ
 فَالْمُلْكُ فِي عُرْسٍ وَالمَالُ فِي حَرْبٍ
 فَلَا تُصَاحِبُ عُضْواً غَيْرَ مُضْطَرِبٍ
 فَأَصْبَحَ الدَّهْرُ يَشْكُو شِدَّةَ التَّعَبِ
 وَلَذَّةُ الشَّيْءِ تُنْسِي شِدَّةَ السَّغَبِ
 فَالْيَوْمَ قَدْ عَادَ كَالْعَنْقَاءِ فِي المَهْرَبِ
 بِهِ تَشَرَّفَ هَامُ المُلْكِ وَالرُّتَبِ
 وَلَمْ يُمَدِّ لَهَا لَوْلَاكَ مِنْ طُنْبٍ
 نَوَائِبُ الدَّهْرِ لَمْ تُعَذَّرَ ، وَلَمْ تَنْسُبِ
 أَنْشَيْتَ سَيْفَ العَطَا فِي قِمَّةِ النَّشَبِ
 إِلَيْكَ أَبْكَارُ أَفْكَارِي مِنَ الحُجُبِ
 فِي غَيْرِكُمْ كَانَ مَنَسُوباً إِلَى الكَذِبِ
 مَحْرُوسَةً مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَالنُّوبِ

قافية الناء

تابَ الزَّمانُ من الذَّنوبِ فَوَاتِ ، واغْنَمَ لذيذَ العَيْشِ قَبْلَ فَوَاتِ
 تَمَّ السُّرورُ بنا ، فَقُمْ يا صاحبي نَسْتَدْرِكِ المَاضِي بِنَهَبِ الآتِي
 نَاقَتُ إلى شُرْبِ المُدَامِ نُفُوسُنَا ، لا تَذْهَبُنْ بِطالَةِ الأوقاتِ
 تَوَجَّ بِكاساتِ الطَّلَى هامَ الرُّبَى ، في رَوْضَةٍ مَطْلُولَةِ الزَّهَرَاتِ
 تَعْدُو سُلَافُ القَطْرِ دائِرَةً بها ، والكأسُ دائِرَةً بِكَفِّ سَقَاةِ
 تَلَفُ النُّضارِ على العُقارِ غَنيمَتِي ، وفراغُ راحَتِي على الرِّاحاتِ
 تَرَكِي لأَكياسِ النُّضارِ جَهاًلَةً ، مَن ذا أَحَقَّ بها من الكاساتِ
 تَبْتَيدُ مَن تابَ عن رَشْفِ الطَّلَى ، والكأسُ مُتَقِدٌ كَخَدِّ فَتاةِ
 تَبْرِيرَةٍ لولا مُلَازِمَتِي لها أَصْبَحْتُ مَعْصوماً من الزَّلاتِ
 تابِعْ إلى أوقانِها داعي الصِّبَا ، واعجَبْ لِمَا فيها من الآياتِ
 تَمَمَّ بها نَقصُ السُّرورِ ، فإنَّها عِنْدَ الكِرامِ ، تَمِيمَةُ اللِّذاتِ
 تَلَكَّ الحَمائلُ والرِّياضُ كَأَنَّها خَدُّ الغُلامِ مُنَمَّقٌ بِنِباتِ
 تَبْدُو . وقد يَبْدُو النَّدَى بِمَتونِها صَدًا ، فَتَلَقَّطُهُ يَدُ النِّسَماتِ
 تَسْري على صَفحاتِها رِيحُ الصِّبَا ، بِسَحائبٍ مَنهَلَةٍ العِبراتِ
 تَسْتَلِّ فيها للبرُوقِ صَوارِمًا ، كَصَوَارِمِ المَنصُورِ في الغاراتِ
 تَعِيبُ لِتَحْصِيلِ الثَّناءِ مُجَرَّدٌ ، لِلْمَجْدِ عَزمًا صادِقَ اللَّحْظَاتِ

١ وات ، لغة في آت من آتاه : وافقه .

تَبِيعَ الْهَوَى قَوْمٌ ، فَكَانَ هَوَاهُ فِي
تَرَكَ الْكَتَائِبَ فِي السَّبَاسِ شُرْدًا ،
تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ بِحُسْنِ خَلَاقِهِ ،
تَاهَتْ بِهِ الدُّنْيَا ، وَلَوْلَا جُودُهُ ،
تَبْكِي خَزَائِنُهُ عَلَى أَمْوَالِهِ ،
تَتَبَسَّمُ الْأَيَّامُ عِنْدَ بُكَائِهَا ،
تَسْمُو بِهَيْمَتِكَ ابْنُ أَرْتَقَى هَيْمَةً
تُرْدِي صُرُوفَ الدَّهْرِ وَهِيَ سَوَاكُنْ ،
تَاقَتْ إِلَيْكَ قُلُوبُ قَوْمٍ أَصْبَحَتْ
تَرَكَوا عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ دِيَارَهُمْ
يُهْدِي إِلَيْكَ الْمَادِحُونَ جَوَاهِرًا ،
تَحْلُو صِفَاتُكَ فِي الْقُلُوبِ ، كَأَنَّهَا
تِهَ فِي الْأَنَامِ ، فَلَا بَرَحَ مُؤْمَلًا ،

طَلَبَ الْعُلَى وَتَجَنَّبَ الشَّهَوَاتِ
فَتَرَى الزَّمَانَ مُقَيَّدَ الْخُطَوَاتِ
وَسَنًا ، فزَادَ الْحُسْنَ بِالْحَسَنَاتِ
كَانَ الْأَنَامُ هَبًا بَغَيْرِ هِيَاتِ
مِنْ حَرِّ قَلْبٍ دَائِمٍ الْحَسَرَاتِ
فَكَأَنَّهِنَّ بِهَا مِنْ الشَّمَاتِ
حَفَّتْ بِأَلْوِيَةٍ مِنَ الْعَزَمَاتِ
إِنَّ السَّكُونَ لَهَا مِنَ الْحَرَكَاتِ
تُلْقِي إِلَيْكَ مَعَارِقَ الْفَلَكَاتِ
وَسَعَوْا إِلَيْكَ ، فَأَحْدَقُوا بِفُرَاتِ
مَنْظُومَةٍ كَقَلَائِدِ اللَّبَّاتِ
جَاءَتْ لِمَعْنَى عَارِضٍ فِي الذَّاتِ
تَجْلُو الْجُفُونِ وَتَمْلَأُ الْجَفَنَاتِ

١ قوله : معارق ، هكذا في الأصل ، والمعنى غامض .

قافية الثاء

ثِقَتِي بِغَيْرِ هَوَاكُمُ لَا تَحْدُثُ ، وَيَدِي بِحَبْلِ وَصَالِكُمْ تَتَشَبَّثُ ،
ثَبُتَتْ مَغَارِسُ حُبِّكُمْ فِي خَاطِرِي ، فَهُوَ الْقَدِيمُ ، وَكُلُّ حُبٍّ مُحْدَثُ
ثَنَّتِ الْعُهُودُ أَعْيُنِي عَنْ غَيْرِكُمْ ، فَعُقُودُهَا مَنَظُومَةٌ لَا تُنَكَّثُ
ثَلَجَتْ عَلَى حِفْظِ الْوَدَادِ قُلُوبُنَا ، وَلَطَى الْهَوَى بِضِيَائِهَا يَتَارَثُ^١
ثَقُلَ الْهَوَى ، وَإِنْ اسْتُلِذْتُ ، فَإِنَّهُ دَاءٌ بِهِ تَبْلَى الْعِظَامُ^٢ وَتَشَعَثُ^٣
ثُوبٌ خَلَعْتُ الْعِزَّ حِينَ لَبِيسْتُهُ ، إِذْ كَانَ إِذْ ذُلُّ الصَّبَابَةِ يُورَثُ
ثَلَبَ الْوَرَى عِرْضِي الْمَصُونِ وَحَبْدَا لَوْ صَحَّ مَا قَالَ الْعِدَى وَتَحَدَّثُوا
ثَارُوا بِنَا ، فَطَفِيقْتُ حِينَ أَرَاهُمْ ، حَذِرًا أَذْكَرُ ذِكْرِكُمْ ، وَأَوْثَنُ
تَكِيلَ الْوَرَى طَرَفِي الْمُسَهَّدَ فَابْعَثُوا طَيْفَ الْخِيَالِ إِلَيَّ ، أَوْ لَا تَبْعَثُوا
تَجَّ الْهَوَى ، فَأَنَا الْغَرِيقُ بُلُجَّةٍ ، لَكِنِّي بِحِبَالِكُمْ أَتَشَبَّثُ^٣
تَلَمَّ الْهَوَى حَدِّي ، وَكُنْتُ مَهْنَدًا مَاضِي الْغِرَارِ بِغِمْدِهِ لَا يَمَكُّثُ
تَمَّ اغْتَدْتُ أَيْدِي ابْنِ أَرْتَقِ قِصَّتِي ، كُلُّهَا ، بَيْنَ الْأَنَامِ ، يُحَدَّثُ
ثَبَّتُ الْجَنَانُ يَكَادُ يُبْعَثُ مُرْسَلًا لَوْ أَنَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ مَنْ يُبْعَثُ
تَغَرُّ الْفَلَا مِنْ نُورِهِ مُتَبَسِّمٌ ، وَفَمُ الزَّمَانِ بِفَضْلِهِ مَتَحَدَّثُ

١ ثلجت : ارتاحت . يتارث : يتوقد .

٢ تشعت : تنتشر .

٣ تج : سال .

ثَخُنْتُ جراحُ النُّجْلِ منهُ وبعدها
 ثُرِمْتُ ثُغُورُ المُلْكِ ، لولا أَنَّهُ
 ثُهلانُ ، إنْ عُدَّ الحُلُومُ أوْ النُّهْيُ ،
 ثَمْنُ البَحَارِ السَّيِّعِ جُودُ يَمِينِهِ ،
 ثَانِي عِنانِ الحَادِثَاتِ ، وفَارِسُ
 ثَوْتِ الخُطُوبِ مَخَافَةً مِنْ بَأْسِهِ ،
 ثَمَلٌ بِصَهْبَاءِ السَّمَاحِ ، فَهَمَّةُ
 ثَمَرَاتِ مَجْدٍ مَدَّةً نَحْوَ قِطَافِهَا
 ثَقِفْتُ زَيْغَ المُلْكِ يَا نَجْمَ الهُدَى
 ثَبُّ العُلَى واستَخدمِ الدَّهْرَ الَّذِي
 ثُبْنَا إِلَيْكَ عَلَى هِجَانِ ضُمُرٍ ،
 ثَارَتْ بِنَا تَطْوِي القِفَارَ ، فعندَما
 ثَمَّ اقْتَسَمْنَا بالسَّرُورِ ، وأَشْرَكَتْ
 ثِقَّةً بِأَنْ يَدَّ الرَّدَى ، إنْ غَادَرَتْ
 ثَبَّتَتْ ، ولو حَلَفْتُ بِأَنَّكَ نَاعَشُ

وافى وَوَجْهَ الحُورِ أَغْبَرُ أَشْعَثُ^١
 يُنْشِي لها العَدْلَ العَمِيمَ وَيُحْدِثُ^٢
 بَحْرًا ، إِذَا عُدَّ النَّدَى والمَبْحَثُ
 وَجَبِينُهُ لِلنَّيِّرَيْنِ يَثَلَّتْ
 أَمْسَى جَوَادُ الدَّهْرِ مِنْهُ يَلْهَثُ
 صَرَعى ، وَذَكَرَ بِهَا الزَّمانُ الأَحْنَثُ^٣
 مالٌ يُقَسَّمُ ، أوْ عِلْمٌ تُبْحَثُ
 كَفًّا بِإِسْدَاءِ الصَّنَائِعِ تَعَبْتُ
 بِأَسَنَةِ سَمِّ المَنِيَةِ تَنْفُتُ
 إِنْ تَدْعُهُ المُلِمَّةُ لا يَلْبَثُ
 شَبَّ القِسيِّ إِلَى حِمَاكَ تُحَثِّثُ
 آنَسْتُ نَارَكَ قَلْتُ لِرَكْبٍ : امْكُثُوا
 فِي طَيْبِ بُشْرانا النِّيَاقُ الدُّلْتُ^٤
 مَيْتًا ، فعندَكَ بالمَكَارِمِ يُبْعَثُ
 بِنَوَالِكِ الأرواحِ لَمْ تَكُ تَحْنُثُ

- ١ ثخن : صلبت ، ولعله أراد بها كانت ثخينة أي بالغة. النجل، الواحدة نجلاء : الواسعة العين الحسنها . الحور ، الواحدة حوراء : التي اشتد بياض بياض عينيها وسواد سوادهما .
- ٢ ثرمت : كسرت .
- ٣ الأحنث : المائل إلى الباطل .
- ٤ الدلت : المقاربة الخطو .

قافية الجيم

جاءتْ لَتَنْظُرَ ما أَبَقَتْ من المَهْجِ ، فَعَطَّرَتْ سائِرَ الأَرْجاءِ بِالْأَرْجِ
 جَلَّتْ عَلَيْنَا مُحِيًّا لو جَلَّتْهُ لَنَا في ظُلُمَةِ اللَّيْلِ أَغْنانا عَنِ السُّرْجِ
 جَمِيلَةُ الْوَجْهِ ، لو أَنَّ الْجَمَالَ بها يُؤَلِي الْجَمِيلَ لِأَشْجَتْ فَوَدَّ كُلَّ شَجِ
 جُورِيَّةُ الْخَدِّ يُحْمَى وَرَدُ وَجْنَتِهَا بِحَارِسٍ مِنْ نَبالِ الْغُنْجِ وَالْدَعَجِ
 جازَتْ إِسَاءَةَ أَفْعالِي بِمَغْفِرَةٍ ، فَكانَ غُفرائِها يُغْنِي عَنِ الْحِجَجِ
 جارتْ لِعِرْفانِها أَنِّي المَرِيضُ بها ، فَمَا عَلَيَّ إِذا أَذْنَبْتُ مِنْ حَرَجِ
 جَسَتْ يَدِي لَتَرى ما بي فَقُلْتُ لها : كُفِّي ، فَذاكَ جَوَى لَوْلَاكَ لَمْ يَهْجِ
 جَفَوْتَنِي ، فرَأَيْتُ الصَّبْرَ أَجْمَلَ بي ، والصَّمْتُ بِالْحَبِّ أَوْلَى بي مِنَ اللَّهْجِ
 جارتْ لِحَاضِكَ فِينا غَيْرَ راحِمَةٍ ، وَلَذَّةُ الْحَبِّ جَوْرُ النَّاطِرِ الْغَنِجِ
 جوري ، فلا فَرَجاً لي مِنْ عَذابِكَ لي ، إِلَّا يَدَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ بِالْفَرَجِ
 جوادُ كَفَّ تَرَوُعُ الدَّهْرِ سَطَوْتُهُ ، فلا تُصاحِبُ عُضْواً غَيْرَ مُخْتَلِجِ
 جَدَّتْ لِيما تَرْتَضِي العَلِياءُ هِمَّتَهُ ، فالْمَلِكُ في رَقَدَةٍ ، وَالْحَرْبُ في رَهْجِ
 جَنَتْ عَلَى مالِهِ أَيْدِي مَكَارِمِهِ ، فلا يَبِيْتُ بِطَرْفٍ غَيْرِ مُتَزَعِجِ
 جُهِدُ الْمَوَاهِبِ أَنْ تَغْنَى خَزائِنُهُ ، حَتَّى كَأَنَّها ضَرْباً مِنَ اللَّجَجِ
 جَدَّتْ إِلَيْهِ بَنُو الْأَمالِ مَسْرِعَةً ، فَأَكْثَرُوا نَحْوَهُ بِالسَّعْيِ وَالْحِجَجِ
 جَوْنٌ إِذا شِمَتْ بَرَقَ السَّيْفِ مِنْ يَدِهِ تَراهُ مُنْبَلِجاً في كَفِّ مُنْبَلِجِ

جَنَى ثِمَارَ الْمَعَالِي حِينَ حَاوَلَهَا ،
 حَالَتْ قِنَاءُ الْمَنَايَا فِي مَضَارِبِهِ ،
 جَزِيًّا لِّمَا الْفَتَحَ ، غَايَاتِ الْفَخَارِ ، فَقَدْ
 جَلَلَتْ حَتَّى لَوْ أَنَّ الصَّبْحَ لُحِتَ بِهِ
 جَرَدَتْ أَسْيَافُ نَصْرِ أَنْتَ جَوْهَرُهَا ،
 جَبَّرْتَ كَسَرَ الْمَعَالِي يَا ابْنَ بَجْدَتِهَا
 جَمَارُ نَارٍ ، وَلَكِنْ مِنْ عَوَائِدِهَا
 جَوَازِمٌ إِنْ أَرَدْتَ الْبَطْشَ كُنْ يَدًا ،
 جَلَوْتَ كَرَبَ الْوَرَى بِالْمَكْرُمَاتِ ، كَمَا
 جَعَلْتَ جُودَكَ دُونَ الْوَعْدِ مُعْتَرِضًا ،
 جِئْنَاكَ ، يَا مَلِكَ الدُّنْيَا ، وَوَاحِدَهَا ،
 جُزْنَا الْبِلَادَ ، وَلَمْ نَقْصِدْ سِوَاكَ فَتَى ،
 جَمَعْتَ فَضْلًا ، فَلَا فَرَقَتَهُ أَبَدًا ،

بَصَارِمٍ مَا خَلَا فِي الْحَرْبِ مِنْ هَرَجٍ ١
 فَظَلَّ يُنْقِصُ أَبْكَارًا مِنْ الْمُهْجِ
 أَمْسَكَتَ طُلَّابَهُ فِي مَسْلَكِ حَرَجِ
 وَقُلْتَ: قِفْ لَا تَلْجُ فِي اللَّيْلِ لِمَ يَلْجِ
 فِي حَالِكٍ مِنْ ظَلَامِ النَّقْعِ مُتَتَسِّجِ
 بِهَا وَقَوِّمَتْ مَا بِالْدِّينِ مِنْ عِوَجِ
 أَطْفَاءُ مَا فِي صُدُورِ الْقَوْمِ مِنْ وَهْجِ
 وَإِنْ رَقِيتَ الْمَعَالِي كُنْ كَالدَّرَجِ
 جَلَوْتَ تِلْكَ الرَّدَى بِالْمَنْظَرِ الْبَهْجِ ٢
 وَوَعَدُ غَيْرِكَ ضَيْقٌ غَيْرُ مُنْفَرَجِ
 نَوْمٌ بِالذَّرِّ نُهْدِيهِ إِلَى الشُّجْعِ
 مَنْ يَحْظَ بِالذَّرِّ يَسْتَعْنِ عَنِ السَّبْجِ ٣
 أَنْتَ الْفَرِيدُ وَجُلُّ النَّاسِ كَالْهَمَجِ

١ الهرج : البهر . ويسكون الراء : القتل .
 ٢ قوله : تلك الردى ، هكذا في الأصل .
 ٣ السج : الخرز الأسود .

قافية الحاء

حيّ الرّفاقَ ، وطُفْ بكأسِ الرّاحِ ، واطرزْ بكأسِ حلّةِ الأفراحِ^١ ،
 حُتّ الكؤوسَ إلى جُسومٍ أصبَحَتْ فيها المُدّامُ شريكَةَ الأرواحِ
 حاشِ المُدّامَ ، وعاطِني مَشْمُولَةً ، ظَلَّتْ فسادِي وهي عَيْنُ صلاحِي
 حمراءُ ، لو تركَ السّقاءُ مِزاجَها ، أُمِسَتْ لَنَا عِوَضاً عن المِصباحِ
 حجبَ الحِبابِ شُعاها ، فكأنّه شَفَقٌ تَلَهَّبَ تحتَ ذيلِ صِباحِ
 حَبَبٌ ، تَظَلُّ بهِ الكؤوسُ كأنّها خَضِرُ الفَتاةِ مُمَنطَقاً بوشاحِ
 حُكَمَ الزّمانُ ، وغَضَّ عَنّا طَرفَه ، يا صاحِ لا تَقْنَعْ بأنّكَ صاحِ
 حقُّ الصّبا دينٌ عَلَيكَ فَادَةٌ ، بالشّربِ بَيْنَ خَمائِلٍ ورَداحِ^٢
 حاكِ الحَيّا حُلُلَ الرّبيعِ ، فَعَطَرَتْ نَشَرَ الصّبا بِأريجِها الفَيّاحِ^٣
 حُلُلٌ ، إذا بَكَتِ السّحائبُ أَشْرَقَتْ بِخُدودِ وَرْدٍ ، أو تُغَوِّرُ أَفاحِ
 حَيّا الحَيّا بِأريجِها ، فترتَحَتِ أعطافُها من غَيرِ نَشوَةِ راحِ
 حَمَلَتْ ، فأشَرَقَ زَهْرُها ، فَكأنّما ضَرَبَتْ مَعاصِمَها يَدُ القَداحِ
 حَبَكَ الهَنا بِسمائِهِنَّ خَمائِلاً ، تَنقَضُ فيها أنجُمُ الأقداحِ
 حُزْنَا السّروَرِ بها ، وبِيتِنا نَجَتَلي بَنَتِ الكُرومِ بِغَيرِ عَقَدِ نِكاَحِ

١ قوله : اطرز ، هكذا في الأصل .

٢ الرَداح : الضخمة المؤخرة .

٣ الفَيّاح : الفياض ، ولعلها الفواح .

حَتَّى الزَّمَانُ بِجُودِهِ أَجْيَادَنَا ،
 حَتَّى انْتَهَبْنَا الْعَيْشَ حَتَّى كَانَتْهُ
 حَامِي النِّزِيلِ ، إِذَا أَلَمَ بَرَبِّهِ .
 حُسْنَتْ بِهِ الدُّنْيَا . فَكَانَ أَدِيمُهَا
 حُكْمٌ رَضِيْتُ بِهِ فَمَدَّ سَمَاحَةً
 حَلَّتْ مَكَارِمُهُ عِقَالَ خِصَاصَتِي ،
 حَارَبْتُ دَهْرِي ، مُذْ حَلَلْتُ بَرَبِّهِ ،
 حَسْبِي ، إِذَا رُمْتُ الْفَخَارَ مِنَ الْوَرَى ،
 حَمَلْتُ ، نَجْمَ الدِّينِ ، أَعْنَاقَ الْوَرَى
 حَكَمْتُ فِي الْأَمْوَالِ آمَالَ الْعِدَى ،
 حَازَ الْعُلَى ، فَسَرَى بِصَارِمِ عَزْمِهِ
 حَزَمٌ فَتَحَتْ بِهِ الْأُمُورَ ، وَإِنَّهَا
 حَجَّتْ إِلَيْكَ بَنُو الرَّحِيلِ لِعِلْمِهِمْ
 حَرَمٌ ، إِذَا حَلَّ الْوُفُودُ بَرَبِّهِ .
 حَمْدُوكَ جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ ، وَأَثَبْتُوَا

وَسَخَا . فَالْبَسْنَا ثِيَابَ مِرَاحِ
 مَا لُ ابْنِ أُرْتُقَ فِي يَدِ الْمُدَّاحِ
 مُحْيِي الْأَنَامِ بِجُودِهِ السَّحَّاحِ
 عُطْلًا مِنْ التَّجْمِيلِ وَالْأَوْضَاحِ
 ضَيْقِي ، وَحَيَّا جُودَهُ بِفَلَاحِ
 إِذْ رَاشَ مِنْ بَعْدِ الْخُمُولِ جَنَاحِ
 وَجَعَلْتُهُ عِنْدَ الْمَضِيقِ سِلَاحِ
 مَعْدَايَ فِي أَكْنَافِهِ وَرَوَاحِ
 مِينًا جِسَامًا مِنْ نَدَى وَسَمَاحِ
 وَجَعَلْتُ شُرْبَ الْمَجْدِ غَيْرَ صَبَاحِ
 يُغْنِيكَ عَنْ خَطِيئَةٍ وَصِفَاحِ
 كَالْقُفْلِ مُحْتَاجٍ إِلَى الْمِفْتَاحِ
 حَقًّا بِأَنْتَ كَعَبَةِ الْمُدَّاحِ
 قُرْنَتْ عَوَاقِبُ سَعِيهِمْ بِنَجَاحِ
 لَعْلَاكَ شُكْرًا مَا لَهُ مِنْ مَاحِ

١ في قوله : حتى كأنه اختلال في الوزن .

٢ خصاصتي : فقري .

قافية الحاء

خيالُ سرى والنجمُ في القُربِ راسخُ ، ومن دونِ الحبيبِ فراسخُ
 خطاءُ كماءِ البِيدِ يتجري ، وبيننا
 خفي الخطي وافى لينظرَ هل غفّت
 خف الله ، يا طيفَ الخيالِ ، فإنّها
 خطرت إلى ميت الغرامِ ، منكسماً
 خطيبُ ، فهل عيسى بنُ مريمَ جاءه
 خض الليلَ واقصد من أحبّ وقل له
 خشيتُ انفساخَ العهدِ عني ، وإنني
 خرجتُ من الدنيا بودك قانِعاً ،
 خسرت ، ولم تعلم بأنّ عزائي
 خيامي على هامِ السماكِ عليّةٌ ،
 خلا الملكُ المنصورُ لي فأحلّني
 خطّت بي إليه همّتي ، فورَدتهُ ،
 خلعتُ نعالَ الشكِّ في قدسِ ربيعِهِ ،
 خلصتُ من الأهوالِ لما لقيتهُ ،

أَلَمْ ، ومن دونِ الحبيبِ فراسخُ
 هِصابُ الفَيّاني ، والجبالُ الشّوامخُ^١
 عيوني وهل جفّت جفوني النّواضخُ^٢
 بماءِ حياتي لا بدّ معي فواضخُ^٢
 له بعدما ناحتُ عليه الصّوارخُ
 لينطيقه أم أنت في الصّورِ نافخُ
 سأكتم ما بي ، وهو في القلبِ راسخُ
 لعهدك ، لا والله ، ما أنا فاسخُ
 وأنت لأضدادي بوصلِكَ راضخُ
 لأشباحِ همّتي بالسّروِرِ نواسخُ
 وقدري على متنِ المجرّةِ شامخُ
 محلاً له تُغنو الجبالُ البواذخُ
 فلا السّعي مدمومٌ ولا السّورُ شامخُ
 فمن تُربيه كُنتي لحدّي لاطخُ
 فبتُ منيعاً ، والخطوبُ شوائخُ

١ قوله : خطاء كماء البِيد ، هكذا في الأصل ، والمعنى غامض .

٢ فواضخ : دافقة .

خَشِيتُ عَلَى الْآرَاكِ سَطْوَةَ بَاسِهِ ،
خَلِيفَةُ عَصْرِ لَيْسَ يُنْسَخُ جُودُهُ ،
خَصِيبٌ إِذَا مَا الْأَرْضُ صَوَّحَ نَبْتُهَا ،
خَلَّاثُكُهُ بَيْضٌ ، إِذَا هُمْ قَاصِدٌ ،
خِصَالٌ حَوَاهَا مِنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ ،
خَزَائِنُهُ مَبْدُولَةٌ ، وَأَكْفَهُ
خِطَابُكَ ، نَجْمُ الدِّينِ ، خَطَبٌ عَلَى الْعَدَى
خَشِيتُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي الْحَرْبِ مَلَمَسًا ،
خُلِقْتَ رِضَى الْعَلِيَا ، وَوَجْهُكَ وَاضِحٌ ،
خَبِيرٌ بِأَمْرِ الْمَلِكِ ، عَدْلُكَ بَاسِطٌ ،
خَفَضْتَ اللَّهُمَّ كِي تَرْفَعِ الدَّلَّ بِالنَّدَى ،
خُصِصَتْ بِقَلْبٍ فِي الشَّدَائِدِ جَامِدٍ ،
خُذِ الْمَدْحَ مِنِّي ، وَابْقِ لِلْحَمْدِ سَالِمًا ،
خَلِيٌّ ، يَصُوغُ الْمَدْحَ فِيكَ قَلَائِدًا ،

وَأَطْوَادُ رَضَوَى دُونَهَا وَالشَّمَارِخُ
وَيَغْتَاطُ مِنْهُ مَالُهُ الْمُتَنَاسِخُ
حَلِيمٌ ، إِذَا أَخْفَى الْمُلُومَ الرُّوَاسِخُ
وَأَسْيَافُهُ حُمْرٌ ، إِذَا هُمْ صَارِخُ
وَأَكْسَبَهُ أَسْيَافُهُ وَالْمَشَايِخُ
بِحَارُ النَّدَى ، مَا بَيْنَهُنَّ بَرَارِخُ
فَكَيْفَ إِذَا سُلَّتْ طُبَاكَ النِّوَاصِخُ
وَعَصْنُكَ غَضٌ فِي الشَّيْبَةِ شَارِخُ
وَجُودُكَ سَحَّاحٌ ، وَمَجْدُكَ بَاذِخُ
وَعِلْمُكَ فَيَاضٌ ، وَحِلْمُكَ رَاسِخُ
فَأَنْتَ لَالِ الْجُودِ بِالْجُودِ نَاسِخُ
فَزَانِكَ كَفٌّ بِالْمَكَارِمِ نَاصِخُ
هَنِيئًا لَذِكْرِ عَرَفُهُ بِكَ فَائِخُ
وَيُشِيدُهُ رَاوٍ ، وَيَكْتُبُ نَاسِخُ

١ الشارح ، من شرح الصبي : صار شاباً .

قافية الدال

دَمْعٌ مَزَائِدُ قَطْرِهِ لَا تَجْمَدُ ، أَنَّى ، وَنَارُ صَبَابَتِي لَا تَخْمَدُ
 دَامَ الْبُعَادُ ، فَلَا أَزَالُ مُكَابِدًا دَمْعًا يَذُوبُ ، وَزَفْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
 دَاءٌ تَأْبَدُ فِي الْفُؤَادِ مُحْخِيْمٌ ، أَعْيَا الْأُسَاةَ ، وَمَلَّ عَنْهُ الْقُوْدُ
 دَعْنِي أَمُوتْ بَعْدَ سُكَّانِ الْحِمَى بِصَبَابَتِي ، كَمْ جُهِدَ مَا أَتَجَلَّدُ
 دَارَ الْأُحْبَةِ جَادَ مَغْنَاكَ الْحَيَا وَتُرَابُ رَبْعِكَ لِلنَّوَاطِرِ لِإِثْمِدُ
 دُونَ أَزْدِيَارِكَ خَوْضُ أَغْمَارِ الرَّدَى وَالسَّمَرُ تُشْرَعُ ، وَالصَّفَاحُ تُجَرَّدُ
 دِمْنٌ لَنَا فِي الْجَامِعِينَ تَنْكَرَتْ ، مِنْ بَعْدِهَا ، أَعْلَامُهَا وَالْمَعْهَدُ
 دَرَسَ الزَّمَانُ جَدِيدَهَا يَبْدُ الْبَلَى فَالْقَلْبُ يَبْلَى ، وَالْهَوَى يَتَجَدَّدُ
 دَارَتْ عَلَى سُكَّانِهَا كَأْسُ الرَّدَى سَكِرُوا بِهَا فَعَدَا الزَّمَانُ يُعْرَبِدُ
 دَعَتْ النُّوَى بِفِرَاقِهِمْ ، فَتَفَرَّقُوا ، وَقَضَى الزَّمَانُ بَيْنَهُمْ ، فَتَبَدَّدُوا
 وَهَمَّتْ مِنَ الدَّهْرِ الْخَوَوْنَ عَلَيْهِمْ نُوبٌ عَلَى أَيْدِي الزَّمَانِ لَهَا يَدُ
 دَهْرٌ ذَمِيمٌ الْحَالَتَيْنِ ، فَمَا بِهِ شَيْءٌ سِوَى جُودِ ابْنِ أَرْتَقٍ يُحْمَدُ
 دَامَ الْخَلَائِقُ يَمْتَطُونَ بِهِ الْعُلَى وَيَبِيتُ مِنْهُ الدَّهْرُ ، وَهُوَ مُسْهَدُ
 دِرْعٌ بِهِ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ مُدْرَعٌ ، سَيْفٌ بِهِ الدِّينُ الْحَنِيفُ مُقْلَدُ
 دَانِي النَّوَالِ ، فَلَا يُنَالُ مُقَامُهُ ، قَاضِي الْمَنَالِ ، وَرِفْدُهُ لَا يَبْعُدُ

المزائد ، الواحدة مزادة : جلود يضم بعضها إلى بعض ويوضع فيها الماء .

دِيمَ الدَّماءِ تَسْحُجُ مِنْ أَسِيفِهِ
 دَفَعَ الْخُطُوبَ عَنِ الْأَنَامِ بَعْدِلِهِ ،
 دَعَا مَنْ سِوَاهُ وَلِئْذَ بِكَعْبَةِ جُودِهِ ،
 دُمُ فِي سَمَاءِ الْمُلْكِ ، يَا نَجْمَ الْعُلَى ،
 دَبَّرْتَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ، فَطَوَّقُوا ،
 دَاوَيْتَ أَضْعَافَ الصَّدُورِ بِصَارِمٍ ،
 دَبَّتْ نِيْمَالُ الْمَوْتِ فِي شَفَرَاتِهِ ،
 دَاعٍ ، إِذَا مَا قَامَ يَوْمًا خَاطِبًا ،
 دَامِي الْمَضَارِبِ لَوْ عَكَسْتَ شُعَاعَهُ
 دَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَمَنْظَرُ وَجْهِهَا
 دُكَّتْ بِكَ الْأَرْضُ وَنَحْنُ حِينَ حَلَلْتَهَا .
 دَنَّتِ الْمَطِيُّ بِنَا إِلَيْكَ بِحَدَّةٍ ،
 دَانَيْتُ رَبْعَكَ وَالْأَعَادِي شُمَّتْ ،
 دُسُّ هَامَةِ الْعَلْيَاءِ وَابَقَ مُمْلَكًا

طَوْرًا ، وَيُمْطِرُ مِنْ يَدَيْهِ الْعَسَجَدُ
 وَرَعَى الْعِبَادَ بِمُقْلَةٍ لَا تَرْقُدُ
 فَجَنَابُهُ لَذَوِي الْمَطَالِبِ مَقْصَدُ
 إِنَّ الْعِبَادَ بِالْجُودِ كَفَّكَ أَعْبُدُ
 بِنْدَاكَ ، أَطَوَّقَ الْحِمَامِ ، فغَرَدُوا
 مَاءُ الْمَنُونِ بِمَتْنِهِ يَتَجَعَّدُ
 وَجَرَى الْحِمَامُ بِحَدَّةٍ يَرْدَدُ
 فَالْهَامُ تَرَكَّعَ وَالْجَمَاجِمُ تَسْجُدُ
 فَوْقَ الْجِبَالِ ، لَذَابَ مِنْهُ الْجَلْمَدُ
 طَلَّقَ . وَخَدُّ الدَّهْرِ مِنْهُ مَوْرَدُ
 فَعَلَيْكَ تَغْبِطُهَا السَّمَاءُ وَتَحْمَدُ
 فَلَهَا عَلَيْنَا مِثَّةٌ لَا تُجْحَدُ
 فَرَجَعْتُ عَنْهُ وَالْوَرَى لِي حُسَدُ
 أَبَدًا يَحُلُّ بِكَ الزَّمَانُ وَيَعْقُدُ

قافية الذال

ذَكَرَ الْعُهُودَ فَأَسْهَرَ الطَّرْفَ الْقَذِي صَبَّ بَغِيرٌ حَدِيثَكُمْ لَا يَغْتَذِي
 ذَاقَ الْهَوَى صِرْفًا ، فَأَعْقَبَ قَلْبَهُ فِكْرَ الصُّحَاةِ ، وَسَكْرَةَ الْمُتَنَبِّذِ
 ذَمَّ الْهَوَى لَمَّا تَذَكَّرَ إِلْفَهُ ، بِالْجَامِعِينَ ، وَحَبْلَهُ لَمْ يُجْدِ
 ذَرَّ النَّسِيمُ عَلَيْهِ مِنْ أَكْنَفِهِ نَشَرَ الْعَبِيرِ فَشَاقَهُ الْعَرْفُ الشَّدِي
 ذَابَتْ بِكُمْ ، يَا أَهْلَ بَابِلَ ، مُهْجَتِي فَتَنَغَصَّتْ بِالْعَيْشِ بَعْدَ تَلَكُّذِ
 ذَهَبَ الْوَقَا بَعْدَ الصَّفَاءِ ، فَمَا عَدَا ؟ وَوَعَدْتُمُونِي بِالْوِصَالِ فَمَا الَّذِي ؟
 ذَبُلْتُ غُصُونُ الْوَدِّ فِيمَا بَيْنَنَا ، وَجَرَى الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْهُ تَعَوُّذِي
 ذَابَ الْكَرَى عَنْ نَظَرِي بِفِرَاقِكُمْ ، وَلَكُمْ جُلُوتُ بُنُورِكُمْ طَرَفِي الْقَذِي
 ذَلَّتْ بِكُمْ رُوحِي ، وَكُنْتُ مُمْتَنِعًا فِي صَفْوِ عَيْشٍ عِزَّةٌ لَمْ يُفْلَدِ
 ذُلُّ عِلَانِي ، وَالْعِدَاةُ عَزِيزَةٌ ، لَوْلَمْ يَكُنْ جُودُ ابْنِ أَرْتَقَ مُنْقَذِي
 ذَاكَ الَّذِي بَسَطَ الْمُهَيِّمِينَ كَفَّهُ فِي أَنْعُمِ الدُّنْيَا ، وَقَالَ لَهَا : خُذِي
 ذَوْرَا حَتَيْنِ : هُمَا الْمَنِيَّةُ وَالْمُنَى ، يَسْطُو بِتِلْكَ وَيَبْذُلُ النِّعْمَى بِذِي
 ذَاكِي الْعَزَائِمِ فِي جَلَالِيبِ التَّقَى ، نَاشٍ ، وَمَنْ ثَدِي الْفَضَائِلِ يَغْتَذِي
 ذَخَّرْتَ خَزَائِنَهُ ، فَقَالَ لَهَا : انْقَذِي وَذَكْتُ عَزَائِمُهُ فَقَالَ لَهَا : انْقَذِي
 ذَلِقُ الْفَضَائِلِ هَكَذَا فَضْلُ التَّقَى ، غَدَقَ الْبَنَانِ عَلَى الْفَصَاحَةِ قَدْ غُدِّي
 ذِمُّ الزَّمَانِ بَعْدَ لِهِ مَحْفُوظَةٌ ، فَذِمَامُهُ مِنْ غَيْرِهِ لَمْ يُؤْخَذِ
 ذَاعَتْ سَرَائِرُ فَضْلِهِ بَيْنَ الْوَرَى ، وَسَمَا الْأَنَامُ بِجُودِهِ الْمُسْتَحْوَذِ

ذُرَّوَاتُ مَجْدٍ لَا تُنَالُ وَهِيْمَةٌ
 ذُخْرٌ لَنَا فِي النَّائِبَاتِ وَمَلْجَأٌ ،
 ذِكْرِي لَهُ رَاعِ الْخُطُوبَ لِأَتْنِي ،
 ذَهَلَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْهُ فَلَمْ تَجِدْ
 ذُعْرَ الزَّمَانُ وَقَالَ : هَلْ مِنْ عَاصِمٍ
 ذَرَّ عَنْكَ نَجْمَ الدِّينِ أَشْبَاحَ الْعِدَى ،
 ذَكَرَ بِهِمْ سَهْمَ الْقَضَاءِ ، فَإِنَّهُ
 ذَلَّلَتْ أَعْنَاقَ الطَّغَاةِ بِصَارِمٍ ،
 ذَكَرَ إِذَا شَكَّتِ الظُّلُمَا شَفَرَاتُهُ
 ذَا السَّعْيِ قَدْ قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ الْوَرَى ،
 ذُرَّتْ الزَّمَانُ عَلَى الطَّغَاةِ وَقَدْ طَغَى ،
 ذَوَيْتُ عِدَاكَ وَلَا بَرِحْتُ مُنْعَمًا ،
 طَالَتْ فَكَادَتْ لِلْكَوَاكِبِ تَحْتَذِي
 مَنْ لَمْ يَلْذُ بِجَنَابِهِ لَمْ يَنْفُذِ
 مَنْ كَيْدِهَا بِسِوَاهُ لَمْ أَتَعَوِّذِ
 نَحْوِي لِأَسْهَمِ كَيْدِهَا مِنْ مَنَفَذِ
 مِنْهُ أَلُوذُ بِهِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : لُذِ
 وَعَلَى صَمِيمِ قُلُوبِهِمْ فَاسْتَحْوِذِ
 بِسِوَى الَّذِي تَخْتَارُهُ لَمْ يَنْفُذِ
 بِسِوَى الْجَمَاجِمِ حَدُّهُ لَمْ يُشْحَذِ
 فِي غَيْرِ يَمٍّ دِمَائِهِمْ لَمْ يُنْبَذِ
 فَالْمُلْكُ يَزْهُو زِهْوَةَ الْمُتَلَذِّذِ
 وَجَلُوتَ طَرَفَ الْمَكْرُمَاتِ وَقَدْ قَذِي
 عَنْ رِفْدِ طُلَّابِ النَّدَى لَمْ تُجْدَ ذِ

١ قوله : ذرت ، هكذا في الأصل .

قافية للرءاء

رَقَّتْ لَنَا حِينَ هَمَّ الصَّبْحُ بالسَّفَرِ ، وَأَقْبَلَتْ فِي الدَّجَى تَسْعَى عَلَى حَذَرٍ
 رَاضَ الْهَوَى قَلْبَهَا الْقَاسِي ، فَجَادَ لَنَا ، وَكَانَ أَبْجَلَ مِنْ تَمَوَّزَ بِالْمَطَرِ
 رَأَتْ غَدَاةَ النَّوَى نَارَ الْكَلِيمِ ، وَلَمْ تَبْقِ مِنْ قَلْبِي وَلَمْ تَذَرِ
 رَقَّتْ إِلَى الصَّبِّ طَوْلَ الْوَصْلِ رَاقِيَةً ، وَلَمْ تَبْقِ مِنْ قَلْبِي وَلَمْ تَذَرِ
 رَيْبَةً لَوْ تَرَاهَا عِنْدَمَا سَفَرْتُ ، وَالْبَدْرُ سَاهٍ إِلَيْهَا سَهْوًا مُعْتَدِرِ
 رَأَيْتَ بَدْرَيْنِ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ ، فِي ظِلِّ جِنَحَيْنِ مِنْ لَيْلٍ وَمِنْ شَعَرٍ
 رَشَقْتُ بَرْدَ الْحُمَيَّا مِنْ مَرَاشِفِهَا ، فَتَبَهَّتْنِي إِلَيْهَا نَسْمَةُ السَّحَرِ
 رَنَتْ نَجُومُ الدَّجَى نَحْوِي فَمَا نَظَرْتُ ، مَنِ يَرشُفُ الرَّاحَ لَيْلًا مِنْ فَمِ الْقَمَرِ
 رَاقَ الْعِتَابُ ، فَأَبَدْتُ لِي سِرَائِرَهَا ، فِي لَيْلَةِ الْوَصْلِ بَلْ فِي غُرَّةِ الْقَمَرِ
 رَنَتْ فَلَمَّا رَأَتْ رُسْلَ النَّوَى فَعَدَّتْ ، تُطِيلُ عَتَبِي ، وَعُمُرُ اللَّيْلِ فِي قِصَرِ
 رَحْبُ مَقَامِي بِمَغْنَاهَا ، فَمُذْ نَظَرْتُ ، ذَمَّ الْمَطِي قَضَتْ لِلصَّفْوِ بِالْكَدَرِ
 رِيَعْتُ لَذَمَّ الْمَطَايَا لِلسُّرَى قَعَدْتُ ، وَأَحْذَرْتَنِي مِنَ الْأَهْوَالِ فِي سَفَرِي
 رَامَتْ بِذَلِكَ تَخْوِيفِي ، فَقُلْتُ لَهَا : عِنْدِي مِنَ الْخُبْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْخُبْرِ
 رِدِي ، فَمَا ضَرَفِي هَوْلُ أَكْبَادِهِ ، وَنَائِلُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ فِي الْأَثَرِ
 رَبُّ النَّوَالِ ، وَمَحْمُودِ الْخِصَالِ ، وَوَمِ الدَّامِ النَّزَالِ ، وَأَمِنْ الْخَائِفِ الْحَذَرِ
 رَاعِي الْأَنَامِ بَعَيْنٍ غَيْرِ رَاقِدَةٍ ، قَدْ وَكَلْتُ فِي أُمُورِ الْمَلِكِ بِالسَّهَرِ
 وَحِبِّ الذَّرَاعَيْنِ لَوْلَا صُبْحُ غُرَّتِهِ ، لِأَصْبَحَ الْجُودُ فَجْرًا غَيْرَ مُنْفَجِرِ

راضٍ مع السَّخَطِ يُبْدي عِزمَ مُتَّقِمٍ
راحاتهُ مَذْنُشاً في المُلْكِ قد عَهِدَتْ
روى مَنابِقَهُ الرَّاوي ، فَقُلْتُ لَهُ :
رُحْ أَيْهَا المَلِكُ المَنْصُورُ ، واغْدُ على
رَسَمَتِ جُوداً حَكى الطُوفانُ فاعْتَصَمَتْ
رَفِقتَ بالنَّاسِ في كُلِّ الأُمُورِ ، فقد
رَبَّوا لَدَيْكَ ، فَلَوْلَا أَنْ بَعْضُهُمْ
رُعِيَ العِدى بِجُسامٍ لو عَدَلَتْ بِهِ
رَفَعَتْ ذِكْرَكَ في يَوْمِ الهِياجِ بِهِ ،
رَمَتْ إِلَيْكَ بَناءُ هُوجٍ مَضْمَرَةٌ ،
راحَتْ إلی جَنَّةٍ حَلَّ العُفَاةُ بِها
رَجَعَتْ أَغْتِيبُ نَفْسي في تَأخَّرِها

للمُذْنِبِينَ . وَيَعْفُو عَفْوَ مُقْتَدِرٍ
يَوْمَ النَّدَى والرَّدَى بالنَّفْعِ والضَّرَرِ
جلوتَ سَمْعِي ، فَهَلْ تَجَلُّوْا بِهِ بِصِرِّي
هَامِ العُلَى آمناً من حادِثِ الغَيْرِ
منهُ الخَلالِيقُ بالألْواحِ والدُّسْرِ
أَضْحَى الزَّمانُ إلیهِم شَاخِصَ البَصْرِ
تُجَلِّ عَنهُ ، لَقُلْنَا : يا أَبنا البَشَرِ
عَنهُم ، لأَغْنَاكَ عَنهُ صَارِمُ القَدَرِ
فأَذْكَرْتَنِي بِحَدِّ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
كَأَنَّها في الدَّجَى قَوْسٌ بلا وَتَرٍ
في الخُلْدِ ، واتَّكأوا فِيها على سُرُرٍ
عَنها ، طَوَّراً أَهْنَتِ النَفْسَ بِالظَّفَرِ

قافية الزاي

زارَ ، واللَّيلُ مُؤَذِّنُ بالبرازِ ، وهوَ من أعينِ العِدى في احترازِ
 زائرٌ جاءَ تحتَ جِلْبَابِ لَيْلٍ ، شَفَقُ الصُّبْحِ فَوْقَهُ كَالطَّرَازِ
 زانَ حُسْنَ المَقَالِ بالفعلِ مِنْهُ ، ووَعُودُ الوِصالِ بِالإنْجَازِ
 زائدُ الحُسْنِ سِرَّةُ حُسْنِ صَبْرِي ، فَعْدَا بِالْجَمِيلِ عَنْهُ يُجَازِي
 زَفَّ بِكُرُ المَدَامِ لَيْلًا ، فَأَبَدَتْ جَيْشَ نُورٍ لِعَسْكَرِ اللَّيْلِ غَازِ
 زَوَّجَ المَاءَ ظِلًّا بِعَجُوزِ ، لو أَطَاقَتْ مَشَتْ عَلَى عُكَّازِ
 زَحْرَقَتْ جَنَّتِي ، فَبِتُّ قَرِيرًا ، مُنْعَمًا يَسْمَعُ الزَّمَانُ ارْتِجَازِي
 زَاهِيًا آخِذًا مِنَ الدَّهْرِ عَهْدًا ، وَمِنْ الحَادِثَاتِ خَطَّ جَوَازِ
 زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ ذَلِكَ دِينِي حِينَ عَاجَلْتُ فُرْصَتِي بِانْتِهَازِ
 زَوَّجُونِي ، فَقُلْتُ قُولُوا وَعُدُّوا لِأَسَدِ الطَّرِيقِ لِلْمُجْتَازِ
 زَيْنَتِي لِبَسُ جَارِحَتِي فِي زَمَانٍ ، عَجِزَتْ رَاحَتَاهُ عَنْ إِعْجَازِ
 زَمَنٌ لو رَنَا إِلَيْنَا بِحُطْبٍ ، لَغَزَوْنَا جَيْشَ الخُطُوبِ بِغَازِ
 زَاخِرُ الجُودِ مَادَّةَ الجِيُوشِ إِلَى الخَطِّ بِِ إِلَّا رُدَّتْ عَلَى الأَعْجَازِ
 زَيْنُ مَلِكٍ فَاقَ المَكَارِمَ وَام تَازَ بِالْهَبَاتِ أَيَّ امْتِيزِ
 زَالَ عَنْهُ الرَّدَى وَأُصْحَى لَهُ الدَّهْرَ رَ جَوَادًا يَمْشِي بِلا مِهْمَازِ

زهرٌ في حواديثِ النّقعِ حتى يَجْعَلُ الحَيْلَ كالنّعامِ النّوازي
 زَخَّ جُوداً ، فلا يَزَالُ ثَنَاهُ . في اَزْدِيادٍ وماله في اعْوَازِ
 زُرُهُ وابدأ أَيْامَهُ بالتّهاني ، ثمَّ بادِرْ أُمُوالَهُ بالتّعازي
 زَرَعَ الجُودَ في البلادِ ، وساوى فيه بَيْنَ الوِهادِ والأقْوَازِ
 زَهتِ الدّنيا حينَ أَصْبَحَ فيها فَغَدَتْ ، وهيَ للسماءِ تُوازي
 زالَ عن طُرُقنا الرّدى حينَ زُرنا هُ وَكُنّا بها على أَوْقازِ
 زاغَ عَنّا باليَدِ كُلُّ رَجِيمٍ ، فغَنّينا بِهِ عن الإِعْوَازِ
 زادَ قَدري بِذِكْرِهِ إِذْ رَأى النّا سُ اجتهادي بِقَدْرِهِ وانْتِبازي
 زاحَمَتْنِي حَقائِقُ المَدحِ فيه ، وهيَ في غَيْرِهِ شَبِيهُ المَجازِ
 زُرْتُهُ مادِحاً فَرتَحَهُ الجُودُ دُ ، بِإِكْرَامِنَا وبالإِعْوَازِ
 زادَكَ اللهُ ، يا أبا الفَتْحِ ، مَجْداً ، إِنَّهُ لِلْكَرامِ نِعَمَ المُجازي
 زاهراتُ المَدِيحِ بِاسْمِكَ تَزْهُو ، لَيْسَ يَزْهُو ثُوبٌ بِغَيْرِ طِرَازِ
 زِدْتُ في حُبِّ مَدْحِكَ ، فَارتَحُ لِعَيْطِ المَدِيحِ والإِرْجَازِ

١ الأقواز ، الواحد قوز : الكتيب المشرف .

٢ الأوقاز ، الواحد وفز : المرتفع .

قافية السير

سَفَحَ المِزاجُ على حُمَيَّا الكاسِ ، وَسَعَى يَطُوفُ بها على الجُلَّاسِ
ساقٍ ، فَلَو طَرَحَ المُدَامَ لَأَسْكُرْتَ صَهْبَاءَ فَاتِرِ طَرَفِهِ النَّعَّاسِ
سُكْرَانُ من خَمِرِ الدَّانِ كَأَنَّمَا عَبَّثَ النَّسِيمُ بَقْدِهِ المَيَّاسِ
سَالَ العِذارُ على أَسيلِ خُلُودِهِ ، فغَدَا يُسَيِّجُ وردَهَا بِالْأَسِ
ساوَى الرِّفاقَ بِشُرْبِهَا ، حَتَّى إِذَا ثَمِلَ المُدِيرُ ، وَغَابَ رُشْدُ الحَاسِي
سَكَنْتَ مَقَرَّ عَقُولِهِمْ ، وَتَمَكَّنْتَ ، فغَدَتْ تَوْسُوسُ في صُدُورِ النَّاسِ
سَفَرْتُ فَكَانَتْ تَحْتَ جَلْبَابِ الدَّجَى ، تُغَيِّ عن المِصباحِ والمِقباسِ
سَلْتُ عَلَيْهَا لِلْمِزاجِ صَوَارِمُ ، لَتَرَوْضَ مِنْهَا الخُلُقَ بَعْدَ شَمَاسِ
سَلَّ البُفُوسَ بِقَهْوَةٍ دِيرِيَّةٍ ، كَالشَّمْسِ تُشْرِقُ في يَدِ الجُلَّاسِ
سُمُّهَا ، وَلَا تَبْخَلْ ، إِذَا تَجَلَّوْا بِهَا خَوْفًا مِنَ الإِقْتَارِ والإِفْلَاسِ
سَمَحَ كَفُوفُكَ في الشَّرَاءِ ، فَرَأَيْنَا ثَقُلُ الكُؤُوسِ وَخَفَةُ الأكْيَاسِ
سَابِقَ إِلَى جَنَاتِ عَدْنٍ قَدْ بَدَتْ أَزْهَارُهَا بِغَرَائِبِ الأَجْناسِ
سَحَبَ السَّحَابُ لَهَا الذُّيُولَ فَأَلْبَسَتْ مِنْ حُلَّةِ 'الأَزْهَارِ خَيْرَ لِبَاسِ
سَكِرَتْ قُدُودُ غَصُونِهَا فَتَرْتَمَتْ وَرُقُ الحَمَامِ بِأَطْيَبِ الأنْفَاسِ
سَجَعَتْ ، فَخِلْنَا الطُّوقَ في أَعْنَاقِهَا مِنْ ابْنِ أَرْتَقٍ في رِقَابِ النَّاسِ
سُلْطَانُ عَدَلٍ بَلْ خَلِيفَةُ مُتَصِيبِ ، أَحْيَتْ مَنَاقِبُهُ بَنِي العَبَّاسِ
سَقِمَتْ بِهِ مُهْجُ العُدَاةِ ، وَطَالَمَا سَقِمَ الزَّمَانُ وَكَانَ نِعَمَ الآسِي

سَيْفٌ أَعَزَّ الدِّينَ بَعْدَ هَوَانِهِ ،
سَارَتْ لِحَسْفِ الْأَرْضِ قُبُجِيادِهِ ،
سَهْلُ الْخَلَائِقِ لَيْسَ عِنْدَ النَّدَى ،
سَبَقَتْ عَطَايَاهُ السُّوَالِ ، فَمَالُهُ
سَنَ الْمَوَاهِبِ ، وَالْجِهَادِ ، فَدَهْرُهُ
سَعَى أَسَاسُ الْمَجْدِ مِنْهُ ثَابِتٌ ،
سَهَدَتْ ، نَجْمَ الدِّينِ ، طَرْفَكَ لِلْعَلَى ،
سُرَّتْ بِسَعْيِكَ ، وَاطْمَأْنَنْتْ أَنْفُسُ
سَعِدَتْ بِكَ الدُّنْيَا ، وَعَادَ نِفَارُهَا ،
سُدُّ فِي الْأَنَامِ ، فَلَا بَرَحَ مُؤْمَلًا
سَمَحُ الْأَكْفِ تَرُومُ نَائِلَكَ الْوَرَى ،
سَعْدُ أَتَاكَ مِنَ الْإِلَهِ مُوَيْدٌ ،

فَبَدَتْ رُسُومُ رُبُوعِهِ الْأَدْرَاسِ
فَأَمَدَهَا مِنْ حِلْمِهِ بِرَوَاسِ¹
لَكِنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَاسِ
فِي مَأْتَمٍ ، وَالنَّاسُ فِي أَعْرَاسِ
يَوْمَانِ : يَوْمٌ قَرِئٌ وَيَوْمٌ قِرَاسِ²
وَالْمَجْدُ لَا يُبْنَى بِغَيْرِ أَسَاسِ
فَحَفِظَتْ دَوْحَتَهَا مِنَ الْإِيَّاسِ
كَانَتْ مِنَ الْأَيَّامِ فِي وَسْوَاسِ
مِنْ بَعْدِ وَحْشَتِهَا ، إِلَى الْإِيْنَاسِ
تَسْوِي الْخَلَائِقَ فِي النَّدَى وَتَوَاسِي³
وَتَخَافُكَ الْآسَادُ فِي الْأَخْيَاسِ
فَاخْلُدْ ، وَدُمُ فِي نِعْمَةٍ وَغِرَاسِ

١ القلب : الضامرة . الرواسي : أي الجبال الرواسي .

٢ قوله : قراس ، هكذا في الأصل ولم نجدها ، ولعلها فراس من الفرس : دق العتق .

٣ تسوي : أراد تساوي .

قافية الشين

شَمُولٌ إلى نِيرَانِهَا أَبَدًا نَعْشُو ،
 شُغِفْنَا بِهَا ، وَالْعِزَّ قَدْ مَدَّ ظِلَّهُ
 شَقِيقَةُ خَدِّ السَّرُورِ مُدَرَّجِ
 شَهَرْنَا عَلَيْهَا لِلْمِزَاجِ صَوَارِمًا ،
 شَمُولٌ عُقَارٍ فِي أَكْفِ أَهْلَةٍ ،
 شُعَاعُ غَدَا طَرْفِ الْمَسْرَةِ شَاخِصًا
 شَدَدَتْ بِهَا أَزَرَ السَّرُورِ ، وَزُرْتُهَا
 شَبَابٌ ، وَلَكِنْ فِي الْعُلُومِ مَشَايِخُ ،
 شَهَدْنَا زَوَاجَ الرِّاحِ وَالْمَاءِ وَالنَّدَى ،
 شَدَتْ ، إِذْ بَدَتْ تُجَلَّى عَلَى كُلِّ قَبِينَةٍ
 شَرِبْنَا ، وَقَدْ حَاكَ الرِّبْعُ مَطَارِفًا
 شِبَاكَ عَلَى خَدِّ الْهَيْضَابِ يَبْشُتُهَا
 شَمَمْنَا أَرِيحًا مِنْ شَدَا بَأْنِيقَةٍ ،
 شِعَابٌ مِنَ الْحَدَبَاءِ يَضْحِكُهَا الْحَيَا ،

لَتُنْعِشَنَا مِنْ بَعْدِ مَا ضَمَمْنَا نَعْشُ
 عَلَيْنَا وَوَجْهُ الْأَرْضِ هَشٌّ لَنَا بَشُ
 بِهَا ، وَلَوْ قَعِ الْمَاءِ فِي خَدِّهَا خَدَشُ
 إِذَا عَمِلَتْ مَا لِلجِرَاحِ بِهَا أَرْشُ
 لَهَا لَهَبٌ وَهُمْ الظَّلَامِ بِهَا يَرَشُو
 إِلَيْهِ ، وَأَحْدَاقُ الْحُمُومِ بِهِ عُمُشُ
 بَفْتِيَانِ صِدْقٍ لَيْسَ فِي وَدْهَمِ غِشْ
 إِذَا خُوطِبُوا بِشَوْا وَإِنْ سُئِلُوا بِشَوْا
 عَلَيْهِمْ نِثَارٌ ، وَالرِّيَاضُ لَهُ فَرَشُ
 كِبْلَقِيسَ حُسْنًا ، وَالْجَمَالُ لَهَا عَرَشُ
 حِسَانًا لَدَمَعَ الْبَطْنِ مِنْ فَوْقِهَا رَشْ
 بِيكَارٌ ، وَفِي كَفِّ الْوِهَادِ بِهَا نَقَشُ
 تَشَارَكَ فِي دِيْبَاجِهَا الْبَطْنُ وَالطَّشْ
 وَيَحْرُسُنَا بَأْسُ ابْنِ أَرْتُقٍ وَالْبَطْشُ

١ الارش : الدية .

٢ البكار : الفتيان من الإبل ، الواحد بكر .

٣ الطش : المطر الضعيف .

شُجَاعٌ تَرَى مَتَنَ الْجِيَادِ مِهَادَهُ ،
شَبَّهَ سُلَيْمَانَ الزَّمَانَ ، إِذَا غَدَا
شِهَابٌ لَهُ الشَّهَابُ أَفَقٌ ، وَمَطْلَعٌ ،
شَهِيٍّ إِلَيْهِ فِي النَّدَى بَدَلٌ مَالِهِ ،
شَدِيدُ الْقُوَى مِنْ مَعَشَرٍ لِفُؤَا الْوَعَى ،
شَفَاةٌ ، كُفَاةٌ ، لَا الْمَوَائِقُ عَنْدَهُمْ
شَرِيفٌ لَهُ نَارَانِ لِلْحَرْبِ وَالْقِرَى
شَوَاطِئُ وَغَى كُلٌّ يُحَازِرُ وَقْدَهَا ،
شِفَارُ مَوَاضِيهِ ، إِذَا هِيَ جَرَدَتْ ،
شَقَقْنَ قُلُوبَ الْحَادِثَاتِ بَوَاقِعَهَا ،
شَعَارُكَ ، يَا نَجْمَ الْمُلُوكِ وَبَدْرَهَا ،
شَغَلَتْ صُرُوفَ الْحَادِثَاتِ عَنِ الْوَرَى ،
شَنَنْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ غَارَةَ عَزْمَةٍ ،
شَكَكَتْ كُلَّهَا فِي رِمَاحٍ كَأَنَّهَا
شَرَفَتْ مَدْحِي فَيْكَ يَا مُغْرِقَ الْوَرَى

وَتَأَلَّمَ جَنْبِيهِ الْوَسَائِدُ وَالْفُرَشُ
تَحُفَّ بِهِ فِي سِيرِهِ الطَّيْرُ وَالْوَحْشُ
وَشَمْسُ عَيُونِ الْخَطْبِ مِنْ نُورِهَا تَعْشُو
وَأَبْغَضُ شَيْءٍ عِنْدَهُ الْجَمْعُ وَالْفَرَشُ ١
إِذَا نَهَضَ الْمِقْدَامُ مِنْ شَرِّهَا يَنْشُو ٢
تُضَاعُ وَلَا الْأَسْرَارُ مِنْ بَيْنِهِمْ تَفْشُو
تَكْلُوحُ بِهَا فِي اللَّيْلِ أَلْوِيَّةٌ رُعْشُ
وَنَارُ قِرَى كُلٌّ إِلَى ضَوْئِهَا يَعْشُو
فَأَيْسَرُ مَقْتُولٍ بِهَا اللَّوْمُ وَالْفُحْشُ
وَشَارَكَتِ الْأَقْدَارَ أَقْلَامُهُ الرُّقْشُ
سَمَاحُ يَدِ طِفْلٍ الثَّنَاءُ بِهَا يَنْشُو
فَأَبْصَارُهَا كُمُهُ ٣ ، وَأَسْمَاعُهَا طَرْشُ ٤
فَبَادَتْ وَلَمَّا يُغْنِيهَا النَّبْلُ وَالْبَطْشُ
أَفَاعٍ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ نَهْشُ
يَجُودِ هَتُونِ الْمُزْنِ فِي ضَمْنِهِ طَشُ

١ الفرش : المفروش من متاع البيت ، البقر والغنم التي لا تصلح إلا للذبح .

٢ قوله : ينشو ، هكذا في الأصل ، ولعلها لغة في ينشأ : يحيا ، يتجدد .

٣ كمه : عميان ، الواحد أكمه .

قافية الصاد

صَرَفُ المَدَامِ بِهِ السَّرُورُ مُخَصَّصُ ، وَبِهِ الِهُمُومُ عَنْ الْقُلُوبِ تُمَحَّصُ^١
صَرَفُ بِهَا عَنْكَ الِهُمُومَ لَتَغْتَنَدِي فِرْقًا ، إِذَا تُمَلَّا الْكُؤُوسُ النُّقْصُ^٢
صَهْبَاءُ قَدْ رَاضَ المِزَاجُ مِزَاجَهَا ، فَعَدَّتْ تُقَهِّقُهُ ، وَالفَوَاقِعُ تَرْقُصُ^١
صَاغَ المِزَاجُ لَهَا فَوَاقِعَ فَضَةٍ مِثْلَ اللَّالِي ، وَهِيَ تَبِرُّ مُخْلَصُ^٢
صَدَّ التَّقَى قَوْمًا ، فَأَبَدُوا زُهْدَهُمْ فِيهَا ، وَمَاذَا ضَرَّهُمْ لَوْ رَخَّصُوا^١
صَامُوا ، وَفَطَرُهُمْ عَلَى مَقْسُودِهَا جَهْلٌ ، فَهَلَا اسْتُخْلِصَ مَا اسْتُخْلِصُوا^٢
صَفَّتِ المَدَامَةُ وَالسَّقَاةُ فَتَارَةً تُزَجِّي الْكُؤُوسُ وَتَارَةً تَرَبَّصُ^١
صَعِبَتْ ، فَحَكَمْنَا السَّقَاةَ بِمَرْجِهَا فَعَدَا يَزِيدُ بِهَا المِزَاجُ وَيَنْقُصُ^٢
صَبَغَتْ خُدُودَ سُقَاتِهَا مِنْ نُورِهَا شَفَقًا بِهِ تُجَلِّي الْعُيُونُ الشُّخْصُ^١
صَدَقَ الَّذِي قَدْ قَالَ عَنْ شَمْسِ الضُّحَى إِنَّ البُدُورَ بِنُورِهَا تَتَقَمَّصُ^٢
صَفَرَاءُ مِنْ وَقَعَ المِزَاجِ صَقِيلَةً ، يَسْعَى بِهَا سَبْطُ البَنَانِ مُخَرَّصُ^١
صَنَمٌ أَضَلَّ العَاشِقِينَ ، فَمَعَشَرُ قَدْ زُودُوا فِيهَا ، وَقَوْمٌ نَقَّصُوا^٢
صَادَ الْقُلُوبَ بِمُقْلَتَيْهِ وَلَمْ أُخْلَ أَنَّ الجَاذِرَ لِلْقَسَاوِرِ تَقْنِصُ^١
صَبَغَ الْأَنَامِلَ مِنْ دِمَائِي ، وَمَا دَرَى أَنَّ ابْنَ أَرْتُقَ عَنِ دَمِي يَتَفَحَّصُ^٢

١ المِزَاجُ الْأَوَّلَى مِنْ مِزْجِ الشَّرَابِ : خَلَطُهُ بِالْمَاءِ . الثَّانِيَةِ : مَا أُسِّسَ عَلَيْهِ الْبَدَنُ مِنَ الطَّبَائِعِ وَالْأَحْوَالِ الصَّحِيَّةِ أَوْ الْمَرَضِيَّةِ .

٢ سَبْطُ البَنَانِ : كَرِيمٌ . الْمُخَرَّصُ : اللَّابِسُ حُلْفًا مِنْ ذَهَبٍ .

صُبْحٌ جَلالٌ لَيْلِ الخُطوبِ بِنُورِهِ ،
صَعْبُ العَرِيكَةِ ، سَهْلَةُ أخلاقِهِ ،
صَابَتْ يَداهُ ، فلا السَّماحُ بِرَبِّهِ
صَدَرَتْ مَنافِقُهُ الحِسانُ ، فأَصْبَحَتْ
صَعِدَتْ مَرَاتِبُ مَجْدِهِ ، فكأَنَّمَا
صاحَبَتْ ، نَجْمَ الدِّينِ ، دَهْرَكَ صائِلًا
صَقَلَتْ تَجَارِبُ الأُمُورِ مُتُونَهَا ،
صَرَمَتْ شَمالَ المُسْلِمِينَ بِصارِمِ
صافي الحَديدَةِ في مَضارِبِهِ الرَّدَى ،
صَادَمَتَهُمْ في نَقْعِ لَيْلِ حَالِكِ ،
صَفَّتْ صِفاحُ الهِنْدِ حَوْلَ أديمِهِ ،
صَكَّتْ ظَباكَ رُؤوسَهُمْ وجُسُومَهُمْ ،
صَرَفَ الفَضاءِ ، يا ابنَ أَرْتَقٍ ، خادِمَ
صَوَّبَتْ نَحْوَكُمُ عِنانَ مَدائِحِي ،
صَحَّتْ مَعانِيها ، وشُرِفَ لَفْظُها

نَجْمٌ إِلَيْهِ كُلُّ طَرَفٍ يَشْخَصُ
قَوْمٌ بِهِ سَعِدُوا ، وقَوْمٌ نَغْصُوا
وَأَنْ ، ولا ظِلُّ الأَماني بِقَلِصُ
تُغْري الأَنامَ بِمَدْحِهِ وتُحَرِّصُ
تَعْلُو لَهُ فوقَ المَجَرَّةِ أخمَصُ
بِعَزِيمَةٍ مِنْ كَيْدِهِ لا تَنْكُصُ
كَالسَيْفِ يَصْلِحُهُ الصِّقالُ وَيُخْلَصُ
غَالٍ ، بِهِ مَهْجُ القُلُوبِ تُرَخِّصُ
بَادٍ ، وشَكْلُ المَوْتِ فِيهِ مُشْخَصُ
طَرَفُ المَنِيَّةِ في دُجَاهُ أَخَوَصُ^١
فكأَنَّهُ بِالْبَيْضِ عَيْدُ أَرْصُ
فأَلْهَامُ تُنْثَرُ ، وَالضَّلُوعُ تُقْصَصُ^٢
لَعْلُوكُم ، والدَّهْرُ دَاعٍ مُخْلِصُ
فمُدَقِّقٌ مِنْ نَظْمِها وَمُلَخِّصُ
بِكُم ، وطابَ خِتامُها والمُخْلِصُ

١ أخوص : غائر .

٢ نقص : تقطع .

قافية الضاد

ضَحِكْتُ ثُغُورُ حَدَائِقِ الْأَرْضِ ، فَسَهَتْ عَيُونُ التَّرْجَسِ الْغَضِّ ،
 ضَرَبَ الرَّيِّعُ بِهَا مَضَارِبَهُ ، وَجَرَتْ جِيَادُ السُّحْبِ فِي الرِّكْضِ ،
 ضَاعَ الْعَبِيرُ مِنَ الرَّيِّعِ ، فَمَا عُدُّهُ إِلَى اللَّذَاتِ مِنْ نَهْضِ ،
 ضَيَّعَتْ بَعْضَ الْعُمُرِ مُشْتَغِلًا ، أَفْلا خَلَفَتْ الْعَيْشَ بِالْبَعْضِ ،
 ضَعَّ مِئْتَةً وَاجِلُ الْمُدَامِ لَنَا ، فِيهَا مِنْ الْأَيَّامِ نَسْتَقْضِي ،
 ضَرَجَ بِهَا خَدَّ السَّرُورِ ، فَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ فِي قَبْضِ ،
 ضَحِكَ الْحَبَابُ بِهَا ، وَقَدْ غَضِبْتُ لِلشَّارِبِينَ بِسُخْطِهَا تُرْضِي ،
 ضَجَّتْ لَوَقَعَ الْمَاءِ ، وَاضْطَرَبَتْ مِنْ غَيْرِ إِيْلَامٍ ، وَلَا مَضٍ ،
 ضَيَّعَ كَنُوزَ الْمُلْكِ ، وَابَقَ لَنَا رَاحًا إِلَى رَاحَتِهَا تُفْضِي ،
 ضَمِنَ الشَّيْبَةَ وَالرَّيِّعَ حَلَا رَشْفِي الطَّلَا ، وَلغَيْرِهَا رَفْضِي ،
 ضَاءَ الزَّمَانُ إِضَاءَةً بِسَمَا يَزْهُو بِثُوبٍ غَيْرِ مُرْفَضٍ ،
 ضَرَبَ مِنَ الْأَنْوَارِ مُبْتَهِجٌ ، مَا بَيْنَ مَزْرُورٍ وَمُنْفَضٍ ،
 ضَقَّتِ الرِّيَاضُ ، وَمَا أَضَرَ بِهَا إِخْلَافُ وَعْدِ الْبَرْقِ فِي الْوَمُضِ ،
 ضَنَّ السَّحَابُ بِمَائِهِ ، فَرَوَتْ كَفُّ ابْنِ أَرْتُقٍ غَلَّةَ الْأَرْضِ ،
 ضَرَابُ هَامَاتِ الْكُمَاةِ ، وَمِنْ رَاضِ الزَّمَانِ بِخُلُقِهِ الْمَرْضِي ،
 ضِيرْغَامُ بَأْسٍ غَيْرُ مُحْتَجِبٍ خَوْفًا ، وَنَجْمٌ غَيْرُ مُنْقَضٍ ،
 ضَاهَى السَّحَابُ مِنْهُ جُودُ يَدٍ ، مُعْتَادَةٌ بِالْبَسَطِ وَالْقَبْضِ ،

ضَمِنْتَ سَمَاحَةً رَاحَتِيهِ لَنَا
 ضَمِنْتَ لَدِينِ اللَّهِ مُنْذُ عَلَا
 ضَبِطْتَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ
 ضَخَمَ الدَّسِيعَةَ ، جُودُهُ غَدَقٌ ،
 ضَرَّ الْعُدَاةَ ، وَنَقَعَ قَاصِدِهِ ،
 ضَمِنَ الْيَرَاعُ وَحَدُّ ضَارِمِهِ
 ضِدَّانِ ذَا يُؤَلِي الْجَمِيلَ ، وَذَا
 ضَرَّ السَّهَادُ بِمَعَشَرٍ ، فَرَأَى
 ضَاقَتْ بِجَحْفَلِهِ وَعَزَمَتِهِ
 ضَلَّ الَّذِي أَضْحَى يُطَاوِلُهُ
 ضَجِيرَ الَّذِي جَارَاهُ حِينَ رَأَى
 ضَلَّيْتُ إِنْ لَمْ أَصْفِهِ مِدْحِي ،
 بَرَّ الْبِلَادِ بِجُودِهِ الْمَحْضِ
 الْإِسْلَامُ أَمِينَةٌ مِنَ الْخَفْضِ^١
 ضَبَطًا بِهِ أَمِنْتُ مِنَ النِّقْصِ
 أَحْوَى الْمَرَابِعِ أَيْبُضُ الْعَرَضِ^٢
 كُلُّ يَرَاهُ عَلَيْهِ كَالْفَرَضِ
 عِزُّ الْوَلِيِّ وَذَلُّ ذِي الْبُغْضِ
 أَبْدَأُ بِجَحْفِ عُدَاتِهِ يَقْضِي
 سُهَادَهُ أَحْلَى مِنَ الْغُمُضِ
 أَرْضُ الْفَلَا فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ
 وَبِأَصْرِهِ يَسْجُرِي الْقَضَا الْمَقْضِي^٣
 سَهَمَ الْقَضَاءِ بِأَمْرِهِ يَمْضِي
 وَلِيهِ نِصْوُ قَرِيبِي أَنْضِي

١ الضم : العضد .

٢ ضخم الدسيعة : كناية عن الكرم ، والدسيعة : الحفنة الكبيرة ، المائدة الكريمة .

٣ الاصر : المهذ ، الثقل .

قافية الطاء

طافَ يَسْعَى بِسُرْعَةٍ وَنَشَاطٍ ، وَيُعَاطِي المُدَامَ أَحْلَى تَعَاظٍ
 طَيِّبُ النَّشْرِ يَجْرَحُ اللَّحْظُ خَدَيْهِ ١ وَيُدْمِي أَعْضَاهُ مَسُّ القُبَاطِي ٢
 طَلَقْتُ وَجْهَهُ تَلَهَّبَ الخَدُّ فِيهِ ٣ وَوَفَى عِذَارُهُ كَالسَّرَاطِي ٤
 طِرْسُ خَدِّ لَهُ عَلَيْهِ سَطُورٌ ٥ مَا أَلَمْتُ بِهِ يَدُ الخَطَّاطِ
 طَالَمَا زَارَنِي وَقَدْ مَدَّتِ الأَرْضُ ضُ رِيَاضاً مِنْ تَحْتِنَا كَالسَّمَاطِ
 طُلَّ فِيهَا دَمُ الدَّانِ ، فَبِالْأَقْدِ ٦ لِدَاحِ طَوْرٍ ، وَتَارَةً ٧ بِالْبَوَاطِي
 طَفَحَتْ نَشْوَةُ المُدَامِ وَقَدْ شَ ٨ طَتَّ عَلَى الشَّارِبِينَ أَيْ اشْتِطَاطِ ٩
 طَوَّحَتْ بِالسَّقَاةِ ، حَتَّى أَطَاعُوا ، وَأَبَاحُوا الْوِصَالَ بَعْدَ احْتِيَاطِ
 طَافَتْ سُعَادُ تَضُمُّ لِأَغْصَا ١٠ نِ قُدُودٍ مِنْ الطَّبَّاءِ الْعَوَاطِي ١١
 طَوَّقُ تِلْكَ الْأَجْيَادِ أَجْعَلْهَا طَو ١٢ رَأً ، وَطَوْرًا مَنَاطِقَ الْأَوْسَاطِ
 طَبْتُ عَيْشاً لَمَّا رَأَيْتُ يَدَ الصَّبِّ ١٣ حِ لَدَرُ النُّجُومِ ذَاتَ التِّقَاطِ
 طِفْلُ صُبْحٍ لَهُ مِنَ الشَّرْقِ مَهْدٌ ، وَلَهُ حِلَّةُ الدَّجَى كَالْقِمَاطِ
 طَرَدَ اللَّيْلَ بِالضِّيَاءِ ، فَمُنْذَ لَا ١٤ حَ فَاهُوتِ نُجُومُهُ ١٥ بِانْهِبَاطِ
 طَلَعَتْ فِي الْأَنَامِ غُرَّةُ نَجْمٍ ١٦ لَعْلَاهُ ١٧ عَلَى النُّجُومِ مَوَاطِي ١٨

١ القُبَاطِي : ثياب من كتان منسوبة إلى القبط .

٢ السَّرَاط : السبيل الواضح .

٣ شطت : جارت .

٤ صدر البيت مختل . العَوَاطِي : التي تعطو بأعناقها تمدحها لتتناول ثمر الأراك .

٥ مواطي ، الواحد موطى : محل الوطء ، موضع القدم .

طالعٌ بالسُّعودِ في أفقِ الشَّهْ
 طابَ رِزقٌ لهُ بَمَغْنَاهُ فالرِّزْ
 طاهرُ الجَدَّةِ جدُّهُ كلَّ يَومٍ
 طودُ حِلْمٍ يَكادُ يَسْتَعِيدُ الدَّهْ
 طَبَّ هذا الزَّمانَ ، وهو جَسِيمٌ ،
 طَوَّقَ النَّاسَ بالندَى ، فهِتَاهُمْ
 طُبِعَتْ راحَتاهُ من جَوهرِ الجُؤْ
 طالَ في المالِ عِزُّ كَفِّيهِ ، حتَّى
 طاعَنَ الخَيْلَ قَبْلَ ذابِلَةِ اللُّدِ
 طِرْفُهُ الدَّهْرُ أَيْنَمَا سارَ ، والحِزْ
 طارَدَتْهُ الكِرَامُ في حَلَبَةِ الجُؤْ
 طَلَبُوا شَاوَهُ ، فَمَا حَصَلَ الطَّا
 طاوَعَتْنِي جَواهرُ المَدَحِ فِيهِ ،
 طَيَّبُ اللَّفْظِ لو حَوَتْهُ اللَّالِي
 طُرْفٌ كالعُقُودِ ، فالدُّرُّ منها

با ، فَعِشْ دَائِماً بِهِ في اغْتِباطِ
 قُ لَدَى غَيْرِهِ كَسَمِّ الحِياطِ
 في صُعودٍ وَضِدُّهُ في انْحِطاطِ
 رَ بعِزِّمَ لَهُ شَدِيدِ النِّياطِ
 قَصَّرَتْ دُونَهُ يَدَا بَقِراطِ
 في دوامٍ ، ورِزْقُهُم في انْبِساطِ
 دِ ، وَلَيْسَ المَعْطِيُّ كالمُتَعاطِي
 أَفْرَطَتْ فِيهِ غَايَةَ الإِفْراطِ
 نِ ، بِلُدُنٍ مِنْ عِزِّمِهِ ذِي شِطاطِ
 مُ عِنانُ ، وَعِزِّمُهُ كَالسِّيَاطِ
 دِ ، فَكَلَّتُوا في أَوَّلِ الأَشْواطِ
 لُبُ مِنْ كَتَرِهِ سِوَى قِباطِ
 فَاتَتْ في النِّظامِ كالأَسْماطِ
 جَعَلَتْهُ الحِسانُ كالأَقْراطِ
 ذِكْرُهُ والبُيُوتُ كالأَسْماطِ

١ النياط : الفؤاد .

٢ الشطاط : البعد .

٣ الطرف : المهر .

قافية الظاء

ظَفِرَتْ سِهَامُ فَوَاتِرِ الْأَحَاطِ ، فَرَمَتْ صَمِيمَ قُلُوبِنَا بِشَوَاطِ
 ظَلَّتْ تُقَاتِلُ الْمُقَاتِلِ أَسْهُمًا أَغْنَتْ عَنِ الْأَفْوَاقِ وَالْأَرْعَاطِ^١
 ظَلَمَتْ ظُبَاءُ الْحَيْفِ حِينَ مَنَحَتْهَا حِفْظَ الْعُهُودِ ، وَجَهْدُهَا إِحْفَاطِي^٢
 ظَلِيَّاتُ أَنْسٍ صَيْدُهُنَّ مُحَرَّمٌ ، يَرْتَعْنَ مَا بَيْنَ الصَّفَا ، فَعُكَاظِ
 ظَلَعْنُوا ، فَبِتْ أَسْحَ دَمْعِي بَعْدَهُمْ ، وَأَجِيلُ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ لِحَاطِي
 ظِفْرِي لِسِنِّي قَارِعٌ ، وَمَدَامَعِي قَدْ خَدَدَتْ خَدَيَّ بِالْإِلْطَاطِ^٣
 ظَنَّ الْحَلِيَّ بِأَنْ أُحَاوِلَ بَعْدَهُمْ سَكَنًا ، وَدَامَ بَعْدِلِهِ إِيقَاطِي
 ظَلُمٌ ، إِذَا ظَعَنَ الْخَلِيطُ وَلَمْ أُسِرْ بِالْعَيْشِ بَيْنَ تَنَافٍ وَشِنَاطِ^٤
 ظِهْرِيَّةٌ إِنْ ضَامَتْهَا أَلَمُ السَّرَى حَثَّتْ مَنَاسِمَهَا بِعَبْرِ مِظَاطِ^٥
 ظُلُمَاتُ دَجَنٍ فِي الظَّلَامِ دَوَاهِشٌ ، مِنْ حَوْلِهَا هَوْلُ السَّرَى لِإِيقَاطِي
 ظَلَعَتْ ، فَأَمَحَلَّتْهَا السَّرَى ، فَتَأَوَّدَتْ مِنْ طَوْلِ مَسِّ شِطَاطِظْنِ شِطَاطِي^٦

١ الأفواق ، الواحد فوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. الأرعاط ، الواحد رعط : مدخل النصل في السهم .

٢ إحفاطي : إغصابي .

٣ الإلطاط ، من ألقط المطر : دام .

٤ التناف ، الواحدة تنوفة : البرية لا ماء فيها ولا أنيس . الشنات : أعلى الجبل .

٥ ظهريّة : أي من الإبل التي ترد كل يوم نصف النهار . ولعلها مؤنث ظهري : البعير المعد للحاجة .

المظاظ : المشارة ، والمنازعة .

٦ الشطاط : خشبة عقاء تدخل في عروقي الجوائق .

ظَلَبُ الحُدَاةِ يَحْثُهَا ، فَإِذَا وَتَتْ
 ظَبْطَابُهَا أَلَمَ الْمَسِيرُ ، وَوَقَعُهَا
 ظَلَّتْ عَلَى الْمَرْعَى الْحَصِيبِ نَفُوسُنَا
 ظَلْنَا نَقَاسِمَهُنَّ أَهْوَالَ السَّرَى ،
 ظَعْنٌ يَقُودُ إِلَى الْحَبِيبِ نَفُوسُنَا ،
 ظِلٌّ ظَلِيلٌ لِلْعُفَاةِ فِدْرُهُ
 ظَهَرَ الْحَيَاءُ بِوَجْهِهِ ، فَتَرَى بِهِ
 ظَرُفَتْ خِلَافَتُهُ ، وَأَحْفَظَ مَالَهُ
 ظَفَرٌ بِهِ رَدَّ الْعُدَاةَ بَغِيظِهِمْ ،
 ظَلَامٌ جَذَبَ الظَّالِمِينَ بِصَارِمٍ ،
 ظَلَّتْ ظُبَاهُ ، إِذْ غَدَتْ تَعْطُ الْوَرَى ،
 ظَامٌ إِلَى نَهْلِ الدَّمَاءِ ، فَهَمُّهُ ،
 ظَمِنْتُ مَضَارِبُ غَفَرَتِيهِ ، فَأَصْبَحْتُ
 ظَنَنِي جَمِيلٌ فَيْكَ يَا مَنْ أَصْبَحْتُ
 ظَفِيرُوا بِظِلِّكَ ، يَا مَلِكُ ، فَإِنَّهُمْ
 ظُرَّانُ أَرْضِكَ لِلسَّمَاءِ قَدْ اغْتَدَتْ ،

- ١ الطَّابُ : الصَّيَاحُ .
- ٢ الظَّبْطَابُ : الْوَجْعُ ، وَالْعَيْبُ .
- ٣ الْمَلْظَاظُ : الْمُنَابِرُ عَلَى الشَّيْءِ .
- ٤ الدَّلَاظُ : الْإِسْرَاعُ .
- ٥ قَوْلُهُ : غَفَرَتِيهِ ، هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَمْ نَجِدْهَا . الْمَاظُ ، مِنْ لَمَظَ : أَخْرَجَ لِسَانَهُ بَعْدَ الْأَكْلِ أَوْ الشَّرْبِ فَمَسَحَ بِهِ شَفَتَيْهِ . وَالشَّيْءُ يَذَاقُ .
- ٦ الْفَرَانُ : الْحَجَارَةُ .

قافية العين

عَذَلُ العَوَازِلِ فِي هَوَاكَ مُضَيِّعُ ، هَبْ أَنْتَهُمْ عَذَلُوا ، فَمَنْ ذَا يَسْمَعُ
عَذَلُوا ، وَلَوْ عَذَلُوا بِأَرْبَابِ الْهَوَى ، مَا حَاوَلُوا مَا لَيْسَ فِيهِ مَسْطَمَعُ
عَلِمُوا بِأَنَّكَ هَاجِرِي ، فَتَوَهَّمُوا أَنِّي لَذَلِكَ بِالْمَلَامَةِ أُرْدَعُ
عَدَّوْا صِفَاتِكَ فَانْتَنَيْتُ بِلَوْمِهِمْ ، وَاللَّوْمُ فِيهِ مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
عَذَّبْتَ بِالْهَجْرَانِ صَبًّا مَا لَهُ عَذَابُ حَتَّى الْمَمَاتِ إِلَى سِوَاكَ تَطْلُعُ
عَارٌّ يُنَادِيهِ الْهَوَى ، فَيُجِيبُهُ طَوْعًا ، وَيَدْعُوهُ الْغَرَامُ فَيَسْمَعُ
عَيْنٌ تَنَامُ ، إِذَا هَجَرْتَ ، لَعَلَّهَا بِخَيَالِ طَيْفِكَ فِي الْمَنَامِ تُمْتَعُ
عَطْفُ الْخَيَالِ بَأَنْ يُلِمَّ ، فَإِنِّي أَرْضَى بِلَهَامِ الْخَيَالِ ، وَأَقْنَعُ
عَجَبًا لَهُ يُسَخِّو ، وَيَسْطُو نَائِيًا عَنِّي ، وَيَمْنَحُنِي الْوِصَالَ وَيَمْنَعُ
عُدَّ بِالْحَمِيلِ ، كَمَا عَهَدْتُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ التَّصَبُّرِ مَنَزَعُ
عَسْفًا صَبَرْتُ عَلَى هَوَاكَ ، لِأَنِّي إِنْ لَمْ أَلْذُ بِالصَّبْرِ ، مَاذَا أَصْنَعُ
عَلَّ الزَّمَانَ يَرُدُّ أَيَّامَ الرِّضَى ، أَوْ أَنْ سَاعَاتِ التَّوَاصُلِ تَرْجِعُ
عَزَّ الشَّقِيقُ إِلَى الزَّمَانِ ، وَلِأَنِّي بِسِوَى يَدِ الْمَنْصُورِ لَا أَتَشَفَّعُ
عَلَّمَ لَنَا مِنْهُ الْخِلَافَةَ مَنْصِبُ ، نَجْمٌ لَهُ أَفْقُ الْمَعَالِي مَطْلَعُ
عَضُدٌ لِيَا الْإِسْلَامَ مَشْدُودٌ بِهِ ، رُكْنٌ لِلدِّينِ اللَّهِ لَا يَتَزَعَزَعُ
عَبَلٌ ، إِذَا لَاقَى الْعُدَاةَ بِمَعْرَكٍ ، سَيَّانٍ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُدَّرَعُ

١ العار : السيد .

عَذْبٌ ، مَرِيرٌ ، عَابِسٌ ، مُتَبَسِّمٌ ،
 عَالِي الْمَرَاتِبِ تَخَضَعُ الدُّنْيَا لِهٖ ،
 عُهُدَتْ يَدَاهُ بِالسَّمَاحِ فَاصْبَحَتْ
 عَلَمَ الْخَلَائِقِ مِنْ نَدَاهُ بَوَابِلِ
 عَبِيقِ الثَّنَاءِ ، فَفَرَّقَتْ أَمْوَالَهُ
 عَمَجِلَتْ يَدَاهُ عَلَى عِدَاهُ بِصَارِمِ
 عَضْبٌ إِذَا مَا قَامَ يَوْمًا خَاطِبًا ،
 عَطْشَانٌ مِنْ طَوْلِ الضَّرَابِ ، وَإِنَّهُ
 عَصَفَتْ رِيَّاحُ الْمَوْتِ مِنْ شَفَرَاتِهِ ،
 عَلِقَتْ يَدِي بَكَ يَا أَبَا الْفَتْحِ الَّذِي
 عَلِمًا أَنَّ الْجُودَ فِيكَ صَنِيعَةٌ ،
 عِشْ فِي نَعِيمٍ لَا يُنْقَلُ ظِلُّهُ ،

نَاءٌ ، قَرِيبٌ ، مُبْطِئٌ ، مُتَرَعِّعٌ^١
 طَوْعًا ، وَتَحْسُدُهُ النُّجُومُ الطُّلُعُ
 تَرْجُو مَوَاهِبَهُ الْخَلَائِقُ أَجْمَعُ
 غَدِيقٍ سَحَائِبُ جُودِهِ لَا تُقْطَعُ^٢
 كَفٌّ لَشَمْلِ السَّمَاحِ تُجْمَعُ
 بَرْقُ الْمَنِيَّةِ مِنْ سَنَاهُ يَلْمَعُ
 فَالْهَامُ تَسْجُدُ وَالْحَمَاجِمُ تَرْكَعُ
 بَسْوَى الدِّمَاءِ غَلِيلُهُ لَا يُبْقَعُ
 فَتَكَلَّمَتْ فِيهِ الطَّبَاعُ الْأَرْبَعُ
 نَصْرُ الْأَنَامِ عَلَى عُلَاهُ أَجْمَعُ
 طَبِعٌ ، وَذَلِكَ فِي سَوَاكَ تَطْبَعُ
 وَعُلَى يَذُلُّ بِهَا الزَّمَانُ وَيَخْضَعُ

١ المترعرع ، من ترعرع الولد : نشأ وشب .

٢ علم : وسم .

قافية الغين

غَيْرُ مُجْدٍ مَعَ صِحَّةٍ وَفَرَاغٍ طُولُ مُكَيٍّ ، وَالمَجْدُ سَهْلٌ لِبَاغِي
 غَفَلْتُ هِمَّتِي عَنِ السَّيِّئِ ، حَتَّى بَلَغْتَنِي الْأَيَّامُ شَرَّ بَلَاغٍ
 غَالِطٌ مَنْ يَحُطُّ عَنْ صَهْوَةِ الْعِ زٌ وَيَرْضَى بِمَوْقِعِ الْأَرْسَاغِ
 غِيبٌ عَنِ الِهِمِّ يَصِفُ عَيْشُكَ يَا صَا حِ ، وَلَا تَنْشُرْ إِلَى الْفُرَاغِ
 غَنَى لِي بِاسْمِ لَيْلَى عَسَى وَيَوْمُ الْبَا غِي فِيهِ لَهُ يَوْمَ عَيْنِ الْبَاغِ^١
 غَابَ عَنَّا الرَّقِيبُ وَابْتَدَرَ الِ سَاقِي عَلَى الْكُؤُوسِ وَالْفُرَاغِ^٢
 غَنِيحُ الطَّرْفِ ذُو خَدٍّ أَسِيلٍ لَمْ يَزَلْ مِنْ دِمَائِنَا فِي الصَّبَاغِ
 غَالٍ فِينَا وَجَارٍ فِي الْقَتْلِ حَتَّى تَسَلَّسَلَتْ عَقَارِبُ الْأَصْدَاغِ^٣
 غَصَبَ الرَّاحُ بِالْمِزَاجِ ، فَجَاشَتْ بِحَبَابٍ ، بِحُكِيِّ الثَّغُورِ ، سَبَاغٍ^٤
 غَضِيبٌ ، فَانْشَنَتْ تَوْسُوسٌ فِي الْعَقِ لِ شَيَاطِينُ فِكْرِهَا فِي النَّزَاغِ^٥
 غَيَّرَتْ صِبْغَةَ الدَّنَانِ بَنُورٍ ، هَوَى لِّلْكَأْسِ أَحْسَنُ الْأَصْبَاغِ
 غَسَقٌ خِلْتُ أَنَّ وَجَهَ أَبِي الْفَنِّ حِ جَلَاهُ بَنُورِهِ الْبَزَاغِ
 غَيْثُ جُودٍ إِنْ هَمَّ لِلْقَصْدِ رَاجٍ ، وَوَبَالَ إِنْ هَمَّ بِالْجَوْرِ بَاغِ

١ هذا البيت مختل الوزن . عين الباغ : لعله يوم كانت فيه موقعة .

٢ قوله : على الكؤوس والفراغ ، هكذا في الأصل .

٣ هذا البيت مختل المعجز غامضه .

٤ سباغ ، من صبغ : كمل ، امتد ، اتسع .

٥ النزاع ، من نزغ الشيطان بينهم : أغرى .

غَدِيقُ الْجُودِ بَعْدَمَا هُوَ مِنْهُ
 غَافِرٌ لِلذَّنُوبِ بَعْدَ اقْتِدَارٍ ،
 غَابِنٌ لِلْمَالِ أَنْ يَجُودَ عَلَيْهِ
 غَرَسَ الْجُودَ فِي الْوَرَى وَأَسْرَا
 غَمَرَ الْعَالَمِينَ نَائِلٌ كَفَيْهِ
 غَشِيَ الْحَرْبَ يَهْتَدِي بِجُسَامٍ
 غَاصَ فِي لُجَّةِ الْمَفَارِقِ حَتَّى
 غَادَرَ الشَّهْبَ كَالْعَجَاجَةِ دُهْمًا ،
 غَارَةً لَمْ يَخَفْ بِهَا زَجَرَ قَوْمٍ ،
 غَبَطَةٌ فِيهَا الْخَلَائِقُ إِذْ بِ
 غُصَصُ الدَّهْرِ قَبْلَهُ أَخْلَصْتَنِي ،
 غَيْرَ أَنْ الْعَزَائِمَ الْأُرْتُقِيَا
 غُضَّ طَرَفُ الْأَعْدَاءِ عَنْكَ أَمَا الْفَتَى
 غَيِظُ أَهْلِ التَّفَاقِ مِنْكَ وَأَمَ
 غَاضَ مِنْهُ مَاءُ الْحَيَاةِ قَبَادَتُ
 غَمَّ أَعْدَاءَ لَا بَرَحَ بِمُلْكٍ

طَرُّ شَرْبِ الْخَيْلِ وَالْمَطْيِ الرَّوَاعِي
 عَائِدٌ لِلصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرَاغِ
 هِ جُودُ أَسْيَافِهِ عَلَى كُلِّ بَاغٍ
 هُ يُكْثِرُ الْغَرَسَ فِي بَطُونِ الْأَوَاغِي
 هِ يَسْذِلُ النَّوَالِ وَالْإِسْبَاغِ
 عَارِفٌ بِالنَّحُورِ وَالْأَصْدَاغِ
 خَصَمَ الْعَقْلَ فِي مَقَرِّ الدِّمَاغِ
 وَسَنَاهَا مَخْضُوبَةً الْأُرْسَاغِ
 لَيْسَ تَخْشَى الْأَسْوَدُ نَفْوَةً ثَاغٍ^١
 تٌ ، وَدَهْرٌ مُصْغِرٌ إِلَيَّ وَصَاغِ
 فَاثْنَيْتُ لِلنَّاسِ نَشْرَ مَسَاغٍ^٢
 تِ حَمَمْتَنِي مِنْ صَرْفِهِ الرَّوَاعِ
 حِ وَبَاتَتْ قُلُوبُهُمْ فِي ارْتِيَاغٍ^٣
 سَى كُلُّ ضَارٍ مِنْ خَوْفِهِ وَهُوَ صَاغِ
 حَذَرًا مِنْ سَيْنَانِكَ الدِّدَاغِ
 آمَنَّا مِنْ شَوَابِ الْارْتِيَاغِ

١ الاواغي : مفاجر المياه في المزارع ، الواحدة واغية .

٢ النفوة : النعمة الحسنة . الثاغي ، من ثفت الشاة : صوتت .

٣ مساغ مصدر ميمي من ساغ الشراب : سهل .

٤ الارتياغ : الطلب ، ولعله أراد بها الارتياح ، الفزع .

قافية الفاء

فَتَكُ اللّٰوَاحِظِ وَالْقُدُودِ الْهَيْفِ
فَجْهِلْتُ تَضْعِيفَ الْجُفُونِ ، وَإِنَّمَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلّٰوَاحِظِ غَارَةٌ
فَرَّتْ وَمَا فَرَّ الْقِتَالُ وَأُضْعِفْتُ ،
فَلَنْ سَطَّتْ أَيْدِي الْفِرَاقِ وَأَبْعَدْتُ
فَلَكُمْ نَعِمْتُ بِوَصْلِهِ فِي مَتَرٍ لِّ
فَارَقْتُ زُرَّاءَ الْعِرَاقِ ، وَإِنِّي لِي
فَلَأَتَيْنَنَّ إِلَى الْعِرَاقِ أَعْنَتِي ،
فِيهَا بُلُورٌ فِي خِلَالِ مَضَارِبِ ،
فَاقْتُ بِكُلِّ مُقَرَّطٍ وَمُسْتَنْفٍ ،
فَاتَ الْمَرَادُ ، فَبِتُ أَقْرَعُ بَعْدَهُمْ
فَرْدًا أَعْلَلُ مِنْ لِقَاهُمْ بِالْمُنَى ،
فَصَلَّتْ مِلَازِمَةُ السَّقَامِ مَقَاصِلِي ،
فَعُرِفْتُ بِالْحَبِّ الْمُبْرِجِ مِثْلَمَا
فَخَرُ الْمُلُوكِ ، وَنَجْمُهَا ، وَهَلَالُهَا ،
فَكَرُّ يَدَوْرٍ فِي أُمُورِ زَمَانِهِ
فَجَرُّ ، إِذَا مَا الظَّلَمُ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ،

أَغْرَى السَّهَادَ بِطَرْفِي الْمَطْرُوفِ
ضَعْفُ الْقُلُوبِ بِذَلِكَ التَّضْعِيفِ
شُغِفْتُ بِنَهَبِ فُؤَادِي الْمَشْغُوفِ
وَفَعَالُهَا بِالْفَتَكِ غَيْرُ ضَعِيفِ
بَدْرًا تَحَجَّبَ نَصْفُهُ بِنَصِيفِ
قَدْ طَابَ فِيهِ مَرْبَعِي وَمَصِيفِي
قَلْبًا أَقَامَ بَرَبِعِهِ الْمَأْلُوفِ
وَأُطِيلُ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ وَقُوفِي
وَشُمُوسُ دَجْنٍ مِنْ وَرَاءِ سَجُوفِ
وَالْحَسَنُ بَيْنَ قَرَاظِقِ وَشُنُوفِ
سَنِي ، وَأَصْفَقُ ، إِذْ نَابْتُ ، كَفُوفِي
وَأَعِيشُ بَعْدَ الْقَوْمِ بِالتَّسْوِيفِ
بِيَدِ الْبُعَادِ ، وَأَنْكَرْتُ تَعْرِيفِي
عُرِفْتُ يَدُ الْمَنْصُورِ بِالتَّصْرِيفِ
غَوْتُ الطَّرِيدِ وَمَلَجَأُ الْمَكْهُوفِ
طَرْفِي ، خَبِيرُ فِي الزَّمَانِ عَرُوفِ
جَلَّتِي دُجَاهُ بَعْدِلِهِ الْمُوصُوفِ

فَرَضَ عَلَى أَسْيَافِهِ وَبَنَانِهِ
فَنَكَّتْ يَدَاهُ بِالنُّصَارِ ، فَأَتَلَقَتْ
فَشِيعَارُهُ فِي الْحَرْبِ فَلْ مَقَانِبِ ،
فَرَقَ الزَّمَانَ بِحَالَتَيْهِ ، فَدَهَرُهُ
فَلِذَاكَ آتَسَتْ الْوُقُوفُ بِرَبْعِهِ ،
فَتَهُمَّ ، وَلَكِنْ فِي مَسَامِعِ فَهْمِهِ
فَنَنْدُ الْعَوَازِلِ فِي السَّمَاحِ يَزِيدُهُ
فَلَّ الْجِيُوشَ بِعِزْمَةٍ مُلْكِيَّةِ ،
فَصَلَّ الْقَضَا مُتَتَابِعٌ لِقَضَائِهِ ،
فَضَلَّ بِهِ فَضْلَ الْأَنَامِ ، وَهِمَّةُ
فُهِنَا بِنَظْمِ حَدِيثِهِ مَعَ أَتْنَا ،
فُزْنَا بِهِ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ مِنَ الرَّدَى ،
بِالْعَدَّةِ رَدْدَهُ وَصَرَفِ صُرُوفِ
مَا ضَمَّهُ مِنْ تَالِدٍ وَطَرِيفِ
وَصَنِيعُهُ فِي السَّلْمِ بِدَلِّ الْوَفِ
يَوْمَانِ : يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ حُتُوفِ
نَارَيْنِ نَارٍ وَغَى وَنَارِ مَضِيفِ
صُمٌّ عَنِ التَّقْيِيدِ وَالتَّعْنِيفِ
جُوداً ، وَيُرْجِفُهُمْ بِرُغْمِ أُنُوفِ
تُغْنِيهِ عَنِ خَطِيئَةٍ وَسُيُوفِ
تُلْقَى إِلَيْهِ أَرْمَةُ التَّشْرِيفِ
رَكِيبَ الْعُلُوفِ بِهَا بَغَيْرِ رَدِيفِ
مَا إِنْ نَرُومُ بِهِ سَوَى التَّشْرِيفِ
وَأَمِنَّا فِي مَغْنَاهُ كُلِّ مَخُوفِ

١ المغانب ، الواحد مغنّب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

قافية القاف

قَفِي وَدَعَيْنَا قَبْلَ وَشَكِّ التَّفَرِّقِ ،
 قَضَيْتُ وَمَا أودى الحِمَامُ بِمُهْجَتِي ،
 قَضَيْتُ لَنَا فِي الدَّلِّ فِي مذهبِ الهَوَى ،
 قَرَنْتِ الرِّضَى بِالسُّخْطِ وَالْقَرَبِ بِالنَّوَى ،
 قَبِلَتْ وَصَايَا الهَجَرِ مِنْ غَيْرِ نَاصِحٍ ،
 قَطَعْتَ زَمَانِي بِالصَّدُودِ وَزُرْتَنِي
 قَضَى الدَّهْرُ بِالتَّفَرِّقِ فَاصْطَبِرْ لِي لَهُ
 قَبِيحٌ بِنَا ذَمُّ الزَّمَانِ ، وَإِنْ جَنَى ،
 قِيَامٌ لِدِينِ اللَّهِ قَدْ حَفِظَ الْوَرَى
 قَرِيبٌ إِذَا نُودِيَ ، بَعِيدٌ إِذَا انْتَمَى ،
 قَسَا قَلْبُهُ جُوداً عَلَى الْمَالِ فَاغْتَدَى
 قَلَانِدُ أَعْنَاقِ الرِّجَالِ هَيَاتُهُ ،
 قَضَى بِتَلَاثِ الْمَالِ فِي مَذهبِ الْعَطَا ،
 قَضَتْ عَنْهُ قَوْمٌ إِذْ رَأَتْ فَيْضَ جُودِهِ ،
 قَوِيُّ السَّطَا أَوْ خَاصِمُ الدَّهْرِ بِأَسَهُ
 قَصِيرُ الْخَطَى نَحْوَ الْمَعَاصِي ، وَإِنَّهَا
 قَدِيرٌ عَلَى جَبِشِ اللَّهِى غَيْرُ قَادِرٍ ،

فَمَا أَنَا مَنْ يَحْيَا إِلَى حِينَ نَلْتَقِي
 وَشِبْتُ وَمَا حَلَّ الْبَيَاضُ بِمُتَفَرِّقِي
 وَلَمْ تَفَرِّقِي بَيْنَ الْمُتَنَعِّمِ وَالشَّقِي
 وَمَزَقْتَ شَمْلَ الْوَصْلِ كُلَّ مُمَزَّقِ
 وَأَحْيَيْتِ قَوْلَ الْهَجَرِ مِنْ غَيْرِ مُشْفِقِ
 عَشِيَّةَ زُمْتُ لِلتَّرَحُّلِ أَبْنُقِي
 وَلَا تَذْمُمِي أَفْعَالَهُ ، وَتَرْفُقِي
 إِذَا كَانَ فِيهِ مِثْلُ غَازِي بْنِ أَرْتُقِ
 بَعَيْنٍ مَنَى تَنْظُرُهُ إِلَى الدَّهْرِ بِطُرُقِ
 عَبَّوسٌ إِذَا لَاقَى ، ضَحُوكٌ إِذَا لُقِيَ
 يَجُورُ عَلَى أَمْوَالِهِ جَوْرَ مُحْسَنِ
 تَرَى النَّاسَ مِنْهَا كَالْحِمَامِ الْمُطَوَّقِ
 فَجَادَ إِلَى أَنْ قَالَ سَائِلُهُ : اِرْفُقِ
 وَمَنْ لَمْ يَبَيِّنْ عَنْ مَهْبِطِ السَّبِيلِ يَتَفَرَّقِ
 غَدَا خَاسِراً فِي دَرْعِهِ الْمُتَمَزَّقِ
 طِيَالٌ ، إِذَا مَا جَالَ فِي صَدْرِ فَيْلَقِ
 تَقِيٌّ لِأَهْوَالِ الْوَعَى غَيْرُ مُتَقِي

قننى الحمدة ثوباً للفخار ، وإنه
 قد العزم ، وابق يا أبا الفتح سالماً ،
 قد استبشرت منك اللبالي ، وإنما
 قريب من الداعي ، فمن يسبغ نصرة
 قسمت على الوراد رزقاً قسمته ،
 قصداك ، يا نجم الملوك ، لأننا
 قطعنا إليك البید نهدى مدائحاً ،
 قصائد في أياتهن مقاصد
 قواف ، إذا ما جزن في سمع ناقد
 قدمت بمدحي زائراً ، فلقيتني
 قليل إلى أرض العراق تطلعي ،
 قصرت بمغناك الحوادث إذ رأته

على جدة الأيتام لم يتخرق
 فقد خفص الدهر الجناح لترنقي
 بشاشتها في غيركم للتملق
 يجدك ، ومن يطلبك في الضيق يلحق
 وقلت لها : مما رزقناك أنفي
 رأينا الوری من بحر جودك تستقي
 جواهرها من بحرك المتدفق
 تردد في أحداقها سحر منطبق
 فعلن به فعل السلاف المعتق
 بحسن قبول للرجاء محقق
 وجودك قيد بالكارم موثقي
 بحبك من دون الأنام تعلقي

قافية الكاف

كُفِّي القِتَالَ، وفُكِّي قَيْدَ أَسْرَاكِ ،
كَلَّتْ لِحَاظُكَ مِمَّا قَدْ فَتَكَتِ بِنَا ،
كَفَّاكَ مَا أَنْتَ بِالْعُشَّاقِ فَاعِلَةٌ ،
كَمَلْتَ أَوْصَافَ حُسْنٍ غَيْرِ نَاقِصَةٍ ،
كَيْفَ انْتَشَيْتِ إِلَى الْأَعْدَاءِ كَاشِفَةً
كَتَمْتُ سِرِّكَ حَتَّى قَالَ فِيكَ فَمِي
كِدَتِ الْمَحَبَّةُ فَمَا أَنْتِ بِطَالِبَةٍ
كَافَيْتَنِي بِذُنُوبٍ لَسْتُ أَعْرِفُهَا ،
كَلَّفْتَنِي حَمْلَ أَنْقَالٍ عَجَزْتُ بِهَا ،
كَابَدْتُ هَوْلَ السُّرَى فِي الْبَيْدِ مُكْتَسِبًا
كَلَّا ، وَلَا بَيْتٌ أَطْوِي كُلَّ مُقْفِرَةٍ ،
كَأَنَّ فِيهِ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَاحِدَةً ،
كَبَّتْ مِنَ الْإَيْنِ فِيهِ نَاقَتِي ، فَغَدَتْ
كَوْمَاءُ تُسَحَّبُ مِنْ سُقْمٍ مَنَاسِمَهَا
كَفَّتْ عَنِ السَّيْرِ لِلْمَرَعَى مُحَاوَلَةً ،
كَرَّتْ ، وَقَالَتْ : إِلَى مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ لَهَا :
كَهْفُ الضِّيُوفِ وَوَهَابُ الْأُلُوفِ وَجَدَتْ

يَكْفِيكَ مَا فَعَلْتُ بِالنَّاسِ عَيْنَاكِ
فَمَنْ تُرَى فِي دَمِ الْعُشَّاقِ أَفْنَاكِ
لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي الْعُشَّاقِ عَزَاكِ
لَوْ أَنَّ حُسْنَكَ مَقْرُونٌ بِحُسْنَاكِ
غَوَامِضَ السَّرِّ لَمَا اسْتَطَقُوا فَاكِ
شِعْرًا ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْقَلْبَ يَهْوَاكِ
فَنَّا مُحِبُّكَ مَعَ إِشْمَاتِ أَعْدَاكِ
فَسَاعِي وَاذْكُرِي مَنْ لَيْسَ يَسْلَاكِ
وَحَبِّدَا ثِقْلَهَا إِنْ كَانَ أَرْضَاكِ
مَالًا ، وَمَا كُنْتُ أَبْغِي الْمَالَ لَوْلَاكِ
وَمَهْمَةٍ لَمْ تَسِرْ فِيهِ مَطَايَاكِ
وَنُوقْنَا نُجْبُ نُورٍ تَحْتَ أَمْلَاكِ
تَشْكُو إِلَيَّ بِطَرْفٍ شَاخِصٍ بِأَكِ
كَأَنَّ أَرْجُلَهَا شُدَّتْ بِأَشْرَاكِ
فَقُلْتُ : سِيرِي إِلَى مَرَعَى النَّدَى الزَّاكِي
إِلَى أَبِي الْفَتْحِ مَوْلَانَا وَمَوْلَاكِ
أَعُ الْأَنْوَفِ ، وَأَمْنُ الْخَائِفِ الشَّاكِي

كريمُ أصلٍ يُعيدُ الروحَ مَنْظَرُهُ ،
 كَسَاكَ مِنْ سُنْدُسِ الْإِنْعَامِ أَرْدِيَّةٌ ،
 كُلِّي هَتِينًا ، وَنَامِي غَيْرَ جَاذِعَةٍ ،
 كَانَ الرَّجَاءُ بَلْقِيَاهُ يُعَلِّلُنِي ،
 كَذَا طَلَابُ الْعُلَى ، يَا نَفْسِ ، مُمْتَنِعٌ ،
 كَوَاكِبُ الْقَطْرِ إِلَّا أَنْ رَاحَتَهُ
 كَفُّ حَكَيِّ وَابِلِ الْأَنْوَاءِ وَابِلُهَا ،
 كَمْ أَبْكْتَ الْبَيْضَ فِي كَفِّهِ إِذْ ضَحَكَتْ
 كُلُّ الْأَنَامِ ، لِمَا أَوَّلَاهُ ، شَاكِرَةٌ ،
 كُنْ كَيْفَ شِئْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا مَلِكَا ،
 كَفَيْتَنَا مِنْكَ مَنًّا لَوْ وَصِفْتَ بِهِ
 كَذَاكَ لَا زِلْتَ تَكْفِي كُلَّ ذِي جَسَدٍ

فلو قَضَيْتِ ، يَا ذَنْ اللَّهَ ، أَحْيَاكَ
 حَتَّى كَانَ جِنَانِ الْخُلْدِ مَأْوَاكَ
 فِي مَرَبَعٍ فِيهِ مَرَعَانَا وَمَرَعَاكَ
 وَحَادِثَاتُ اللَّيَالِي دُونَ إِدْرَاكِ
 فَإِنْ صَبَرْتَ لَهُ نَالَتْهُ كَفَّاكَ
 إِنْ أَمْسَكَ الْقَطْرُ لَا تَعْبَا بِإِمْسَاكَ
 حَتَّى غَدَا يَحْسُدُ الْمَحْكِيَّ لِلْحَاكِي
 عَيْنًا ، وَأَضْحَكَ سَنًا مَالَهُ الْبَاكِي
 فَمَا لَهُ غَيْرُ بَيْتِ الْمَالِ مِنْ شَاكٍ
 أَضَحَّتْ عَزَائِمُهُ أَقْطَابَ أَفْلَاكِ
 لَظُنُّ ذَلِكَ مِنَّا نَوْعَ إِشْرَاكِ
 فَتَكَ الْخُطُوبِ بَعَزَمٍ مِنْكَ فَتَّاكَ

قافية اللام

لم أدرِ أنْ نِبالَ الغُنْجِ والكَحْلِ ،
لعلَّ طَرفَكَ من أَسْمائِهِ تُعَلِّ ،
لَوَاحِظٌ حَاذَرَتِ الحَاظِنَا ، فغَدَتِ
لَقَد تَعَدَّتْ عَلَيْنَا غَيْرَ رَاحِمَةٍ ،
لِللَّهِ لَيْلَتُنَا بِالمُتَجَمِّعِينَ ، وَقَد
لَيْلٌ تَنَعَّمْتُ فِي وَصْلِ الفَتَاةِ بِهِ ،
لِمَاءُ جَادَتْ لَنَا بِالوَصْلِ ، إِذْ عَلِمْتُ
لَزْتُ إِلَى صَدْرِهَا صَدْرِي مُودَّعَةً ،
لَمَّا أَحَسَّتْ بَوْشَكِ البَيْنِ فَانْسَفَحَتْ
لَا حَتَّ صُرُوفُ النُّوَى حَزَنًا وَقَد نَثَرَتْ
لَجَجْتُ ، فَقُلْتُ لَهَا كَيْمَا أُعَلِّهَا ،
لَعَلَّ المِائِمَةَ بِالْجِزْعِ نَابِتَةً ،
لَوْتُ إِلَيَّ عَيْنَانِ الذَّلَّ قَائِلَةً :
لِمَنْ تُؤْمَلُ بِالْإِعْسَارِ ؟ قُلْتُ لَهَا :
لِلْبَاسِمِ الثَّغْرِ ، وَالْأَبْطَالِ عَابِسَةً ،
لِمَنْ أَضَاءَتْ بَنُورِ اللَّهِ دَوْلَتُهُ ،

تَحْتَ السَّوَابِغِ تُصْمِي مُهْجَةَ البَطَلِ
كَذَلِكَ الرَّمْيُ مَسْئُوبٌ إِلَى تُعَلِّ
بَصَارِمِ الغُنْجِ تَحْمِي وَرْدَةَ الخَجَلِ
فَظَلَّلَ الحُسْنَ ظِلًّا غَيْرَ مُسْتَقِيلِ
حَالَتْ ، وَتَذَكَرُهَا فِي القَلْبِ لَمْ يَحُلِ
حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ البَدْرَ مِنْ قِبَلِي
أَنَّ التَّرَحُّلَ قَدْ زُمْتُ بِهِ لِابْنِي
وَزَوَّدَتْنِي مِنَ الإِرْشَافِ وَالْقُبُلِ
دُمُوعُ مُتَحَبِّبٍ فِي لِأَثَرِ مَرْتَحِلِ
عَقِيقَ أَدْمُعِهَا مِنْ نَرَجِسِ المَقْلِ
كَمَنْ يُعَلِّ بَعْدَ النَّهْلِ بِالْعَلَلِ
كَيْمَا يَهَبُ نَسِيمُ البُرِّ فِي عِلِّي
عَلَامَ تَعَجَّلَ الأَسْفَارِ والنُّقْلِ
عَلَى ابْنِ أَرْتُوقَ ، بَعْدَ اللَّهِ ، مَتَكَلِّي
وَالْمُخْصِبِ الرَّبْعِ ، وَالْأَرْضُونَ فِي مَحَلِ
كَأَنَّهَا غُرَّةٌ فِي جِبْهَةِ الدَّوَلِ

١ ثمل : قبيلة مشهورة بالرماية .

لَهُ يُرَاعُ ، وَعَضْبُ مَا جَرَى وَبَرَى
 لَدُنَّا بِهِ ، فَرَأَيْنَا مِنْ مَنَاقِبِهِ
 لَيْثٌ أَضَافَتْ سَجَايَاهُ حِمَاسَتَهُ
 لَكَ الْفَضَائِلُ ، يَا نَجْمَ الْمُلُوكِ ، لَقَدْ
 لَزِمْتَ حَدَّ التَّقَى عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ ،
 لَرَبِّ لَيْلٍ عَجَاجٍ كَانَ أَنْجَمُهُ
 اذَّ الْوَعَى لِلْمَوَاضِي ، فَانْشَنَتْ طَرْبًا
 لَوْلَا فِرَارُ الْأَعَادِي مِنْ يَدَيْكَ بِهِ ،
 لَقَيْتَهُمْ بِجِيَادٍ قَدْ كَفَلَتْ لَهَا
 لِي أَيْهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ فَيْكَ فَمُ
 لَهَوْتُ عَنْ مَدَحِ أَهْلِ الْأَرْضِ مَرْتَفَعًا
 لَوْ كَانَ مِثْلُكَ مَوْجُودًا نَظَّمْتُ بِهِ
 لَكَ الْوِلَايَةَ ، فَارْقَ فِي عِلَاكَ عَلَى

إِلَّا قَضَى ، وَمَضَى بِالرِّزْقِ وَالْأَجَلِ
 مَا لَا تُشَاهِدُهُ الْأَبْصَارُ فِي رَجُلٍ
 إِلَى السَّمَاحِ ، وَنَاطَ الْعِلْمَ بِالْعَمَلِ
 جَرَيْتَ فِي الْمَجْدِ جَرَى النَّوْمِ بِالْمُقَلِّ
 حَتَّى كَأَنَّكَ مَعْصُومٌ عَنِ الزَّلَلِ
 شَهَبُ الصَّفَاحِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا الذُّبُلِ
 بِهِ ، وَمَا سَ الْقَنَا كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ
 لِأَصْبَحُوا فِي فَمِ الْأَيَّامِ كَالْمَثَلِ
 أَنْ لَا تَرَى الشُّوسُ مِنْهَا صُورَةَ الْكَفَلِ
 مَا صَاغَ قَبْلَكَ نَبْرَ الْمَدَحِ فِي رَجُلٍ
 عَنْهُمْ ، وَعَضْبُ لِسَانِي غَيْرُ ذِي فَكَلٍ
 أَضْعَافَ مَا نَظَّمُوا فِيهِ ذُو الطَّوْلِ
 هَامَ السَّمَاءِ بَعْزٍ غَيْرِ مُسْتَقِيلِ

قافية الميم

مَغَامٌ صَفَوِ الْعَيْشِ أَسْنَى الْمَغَامِ ، هِيَ الظِّلُّ ، إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ دَائِمٍ
 مَلَكَتْ زِمَامَ الْعَيْشِ فِيهَا ، وَطَلَمْنَا رَفَعْتُ بِهَا أُولَى وَقُوعِ الْجَوَازِمِ
 مَغَانِي الْحِمَى جَادَتْ سَحَابٌ أَدْمَعِي عَلَيْكَ ، إِذَا جَفَّتْ جَفُونُ الْقَمَائِمِ
 مَلَاعِبُ لَهْوٍ كَمْ قَضَيْتُ بَرَبِعِهَا لُبَانَاتِ أَيَّامِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
 مِنْ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ مَعَاهِدُ أَنْسٍ مُشْرِقَاتِ الْمَبَاسِمِ
 مَعَالُمُ بَيْنَ الْقَلْعَتَيْنِ ، وَإِنَّمَا مَحَلُّ الْمَعَالِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
 مَكَّثْتُ بِهَا دَهْرًا ، وَعَيْنِي قَرِيرَةٌ بِهَا ، وَرَوَاقُ الْعِزِّ عَالِي الدَّعَائِمِ
 مَقِيلِي ظُهُورُ الصَّافِنَاتِ ، وَمُؤْنِسِي رِيَاضُ الْكَلَالِ دُونَ الْحَشَايَا النَّوَاعِمِ
 مَنِيْعٌ يَبْقِيَنِي ضَيْمٌ كُلُّ غَضَنْفَرٍ طَوِيلِ نِجَادِ السَّيْفِ مَاضِي الْعِزَائِمِ
 مَتَى جَادَ نَادَى مَالُهُ يَا لَطَارِقٍ ، وَإِنْ سَارَ نَادَى عِرْضُهُ يَا لَسَالِمِ
 مَوَاضِي سُرُورٍ لَا انْتِفَاعَ بِذِكْرِهَا ، إِذَا لَمْ أُعِيدْهَا بَارِتِكَابِ الْعِظَائِمِ
 مُنَبِّهُ عِزْمٍ إِنَّهُ غَيْرُ رَاقِدٍ ، وَمُوقِطُ حَزْمٍ إِنَّهُ غَيْرُ نَائِمِ
 مَطَلْتُ السُّرَى حَتَّى مَلَكَتُ ، كَأَنَّمَا عَلَيَّ مَقَامُ الدَّلِّ ضَرْبَةٌ لِأَزِمِ
 مَنَعْتُ عَنْ التَّرْحَالِ عَيْسِي ، وَمَنَعُهَا عَنْ الْمَلِكِ الْمَنُصُورِ إِحْدَى الْعِظَائِمِ
 مَلِيكَ جِبَالِ الْأَرْضِ مِنْ حِلْمِهِ انْتَشَتْ ، وَأُبْحَرُهَا مِنْ جُودِهِ الْمُتَسَلِّطِمِ
 مُفَرَّقٌ شَمَلَ الْمَالِ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ ، وَفِي رَاحَتَيْهِ جَمْعُ شَمَلِ الْمَكَارِمِ
 مَوَاهِبُهُ وَقَفَ عَلَى كُلِّ طَالِبٍ ، وَأَسِيفُهُ حَتَمٌ عَلَى كُلِّ آتِمِ

مُقِيمٌ بِآيَاتِ النَّدى كُلِّ قَاعِدٍ ، كما أَقْعَدَتْ أَسِيفُهُ كُلَّ قَائِمٍ .
مَحَلُّ الرَّدَى فِي سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ ، وبحرُ النَّدى فِي كَفِّهِ وَالْبَرَاجِمُ^١ .
مَحَا بِسَطَاهُ ذَكَرَ عَمْرٍو وَعَسْتَرِي^٢ ، وأحيَا نَدَاهُ ذَكَرَ مَعْنٍ وَحَاتِمُ^٣ .
مَكَارِمُ كَفٌّ لَا تَزَالُ بِهَا الْوَرَى مُطَوَّقَةٌ أَعْنَاقُهَا كَالْحَمَائِمِ .
مُعَوَّدَةٌ بِالْبَسْطِ ، إِلَّا إِذَا غَدَتْ بِمَتْنِ يَرَاعٍ ، أَوْ بِقَائِمِ صَارِمِ .
مُشِيدُ الْعُلَى لَا تَارِكُ خَلَّةَ النَّدى ، وَلَا سَامِعٌ فِي الْجُودِ لَوَمَةَ لَائِمِ .
مُصِيرٌ عَلَى بَذْلِ الْهِيَابِ يَسْرُهُ ، إِذَا أَصْبَحَتْ أُمُالُهُ بِالْمَاتِمِ .
مَزِيدُ الْعَطَا لَا يُلْحِقُ الْجُودَ مِنَّةً ، وَلَا يُتْبِعُ الْأُمُوالَ حَسْرَةَ نَادِمِ .
مَضِيفُ الْوَرَى مِثْلُ الرَّبِيعِ بَرَبِعِهِ ، وَأَيَّامُهُمْ فِي ظِلِّهِ كَالْمَوَاسِمِ .
مَرَرْنَا حُفَاةً فِي مَقَادِسِ رَبْعِهِ ، كَأَنَّا مُشَاةٌ فَوْقَ هَامِ النَّعَائِمِ^٣ .
مَشِينَا ، وَلَوْ أَنَا وَفِينَا بِحَقِّهِ ، مَشِينَا عَلَى الْأَحْدَاقِ دُونَ الْمَنَاسِمِ .
مَدَى الدَّهْرِ لَا زَالَتْ تَحْجُجُ بَنُو الرَّجَا إِلَيْهِ ، وَتَحْظَى بِالْغِنَى وَالْغَنَائِمِ .

١ البراجم : مفاصل الأصابع أو العظام الصفار في اليد والرجل ، الواحدة برجعة .
٢ عمرو : هو ابن معدي كرب أحد أبطال العرب . معن هو ابن زائدة ، وحاتم طي : كلاهما - من أجواد العرب .
٣ النعائم : منزل من منازل القمر .

قافية النون

نَعَمْ لِقُلُوبِ الْعَاشِقِينَ عِيُونُ ، يَبِينُ لَهَا مَا لَا يَكَادُ يَبِينُ
نَظَرْنَا بِهَا مَا كَانَ قَبْلُ مِنَ الْهَوَى ، فَدَلَّ عَلَى مَا بَعْدَهَا سَيَكُونُ
نَهَانَا النَّهْيَ عَنْهَا ، فَلَجَّتْ قُلُوبُنَا ، فَقُلْنَا : اقْدُمِي ! إِنَّ الْجَنُونَ فَنُونُ
نَغْضُ وَنَعْفُو لِلْغَرَامِ ، إِذَا جَنَى ، وَيَقْسُو عَلَيْنَا حَكْمَهُ ، فَتَلِينُ
نَرُدُّ حَدُودَ الْمُرَهَفَاتِ كَلِيلَةً ، وَتَفْتِكُ فِينَا أَعْيُنَ وَجُفُونُ
نُهَوِّنُ فِي سَبِيلِ الْغَرَامِ نَفُوسَنَا ، وَمَا عَادَةً ، قَبْلَ الْغَرَامِ ، تَهُونُ
نُطِيعُ رِمَاحًا فَوْقَهُنَّ أَهْلَةً ، وَكُثْبَانَ رَمَلٍ فَوْقَهُنَّ غُصُونُ
نَوَاعِمُ شَنَّتْ فِي الْمُحِبِّينَ غَارَةً ، بِهَا اللَّدْنُ قَدْ ، وَالسَّهَامُ عِيُونُ^١
نِبَالُ ، وَلَكِنَّ الْقِسِيَّ حَوَاجِبُ ، نِصَالُ ، وَلَكِنَّ الْجُفُونَ جُفُونُ^٢
نَهَبْنَ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ ، وَغَادَرَتْ بِجِسْمِي ضَنْئِي لِلْقَلْبِ مِنْهُ شُجُونُ
نُحُولُ وَصَبْرُ قَاطِنُ وَمُقَوِّضُ ، وَدَمَعُ وَقَلْبُ مُطْلَقُ وَرَهِينُ
نُسَهِّلُ أَحْوَالَ الْغَرَامِ تَجَلَّدًا ، وَإِنَّ سُهُولَ الْعَاشِقِينَ حُزُونُ
نَتَابَعُهُ طَوْرًا ، وَلَا عُرْوَةَ الْهَوَى بُوْثَقِي وَلَا حَبْلُ الزَّمَانِ مَتِينُ
نَظْنُ جَمِيلًا فِي الزَّمَانِ ، وَإِنَّهُ زَمَانُ لَتَصْدِيعِ الْقُلُوبِ ضَمِينُ
نَرُومُ وَعُودَ الْجُودِ مِنْهُ ، وَقَدْ غَدَتْ لَدَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَهِيَ دِيُونُ

١ اللدن : أراد الرمح اللين .

٢ الجفون الأولى : اغمد السيوف . الثانية : جفون الميون .

نَبِيٌّ سَمَاحٍ قَدْ تَحَقَّقَ بَعْثُهُ ،
نَجَتْ فِئْتُهُ لَازَتْ بِهِ ، فَتَيَقَّنَتْ
نَخِيٌّ ، لَهُ الْعَزْمُ الشَّدِيدُ مُصَاحِبٌ ،
نَجِيبٌ ، لَوْ أَنَّ الْبَحْرَ أَشْبَهَ جُودَهُ ،
نَقَتْ عَنْهُ مَا ظَنَّ الْعُدَاةُ عَزَائِمُ ،
نَمَتْهُ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ رِمَاحُهُمْ
نَجُومٌ هَا فَوْقَ السَّرُوجِ مَطَالِيعُ ،
نَفُوسُهُمْ يَوْمَ الْجِدَالِ جَدَاوِلُ ،
نَجَعْنَا إِلَيْهِ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ ،
نَهَضْنَا لِنَسْتَسْقِيَ السَّحَابَ ، فَجَادَنَا
نُؤَافِيكَ يَا مَنْ قَدْ غَدَتْ حَرَكَاتُهُ
نُجَازِي بِمَا نَأْتِي إِلَيْكَ هَدِيَّةً ،
نَعِمَتْ ، وَلَا زَالَتْ رُبُوعُكَ جَنَّةً ،
نَهَبْتَ الثَّنَا وَالْجُودَ وَالْمَجْدَ وَالْعُلَى ،
لَهُ الرَّأْيُ وَحْيٌ ، وَالسَّمَاحَةُ دِينُ
بِأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ فِيهِ مُبِينُ
سَخِيٌّ ، لَهُ الرَّأْيُ الشَّدِيدُ قَرِينُ
لَمَّا سَلِمَتْ مِنْ جَانِبَيْهِ سَفِينُ
هِيَ الْجَيْشُ وَالْجَيْشُ الْخَمِيسُ كَمِينُ
قَضَتْ فِي الْوَعْيِ أَنْ لَا يَضِيقَ طَعِينُ
لُيُوثُ هَا تَحْتَ الرِّمَاحِ عَرِينُ
وَأَرَاوَهُمْ يَوْمَ الْجِدَالِ حُصُونُ
وَكُلُّ لَهُ حُسْنُ الرَّجَاءِ ضَمِينُ
سَحَابُ نَدَى كَفَيْهِ وَهِيَ هَتُونُ
عَلَى الْمُلْكِ مِنْهَا هَيْبَةٌ وَسُكُونُ
فَنَحْمِلُ دُرَّ الْمَدْحِ ، وَهُوَ ثَمِينُ
فَمَغْنَاكَ حِصْنٌ لِلْعُفَاةِ حَصِينُ
وَنِلْتَ الْأَمَانِي ، وَالزَّمَانُ سُكُونُ

قافية الهاء

هل عليم الطيفُ عندَ مسراهُ ، أنَّ عيونَ المحبِّ ترعاهُ ؟
 هتجَّ أشواقنا بزورتيه ، ثمَّ انثنى ، والقلوبُ أسراهُ
 هتجعتُ كيما يزورني قمري ، أعتبُ طرفي ظلماً وألحاهُ
 هلاً أتى ، والعيونُ ساهرةٌ ، والنومُ بالنوحِ قد طردناهُ
 هُديتُ ، يا طيفُ ، قل لأهلِ منى إنَّ المعنى هواهُ أفناهُ
 هوًى لى نَحْوِكم يُجاذِبُهُ ، وهو الذي في البلادِ أقصاهُ
 هاجرَ لما هَجَرْتُمُوهُ ، فما أغناهُ عن أهليه ومغناهُ
 هامَ ، ولم يَأْلَفِ البلادَ ، وإن قَرَّتْ بتلكَ البلادِ عيناهُ
 هنيءُ عيشٍ لولا فراقكمُ ، أبقنَ أنَّ الحينانَ مأواهُ
 همتُ به في البلادِ همتُهُ ، ونالَ بالسعيِ ما تَمَنَّاهُ
 هادئُهُ دهرُهُ ، وراهنهُ ، ورامهُ مُنْعِماً وأرضاهُ
 هذَّبَ أخلاقهُ الزمانُ ، وقد طَهَرَ مدحُ ابنِ أرتقٍ فاهُ
 هوَ السحابُ الذي بشاشتُهُ بارقُهُ ، والحياءُ عطاياهُ
 هتونُ جودٍ ، سماحُ راحتهِ جارَ على مالِهِ ، فأفناهُ
 همتُ على الناسِ سَحْبُهُ ، فلكم قَتيلُ فقيرٍ ، نَداهُ أحياهُ
 هيَّاتِ يُدْعَى بالسحبِ نائِلُهُ ، فهو نُضارٌ ، وتلكَ أمواهُ
 هولٌ ، جميعُ الأهوالِ ترهبُهُ ، خطبُ ، جميعُ القلوبِ تخشاهُ

ها إنَّ أمرَ الزَّمانِ في يَدِهِ ،
 هلمَّ يا طالبَ النِّوالِ إلى
 هذا الذي أصبحَ النَّدى مثلاً
 هادي البرايا بنورِ طَلْعَتِهِ ،
 هلالُ أفقٍ ، تيارُ مَكْرُمَةٍ ،
 همامُ بأسٍ ، سَهْلُ خَلائِقِهِ ،
 همَّ بنا قَبْلَ أنْ نَهْمَ بِهِ ،
 همزٌ ليرضي العلى عَزِيمَتَهُ ،
 هَوْنٌ بها اللّهُمَّ ، فلو نَطَقْتُ ،
 هني بك أيتها المَلِكُ المَنصو
 هَوَيْتُ طيبَ الثَّنَا ، فلا بَرَحْتُ
 هَبَّتْ إلى مَدْحِكُم جَوَارِحُنَا ،
 يَأْمُرُهُ تِيارَةٌ وَيَنْهَاهُ
 مَنْ فَتَكَتْ بِالنُّضارِ كَفَّاهُ
 يُفَصِّحُ عَنْ ذِكْرِهِ ، وَأَسْمَاهُ
 مُحِيي الرِّعَايا بِفَيْضِ جَدَّوَاهُ
 تَهْوَى الْوَرَى حُسْنَهُ ، وَحُسْنَاهُ
 أَنْكَرْنَا الْبُؤْسُ مُذْ عَرَفْنَاهُ
 فَجَادَنَا قَبْلَ أَنْ سَأَلْنَاهُ
 فَأَصْبَحَ الْمَالُ بَعْضَ قَتْلَاهُ
 يَوْمًا ، لَقَالَتْ : أَعَزَّكَ اللَّهُ
 رُ ، فَالْدَّهْرُ فَيْكَ هَنَاهُ
 تُحْدَى إِلَى نَحْوِكُم مَطَايَاهُ
 فَكُلُّهَا بِالثَّنَاءِ أَفْوَاهُ

قافية الواو

وَحَقَّقْكَ إِنِّي قَانِعٌ بِالَّذِي تَهَوَّى ،
وَهَبْتُكَ رَوْحِي فَاقْضِ مِنْهَا وَلَا تَخَفْ ،
وَهَيَّ جِلْدِي إِنْ كَانَ أَضْمَرَ خَاطِرِي
وَحَقَّقْكَ قَدْ عَزَّ السَّلُوءُ ، فَمَنْ لِي
وَجَدْتُ الْهُوَى حُلُوءًا ، فَلَمَّا وَرَدَتْهُ
وَأَعْقَبْتَنِي مِنْ خَمْرِ حُبِّكَ نَشُوءًا ،
وَلِغْتُ بِذِكْرِ الْغَايَاتِ تَمَوَّهًا
وَأَكْثَرْتُ تَذَكَارِي لِحَزْوَى وَرَامَةٍ ،
وَعَدْتُ جَمِيلًا ثُمَّ أَخْلَفْتُ مَوْعِدِي ،
وَصَلَّتِ الْعِدَى رَغْمًا عَلَيَّ ، وَحَبَّذَا
وَحَقُّ الْهُوَى الْعَذْرَى ، وَهِيَ أَلِيَّةٌ
وِصَالُكَ لِلْأَعْدَاءِ لَا الْمَجْرُ قَاتِلِي ،
وَفَيْتَ لَهُمْ دُونِي ، فَسَوْفَ أَكِيدُهُمْ
وَالَا ، فَلَا أَضْحَحْتُ لِنُجْبِ عَزَائِمِي

وراضٍ ولو حملتني في الهوى رضى^١
لأن عيني نحو غيرك لا يلوى
سلوًا، ولو أنني قضيت من البلوى
بوصلٍ ، فإن المن أحلى من السلوى
تأجن حتى شاب بالكدر الصفو^٢
فها أنا حتى الحشر لا أعرف الصحو
عن اسمك كيلا يعلم الناس من أهوى
وما رامة^٣ لولا هواك وما حزوى^٤
فما بال وعد المجير عندك لا يلوى
لو أنك أصفيت الوداد لمن يسوى
تنزه أرباب الغرام عن الدعوى
ولكن رأيت الصبر أولى من الشكوى
بصبري إلى أن أبلغ الغاية القصوى
إلى الملك المنصور عصب^٤ الفلا تطوى

١ رضى : جبل في بلاد العرب .

٢ تأجن : تغير لونه وطعمه .

٣ حزوى ورامة : موضعان .

٤ العصب : ضرب من البرود .

وَلِيٌّ لِّأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَافِظٌ ،
وَصُولٌ ، عَبَّوسٌ ، قَاطِعٌ ، مَتَبَسِّمٌ ،
وَلِيٌّ عَنِ الْفَحْشَاءِ ، سَرِيعٌ إِلَى النَّدَى ،
وَبَالٌ لِّمَنْ عَادَاكَ ، وَبَلٌ لِّمَنْ رَاعَا
وَفِيٌّ يُجَازِي الْمُنْذِينَ بِعَقُوبِهِ ،
وَيُصْبِحُ عَنِ عَيْبِ الْخَلَائِقِ لَاهِيًا ،
وَأَبْلَجٌ قَدْ رَاعَ الزَّمَانَ سِيَاسَةً ،
وَصَفْنَا نَدَاهُ لِلْمَطِيِّ ، فَأُطْلِعَتْ
وُظِّلَتْ بِهَا يَكْوِي الْمَجِيرُ جُلُودَهَا ،
وَبِيدٍ عَسَفَتْ الْعِيسَ فِي هَضْبَاتِهَا ،
وَرَدْنَا بِهَا رَبْعًا بِهِ مَوْرِدُ النَّدَى ،
وَلُذْنَا بِمَمْلَكٍ لَيْسَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ ،
وَلَمَّا أَنْخَنَا عَيْسَنَا بِفِنَائِهِ ،
وَأُورَدْنَا مِنْ جُودٍ كَفَّيْهِ نِعْمَةً ،
وَحَسْبِي مِنَ الْآيَامِ أَنْتِي بِظِلِّهِ ،

شَرَائِطَ دِينِ اللَّهِ بِالْعَدْلِ وَالتَّقْوَى
يُخَافُ وَيُرْجَى عِنْدَهُ الْحَتْفُ وَالْجُدْوَى
بَعِيدٌ عَنِ الْمَرَأَى ، قَرِيبٌ مِنَ النُّجُومِ
كَ ، قَحْطٌ لِّمَنْ نَآوَاكَ ، خِصْبٌ لِّمَنْ أَلَوَى
وَلَكِنَّهُ عَنِ مَالِهِ لَا يَرَى الْعَقُومَ
وَعَنْ رَعِيَّتِهِم بِالْعَدْلِ لَا يَعْرِفُ السُّهُومَ
وَشَنَّ عَلَى أُمُومِهِ غَارَةً شَعُومًا
يَدَاهَا ، وَسَارَتْ نَحْوَهُ تُسْرِعُ الْخَطُومَ
وَأَخْفَاهُ مِنْ لَذَعِ قَدَحِ الْحَصَى تُكْوَى
وَأَنْضَيْتُ بِالْإِدْلَاجِ فِي وَعْرِهَا النُّضُومَ
غَزِيرٌ ، وَوَعْلُ الْجُودِ فِي ظِلِّهِ أَحْوَى
إِذَا مَوْعِدُ الْوَسْمِيِّ أَخْلَفَ أَوْ أَلَوَى
أَفَادَتْ يَدَاهُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَهْوَى
وَصَيَّرَ جَنَّاتِ النِّعَمِ لَنَا مَأْوَى
وَلِيَّ جُودُهُ مَحْيَا وَلِيَّ رَبْعُهُ أَحْوَى

قافية اللام الف

لَا نِلْتُ مِنْ طِيبٍ وَصَلِكُمْ أَمَلًا ، إِنْ أَنَا حَاوَلْتُ عَنْكُمْ بَدَلًا
 لَا كَانَ يَوْمًا يَدُومُ ، غَيْرَكُمْ ، قَلْبٌ عَلَى فَرْطِ حَبْصِكُمْ جُبِلًا
 لَا مَ عَنَلِي عَلَيْكُمْ سَقَمًا ، وَصَارِمُ الْحَبِّ يَسْبِقُ الْعَذْلًا
 لَا حَ غَدَا فِي الْهَوَى يُعَنَّفُنِي ، وَكَلَّمَا لَامَ فِي الْغَرَامِ حَلَا
 لَا هَلْ نَجِدُ عِنْدِي عَهْدُ صَبَا ، يَحْفَظُهَا الْقَلْبُ كُلَّمَا بَخِلَا
 لَا عِجُّ شَوْقِي إِلَى لِقَائِهِمْ ، يُنْبِئُهُ قَلْبِي بِهِمْ إِذَا غَفَلَا
 لَا مَعُ بَرَقِ الْغَرَامِ يُذَكِّرُنِي رَبْعًا لِقَوْمٍ مِنَ الْأُنَيْسِ خَلَا
 لَا زَمْتُ مِنْ دُونِهِ الْقِفَارَ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيهِ الرِّفَاقَ وَالْحَوْلَا
 لَا كُنْتُ بِهِ خَيْلُنَا مَرَاوِدَهَا ، ثُمَّ اسْتَحَبَّتْ مِنْ بَعْدِنَا الْعَطَلَا
 لَا ظَهَرُ الصَّافَاتِ خَيْالَةً مِنَّا ، وَأَمَّا قُلُوبُهُنَّ ، فَلَا
 لَا قَطَعَنَّ الْقِفَارَ مُمْتَطِيًا جَوَادَ عَزَمِ لِلنَّجْمِ مُسْتَعِيلَا
 لَشَيْنِ هَمَمْتُ كَانَ لِي هِمَمٌ تَفْتَحُ لِي بَاهِنَامِهَا سُبُلَا
 لَا خِفْتُ بُؤْسًا ، وَنَائِلُ الْمَلِكِ الْمَذْ صُورِ الْعَالَمِينَ قَدْ كَفَلَا
 لَا بَيْسُ ثَوْبِ الْعَقَافِ مَدْرَعٌ مِنْ سُنْدُسِ الْمَجْدِ وَالتَّقَى حُلَلَا
 لَا حَ فَقَوْمٌ تَعُدُّ طَلْعَتَهُ رِزْقًا ، وَقَوْمٌ تَعُدُّهُ أَجَلَا
 لَا خَصِمَنَّ الزَّمَانَ مُرْتَجِلًا ، وَأَنْظِمَنَّ الْقَرِيضَ مُرْتَجِلَا

١ مرارودها ، الواحد مرود : حديدة في اللجام .

لاقَ بأمثاله ، ومُحكّمه
 لأغزَرَ المنعمينَ طُولَ نَدَى ،
 لأروغٍ لا تَزَالُ راحتهُ
 لاحقُ شأوَ الكِرامِ سابقهم ،
 لاذَ بهِ الوافدونَ ، فامتثلتُ
 لاجيةً من نَدَى يَدَيهِ إلى
 لا تخشِ يا ابنَ الكرامِ مِن زَمَنِ
 لا وَاكَ قَوْمٌ ، فكانَ حَظَّهمُ
 لا قيتَهم ، والعجاجُ لو خُضِبَتْ
 لأنتَ من مَعشَرٍ بَعْدَهمِ
 لأنَ لكَ الدَّهرُ بَعْدَ شِدَّتِهِ ،
 لأجلِ ذَا أنجُمُ العُلَى طَلَعَتْ
 لأرْبُعُ المَجدِ مِنكَ أنيسَةٌ ،

لمن غدا ذِكرُ حِلْمِهِ مَثَلًا
 وأرْفَعَ العالمينَ طُورَ عُلَى
 تَجُودُ للنَّاسِ قَبْلَما تُسَلَا
 في جَرِيهِ للعُلَى ، إذا قَفَلَا
 مِنْهُ يَدَاهِم ، وصدَّقوا الأَمَلَا
 رُكنٍ مَشِيدٍ لِعَيْتِهِم حَمَلَا
 أَمَرَتُهُ بالصَّلَاحِ ، فامتثلتُ
 طَلُ دُمٍ في الوَغَى وضربُ طُلَى
 بِهِ فُرُوعُ الدُّجَى لَمَّا نَصَلَا
 قَوْمَ زَيْغِ الزَّمانِ ، فاعتَدَلَا
 فَجَادَ للنَّاسِ بَعْدَما بَخِلَا
 بِهِ ، ونَجْمُ الضَّلَالِ قد أَفَلَا
 فلا خَلَا رَبُّها ، ولا عَطَلَا

قافية الياء

يا هيلالاً من سُلْطَةِ الْعَيِّ حَيِّي ، أَشْرَقَ الصَّبْحُ تَحْتَ لَيْلٍ دَجِيٍّ^١
يُوسُفِيُّ الْجَمَالِ ، كَمْ تَاهَ صَبٌّ فِي مَعَانِي جَمَالِهِ الْيُوسُفِيُّ^٢
يَافَتِي فِي الْأَعْرَاقِ وَاللَّحْظِ وَاللَّهْ ظِيَّ أَيُّ حُسْنٍ بِحُسْنِ خَلْقٍ سُوِّيَّ
يَسْتَعِيرُ الْقَضِيبُ مِنْ قَدِّهِ اللَّيْ نَ وَيُزْرِي بِالذَّابِلِ الْخَطِيَّ
يَحَاكِي الْعُودَ وَاهِبُ الْقُودِ ، هَامِي الْجُو دِ ، حَتَفُ الضُّدودِ فَتَحُ الْوَلَيَّ^٣
يَحْمِلُ الدَّنَّ لِلْقِتَالِ ، وَلَمْ تَغْ نَ بَلَدَنٍ مِنْ قَدِّهِ السَّمْهَرِيُّ^٤
يَرْنُو بَعَيْنَ تَغْنِيهِ فِي قَتْلِهِ الْعُشَّ اقَ عَنْ كُلِّ ذَابِلٍ يَزَنِيَّ^٥
يَتَلَقَّى دَمَ الْقُلُوبِ بِخَدِّ زَانَهُ نَقْطُ خَالِهِ الْعَنْبَرِيُّ
يَحْتَمِي وَرْدُهُ بِنَبْلِ لِحَاطِ قَوْسُهَا خَطُّ حَاجِبٍ مَحْنِيَّ
يَقْقُ ، مُذْ بَدَا الْعِذَارُ عَلَيْهِ ، أَنْبَتَ الْأَسَ فِي اللُّجَيْنِ النَّقِيَّ
يَتَجَنَّى مِنْ بَعْدِ مَا بَاتَ طَوْعِي ، وَيَسْقِينِي مِنْ الْمُدَامَةِ رَيَّ
يَمْرُجُ الْكَأْسَ لِي ، فَإِنْ عَزَّتِ الرَّأ حُ سَقَانِي مِنْ رَيْقِهِ السَّكْرِيُّ

- ١ قوله سلطة العي : لعله اسم موضع .
٢ العود ، يفتح العين : المسن من الإبل . وبالضم : الفصن بعد أن يقطع ، وآلة الطرب المعروفة ، ولم ندرك ماذا أراد . القود : الخيل التي تقاد ولا تتركب لكرامتها . الولي : المطر يسقط بعد المطر ، الجار ، الحليف ، الصديق النصير ، ومعنى البيت غامض .
٣ السهمري : الرمح الصلب .
٤ اليزني : الرمح المنسوب إلى ذي يزن أحد ملوك حمير .
٥ اليقق : الأبيض . العذار : جانب اللحية أي الشعر الذي يحاذي الأذن . اللجين : الفضة .

يَمْنَحُ الْمُسْتَهَامَ خَمَرَ رُضَابٍ ،
يَهْتِكُ اللَّيْلَ نُورُهَا يَبْرُوقُ
يَا حُدَاةَ الْمَطِيِّ هَا نُورُ نَجْمِ الْ
يَمْمُوا نَحْوَهُ تَلَقَّوْا سَمَاحاً ،
يَرِدُ الرِّكْبُ مِنْهُ بِحَرِّ سَمَاحٍ ،
يَقِظُ قَدْ رَعَى الْأَنَامَ بِطَرْفٍ ،
يَافِعُ ، شَدِيدُ الْمَعَالِي ، وَوَا
يَمُّ جُودٍ جَادَتْ عَلَى النَّاسِ كَفّاً
يَتَّقِي الْهَوْلَ مِنْهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا
يَقْسِمُ الدُّوْلَ بِالسَّطَا وَالْعَطَايَا
فِي حَبَابٍ مِنْ ثَغْرِ التَّوَلُّوِي
أَذَكَّرْتَنَا بَرَقَ الْحِمَى الْأَرْتَقِي
لَدَيْنَ قَدْ لَاحَ يَا حُدَاةَ الْمَطِيِّ
وَوَلِيّاً يَجُودُنَا بَوَلِيّ
مِنْ وَلَا الْجُودِ ، بِبَحْرِ رَوِي
رَدَّ عَنْهُ الرَّدَى بِطَرْفٍ عَمِي
فِي الْحُكْمِ مِنْ قَبْلِ رُشْدِهِ الْمَرْضِي
هُ ، فَأَغْنَتْ عَنِ الْحَيَا الْوَسْمِي
جُودُهُ سَعْدٌ لِكُلِّ شَقِي
بَيْنَ يَوْمِي إِقَامَةٍ وَمَطِي

١ قوله : الدُّوْلَ ، هكذا في الأصل

فهرست القوافي

ء

٤٣٢ . . . أنت سولي وإن بخلت بسولي . . .	٥٨ . . . قلوا لديك فأعطأوا . . .
٥١٧ . . . روني من سلافة الصبياء . . .	١٨٤ . . . أنجوم روض أم نجوم سماء . . .
٥٢٧ . . . أيا ملكاً ربعة للعفاة . . .	٢٠٤ . . . غداً رجب يؤمن حين أدعو . . .
٥٣١ . . . رسائل صدق إخوان الصفاء . . .	٢٣٦ . . . بنيت العمل قبل هذا البناء . . .
٥٦٤ . . . لا والذي جعل المودة مانعي . . .	٢٤٠ . . . أوليتني نعماً تتابع منها . . .
٦٣١ . . . في نشوة الحمراء والخضراء . . .	٣٠٠ . . . جن الظلام فمد بدا متبسماً . . .
٦٣٥ . . . سرى نعشه من بعد ما سار غشه . . .	٣٦٨ . . . أصفح ماء أم أديم سماء . . .
٦٦٣ . . . لا تحسن الظن فيمن . . .	٣٨٤ . . . ما مات من أنتم أغصان دوحته . . .
٧٠٥ . . . أبت الوصال مخافة الرقياء . . .	٤٣١ . . . كان بدر السماء يكتسب النور . . .

ب

١٩٧ . . . ما هبت الريح إلا هزني الطرب . . .	١٣ . . . لئن ثلمت حدي صروف النوائب . . .
٢٤٥ . . . أما ترى الأنواء والسحابا . . .	٤٧ . . . لقد نزهت قدرني عن الشعر أمة . . .
٢٥٧ . . . قد ارتدى ذيل الظلام الأشيب . . .	٦٠ . . . أبد سنا وجهك من حجابيه . . .
٢٦٨ . . . وعادية إلى الغارات ضيحاً . . .	٨٦ . . . يكتم يمتلي يا نبي الهدى . . .
٢٧٤ . . . جلت الظلماء باللهب . . .	٩٢ . . . ألا قل لشر عبيد الإله . . .
٢٧٩ . . . انظر إلى برقة الجسرين حين بدا . . .	٩٥ . . . أسبلن من فوق الهود ذوائبا . . .
٣١١ . . . راقي من لفظك المستطاب . . .	١٠٣ . . . ملك يروض فوق طرف قارع . . .

٥٦٦ . . .	حتم لا تضجر يا سيدي . . .	٣٢١ . . .	لئن حكمت بفرقتنا الليالي . . .
٥٦٨ . . .	ولي صاحب كهواء الخريف . . .	٣٢١ . . .	الشوق أعظم جملة يا سيدي . . .
٥٧١ . . .	سأمسك عن جوابك لا لعي . . .	٣٢٢ . . .	ومن عجبني أني أحن إليكم . . .
٥٧٥ . . .	لم يبد مني ما سيوجب وحشة . . .	٣٢٢ . . .	أفدي الذين قضت لهم أيدي النوى . . .
٥٧٥ . . .	ما زلت أعهد منك وداً صافياً . . .	٣٢٤ . . .	دنوتم فزاد الشوق عما عهدته . . .
٥٧٩ . . .	اقرأ كتابك واعتبره قريباً . . .	٣٣٣ . . .	سفهأ إذا شقت عليك جيوب . . .
٥٨٥ . . .	إن البخيري مذ فارقتموه غدا . . .	٣٣٩ . . .	يا يدوراً تغيب تحت التراب . . .
٥٨٥ . . .	وليس كريماً من يجود بموعد . . .	٣٨٦ . . .	لدوا للموت وابنوا للخراب . . .
٥٨٧ . . .	تقصر الكتب عن تطاول عتبي . . .	٣٨٧ . . .	كذا مليصبر الرجل النجيب . . .
٥٨٧ . . .	يا بصيراً إلا بإبصار كتبي . . .	٣٨٩ . . .	لا شغل الله لكم خاطراً . . .
٥٨٨ . . .	يقبل أرضاً شرفتها ركابكم . . .	٤٠٦ . . .	أين في الحمى غرب . . .
٥٨٨ . . .	قد قنعنا منكم برد الجواب . . .	٤١٨ . . .	يقولون طول البعد يسلي أنا الهوى . . .
٥٨٩ . . .	لو فعلتم مع المحب صواباً . . .	٤٢١ . . .	لي حبيب يلذ فيه . . .
٥٩٠ . . .	لا تتخش من رد الجواب . . .	٤٥١ . . .	تزه عتبي عن خطاك صواب . . .
٥٩٠ . . .	أقول وقد وافت إلى الصبح كتبكم . . .	٤٦٣ . . .	ذا شعرك كالأرقم إما لسبا . . .
٥٩٠ . . .	كنت أخشى عذل العواذل حتى . . .	٤٦٩ . . .	أمر الله أن يطيعك لبي . . .
٥٩١ . . .	روحي التي اعتلت لبعدي عنكم . . .	٤٩٦ . . .	أدرها بلطف واجعل الرفق مذهبا . . .
٥٩٢ . . .	نرف إليك أبكار المعاني . . .	٤٩٧ . . .	عجبت لها تسمى العقول لها نبها . . .
٥٩٣ . . .	لو فرضنا أن الهدية لا تجمل . . .	٥٠٠ . . .	ما ماس منطلقاً في قرط وقبا . . .
٥٩٨ . . .	إن سار عبدك أولاً أو آخرأ . . .	٥٠٧ . . .	وقهوة يحتلي السرور بها . . .
٥٩٩ . . .	يا علماً لاح لخفض العلى . . .	٥٣٧ . . .	أيا صاحباً ساءني بعده . . .
٦٠٣ . . .	حضورى عند مجدك مثل غيبي . . .	٥٣٩ . . .	أنعم وشرف بالجواب . . .
٦٠٣ . . .	سيان من رب الوداد . . .	٥٤٤ . . .	حويت الحمد إرثاً واكتساباً . . .
٦٠٤ . . .	أخاف مع التردد تقطيع حاجب . . .	٥٤٩ . . .	إن شئت أن أشرب الكثير من الراح . . .
٦٠٨ . . .	كتبت على ظهر إليك لأنني . . .	٥٥٣ . . .	قد أضحك الروض مدمع السحب . . .
٦٠٩ . . .	لم أبادرك بالوداع لأنني . . .	٥٥٥ . . .	وبركة نيلوفر زهرها . . .
٦١٠ . . .	رب هجر مولد من عتاب . . .	٥٦٤ . . .	لئن سمع الزمان لنا بقرب . . .
٦١٦ . . .	العفو منك من اعتذارى أقرب . . .	٥٦٥ . . .	سعة العذر لي وضيق الحجاب . . .

يا رب إن كان ذنبي . . . ٦٧٢	وساد يشتت شمل الطرب . . . ٦٣٢
تمشقت ليلي من وراء حجابها . . . ٦٧٤	غني بصوت مثل سوط عذاب . . . ٦٣٣
ترأت لنا بين الأكلة والحجب . . . ٦٧٥	بشمس الدين لم تطلق الرعايا . . . ٦٣٥
لو تيقنت أن ضيف بياض الشيب . . . ٦٧٦	سميت عيسى ولم تظفر بمعجزة . . . ٦٤٢
تقول لما أن رأيت لمي . . . ٦٧٧	لي جار كأنه اليوم في الشكل . . . ٦٤٤
بدت لنا الراح في تاج من الحب . . . ٧٠٧	لو كان لريح نكهته هبوب . . . ٦٤٦
	تحمل من حبيبك كل ذنب . . . ٦٥٩

ت

أيا ابن الكرام الكلمة الحماة . . . ٥٣٦	خذ فرصة اللذات قبل فواتها . . . ١٧١
قال لنا الديك حين صوت . . . ٥٤٩	يبشرني قوم برتبتك التي . . . ٢٣٨
قد نشر الزنبق أعلامه . . . ٥٥٤	لا زلت سباقاً إلى المكرمات . . . ٢٣٩
وزهر نيلوفر لولا تشعبه . . . ٥٥٥	شرف الله قدر من . . . ٢٤٢
كفرض الصلاة فروض الصلات . . . ٥٨٢	أيا من حكى فضل عيسى المسيح . . . ٢٤٣
تناسيت وعدي وأهملته . . . ٥٨٣	سلبتنا فواتك اللفتات . . . ٢٩٣
فتذت بظبي بنى خبيتي . . . ٦١٩	من لصب أدنى البعاد وفاته . . . ٣٠٣
عاطيتها مزوجة بالنبات . . . ٦٢٨	ليس كل الأوقات يجتمع الشمل . . . ٣٢٥
ولي صاحب يسترجع الناس كلما . . . ٦٤٩	لقد جزت في الصد حد الزيادة . . . ٣٢٥
قالوا اخضب الشيب فقلت اقصروا . . . ٦٧٧	أموت وأنت تعلم ما لقيت . . . ٤٣١
ثاب الزمان من الذنوب فوات . . . ٧٠٩	أرسلت في الكؤوس بالمعجزات . . . ٥١٦
	ألا يا ملك العصر . . . ٥٢٤

ث

يا من غدا للأنام غيثاً . . . ٥٢٦	وطرف تخيرته طرفة . . . ٢٦٧
ثقي بغير هواكم لا تحدث . . . ٧١١	يا من لجمال يوسف قد ورثا . . . ٤٦٤
	إذا ابتدأ الساقى وثنى وثلثا . . . ٥٠٦

ج

- ورقيق الخدين مذ قابل الكأس . . . ٤٣٣ ما كنت في إحدى الشدائد مرتجى . . . ٦٣٤
يجرى القوافي في حروف سة . . . ٦٢٠ جاءت لتنظر ما أبقت من المهج . . . ٧١٣

ح

- لا غرو إن قص جناحي الردى . . . ٤٨ ويوم ضم شمل الصحب فيه . . . ٥٠٦
إذا لم تعني في علاك المدائح . . . ١٥١ رب يوم قد رفلت به . . . ٥١٥
يا نسمة لأحاديث الحمى شرحت . . . ١٥٤ قد أيقظ الصبح ذوات الجناح . . . ٥١٨
أهلا بيدر دجى يسمى بشمس ضحى . . . ١٥٨ إن أكن قد جنيت في السكر ذنباً . . . ٥٤٦
ثم يسر الروض خفق الرياح . . . ١٦٥ إن الملوك لتعفو عند قدرتها . . . ٦١٢
أهلا بشهب عند إشراقها . . . ١٨٣ عزيت إلى آل بيت النبي . . . ٦٣٥
صفاح عيون لحظها ليس يصفح . . . ١٩١ تعرب وايع في الأسفار رزقاً . . . ٦٦٥
خليلي ما أغبى المغالين في الهوى . . . ٤٠٥ في فساد الأحوال لله سر . . . ٦٦٦
ونصرانية بتنا جواراً . . . ٤٣٤ كل كأس من غير خمرة . . . ٦٧٤
طاف وفي راحته كأس راح . . . ٤٥٢ حي الرفاق وطف بكأس الراح . . . ٧١٥
يا قابض المال الذي لم تزل . . . ٤٧٤

خ

- ومدام حكمت سهيل انتقاداً . . . ٥١٤ خيال سرى والنجم في القرب راسخ . . . ٧١٧

د

- شفها السير واقتحام البرادي . . . ٣٤ أمن حجر فؤادك أم حديد . . . ٧١
حسد الفاضل الماذق فضلي . . . ٥٢ جمعت في صفاتك الأضداد . . . ٨٨

- لا تحش يا ربع الحبيب همودا . . . ١١٧
 في مثل حضرتم لا يزأر الأسد . . . ١٣٣
 ما بين طيفك والجفون مواعد . . . ١٣٦
 ألا بلغ هديت سماء قومي . . . ١٤٠
 دبت عقارب صدغه في خده . . . ١٤٠
 لعل ليالي الربوتين تعود . . . ١٦١
 سألني على نهارك ما دمت باقياً . . . ١٧٧
 زوج الماء بابتة المنقود . . . ١٨٨
 هنتت بالعيد بل هني بك العيد . . . ٢٠٠
 يا مليكاً بذكره يفخر المدح . . . ٢٠٦
 أقطرات أدمعي لا تجمدي . . . ٢٢٢
 مثل التيمم للصعيد . . . ٢٣٧
 هنيبت بالولد السعيد فقد أتى . . . ٢٣٨
 أشجنتك بالتغريب في تغريدها . . . ٢٧١
 في الشمع أوصاف كوصفي اوجبت . . . ٢٧٣
 وباب إذا أمه قاصد . . . ٢٧٨
 ظن قومي أن الأساة ستبري . . . ٣٨٣
 لله غط كتاب خلته درراً . . . ٢٨٤
 فلكة كان منك عن غير قصد . . . ٣٠٨
 من غرس نعمته وترب ساحه . . . ٣١٣
 يقبل الأرض عبد تحت ظلكم . . . ٣١٣
 يا بعيداً يشتاقه لحظ عيني . . . ٣١٨
 يا يياض البياض أنت من الأعين . . . ٣٢٠
 وما زادني قرب الديار تلهفاً . . . ٣٢٣
 شوقي إليكم والديار قرية . . . ٣٢٤
 عيون لها مرأى الأحبة لئمد . . . ٣٤١
 لو يرد الردى ببذل الأيادي . . . ٣٥٠
 حبل المنى بحبال اليأس محفود . . . ٣٥٦
 لا عبد يفني عنه ولا ولد . . . ٣٦٦
 صروف الليالي لا يدوم لها عهد . . . ٣٧٢
 ظن قومي أن الأساة ستبري . . . ٣٩٠
 البيض دون لحاظ الأعين السود . . . ٤١٣
 قد قيل طول البعد يسلي الفتى . . . ٤١٨
 عبث النسيم بقده فتأودا . . . ٤٣٥
 بشراي قد تنبه لي الطالع السعيد . . . ٤٤١
 العيد أتى ومن تعشقت بعيد . . . ٤٦٣
 يا من جعل الطباء للأسد تصيد . . . ٤٦٤
 يا سمي الذي له خبت النار . . . ٤٦٥
 وثقت بأن قلبي من حديد . . . ٤٦٨
 حبيبي وافر والشوق مني . . . ٤٧١
 والله ما شانتك حلية لحية . . . ٤٩٠
 يا مالك العصر ومن . . . ٥٢٥
 إن كان يمكن أن تشرف منزلي . . . ٥٣٨
 أخبرت شبة الناس بعينيك . . . ٥٤٦
 ورد الربيع فمرحاً بوروده . . . ٥٥١
 أمشه الطرف الكحيل بزجس . . . ٥٥٦
 خلياني أجر فضل برودي . . . ٥٥٦
 ولما رأينا المنع منك سجية . . . ٥٦٧
 في طبعكم ملل مناف للوفا . . . ٥٧٣
 كلانا على ما عودته طباعه . . . ٥٧٧
 لما استعرت من المهذب جوخة . . . ٥٨٠
 سألتكم رد جوابي فكم . . . ٥٨٩
 أغار الغيث كفك حين جادا . . . ٦٠٥
 إني وإن لم أعدك يوماً . . . ٦٠٩
 لو أنك بالقريض قصدت حمدي . . . ٦١١
 ما انقطاعي عن العيادة كبر . . . ٦١١

٦٥٣ . . .	أرى فحش الكلام يروع قلبي .	٦١٧ . . .	مثلك من يعتب في صده .
٦٦٠ . . .	نصحتك فاصغ إلى منطقي .	٦١٨ . . .	كم ساهر حرم لمس الوساد .
٦٧٧ . . .	هذه دولة الشباب إذا لم .	٦٢٨ . . .	وليلة طال سهادي بها .
٦٨٢ . . .	لم تتبع الأمر إلا كان أو كادا .	٦٣٧ . . .	أصبحت نار وجنتيك رمادا .
٦٨٣ . . .	أغار الغيث كفك حين جادا .	٦٤٦ . . .	لو غدا أنفك العظيم غدا وهو .
٧١٩ . . .	دمع مزائد قطره لا تجمد .	٦٤٦ . . .	ليحيي فم لو علق المسك فوقه .

ذ

٧٢١ . . .	ذكر المهود فأسهر الطرف القذى .	٥٤١ . . .	بك من حادث الزمان نعوذ .
		٦٢٠ . . .	إن القوافي عندنا حركاتها .

ر

٢٠٤ . . .	هنيئاً بشهر الصوم للملك الذي .	٤٥ . . .	سوابقنا والنقع والسر والظبي .
٢٠٥ . . .	فطر به كاد قلب الدهر ينفطر .	٤٨ . . .	قطعت من الهبات رجاء نفسي .
٢٢٨ . . .	قم بي فقد ساعدنا صرف القدر .	٥٠ . . .	ولا رأي لي إلا إذا كنت حاقناً .
٢٣٤ . . .	زمان الربيع شباب الزمان .	٥٠ . . .	أصغرت مالنا النفوس الكبار .
٢٣٩ . . .	ما عشت لا زاركم إلا ثنائي وإن .	٥١ . . .	لهينك أني في القراع وفي القرى .
٢٥٨ . . .	يا طيب يوم بالمروج الخضر .	٦٩ . . .	لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا .
٢٧٢ . . .	وإني لألهو بالمدام وإني .	٧٣ . . .	كفى البدر حسناً أن يقال نظيرها .
٢٧٣ . . .	ومجلس لذة أسمى دجاء .	١١٠ . . .	دارت على الدوح سلاف القطر .
٢٧٨ . . .	ما بعد بغداد للنفوس هوى .	١٣١ . . .	خذ من الدهر لي نصيب .
٢٨٤ . . .	كفى الشعر فخرأ أنه كل مشكل .	١٣٩ . . .	وليس عجيباً إن طفت أعين الحمى .
٢٨٥ . . .	أخلاي بالفيحاء إن طال بعدكم .	١٣٩ . . .	ففي لم تجد فيه العدى ما يعيبه .
٣١٦ . . .	سقى الله أرضاً نور وجهك شمسها .	١٤٥ . . .	من نفخة الصور أم من نفخة الصور .
٣١٧ . . .	لا غرو أن يصلى الفؤاد لبعدهم .	١٧٨ . . .	سأشكر نعمك التي لو جحدتها .
٣٢٠ . . .	إذا ما تراءت لي محاسن شحصكم .	١٨١ . . .	أهلا بها شمت الذوائب والذرى .

٤٨٤ . . . يا حبيب الحبيب دنة كما . . .	٣٢٦ . . . أتاني كتاب منك أحسب أنه . . .
٤٨٤ . . . يقول وقد لاث في خده . . .	٣٢٧ . . . أتاني كتاب منك ينفث بالسحر . . .
٤٨٥ . . . بصروا بفروك فازدروك لحالة . . .	٣٣٥ . . . يا قضييأ ذوى وكان نصيرا . . .
٤٨٥ . . . قالوا التحى من قد كلفت بحبه . . .	٣٤٥ . . . يا ليت شعري وقد أودى بك القدر . . .
٤٨٧ . . . دب العذار فقامت الأعذار . . .	٣٥٣ . . . ما دام جري الفلك الدائر . . .
٤٨٩ . . . لا تجزعن إذا ارتاعوا لرائحة . . .	٣٧٤ . . . صال فينا الردى جهاراً نهراً . . .
٥٠٣ . . . إذا مت فانهيني بخفق مثالك . . .	٣٧٧ . . . وفي لي فيك الدمع إذ خاني الصبر . . .
٥٠٤ . . . خلياني من قول زيد وعمرو . . .	٣٨٠ . . . ما للجمال الراسيات تسير . . .
٥٠٥ . . . نديمي قم إلى اللهو . . .	٣٨٥ . . . خفض همومك فالحياء غرور . . .
٥١٧ . . . يقولون لي : قد حرم الزاح معشر . . .	٤٠١ . . . حرضوني على السلو زعابوا . . .
٥١٩ . . . هبوا فقد قد ذيل الليل من دبر . . .	٤٠٧ . . . ولقد ذكرتكَ والعجاج كأنه . . .
٥٢٠ . . . وليلة خرفت عن صبحها . . .	٤٠٨ . . . ولقد ذكرتكَ والجهاجم وقع . . .
٥٢٩ . . . أزل بالخمير أدواء الخمار . . .	٤٢٠ . . . يا من بحكت شمس النهار بحسبها . . .
٥٣٥ . . . هذي ليلة السرور التي كل . . .	٤٢٠ . . . لعمرك ما تجافي الطيف طرفي . . .
٥٣٩ . . . ليس عنك مصطبر . . .	٤٢١ . . . زارني والصباح قد سفرا . . .
٥٤٣ . . . ثب إلى اللذات فالعمر قصير . . .	٤٢٩ . . . أقر بمهجتي لكم لساني . . .
٥٤٧ . . . وما كان ذا سكري من الراح وحدها . . .	٤٢٩ . . . وجه من البدر أحل . . .
٥٤٧ . . . خبروني عني بما لست أدري . . .	٤٣٨ . . . بعثت بآيات الجبال فأمنت . . .
٥٥٠ . . . هل تعلم ما تقول الأطيوار . . .	٤٣٩ . . . إلى محياك ضوء البدر يعتذر . . .
٥٥٢ . . . حبذا بالشعب يومي . . .	٤٤٠ . . . نظروا الهلال فأعظموه وأكبروا . . .
٥٥٣ . . . رعى الله ليلتنا بالحمى . . .	٤٤٠ . . . قد هتك الدمع منه ما سترأ . . .
٥٥٧ . . . اعجب لترجسنا المضعف أن نمت . . .	٤٤٣ . . . من عاشق ناه هواه دان . . .
٥٥٨ . . . إن جزت بالميطور مبهجاً به . . .	٤٦٩ . . . أما والهوى لو ذقت طعم الهوى العذري . . .
٥٦٠ . . . ملكتك ببعض برك رق شكري . . .	٤٧٠ . . . كيف حللت يا علي دمي فيك . . .
٥٦٤ . . . إن كنت قد غبت لا تزني . . .	٤٧٣ . . . وما رمدت عيناك إلا لفرط ما . . .
٥٦٥ . . . لا يؤخذ الجار في الأعراض بالجار . . .	٤٧٣ . . . وأهيف مغرى بالجوارح حومت . . .
٥٦٥ . . . أتقتص مني إن جنى الغير زلة . . .	٤٨٠ . . . يا نافخ الصور بل يا نافخ الصور . . .
٥٦٧ . . . قد اطمأنت على الحرمان أنفسنا . . .	٤٨١ . . . رقصوا فشاهدت الجبال تمور . . .

٦١٢ . . .	قد أقعدتني عنكم مفاسل . . .	٥٧٤ . . .	نسيتكم لما ذكرتم مساقي . . .
٦١٥ . . .	طمعت بعفو منك عما اقترفته . . .	٥٧٥ . . .	زجرت مرور طيركم بسعد . . .
٦٤٥ . . .	مدحتك مدح بشار بن برد . . .	٥٧٦ . . .	أتهجرني وما أسلفت ذنباً . . .
٦٤٥ . . .	لو عاينت مقلته دخنة . . .	٥٧٧ . . .	أتكرمني سرأ وتعلمني جهراً . . .
٦٤٨ . . .	أيا من يرد الفقر باللوم جاهداً . . .	٥٧٨ . . .	أعود حماركم في كل يوم . . .
٦٥٥ . . .	إذا زرت الملوك فكُن رئيساً . . .	٥٨٤ . . .	قد صبرنا بالوعد منك شهوراً . . .
٦٥٧ . . .	إن الجهول إذا ألزمت صحبته . . .	٥٨٤ . . .	وعصر الرضى إني لديك لفي خسر . . .
٦٥٨ . . .	وليس صديقاً من إذا قلت لفظة . . .	٥٨٦ . . .	علينا إذا ما طال مطلقكم صبر . . .
٦٥٩ . . .	إن الصديق يريد بسطك مازحاً . . .	٥٨٦ . . .	بالله لا تقطعوا عنا رسائلكم . . .
٦٥٩ . . .	أحب صديقاً منصفاً في ازدياده . . .	٥٨٨ . . .	نسيت عهددي واطرحت رسائلي . . .
٦٦٨ . . .	لا تهد شيئاً لم يكن حسناً . . .	٥٩٤ . . .	بعثت هديتي لكم وليست . . .
٦٦٩ . . .	إني لأعجب من تعقل جاهل . . .	٥٩٤ . . .	مولاي هذا قدر واهن . . .
٦٧١ . . .	رب أنعمت في المديد من العمر . . .	٥٩٨ . . .	فوالله ما فرقت ما جدت لي به . . .
٦٧٦ . . .	لما رفعت ناركم للساري . . .	٦٠٤ . . .	حسدت جود كفك الأمطار . . .
٦٨٠ . . .	أجزت لسيدي ومليك رقي . . .	٦٠٧ . . .	صدني اليم عن تيمم مولاي . . .
٦٨٠ . . .	هذا كتاب المثل السائر . . .	٦٠٧ . . .	طلب الود بالزيارة زور . . .
٧٢٣ . . .	رقت لنا حين هم الصبح بالسفر . . .	٦٠٨ . . .	مولاي إن صروف الدهر تشغلني . . .
		٦١٠ . . .	ما تركت العتاب يا مالك الرق . . .

ز

٤٦٦ . . .	يا سمي الذي به اتهم الذئب . . .	٥٦ . . .	ما دام وعد الأمانني غير متجز . . .
٦٧٨ . . .	إني لفضلك بالمديح أجازي . . .	١٠٣ . . .	أيهذا العزيز قد صح رقي . . .
٧٢٥ . . .	زار والليل مؤذن بالبراز . . .	٢٧٩ . . .	وكان دجلة والرياح . . .
		٢٨٨ . . .	من لي بقربك والمزار عزيز . . .

س

٢٤٣ . . .	وصاحب لي مصافي . . .	١٨٠ . . .	أهلاً بشهب في سماء المجلس . . .
٣٠٦ . . .	طمعي في لقاءك بعد إيام . . .	١٨٢ . . .	نار الشموع توقدت . . .

٦٣٠ .	في الكيس لي عوض عما حوى الكاس .	٣٢١ .	لست يوماً أنسى مودة مولاي .
٦٣٨ .	ولي فرس ليست شكوراً وإنما .	٣٢٧ .	كتبت فما علمت أخط نقش .
٦٤٣ .	كيف ترجو بأن تساوي حسناً .	٤٢٢ .	أوضحت نار خده للمجوس .
٦٥٢ .	توق من الناس فحش الكلام .	٤٦٢ .	الحب سخا وطرف أعدائي خسا .
٦٥٦ .	إن تصحب السلطان كن محترسا .	٤٦٧ .	يا سمي الذي دانت له الجن .
٦٦٠ .	إن ألقى كتهاب كلما اعتكرت .	٤٩٢ .	تشارك فيها الشم والذوق واللمس .
٦٦٢ .	يمطي البليد مع الخمول من الفنى .	٥٢٨ .	يا صاحب الفضل العميم .
٦٦٧ .	ذو العقل من أصبح ذا خلوة .	٥٤٠ .	قم بنا في صباح يوم الخميس .
٧٢٧ .	سمح المزاج على حميا الكأس .	٦٢٤ .	إنما الخيزون والدرديس .
		٦٢٥ .	ملوكك اليوم أبو حبه .

ش

٧٢٩ .	شمول إلى نيرانها أبداً نمشو .	٢٩٦ .	كرر اللوم عليه إن تشا .
		٦٦٠ .	انصح صديقك مرتين .

ص

٦٢٣ .	زحاف الشعر قبض ثم كف .	٢٩٠ .	أطمت داعي الهوى رغماً على العاصي .
٧٣١ .	صرف المدام به السرور مخصص .	٤٠٩ .	يا ظلية قنص الأسود جهالها .

ض

٤٠٠ .	أطمت ما سن أعدائي وما فرضوا .	٣١ .	قليل إلى غير اكتياب العلى نهضي .
٤٦٨ .	أق موسى بآية خال خد .	٤٩ .	يلد لنفسي بذل ما قد ملكته .
٤٧٢ .	لا حال في جوهر جسمك العرض .	٢٠١ .	برق المشيب قد أضأ .
٤٧٩ .	وأغن أبدي من مواجب عوده .	٢٦١ .	وليلة في طول يوم العرض .
٤٨٧ .	أهلها المعرض المعرض بالشيب .	٢٦٧ .	وأغر تبزي الإهاب مردد .

٥٩٨	نالت الأعداء بالسعي منها .	٥٥٠	الغيث عقيب ما همى عارضه .
٦٤٠	تحجر فيك طبع الشح ييساً .	٥٦٩	وخل ينى منه قلبي الشفا .
٦٥٨	فكم صاحب مذ بدا سخطه .	٥٧٢	رضيت ببعدي عن جنابك عندما .
٧٣٣	ضحكت ثغور حدائق الأرض .	٥٨٤	هجرت الكرى مذ نمت عن ذكر موعدى .

ط

٥٦٣	جدت بخط بغير وجه .	٢٥١	انفض فهذا النجم في الغرب سقط .
٦٤٨	فم ليحيى ريحه متن .	٢٦٢	وأهت الشدقين محبوك المطا .
٦٥٣	كل من كان شأنه الانبساط .	٤٨٩	كلني بحجام تحكم طرفه .
٧٣٥	طاف يسمى بسرعة ونشاط .	٥٥٠	لا تأخذني بجرم من قد غلطا .

ظ

٧٣٧	ظفرت سهام فواتر الألفاظ .
---------------	---------------------------

ع

٤٤٨	شكوت إليك الجوى .	٢٦	ولما مدت الأعداء باعا .
٤٨٩	وفاعل أبداع في صنعه .	٥٧	يا من له راية العلياء قد رفعت .
٥١٤	كم عكفنا على المدامة يوماً .	١٨٣	ومذ أطفأ الشمع النسيم بمجلس .
٥٢٨	أيا من خصه الله .	١٩٩	شكرتك عني شاردات قصائدي .
٥٤٤	قم بنا إنا قصدنا الاجتماع .	٢١٩	جزاك الله عن حسنك خيراً .
٥٧٢	بغير ودادك لم أقنع .	٢٨٢	وفي النيل إذ وفي البسيطة حقها .
٦٣٩	لا جاد هطال السحاب بقعة .	٣١٥	أقول لسار يطلب الرزق ساقياً .
٦٧١	تب وثب وادع ذا الجلال بصدق .	٣١٨	رعى الله من فارقت يوم فراقهم .
٧٣٩	عذل العواذل في هواك مضيق .	٣٢٥	نفسى الفداء لقادم .
		٤٣٥	ودعوني من قبل توديع حبي .

غ

وإني لمغرى بالقوافي ونظمها . . ٦٦٦ غير مجد مع صحة وفراغ . . ٧٤١

ف

١٣٨	لاقيتنا ملقى الكريم لضيفه . . .	٤٨٨	ومستحل المرافف سكري . . .
٢٠٣	جزى الله عنا مالك الرق كاسمه . . .	٥٦٧	خدمتك فما أبقيت جهداً . . .
٢٤٤	لي صاحب إن خاني دهري وفي . . .	٥٦٨	لما رأيت بني الزمان وما بهم . . .
٢٧٦	ولبريق له نطق عجيب . . .	٥٧٧	حتام أمنحك المودة والوفا . . .
٢٧٧	بحر من الحسن لا ينجو الفريق به . . .	٥٨٦	يا مانحي محض الوعود ومانحي . . .
٣١٢	نلت من ودك الجميل انتصافي . . .	٥٩١	عودتي بسوابق الألفاف . . .
٣١٨	أحن إليكم كلما ذر شارق . . .	٥٩٩	حذراً عليك من الفعال الجاني . . .
٣٢٢	أشكو إليك اشتياقاً لست تنكره . . .	٦١٦	أمسيت ذا ضر وفي يدك اشفا . . .
٣٣١	جبال بأرياح المنية تنسف . . .	٦١٧	حاشاك تسمع في ما نقل العدى . . .
٣٩٨	هويته تحت أطار مشعته . . .	٦٤١	أبها الفاضل الذي لفظه الدر . . .
٤١٣	أقول للدار إذ مررت بها . . .	٦٤٤	أشمخ إن كساك الدهر ثوباً . . .
٤٢٤	ألم الله غنج أخاك العدل . . .	٦٤٧	قلت للكليتين إذ عجزت عن . . .
٤٦٧	أنصفته جهدي ولي ما أنصفا . . .	٦٤٧	عهدي به والأكف تختلف . . .
٤٨٢	بحر من الحسن لا ينجو الفريق به . . .	٦٥٣	تعلمت فعل الخير من غير أهله . . .
٤٨٣	شكرت إلهي إذ بلى من أحبه . . .	٦٥٦	إذا بلى اللبيب بقرب قدم . . .
٤٨٣	هويته مخالفاً . . .	٦٦٩	لما رأيت بني الزمان وما بهم . . .
٤٨٥	نفسي الفداء لشادن شاهدته . . .	٧٤٣	فتك اللواحق والقبود الهيف . . .
٤٨٦	لما اكتسى خده وقلت له . . .		

ق

٩١	قيل لي تمشق الصحابة طراً . . .	٤٦	لا يسمع العود منا غير خاضبه . . .
١٠٧	إن لم أزر ربكم سعيّاً على الخلق . . .	٨٣	فيروزج الصبح أم ياقوتة الشفق . . .

كيف الضلال وصبح وجهك مشرق ١٢٠	أنت ضدي إذا تيقنت قربي ٥٧٣
يا مليكاً قد طاب أصلاً وفرعاً ١٧٥	حالي وحالك كالهلال وشمسه ٥٧٣
ما كنت أعلم والفضائل تنطق ٢٩٩	عبدك قد أرسل أدنى خدمة ٥٩٣
يا سادة مذسعت عن بابهم قلمي ٣١٤	لسخطك جاءت سكرة الموت بالحق ٦١٣
فوالله ما اشتقت الحمى لخلائق ٣١٥	تغان بالحشيش عن الرخيخ ٦٣٠
يا سادة حملت من بعدهم ٣١٦	ماتت ملاحته يكون لك البقا ٦٣٣
ترى سكرت عطفاه من خمرة ريقه ٣٩٤	ما كان إسحق إنساناً فتدبه ٦٣٤
يا رب أعط العاشقين بصبرهم ٣٩٩	لي صديق لا يعرف الصدق في القول ٦٣٩
وما بعثكم روحي بأيسر وصلكم ٤٢٠	وشحيج من لؤمه يخبز البخل ٦٤٩
دموعي فيك لا ترقا ٤٢٤	صاحب إذا ما صحبت ذا أدب ٦٥١
قيل إن العقيق قد يطل السحر ٤٢٥	لا تكن طالباً لما في يد الناس ٦٥٢
ما يقول الفقيه في عبد رق ٤٢٨	أقلل المزح في الكلام احترازاً ٦٥٢
قلبي لكم بشروعه وشروطه ٤٢٨	اخفض جناحاً لمن تعاشره ٦٥٨
طاف بالكأس على عشاقه ٤٣٧	إن الصديق إذا رآك مخالفاً ٦٦٣
للحسن حلاوة وبالعين مذاق ٤٦٣	إن يحبسوك فإن جودك سائر ٦٨١
ومخلق الخدين من صبيح الحيا ٤٧٢	روي عظامي بسلاف ٧٠٣
وساق من بني الأتراك طفل ٤٨٢	قفي ودعينا قبل وشك التفرق ٧٤٥
وأغن مسكي الإهاب ووجهه ٤٨٨	

ك

إن البحيرة زان بهجتها ٣٨	للترك ما لي ترك ٤٣٠
أيا ملك العصر الذي شاع فضله ١٧٤	أشرت عليك فاستغششت نصحي ٤٣٤
تركنا لواظ الأتراك ٢٩١	يفار عليك قلبي من عياني ٤٣٨
سقى الله قبراً حل فيه ابن مقبل ٣٧٦	عزمت يا متلفي على السفر ٤٥٥
غيري بحبل سواكم يتمسك ٣٩٦	بدت فلم يبق ستر غير مهتك ٥١٢
غارت وقد قلت لمسواكها ٤٠٨	أقول لراووق تضمن راحنا ٥١٩
يا من حمت عنا مذاقة ريقها ٤٠٩	بلجش الحيا في مأقظ الروض معرك ٥٢١
لو صرت من سقمي شبيه سواك ٤١٤	كفي القتال وفكي قيد أسراك ٧٤٧

ل

ما جاء عبدك مسطور بعثت به . . . ٣٢٦	لمن الشواذب كالنعام الجفل . . . ٢٢
نفوس الصيد أثمان المعالي . . . ٣٤٧	وعدت جميلاً وأخلفته . . . ٣٠
لو أفادتنا العزائم حالا . . . ٣٦٩	قبيح بمن ضاقت عن الأرض أرضه . ٣٦
حديث الناس أكثره محال . . . ٤٠١	وما كنت أرضى بالقريض فضيلة . ٤٧
إذا علم العدى عنك انتقالي . . . ٤٠٢	ولقد أسير على الضلال ولم أقل . ٤٧
تيقن مذ أعرضت أني له سالي . . . ٤٠٤	مولاي إني عليك متكلى . . . ٥٩
قلوبنا مودعة عندكم . . . ٤٠٧	أمير المؤمنين أراك إما . . . ٨٩
ولقد ذكرتكَ والسيوف مواطر . . . ٤٠٧	فوالله ما اختار إلاه محمداً . . . ٩٠
في مثل حبكم لا يحسن العذل . . . ٤١٥	توال علياً وأبناءه . . . ٩٠
أسم الله أسعنا الملا . . . ٤١٧	حوشيت من زفرات قلبي الواله . ١٢٨
لا حب إلا للحبيب الأول . . . ٤٣٩	سأفني على نعمك بالكلم التي . ١٧٧
في مثلك يسمع المحب العذلا . . . ٤٦١	سأفني على نعمك بالكلم التي . ١٧٨
من لي بأنك يا خليل . . . ٤٦٨	إن قصر لفظي فإن طوك قد طال . ٢١٨
ما دام قلبي مأسوراً بأسر علي . . . ٤٧٠	سوى حسن وجهك لم يحل لي . ٢٢٦
رأيتك كاهلال ييدو . . . ٤٧١	ما زال ظل نذاك شامل . . . ٢٤٠
لحى الله الطيب لقد تعدى . . . ٤٧٥	أنت أوليتني الجميل ولولا . . . ٢٤٢
وظبي إنس ذي معان مكمله . . . ٤٧٥	وقيت حادثة الليالي . . . ٢٤٤
تنبأ فيك قلبي فاسترايت . . . ٤٧٦	أهلاً بها قوادماً رواحلاً . . . ٢٥٥
جاء في قده اعتدال . . . ٤٨٠	وأهرت من الكلاب أخطل . . . ٢٦٣
من كنت أنت رسولهُ . . . ٤٨٢	وأدهم يقق التحجيل ذي مرح . ٢٦٦
أفدي غزالا من آل ليث . . . ٤٨٦	ولقد أروح إلى القتيص وأغتدي . ٢٦٦
مذ بدا صبح وجه حبي وولى . . . ٤٩١	أنكر الصبح دم الليل . . . ٢٧٦
طلبت نديماً يوجد الراح راحة . . . ٤٩٧	أترى البارق الذي لاح ليلاً . . . ٢٨٩
أذى الجسم شرب الراح قبل اغتذائه . ٥٢٠	الآل أشرقت في نحور . . . ٣٠٢
أجلك إن يسخ الزمان وتبخل . . . ٥٣٣	إليك اشتياقي لا يحد لأنه . . . ٣١٧
وعدت النداء بالمدام فلم أجد . . . ٥٤٢	ولما سطرت الطرس أشفق ناظري . ٣١٧

قال الحيا للنسيم لما ٥٥٥	عاقبي الفيث عن زيارة غيث ٦٠٦
عجنا على وادي الصفا فصفا ٥٥٨	لئن سل الزمان لنا مناصل ٦٠٨
وعودتي منك الجميل فإن يكن ٥٦٢	حداني إلى ما لم يكن من سجي ٦١٠
عذرتك إذ حالت خلائقك التي ٥٦٣	أصبر لعادتك الحسى التي عجلت ٦١٤
رأى فرسي اسطبل موسى فقال لي ٥٦٦	لما اغثنى أفقدنا نفعه ٦٣٣
كفأك تهني بالنوال وتهمل ٥٧٠	لما تطاول بي إفراط مطلق لي ٦٤١
طلبتم يسير المال قرضاً فلم يكن ٥٧١	مباضع إسحاق الطيب كأنها ٦٤١
يا مهيني عند المغيب ومبد ٥٧١	لو أن قوة وجهه في قلبه ٦٤٢
أراك إذا ما قلت قولاً قبله ٥٧٢	وبخيل ينال من عرضه الناس ٦٤٨
رعى الله قوماً أصلحونا بمجورهم ٥٧٦	إذا غاب أصل المرء فاستقر فعله ٦٥٤
حملتنا بالمن حملاً ثقيلاً ٥٧٨	لعمرك لا يفني الفتى طيب أصله ٦٥٤
يا طاهر المآثرات والأصل ٥٨٠	ما كل من حسنت في الناس سمته ٦٥٤
لا زال ظلك للعفاة ظليلاً ٥٨١	لن يقضي الحاجات إلا درهم ٦٦١
أضربت صفحاً إذ أتتك صحفي ٥٨٩	إن الفقير وإن نعمته ٦٦٣
تركت إجابة كتبي إليك ٥٩٠	للعشق سكر كالمدام ٦٦٣
لو أن كل يسير رد محترماً ٥٩٣	إن قل نفعك في أرض حللت بها ٦٦٥
بعثت الحسام إلى مثله ٥٩٤	يسألني صديقي عن كتاب ٦٦٥
ترك التكلف فيما قد خدمت به ٥٩٥	ليس البلاغة معنى ٦٦٦
أجلك أن تواجه بالقليل ٥٩٥	إذا أبطأ الرسول فظن خيراً ٦٧٠
لم تبغ همتك المحل العالي ٥٩٦	لم أدر أن نبال الفنج والكحل ٧٤٩

م

ألست ترى ما في العيون من السقم ١٧	خطب لسان الحال فيه أبكم ٦٥
مد تسامت بنا النفوس السوامي ٤٤	يا عترة المختار يا من بهم ٨٧
لئن لم أبرقع بالحيا وجه عفتي ٤٦	ولائي لآل المصطفى عقد مذهبي ٩١
بلغني الأحباب يا ٤٩	أطلقت نطقي بالمحامد عندما ١٧٨
قل للملي الذي قد نام عن سهري ٥٤	تهن بعيدك يا ابن الكرام ٢٠٦

٢٦٨ . . .	وواد تسكر الأرواح فيه . . .	٤٦٥ . . .	يا سليماً من داء قلبي السليم . . .
٢٦٩ . . .	وعود به عاد السرور لأنه . . .	٤٧٣ . . .	وظبي بقفر فوق طرف مفوق . . .
٢٧٠ . . .	عود حوت في الأرض أعواده . . .	٤٧٤ . . .	وجه تحف به فرائد عسجد . . .
٢٨١ . . .	لله وادي الفرس حين حلته . . .	٤٧٨ . . .	شجى وشفى لما شدا وترنما . . .
٣٠٥ . . .	كتبت فما علمت أنور نجم . . .	٤٩٠ . . .	شمس النهار بحسن وجهك تقسم . . .
٣١٠ . . .	لو بعثم في طي نشر النسيم . . .	٤٩٤ . . .	أذكروا لما أروها النديما . . .
٣١٤ . . .	رعى الله من ودعته فكأنما . . .	٤٩٩ . . .	حي بالصرف من كؤوس المدام . . .
٣١٩ . . .	لم تحل منك خواطري ونواطري . . .	٥٠٣ . . .	حلت بمزجها المدام . . .
٣١٩ . . .	والله ما سهرت عيني لبعدكم . . .	٥٢٠ . . .	قالوا : خلا الوقت فاشربها على حذر . . .
٣٢٤ . . .	وكنا سألنا الله يجمع بيننا . . .	٥٢٤ . . .	نهى الله عن شرب المدام لأنها . . .
٣٢٨ . . .	أنقذني إلى الفجد كيف ينهم . . .	٥٤٣ . . .	خليلي هبا كل يوم وليلة . . .
٣٣٦ . . .	أدراها بأمن لا يغيرك الوهم . . .	٥٥٩ . . .	ولم أنس إذ زار الحبيب بروضة . . .
٣٣٧ . . .	هجرت بعدك القلوب الجسوما . . .	٥٦١ . . .	خدمتي في الهوى عليكم حرام . . .
٣٤٣ . . .	بكى عليك الحسام والقلم . . .	٥٦٣ . . .	يا سادة شخصهم في ناظري أبداً . . .
٣٨٢ . . .	اليوم زعزع ركن المجد وانهدما . . .	٥٧٨ . . .	عذرت مولاي في ترك العيادة في . . .
٣٩٦ . . .	جل الذي أطلع شمس الضحى . . .	٥٧٩ . . .	أخلان المدام هجرتوني . . .
٣٩٧ . . .	رعى الله من لم يرع لي حق صحبة . . .	٥٨٣ . . .	وعدكم بالندی سقيم . . .
٣٩٨ . . .	أصدأ وسخطاً ما له كيف يحكم . . .	٥٨٣ . . .	قد قضينا العمر في مطلقكم . . .
٤٠٥ . . .	عذاب الهوى للعاشقين أليم . . .	٦٠٣ . . .	عجزي عن قضاء حقلك بالشكر . . .
٤٠٨ . . .	ولقد ذكرتك حين أنكرت الظبي . . .	٦١٤ . . .	مولاي يا من ربه . . .
٤١٢ . . .	يا ديار الأحباب بالله ماذا . . .	٦١٥ . . .	مولاي مثلي لا يضاع . . .
٤١٨ . . .	بدت تحتال في ذيل النعيم . . .	٦١٦ . . .	أقيموا على الأعراض مع قرب داركم . . .
٤٢٦ . . .	أهلا وسهلا يا رسول الرضى . . .	٦٢٩ . . .	في الكيس لا في الكأس لي قهوة . . .
٤٢٧ . . .	ما كنت أعلم والبلاغة صنعتي . . .	٦٣٦ . . .	لينك أن لي ولداً وعيداً . . .
٤٢٩ . . .	لا نوحين إذا أتوا بنميمة . . .	٦٣٨ . . .	إن حمامك قد ضمت . . .
٤٣٣ . . .	أوهمتها صمماً في مسمعي فعدت . . .	٦٤٢ . . .	أرى فيك يا عيسى الطيب فضيلة . . .
٤٣٨ . . .	وظبي حاز رقي وهو رقي . . .	٦٥١ . . .	لا تصاحب من الأنام لثيماً . . .
٤٤٩ . . .	وحق من لا سواهم عندى القسم . . .	٦٥٤ . . .	عود لسانك قول الخير تنج به . . .

٦٦٨ . . .	لا تستدل على تغير صاحب . . .	٦٥٥ . . .	اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن . . .
٦٧٠ . . .	لا تأمنن إلى الخريف وإن غدا . . .	٦٥٥ . . .	إذا لم تكن عالماً بالسؤال . . .
٦٧١ . . .	يا رب ذنبي عظيم . . .	٦٦١ . . .	تأمل إذا ما كتبت الكتاب . . .
٦٧٦ . . .	عجباً لفؤدي بعد فقد شيبتي . . .	٦٦١ . . .	وإذا فاتك الغنى نكص العزم . . .
٦٨٥ . . .	إن جثت سلماً فسل عن جيرة العلم . . .	٦٦٤ . . .	يا من يمز المال ضناً به . . .
٧٥١ . . .	مغانم صفو العيش أسنى المغانم . . .	٦٦٤ . . .	لا تحزنوا المال لقصد الغنى . . .
		٦٦٧ . . .	تؤنسني الوحدة في خلوتي . . .

ن

٢٥٩ . . .	ويوم دجن معلم البردين . . .	٢٠ . . .	سلي الرماح العوالي عن معالينا . . .
٢٧٠ . . .	معان حكمت في قلوب الأنام . . .	٢٧ . . .	سلوا بعد تسأل الورى عنكم عني . . .
٢٧٥ . . .	مرحباً مرحباً بأبطال هو . . .	٣٣ . . .	صبراً على وعد الزمان وإن لوى . . .
٢٧٧ . . .	لم أنس ما عشت حاماً دخلت به . . .	٥١ . . .	أيا رب قد عودتني منك نعمة . . .
٢٧٨ . . .	لئن لم يمض لي حد فكم قد . . .	٥٢ . . .	لسيري في الفلا والليل داج . . .
٢٨٠ . . .	من لم تر الحلة الفيحاء مقلته . . .	٦٣ . . .	يا الحساسة ضاقت بينكم حيلي . . .
٢٨١ . . .	لله قاهرة المعز فإنها . . .	٧٩ . . .	خدمت لفضل ولادك النيران . . .
٢٨٢ . . .	لئن وهى عقد السحاب الثمين . . .	٩٩ . . .	خلع الربيع على النصوص البان . . .
٢٨٣ . . .	ما حلة ابن ديبس . . .	١٠٤ . . .	كم قد أفضنا من دموع ودماً . . .
٣١٩ . . .	سلام عليكم من محب متميم . . .	١٣٩ . . .	لله ملاحك اللبيب وقد . . .
٣٢٣ . . .	أيا من ضاع فيه نفيس عمري . . .	١٦٨ . . .	إني ليطربني العنول فأنتني . . .
٣٢٣ . . .	قد كنت أصبر والديار بعيدة . . .	١٧٦ . . .	أجرد كي أجرد سيف مدحي . . .
٣٥٩ . . .	كان الزمان بقلياكم يميننا . . .	١٧٩ . . .	أهلاً بها كالقضب في كتبها . . .
٣٦٤ . . .	بكيت دماً لو كان سكب الدما يفي . . .	٢٠٧ . . .	قدمت وقد لاح الهلال مبشراً . . .
٣٧٦ . . .	رحم الإله جوارحاً ضم الثرى . . .	٢٠٧ . . .	هكذا إن بنى المنازل بان . . .
٣٩١ . . .	أذاب التبر في كأس اللجين . . .	٢٠٨ . . .	إن ثنت عنكم الخطوب عناني . . .
٣٩٥ . . .	لولا الهوى ما ذاب من حنينه . . .	٢١٠ . . .	لا راجع الطرف باللقا وسنه . . .
٤٠٩ . . .	قالت كحلت الجفون بالوسن . . .	٢٢٠ . . .	عائده في الحب أعوانه . . .
٤١٠ . . .	فضحت بدور التم إذ فقها حسنا . . .	٢٤١ . . .	كثر الله مثل مجدي في الأرض . . .

٥٩١	لقد اشتاق سمي منك لفظاً .	٤٢٣	لا بلغ الحاسد ما تمنى .
٥٩٢	تالله إلا ما قبلت هديتي .	٤٢٥	ليت شعري بمن تشاغل عنا .
٥٩٧	طنى البراع لبسطي في العنان له .	٤٢٧	الوجه منك عن الصواب يضلني .
٦٠٩	إن عبداً أنك يلتبس الغفور .	٤٢٧	شكوت إلى الحبيب أنين قلبي .
٦١٣	زجرني عن التشفع نفس .	٤٣١	ما زال كحل النوم في ناظري .
٦١٤	عهدتك بي دهرأ حنيناً على العدى .	٤٣٣	إن غبت عن عياني .
٦١٥	أؤمل غفران ذنبي إليك .	٤٣٦	تعرض بي ، فقلت إليك عني .
٦٢٧	رأيت في النوم أبا مرة .	٤٣٧	أقسم الحب أن يبالغ في الصد .
٦٣٦	ومليح له رقيب قبيح .	٤٦١	لا تحسب زورة الكرى أجفاني .
٦٤٠	طفيل تقاد بأذنانها .	٤٦٢	ما ملت عن العهد وحاشاي أمين .
٦٤٣	وقالوا عند عبد الله ضعف .	٤٦٢	كم قد جعل الفؤاد داراً وسكن .
٦٤٤	وافي وقد شفع التقطب وجهه .	٤٧٦	وغزال غازلته بعد بين .
٦٤٩	لو تراني من فوق طود من الجوع .	٤٨١	رقصوا فقام الحرب واشتبك القنا .
٦٥٧	توقوا النساء فإن النساء .	٥٠٨	دق شوال في قفا رمضان .
٦٦٠	سرك إن صنته بصمت .	٥١٣	لا يحفظ الصحة أكل الفتى .
٦٦٢	قد نظر الناس بلا عين .	٥١٥	أدر الكؤوس على الشمال فلا تخف .
٦٦٢	عين النضار كناظر العين الذي .	٥٢٦	أيا ذا الفخر وملك العصر .
٦٦٥	بثلاث واوات وشين بعدها .	٥٣٠	قم صاح نلتقط اللذات إن ذهلت .
٦٦٧	وأطيب أوقاتي من الدهر خلوة .	٥٣٥	تصدق فإننا ذا النهار بخلوة .
٦٦٨	قال العذول لم اعزلت عن الورى .	٥٣٨	تصدق فإننا على حالة .
٦٦٨	إذا الجد لم يك لي مسعداً .	٥٤٢	فسد الشرب حين أعوزت الراح .
٦٦٩	بقدر لغات المرء يكثر نفعه .	٥٤٨	ضعف رأسي وقلة الإيمان .
٦٦٩	أطلب من أخ خلقاً جليلاً .	٥٥٤	وجنح دجنة فيه اغتبقنا .
٦٧٤	شهدت بأني عبد مغناكم الذي .	٥٥٧	عين البرود برود عيني .
٦٨١	قد عهد الجوهر بالخزن .	٥٧٤	علمت بأن رأيك في التناهي .
٧٥٣	نم لقلوب العاشقين عيون .	٥٧٤	عرضنا أنفساً عزت لدينا .
		٥٨٧	لا تكن أنت والزمان على عبدك .

٥٢٣ . . .	أنف النهار من فرط خباها . . .	٢٨٠ . . .	حبذا أرض مارددين وبر الظل . . .
٥٤٠ . . .	قد مر لي ليلة بالدير صالحة . . .	٣٥٤ . . .	هو الدهر مغرى بالكريم وسلبه . . .
٥٦٨ . . .	لله أشكو صاحباً . . .	٤١٩ . . .	يا جنة الحسن التي . . .
٦٣١ . . .	خذ أحاديثها من العارفيها . . .	٤٣٠ . . .	عاقبت من أهواه في . . .
٦٣٢ . . .	حوت صدين إذ ضربت وغنت . . .	٤٣٢ . . .	كيف صبري وأنت للعين قره . . .
٦٣٦ . . .	قال النبي مقال صدق لم يزل . . .	٤٣٥ . . .	لله بالهدباء عيشي فكم . . .
٦٣٧ . . .	وأغيد مكتمل حسنه . . .	٤٣٧ . . .	ملككت رقي وأنت فيه . . .
٦٤٣ . . .	جل الذي أنشاك من قرعة . . .	٤٦٤ . . .	أهوى قمراً كل الورى تهواه . . .
٦٥٠ . . .	يحفظ في الجوع ألف منفعة . . .	٤٦٤ . . .	يا من فضح الغصون في مشيته . . .
٦٥٢ . . .	قناعة المرء بما عنده . . .	٤٧٩ . . .	فتن الأتنام بعوده وبشدوه . . .
٦٦٤ . . .	من لم تضم الضيوف ساحته . . .	٥٠٥ . . .	يا من يلوم على المدامه . . .
٦٧٠ . . .	يارب إني دخلت بيتك . . .	٥٠٨ . . .	وليلة زارني فقيه . . .
٧٥٥ . . .	هل علم الطيف عند مسراه . . .	٥٢٣ . . .	حلت المومياة وهي من الميتة . . .

و

٧٥٧ . . .	وحقك إني قانع بالذي تهوى . . .	٤٢٦ . . .	لا تنطقن عن الهوى . . .
		٥٦٩ . . .	لدي تصح ثمار الوفاء . . .

لا

٧٥٩ . . .	لا نلت من طيب وصلكم أملا . . .
-----------	--------------------------------

ي

٤٠٠ . . .	يا ضعيف الجفون أضمت قلباً . . .	٤١ . . .	توسد في الفلا أيدي المطايا . . .
٥٨٥ . . .	وعدم وأعطيتم مدى المطل حقه . . .	١٧٦ . . .	رعى الله ملكاً ما رمتني بربعه . . .
٦٣٩ . . .	تلفق كذباً ثم تأتي بضده . . .	١٨٥ . . .	ليالي الحمى ما كنت إلا لآلياً . . .
٧٦١ . . .	يا هلالاً من سلطة المي حبيبي . . .	٢٣٦ . . .	لا زال سعدك دائماً . . .

الموشحات والأراجيز وسواها

٤٥٦	كثير الحسن قليل الوفاء	١٢٥	أعلام الهوى
٤٥٧	بي ظبي حمى	١٩٤	ليلة العز
٤٥٩	رب العيون القواطل	٢١٣	إلى معاليه ينتهي الكرم
٦٢١	بحور العروض	٢١٥	في حمى الملك
٦٧٢	عيشة راضية	٢٦٤	لا شلت يمين الرامي
		٤٥٣	حامل الهوى

ديوان صفى الدين الحلي

٥	صفى الدين الحلي
٩	بسم الله الرحمن الرحيم
١٣	الباب الأول : في الفخر والحماسة والتحريض على الرياسة
٧٣	الباب الثاني : في المدح والثناء والشكر والثناء
٢٤٥	الباب الثالث : في الطرديات وأنواع الصفات
٢٨٥	الباب الرابع : في الإخوانيات وصدور المراسلات
٣٢٨	الباب الخامس : في مرثي الأعيان وتعازي الإخوان
٣٩٠	الباب السادس : في الغزل والنسيب وطرائف التشبيب
٤٩٢	الباب السابع : في الحمريات والنبد الزهريات
٥٦٠	الباب الثامن : في الشكوى والعتاب وتقاضي الوعد والجواب
٥٩٢	الباب التاسع : في الهدايا والاعتذار والاستعطاف والاستغفار
٦١٨	الباب العاشر : في العويص والتقيد للإيجاز
٦٢٤	الباب الحادي عشر : في الملح والأهاجي
٦٥١	الباب الثاني عشر : في الآداب والزهديات ونوادر مختلفات
٧٠٥	كتاب درر النحور في امتداح الملك المنصور
٧٦٣	فهرست القوافي
٧٨١	فهرست الموشحات والأراجيز وسواها